سلسلة التراث الحضاري

٧٠

عُقُود الجُمَان في وَقَائع الأَزمان

لـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المعروف بابن إياس

(ت: بعد ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)

حوادث وتراجم سنوات

(٦٤٨ - ٩٠٤هـ / ١٢٥٠ - ١٤٩٨م)



تحقيق ودراسة

أحمد سعيد بدير



عُقُود الجمَان
في وَقَائع الأَزمَان



عُقُود الجمَان في وَقَائع الأزمان

لـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي

المعروف بابن إياس

(ت: بعد ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)

حوادث وتراجم سنوات

(٦٤٨ - ٩٠٤هـ / ١٢٥٠ - ١٤٩٨م)

تحقيق ودراسة

أحمد سعيد بدير

الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للكتاب 2024

ص. ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

GENERAL EGYPTIAN BOOK ORGANIZATION
P.O.Box: 235 Ramses.
1194 Cornich El Nil - Boulac - Cairo
P.C.: 11794
Tel.: +(202) 25775109 Ext. 149
Fax: +(202) 25764276

website: www.egyptianbook.org.eg
E-mail: ketabgebo@gmail.com
www.gebo.gov.eg

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

سلسلة التراث الحضاري

رقم الإيداع ٢٠٢٤/١٩٧٠٨
ISBN: 978 -977 -91 -4662 -1

الإشراف الفني: محمد محمود سيد
تصحيح لغوي: أحمد محمد حسن
تصميم الغلاف: أحمد الجنايني

عُقُود الجمَان
في وَقَائع الأَزمان

لـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي

المعروف بابن إياس

(ت: بعد ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)

حوادث وتراجم سنوات

(٦٤٨ - ٩٠٤هـ / ١٢٥٠ - ١٤٩٨م)

تحقيق ودراسة

أحمد سعيد بدير



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٢٤

هذا الكتاب

حظى العصر المملوكي بعدد لا بأس به من المؤرّخين الذين سجّلوا حوادث ووقائع ما جرى بذاك العصر، مثل المقريزي وبدر الدين العيني، والسخاوي وغيرهم، ويظل ابن إياس الحنفي واحدًا من أهم مؤرخي هذا العصر، وقد عاصر جانبًا من سنواته الممتدة، وعاش حتى زمن الاحتلال العثماني البغيض لمصر.

ويتميز تأريخ ابن إياس، بكونه لا يكتفي برصد الوقائع السياسية، والأحداث المتعلقة بسلطة الحكم فقط، لكنه يسجل العديد من مظاهر الحياة اليومية الاجتماعية المتعلقة بحياة عموم الناس، والذي يطلق عليهم "هوام العوام"، فجاء تأريخه في جانب من جوانبه، وكأنه مشاهد من أفلام تسجيلية، تعيدنا إلى ما كان يدور داخل المجتمع المصري خلال أزمنته البعيدة تلك.

وكتاب عقود الجمان في وقائع الأزمان، إنما هو مختصر لكتاب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" وهو سِفْر ضخم يُعد من أعمدة كتب التأريخ للعصر المملوكي، وقد قام باختصاره المؤلف نفسه، ليكون كتاب "عقود الجمان في وقائع الأزمان"، والذي تضعه سلسلة التراث الحضاري بين يدي القراء، بجزئه الثاني فقط، حيث ضيَّع الزمان جزئيه الأول والثالث ولم يتم العثور عليهما.

وتشكر سلسلة التراث الحضاري الباحث الأستاذ أحمد سعيد على تحقيقه الأمين لهذا النص الذي ينشر لأول مرة.

سلوى بكر

مقدِّمة

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عبادهِ الذين اصطفى وبعد، هذا هو الجزء الثاني من عقود الجمان في وقائع الزمان، وهو كل ما وصلنا حتى اليوم من الكتاب، فالجزء الأول والجزء الثالث في حكم المفقودين، ويتناول هذا الجزء من الكتاب الذي بين يدي القارئ حوادث مصر، وتراجم أعلامها من بداية الدولة المملوكية بمصر إلى نهاية سلطنة الملك الناصر محمد بن قايتباي ٩٠٤هـ، "وردت الحوادث مرتبة على ذكر السلاطين المماليك"، علمًا بأن الجزأين الأول والثالث من هذا الكتاب في حكم المفقودين ولم يعثر عليهما للأسف حيث أنه تناول في الجزء الأول سيرة الخلفاء، والجزء الثالث منه يبدأ بأخبار دولة الظاهر قانصوه.

وانتهت المدرسة التاريخية المملوكية إلى أنها تسير في الأساس بنهج التأريخ لمصر بالنظام الحولي، وذلك بجمع وتلخيص ما أنجزه المؤرخون السابقون، ثم كتابة ما تلا ذلك من الأحداث التاريخية، فأرخ المقريزي لتاريخ المماليك في كتابه "السلوك لمعرفة دول الملوك" ثم استكمل أبو المحاسن بن تغري بردي كتاب المقريزي وذلك في كتابيه "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" و"حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور"، كما عُرف نظام آخر التذييل كما فعل السخاوي حين ذيل لكتاب السلوك للمقريزي في كتابه المسمى: "التبر المسبوك في ذيل السلوك"، ثم تنتهي حلقات تاريخ مصر في عصر المماليك بكتابات ابن إياس "بدائع الزهور في وقائع الدهور" و"عقود الجمان في وقائع الأزمان" و"جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك".

ذكر ابن إياس في كتابه عدة جوانب، منها: الحياة السياسية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية، والنشاط الاقتصادي والعُمراني لمصر في فترة حكم

المماليك البحرية والجراكسة حتى نهاية عهد السلطان الناصر محمد بن قايتباي، وهذه الأخبار اعتمد المؤلف في سردها على ما أورده في كتابه بدائع الزهور، لأن عقود الجمان هو كتاب مختصر عن بدائع الزهور.

ونظرًا لضعف اهتمام العامة وأهل العلم وعوامل أخرى سيأتي ذكر بعض منها، لجأ أصحاب المؤلفات التاريخية وخاصة المطولة إلى اختصارها، وكان أقربها عهدًا اختصار ابن تغري بردي لكتابه النجوم الزاهرة، ثم اختصر ابن إياس كتابه بدائع الزهور في كتاب سماه "عقود الجمان في وقائع الأزمان"، ثم في كتاب "جواهر السلوك"، سوف نورد الأسباب والدوافع التي أدت إلى انتشار المختصرات.

وفي الختام لا يسعني إلا الشكر لمن وجهني لتحقيق هذا الكتاب وإخراجه للباحثين في مجال الدراسات التاريخية، وأقول كما علمني د. محمد جمال الشوربجي "لا أدعي أنَّ تحقيقي لهذا الكتاب القيم قد وصل حدَّ الكمال، فالكمال لله وحده"، ولكني بذلتُ فيه طاقتي.

والله تعالى الموفِّق والهادي

أحمد سعيد
القاهرة ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م

تمهيد

المختصرات التراثية

▪ تطور الكتابة التاريخية الإسلامية:

بدايات التأريخ الإسلامي اقترنت بدراسة سيرة الرسول ﷺ، لذلك ارتبطت المغازي بالحديث، والذي ترك طابعًا لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام الإسناد، وهو ما رسخ بأن الأخبار وظواهرها تستند إلى أساس تاريخي قويم.

وفي بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، اتجهوا نحو جمع الأخبار ورواياتها بشكل متصل ومنظم حول أي موضوع، واعتمدوا في جمعهم للمادة العلمية التاريخية على الروايات القبلية والعائلية، وكل ما كان متداولًا في هذا الوقت، ولم يكن باستطاعتهم تجاهل السند، والذي استعملوه بحرية، فازداد أهميته لدى الإخباريين بالتدريج، مما سبب الاتجاه الإسلامي في كتابة التاريخ.

ومع بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، أصبح في متناول المؤرخين المسلمين كم هائل من المادة التاريخية، والتي خلفها لهم كتب السيرة النبوية والمغازي، وساعدهم في ذلك الظروف التاريخية، والتي ترتب عليها ازدهار المعرفة التاريخية وتطورها في النمط والمنهج.

وفي القرن الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، تحددت معالم علم التاريخ سواء من حيث المادة أو من حيث الأحداث التاريخية نفسها، فتعددت بتعدد المراكز السياسية في البلاد الإسلامية، واختاروا مادتهم التاريخية بعد النقد في مختلف المصادر.

وفي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي انتعشت الكتابة التاريخية، لتعرض البلاد للغزو الخارجي، فنظر المؤرخون للخطر الذي يهدد حضارتهم وتراثهم.

وفي القرن السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، شهد القرن نشاطًا ملحوظًا في التأليف من ناحية وفي جمع الكتب وإنشاء المكتبات من ناحية أخرى والعناية بها، فقد وجد في كل مدرسة من مدارس الشام ومصر خزانة للكتب، كما وضعت أغلبية المساجد مكتبات احتوت على مختلف أنواع العلوم.

ومع ذلك التطور في الكتابة ظهر من ضمن الاتجاهات الكتابة التاريخية، اتجاه إلى كتب المختصرات والذيول والانتقاء من الكتب المطولة.

- **مفهوم الاختصار:**

الاختصار أو التلخيص هو فن من فنون الكتابة التاريخية، وهو عبارة عن التصرف في النص الأصلي، وقلَّما تُرك نص من النصوص القديمة المهمة بغير أن يلخص أكثر من مرة، وكان المؤلف نفسه أحيانًا يلخص بعض كتبه.

يعبِّر الإمام العتابي عن الاختصار فيقول: "ولاختصار هممهم، اختاروا المختصر في كل شيء"[١]، وعليه يقول د. كمال نبهان[٢]: "ومن الطبيعي أن يزداد الاتكاء على المختصرات عندما تنقص الهمم في عصر أو مجتمع معين"[٣].

ويُعرف ابن مسعود التلخيص بأنه: "إيراد الأصول وحذف الفضول"[٤]، أما ابن عبد البر، فيعتبره "اكتفاء بالدرر والفرائد"[٥].

---

(١) كشف الظنون ٩٦٣/٢.

(٢) هو أ.د. كمال عرفات نبهان، ولد بمحافظة القليوبية عام ١٩٤١م، متخصص في علم المكتبات، وله كتاب "عبقرية التأليف العربي علاقة النصوص والاتصال العلمي"، (انظر: كمال نبهان، عبقرية التأليف، ص ٦٣٩).

(٣) عبقرية التأليف ٢٠٠.

(٤) جوامع إصلاح المنطق، ٣.

(٥) الدرر في اختصار المغازي والسير، ١٢.

الألفاظ المرادفة والدالة على الاختصار[1]:

١) المستخلص = abstract

٢) المُجمل الوافي = compendium

٣) الخلاصة = digest

٤) الملخص، الموجز، الزُّبدة = epitome

٥) المُجمل = synopsis

اختصار الكتب فنٌّ من الفنون، له قَواعد وأصول، ويُشترط عند اختصار كِتابٍ ما، عدم الإخلال بمقصد مؤلِّفه، وإلاَّ أصبح تحريفًا، قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: "ولا يَدخل في تحريف النصِّ اختصارُه بشرطين: الإشارة إلى ذلك، وأن لا يخلَّ بمقصد قائله، ولا يَخرج عن مراده"[2]، وإذا أراد أن يَزيد شيئًا على أصل الكتاب ينبّه على ذلك.

- **دوافع تأليف المختصرات:**

قسم ابن حزم الأندلسي أسباب التأليف إلى سبعة أقسام مشيرًا إلى إن أحد هذه الأقسام هو تأليف المختصرات، فيقول " إما شئ طويل فيختصره"[3]، وأكد الشئ ذاته ابن خلدون وأشار إلى إن الدافع السابع خاص بتأليف المختصرات بقوله: "وسابعها: أن يكون الشيء من التآليف التي هي أمّهات للفنون مطوّلا مسهبا فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك، بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرّر، إن وقع، مع الحذر من حذف الضروريّ لئلّا يخلّ بمقصد المؤلّف الأوّل"[4].

---

[1] أوردهم د. كمال نبهان في كتابه عبقرية التأليف العربي. (انظر: ٢٠١-٢٠٢).

[2] الردود ١٢٧.

[3] رسائل ابن حزم الأندلسي، ١٨٦.

[4] مقدمة ابن خلدون ٧٣٢/١.

أولًا: مهارة التأليف:

تبرز مهارة التأليف في المختصرات أكثر منه في المطولات، فالاختصار يدل على تمتع المؤلف بقدرات بلاغية ومهارة فنية، وقد أكد حاجي خليفة أن الكتب المختصرة تكشف عن مهارة المؤلف: "فأنه لجودة ذهنه، وحسن عبارته يتكلم عن معان دقيقة بكلام وجيز كافيًا في الدلالة على المطلوب"[(١)]، ولعل هذا السبب كان دافعًا رئيسيًا ومهمًا في الإقدام على تأليف المختصرات.

وقد حقق الذهبي مكانة مرموقة ونال استحسان وثناء العلماء لتمييزه بكثرة التأليف، والبراعة في تأليف المختصرات، فقيل عنه: "... جمع الْكثير ونفع الجم الْغَفِير وَأكْثر من التصنيف ووفر بالاختصار مُؤنَة التَّطْوِيل فِي التَّأْلِيف"[(٢)]، فالاختصار ليس بالعمل الهين إذ بإمكان جميع المؤلفين أن يقوموا بتأليف كتب مطولة، ولكن عدد قليل منهم من يمتلك القدرة على تأليف المختصرات لأن الاختصار يتطلب بلاغة وقدرة على التعبير، كما يتطلب وقتًا ودقة وصبرًا.

ثانيًا: سهولة الحفظ:

إن الكتب المطولة والمسهبة أصبحت تشكل صعوبة أمام طلبة العلم ولا سيما المبتدؤون منهم، وكذلك عموم الناس في متابعة الدرس والقدرة على الحفظ، وهذا حمل طائفة من المؤلفين على الاختصار إما بدافع شخصي أو بتكليف وطلب من طلبة العلم أو أحد العلماء لأجل تسهيل الحفظ.

وقد قسم حاجي خليفة المؤلفين المعتبرة تصانيفهم إلى فريقين: الفريق الثاني منهم وصفهم :" من له ذهن ثاقب، وعبارة طلقه، طالع الكتب فاستخرج دررها وأحسن نظمها، وهذه ينتفع بها المبتدؤون والمتوسطون"[(٣)].

وفي هذا الغرض قام بعض العلماء بالاختصار، منهم:

---

(١) كشف الظنون ٣٥/١.
(٢) الوافي بالوفيات ١١٥/٢.
(٣) كشف الظنون ٣٨/١.

- الذهبي وصف كتابه (العبر في خبر من غبر) بقوله: " فهذا تاريخ مختصر على السنوات أذكر فيه ما قدر لي من أشهر الحوادث والوفيات مما يتعين على الذكي حفظه ويتحتم على العالم إحضاره"[١].
- ابن كثير قام باختصار السيرة النبوية تلبية لحاجة طلبة العلم للتعرف على سيرة النبي، ومراعاة لمستواهم وقابلياتهم إذ لا يقوى الإنسان على استيعاب قراءة السيرة في أربع مجلدات فاختصرها في مجلد واحد بعنوان (الفصول في اختصار سيرة الرسول)، وأشار في خطبة الكتاب بأن هذا الكتاب "مما يمس حاجة ذوي الأرب إليه، على سبيل الاختصار"[٢].

ثالثًا: تذكرة للعلماء:

إذا كانت الكتب المختصرة يطلبها طلبة العلم والناس كافة ممن ينشدون المعرفة كونها توفر لهم معلومات مفيدة وموجزة تسهل عليهم حفظها والانتفاع منها، فأن الكتب المختصرة أيضًا تقدم فائدة للعلماء، حيث يمكن مراجعتها بسرعة للحصول على المعلومات المركزة فتكون لهم في حلقات الدرس وعند الحاجة، وما يجدر ذكره أن العلماء مهما بلغوا من درجة في سعة العلم فأنهم معرضون للنسيان إذ أن آفة العلم النسيان، وهم بحاجة إلى المراجعة والتذكير.

ومنها قول ابن العماد الحنبلي في كتابه (شذرات الذهب) عن سبب التأليف بقوله: " فهذه نبذة جمعتها، تذكرة لي ولمن تذكّر، وعبرة لمن تأمّل فيها وتبصّر، من أخبار من تقدّم من الأماثل وغبر، وصار لمن بعده مثلا سائرا وحديثا يذكر"[٣].

رابعًا: طلب وتكليف رجال الدولة:

ظهرت مجموعة من المؤلفات المختصرة ألفت بناء على طلب أو تكليف أحد رجال الدولة كالخلفاء أو السلاطين أو الأمراء أو الوزراء، والسبب وراء ذلك يعود إلى ما تتضمنه الكتب المختصرة من معلومات موجزة تغني بقراءتها عن مراجعة الكتب المطولة، فرجال الدولة في أمس الحاجة إلى قراءة الكتب التاريخية لأجل الاطلاع على أحوال الأمم الماضية للتسلية أحيانًا أو للعظة والعبرة أو لمجرد المعرفة ولعًا بالتاريخ.

---

[١] العبر ٣/١.
[٢] الفصول في اختصار سيرة الرسول ٣٠.
[٣] شذرات الذهب ١١٠/١.

ومن ذلك نذكر اختصار المؤرخ عبد الواحد المراكشي كتابًا يحوي بعض أخبار المغرب وخصوصًا ملوك المصامدة بني عبد المؤمن، وذلك استجابة لطلب وزير الخليفة العباسي الناصر لدين الله "مؤيد الدين أبو الحسن القمي"، وإذ جاء في مقدمة المختصر قوله: " أيها السيد الذي توالت علي نعمه... فإنك سألتني ... إملاء أوراق تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره، وشيء من سير ملوكه، وخصوصًا ملوك المصامدة بني عبد المؤمن، من لَدُن ابتداء دولتهم إلى وقتنا هذا -وهو سنة ٦٢١- وأن ينضاف إلى ذلك نبذة من ذكر من لقيتُه، أو لقيتُ من لقيه، أو رويتُ عنه، بوجه ما من وجوه الرواية، من الشعراء والعلماء وأنواع أهل الفضل؛ فلم أر بُدًّا من إسعافك والمسارعة إلى ما فيه رضاك؛ إذ هي الغاية التي أجري إليها، والبغية التي أثابر أبدًا عليها؛ ولوجوب طاعتك عليَّ من وجوه يكثر تعدادها"[1].

خامسًا: ضعف الهمم:

شكل ضعف الهمم لدى طلبة العلم دافعًا في التوجه نحو تأليف المختصرات ولم يكن ذلك وليد القرنين السابع والثامن الهجريين، وإنما يعود لحقب متقدمة إذًا يمكن أن نلمح ذلك في موقف الطبري من تلامذته حينما حاول استنهاض هممهم بقوله: " قال: حدثنا القاضي أبو عمرو عبيد الله بن أحمد السمسار وأبو القاسم بن عقيل الوراق، أن أبا جعفر الطبري قَالَ لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة.

فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة.

ثم قَالَ: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم"[2].

سادسًا: أسباب أخرى:

هي أسباب خاصة بالمؤلفين أنفسهم نذكر منها تنقية الكتب المطولة من الأخطاء والاستطرادات ومنها قول ابن إياس في كتابه (بدائع الزهور) يقول: "قلت: وأخبار

---

(1) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ١١.

(2) تاريخ بغداد ٢/٥٤٨.

الملك الظاهر بيبرس كثيرة، في عدة مجلدات، والغالب فيها موضوع، ليس لـه حقيقـة، والذي أوردناه هنا هي الأخبار الصحيحة، التي ذكرها العلماء من المؤرخين"[١].

ومنهـا للأسـباب الماديـة، فالكتـب المختصـرة تتميـز بصـغر حجمهـا مقارنـة بالكتب الأصلية المطولة، فابن منظور حينما اختصر تاريخ دمشق لابن عساكر كان المختصر بنحو ربع الكتاب الأصلي[٢]. والذهبي اختصر كتـاب ذيـل تـاريخ بغداد لابن الدبيثي بمقدار النصف[٣].

ومنهـا مـا ذهـب إليـه ابـن تغـري بـردي خوفًـا أن يـأتي مـن بعـده شـخص يقـوم باختصـار الكتـاب فيخـرج عـن مضـمونه[٤]، فيقـول: "فقـد خطـر لـي أن اختصـر مصـنفي المسـمى بـالنجوم الزاهـرة فـي ملـوك مصـر والقـاهرة، وسـميته الكواكـب الباهرة من النجوم الزاهرة اختصارًا يكون لا بالطويل الممل، ولا بالقصير المقل، حذرا من أن يختصره غيري فيستولى على المعتوب عليه باحمولـه، ويحتـوى علـى ما ضمنته فيه من الألفاظ الرشيقة وينحو علـى ترتيبـه وفصوله، واقتديت في ذلك بجماعـة مـن العلمـاء الأعـلام والمؤرخين، وآخـر مـن سلك منهم ذلك مـؤرخ مكـة العلامة تقي الدين، وقبله حـافظ عصـره أبـو عبـد الله الـذهبي شـمس الـدين، وهـو أنـه اختصر مصنفه تـاريخ الإسـلام بكتـاب سماه سير النـبلاء، ثم اختصـر سير النـبلاء بالعبر في خبر من غبر، ثم اختصر العبر بمؤلف سماه الإشارة إلى وفيات الأعيان، وإذا نحو الذهبي أذهب، وإلى طريقته أرغب، غير أننـى لـم أختصـر كتـابي النجـوم الزاهرة إلا مرة واحدة، وأضمن هذا المختصر، بترتيب مـا فـي أصـله وأشـحنه بكـل فائدة، على أننى ليس كالذهبي في علمه، ولا كثرة اطلاعه، وغزير فضله"[٥].

- تتداخل المختصرات مع أشكال أخرى من التأليف:

يقول د. كمال عرفات: "كان تلخيص نص معين يمثل في بعض الأحيان نقطـة ارتكـاز لتأليف نصوص جديدة تدخل تحت أشكال أخرى من التأليف"[٦]، ومن هذه الحالات:

---

[١] بدائع الزهور ١/١/٣٤١.
[٢] انظر: كشف الظنون ١/٢٩٤.
[٣] انظر: كشف الظنون ١/٢٨٨.
[٤] وللأسف مما كان يخشاه ابن تغري بردي أصبح اليوم واقعًا فنرى المختصرات تملئ دور النشر الكبـرى الرسـمية منهـا والخاصـة، وقـد خرجـت هـذه المختصـرات عـن مضـمونها التـي أرادهـا مؤلفينها، وجاءت هذه المختصرات تحت مسميات عدة منها "تقريب التراث، مختصرات".
[٥] الكواكب الباهرة، ق٢أ- ق٢ب.
[٦] عبقرية التأليف العربي، ٢١٢.

منها: الجمع بين التلخيص والنَّظم: ويقصد بذلك المنظومات الشعرية التي كانت تُصاغ فيها علم من العلوم في شكل أرجوزة أو ألفيّة، أو يُحول إليها كتاب منثور ليصبح منظومة قابلة للحفظ، وكثير من المنظومات كانت تتصف بالإيجاز والاختصار لحفظها ثم تشرح للتلاميذ بعد ذلك[١].

ومن أمثلة ذلك:

" النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير، تم تحويله إلى منظوم في كتاب "الكفاية في نظم النهاية" نظم ابن الحنبلي.

ومنها: الجمع بين التلخيص والتذييل: والتذييل فن قائم بذاته من فنون التأليف، ومن أهم وظائفه أنه يأتي بعد نص معين ليكمل التغطية بعده، فإذا كان النص الأصلي تاريخيًّا، يغطي الوقائع حتى سنة معينة تعتبر تاريخ الإغلاق للنص السابق، فإن التذييل يعتبر تأليفًا جديدًا يبدأ في تغطية الوقائع بعد هذا التاريخ وحتى تاريخ آخر جديد. ومن المفروض أن تغطية المعلومات في الذيل تبدأ مباشرة من تاريخ الافتتاح، ولكن بعض المؤلفين حرصوا على أن يجمعوا بين النص الأصلي والتذييل عليه، في عمل واحد. وكان أحد الحلول العملية أن يلخص النص الأصلي، وبعد التلخيص يبدأ التذييل وهو تأليف جديد مكمل[٢].

ومن أمثلة ذلك:

"تتمة المختصر في أخبار البشر" لابن الوردي، اختصر النص الأصلي، وهو "المختصر في أخبار البشر" لإسماعيل الأيوبي (صاحب حماة)، والذي يغطي حوادث حتى سنة ٧٠٩هـ، قام بالتذييل بعد تاريخ الإغلاق السابق، ووصل إلي حوادث سنة ٧٤٩هـ. وكذلك مختصر ابن الشحنة الحلبي، أضاف للمختصر في أخبار البشر تذييلًا إلى زمانه.

ومنها: امتزاج التلخيص بالإضافة والاستدراك: ويقصد بذلك الإضافات التي يضيفها المؤلف على الكتاب المختصر وتكون على ثلاثة عناصر، هما:

١) إضافة فوائد من كتب أخرى: وذلك كما فعل القزويني حين قام بتلخيص القسم الثالث من كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي، وسمه القزويني "تلخيص

---

(١) عبقرية التأليف العربي، ٢١٣.

(٢) عبقرية التأليف العربي، ٢١٣.

المفتاح في المعني والبيان"، وقد فاق هذا التلخيص ما سبقه من تلخيصات للنص الأصلي، وصار كأصله وكُتبت عليه شروح، وذلك للإضافات التي أضافها القزويني على الكتاب.

٢) إضافة زوائد من عند القائم بالتلخيص: وأبرز الأمثلة في ذلك الذهبي، حيث قام باختصار كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير، ثم زادِ عليه وخرجه في كتاب جديد بعنوان "تجريد أسماء الصحابة".

٣) استدراك ما فات مؤلف النص الأصلي: وذلك مثل تلخيص أبي حيان النحوي الغرناطي لكتاب "التقريب" الذي ألفه أستاذه ابن عصفور، وسمه بـ "تقريب التقريب".

ومنها: بناء كتاب جديد على التلخيص: اتُّخذ التلخيص في بعض الأحيان، كنواة لبناء كتاب جديد، فقد لخصت "مقدمة ابن خلدون" تلخيصًا محكمًا وأدمجت في كتاب جديد يُعد مكملًا لها، وهو "بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق الغرناطي.

ومنها: ارتباط التلخيص بالتهذيب: توجد بينهما علاقة وثيقة، ومن أمثلة التهذيب والتيسير لكتب الأصول وعرضها بشكل يناسب قارئ العصر، الأعمال التالية لعبد السلام هارون:

* "تهذيب سيرة ابن هشام".

* "تهذيب إحياء علوم الدين" للغزالي.

* "تهذيب الحيوان" للجاحظ.

- النصوص الملائمة وغير الملائمة للتلخيص:

يمثل التلخيص مدرسة متطورة في التأليف العربي، تم فيه تكثيف واختزال رموز الاتصال من الكلمات والجمل، ولكن هناك نصوصًا لا تقبل التلخيص بطبيعتها؛ لأن النص في هذه الحالة يمثل قيمة في حد ذاته، وله خصوصيته التي لا تسمح بالتصرف في بِنْيته الأصلية. فالنصوص الدينية المقدسة، والأشعار والقصص على سبيل المثال، لا يجدي معها التعامل مع الأفكار بمصاحبة النص الأصلي. فليس من المقبول فنيًّا أو أدبيًّا أن يلخص نص أدبي، ولكن من الممكن هو عرض الخط الرئيسي للعمل الأدبي أو حبكته الأدبية.

كما أن هناك مختصرات لم تَلق قبولًا عند أهل العلم، منها: كالذي اختصر كتاب محمد بن الحسَن الشَّيباني، قال السمعاني: "وقيل: لمَّا اختصر كتابَ الأصل الذي صنَّفه الإمام الرَّباني محمد بن الحسن الشَّيباني رآه في المنام، فقال له محمد: مزَّق الله جلدَك كما مزَّقتَ كتابي، فاستجاب الله دعاء محمد بن الحسن عليه"[١].

ومثل: مختصر المقاصد الحسَنة، قال عنه العجلوني: "فإنَّه اختصر المقاصدَ الحسَنة لشيخه المذكور، لكنَّه أخلَّ بأشياء ممَّا فيه مسطور"[٢].

ومثل: مختصرات الصَّابوني في العصر الحديث، وقد أُلِّفَت كثيرٌ من الكتب في نَقدها، مثل كتاب: "التحذير من مُختصرات الصَّابوني في التفسير"؛ للشيخ بكر أبو زيد.

قال الألبانيُّ: "وهناك أشخاص آخرون ظهروا في سَاحة التأليف والكِتابة فيما لا يحسنون، وأخُصُّ بالذِّكر منهم الشيخين الحلبيَّين اللذين اختصر كلٌّ منهما "تفسير الحافظ ابن كثير"[٣].

- نسبة التلخيص إلى المؤلفين[٤]:

وإذا نظرنا إلى التخليص كنشاط تأليفي، نلاحظ:

١- أن التلخيص يُنسب إلى القائم به كعمل تأليفي جديد.

٢- أن بعض النصوص ينشأ موجزًا منذ بداية تأليفه، ويعتبر في هذه الحالة نصًّا أصليًا صادرًا عن مؤلفه، وليس تلخيصًا لعمل سابق. وقد فعل ذلك صاعد الأندلسي في كتابه "طبقات الأمم" الذي راعي الإيجاز في تأليفه منذ البداية.

٣- أن التلخيص يقوم به في الغالب شخص غير المؤلف، ويمثل ذلك النسبة الغالبة في التلخيص.

٤- أن مؤلف العمل الأصلي يقوم أحيانًا باختصار بنفسه، وإذا كان مطولًا، كما فعل ابن إياس الذي اختصر "بدائع الزهور"، وابن تغري بردي الذي اختصر "النجوم الزاهرة"، وقبلهم الذهبي الذي اختصر أيضًا "تاريخ الإسلام".

---

[١] الأنساب، ١٩٢/٨.

[٢] كشف الخلفاء ١٣/١.

[٣] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٧٤/٤.

[٤] عبقرية التأليف العربي، ٢١٨-٢١٩.

٥- أن الخوف من التلخيص كان أحيانًا يؤرق بعض المؤلفين، ولعل بعضهم كان حريصًا على تلخيص كتابه بنفسه، حتى لا يفسده غيره بالتلخيص، ونستشف ذلك من تحذير المسعودي في نهاية كتابه "مروج الذهب" بقوله: "من نقمة الله التي تلحق كل من يحرف أو يطمس أو يلبس أو يغير أو يبدل أو ينتخب أو يختصر أو ينسب الكتاب إلى غيره"[١].

- العلاقات الوعائية للمختصرات (التعدد والتشتت والتجميع)[٢]:

حدث أحيانًا أن تفككت مكونات نصّ واحد إلى عدة مختصرات، كما حدث العكس عندما اجتمعت عدة نصوص طويلة في مختصر واحد، وفي ما يلي بعض جهود المؤلفين في هذا المجال:

١. قد يعمد المؤلف إلى واحد من كتبه، فيخرج منه عدة مختصرات كل منها في موضوع معين، مثلما فعل الذهبي في كتابه "تاريخ الإسلام"، فقد اختصر منه مختصرات، منها: "العبر" و"سير النبلاء" و"طبقات الحفاظ" و"طبقات القراء" وغير ذلك[٣].
٢. قد يقوم المؤلف بتلخيص عدة أعمال له، ويجمع كل التلخيصات في نص واحد.
٣. قد يقوم شخص غير المؤلف، بتلخيص عدة أعمال لمؤلف معين، ويجمع تلخيصاته في نص واحد.
٤. قد يحظى النص الواحد بعدة تلخيصات يقوم بها أشخاص مختلفون في عصور وبيئات مختلفة، ومن أمثلة ذلك: "تاريخ الإسلام" للذهبي، فقد حدث له الاختصاران التاليان: "مختصر تاريخ الإسلام" للغزي، "مختصر تاريخ الإسلام" لابن الجزري.
٥. قد تُلخص عدة أعمال لمؤلفين متعددين في موضوع معين، وتوضع التلخيصات في كتاب واحد، مع احتفاظ كل تلخيص بهويته واستقلاله وتمثيله للنص الأصلي.
٦. قد يحدث "تلخيص مزجي" لعدة أعمال، لعدة مؤلفين، وتُستوعب التلخيصات في نص واحد، يُنسب إلى مؤلف "التلخيص". وكان ذلك يتم ضمن هدف محدد يعبر عنه إبراهيم بن وهب بقوله: "وجمعت في مواضع منه ما فرقوه

---

[١] مروج الذهب، ٤٠٩/٤.
[٢] عبقرية التأليف العربي، ٢١٩-٢٢٠.
[٣] كشف الظنون، ٢٩٥/١.

ليخفف بالاختصار حفظه، ويقرب بالجمع والإيضاح فهمه"[1]، وقد نتج عن ذلك كثير من المؤلفات تُسمى بـ "الجوامع والمتون".

ومن هذه الجوامع كتاب "محبوب الشمائل في كشف المسائل" للقوشجي، جمع فيه عشرين متنًا كل متن في علم من العلوم؛ وكذلك ألف حاجي خليفة "جامع المتون" جمع فيه نحو ثلاثين من المتون المشهورة في كل فن، ثم اختار منها اثني عشر متنًا من مختصرات تلك المتون في مجلد أصغر حجمًا سمَّاه "مختصر جامع المتون"[2].

- مدى اهتمام المؤلفين بالتلخيص:

اهتم كثير من المؤلفين العرب بتلخيص النصوص، وفي هذا المجال نلاحظ ما يلي:

١. الجمع بين التلخيص والتأليف:

اشتهر كثير من المؤلفين بالجمع بين التلخيص والتأليف، ومن هؤلاء ابن منظور الذي كانت أغلب مؤلفاته اختصارًا لكتب "الأدب والتاريخ المطولة كالأغاني والعقد والذخيرة ومفردات ابن البيطار وتاريخ دمشق وربما بلغت مختصراته خمسمائة مجلد، كما يذكر السيوطي[3]. وقد ألف ابن منظور "لسان العرب"، جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية.

وكان الذهبي مولعًا بالاختصار، ويروي أنه اختصر أكثر من خمسين كتابًا[4].

٢. التخصُّص في التلخيص:

لوحظ أن بعض الملخِّصين، قد ركز اهتمامه على تلخيص مؤلفات مؤلف معين، ومن هؤلاء الفتح بن علي البنداري، الذي اشتهر باختصاره كتب عماد الدين الأصفهاني، وقد فقدت بعض الأصول وبقي التلخيص، ومن أمثلتها: "سنا البرق الشامي"، وهو مختصر لكتاب "البرق الشامي"، للعماد الأصفهاني.

---

(١) من مقدمة البرهان في وجوه البيان، لإسحاق بن إبراهيم بن وهب. (انظر: البلاغة تطور وتاريخ، ٩٣).

(٢) انظر نماذج من الجوامع في: كشف الظنون ٥٧٢/١-٥٧٣، ١٦١١/٢.

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢٤٨/١.

(٤) الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، ١١١، ١١٥، ١٣٢.

ترجمة المؤلف

١ـ اسمه ونسبه:

هوَ أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، الجركسي الأصل، المصري المولد والمنشأ والوفاة؛ وهو من مشاهير أولاد الناس في أواخر العصر المملوكي.

٢ـ أهله:

- جد والده لأمه هو الأمير أزدمر العمري الناصري الخازندار:

يقول عنه: "وأخلع على مَن يُذكر من الأمراء، وهم: الأمير عزّالدين أزدمر العمري أبو دقن، وقرَّره في إمرة السلاح، وقد ولى أزدمر هذا إمرة السلاح مرتين، مرة في دولة الملك النَاصر حسن، ومرة في دولة الأشرف شعبان، وكانَ أزدمر هذا جدّ والد مؤلفه[١]........ وفيه حضر، بطلب من السُلطان، الأميرأزدمر العمري الناصري الخازندار، أمير سلاح، المعروف بأبي دقن، وكان منفيًا بالصبيبة، فلمَا حضر إلى القاهرة أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف، فأقام مدّة يسيرة، وتوفي إلى رحمة الله تعالى، في أثناء شهر ربيع الآخر، ودُفن بالقرافة الصغرى، بالقرب من زاوية الشيخ أبي العبَاس البصير، رحمة الله عليه؛ وكان أميرًا جليلًا، معظمًا مبجلًا، ولهُ بر ومعروف، وأوقاف على الحرمين الشريفين، وَهوَ الذي أنشأ خان سراقب بالقرب من حلب، وهوَ إلى الآن باقٍ؛ وأزدمر هذا هو جَدّ والد مؤلف هذا التاريخ[٢]........ وتوفي الأمير أزدمر العمري الناصري، المعروف بأبي دقن، الخازندَار، وكان أميرًا معظمًا

---

[١] بدائع الزهور ٥٨/١.

[٢] بدائع الزهور ٧٣/١.

مبجلًا، ولى إمرة السلاح مرتين، وولى نيابة حلب، ونيابة طرابلس، ونيابة صفد، وغير ذلك من النيابات، وكان له بر ومعروف"[١].

وقد أخلع عليه السلطان الأشرف شعبان، في شهر جمادى الأولى سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م، وقرّره في إمرة السلاح؛ وولي أزدمر هذا إمرة السلاح مرّتين، كانت المرة الأولي في دولة السلطان الناصر حسن؛ ثم يقول إنه جد والده كان منفيًا بالصبيبة، وعاد إلى القاهرة بطلب من السُلطان شعبان في شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، فأنعم عليه السُلطان بتقدمة ألف، غير أنه توفي بعد مُدّة يسيرة، في نفس الشهر، ودُفن بالقرافة الصغري، بالقرب من زاوية الشيخ أبي العباس البصير، وأزدمر هذا هو الذي أنشأ خان سراقب بالقرب من حلب. وولي نيابة حلب، ونيابة طرابلس، ونيابة صفد، وغير ذلك من النيابات.

- الأمير إياس الفخري الظاهري: (جده)

كان أحد مماليك السلطان الظاهر برقوق، وترقى في عهد أستاذه هذا إلى أن وصل إلى رتبة الدوادارية الثانية أيام ابنه السلطان الناصر فرج، ومن المرجح أنه ولد سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٤م.

يقول عنه ابن إياس: "وفيه، في ثاني عشره، كانت وفاة جدّ النَاصري محمد بن الشهابي أحمد، مؤلف هذا التاريخ، وَهوَ الفخري إياس من جنيد، وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق وقرّر في الدوادارية في دولة الملك النَاصر فرج، وكان دينًا خيرًا، ريسًا معظمًا عند الناس، وعاش من العمر نحو من خمس وثمانين سنة[٢]". توفي جدّه في ١٢ محرم ٨٥٣هـ / ٨ مارس ١٤٤٩م.

- شهاب الدين أحمد بن إياس: (والده)

هو شهاب الدين أحمد بن إياس، فيذكر المؤرخ عنه أنه كان من مشاهير "أولاد الناس"[٣]، وكان ذا صلات بالأمراء وأرباب الدولة، وكانت وفاته في

---

(١) بدائع الزهور ٧٨/١.
(٢) المصدر السابق ٢٧١/٢- ٢٧٢.
(٣) اصطلاح مملوكي جرى على الألسن للدلالة على أبناء الأمراء الذين عاشوا في بيوت الإمارة لا الطباق والتربية الحربية الخشنة.

١٣ شعبان سنة ٩٠٨هـ/ ١٠ فبراير ١٥٠٣م، وخلف خمسة أولاد بين ذكور وإناث، عاش منهم ثلاثة، هم: محمد المؤرخ، وأخوه الجمالي يوسف، وأخت لهما.

- أخته:

كانت زوجة للأمير قرقماس المصارع، وكان أمير أخور رابع وأحد أمراء العشرات، قتل في معركة البيرة في سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٣م، حيث انتصر الجيش المملوكي بقيادة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار على جيش أوزون حسن (حسن الطويل) ملك التركمان المعروفين باسم ألاف قيونلو (الشاة البيضاء).

يقول ابن إياس عنه: "وقُتل في هذه المعركة شخص من الأمراء العشرات، يُقال له قرقماس العلائي المصارع، أمير آخور رابع، وهذا كان صهرنا، وكان إنسانًا حسنًا دينًا خيرًا موصوفًا بالفروسية والشجاعة، علامة في الصراع، أصيب بسهم في صدغه فمات لوقته"(١).

- أخوه:

كان بالزردكاشية، أي هندسة المدفعية، على عهد السلطان قانصوه الغوري، ويظهر أنه كان خبيرًا بفنه، وبيده وظيفة رئيسة في عمله، ويذكر ابن إياس أخاه في تواضع تام ودون أي مباهاة بما أظهره من خبرة واسعة ومعرفة ودراية بفنه.

يقول ابن إياس عنه: "ومن الوقائع أن الأمير أركماس الذي كان نائب الشام طلع إلى السلطان بقطعة فولاذ هيئة الكرة، وزعم أنها صاعقة نزلت ببعض الجبال، وأن أعرابيا أهداها إليه، ففرح السلطان بذلك وجمع السبّاكين، فقالوا: "إنها صاعقة لا محالة"، فنظر إليها بعض الزردكاشية فأنكر ذلك، وقال: "هذه حجر مرقشيتة، وهو حجر صلب"، فلما سمع السلطان ذلك شقّ عليه، ونزل إلى الميدان، وجمع السبّاكين، وحضر الأمير أركماس، ووضعوا ذلك الحجر الذي [على] هيئة الفولاذ في النار، فمجرد ما وضعوه في النار صار مثل الخرنفش وتفتّت، فخجل الأمير أركماس من ذلك وانتصف عليه ذلك الزردكاش، وهو الجمالي يوسف أخو مؤلفه، وعد ذلك من النوادر"(٢)

---

(١) بدائع الزهور ٨٦/٣.

(٢) بدائع الزهور ٢٠٤/٤.

٣-تاريخ مولده:

ذكر ابن إياس أنه ولد بعد طلوع شمس يوم السبت ٦ ربيع الآخر ٨٥٢هـ/ ١١ يونيه ١٤٤٨م؛ وكنّهُ والده بأبي البركات[١].

٤-طلبه للعلم وأشهر شيوخه:

رغم ضعف المعلومات عنه إلا أنه من المؤكد تلقي التعليم المعتاد، وأنه حفظ القرآن الكريم، ثم أنه أخذ بعض العلوم، والمعارف الخاصة بالصوفية، وكذلك علم التاريخ، من مشايخ عصره أما مشافهة أو من خلال مؤلفاتهم، وقد خص ابن إياس منهما بالذكر، هما:

٤/١- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م):

يقول في ترجمته: "..... وفي يوم الخميس تاسع هذا الشهر كانت وفاة شيخنا الحافظ العلامة جلال الدين الأسيوطي وهو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سايق بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الهمام الخيضري الأسيوطي الشافعي، وكان عالما فاضلا بارعا في الحديث الشريف وغير ذلك من العلوم، وكان كثير الاطلاع نادرة في عصره بقية السلف وعمدة الخلف، وبلغت عدة مصنفاته نحوا من ستمائة تأليف، وكان في درجة المجتهدين في العلم والعمل، وكان مدة حياته نحوا من اثنين وستين سنة وأشهر"[٢].

٤/٢- الشيخ زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الحنفي، ابن الوزير (ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م):

يقول في ترجمته: "... شيخنا العلّامة زين الدين عبد الباسط بن الغرسي خليل بن شاهين الصفوي الحنفيّ. وكان عالمًا فاضلًا، رئيسًا، حشمًا، من ذوي البُيوت، وكان من أعيان الحنفية"[٣].

وقد حج ابن إياس سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٦م دون أن يقوم على وظيفة معينة في الركب المصري، على أنه شهد ما لقيه الحاج ذلك العام من عنت وغلاء وفناء

---

(١) انظر: بدائع الزهور ٢٦٣/٢.

(٢) بدائع الزهور ٨٣/٤

(٣) بدائع الزهور ٣٧٤/٤.

بمكة، بسبب ما وقع وقت ذاك بين السلطان المملوكية وبعض المكيين، كما لقي في هذه السفرة شدائد عظيمة من الغلاء وموت الجمال[1].

٥- مصادر دخله:

لم يشر ابن إياس إلى عمله بأى وظيفة مدنية حرة أو داخل دواوين الدولة، وإنما اكتفى بما يأتيه من إقطاعه أجناد الحلقة[2] فقط، لأنه من أولاد الناس، إقطاعه هذا كان عرضه بين الحين والآخر لتقلبات أحوال الدولة في عهد الغوري، وقد أخذه السلطان الغوري في جمادى الآخرة سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م، ثم استطاع استعادة تلك الإقطاع في السنة التالية بعد أن أبلغ ظلامته للسلطان، فقد عاش المؤرخ من موارد إقطاعه الذي ورثه عن أسرته، تلك الموارد التي أعانته طوال حياته على التفرغ للتأليف وكتابة التاريخ، فترك لنا عدة مؤلفات سيأتي ذكرها، ونظم الشعر.

٦- صلته بأعيان عصره:

كان ابن إياس على اتصال ببعض أعيان البلاط السلطاني في عهود مختلفة كالأمير تمراز الشمسي، والأمير أقبردي الدوادار الكبير، وكلاهما من رجال عصر السلطان قايتباي.

وأبو بكر بن مزهر وابنه البدري محمد، والقاضي محمود بن أجا، وهم ممن شغل وظيفة كاتب سر في الدولة.

وصلته بأخيه الجمالي يوسف الذي أمده بما جرى بالقلعة من أخبار، ولا سيما أخبار المدفعية التي عني ابن إياس بتدوينها والإشارة إلى إهمالها على عهد السلطان الغوري.

٧- أخلاقه:

يقول د. حسين عاصي: "لا سبيل لمعرفة ما اشتهر به ابن إياس من صفات عند معاصريه، ما دام الموجود من كتب المعاصرين والمتأخرين لا ينبئ عنه

---

(١) بدائع الزهور ٣/١٤٤-١٤٥.

(٢) يُقصد به الجنود الذين يمنحون إقطاعات ينتظمون في وحدات، عدد عناصر كل وحدة أربعون شخصًا، يرأسهم مقدم ليس له عليهم حكم إلا في أوقات الحرب. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص ١٩.

بشيء البتة. على أن الكتب التي ألفها، والملاحظات التي أودعها في هذه الكتب عن نفسه وعن حوادث عصره ورجاله تدلنا على الكثير من كنه شخصيته الكبيرة، فضخامة مؤلفاته برهان على أنه ظل طوال حياته مجدًا في الكتابة، ودؤوبًا على تدوين الحوادث يومًا يومًا وشهرًا شهرًا في الأجزاء المعاصرة من تاريخه يشهد على دقة ملاحظاته وشدة استقصائه للحقائق، وقوته في الحكم على الناس تخبر بعلو مستواه الخلقي.

وتناوله تاريخ الحكم العثماني في مصر بالنقد والسخرية أحيانًا لإهمال رجاله مصالح المصريين، بالرغم مما أحاط السيادة العثمانية في القاهرة من رهبة وخشية يعطيه مكانة سامية بين المؤرخين وغير المؤرخين. بل وربما كان موقفه من الحكم العثماني هو السبب في خفاء ترجمته من كتب التراجم"[(١)].

كما اتسم ابن إياس بثقته في نفسه، وظهر ذلك واضحًا من قوله أثناء الانتهاء من سرد أحداث سلطنة السلطان بيبرس، يقول: "قلت: وأخبار الملك الظاهر بيبرس كثيرة، في عدّة مجلدات، والغالب فيها موضوع، ليس له حقيقة، والذي أوردناه هنا هي الأخبار الصحيحة، التي ذكرها العلماء من المؤرخين"[(٢)].

٨ـ وفاته:

لم أعثر على تاريخ مؤكد لوفاته إلا أنه توفي بعد سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م، لأنه ذكر في كتابه "بدائع الزهور" قصيدة يتناول فيها أسماء الحكام بالديار المصرية منذ أيبك حتى عهده، وذلك في أخر حديثه عن سلطنة عز الدين أيبك: "وبعده أحمد الباشاه.. بسيفو جال"[(٣)] وأحمد باشا تولى مصر وعصى السلطان سليمان العثماني في شوال سنة ٩٣٠هـ، واستمر ستة أشهر ثم قتل، وعلى هذا أن ابن إياس عاش بعد ذلك التاريخ، وقد جاوز ثمانية والسبعين من العُمر، رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر، ٥٣.

(٢) بدائع الزهور ٣٤١/١/١.

(٣) بدائع الزهور ٢٩٦/١/١، جواهر السلوك ١١٢.

- تراث ابن إياس

١. مُؤلفاته:

ترك ابن إياس للمكتبة العربية عدد مُصنفات:

١/١: بدائع الزهور في وقائع الدهور:

يستهل المؤلف كتابه التاريخي من بداية الخليقة، ولم يصل إلينا منه إلا بداية الجزء الرابع بالحديث عن مصر منذ أقدم العصور، فهو يذكر أخبار مصر وما ورد فيها من الأيات، وما خصت به من المحاسن والعجائب، وما قيل فيها، ومن حكمها، وما قامت عليها من الدول إلى نهاية عصر الأيوبيين، يذكر المؤلف تلك الأخبار باختصار تمهيدًا للدخول في تاريخ مصر في عصر المماليك حيث يشرع المؤلف في كتابة هذه الفترة بالتفصيل إلى أن يصل إلى حوادث سنة ٩٢٨هـ/١٥٢٢م ويختمه في الجزء الحادي عشر، وذكر أنه: "يتلوه الجزء الثانى عشر"، ولم يظهر لنا هذا الجزء، لذلك رجح أنه مات قبل أن يشرع في كتابته أو أنه مات دون الانتهاء منه.

تأتى شهرة ابن إياس من كتابه التاريخي الكبير المعروف بـ "بدائع الزهور في وقائع الدهور" وهو بلا شك أهم مؤلفاته، ويحتل مكانة مرموقة بين كتب التاريخ التي صنفت في العصر المملوكي، وبخاصة الأجزاء المعاصرة، وتزداد القيمة العلمية للكتاب عندما يصف المؤلف وقائع الفتح العثماني لمصر والسنوات القليلة التي عاشها المؤلف في ظل النظام السياسي الجديد، فالجزء الأخير من كتابه بدائع الزهور كان المصدر العربي يكاد يكون الوحيد عن تاريخ مصر في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الشرق العربي، وعن تطور العلاقات بين العرب والأتراك العثمانيين.

ويقول محقق الكتاب: "والواقع أننا لم نعثر حتى الآن على أى من الأجزاء الثلاثة الأولى، من تقسيم ابن إياس لكتابه، ويبدو أنه لم يكتبها على الإطلاق، فإننا لا نستطيع أن نتصور المادة التي كان يفكر في كتابتها، ليملأ بها صفحات كل هذه الأجزاء الثلاثة"[1]، وعند تحقيقنا كتاب عقود الجمان تبين لنا المادة التي ذكرها ابن إياس في كتابه بدائع الزهور وهى تراجم للخلفاء الأمويين والعباسيين، وقد ذكر ذلك أثناء حديثه عن هجوم هولاكو على بغداد فيقول: "وقتل الخليفة المُستعصم بالله، وقد تقدم في أوائل التاريخ".

وقد حققها وكتب لها المقدمة والفهارس د. محمد مصطفى، واعتمد في إخراج الكتاب على "٦" نسخ، وهي: نسخة ليدن رقم "٣٦٧" وهي مؤرخة بسنة ١٠٠٥هـ، ونسخة لندن رقم "٧٣٤٣" غير مؤرخة، ونسخة باريس رقم "١٨٢٢" مؤرخة سنة ١٠٥٨هـ، ونسخة طهران رقم "١٠٥٨" مؤرخة ٩٠٤هـ، ونسخة فاتح رقم "٤١٩٨" مؤرخة ٩١٣هـ كتبت بخط ابن إياس، وطبعة بولاق للجزء الأول.

وخرج الكتاب في ١٢ مجلدًا في ستة مجلدات النص المحقق وستة مجلدات الكشافات والفهارس، طبع في الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ضمن سلسلة الذخائر، سنة ١٩٩٩م، وهي نسخة مصورة عن المعهد الألماني.

١/٢: عقود الجمان في وقائع الأزمان: موضوع النشر.

١/٣: جواهر السُلوك في أمر الخلفاء والملوك:

تحدث فيه بصورة مختصرة عن تاريخ مصر، منذ من تولى على مصر بعد فتحها بعد الإسلام حتى نهاية سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه الأشرفي، أي من المحرم سنة ٢٠هـ حتى ذى الحجة سنة ٩٠٥هـ.

وجاء نص الكتاب موافقًا لما ورد في كتاب عقود الجمان إلا أنه جاء مختصرًا في كثير من المواضع وقد زاد عنه في مواضع قليل جدًا وبشكل عام فالأخبار الواردة في عقود الجمان أكثر مما ورد في جواهر السلوك، وقد أثبتنا معظم هذه الفروقات في الهوامش؛ وكذلك ورد به أشياء لم ترد في كتاب بدائع الزهور وهى أيضًا قليلة جدًا، وقد أثبتنا فقط الفروق في حالة اختلافها مع عقود الجمان.

---

[1] بدائع الزهور، مقدمة المحقق ٨/١/١.

والظاهر من اسم الكتاب أنه يتحدث عن الخلفاء والملوك، وما ورد فقط هو الحديث عن الملوك والخلفاء الفاطميين، وعليه نقول أن هذا الكتاب له جزء آخر به تراجم للخلفاء، وذلك ما أورده ابن إياس في كتابه جواهر السلوك بقوله: "وقد تقدم ذلك عند تراجم الخلفاء"[1]، وجزء ثالث به باقي أخبار سلاطين المماليك وبداية عهد ولاة الدولة العثمانية بمصر.

ولهذا الكتاب نُسخة خطِّيَّة في مكتبة أحمد الثالث بإسطنبول رقم ٣٠٢٦، ومنها صورة بمعهد المخطوطات العربية رقم ٢٠٥ تاريخ، منقولة عن نسخة المؤلف نقلها أحمد بن عليّ البواب بالأزهر الشريف سنة ٩١٦هـ، أى نقلت في حياة المؤلف، نشر الكتاب د. محمد زينهم في مجلد واحد في حدود ٥١٠ صفحة، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٦م.

١/٤: نشق الأزهار في عجائب الأمصار:

يقول في مقدمته: "فأني لما طلعت كتب تواريخ الأمم الخالية، ورأيت ما فيها من العجائب المتوالية، فاحببت أن أجمع كتابًا لطيفًا، أذكر فيه من أغرب ما سمعته، وأعجب ما رأيته، قاصدًا فيه الاختصار، لكي لا يطول في التأليف مجموعه، وفي المثل السائر أقصر الكلام منفوعه، فذكرت فيه من عجائب مصر وأعمالها، وما صنعت الحكماء فيها من الطلسمات المحكمة في البرابر وغير ذلك، وذكرت فيه طرفًا يسيرة من سير ملوكها القدماء، وما صنعوا من الأبنية المحكمة في مصر وغيرها من البلاد، وذكرت طرفًا يسيرة من أخبار النيل والأهرام، وعجائب البلاد التي من أعمال مصر وخططها وإقاليمها وأقطارها وغير ذلك من العجائب الغريبة، والأخبار العجيبة، وقد ابتدأت فيه بذكر طرف يسير من أخبار الفلك وعلم الهيئة، فجاء بحمد الله تعالي واسطة عند العقود، وبذلك يشهد لي من طالعه ولو كان حسودًا"[2].

لهذا الكتاب نُسخ خطِّيَّة كثيرة، منها: نُسخة في المكتبة الوطنية باريس رقم ٢٢٠٩، فرغ منها يوم الجمعة رابع عشر شعبان ٩٢٢هـ؛ وقد نشر الكتاب رافى عدلي في رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي بجماعة نجم الدين أربكان بمدينة قونية التركية سنة ٢٠١٦م، وأنه اعتمد على ثلاث نسخ من أصل أربع عشرة نسخة وقف عليها.

---

[1] جواهر السلوك ٣٣٦.

[2] نشق الأزهار في عجائب الأمصار ٢/أ.

١/٥: نزهة الأمم في العجائب والحكم:

يقول في مقدمته: "فأني لما طلعت كتب تواريخ الأمم الخالية ورأيت ما فيها من العجائب المتوالية، استخرت الله أن أجمع كتابًا لطيفًا أذكر فيه من أغرب ما سمعته، وأعجب ما رأيته قاصدًا فيه الاختصار لكي لا يطول في التأليف مجموعه، وفي المثل الساير أقصر الكلام منفوعه، وقد ذكرت فيه من عجائب مصر وأعمالها، وما صنعت الحكماء فيها من الطلسمات المحكمة والبرابى والأهرام وغير ذلك، وذكرت طرف يسيرة من سير ملوكها، وذكر شيء من عجائب نيلها، وذكر شيء من خططها وآثارها، وذكر سعت إقليمها وأقطارها"[١].

أحال ابن إياس لهذا الكتاب في كتابه في بدائع الزهور عند الحديث عن محاسن الأزبكية عن قصيدة لشمس الدين القادري[٢]؛ وكذلك في كتابه جواهر السلوك[٣].

لهذا الكتاب نُسخة خطِّيَّة في مكتبة آيا صوفيا بإسطنبول رقم ٣٥٠٠، ٢٨٠ق، وعنها مُصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٨٥٠ تاريخ وبرقم ٥٩ جغرافيا، وهي منقولة عن نُسخة المؤلف في ذى الحجة ٩٠١هـ، بخط محمد بن إسماعيل المقدسي الشافعي، نشره د. محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة ١٩٩٥م.

١/٦: مرج الزهور في وقائع الدهور:

يقول في مقدمته: "الحمد لله القديم الأول، الأزلي الذي لا يتحوَّل... وبعد: فقد ألفت هذا التاريخ من فوائد الذين تقدَّموا في جميع التواريخ والسير، فاستخرجتُ من بحار معانيهم ما حسن إيراده من نفائس الدرر.. إلخ.

ولهذا الكتاب نسخة خطيَّة في مكتبة فيينا بالنمسا رقم ٦٨٢، رمز الحفظ: A.F.172.(108)، فاوجل: ٨٢٣، عدد الأوراق: ٣٨٨ ورقة، بخط عبد الغفار، نسخت في ٢١ رجب ١١١٢هـ، والأغلب أن هذا الكتاب منحول لابن إياس وليس له.

---

(١) نزهة الأمم في العجائب والحكم ١٠.

(٢) انظر: بدائع الزهور ١١٨/٣.

(٣) جواهر السلوك ٣٧٢.

٢. شعره:

ورغم مَيل المؤلف إلى الشِعر ونظْمه، فإنه لم يكن بذاك المتمكّن من اللغة والنحو والصرف جيدًا، فكتابته لا تخلو من الأخطاء والأغلاط اللُّغوية والنحوية، وفي بعض الأحيان يستخدم ألفاظًا عامّية، وفي أحيانٍ أخرى يكتب كلماتٍ بغير القواعد المتعارف عليها.

وكانَ نظم الشعر في عصر ابن إياس من مستلزمات الأدباء والمتأدبين، دليلًا على مبلغ ثقافتهم وتأدبهم؛ وكان ابن إياس نفسه ينظم الشعر، وكان يورد أبيات الشعر من نظمه في كثير من المناسبات، كما أنه كثير ما يستشهد بأبياتِ من الشعر في المناسبات المختلفة، وفي أغلب الأحيان يأتي بها من حفظه، لذلك نرى أنه كثير من يقول: "كما قال قائلُ في المعنى".

أمّا نظْمه للشعر، فلا يرقى إلى مستوى الجيّد، بل هو شِعر تقليديّ بحدود الوسط، ومن شعره:

تأليفنا السحر الحلال لأنّهُ … كالدمع حُسن البيان المنجزي
أنْ طالَ لمْ يملْ وأنْ أوجزتَهُ … فيودُ سامعهُ بأنْ لا توجز

لما مات القاضي أبو بكر بن مُزهر، رثاه بقوله:

صارت مراملة كمثل أرامل … تبكي بأعيُنها دمًا وتتربُ
وكذا الدواة تسودت أقلامها … حُزنًا عليه وأقسمتْ لا تكتبُ[1]

ومما رثيتُ بهِ الأتابكي تمراز:

أرغمتَ يَا دهر أنوف الوري … بقتل تمراز ويتم العباد
أتابك العسكر ذا رأفةٍ … من جوده شاع لأقصى البلاد
أخطأت يا قاتلهُ كيف قدْ … قتلت من يقمع أهل العناد
مصيبة جلت فمن أجلها … قدْ صيرت في كلّ قلب زناد

---

[1] بحر الكامل

لكـــن لــــهُ فــــي قالــــهِ أســــوةٌ   إلـى الحُسـين بـن علـيّ الجـواد[٢٥٢/ب]
مـــذ أودعــوهُ الــرمس لــو انصــفوا   مــــا كــــان إلا فــــي صــــميم الفــــؤاد
فــــالله يــــأجرهُ علــــى مــــا جــــرى   مــــن قتلــــهِ بــــالعفو يــــوم المعــــاد[١]

ولما مات السلطان محمد بن قايتباي رثاه بهذه الأبيات:

يــــا قبــــر لا تظلــــم عليــــه فطالمــــا   جلــــي بطلعتــــهِ دُجــــى الإظــــلام
عجبًــــا لقبــــر قــــد حــــواه كيــــف لا   يحكــــى السـمــاء وفيــه بــدرُ تمــام[٢]

---

[١] بحر السريع.
[٢] بحر الكامل.

عُقُود الجمَان في وَقَائع الأَزمَان

أولًا- عنوانه ونسبته للمُؤلِّف:

نَصَّ المُؤلِّف على عنوان كتابهِ ونسبة النَصّ إليه مرَّتين: الأولـي فـي غـلاف كتابة، قال فيه: «الجُزء الثـاني عُقُود الجمَـانْ فـي وَقَـائع الأَزمَـانْ، تَـأليف كَاتبـه، الواثق بلُطف اللهِ الخفى، محمد بن أحمد بـن إيـاس الحنفـي، غَفَرَ الله لـهُ، وَلوالدَيـهِ، ولجميع المسلمين، بمنه وَكرمه الوافي، وَبذلكَ اكتفى».

والثانية أورد فيها العنوان ونسبة النص إليه أيضًا، فقال: «وَكـانَ الفرَاغُ من كتَابةِ هَذَا الجُزء عَلى يدّ مُؤلفهِ، فقير رُحمةِ ربّهِ، محمد بن أَحمد بن إيَاس الحنفـي، عَامِلهُ الله تعَالى بلُطفهِ الخفى، في يَومِ الجُمعةِ سَابع عشر رَبيع الأول سنة خمسْ وَتسعمَائة».

ثانيًا- تاريخ تأليفه:

ذكر ابن إيـاس فـرغ مـن كتابـة الجـزء الثـاني مـن تاريخـه يـوم الجمعـة سـابع عشر ربيع الأول سنة ٩٠٥هـ/١٣ أكتوبر ١٤٩٩م. أمَّا الجزأين الأول والثالث فلا نعرف تـاريخ الفراغ منهما لضياع هذين الجزأين، ولـم يبـق سـوى الجـزء الثاني.

يقول المؤلِّف في نهاية كتابه «ولمَا قُتل الملك الناصـر تـولي مـن بعدهِ المقر السيفي قَانوه الدَوَادَار خَالَ السُلطان كما سيأتي أخبـار جَوَلتـهِ فـي الجُزء الثالث منَ التاريخ المُسمى بعُقودِ الجُمان في وَقـائع الأزمَـان، انتهـى الجُـزء الثـاني مـن ابتداء دَولة الأتراك إلى قتلة الملك الناصر محمد بن الملك الأشرف قَايتبـاي وَذلـك عَلى سبيلَ الاختصار يتلُوهُ الجُزء الثالث في أخبار دَوَلة الملك الظـاهر قَانصـوه .... وَكانَ الفرَاغُ من كتَابةِ هَذَا الجُزء عَلى يدّ مُؤلفهِ، فقير رُحمةِ ربّهِ، محمد بـن

أَحمد بن إيَاس الحنفي، عَامِلهُ الله تعَالى بلُطفهِ الخفى، في يَومِ الجُمعةِ سَابع عشر رَبيع الأول سنة خمسْ وَتسعمَائة».

ثالثًا- تنظيم مادته:

بدأ المؤلف تاريخه بذكر سير الخلفاء في الجزء الأول منه، وانتهى منه حتى نهاية فترة الدولة الأيوبية وهذا الجزء في حكم المفقود، أما الجزء الذي بين أيدينا الآن هو الجزء الثاني الذي يبدأ من تولى شجرة الدر الحكم سنة ٦٤٨هـ ثم تنازلها عن الحكم لمعز أيبك، وبعدها انتقل إلى التأريخ للحوادث في عهد أيبك مرتبة على السنين، ثم تناول سلاطين المماليك البحرية بالذكر حسب تولي كل سلطان إلى أن انتهى بسلطنة الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان، ليبدأ بذكر ابتداء دولة الجراكسة بسلطنة الظاهر برقوق، ثم يتتبع ذكر السلاطين إلى أن يصل نهاية سلطنة الناصر محمد بن قايتباي وبه يختتم هذا الجزء.

وكان منهجه في إيراد مادته: كان يذكر اسم السلطان، وتاريخ التولية، وطريقة توليته، ومُدَّة الحكم، وعمائره التي أنشأها أو جدَّدها، وبعض الحوادث المُهمة التي وقعت في عهده كالحروب والفتن، ومن توفي في عهده، وذلك على عادة مؤرخي عصره.

وكان يختتم ترجمة كل سلطان عادة بذكر من تولى بعد هذا السلطان، وأنه أورد أخباره مختصرًا، كما اهتم بذكر الصفات الخُلُقية والخِلقية لشخصياته التاريخية، وذلك للسلاطين وبعض الأمراء.

وكان منهجه في ترتيب الحوادث أنه اتبع المنهج الحولي، فكان يرتب الحوادث على السنين إلا في بعض المواضع كان يهتم بإيراد الحدث كاملًا دون مراعاة الترتيب الحولي وذلك في ذكره عن الغلاء، وكان يستهل كلامه في إيراد الحدث بعدة ألفاظ منها: "ثم دخلت سنة"، "وفيها"، "وفي هذه السنة"، "وفي أوائل دولته"، "وفي أواخر هذه السنة".

اهتم ابن إياس بذكر أخبار النيل وكذلك الغلاء والسلع، كما اهتم بالأوبئة والأمراض وحصر عدد الوفيات بسبب تلك الأوبئة، وكذلك اهتم بالظواهر الطبيعية كالنجوم والفلك.

اهتم ابن إياس بذكر الأوائل من الأحداث، فيقول: " وَهوَ أول من أسكن المماليك في أبرَاج القلعة، وَسمَاهُم البُرجيّة"، وقوله: "وَهوَ أولُ سُلطان حَشا في

المرَاسيم بخطهِ بين السطُور"، وقوله: "وَهوَ أَولُ من اتخذَ الشَاش وَالقُماش للعسكر، وَالأقبيّة المفتوحة، وَالطُرز الذهب، والحوَايص الذهب، والأقبية القَاقُم. وَهوَ أولُ من رَتَّب المواكب في القصر عَلى هَذَا التَرتيب الحسن"، وقوله: "وَأيبك الأشقر وَهوَ أولُ منْ تَسمى مُدبر المملكة"، وقوله عن الأمير شيخوا: "وَهوَ أولُ من سُمى بأَمير كبير، وَلبسَ لهَا خلعةً".

واهتم بإيراد وفيات الأعيان من الناس في نهاية حديثه عن السلاطين، وكان هذا منهجه في نهاية ذكر كل سلطنة إلا أنه خالفه في بعض الأحيان فكان يذكرهم في نهاية كل سنة، وكان يذكر أسماءهم فقط دون ذكر تاريخ الوفاة أو معلومات عن المتوفى إلا في قليل النادر، ويرجع ذلك لأنه أراد أن يخرج كتابه مختصرًا وأكد على ذلك فيقول: " وتوفي في أيامه جماعة كثيرة من أعيان العُلماء والقُضاة والفقهاء وأعيان الناس لم نذكرهم هنا خوف الإطالة"، كما أنه كان يصنف هذه التراجم فيقول "ومن الشعراء".

اهتم بإيراد القصائد الشعرية ومقاطع الزجل، وكان أحيانا ينسب الأبيات لصاحبها وأحيانًا كثيرة لا ينسبها فيقول" قال قائل" أو "كما قيل في المعني"، وكان يذكر الأبيات من حفظه لذلك كثيرًا ما أورد أبياتًا لشعراء تختلف عما ورد في ديوان الشاعر نفسه.

رابعًا- طريقته في الاختصار:

* ترك ابن إياس لنا تراثًا تاريخيًا هامًا، يحوي ثلاثة كتب تاريخية، أهم هذه الكتب كتابه المسمي "بدائع الزهور في وقائع الزهور" هو الأصل الذي اعتمد عليه في إخراج ملخص عن تاريخ مصر سماه "عقود الجمان في وقائع الأزمان"، وكتاب آخر مختصر وهو "جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك"، لم يصل إلينا مقدمة بخط ابن إياس لهذه الكتب الثلاثة، وما جاء إلينا فقط هو بداية من الجزء الرابع إلى نهاية الجزء الحادي عشر من بدائع الزهور، والجزء الثاني من عقود الجمان، وجزء من جواهر السلوك.

* فرغ ابن إياس من كتابه "بدائع الزهور" في يوم الأربعاء سلخ ذى الحجة سنة ٩٢٨هـ، وفرغ من كتابه "عقود الجمان" الجمعة ١٧ ربيع الأول سنة ٩٠٥هـ، وفرغ من كتابه "جواهر السلوك" بعد ذي الحجة سنة ٩٠٥هـ، ولذلك نقول أنه شرع في البدء بتأليف الملخص والمختصر قبل أن ينتهي من

مؤلفه الأصلي وهو "بدائع الزهور" أي أنه قام بتأليف الملخص والمختصر أثناء تأليفه لمؤلفه الأصلي.

* المادة العلمية بين الأصل والملخص والمختصر:

الجزء	بدائع الزهور	عقود الجمان	جواهر السلوك
الأول القسم الأول	فضائل مصر وصولًا للفتح الإسلامي ثم ذكر الممالك التي تعاقبت على مصر إلى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م.	الجزء الثاني تناول أحداث من سنة ٦٤٨هـ/ إلى سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م.	جزء واحد تناول منذ الفتح الإسلامي إلى سنة ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م.
الأول القسم الثاني	أحداث من سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م إلى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م.		
الثاني	أحداث من سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م إلى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م.		
الثالث	أحداث سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م إلى سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م.		
الرابع	أحداث سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م إلى سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م.	مفقود	مفقود
الخامس	أحداث من سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م إلى سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م.	مفقود	مفقود

مما عرضته يتضح أن كتاب عقود الجمان جاء ملخصًا لأحداث جاءت في بدائع الزهور في ٤ مجلدات، أي حوالي ٢٠١٠ صفحة من المطبوع، وحوالي ٨٠٠ لوحة من المخطوط، لخصهم ابن إياس في الجزء الثاني من عقود الجمان في ٢٦٠ لوحة في المخطوط، هذا ما يخص عقود الجمان.

أما ما يخص المختصر وهو "جواهر السلوك" جاء المطبوع في حدود ٣٩١ صفحة، وجاء يتضمن أحداثًا منذ ذكر من تولي على مصر بعد فتحها حتى سنة

٩٠٥هـ/١٥٠٠م، وجاءت هذه المادة في الأصل في ٤ مجلدات، أي في حوالي ٢٢٠٢ صفحة من المطبوع.

- **منهجه في الاختصار في عقود الجمان بناء على الأصل، وهو "بدائع الزهور":**

أولًا: يقول ابن إياس عن كتابه عقود الجمان:

تَأْلِيفُنَا السِّحر الحلَالِ لأَنَّهُ كالدُرِ مَعْ حُسْنِ البيَانِ المُنْجِزي
أنْ طَالَ لمْ يُملْ وَأَنْ أَوْجَزْتَهُ فَيَوَدُ سَامِعهُ بأنْ لَا تُوجِزِ[1]

هذا رأي ابن إياس في مؤلفه عقود الجمان، وهذا الرأي صحيح، وذلك لأن كتابه عقود الجمان خرج بشكل ملخص عما أورده في بدائع الزهور، وقد أضاف ابن إياس فيه أخبار، وأشعار، ورتبه كما رتب بدائع الزهور، الآن نعرض لأهم الفروقات بين الأصل الذي يتمثل في كتاب "بدائع الزهور"، والملخص وهو "عقود الجمان" ، والمختصر وهو "جواهر السلوك":

* **منها: منهجه في عرض المادة التاريخية:** في الأصل التزم ابن إياس المنهج الحولي في إيراد الأخبار، فهو يدون الحوادث سنة سنة، وشهرًا شهرًا، في السنين التي لم يعاصرها، ويومًا فيومًا في السنوات التي عايشها، أما في الملخص والمختصر لم يهتم ابن إياس بالمنهج الحولي حتى لا يقطع الخبر الواحد إذا جاء ممتدًا على السنين، مثل أخبار الغلاء والتجاريد.

* **منها: طريقته في عرض المادة التاريخية:** التزم ابن إياس منهجًا محددًا في عرض مادته التاريخية حيث اهتم بذكر السلاطين (الاسم، تاريخ التولية، أصله، المراحل التي مر بها حتى وصوله للحكم، أرباب الوظائف العليا، والتجاريد، والفتن، والأوضاع الاقتصادية (الغلاء)، والاجتماعية (زواج وختان)، وأخبار النيل، ونهاية كل سلطان، ووفيات الأعيان)، زاد في الأصل عن ذلك، أخبار بعض الدول الآخر، مثل: (أخبار بنى عثمان)، وأرباب الوظائف (كشاف الأقاليم)، وذكر مواكب السلاطين.

أما ما يخص ذكر الوفيات في الأصل فكان يذكرها داخل أحداث كل سنة، وأحيانًا قليلة كان يذكرهم في نهاية كل سنة، أما في الملخص فكان يذكرها في

---

[1] بحر الوافر.

نهاية ذكر كل سلطان، وقد أضاف طريقة أخري في ذكر الوفيات في المختصر، قام بجمع ذكر وفيات الأعيان، مثل: من دولة الظاهر بيبرس البندقداري إلى دولة الملك المنصور لاجين[1].

وقد أهمل ابن إياس في الملخص والمختصر ذكر تراجم للوفيات من الأعيان، واكتفى بذكر أسمائهم فقط، وأحيانًا يكتفي بذكر المشاهير من الأعلام.

* **منها: أخبار لم ترد في الأصل وجاءت في الملخص:** وهي كثيرة، وقد أشرنا لها في الهوامش، مثل:

- ذكر كفردنين من ضمن فتوحات الظاهر بيبرس، لم يرد هذا الخبر في الأصل.
- خبر الإفراج عن الأمير سنقر الأشقر والأمير بيسري، لم يرد هذا الخبر في الأصل.
- ذكر قتال جاليش السلطان الناصر محمد جاليش قطلوشاه قبل وصول السلطان إلى دمشق، لم يرد هذا الخبر في الأصل.
- أرسل السلطان سنة ٧٣٧هـ تجريدة إلى البلاد الحلبية، لم يرد هذا الخبر في الأصل.
- حضور زوجة ملك الغرب طالبة الحج في سنة ٧٣٧هـ، لم يرد هذا الخبر في الأصل.

* **منها: تصحيح أخبار وردت في الأصل:** وذلك في أكثر من موضع، وقد أشرنا إليه في الهوامش، مع ذكر ما يؤيد التصحيح في المصادر الأخري، منها: لقب الأمير علم الدين سنجر الحلبي حيث لقب نفسه بالملك المجاهد، وفي بدائع الزهور "الملك الأمجد"[2].

* **منها: أخبار وردت مختصرة في الأصل، وجاءت مفصلة في الملخص:** مثل: خبر الغلاء في سنة ٧٢٦هـ[3].

* **منها: اختلاف الألفاظ في ذكر الشواهد الشعرية**: أورد ابن إياس في الملخص أبياتًا لم يأت ذكرها في الأصل، وقد أشرنا لذلك في الهوامش، منها: الأبيات التي أوردها لمحيي الدين ابن عبد الظاهر.

---

(١) انظر: جواهر السلوك ١٥٠- ١٥٣.

(٢) انظر: بدائع الزهور ١/١/٣١١.

(٣) انظر: بدائع الزهور ١/١/٤٥٨.

ولكن هنا بعض الملاحظات التي جاءت في الملخص، منها:

- **الاضطراب في ذكر بعض الحوادث**، وذلك لأن ابن إياس في كثير من الأحيان كان يكتب من حفظه.
- **الخطأ في تأريخ بعض الحوادث**، وذلك من خلال إيراد حوادث داخل سنة معينة، وهي تخص حوادث سنة أخرى.
- **الخطأ في إيراد أسماء وفيات بعض الأعيان داخل ترجمة بعض السلاطين.**

وفي النهاية ترك لنا ابن إياس كتابه "عقود الجمان" مشحونًا بفوائد، كتبه ابن إياس بيديه بلغة عصره، واهتم فيه ابن إياس بإيراد الأخبار التي رآها من وجهة نظره أنها تهم القارئ.

خامسًا- منهج المؤلِّف في التعليق على الأخبار في الملخص:

اهتم ابن إياس بمادته التاريخية فلم يخرج لنا الأحداث بطريقة سردية يجعل القارئ يمل منها، وقد أوضح ذلك عند الشروع في الحديث عن تاريخه لسلاطين العصر المملوكي، وخرجت تعليقاته التي اختلفت أحجامها وصيغتها وأهدافها على ثلاثة محاور، وهي:

- **المحور الأول:**

يأتى هذا المحور في متن الخبر للتعريف بالمصطلحات والطوائف والأماكن ونحو ذلك، كقوله: "... فلبس خلعة السلطنة وهي جبة سوداء بطرز ذهب، وعمامه سوداء، وسيف بداوي مُقلد به"، وقوله في تعريف التُومان: "والتُومان عند التتار عشرة ألاف ألف دينار".

- **المحور الثاني:**

يأتي هذا المحور في خاتمة الخبر قبل كلمة "انتهى"، وهي عبارات مُقتضبة صغيرة، منها ما كان للعبرة والعظة، كقوله: " وَبه زَالت دَوَلَة المُؤيدية كأنها لم تكنْ، فسُبحان القَادِر على كلّ شيء"، وقوله: " فسُبحَانَ منْ لا يَزول مُلكهِ"، وقوله: " وزال مُلكهُ كأنهُ لم يكن فسبحان منْ لا يزول مُلكه ولا يتغير".

أو إنكاره للحال الواقع، كقوله عند تغير لقب السلطان: "فعند ذلك نادوا في القاهرة أن السلطان صار لقبهُ الملك الأشرف، فتعجبوا الناسُ من ذلك بعد مُدّة سبعة أشهر يتغير لقب السلطان، وهذه الواقعة قط ما اتفقت لأحدٍ من أبناء

الملوك قبلهُ، غير أن الملك الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان، لما سلطنُوهُ أولا تلقب بالملك الصالح، فلما خلع من السلطنة وأعيد ثانى مرَّة، لقبُوهُ بالملك المنصور".

- المحور الثالث:

وهو خاص بالتعليقات الشعرية، وهي تحمل الأهداف السابقة نفسها، وهي كثيرة جدًا في النص، منها مثلًا:

قوله عن مدة سلطنة الملك شهاب الدين أحمد بن الملك الناصر محمد بن قلاوون:"

فَلَمْ يُقم إلا بمقدَارِ أنْ قلّتُ لهُ أَهلًا وَسَهلًا وَمَرْحَبًا"

ولكثرت تلك الشواهد الشعرية التي استخدمها ابن إياس في أغلب تعليقاته على الحوادث التي أوردها في كتابه لا يسع ذكرها في هذا الموضع، وأحيانًا يأتي الشاهد الشعري مع ذكر صاحبه وأحيانًا يذكر الشاهد الشعري فيقول" وقيل في المعني".

سادسًا- أسلوبه في الملخص:

كتب ابن إياس تاريخه بلغة سهلة وبسيطة أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى، وكلمات مشكولة في كثيرٍ من الأحيان، إلا أنها لم تخل من الأخطاء النحوية، فقد كان عدم التقيُّد بالقواعد النحوية أحد سمات الكتابة التاريخية بين مؤرخى العصر المملوكي، ويكشف عن عمق المؤثرات الأجنبية، ثم هو صورة لفعاليات شعبية؛ فضلا عن الفائدة التي يجنيها الباحث في دراسة تطور اللغة وعلاقة اللهجة المصرية بالفترة الزمنية التي كتب بها ابن إياس تاريخه.

كما اتبع أسلوبًا خاصًا في الكتابة، ويُمكن ملاحظته في النقاط التالية:

- لغة ابن إياس كانت تحفل بالكثير من الألفاظ والمصطلحات التركية التي لا تزال اللهجة المصرية المعاصرة تضم عددًا كبيرًا منها.
- اعتاد كتابة بعض الأسماء والكلمات والألفاظ بصورة مُخالفة للمشهور اليوم في رسمها، مثل: أستاد= أستاذ، إنشاء الله= إن شاء الله، ذهن= دهن، الفراة= الفرات، بذنه= بدنة، الأدية= الأذية، تذل= تدل، ذري= درى، الدخائر= الذخائر، نذب= ندب، أدعن= أذعن.

- في الكتاب كثير من الإلحاقات التي ألحقها ابن إياس على المتن، مُشيرًا إلى موضعها داخل النص، وأنهى أكثرها بلفظ "صح"، وكذا بعض المواضع بيَّض لها لحين الوقوف على خبرها فيما بعد، وهو بين الحين والآخر يُسقط بعض الكلمات سهوًا.
- كان يكتب الكلمة أحيانًا على جزأين كل جزء منها في سطر.
- لم يهتم ابن إياس بتمييز العدد، مثل: خمسة وخمسين سنة.
- لم يهتم ابن إياس بالهمزات، كالثلاثا، والأربعا وغيرها.

سابعًا- النسخ الخَطِّيَّة:

من حُسن الحظ أن وصل إلينا الجزء الثاني من نُسخة مُبيَّضَة الكتاب بخط المُؤلِّف Holographe، إذ نادرا ما تصل إلينا نُسخة المؤلف، وهي محفوظة في أيا صوفيا برقم (٣٣١١) تاريخ.

يتكون من ستة وعشرين كُرَّاسة، كلّ كُرَّاسة عشر ورقات، أي عشرين صفحة، وعدد أوراقه ٢٦٠ق، ومسطرته ٢٣ق، وبه تعقيبة، وهو مشكول، وكتبت بخط النسخ المملوكي الجميل الواضح، أمَّا الترقيم الوارد في المتن فهو ترقيم المُفهرس بالمكتبة، سقط من هذا الترقيم ٤ صفحات قطع صغيرة.

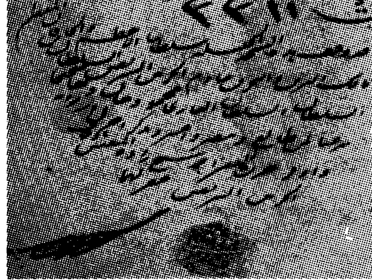
ويبدأ النص بذكر تسلطن شجر الدُر وابتداء دولة المماليك الأتراك بالدِّيَارِ المصرية في صفر سنة ٦٤٨هـ/ مايو ١٢٥٠م، وينتهي بقتل السُلطان الملك الناصر محمد بن الملك الأشرف قَايتباي في رَبيع الأول سنة ٩٠٤هـ/ أكتوبر ١٤٩٨م.

وقد كُتبتْ الصفحة الأُولى بخط المؤلِّف، أوّلها: « بِسم اللهِ الرَّحَمَنِ الرَّحِيمِ، رَبِّ يَسِرّ وَأَعِنْ، الجُزءُ الثَاني فَي ابتِداءِ دَوَلةِ الأَتراك، وَذلكَ عَلى سَبِيلِ الاختصَارِ، منهَا قيلَ....».

وينتهي الكتاب بقول مؤلّفه: "وَكانَ الفرَاغُ من كتَابةِ هَذَا الجُزء عَلى يدّ مُؤلفهِ، فقير رُحمةِ ربّهِ، محمد بن أَحمد بن إيَاس الحنفي، عَامِلهُ الله تعَالى بلُطفهِ الخفى، في يَومِ الجُمعةِ سَابع عشر رَبيع الأول سنة خمسْ وَتسعمَائة، وَحَسبنا الله وَنعم الوكيل، وَصَلى الله على سيّدنَا مُحمد وَعلى آله وصحبة وسلم، وَرَضى الله عنْ أَصحابِ رسُول اللهِ أجمعين، وَالحَمدُ لله رَبّ العَالمين، تم ذلك".

وهذه النُّسخة من أوقاف السُّلطانِ العُثماني محمود الأول (١١٤٣- ١١٦٨هـ/ ١٧٣٠- ١٧٥٨م)[1]، وقد كُتِبَ نَصّ وقفيته على الورقة الأولى مكتوب بالخط الفارسي بخط عريض، وهذه التَقييد الوَقْفية توجد في جميع كتب مكتبة آيا صوفيا، ونصّها:

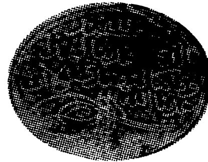
قد وَقَفَ هذه النُّسْخَة الجلَيْلَة سُلْطانُنا الأعْظَم، والخاقَان المُعَظَّم، مَالِكُ البَرَّين والبَحْرَين، خَادِمُ الحَرَمين الشَّرِيفَيْن، السُّلْطانُ ابن السُّلْطان، السُّلْطان الغازِي مَحمُود خَان، وقْفًا صَحِيْحًا شَرْعيًّا لمَن طَالَعَ وتَبَصَّرَ واعْتَبَرَ وتَذَكَّرَ، أجْزَلَ اللهُ ثَوابَهُ وأوْفَر، حرَّرَهُ الفَقيرُ أحْمَد شَيْخ زَادَه، المُفَتِّش بأوْقَاف الحَرمَيْن الشَّريفين، غفرَ لهما.



وكذلك وجدنا ختمين في وَسطِ الصَّفْحَةِ الأولى من المخطوط بشكل بيضوى عليها كتابة بالخط النستعليق الأبيض على أرضية سوداء، وهما:

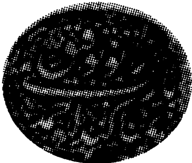
الختم الأول: خَتْم وَقْف السُّلْطانِ محمُود، وصورته:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: الآية ٤٣] وفي أسْفَل الخَتْم طُغْراء الوَقْف.



الختم الثاني: ختم الواقف أحمد زادة[2]، وهو دعاء:

زتو[3] توفيق يا رب منا كتب أحمد



---

(1) انظر ترجمته في: عجائب الآثار، ١/ ٢١٧.

(2) هو: أحْمَد بن الشَّيْخ مُحَمَّد الزَّاهِد الادرنه وى القاضى الرُّومِي الْحَنَفِيّ الشهير بشيخزاده. من القضاة. له حاشية على شرح مفتاح العلوم في المعاني والبيان ورسالة على مبحث الاستعارة من أوائل الكشاف، ت: ١٠٣٣ه/١٦٢٤م. (هداية العارفين، ١٥٦/١).

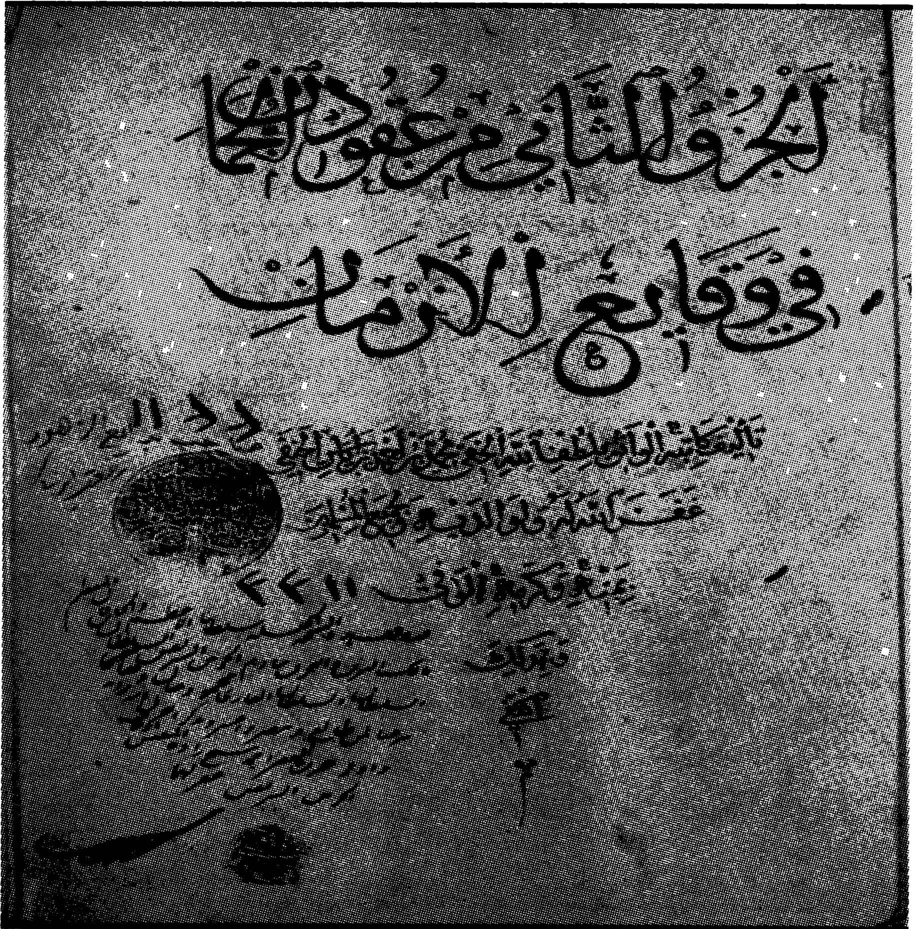
(3) لعله يقصد «زدت».

ثامنًا- طريقة إخراج النص:

- نَسختُ النص، ونظَّمتُ مادته.
- شرحتُ المُصطلحات، وعرفت بالأماكن، وترجمتُ للأعلام بقدر الوسع والإمكان، ونبَّهت على الأخطاء التي وقع فيها ابن إياس، وأضفتُ إلى النص ما احتاج من إضافة.
- وضعتُ النُّقط على الحروف التي كان يُهملها بين الحين والآخر: كالقاهره، والرمله، وغيرها؛ وكذا الهمزات المُهملة: كالثلاثا، والأربعا، راس وغيرها، بينما أبقيتُ على كلمات في صورتها العامية مثل كلمة "البير"، ووحَّدت لفظ "ابن" في النص على ما هو مُتعارف عليه في الإملاء الحديث، لأن ابن إياس لم يلتزم بذلك، وهي عادة المؤلِّفين قديمًا.
- كتبتُ الأسماء على الرسم الإملائي الحديث: كجزا= جزى، وإنشاء الله= إن شاء الله، وأوفا= أوفى، وشكى= شكا، وثلثون= ثلاثون. وهو أحيانا يكتُبها بالرسم الإملائي الحديث كثلاثون.
- خرَّجتُ النصوص التي نقلها المؤلِّف من مصادرها بقدر الوسع والإمكان.

صنعتُ للنص عدة كشَّافات متنوعة.

اللوحَات



صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن الجزء الثاني
في ابتداء دولة الأتراك وذلك على سبيل الاختصار منها
قبل لما أن قتل الملك المعظم توران شاه فهو آخر من تولى من
بني أيوب وقد تقدم ذكر في الجزء الأول فتحصنوا المماليك
الصالحية وقالوا ما نسلطن الا زوجة أستاذنا الملك الصالح
نجم الدين أيوب وهي شجر الدر فسلطنوها في أوائل شهر صفر
سنة ثمان وأربعين وستمائة وكان أصلها من جوار الملك الصالح
نجم الدين أيوب اشتراها في أيام أبيه الملك الكامل محمد وحظيت
عنده واستولدها ابنه خليل ثم أعتقها وتزوج بها وكانت
معه في البلاد الشامية مدة طويلة ثم قدمت معه إلى
الديار المصرية فلما تسلطن الملك الصالح عظمت شجر الدر
في دولة أستاذها الملك الصالح وصارت تدبر أمور المملكة
بالديار المصرية في حياة أستاذها الملك الصالح وكانت ذات
عقل وحزم ومعرفة تامة بأحوال المملكة فسلطنوها لحسن
سيرتها وجودة تدبيرها وجعلوا الأمير عز الدين أيبك التركماني
أتابك العساكر ومشاركها في أحوال المملكة وصار يخطب باسم
شجر الدر على منابر مصر وأعمالها وكانت الخطباء تقول بعد
الدعاء للخليفة واحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين
عصمة الدنيا والدين والدة المرحوم خليل زوجة الملك الصالح
نجم الدين أيوب وكانت تكتب علامتها على المراسيم والدة
خليل فأقامت على ذلك مدة ثلاثة أشهر فساست الرعية
في مدة سلطنتها أحسن سياسة وسارت فيهم أحسن سيرة
إلى أن بدا لها خلع نفسها من السلطنة باختيارها فقيل أن
الخليفة

صورة الصفحة الثانية [٢/أ]

الخليفة أرسل من بغداد يقول لأمراء مصر أعلمونا أن كان
ما بقي عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة فنحن
نرسل إليكم من يصلح لها أما سمعتم الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة
وأنكر عليهم بسبب ذلك غاية الإنكار وقد قال القائل
النساء ناقصات عقل ودين ما رأينا لهن رأيا سنيا
ولأجل الكمال لم يجعل الله تعالى من النساء نبيا
فلما بلغ ذلك إلى شجر الدر خلعت نفسها من السلطنة من
غير كره وتولى الأمير أيبك التركماني برضاها ثم مشوا بينهما
فتزوج أيبك بشجر الدر وكان لا يتصرف في شيء من أمور المملكة
إلا برأيها وكانت ذات شهامة زايده وكانت تركية الجنس
شديدة الغيرة صعبة الخلق وكان أيبك معها في غاية الضنك
ذكر سلطنة الملك المعز أيبك التركماني وهو أول
ملوك الترك بالديار المصرية تغمده الله بالرحمة في يوم السبت
تاسع عشرين ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة وركب
بشعار السلطنة وحملت على رأسه القبة والطير ولعبوا قدامه
بالغواشي الذهب فلما جلس على سرير الملك واستقر في السلطنة
قالت المماليك الصالحية لا بد لنا من واحد من بني أيوب سلطان
وكان المتكلم يومئذ في أمور المملكة الاسفهسلار الرشيدي والأمير
فارس الدين أقطاي والأمير بيبرس البندقداري والأمير سنقر
الرومي وجماعة كثيرة من المماليك الصالحية فأحضروا شخصا من
ذرية بني أيوب يقال له مظفر الدين يوسف من أولاد الملك
مسعود صاحب بلاد الشرق وكان عند عماته في بلاد الشرق فلما

صورة الصفحة الثانية [٢/ب]

التي تقدم ذكرها وكانت الرعية يشكون من الغلا وعلى
حسب ذلك جرى له ما جرى وقد قتل الملك الناصر فرج
من بعده المقر السيفي قانصوه الدوادار اتابك السلطان
كما سيأتي في اخبار دولته في الجزء الثالث من التاريخ
بمقصود البيان في وقايع الازمان انتهى الجزء الثاني من
ابتدا دولة الاتراك الى سلطنة الملك الناصر محمد ابن الملك
الاشرف قايتباي وذلك على سبيل الاختصار ويتلوه الجزء
الثالث في اخبار دولة الملك الظاهر قانصوه ومن جا من
بعده الى ما سيأتي من الحوادث من بعد ذلك وقلت
في ختم هذا الجزء هذه الابيات
أغفلت تنقيحه فاعفوا . عما جنا بالتعامي
أحسنت لي في ابتداه . يارب فاحسن ختامي
وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء على يد مؤلفه فقير رحمة
ربه محمد ابن احمد ابن اياس الحنفي عامله الله تعالى بلطفه
الخفي في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول سنة خمس [illegible]
وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم
ورضي الله عن اصحاب
رسول الله اجمعين
والحمد لله رب
العالمين
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة

النص المحقق

بِسم اللهِ الرَّحَمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِرّ وَأَعِنْ

الجُزءُ الثَّاني

فَي ابتِدأ دَوَلةِ الأتراك، وَذلكَ عَلى سَبِيلِ الاختصَارِ.

منهَا قيلَ: لمَا أنْ قُتلَ الملك المُعظم تورَان شَاه وَهوَ أخرُ مَنْ تَولى مِنْ بني أيُوب، وَقدْ تقدم ذلك في الجُزءِ الأوَل، فَتعصّبُوا المماليك الصَالحيّة وَقالُوا: "مَا نُسلطن إلا زوجة أُستَاذِنَا[1] الملك الصَالح نجم الدّين أيُوب" وَهيَ شجر الدُر[2]، فسلطنُوهَا في أوَائلِ شهر صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وَكانَ أَصلَهَا منْ جوَاري الملك الصَالح نجم الدّين أيُوب اشترَاهَا في أيَامِ أبيهِ الملك الكَامِل محمد، فحظيتْ عندَهُ واستولدَهَا ابنهُ خليل ثم أَعتقهَا وَتزوَّجَ بهَا، وَكانتْ مَعهُ في البلَادِ الشَاميّة مُدّة طويلة، ثم قدمتْ مَعهُ إلى الدّيَارِ المصريّة.

فلمَا تسلطنَ الملك الصَالح عُظمتْ شجر الدُر في دَولةِ أُستَاذِهَا الملك الصَالح، وَصَارَتْ تُدَبّر أُمور المملكة بالدّيَارِ المصريّة في حَياةِ أُستَاذِهَا الملك الصَالح.

وَكانتْ ذَات عقلٍ وَحزمٍ، ومعرِفة تامة بأحوَال المملكة؛ فسلطنُوهَا لحُسْنِ سِيرَتهَا وَجُودة تدبيرهَا، وَجَعلُوا الأَمير عز الدّين أيبك التُركماني أتابك العسَاكر وَمُشارِكهَا في أحوَال المملكة، وَصَارَ يُخطب باسمِ شجر الدُر عَلى منَابرِ مصر وَأعمَالهَا.

وَكانتْ الخُطبَاء تقُولُ بَعدَ الدُعَاء للخليفة "وَأَحفظ اللهُمَ الجهةِ الصَالحيّة، مَلِكة المُسلمين، عِصْمة الدنيا وَالدّين، وَالدَة المرحُوم خليل، زوجة الملك الصَالح نجم الدِّين أيُوب".

---

[1] في الأصل "استادنا"، وهو صورة من صور الرسم الإملائى في عصر المؤلف حيث يتم كتابة حرف "ذ" بحرف "د"، وقد وضعت قائمة بتلك الكلمات حتى لا نثقل الهوامش بالتصحيحات.

[2] يقال: شجرة وشجر. وأخبارها في: بدائع الزهور ١/١/٢٨٦- ٢٨٧؛ جواهر السلوك ١٠٨- ١٠٩.

وَكانتْ تكتُب علَامتهَا عَلى المرَاسم "وَالِدَة خليل"، فأقامَتْ عَلى ذلك مُدَّةِ ثلاثةِ أشهر، فسَاسَتْ الرَعيّة في مُدّةِ سَلطنتهَا أَحسنَ سيَاسَة، وَسَارتْ فيهم أَحسنَ سيرة إلى أنْ بدَا لهَا خلع نفسهَا مِنَ السلطنةِ باختيارهَا.

وَقيلَ[1]: إنَ [٢/أ] الخليفة[2] أرسل منْ بَغدَاد يَقُولُ لأَمرَاءِ مِصر: "أعلِمُونَا إنْ كانَ مَا بقى عندكم في مصر منَ الرجَالِ من يَصلح للسلطنة فنحنُ نُرسل إليكم من يصلحُ لهَا؛ أمَا سَمعتُم الحديث عن رَسُول اللهِ ﷺ أنهُ قالَ «لا يَفلحُ قومٌ وَلِو أَمرَهُم أمراة»[3]"، وَأَنكرَ عليهم بسببِ ذلك غَاية الإنكار، وقدْ قالَ القَائلُ:

النِسَاءِ نَاقِصَاتِ عَقلٍ وَدِينٍ مَا رَأينَا لهنَّ رَأيًا سَنِيّا
وَلأجلِ الكمالِ لمْ يَجعَلَ اللهُ تعَالى مِنَ النِسَاءِ نبِيّا[4]

فلما بلغَ ذلك إلى شجر الدُر خلعتْ نفسهَا منَ السَلطنةِ مِنْ غير كُرهٍ، وَتَولى الأَمير أيبك التُركماني برضَاهَا، ثم مشُوا بينهُما فتزوج أيبك بشجر الدُر، وَكانَ لا يتصرف في شيء من أُمُور المملكةِ إلا برَايهَا، وَكانتْ ذاتَ شِهَامَة زائدة، وَكانتْ تُركية الجنس، شديدةِ الغِيرة، صعَبة الخُلق، فكانَ أيبك معهَا في غاية الضنك.

---

[1] في بدائع الزهور ٢٨٧/١/١: نسب الخبر للشيخ شمس الدين الجزري؛ وفي: السلوك ٣٦٨/٢/١.
[2] وهو الخليفة المستعصم بالله.
[3] أخرجه أحمد في مسنده (انظر: رقم ٢٠٤٣٨).
[4] بحر الخفيف، والبيتان لشهَاب الدين أَحْمد بن مُحَمَّد المنصوري، الهائم. (انظر: نظم العقيان للسيوطي، ٨٤).

ذكر

سَلطنة الملك المُعز أيبك التُركماني[1]

وَهوَ أَولُ مُلُوك التُرك بالدّيَارِ المصريّة، تَولى الملك في يَومِ السبت تَاسع عشرين رَبيع الآخر سنة ثمان وَأَربعين وستمائة، وَركبَ بشعَار السلطنة، وَحُملتْ عَلى رَأسهِ القُبة والطير، وَلعبُوا قُدَامهُ بالغوَاشي الذهب.

فلمَا جِلسَ عَلى سرير الملك، واستقر في السَلطنةِ، قَالُوا الممَاليك الصَالحيّة: "لَا بُد لنَا مِنْ وَاحدٍ مِنْ بني أَيُوب نُسلطنهُ"، وَكانَ المتكلم يَومئذٍ في أُمورِ المملكة الأَمير بَلبَان الرَشيدي، وَالأمير فَارس الدّين أقطاي، وَالأَمير بِيبَرس البُنْدُقْدَاري، وَالأمير سُنْقُر الرُّومي، وَجَماعة كثيرَة منَ المماليك الصَالحيّة؛ فأَحضرُوا شخصًا منْ ذرّيةِ بني أَيُوب، يُقالُ لهُ مُظفر الدّين يُوسف مِنْ أَوْلَادِ الملك مَسعُود صَاحب بلَادِ الشرق، وَكانَ عندَ عمَّاتِهِ في بلَادِ الشرق، فلما [٢/ب] حضرَ سَلطنُوهُ وَلقبُوهُ بالملك الأَشرف، وَكانَ لهُ مِنَ العُمر نحو مِنْ عشرين سنة[2].

وَلمَا تسلطن يُوسف المذكُور لم يُعزل أيبك التُركماني منَ السلطنةِ، بل صَارَ يُخطب باسمهمَا عَلى المنَابرِ، وضُربتْ السكة عَلى الدرَاهم وَالدَنَانير باسمهما، فلم يسع أيبك إلا الإذعان في ذلك واستمر المُعز أيبك في السلطنةِ ويُوسف المذكور شريكه، إلى أنْ قُويت شوكة المُعز أيبك وأنشأ لهُ مماليك، وأقامَ لهُ عُصبة، فحسن بَرآيه أنْ يقتل الأمير فارس الدّين أقطاي، وكانَ رأس المماليك الصَالحية، فاستدعاهُ وقت الظهر على أنه يذكر له شيئًا من أمور المملكة، وأكمن لهُ كمينًا وراء باب قاعة الأعمدة، وقرر معهم بأنه إذا مر عليهم يَقتلوه من غير معاودة.

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٢٨٨/١/١- ٢٩٦؛ جواهر السلوك ١١٠- ١١٢.

[2] في: البداية والنهاية ٣٠٨/١٧: "ابن عشر سنين"، وكذلك في النجوم الزاهرة ٥/٧؛ والسلوك ٣٦٩/٢/١: "وله من العمر نحو ست سنين"؛ وفي بدائع الزهور ٢٨٩/١/١: "وكان له من العمر نحو عشرين سنة".

فلما كانَ يوم الإثنين حَادى عشرين شعبان من سنةِ اثنتين وخمسين وستمائة أرسل المُعز أيبك خلف الأمير فارس أقطاي فبادر بالركوب في نفر يسير من مماليكه وطلع إلى القلعة، فلما وصل إلى باب قاعة الأعمدة وثبوا عليه المماليك المُعزية، وأذاقوه كأس المنية، فلما قتل الأمير فارس أقطاي أمر المعز أيبك بغلق باب القلعة.

فلما شاع قتله بين الناس ركبت مماليكه وخشدَاشينه[1]وكانوا نحو سبعمائة إنسان، فلما طلعوا إلى الرملة[2]، وأحاطوا بالقلعة، فرمي لهم المُعز رأس الأمير أقطاي من فوق السور، فلما تحققوا قتله انفضوا خائبين، فخرجوا على حمية نحو البلاد الشامية، وكان أعيانهم يومئذ بيبرس البُنْدُقدَارى، وقلاون الألفي، وسُنقر الأشقر، وبَيْسَري، وسِكِز، وبَرْمَقْ، فلما قصدوا الخروج وجدوا أبواب المدينة مغلقة فقصدوا باب القرَّاطين فأحرقوه فسمى من يومئذ الباب المحروق فلما بلغ الملك المعز [٣/أ] هروبهم أمر بالحوطة على أموالهم وأملاكهم ونسائهم وأولادهم، وحمل موجود الأمير فارس أقطاي إلى الخزائن الشريفة، فلما تمكن الملك المُعز أيبك منَ السلطنةِ قبضَ عَلى الملك الأشرف يوسف الذي كان شريكهُ في السلطنةِ.

ثُم دخلت سنةِ أَربع وَخمسين وستمائة، فيها: أَرسل الملك المعز أيبك يخطب بنت بدر الدّين لؤلؤ صَاحب المُوصل، فلمَا بَلغَ شجر الدُر ذلك تغيرت على أيبك، وتغير عليهَا، لأنها كانتْ تُمن عَليه في كل وقتٍ، وتقول له: "لولا أنا ما تسلطنتَ أنتَ"، وكانت قد مَنعته من الاجتماع بزوجته أم وَلدِهِ عليّ حتى أنها ألزمته بطلاقها بالثلاثة، فحنق منها أيبك وَنزل وهو غضبان إلى مناظر اللوق، وكانتْ مناظر اللوق[3] مكان الأزبكية الآن، فأقام بها أيامًا، فأرسلتْ إليه شجر الدُر من تلطف بهِ وَحلف عليه، فسكن غَضبه، وقام وطلع إلى القلعة.

وكانتْ شجر الدُر قدْ أعدت لهُ منْ يقتلهُ إذا طلعَ إلى القلعة، فلما طلعَ وذلك في ليلة الأربعاء خامس عشرين رَبيع الأول من سنةِ خمس وخمسين وستمائة،

---

(1) لقّب الأمراء المماليك الذين نشأوا عند سيّد واحد بالخشداشية. (انظر: تكملة المعاجم العربية لدُوزِي، ٢٦/٤؛ معجم الألقاب والمصطلحات التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب، ١٦٢).

(2) هكذا وردت في المخطوط وكذلك ترد في أغلب المصادر، والرسم الصحيح لها "الرميلة" وهى الآن ميدان صلاح الدين بالقلعة.

(3) بميدان الظاهري من برّ الخليج الغربيّ، وأنشأ فيه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب مناظر جليلة تشرف على النيل الأعظم. (انظر: الخطط المقريزية، ٣٤٦/٣).

فلما دخل إلى شجر الدُر قامتْ إليه وَقبلتْ يدّه من غير عَادة فقعد عندها، ثم كـانَ بينه وبينهما مَا كان، ثم قام إلى الحمام فدخلوا عليه خمسة من الخُدام الخصي الروم، وكانت شجر الدُر قدْ أعدتهم لقتله، فلما دخلوا عليه ليقتلوه فاستغاث بشجر الدُر، فقالت للخدام: "اتركوه"، فاغلظ عليها بعض الخُدام في القول، وَقال لها: "متى تركناهُ لا يبقى عليك ولا علينا"، فقتلوهُ في الحمام خنقًا، ثم حملوه وأخرجوهُ وأشاعوا أنهُ قدْ أغمى عليه منَ الحمام، فأرقدوه على فراشهِ، [٣/ب] فلما أصبح الصباح أشاعوا خبر قتله، وذلك في ليلة الأربعاء رابع عشرين ربيع الأول من سنةِ خمس وخمسين وستمائة[١].

فلما علم ابنهُ عليّ بذلك وَالمماليك المُعزية فقبضوا على الجوار، فأقروا بما جرى، فأمسكوا شجر الدُر، وسلموها إلى زوجة المُعز أم أولاده، فقتلُوها الجوار بالقبَاقيب إلى أنْ ماتت، فرموها من فوق السُور إلى الخندق، وَهي عُريانة، ولم يكنْ عليها غير اللبَاس في وَسطها، فأقامتْ مرميه ثلاثة أيام، حتى أنَ بعضَ الحرافيش[٢] نَزلَ إليها في الليل وقطعَ تكة لبَاسها، لأنها كانَ فيها أكرة[٣] لؤلؤ، ثم بعد أيام حُملتْ ودُفنتْ في تُربتها التي هي بالقرب مِنَ السيدة نفسية.

وأمَا الخُدَام الذي[٤] قتلوا أيبك فهرب بعضهم وصلبوا بعضهم عَلى باب القلعة.

وكانت شجر الدُر لهَا برّ وَمعروف وأوقاف على جهات خير للفقراءِ وَالمسَاكين، وقدْ نالتْ شجر الدُر منَ العزّ وَالرِفعة مَا لا نالته امرأة قبلها ولا بعدها فخُطبَ لهَا عَلى منابر مصر وجهاتها وتصرفت في أمور المملكة بحسبمَا تختاره.

وكانتْ مُدّة سلطنتها بالدّيَار المصريّة نحو ثلاثة أشهر.

---

(١) يوجد اضطراب في الخبر حيث ذكر ابن إياس أن طلع أيبك للقلعة كان يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول، وقتله كان يوم الأربعاء ٢٥ ربيع الأول؛ وفي: البداية والنهاية ٣٤٧/١٧: "كَانَ مَوْتُهُ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ"، وكذلك في النجوم الزاهرة ١٣/٧ وجواهر السلوك، ابن إياس، صـ١١١؛ وفي السلوك ٤٠٣/٢/١: "يوم الثلاثاء رابع عشرى شهر ربيع الأول"؛ وفي بدائع الزهور ٢٩٤/١/١: "وكانت قتلته ليلة الأربعاء خامس عشرين ربيع الأول".

(٢) مفردها: حرفوش. لقب اتصل منذ بداية العصر الأيوبي بجماعة من أحطّ طبقات المجتمع، أكثرهم من الشحّاذين والمعوقين والمصابين ببعض العاهات.

(٣) في الأصل "أكر"، والتصحيح من بدائع الزهور ٢٩٤/١/١ وجواهر السلوك ١١١.

(٤) كذا في الأصل، الصواب "الذين".

وكانتْ مُدة سلطنة الملك المُعز أيبك التُركماني بالديار المصرية سبع سنين، منهَا مُدّة انفرادهِ بالسلطنةِ خمس سنين وثلاثة أشهر، ومُدّة الأشرف يُوسف الذي كانَ شريكه في السلطنةِ سنة وَأشهر، وقد تقدم ذلك.

ولما قُتل المعز أيبك تولي من بعده ابنه نور الدّين علي.

فائدة لطيفة:

وهي هذه الأبيات تتضمن أسماء مُلوك التُرك كلهم ممن تولى مملكة الدّيار المصريّة، وذلك دُون أسماء أولادهم وهم على الترتيب، وَهيَ هَذِهِ الأَبيَاتِ [٤/أ]:

أَيبــك قَطـــز يعقبُــو بَيبَـــرس ذَو الْأَكْمَـــالْ
بَعـــدو قـــلَاوون بَعـــدو كُتبُـــغَا المفْضَـــالْ
لَاجـــين بَيبَـــرس بَرقَـــوق شـــيخ ذَو الأفضَـــالْ
طَطَـــر بُـــرسْبيه[1] جَقمـــق ذَو الْعُـــلَا أينَـــالْ
وَخُشقـــدَم عَنـــهُ قَـــلْ يَلـــبَيه ذَو الْأَحْـــوَالْ
تمربغـــا قيتبيـــه الْفَحْـــل ذَو الإقبـــال
وَقَانصْـــوه جنْبـــلاط عـــنهُمْ خُـــذ الأَقْـــوَالْ
وَبعدَهُـــمْ جَـــاء طَومَـــان بيـــه بالإِقبَـــالْ
وَقانِصـــوْه بعـــدَهُ قـــدْ أظهـــرَ الأهـــوالْ[2]

وقبل الدُخول في تراجم الملوك والسلاطين، أقول هذه الأبيات، مع التضمين، وهما:

تَأَلِيفُنَـــا السِّحـــر الحـــلَالِ لأَنـــهُ   كالـــدُرِ مَـــعْ حُسْـــنِ البيَـــانِ المُنْجـــزِي
أَنْ طَـــالَ لـــمْ يُملـــلْ وَأَنْ أَوْجَزْتَـــهُ   فَيَـــوَدُ سَامِعـــهُ بـــأَنْ لَا تُوجـــزِ[3]

---

(١) وهي صورة من صور الكتابة في عصر المؤلف، وفي النجوم الزاهرة ٤/٧: (برسباي).
(٢) من المواليا؛ في بدائع الزهور ٢٩٦/١/١: "وبعده قانصوه الغوري أبو الأهوال". الأبيات بتغري بردي من إنشائه ماعدا الثلاث الأبيات الأخيرة لم ترد في كتابه النجوم الزاهر، وأظنهم من إنشاء ابن إياس. (انظر: النجوم الزاهرة ٣/٧- ٤).
(٣) بحر الوافر؛ لم يرد ذكر البيتين في بدائع الزهور وهما من نظم ابن إياس مؤلف الكتاب.

ذكر

سلطنة الملك المنصُور نُور الدّين عَلي

ابن الملك المُعز أيبك التُركماني الصَالحي النجمي(١)

وَهوَ الثاني مِنْ مُلُوكِ التُرك وأولادهِمْ بالدّيَار المصريّة، تَسلطنَ بعدَ قتل أبيه المُعز أيبك سنةِ خمس وخمسين وستمائة، وكانَ لهُ منَ العُمرِ أحد عشرة سنة(٢).

وَكانَ القَائم بتدبير أُمور المملكة الأَمير علم الدّين سنجر الحلبي، وَكانَ الوَزير يَومئذٍ شرف الدّين ابن صَاعد الفَائزي، وَهوَ وزيرُ أبيه [٤/ب] المُعز أيضًا.

وكانَ شرف الدّين ابن صَاعد هذَا يُسمى هَبة الله، وكانَ أَصلهُ مِن أقبَاطِ النصَاري، فأَسلم في دَولةِ الملك الكامِل محمد، فلَا زَال يرقى حتى بقى وَزير الدّيَار المصريّة في دَولةِ الملك المُعز أيبك، ثم استوزر لِولدِهِ نُور الدّين عَلي.

فلمَا تَم أَمر المنصُور عَلي في السلطنةِ، استحلفُوا لهُ جميع العسَاكر، واستقر الأَمير قُطز المُعزي نائب السلطنة وَأتابك العسَاكر، وَمُدَبّر الدَولة، وَكانَ شدّيد البَاس، صَعبَ الخُلق، استقر بالصَاحبِ شرف الدّين المقدم ذكرهُ، ثم بعدَ مُدَّة يَسيرَة قَبضَ عليه وَصَادرَهُ حتى استصفى أَموَالهُ، وكانَ في سعةٍ مِنَ المَالِ ثم قتلهُ، واستوزَرَ بعدَهُ بالصَاحب زين الدّين يَعقُوب بن الزُبير.

وفي أيَام الملك المنصُور علي هذَا كانَ قُدوم هُلاكوا (٣) ملك التتار إلى بغداد، وَقتل الخليفة المُستعصم بالله، وَقدْ تقدم ذلك في أوائل التَاريخ، ثم إن هُلاكوا لمَا

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ٢٩٦/١/١- ٣٠٢؛ جواهر السلوك ١١٢- ١١٤.

(٢) في السلوك ٤٠٥/٢/١ والنجوم الزاهرة ٤١/٧: "عمره خمس عشرة سنة"؛ وفي بدائع الزهور ٢٩٦/١/١: "وكان له من العمر لما ولى السلطنة إحدى وعشرين سنة"؛ وفي جواهر السلوك ١١٢: "وله من العمر نحو إحدى عشرة سنة".

(٣) كذا في الاصل، وفي المصادر (هولاكو) ، وهي صورة من صور الرسم الإملائي في عصر المؤلف، وقد أوردها بعد ذلك بالرسم الصحيح.

فعلَ مَا فعلَ في بغداد قصدَ التوجه إلى نحو الديار المصرية، وقدْ وصل أوائل عسكره إلى البلاد الحلبيّة.

فعند ذلك عقدّ الأمير قُطز مجلسًا، وجمع فيه سائر القُضاة، وَأكابر العُلماء، وَسائر أعيان الدَولة منَ الأمراء، وَغيرهم، وكانَ المُشار إليه في ذلك المجلس الشيخ عز الدّين ابن عبد السلام[1]، رضى الله عنهُ، وكانَ منْ أكابر عُلماء الشافعية، وكانَ يلقب بسُلطان العُلماء.

فأقاموا [2] مُدّعى في ذلك المجلس، وذكر هيئة سُؤال في أمر مجيء هُلاكوا ملك التتار، وَأنْ بيت المال خال منَ الأموال، وأنَ السلطان مُحتَاج للمُسَاعِدة مِنَ الرعيّةِ، وأعيان التجَار، والأغنيَاءِ، لإقامةِ العسكر، وَتجهيزهُم للسفر، وَمَا يُعينهم على ذلك؟

فأجاب الشيخ عزّ الدّين ابن عبد السلام في ذلك المجلس وَقَالَ: "إذا طرقَ العدُو البلاد وَجب على العالم قتالهُ، وَجاز للسلطان بأن يأخذ من أموال التجارِ والرعيّة مَا يُستعان بهِ عَلى تجهيز العسكر، بشرطٍ [٥/أ] أن لا يبقى في بيت المال شيء من المال والسلاح والقماش، ويقتصر كل من الجند على فرسه وسلاحه، وتتساووا في ذلك أنتم والعامة؛ وأمَا أخذ أموال الرعية مع إبقاء مَا في أيدى الجُند من السروج الفضة، والحوايص الذهب، فلا يجوز ذلك".

ثم تكلموا في إقامة سُلطان كبير مهاب لدفع العدو، فوقع الاختيار من الأمراء والقضاة على خلع المنصُور عليّ بن المُعز أيبك، وسلطنة الأمير قُطز، فعند ذلك خلع الملك المنصُور علي.

وكانَ كثير اللعب طائش العقل، وكانتْ وَالدته تدبر أُمور المملكة، فكانتْ مُدّة سلطنة المنصُور علي بن المعز أيبك سنتين وثمانية أشهر وَثلاثة أيام، ثم أرسلوهُ إلى الاعتقال ببرج السلسلة بثغر دمياط[3]، وأرسلوا أخوته وأمه معهُ إلى دمياط فأقام بها إلى أن مَات بعد مُدّة طويلة.

---

[1] ولد سنة ٥٧٧هـ. ونشأ في دمشق وزار بغداد سنة ٥٩٩هـ فأقام شهرًا وعاد، وتوفى بالقاهرة ٦٦٠هـ، وله عدة مصنفات. (انظر: فوات الوفيات ٢/٣٥٠- ٣٥٢).

[2] هكذا في الأصل، وفي بدائع الزهور ٣٠١/١/١: "قام شخص بين يدى الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام".

[3] كان حصنًا منيعا، وهو قفل بلاد مصر، وصفته أنه في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر؛ ومن هذا البرج إلى دمياط وهي على شاطئ البحر وحافة النيل سلسلة، ومنه إلى الجانب الآخر، وعلى الجسر سلسلة أخرى، ليمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل. (حسن المحاضرة السيوطي، ٢٣/٢).

ومن الحوَادثِ في أيَامهِ: قدْ ظهرت بالمدينة الشريفة عند وادى شطا شرقي المدينـة نـارٌ يَطير منها شررًا يَأكل الحجارة، فكان طولها أربعة فراسخ في عرض أربعة أَميالٍ، فكانتْ تختفي بالنهار وتظهر بالليل، يراها الناسُ مِنْ مسافة بعيدة، وَكانَ يظهر لهَا دُخَانٌ عظيم، فأقامتْ على ذلك نحو أربعين يَومًا، ثم خُفيتْ بعد ذلك، وقدْ قالَ بعضَ الشُعراءُ في هذهِ الوَاقعة:

بَحْرٌ مِنَ النّارِ تَجْرِي فَوْقَهُ سُفُنٌ ... مِنَ الْهِضَابِ لَهَا فِي الْأَرْضِ إِرْسَاءُ

مِنْهَا تَكَاثَفَ فِي الْجَوِّ الدُّخَانُ إِلَى ... أَنْ عَادَتِ الشَّمْسُ مِنْهُ وَهْيَ دَهْمَاءُ

يُرْمَى لَهَا شَرَرٌ كَالْقَصْرِ طَائِشَةً ... كَأَنَّهَا دِيمَةٌ تَنْصِبُّ هَطْلَاءُ

فَيَا لَهَا آيَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ ... اللهِ قدْ ظهرت والناس أحياءُ[1]

يُشير الناظم إلى الحديث الشريف «أن الساعة لا تقوم حتى تخرج مِنْ أرض الحجاز نار يُضيء منها أعناق الإبل بالبصراء»[2]، وقدْ ذكر ذلك البخاري – رضي الله عنهُ – في باب الفتن وخروج النارِ[3][٥/ب].

وَماتَ في أيام الملك المنصُور عليّ من الأعيان، وهم: الشيخ زكى الدّين عبد العظيم المُنذري[4]؛ والشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الحقيقة[5]؛ وَالشيخ شُعلة شيخ القراءات[6]، وَالفاسى المغربي[7]، وَالشيخ سعد الدّين ابن العربي صاحب النظم اللطيف[8]؛ وَالصرصري صاحب الدّيوان اللطيف[9]؛ وَابن الأبَّار المؤرخ، وغيرهم منْ أعيانِ العُلماء والصُلحاء وَغير ذلك.

---

(١) بحر البسيط؛ أورد هذه الأبيات أبو شامة في كتابه ولم يذكر صاحبها. (انظر: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ١٩٣).

(٢) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى».

(٣) انظر: صحيح البخاري ٢٦٠٥/٦، في كتاب الفتن باب خروج النار.

(٤) هو عَبْدُ العَظِيْمِ أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ عَبْدِ القَوِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ المُنْذِرِيُّ، ت: ٦٥٦هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء ٣١٩/٢٣- ٣٢٤).

(٥) هو على بن عبد الله بن عبد الجبار أبو الحسن الهذلي الشاذلي، ت: ٦٥٦هـ. (انظر طبقات الأولياء صـ٤٥٨- ٤٥٩).

(٦) هو شُعْلَةُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ المَوْصِلِيُّ، ت: ٦٥٦هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٠/٢٣).

(٧) هو أحمد بْن محمد بْن حَسَن بْن عليّ بْن تامتّيت، ت: ٦٥٧هـ. (انظر: تاريخ الإسلام، ٣١٢/٤٨- ٣١٣).

(٨) هو محمد بن محمد بن علي، سعد الدين، ت: ٦٥٦هـ. (انظر: المقفي الكبير ٦٧/٧- ٦٨).

(٩) هو يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور، جمال الدين الشيخ العلامة الزاهد الضرير، ت: ٦٥٦هـ. (انظر: فوات الوفيات ٢٩٨/٤- ٣١٩).

ذكر

سلطنة الملك المُظفر

سيف الدّين قُطُز المُعزي[1]

وَهوَ الثالثُ مِن مُلُوك التُرك وأولادهم بالدّيَارِ المصريّة، تسلطن في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة، فلمَا استقر أمره في السلطنةِ قَبضَ على جماعة من خُشدَاشينه من الأمراء وَالخدام وغيرهم، فتمت أُموره ومشى حُكمه فعند ذلك استقر بالأمير بيبرس البُندقداري أتابك العسَاكر وَفوض إليه أُمور المملكة.

ثم جَاءت الأخبار بأن عسكر هُلاكوا وَصلوا إلى دمشق وَملكوها وذلك في أوائل سنة ثمان وخمسين وستمائة، ثم أرسل هُلاكوا كِتَابًا عَلى يد أمير منْ يُقال لهُ كتبغَا نُويز [2]، وصحبته أربعة من التتار، ومعهم كتاب مضمونه: "منْ ملك الملوك شرقًا وغربًا القان الأعظم"، وأغلظ عليهم في الكتاب بألفاظ يابسة وعبارة خشنة.

فلما سمع الملك المظفر مضمون ما في كتاب هُلاكوا، فأحضر الأمراء واستشارهم فيما يكون منْ أمر هذه الحركة، ثم إنه أعرض العسَاكر وعزم على الخروج بنفسهِ وأمر بالمناداة في مصر والقاهرة بأن النفير عَام إلى الغزاة في سبيل الله.

ثم إن السلطان أمر بجمع الأموال من أهل مصر بسبب هذه الحركة، فأخذ على كلّ رَأس من الناس منَ الرجال والنساء من كلّ واحدٍ دينار، وأخذ أجرة الأملاك [٦/أ] والأوقاف شهرًا واحدًا، وأخذ منْ أغنياء الناس والتجار زكاة

---

[1] أخباره في بدائع الزهور ٣٠٣/١/١- ٣٠٨، وجواهر السلوك ١١٤- ١١٥.

[2] هكذا في الأصل وبدائع الزهور ٣٠٤/١/١؛ وجاء في البداية والنهاية، ت: التركي، ٤٠١/١٧ والسلوك ٤٢٤/٢/١ والنجوم الزاهرة ٧٨/٧: "كَتُبْغَا نُوينَ"؛ ومعناه: أمير عشرة آلاف، وكل اسم من أسماء ملوكهم في آخره نوين معناه: رأس عشرة آلاف. (صبح الأعشى، القلقشندى، ٤٢٣/٤).

أموالهم مُعجلًا؛ وأخذ مِنَ الترك الأهلية الثُلث من المال؛ وأحدث من أبواب المظالم من هذا النمط أشياء كثيرة، فبلغ جُملة مَا جمع من الأموال في هذه الحركة ستمائة ألف دينار.

فلما كان أواخر شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة نزل السلطان الملك المظفر قطز منْ قلعة الجبل في موكب عظيم والأمراء والعسكر قدامه، فلما كان يوم خروجه أمرَ بتوسيط[١] قصادِ هُلاكوا فوسطوا في ذلك اليوم[٢].

ثم إن السلطان رحل من الريدانية[٣] ونزل بمنزلة الصَالحيّة[٤] إلى أن تكامل العسكر، ثم رحل وجدَّ في السير إلى أنْ وصل إلى عين جالوت[٥] من أرض كنعان؛ فتلاقتْ هُناك العسكران، واقتتل الجيشان، وذلك يوم الجمعة في الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة، وكانتْ الكسرة على التتار فكسروهم، وَشحنوهم إلى بَيْسَانِ[٦] فاقتتلوا هُناك وَقعة ثانية أعظم من الأولى، وقتل من التتار جماعة كثيرة وكذلك من المسلمين، فعند ذلك وَلوا التتار مُدبرين، وكانتْ الكسرة عليهم أجمعين.

ثم بعد ذلك توجه السلطان نحو الشام فدخلها، ونظر في أحوالها وَمصالحها، ثم أخلع على الأمير علم الدّين سنجر الحلبي واستقر به نائب الشام، وبالأمير علائي الدين ابن صَاحب المُوصل نائب حلب، واستخلص غالب بلاد الشمال من أيدى مُلُوك أولاد بني أيوب، وكانتْ جميعها في أيديهم.

---

(١) توسيط: إحدى طرق تنفيذ عقوبات الإعدام في العصر المملوكي، وما بعده تتم بعد تعرية الشخص المحكوم من الثياب وشده إلى خشبة مطروحة على الأرض، يضرب بعدها بالسيف تحت سرته بقوة فينقسم جسمه إلى نصفين. (معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ١١٢).

(٢) الخبر مفصل في السلوك ٤٢٩/٢/١.

(٣) اسم يطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقلبي، خارج باب الفتوح بالحسينية. (انظر: الخطط المقريزية، ٢٤٧/٣).

(٤) هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، بأرض المسانح والعلاقمة في أوّل الرمل الذي بين مصر والشام، وأنشأ بها قصورا وجامعا وسوقا لتكون منزلة العساكر إذا خرجوا من الرمل، وذلك في سنة أربع وأربعين وستمائة؛ وهى اليوم إحدى قرى مركز فاقوس بالشرقية. (الخطط المقريزية، ٣٤١/١؛ القاموس الجغرافي، محمد رمزي، ١١٢/٢/١- ١١٣).

(٥) هو نبع مياه في فلسطين ويتواجد في منطقة مرج ابن عامر بالقرب من القريتين المهجرتين نورس وقومية.

(٦) هي من أقدم مدن فلسطين، على بعد ٨٣ كم شمال شرق القدس.

ثم بعد ذلك قصد التوجه إلى نحو الدّيَار المصريّة، وَهوَ منصُورٌ مُؤيدٌ، فسَار هوَ وَمنْ معهُ من الأمراء والعسَاكر إلى أنْ وَصلَ إلى قُريبِ الصَالحية، فأتفقوا الأمراء عَلى قتلهِ، وكانَ المشار إليه في ذلك الأمير رُكن الدّين بيبرس البُندقداري [٦/ب] مع جماعة من الأمراء.

فلما وَصل قُطز إلى القُرين[١]، فرآى أرنبًا فساق خلفه وساقوا معهُ جماعة من الأمراء وَمن جُملتهم الأمير بيبرس البُندقدَاري، فلمَا ساق دنا منه الأمير بيبرس ليُقبل يَدَه، وكان المظفر قطز أنعم على الأمير بيبرس بجارية مليحة منْ سبايا التتار، فظن أنهُ جاء يُقبل يده بسبب ذلك.

فلما مِدّ يدهُ إليهِ قبضَ عليه الأمير بيبرس وَضربهُ بالسيفِ، وَحملوا عليه بقية الأمراء بالسيوف، فقتلوه وتركوهُ مَيتًا مُلقى على الأرض، ثم إنهم ساقوا وهم شاهرون سُيوفهم إلى أنْ وصلوا إلى الوطاق، فجلس الأمير بيبرس البُندقداري على مرتبة السلطان قُطز، وأخذ المملكة بالقوّة، فشق ذلك على بقية العسكر لكون أن المظفر قُطز قُتل منْ غير ذنبٍ.

وكانَ خيار مُلُوك التُرك، وَلهُ اليدُ البيضاء في القيام لدفع العدو عن البلادِ، وعمارة البلاد الشامية، ونصرة الإسلام.

وكانت قتلة الملك المظفر قُطز في يوم السبت خَامس عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، ودُفن هُناك في مكانٍ قُتل فيه.

فكانتْ مُدة سلطنتهُ سنة إلا أيَامًا، وتولى منْ بعده الأمير بيبرس البُندقدَاري.

---

(١) كذا في الأصل وبدائع الزهور ٣٠٧/١/١ والخطط المقريزية ٩٧/٤؛ وأما في السلوك ٤٣٥/٢/١ والنجوم الزاهرة ٨٣/٧: "القُصَيْر". وهى بين الصالحية والسعيدية، وهي اليوم تسمى بالجعافرة إحدى قرى مركز فاقوس بالشرقية. (القاموس الجغرافي، ١١١/٢/١).

ذكر

سلطنة الملك الظاهر رُكن الدّين

بيبرس العلاى البُندقدَاري الصَالحي النجمي[١]

وَهوَ الرابع من ملوك التُرك وأولادهم بالديار المصرية، تسلطن بعدَ قتل المظفر قطز في يوم السبت خَامس عشر ذي القعدة سنة ثمان وَخمسين وستمائة، وَتلقبَ بالملك الظاهر أبي الفتوحَات[٢].

وكانَ أولَ مَا تسلطن تَلقبَ بالملك القاهر، فقال لهُ بعض [٧/أ] العُلماء: "مَا تلقبَ أحدٌ بهذا اللقب وأفلح"، وقدْ جُرب ذلك فتركهُ، وتلقبَ بالملك الظاهر.

وكانَ أصلهُ تركي الجنس، أُخُذَ من بلادهِ وهو صغير، فابتاع لشخص يُسمى العماد الصائغ، ثم اشتراهُ منهُ الأمير علائي الدّين أيدكين البُندقدَاري، فلمَا قبضَ الملك الصالح نجم الدّين أيوب على الأمير أيدكين البُندقداري، وأحتاط على موجودهِ، أخذ بيبرس من جملة الموجود، ثم إن الملك الصالح أعتقه، وجعله من جُملة المماليك البحرية، وكانَ بيبرس شجاعًا بطلًا فأظهر في وقعة الفرنج التي كانتْ على المنصُورة في أيام الملك المُعظم توران شاه منَ الشجاعة مَا لا يسمع بمثلهِ، فلا زال يَرقى إلى أن بقى أتابك العسَاكر في دولة الملك المظفر قطز، ثم بقى سُلطان، كما تقدم.

فلما جلس على سرير الملك استقر بالأمير فارس الدين أقطاى المُستعرب ويدعى أيضًا بالصغير أتابك العسَاكر، ثم حلَّف سائر الأمراء لنفسهِ، ثم قصد الدخول إلى الديار المصرية، فدخلها في الليل وطلع إلى القلعة.

فلما طلع النهار نادى المُنادى في مصر والقاهرة: "ترحموا على الملك المُظفر قطز، وادعوا بالنصر للسُلطان الملك الظاهر بيبرس".

---

[١] أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٣٠٨- ٣٤٢؛ جواهر السلوك ١١٥- ١٢٥.

[٢] في النجوم الزاهرة ٩٤/٧: "أبو الفتوح".

وكانتْ القاهرة قد زُينت لقدوم الملك المظفر قطز، لما بلغ الناس هذهِ النصرة العظيمة، فلما نادى المُنادى بذلك فمنَ الناس منَ أظهر الفرح والسرور بذلك، وَمنْ الناس منْ أغتم لذلك وتأسف على قتل المُظفر قُطز، لأنهُ قتل من غير مُوجب لذلك.

فلما تم أمر الملك الظاهر بيبرس في السلطنةِ عمل الموكب، وأخلعَ على منْ يذكر من الأمراء، وهم: الأمير فَارس الدين أقطاى المُستعرب المعروف بالجمدار[1] واستقر أتابك العسَاكر، كما تقدم؛ واستقر بالأمير لاجين الدرفيل دوَادَار كبير؛ والأمير بَلبَان الرشيدي استقر دَوَادَار ثاني؛ وأخلعَ [٧/ب] على الأمير بهاء الدّين يَعقوب الشهرزوي واستقر أمير أخور كبير على عادته.

ثم في الموكب الثانى أخلع على من يذكر من أعيان الأمراء، وهم: الأمير بدر الدين بيليك الخازندار فاستقر نائب السلطنة بالديار المصرية، وصار صاحب الحلّ والعقد في أيام دولته، وكان من مماليك الظاهر بيبرس اشتراه صغيرًا منْ حين كانَ أميرًا ورباهُ، فلما تسلطنَ أستاذهُ صَار نائب السلطنة بمصر.

وقيلَ[2]: أنَ التَاجر الذي أباع الأمير بيليك إلى الملك الظاهر بيبرس، كانَ في سعة منَ المال، فذهب مَالهُ كلهُ، وصَارَ من جُملة الحرَافيش، فلمَا قدمَ إلى الديار المصريّة فوَجدَ مَملُوكهُ بَيليك المذكُور قدْ صَارَ صَاحب الحلّ وَالعقد وتصرف في الأُمور كما يشاء، فقال لهُ بعضُ التجار: "لو أنكَ تدخل إلى الأمير بَيليك، وَتذكر لهُ حَالك، فعسى أنْ يُنعم عَليكَ بشيءٍ".

فكتبَ قِصّة وَدَخلَ إليهِ، وكانَ مضمُون القصِّة هذهِ الأبيَات، وهُمَا:

قدْ صِرْتُ مِنْ بَعدِ عِزٍّ في الهوَانِ وَقدْ ... جَارَ الزمَانَ بِضيقٍ نِلتُ منهُ أذَى[3]
وَالآنَ أقبلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْك بِمَا ... تَرضى فَلَا تنْسَنِي "إنَّ الكرامَ إذا ..."[4]

فلما قرَاها الأمير بيليك قالَ: "منْ رَافع هذه القصّة"، فقِيل لهُ: "هذَا التَاجر الذي أبَاعك للسُلطان"، فقَامَ إليه وَأعتنقهُ، ثم أجلسهُ على مَرتبته وَأكرمهُ غاية الإكرام، وأنعم عليه بخلقٍ وعشرة ألاف دينار. ومن هنا نرجع إلى أخبار الملك الظاهر.

---

(١) لم يرد في بدائع الزهور وجواهر السلوك؛ وذكر قبل قليل أنه معروف بالصغير.

(٢) في بدائع الزهور ٣١١/١/١: أن القول لصلاح الصفدي في تذكرته.

(٣) جاء البيت مختلفًا عما ورد ببدائع الزهور ٣١١/١/١ والوافي بالوفيات ٢٧٧/١٠: "كنَّا جميعًا في بؤسٍ نكابدُهُ ... والقلب والطَّرف منَّا في أذًى وقَذَى".

(٤) بحر البسيط؛ الشطر الأخير به تضمين لقول الشاعر: "إن الْكِرَام إذا مَا أيسروا ذكرُوا ... * من كَانَ يألفهم فِي الْمنزل الخشن". انظر: الشفاء في بديع الاكتفاء، شمس الدين النَّوَاجي، ٦٠.

ثم عمل الموكب بَعد ذلك وَأخلع على من يُذكر منَ الأمراء وهم: الأمير أيبك الأفرم الصَالحي فاستقر أمير جانـدَار؛ ومن أمرائـهِ الأمير بدر الدّين بيسري الشمسي؛ والأمير سيف الدّين قلاون [٨/أ] الألفي؛ والأمير بدر الدّين بكتوت الجُوكنْدَار المُعزي؛ والأمير عزّ الدّين بَيدغَانَ المعروف بسُمِ الموت؛ وَالأمير بدر الدّين أنص الأصفهاني؛ والأمير بَلبَان الهَاروني، ثم أخلعَ على الصَاحب بهائي الدّين ابن حَنّا واستقر به في الوزارة؛ وَهوَ الذي أنشأ مَكان الأثار النبوي المُطل عَلى بحر النيل؛ ثم أخلعَ على الأمير جَمال الدّين آقُوش النّجيبيّ واستقر به أستادار العَالية؛ واستقر بالأمير رُكن الدين أيَاجي، وَالأمير سيف الدّين بُكجري حُجابًا؛ ثم رَسمَ بإحضار المماليك البحرية الذي[١] كانوا مُتفرقين في البلاد.

ثم أرسلَ مُكاتبات إلى المُلُوك وَالنُواب بسائر الممالك؛ فأخبرهم بما قدْ جَدَّدَ الله تعالى لهُ منْ أَمرِ السلطنةِ، وطلبَ منهم بذل الطاعَة فأجابوه الملوك وَالنُواب بالسمع والطاعة.

ثم إنَ الملك الظاهر قصد استجلاب خوَاطر الرعيّة، فأبطلَ مَا كانَ المُظفر قُطز أَحدثهُ عَلى الناس من أبوَاب المظالم عندَ خرُوجه إلى التجريدة، كما تقدم، فأبطلَ ذلك جميعهُ في أَول سلطنته، وكتب بهِ مسَاميح، وقرئتْ عَلى منَابرِ مصر وَأَعمالهَا، فطابتْ لهُ قلُوب الرّعيّة، وَزَادوا في الدُعاء لهُ بالنصر، كما قالَ القائلُ:

لَمْ يَبْقَ لِلْجُورِ فِي أيَامِكمْ أثرٌ إلّا الّذِي فِي عُيُونِ الغِيدِ مِنْ حَوَرِ[٢]

ثُم جاءت الأخبار من البلاد الشامية بأن الأمير علم الدّين سنجر الحلبي أظهر العصيان، وخرج عن الطاعة، وجمع سائر أمراء دمشق، وتسلطنَ هُناك، وَركب بشعائر السلطنةِ، وَلقب نفسه بالملك المُجَاهدِ[٣]، وَكتب بذلك إلى سائر [٨/ب] النُواب، وَخُطبَ باسمه عَلى منَابرِ دمشق وَأَعمَالهَا.

وكانَ الأمير علم الدّين سنجر الحلبي لمَا ثقلَ أَمرهُ عَلى الناسِ في دولة الملك المنصُور عليّ بن المُعز أيبك التُركماني، فقبضَ عليهِ المُظفر قُطز قبلَ أنْ يلي السلطنة، وَسجنه مُدّة، ثم إنهُ أفرجَ عنهُ، واستقر به نائب الشام، فلما قُتلَ المُظفر

---

[١] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

[٢] بحر البسيط؛ البيت من قول الفضل بن شرف في المرقص، الغيد: جمع مفرده غيداء وهي الحسناء الناعمة التي تتمايل في مشيتها (انظر: خزانة الأدب ٤٦٣/١).

[٣] كذا في الأصل وجواهر السلوك ١١٧ والسلوك ٤٣٨/٢/١؛ وفي بدائع الزهور ٣١١/١/١: "بالملك الأمجد".

قُطز وَتولى الملك الظاهر بيبرس فشقَ ذلك على الأَمير سنجر نائب الشام، وخرج عن الطاعة، وَتسلطنَ، كما تقدم.

فلما بلغَ الملك الظاهر ذلك كتبَ إلى سَنجر المذكُور كِتابًا، وَوَبخهُ فيهِ بقبيح فعلهِ، وأَمرهُ بالرجوع عن ذلك، فعادتْ الأَجوبة بالمخالفة وَعدم الطاعة، وقدْ وافقهُ على العصيَان جَماعة منْ النوَاب، وَاضطربتْ أحوَال البلاد الشاميّة في أول دَولةِ الظاهر بيبرس، منها: مَا فعلهُ هُلاكوا مِن خرابِ البلادِ، ثم بعد ذلك عصيان النُواب.[1]

ثم دخلت سنة تسع وَخمسين وسُتَمائة، فيها: قبضَ الملك الظاهر بيبرس عَلى جَماعةٍ منَ الأمراء المُعزيّة، وَقتلّ منهم جَماعة، وقدْ بَلغهُ عنهم أنهمْ يُريدُون قتلهُ، فبَادر إليهم، وَقبضَ عَلى جَماعةٍ منهم.

وَفيها: كانَ وصول الإمام أحمد بن الخليفة الظاهر بالله العبَاسي، وذلك عند خرَاب بغداد بمَا فعلهُ هُلاكوا، وقد تقدمَ ذلك، وكانَ قُدوم الإمام أحمد العبَاسي إلى الدّيَار المصريّة في تاسع شهر رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة[2]، فركب الملك الظَاهر وخرجَ إلى تَلقيهِ وأكرمَهُ وبَالغ في اكرامهِ، وقدْ أوضحتُ ذلك في الجزءِ الأول عندَ تَرَاجم الخُلفاء لما قدم الإمام المُستنصر إلى الدّيَار المصريّة.

ومن الحوَادثِ في هذهِ السنةِ: كانَ قُدوم من يُذكر مَن المُلوكِ إلى الأبوَابِ الشريفةِ وَهُم: الملك الصَالح إسماعيل [٩/أ] بن بدر الدّين لؤلؤ صَاحب المُوصل، وأخوهُ الملك المُجاهد سيفِ الدّين إسحاق صَاحب الجزيرة، وأخُوهُم الملك المُظفر، فلمَا قدمُوا على الملك الظاهر فأكرمهم وأقرّهم على مَا بأيديهمْ من الممالك[3].

وفي هذهِ السنة: رَتب الملك الظاهر بيبرس أَربع قُضَاة بالدّيَارِ المصريّة مِنْ كلّ مَذهب قاض كبير وَتحت يده نُواب، وَكانَ قبل ذلك في الدُول المَاضيّة قاضي قُضاة شافعي لا غير، وَالثلاثة نوُابه وكان ذلك في أوائل سنةِ ستين وستمائة[4].

---

(1) ورد الخبر في بدائع الزهور ٣١١/١/١: أحداث سنة ٦٥٩هـ.

(2) ورد الخبر في بدائع الزهور ٣١٢/١/١: أحداث سنة ٦٧٠هـ؛ وفي السلوك ٤٤٨/٢/١، والنجوم الزاهرة ١٠٩/٧، وجواهر السلوك ١١٧: في أحداث سنة ٦٦٩هـ.

(3) ورد الخبر في بدائع الزهور ٣٢٣/١/١: في أحداث سنة ٦٦٢هـ؛ وفي السلوك ٤٦٠/٢/١: في أحداث سنة ٦٦٩هـ.

(4) في بدائع الزهور ٣٢١/١/١ والنجوم الزاهرة ١٢١/٧: "وكان ذلك في أوائل سنة ثلاث وستين وستمائة".

وفي هذهِ السنة: كان بمصر غَلاء شديد حتى عُدمتْ الأقوات، فجمعَ السلطان الحرَافيش كلهم وفرَّقهم على الأمراءِ، فأخذ لنفسهِ خمسمائة حرفُوش، وأضاف إلى الأمير بيليك نائب السلطنة ثلثمائة حَرفُوش، وفرَّق البقية على الأمراء، ورَسم لهُم أنْ يَعطوا لكلّ وَاحدٍ منهم في كلّ يَوم رَطين[1] خُبز، فما رآى بعدَهَا أحدٌ يَساءل من الفُقراءِ[2].

ثم دخلت سنةِ إحدى وستين وستمائة، فيها: رَتب السلطان لعب القبقْ[3].

وفي سنة اثنتين وستين: في عَاشر ذي القعدة ختَّنَ السلطان وَلدَه الملك السعيد محمد، وَرسمَ للأمراء والجُند وَالرعيّة أن منْ كانَ لهُ ولدٌ يَحضرَهُ حتى يختّنهُ مع ابن السُلطان، فأحضرُوا الناس أولادهمْ، فبلغَ عدَّتَهم ألف وستمائة وَخمسة وَأربعونَ صغيرًا خارجًا عنْ أولاد الأمراء والجُند، فرسمَ لكلّ وَاحدٍ منهم بكسوة عَلى قدْرهِ وَمائة درهم وَرأس غنم، وأقام المُهم عمال بالقلعة سبعةِ أيَام.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين، فيها: كثرَ الحريق بمصر والقَاهرة، وَأشيع بين الناس أن هذا منْ فعل بعض النصاري، فرسمَ السلطان بجمع سائر النصَاري، فلما جُمعُوا أَمر بتحريقهم، فجُمعت لهم الأحطاب والحَلفاء.

فعند ذلك طلعَ الأتابكي فارس الدّين أقطاي المُستعرب [٩/ب] إلى القلعة، فشفعَ فيهم عَلى أنْ يحملوا إلى بيت المال خمسينَ ألف دِينار، وَيُصلحُوا ما فسدَ منَ الدُور التي أَحترَقت.

ثم دخلتْ سنة أربع وستين، فيها: سَافر السلطان إلى الشام، وَحَاصر قَلعة صَفَد[4]، وافتتحهَا وعمَّر بها البُرج الكبير.

---

[1] كذا في الأصل. والصواب "رطلين".

[2] ما ورد في بدائع الزهور هو إجمالي عدد الحرافيش، وأما كيفية توزيعهم فلم ترد في بدائع الزهور. (انظر بدائع الزهور ٣١٩/١/١).

[3] لفظ تركي معناه نبات القرعة العسلية، وقد أطلق في العربية على الهدف الذي كان مستعملا في ملعب الرماية المعروف باسم القبق أيضا، وقد وصف المقريزي لعب القبق فقال: «والقبق عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب في براح من الأرض ويعمل بأعلاها دائرة من خشب، وتقف الرماة بقسيما وترمي بالسهام جوف الدائرة لكي تمر من داخلها إلى غرض هناك، تمرينا لهم على إحكام الرمي» الخطط المقريزية ٢٠١/٣.

[4] هي إحدى مدن فلسطين التاريخية، تقع المدينة في منطقة الجليل.

وفيهـا: أخـرج السلطان تجريـدة إلـى مدينـةِ سيس[1]، وكـانَ بَـاش العسَـاكر الأمير عزّ الدّين بيدغَانَ المعَرُوفَ بسُم الموت، وَقلاوون الألفي، وَجماعـةٍ منَ العسكر، فتوجهُوا إلـى هُنـاك ففتحُـوا مدينـة سيس وقلعـةِ ايَـاس[2] وَعـدة قـلاع ورجعُوا إلى الدّيَار المصريّة.

ثـم دخلـت سـنة خمـس وَسـتين وسـتمائة، فيهـا: أبطـل السلطان ضَـمان الحشيش وَالنَّبيذ وَالبُزر، وَأمَرَ بإرَاقةِ الخمُور، وَخرابِ بيُوت المُسكرَات، وَمنـع الحَانات منَ الخواطئ، واستتوب العُلوق وَاللوَاطي، وَعمَّ هذَا الأمر سَائر جهَات الدّيَار المصريّة وَالبلَاد الشاميّة، فطَهُرتْ في أيَامهِ تلك البقَاع منْ جميع مَا كـانَ منْ المنكرَات وَحرَّجَ عَلى ذلك غاية التحرّيج.

ثـم أحضـروا إليـه فـي أثنـاء هـذهِ الوَاقعـة بشـخصٍ يُسـمى الكـازرُونـي وَهـوَ سكران، فأمر بصَلبهِ فصُلبَ، وَعُلقتِ الجَرَّة في عنقهِ، فلمـا عـاينُوا ذلـك أربـاب المُجون والخلَاعة، فأمتثلوا أمرهُ بالسمع والطاعة، وفي ذلك يَقولُ الشيخ شمس الدّين ابن دَانيَال[3]:

لَقـدْ كَـانَ حَـدَّ السُـكر مِـنْ قبـلَ صَـلبِهِ ... خَفِيـف الْأَذَى إِذْ كَـانَ فِـي شـرعُنَا جَلـدًا
فَلَمَّـا بَـدَا المصـلُوبُ قُلـتُ لصَـاحِبي: ... أَلَا تُـبْ فَـإِنَ الْحَـد قـدْ جَـاوزَ الحَـدَّا[4]

قالَ الشيخ شمس الدّين ابن دَانيَـال الحكيم، رحمـة الله عليـه: "لمـا قدمتَ منَ الموصـل إلـى الـديَار المصـريّة فـي الدَولـة الظَاهريـة، سقى اللهُ عَهدها، وأَعذَبَ مَشارِب وُردهَا، فوَجَدتُ [١٠/أ] تلك الرَّسُوم دَارسة، وَمـوَاطن الأنس بهَـا غير آنسه، وَأرباب المجُون لذلك عَابسة، ومن الخلَاعـة وَاللهو آيسة، وقدْ هزم أمرَ السـلطَان جـيش الشـيطان، وتـولى الحرَّانــي وَالــي القـاهرة، أهَـرَاق الخمُـور،

---

(١) عامة أهلها يقولون سيس؛ وسِيسِيّةُ: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشاميّة بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة، وهي اليوم مدينة في تركية في إيالة أطنة، وهي بلدة كبيرة ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل. (النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ١٢٥/٧ هامش ٤).

(٢) مدينة على الشاطئ الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى كان الميناء الرئيس لمملكة أرمينية الصغرى في فيليقية، وهي المملكة التي وقعت في ذلك الدور تحت سيطرة دولة المماليك. (السلوك ١٥٠/١/٣).

(٣) هو محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي، الحكيم الكحال، الأديب، صاحب كتاب " طيف الخيال "، ت: ٧١٠هـ. (فوات الوفيات ٣٣٠/٣ رقم ٤٤٣).

(٤) بحر الطويل؛ البيتان في: فوات الوفيات ٢٤٥/١. الوافي بالوفيات ٢١٤/١٠. بدائع الزهور القسم الأول ٣٢٦/١. خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال صـ١٥٠.

وإحرَاق الحشيش، وَتبديد المزور، واستتوب العُلوق واللواطى، وحجر عَلى البغَايَات والخواطئ، وقدْ آذى الخلاعة غاية الأذية، وَصلبَ ابن الكازرُوني وَفي حَلقهِ نَبَاذِيّة، فعندَ ذلك خطرَ بخَاطري أنْ أنظم في هذه الواقعة قصيدة، وأجعلهَا في أسلُوبها فريدة، فقلتُ في هذا المعني، وَهوَ قولي من باب المُجون وأرثي ابليس الملعُون:

مَاتَ يَا قوم شيخُنَا إبْلِيسُ ... وَخَلا منهُ ربعَهُ المَأنُوسُ
وَنَعاني حَدْسي بهِ إذ تُوُفِّي ... وَلَعَمري مماتُهُ مَحدُوسُ
هَوَ لَوْ لَمْ يَكُنْ كمَا قلتُ مَيْتًا ... لم يُغَيّرْ لأَمرِهِ[1] نَامُوسُ
أينَ عينَاهُ تنظُرَ الخمرَة إذ ... عُطّلَ منهَا الرَّاووقُ[2] والمحرِيسُ[3]
وَمواعينهَا تُكسرُ[4] والخمَّا ... رُ مِن بَعْدِ كَسْرِهَا مَحْبُوسُ
أَينَ عَينَاهُ وَالحَشائش تُحرقُ ... بنَارٍ تُراعُ منهَا المجُوسُ
قَلعُوهَا مِنَ البسَاتين إذ ذَا ... ك صِغَارًا خضرَاءَ وَهيَ عرُوسُ
وَالحرَافيش حولهَا يَتبَاكُو ... بدِمُوعٍ تُطفى بِهنَّ الوَطِيسُ
أَينَ عَينَاهُ تَنظُرَ المزرَ قدْ أوْ ... حَشَ منهُ المَاجُور وَالقَادُوسُ
وَعجين البُقُول قدْ بَدّدُوهُ ... وَهوَ بالتُرب خُلطهُ مَبْسُوسُ
وَذَوُو القَصفِ ذَاهِلُونَ وَقدْ كا ... دَتْ عَلى سيَلهَا تسيَلُ النفُوسُ
كم خَليعٍ يَقُولُ ذَا اليَومُ يَومٌ ... مِثلَمَا قيلَ قمطريرٌ عبُوسُ
وَفتى قائلًا لقدْ هَانَ عندي ... بعدَ هَذَا في شُربِهَا التَجرِيْسُ[5]
وَقضيبٌ وَنرجسٌ وَسُعَادٌ[6] ... بَاكيَاتٌ وَزينبٌ[7] وَعرُوسُ
ذِي تُنادى حرِيفهَا[8] لِوَدَاعٍ ... لَا عِنَاقٍ لَاضمَّ لا تبْويسُ [١٠/ب]
وَيُنَادِى قَوّادهُمْ شهْ عَلينَا ... نَجم ستى قدْ نكّسَتَهُ العُكُوسُ

---

[1] في خيال الظل صـ١٥١: "لحكمه".
[2] الراووق: يطلق على الباطية. خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال صـ١٥١ هامش ٢.
[3] المرجع السابق صـ١٥١: "القدريس" ومعنها: راعية للخمر. المرجع السابق صـ١٥١ هامش ٣.
[4] في خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال صـ١٥١: "والبواطي بها تكسرن".
[5] التجريس: التشهير وأصله أن يركب المذنب دابة ووجهه إلى ذنبها وفي عنقه جرس. خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال صـ١٥١ هامش ٤.
[6] خيال الظل صـ١٥٣: "وكهار".
[7] خيال الظل صـ١٥٣؛ "ونزهة".
[8] الحريف: الذي يعاملها "الزبون". خيال الظل ١٥٣ هامش ١.

مَـــنْ لنَـــا مُنصِـــفٌ لجَــورِ زمَـــانٍ لَا قحَـــابٌ[1] فيـــهِ وَلَا خنـــدَرِيسُ[2]
وَتــــرَى زَنكلُـــونَ يَزْعـــقَ زيتُـــون وَنَـــاتُو يَصـــيحُ يَـــا جَـــامُوسُ
أيـــنَ شِكْشَـــاكتى[3] وَطاجنـــةِ الفَـــا رَ وَأيـــنَ المـــزْرَاقَ[4] وَالـــدَّبُوسُ
نَهبُـــو الحِصْـــنَ[5] وَالطرَاطِيّـــر وَالطّـــا رَ وَضَـــاعتْ خَريطتـــى[6] وَالفُلُـــوسُ
أرحلُـــوا هَـــذهِ بـــلادِ عِفَـــافٍ وَسُـــعُود الخِـــلَاعِ فيهـــا نُحُـــوسُ
مَـــنْ لنَـــا بَعـــدَ ذلـــك الشـــيخ إلـــفٌ[7] وَسَـــميرٌ وَمـــؤنسٌ وَأنـــيسُ[8]
لـــمْ تـــرى بعـــدَهُ فتـــى ضَـــاحِك الـــسّـ ـــن وَكـــلٌّ يبـــدُو لـــهُ تعبـــيسُ
فسَـــأبكيهِ أرمـــدَ العَـــين حتـــى لشَـــقَائى يَعـــيشُ جَـــالينُوسُ[9]

أقول: وَكانَ الشيخ شمس الدّين ابن دانيال الحكيم شاعرًا مَاهرًا، ولهُ شعرٌ جيّدٌ، وَهوَ صَاحبُ كتاب طَيف الخيال، وكانتْ وفاتهُ في سنة عشر وسبعمائة. ومما قالهُ في حرْفته وَصناعتهِ، وهو قوله:

يـا سـائلي عـنْ حِرفتـي فـي الـورى وضـــيعتي فـــيهم وإفلاســـي
مَـــا حـــال مـــنْ درهـــم إنفاقـــهُ يَأخـــذهُ مِـــنْ أعـــين النـــاس[10]

وَلما وقف الشيخ إبراهيم بن المعمار عَلى قصيدة الشيخ شمس الدّين ابن دانيال، فقالَ في المعنى هذا الزجل اللطيف منهُ:

مَنَعُونَـــا مَـــاءَ العِنَـــبْ يَـــا أسَّـــينْ رَبّ ســـلّمْ لَا يَمنعُونَـــا التِـــينْ[11]
هَـــاك[12] قَـــلْ لـــي إذَا مُنعَنَـــا الـــرَاحْ وَحُرمنَـــا مِـــنَ الوجُـــوهِ الصِـــبَاحْ

---

[1] القحاب: جمع قحبة وهي البغي المتكسبة بالفجور. خيال الظل ١٥٣ هامش ٣.
[2] الخندريس: الخمر. خيال الظل ١٥٣ هامش ٤.
[3] خيال الظل ١٥٢: "سكركتى" ومعنها: شراب مسكر يصنع من طحين الذرة والشعير. خيال الظل ١٥٢ هامش ١.
[4] المزراق: الرمح القصير. خيال الظل ١٥٢ هامش ٢.
[5] خيال الظل ١٥٢: "نهبوهن".
[6] خريطتي: حافظة نقودي. خيال الظل ١٥٢ هامش ٣.
[7] خيال الظل ١٥٣: "خذن".
[8] خيال الظل ١٥٣: "وجليس".
[9] بحر الرجز؛ جاءت هذه الأبيات في بدائع الزهور ٣٢٧-٣٢٨/١/١. خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال صـ١٥٠- ١٥٤. (جاءت على غير هذا الترتيب).
[10] بحر السريع؛ البيتان لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور. وذكرهما ابن شاكر في ترجمة ابن دانيال (انظر: فوات الوفيات ٣٣٣/٣؛ الوافي بالوفيات ٤٤/٣؛ خزانة الأدب، ابن حجة، ٦٤/٢).
[11] البيت هكذا في ديوان ابن العطار ق٣٧/ب: "منعونا ما العنب يا السّين - الله يكفي لا يمنعونا التين".
[12] في المصدر السابق: "هات".

بَـــيش بَقِينَــــا[1] نُســــتَجلب الأَفْــــرَاحْ وَالخَلِيــع كيــف نــرَاه يَعــيش مســكِينْ
علــى مَــاء[2] العنــب بَكــا الــراووقْ والشُــميّع[3] صَـــار بعَبرَتُـــوا مخْنُـــوقْ
وَالـــوتر بَــات مِـــنَ الغــرُوبِ لِلشــرُوقْ مِـنْ أَنينُـو تسـمع لُـو فـي اللّيـلِ حنـينْ[4]

وَهذا مَا حَسن مِنْ ايرادهِ في المعني؛ ومنْ هنا نرجع إلى أخبار الملك الظاهر بيبرس.

ثم دخلتْ سنة ست وستين وستمائة، فيها: سَافر السلطان إلى نحو بلاد الشام، وَحاصر مدينة يَافَا[5] ففتحهَا هيَ والشقيف[6]، ثم توجه إلى مدينة انطاكية[7] ففتحهَا في [١١/أ] يوم الجُمعة ثالث شهر رَمضان منَ السنةِ المذكورة ثم فتح مَدينة بُغرَاص[8].

ثم دخلت سنة سبعَ وَستين وَستمائة، فيها: رَجع السلطان منَ السفر إلى الدّيَار المصريّة، وشقَ من القاهرة، وَزينتْ لهُ.

وفيها: توجه السلطان إلى الحجاز الشريف، وَرَسمَ لنائب الشام بعمل الإقامات، وخرجَ من مصر في ثالث شوال فتوجه إلى غزة[9]، ثم توجه منْ غزة إلى الكرك[10]، ثم توجه من الكرك إلى مَدينةِ النبي ﷺ ، فزار؛ ثم توجه إلى مَكة المشرفة فدَخلها في خامس ذي الحجة، فكانتْ في تلك الوَقفة يَوم الجُمعة، وكانَ ولدَ السلطان الملك السعيد قدْ سَافر صُحبة الركب المصري، فرجعَ الملك السعيد معَ الركب المصري، ورجعَ الملك الظاهر معَ الركب الشامي.

---

(١) في بدائع الزهور ٣٢٨/١/١ وجواهر السلوك ١١٩: "نِبْقَا".
(٢) في ديوان ابن العطار ق٣٨/أ: "ماذا" ؛ وفي بدائع الزهور ٣٢٨/١/١ وجواهر السلوك ١١٩: "موت".
(٣) في ديوان ابن العطار ق٣٨/أ وبدائع الزهور ٣٢٨/١/١ وجواهر السلوك ١١٩: "الشمع".
(٤) من الزجل؛ الأبيات في ديوان ابن العطار ق٣٧/ب – ق٣٨/أ.
(٥) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين (معجم البلدان ٤٢٦/٥).
(٦) لعل المقصود بها شقيف أرنون التي قال عنها ياقوت (معجم البلدان ٣٥٦/٣) أنها «قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل»، انظر أيضا أبو الفدا، (تقويم البلدان، صـ ٢٤٤).
(٧) وهي في الإقليم الرابع، ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. (معجم البلدان ٢٦٦/١).
(٨) مدينة في لحف جبل اللّكّام، في البلاد المطلة على نواحي طرسوس. (معجم البلدان ٤٦٧/١).
(٩) مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. (معجم البلدان ٢٠٢/٤).
(١٠) قرية في أصل جبل لبنان. (المصدر السابق ٤٥٢/٤).

ثم دخلت سنةِ ثمان وستين وستمائة، فيها: رجعَ السلطان إلى الديار المصريّة بعدَ أن زارَ القُدس وَالخليل عليه السلام ثانيًا.

وفي سنة تسع وستين: أرسل صَاحب طرَابلس للسُلطان هَدَايَا جليلة وَأظهرَ الطاعة للسُلطان.

وفي سنةِ سبعين وَستمائة: بَلغَ السلطان حَركة التتار، وأنهم واصلون، فخرجَ إليهم السلطان بنفسهِ، ثم أقام بدمشق إلى أنْ دخلت سنةِ إحدى وسبعين.

ففيهَا: بلغهُ أنَ التتَار وَصَلُوا إلى البيرة[١]، فتوجه من الشام إلى الفُراتِ، وكانَ معهُ مِنَ الأمراء، الأمير قلاون الألفي، والأمير بيسري، وَجماعة من الأمراء؛ فكسبوا التتار على حين غفلهٍ، فقتلوا منهم خلقًا كثيرة، وَأسروا الذي بقى.

ثم دخلَ السلطان إلى البيرة، وأخلعَ على من بهَا من الأعيانِ، وفرّق على الرعيةِ [١١/ب] جُملة منَ المالِ، ورَجعَ إلى الدّيَار المصرية، وَهوَ في غاية النصر.

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وستمائة، فيها: هَجمَ الوبَاء بالدّيار المصريّة، ومَاتَ فيه خلق كثير منَ النساءِ والأطفالِ وَالجوارِ وَالعبيدِ[٢].

وفي هذه السنةِ: توفى الشيخ عبد العظيم أبي الحُسين بن الجزار الشاعر، وكان من فحول الشُعراء، ولهُ شعرٌ جيدٌ، وكانَ مَولده في سنة إحدى وَستمائة، وَوَفَاتهُ في سنةِ اثنتين وسبعين وستمائة[٣]، فكانتْ مُدّة حَياته إحدى وسبعُون سنة، وعَاصر الشيخ أثير الدّين أبو حيان المغربي، والشيخ قُطب الدّين القسطلاني، وغيرهم منَ العُلماءِ والفضلاءِ، ومن شعرهِ الرقيق لنفسهِ وَهوَ قولهُ في المُعاشرةِ للناسِ، هذهِ الأبيَاتِ:

مَنْ مُنْصِفى مِنْ مَعشَرٍ ... كَثُروا عَليَّ وَأكثَرُوا
صَادِقتهُمْ وَأرى الخرُوجَ مِنَ الصِّدَاقةِ يَعسُرُ

---

(١) بين بيت المقدس ونابلس، خرّبها الملك الناصر حين استنقذها من الإفرنج. (معجم البلدان ٥٢٦/١).

(٢) ورد الخبر في بدائع الزهور ٣٣٣/١/١: في أحداث سنة ٦٧١هـ؛ وفي جواهر السلوك ١٢٢: أحداث سنة ٦٧٢هـ.

(٣) وفاته في فوات الوفيات ٢٧٧/٤ وذيل مرآة الزمان ٦١/٤ والبداية والنهاية ٥٦٩/١٧: ت: في شوال ٦٧٩هـ

كـالخطِّ يُسـهل فـي الطّـرُو سِ وَمَحـوهُ يتعـذرُ
وَإذَا أَرَدتُ كَشَـطهُ[1] لكـنَّ ذَاك يُـوئِرُ[2]

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة، فيها: زوج السلطان وَلدهُ الملك السعيد محمد بابنه الأمير سيف الدين قلاون الألفي.

وفي سنة أربع وسبعين، فيها: جرد السلطان العسَاكر إلى بلدِ النوبة، وَذلك أنَ ملك النُوبة تجرًّا وحضرَ إلى الأعمال القُوصيّة[3] وإلى أسوان فأحرقهَا؛ فلما بلغ السلطان ذلك فعيّن لهُ تجريدة، وكانَ بهَا منَ الأمراء، الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم أمير جَاندَار، وجَماعة من العسكر، فتلاقوا هم وملك النُوبة على أسوان فانكسر ملك النُوبة وَقتل منهُ جماعة كثيرة، ومَا سلم منهم إلا القليل، ومُسك أخو ملك النُوبة وأولادهُ وأخته [١٢/أ] وأَقاربه، وهَربَ ونجى بنفسهِ.

ثم دخلتْ سنةِ خمس وسبعين وستمائة، فيها: دخل الملك السّعيد على بنتِ الأمير قلاون الألفي، وكانَ لهُ مهمّ عظيم[4].

وفيهَا: سَافر السلطان إلى دمشق، ثم توَّجه إلى حلب، ثم إلى الدَربندْ[5] فمهَّدَ البلاد من فتن التتار، وقتل منهم خلقًا كثيرة، نحو خمسة آلاف منَ التتار.

ثم إنَ أهلَ قيسَارية[6] أرسلوا يطلبُون منَ السلطان أمَان، فأرسلَ لهم السلطان أمَان، ثم إن السلطان دَخلَ إلى قيسَارية، وكانَ يَوم دُخُولهُ إليها يَومًا مشهُودًا، ونزل بدار السلطنة وَصلى بها الجُمعة، ثم حصلَ بينهُ وبين أبغَا ملك التتَار وقعة عظيمة على الْأَبُلُسْتَيْنِ[7]، فقتلَ منَ الفريقين فَوقَ المائة ألف إنسَان.

---

[1] في بدائع الزهور ٣٣٤/١/١ وذيل مرآة الزمان ٤٠٢/٧ والفلاكة والمفلوكون صـ١٣٤: "كشطته".

[2] من مجزوء الكامل.

[3] وهي بلدة كبيرة بها جامع ومدرستان وحمام وأسواق. وهى اليوم تتبع مركز منفلوط بمحافظة أسيوط. (الانتصار ٥٨/٢. القاموس الجغرافي ٧٥/٤/٢- ٧٦).

[4] سبق وجاء الخبر في أحداث سنة ٦٧٣هـ؛ وفي جواهر السلوك ١٢٣: في أحداث سنة ٦٧٥هـ.

[5] المنافذ والممرات الجبلية في جنوب شرق آسيا الصغرى، بينها وبين بلاد الشام، وهى غير الدربند أو باب الأبواب على بحر طبرستان. (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ١٥٧/٢ هامش ٣).

[6] بلد على ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. (معجم البلدان ٤٢١/٤).

[7] هي مدينة مشهورة ببلاد الروم. (المصدر السابق ٧٥/١)؛ وهي اليوم تعرف البستان مدينة قديمة في محافظة مرعش في تركيا.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة، فيها: توعك جسد السلطان الملك الظاهر بيبرس، فرجع إلى دمشق، وثقل في المرض فأسقوهُ الحُكماء دَواء مُسهل، فأفرط في الإسهَال، وقويتْ عليه الحُمى، وسلسل في المرض أيامًا، ثم مَاتَ في يوم الخميس ثَامنْ عشرين المحرم سنةِ ست وسبعين وستمائة ومَاتَ وَلهُ مِنَ العُمرِ نحو ستين سنة(١).

وكأنَ ملكًا جليلًا خفيف الرِكاب، مشهُورًا بالفروسيّة، والإقدَام في الحرب، وَالثبَات عندَ التقاء الخُصُوم، وكانَ كريمًا، سخيًا، حسن الوجه، طويل القَامة، مليح اللحيّة، مُهابًا في مَوكبِهِ، ولكنهُ كانَ مُحبًا لجمع الأموال، كثير المُصادرَات للرعيّة لأجل التجاريد وَالأسفار.

ولما مَاتَ رَثاهُ القَاضي مُحيى الدّين ابن عَبد الظاهر(٢) كاتب السّر الشريف، بهذهِ الأبيَاتِ اللطيفة:

اللهُ أكبرُ إنهَا لمُصيبةٍ	**منهَا الروَاسى خيفة تتَقَلقَلُ**
لهَفِى عَلى الملكِ الذي كانتْ بِهِ	**الدنيَا تَطيبُ فكَلِّ قفرٍ مَنزلُ [١٢/ب]**
الظاهِر السُلطَان مَنْ كانتْ لهُ	**مِننَ عَلى كَلِ الورَى وَتَطولُ**
لهَفِى عَلى آرائهِ تلك التى	**مثل السِهَام إلى المصَالحِ تَرسِلُ**
لهَفِى عَلى تلكِ العزَائم كيفَ قدْ	**غفلتْ وكانتْ قبَلَ ذا لَا تَغفلُ**
مَا لِلرمَاحِ تخوّلتَهَا رَعدَة	**لكنهَا إذ ليسَ تَعقِلَ تعْقلُ**
سَهمٌ أصَابَ وَمَا رُئى من قبلهِ	**سهمٌ لهُ في كلِّ قلبٍ مَقتَلُ**
أنَا إنْ بكيتَ فإنَ عُذرِي وَاضحٌ	**وَلئن صبرَتَ فإننى أتمثلُ**
خَلفَ السّعيد لنَا الشهيد فأدمعٍ	**مُنهلة في أوْجهٍ تتهَلَلُ(٣)**

ولما مَاتَ الملك الظاهر خلف من الأولاد ثلاثة ذكور وهم: الملك السّعيد محمد، والملك العَادل سلامش، وسيدى خضر، ولكنه لم يتسلطن؛ وخلف من البنات سبعة.

---

(١) وفي بدائع الزهور ٣٣٨/١/١: "وعاش من العمر نحو اثنتين وستين سنة"؛ في السلوك ٦٣٦/٢/١: "وقد تجاوز الخمسين سنة" و "وفاته الخميس سابع عشرى المحرم".

(٢) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي محيى الدين قاضى أديب مؤرخ من أهل مصر، ت ٦٩٢هـ، وله "الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة" نقل عن المقريزي كثيرًا من خططه، و"سيرة الظاهر بيبرس" نظمًا و"الألطاف الخفية" وغير ذلك. (انظر: فوات الوفيات ١٧٩/٢- ١٩١. الروضة البهية، مقدمة المحقق، صـ١٠- ١٨).

(٣) بحر الكامل؛ الأبيات في: كنز الدرر وجامع الغرر ٢١٥/٨. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ١٨٣/٢. تاريخ ابن الفرات ٩٠/٧- ٩٢.

وكانتْ مّدة سلطنته بالدّيَار المصريّة والبلاد الشاميّة سبع عشرة سنة وشهرين وَنصف.

وأمَا فتوحاته التي فتحها في أيَامهِ فهي: قيساريّة، وأرسُوف[1]، وصفد، وطبريّة[2]، ويافا، والشقيف، وأنطاكية، وَبغراص، والقُصير[3]، وحصن الأكراد[4]، والقرين[5]، وحصن عكار[6]، وصافيثا[7]، ومرقبة[8]، وحلباء[9]، وبانياس[10]، وأنطرسُوس[11]، وكانتْ هذه البلاد بأيدى الفرنج.

ثم أخذ مدينة سيس بالأمان، ودركوش[12]، وتلميش[13]، وكفردنين[14]،

---

[1] مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. (معجم البلدان ١٥١/١).

[2] وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطلّ عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور (انظر: المصدر السابق ١٧/٤).

[3] قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن. (نفسه ٣٦٧/٤).

[4] هو حصن منيع حصين على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، وهو بين بعلبك وحمص. (نفسه ٢٦٤/٢).

[5] حصن من حصون الأرمن، وكان لطائفة يقال لهم الاسبتار، وهو من أمنع الحصون على صفد. (نهاية الأرب ٣٠/ ٣٣٢).

[6] وهي قلعة على مرحلة من طرابلس في جهة الشرق، بوسط جبل لبنان في واد، والجبل محيط بها. (صبح الأعشى ٤/ ١٤٤).

[7] بلدة وحصن في جبال العلويين بسورية. (تاريخ البرزالي المقتفي لتاريخ أبي شامة ٥٦/٣ هامش ٢).

[8] مدينة مرقبة على ساحل البحر. (خطط الشام، كرد علي، ٢٢٢/١).

[9] منطقة منبسطة مملوءة بالقرى والسكان والمزارع. (موسوعة القبائل العربية، محمد سليمان الطيب، ٣٢٦/١٠).

[10] من أعمال منطقة الجولان، وتقع بالقرب من الحدود الفلسطينية على مسيرة ٢٥ كم للشمال الغربي من القنيطرة عاصمة المنطقة، وينبع منها نهر الأردن، وهي أقصى الينابيع شرقًا، وكانت تسمى قديمًا مدينة بان على اسم أحد آلهة اليونان، ومنه اشتق الاسم الحديث. (موسوعة بلادنا فلسطين، مصطفي مراد الدباغ، ٦٣/١- ٦٤).

[11] بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص. (معجم البلدان ١/ ٢٧٠).

[12] حصن قرب أنطاكية من أعمال العواصم. (معجم البلدان ٤٥٢/٢).

[13] حصن قرب أنطاكية. (انظر: نهاية الأرب ٣١٠/٣٠).

[14] لم ترد في بدائع الزهور؛ وهو حصن قرب أنطاكية. (انظر: المصدر السابق٣١٠/٣٠).

ورعبان[1]، ومرزبان[2]، وكينوك[3]، وأدنة[4]، والمصيصة[5].

والذي صَار إليه من أيدى المُسلمين وَهي دمشق، وبعلبك[6]، وقلعة الصبيبة[7]، وقلعة شيزر[8]، وعجلون[9]، وبُصري[10]، وصرخد[11]، وَالصلت[12]، وحمص، وتدمُر[13]، والرحبة[14]، وتل بَاشر[15]، وصَهْيُون[16]، وقلعة الكهف[17]، والقدموس[18]، والخوابي[19]، والكرك، والشوبك[20].

---

[1] مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم، وهي قلعة تحت جبل. (معجم البلدان ٥١/٣).

[2] مدينة بالثغور بين عين تاب ورعبان. (انظر: المختصر في أخبار البشر ٧٥/٤).

[3] وهو قريب من مرعش. (عقد الجمان، تاريخ المماليك، ١١٩/٢).

[4] مدينة في الجنوب الشرقي للأناضول، على الجهة اليمنى من شاطئ نهر سيحان، تبعد عن شاطئ البحر إلى الداخل نحو ٥٠ كيلومترا، وهي شرقيّ طرسوس، تبعد عنها ٣٨ كيلومترا. (نيل الأمل في ذيل الدول، عَبْد البَاسِط المَلَطي، ١٨/٨ هامش ٥).

[5] وهي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. (معجم البلدان ١٤٤/٥- ١٤٥).

[6] مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرّخام لا نظير لها في الدنيا. (معحم البلدان ٤٥٣/١).

[7] اسم لمكان به قلعة بانياس، وهو من الحصون المنيعة. (تقوم البلدان، صـ٢٤٨).

[8] قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة. (معحم البلدان ٣٨٣/٣).

[9] حصن وربضة في جبل الغور الشرقي قبالة بيسان. (النجوم الزاهرة ٣٠٤/٦ هامش ٥).

[10] بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران. (معجم البلدان ٤٤١/١).

[11] بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. (المصدر السابق ٤٠١/٣).

[12] بليدة وقلعة من جند الأردن في جبل الغور الشرقي جنوبي عجلون. (انظر: تقويم البلدان، صـ ٢٤٥).

[13] مدينة قديمة مشهورة في برّية الشام. (معجم البلدان ١٧/٢).

[14] قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجّاج إذا أرادوا مكّة. (معجم البلدان ٣٣/٣).

[15] قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب. (المصدر السابق، ٤٠/٢).

[16] حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه ليس بمشرف على البحر، وهي قلعة حصينة مكينة في طرف جبل. (نفسه ٤٣٦/٣).

[17] حصن «الكف» بغير هاء. قلعة بالقرب من القدموس على نحو ساعة. (صبح الأعشى ١٤٧/٤).

[18] وهي قلعة بالقرب من الخوابي. (المصدر السابق ١٤٧/٤).

[19] في جبل نهران. (خطط الشام ٢٢٢/١).

[20] قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمّان وأيلة والقلزم قرب الكرك. (معجم البلدان ٣٧٠/٣).

وفتح في أيَامِهِ بلاد النُوبة، وأعمالها، وفتح عِدة بلاد من بلادِ السُودان، وفتح قلعة العميدين[١] مِن أعمال برقة، وفتح عدّة جزائر من أعلا [١٣/أ] الجنَادل[٢].

وأمَا الذي أنشأه في أيَامِ منَ العمَائر، فمنها: أنهُ عمرَّ الحرم الشريف النبوي، وَعمرَّ قبة الصّخرة بالقُدس الشريف، وزادَ في أوْقاف الخليل عليه السلام، وعمَّر قنَاطر شبرَا منت[٣] بالجيزة، وَعمرَّ أسوَار مدينة الإسكندرية، وَعمرَّ منار ثغر رشيد، وَرَدَمَ فم بحر دميَاط بالقرابيص[٤]حتى لا تدخلهُ مَراكب الفرنج، وَعمرَّ الشوَاني وإعَادتها لما كانتْ عليه بالصنَاعة، وحفر بحر أشمُوم طناح[٥]، وَعمرَّ القلاع التي أخربهَا هُلاكوا، وَعمرَّ المدرسة التي بين القصرين التي إلى جَانب المدرسة الصَالحيّة النجميّة، وَعمرَّ الجَامع الكبير الذي بالحُسينّية، وَعمرَّ خَان بالقُدس الشريف، وحفر خليج الإسكندرية وَباشرهُ بنفسهِ، وَجدّدَ عَمارة المنار بالإسكندرية، وجدّدَ عَمارة جَامع الأزهر وَأعاد فيهِ الخُطبة بعدّ مَا أقامَ وَهوَ خَرابٌ منْ أيَام الحَاكم بأمر اللهِ، وَعمرَّ بلدًا بالشرقية عند العبَاسة وَسَماهَا الظاهرية[٦]، وعمرَّ القصر الأَبلق بدمشق، ولهُ أثار كثيرة غير ذلك.

وَهوَ الذي رتَّبَ خيل البريد، بسبب سُرعةِ أخبَار البلادِ الشاميّة، حتى قيلَ: "كانَ الخبر يَصِل من البلادِ الشَاميّةِ إلى قلعة الجبَل في أَربعةِ أيَام ويعود في مثلهَا"، فكانتْ أخبَار البلاد الشاميّة ترد عليه في الجُمعة مرَّتين، وقيلَ: "أنهُ أنفقَ عَلى ذلك مَالًا عظيمًا حتى تم لهُ تَرتيب ذلك".

وَكانَ مُبتدأ هذَا الأمر في سنة تسع وَخمسين وستمائة، وَمَا زَالَ أمر البريد مُستمرًا بين القَاهرة ودمشق إلى أيَام الملك النَاصر فرج بن برقُوق، فلما جرى لهُ مع تمرلنك مَا جرى وَخُربتْ البلاد الشامّية في هذهِ الحركة، فبطل أَمر خيل

---

[١] هي آخر الحدود الغربية للديار المصرية. (انظر: التعريف بالمصطلح الشريف صـ٢١٨).

[٢] جمع جندل، وهي الحجارة: موضع فوق أسوان بثلاثة أميال في أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة. (معجم البلدان ١٦٦/٢. الانتصار ٩٢/٢).

[٣] هي من القرى القديمة من أعمال الجيزية. (القاموس الجغرافي ١٥/٣/٢).

[٤] هي الحجارة ومفردها قرباص، ويظهر أن أصل اللفظ يوناني:
Dozy: Supp. Dict. Ar. V. 2 P. 323.

[٥] وهي قرب دمياط، وهي مدينة الدّقهلية، وهي مدينة ذات حمامات وأسواق وجامع وفنادق، وهي على خليج النيل الشرقي، وهي اليوم من قرى مركز دكرنس (انظر: معجم البلدان ٢٠٠/١. الانتصار ١٧٨/٢. القاموس الجغرافي ٢٢٩/١/٢).

[٦] هي من القرى القديمة أنشأها الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٦هـ، وهي الآن تابعة لمركز أبي حماد بالشرقية. (انظر القاموس الجغرافي ٦٨/٢/١- ٦٩).

البريد من يومئذ مَع جُملةِ مَا بطلَ منْ شِعَار المملكة، وكان إبطالهِ في سنةِ ثلاث وَثمانمائة.

وَكانَ خيل البريد عَبارة عن مرَاكز بين القاهرة ودَمشق، في كلّ مركز عدّةِ خُيول تُعرف بخيل البريد، وعندَهَا رجَالٌ [١٣/ب] يُعَرفُون بالسوَّاقين، وَلا يقدر أحدٌ يركب من خيُول البريد، إلا بمرسُوم سُلطاني؛ وكانَ عند كلّ مركز مَا يحتاج إليه المُسافر مِنْ زادٍ وَعلفٍ وَغير ذلك، وهذا كلهُ لأجل سُرعة مجيء الأخبار من البلادِ الشاميّة إلى القاهرة بُسرعة، وفيه يَقولُ بعض الشعراء:

يومًا بمصرٍ وَيومًا بالحجاز وَيو ... مًا بالشأم وَيومًا في قَرى حَلبِ[1]

وقالَ الشيخ زين الدين ابن الوَرَدي[2] في الملك الظَاهر بيبرس:

الملك الظاهر أثارُهُ ... مُعجبة الرَاحل وَالقَاطِنِ[3]

تَأمَلوا أخبارُهُ وَانظرُوا ... مَا فعلَ الظاهر بالباطِنِ[4]

وَلمَا مَاتَ الملك الظاهر بيبرس كتم الأمير بدر الدّين بيليك مَوته عن العسكر، فأنهُ مَاتَ في بعضِ الأسفَارِ خَارجًا عنْ دمشق، فكتم مَوتهُ وحملهُ في محفةٍ إلى أنْ دخلَ إلى دمشق، فجعلهُ في تابُوتٍ وعلقه في بيتٍ وأظهر أنهُ مَريض، وَرتب حضُور الأطباء عَلى عَادتهم.

ثم أخذَ الأمير بيليك خزَائن المال، وقصدَ التوجه إلى نحو الدّيَار المصريّة، فحمل معهُ مَحفة في الموكب، وَجعل قُدامهَا الجنَائب، وَهيَ مُحترمة لا يجسر أحدٌ أنْ يقرب إليها وَلا يتفوّه بموت السلطان، واستقر الأمير عَلى ذلك إلى أنْ دخلوا إلى قلعةِ الجبل بالقاهرة، فعند ذلك أشيع مَوت السلطان.

وَقيل: أنهُ دُفنَ بدمشق، رحمة الله عليه، وَلمَا مَاتَ الملك الظاهر تولى منْ بعدهِ ابنه محمد الملك السّعيد.

---

(1) بحر البسيط؛ البيت لسيف الدولة المهمندار. (انظر: كنز الدرر ٢١٢/٨. السلوك لمعرفة دول الملوك ٩٨/٢). في بدائع الزهور ٣٣٢/١/١:

"يوما بمصر ويوما بالشام ويو ... ما بالفرات ويوما في قري حلب".

(2) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن الوردي المعري الكندي، شاعر أديب مؤرخ، ولد في معرة النعمان بسورية سنة ٦٩١هـ، ت٧٤٩هـ، ومن كتبه "ديوان الشعر" و"تتمة المختصر" وغيرها. (انظر: فوات الوفيات ١٥٧/٣- ١٦٠. النجوم الزاهرة ٢٤٠/١٠).

(3) في بدائع الزهور ٣٤١/١/١: "الملك الظاهر أخباره * تشمل للراحل والقاطن".

(4) بحر السريع.

وَمَاتَ **في أيام الملك الظاهر بيبرس** من أعيان العُلماء جَماعة كثيرة منهم: الشيخ عز الدّين ابن عبد السلام، رضي الله عنه، وَكانَ منْ أكابر عُلماءِ الشافعية وكانَ يُلقب بسُلطانِ العُلماء، وكانَ لهُ كرامَات خارقة؛ وتوفي الامام أبو شامةِ وكانَ من أكابر العُلماء؛ وتوفي القاضي تَاج الدّين ابن بنت الأعز الشافعي[(١)]؛ وَالشيخ أبو الحسن بن عدلان[(٢)]؛ والشيخ مجد الدّين ابن [١٤/أ] دقيق العيّد؛ وَالد الشيخ تقي الدّين، وَالقُرطبي صَاحب التذكرة، وَالشيخ نَاصر الدّين الطُوسي، واللوَرَقي[(٣)]، وغير ذلك منَ العُلماء وَالأعيان.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامي المصري الشافعي، وزير فقيه، له نظم حسن ولي الوزارة مع القضاة بمصر، ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعي، وتوفي كهلا سنة ٦٩٥هـ. (انظر: فوات الوفيات ١/١٠٦- ١٠٧).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن عدلان شيخ الشافعية، ولد سنة ٦٣٣هـ، ومات سنة ٧٤٩هـ. (انظر: أعيان العصر ٤/٢٩٧).

(٣) هو القاسم بن أحمد بن الموفق الأندلسي المرسي اللورقي، من علماء العربية بالأندلس، ت ٦٦١هـ، له "شرح المفصل" و "شرح الشاطبية" وغير ذلك. (نفح الطيب، ٢/١٣٧).

ذكر

سلطنة الملك السّعيد أبي المعَالي محمد بركة خانْ

ابن الملك الظاهر بيبرس البُندقدَاري الصَالحي النجمي[1]

وَهوَ الخَامسُ من مُلُوك التُرك وَأوْلَادِهمْ بالدّيَارِ المصريّة، وَإنمَا سُمي بركة خَان على اسم جدهِ لأبيهِ، وَكانَ مَولده في شهر صفر سنةِ ثمان وخمسين وستمائة.

فلما جَلسَ على سرير الملك بعد أبيهِ، فكانَ القَائم بتدبير دَولته الأمير بدر الدّين بيليك الخَازندَار نائب السلطنة، فحلفَ لهُ الأمراء، وَتمَ أمرهُ في السّلطنةِ، فأقامَ مَاشيًا عَلى نظام وَالدِهِ مُدّة يَسيرة.

ثم إنَ الأمير بيليك توفي في أوائل دَولةِ الملك السعيد، وكانَ الأمير بيليك رَجلًا جيدًا صالحًا دَينًا، كثير البّر وَالصدَقَات، أقامَ نائبًا بمصر مُدة أيَام الملك الظاهر بيبرسِ، وَمُدّة يَسيرة منْ أيَام وَلدِهِ الملك السّعيد.

وَلمَا مَات حزنُوا عليه النَاس حُزنًا شديدًا، وَاضطربت أحوال دَوَلة الملك السعيد بعدَهُ وَطاش فمسك جَماعة منْ أمراء وَالده منهم: الأمير سُنقر الأشقر، والأمير بيسري وكانَا جناحَا والده، ثم إنهُ أفرج عنهما[2]، ثم استقر بالأمير آقسُنقر الفَارِقاني نائب السلطنة عُوضًا عن الأمير بيليك الخَازَندَار، فأقام مُدة يَسيرة، ثم قبضَ عليه وَسجنه، ثم أرسل بخنقهِ وَهوَ في السجن فخنقهُ، ثم استقر بالأمير كَوُنْدَك نائب السلطنة.

ثمُ دخلت سنةِ سبع وسبعين وستمائة، فيها: سَافر الملك السعيد محمد إلى نحو الشَام، ونزلَ بالقصرِ الأبلق الذي أنشأه وَالده بدمشق، ثم صَارَ يَأخذ في أسبَابِ إبعَادِ أمرَاء أبيه، وقصد يمسك جَماعة منهُمْ.

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٣٤٢- ٣٤٦؛ جواهر السلوك ١٢٥- ١٢٧.

(٢) خبر الإفراج عنهما لم يرد في بدائع الزهور وحواهر السلوك.

فلما بلغَ الأمراء ذلك خرجُوا من دمشق، وأقامُوا بالمرج[1]، ثُمَ إنهُمْ رحلُوا عَنِ المرج، ونزلُوا بالجسُورَة[2] وَقدْ [١٤/ب] أَظهرُوا الخلَاف وَالعصيَان عَلى الملك السّعيد، فلمَا بلغهُ ذلك فأرسلَ إليهم الأمير سُنقر الأشقر، فلاطفهُمْ فأبُوا الصُلح.

فلمَا عَاد الجوَاب بذلك فركبتْ خوند وَالدة الملك السعيد، وكانتْ سَافرتْ معهُ إلى الشَام، فلمَا جرى هذَا الخُلف بين الأمراء وبين ابنهَا الملك السّعيد فركبتْ وتوجهتْ إلى الأمراءِ بنفسهَا، وكان الأمراء نازلين بمكانٍ يُقالُ لهُ الكسوَة[3] بالقربِ من دمشق، فلمَا اجتمعتْ بهمْ مشتْ بينهُم وَبين ابنهَا في أَمرِ الصُلح فأبُوا منْ ذلك فرجعتْ وَالمجلس مَانع.

ثم إنَ الأمراء رحلُوا وقصدُوا التوّجه إلى نحو الدّيَار المصريّة، ثم إن السلطان الملك السعيد رَحلَ أيضًا من دمشق، وَقصدَ التوّجه إلى مصر وجمعَ معهُ جمًا كثيرًا منْ عسكر الشَام ومنْ عُربان نابلس، ونفق[4] عليهم الأموال، وَصلَ إلى غزة، فصَار أكثر العُربَان يتسحبُون منْ عندهِ وكذلك عسكر دمشق وَجماعة منَ النُواب، وَلمْ يبق معَ السلطان الملك السّعيد إلا مماليكه خَاصّة وَمنَ الأمراء سُنقر الأشقر.

فلمَا وَصلَ إلى المطرية[5] فبلغَ الأمراء الذين بمصر مجيء السلطان فركبُوا وَخرجُوا إليه عَلى حميّة، وَكانَ في ذلك اليَوم ضبَاب عَظيم، وهذا منْ لِطف الله بالمُسلمين فسترَ اللهُ عَلى الملك السّعيد حتى طلعَ إلى القلعةِ ونجى بنفسهِ.

فلما بلغَ الأمراء طلوع السلطان إلى القلعةِ فرَجعُوا منَ المطرية، وَحَاصرُوهُ وَهوَ في القلعةِ ثم إن المماليك السُلطانيةِ صَارُوا يتسحبُونَ مِنَ القلعةِ وينزلُون إلى الأمراء واستمر الحرب ثائر بينهُمْ سبعةِ أيَّام.

---

(١) في بدائع الزهور ٣٤٤/١/١: "المرج الأصفر"؛ وفي النجوم الزاهرة ٢٦٦/٧: "مرج الصفر"؛ وموضعها بين دمشق والجولان صحراء. (معجم البلدان ٤١٣/٣).

(٢) بظاهر دمشق (انظر: نزهة الممالك والمملوك، صـ١٢٦).

(٣) قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. (معجم البلدان ٤٦١/٤).

(٤) كذا في الأصل. والصواب "أنفق".

(٥) من قرى مصر بمحافظة القاهرة، عندها الموضع الذي به شجر البلسان الذي يستخرج منه الدّهن فيها والخاصيّة في البئر، يقال إن المسيح اغتسل فيها. (انظر: المصدر السابق ١٤٩/٥؛ القاموس الجغرافي ١١/٢/١).

فعند ذلك أَرسل الخليفة إلى الأمراء يقولُ لهُم: "إيش أخر هذَا الحَال، وَمَا قصدكم"، فقالُوا: "قصدنا يخلع نفسهُ مِنَ الملكِ ونرسلهُ إلى الكرك من [١٥/أ] غير سجنٍ".

فعندَ ذلك اجتمعَ الخليفة بالسُلطان وذكر لهُ ذلك، فأجابَ إلى الخُلع وَنزلَ منَ القلعةِ، وحضرَ الخليفة وَالقُضاة الأربعة، وَشهدُوا عليه بالخُلع، وَأرسلُوهُ إلى الكرك من وَقته، وكان المُتسفر عليه الأمير بيدَغَان الرُكني المعروف بسُمِ الموت، فسَارَ بهِ إلى الكرك، وَذلك في رَبيع الأول سنةِ ثمان وسبعين وستمائة.

فكانت مُدّة سلطنة الملك السعيد بالدّيَارِ المصريّة سنتين وَشهر وَأيَام.

ثم إنهُ أقَام في الكرك إلى أوائل ذي القعدَة من السنةِ المذكورة، فَلعبَ بالأكرة[1] في ميدان الكرك فتقنطرَ بهِ مِنَ الفرس، فمات بعد أيام وكانت وفاتهُ في حادى عشر ذي القعدة من السنة المذكورة، وَدُفنَ هُناك مُدّة، ثُم نُقلَ إلى دمشقٍ، وَدُفنَ عَلى وَالدهِ الملك الظاهر بيبرس.

وَكانَ الملك السعيد مَلكًا جليلًا كريمًا سخيًا، كثير العدل في الرّعيّة، وَلمَا خُلعَ الملك السعيد تولى منْ بَعدهِ أخيه الملك العَادلَ سلامش.

---

[1] لعبة الأكرة: وهي مزيج من رياضتي الفروسية والجولف، يقوم فيها الفارس من على ظهر الخيل بتحريك الكرة بالمضرب ومحاولة إسقاطها في الحفر المخصصة لها، تسمى اليوم بالبولو.

ذكر

سلطنة الملك العادل سيف الدّين سَلامُش

ابن الملك الظَّاهر بيبرس الصَالحي البُندقدَاري[(١)]

وَهوَ السَادسُ من مُلوك التُرك وأولادهم بالدّيَارِ المصريّة؛ وَكانَ يُعرف بابن البدوَيّة؛ تسلطن بعدَ خلع أخيه الملك السعيد، وَكانَ لهُ منَ العُمر يومئذ سبع سنين ونصف[(٢)]، وكانَ جلوسه على سرير الملك في شهرِ رَبيع الأول سنةِ ثمان وسبعين وستمائة.

وَكانَ القائم بتدبير مُلكهِ المقر الأتابكي قلاون الألفي، فصَارَ يُخطب لهُ وَللعَادلِ سَلامُش عَلى المنَابر، وضُربتْ السكة باسمهِ وَاسم العَادل سلامُش، ولم يكن للعَادل سَلامُش في السلطنة إلا مُجرّد الاسم فقط، وَالأمر كلهُ لقلَاون.

وكانَ الأمير بَيسري يُشارك قلاون في أُمورِ السلطنة، لكنهُ كانَ مُغرمًا بحبِّ [١٥/ب] الصّيد وَالخُروج إلى السرحَات، وَكانَ الأتابكي قلَاون ضَابط أمور المملكة، وَهوَ يُمهدُ لنفسه في البَاطن، وَأخذ في أسبَابِ تقريب المماليك البحريّة، وَأعطاهم الإقطاعَات السنيّة، وأرسل بعزلِ النُواب عن البلَاد الشاميّة، وَوَلى فيها منّ يَثِقَ بهِ، ثم أَخَذَ في أسبَاب القبضِ عَلى أعيان المماليك الظاهرية.

فلمَا بلغَ مَقصُودهُ وَاستحكم أمره خلعَ الملك العَادل سَلامُش منَ السلطنةِ، أَرسلهُ إلى الكرك ومعهُ أخوهُ سيدي خضر، فأقامُوا في الكركِ إلى أيَام الملك الأشرف خليل بن قلَاون فتخيل منهُما فأخرجهُما من الكرك وَأمُهَاتهُما مَعهُما، وأرسلهُما إلى ثغر الإسكندرية صُحبَة الأمير عز الدّين أيبك المُوصلي أسُتادَار العَالية، ثم أرسلهُما منَ البحر المالح إلى القسطنطينية، فلما وصَلوا إليها أحسن إليهم الأشكُري صَاحب القسطنطينية، وأجرى عَليهما مَا يقوم بهما منَ النفقة.

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ٣٤٦/١/١- ٣٤٧؛ جواهر السلوك ١٢٧- ١٢٨.

(٢) في النجوم الزاهرة ٢٨٦/٧: سبع سنين؛ وفي السلوك ٦٥٦/٢/١: "وأشهر".

فأمَا سَلامُش فأنهُ أدركتهُ المنية، فماتَ هُناك فصبّرتهُ أمُهُ، وَصيّرَتهُ في تَابُوتٍ[١] إلى أنْ اتفق عودَهَا إلى مصر، فحملتهُ مَعهَا إلى الدّيَارِ المصريّة فدُفنَ بهَا.

وكانَ سلامُش المذكور شابًا مليحًا في شكله ظريفًا في هَيئتهِ، ومَاتَ ولهُ من العُمر اثنتين وعشرين سنة[٢].

وكانت مُدّة سلطنتهُ بالدّيَارِ المصريّة نحو خمسةِ أشهر[٣]، وهوَ عبَارة عنْ آلةٍ، والأمر كلهُ إلى قلَاون، ولما خُلع سَلَامُش من السلطنةِ تولى بَعدهُ قلاون.

---

[١] في الأصل "تابوب".

[٢] في النجوم الزاهرة ٢٨٩/٧: "مات وله من العمر قريب من عشرين سنة".

[٣] في السلوك ٦٥٨/٢/١: "مدة ملكه مائة يوم"؛ وفي النجوم الزاهرة ٢٨٨/٧: "ثلاثة أشهر وستة أيام".

ذكر

سلطنة الملك المنصُور سيف الدّين

أبي المعَالي قلاوُن الألفي الصَالحي النجمي[1]

وَهوَ السَابعُ منْ مُلُوك التُرك وَأوْلَادِهمْ بالدّيَارِ المصريّة؛ تسلطن بعدَ خلع الملك العَادل سَلامُش ابن الملك الظاهر بيبرس، وتلقبَ بالملك المنصُور [١٦/أ] وكانَ جُلوسه عَلى سرير الملك في يوم الأحد ثاني عشرين شهر رَجب سنةِ ثمان وسبعين وَستمائة[2].

وكانَ أصلهُ من مماليك الأمير آقسُنقر الكاملي[3]، ثم انتقل إلى مُلك الملكِ الصَالح نجم الدّين أيُوب، فأعتقهُ في أثناء سنةِ سبع وَأربعين وستمائة.

وَلمَا تمَّ أَمر المنصُور قلاون في السلطنةِ أمَّر جَماعةِ كثيرة منْ مماليكهِ القُدَماء، وَهم: طُرنطاي، وَكتبُغَا، وَلاجين، وَالشُجاعي، وَأيبك الخَازندَار، وَطقصُوا، وَطُغريل الايغَاني، وَقفجق، وَبَلبَان الطبَاخي، وَآقوش المُوصلي، وَسُنقر جركس، وأزدمر العلائي، وَقُلجقْ، وَأيدمر الطبَاخي، وَقيرَان الشهابي، وَمحمد الكوراني، وَإبراهيم الجَاكي[4].

ثم أمرَ بالإفرَاج عن الأمير أيبك الأفرم واستقر به نَائب السلطنة، فأقام بهَا مُدّة يَسيرة، ثم استعفى من ذلك، فأعفاهُ السلطان، وَاستناب مملوكه طُرنطاي.

وَولى الأمير سُنقر الأشقر نيابة دمشق، فلما دخلَ إلى دمشق عصى بهَا، وَتسلطن هُناك، وَتلقبَ بالملك الكامل؛ فأقام على ذلك مُدّة يَسيرة، ثم أضمحل أَمرهُ عنْ ذلك، وَهربَ إلى صهيون.

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٣٤٧/١/١- ٣٦٤؛ جواهر السلوك ١٢٨- ١٣٤.

[2] "٢٠ رجب" في السلوك ٦٦٣/٣/١؛ "٢١ رجب" في النجوم الزاهرة ٢٩٢/٧.

[3] ذكر المقريزي أن هذا الأمير من مماليك الملك العادل أبي بكر بن أيوب، لذلك لقب بالعادلي. (انظر: السلوك ٦٦٣/٣/١)؛ وفي النجوم الزاهرة ٣٢٦/٧: "الأمير آق سُنقُر الكاملي".

[4] أورد ابن إياس هنا أسماء أكثر مما ورد في بدائع الزهور. (راجع: بدائع الزهور ٣٤٨/١/١).

ثم دخلتْ سنة تسع وَسبعين وستمائة، فيها: جاءت الأخبار بأن أبغَا مَلك التتَار جهز عسَاكر عظيمة، وَصُحبتهمْ أخوهُ منكوتمر، فلما بلغَ السلطان الملك المنصُور قلَاون ذلك تجهّزَ، وخرجَ إليه بنفسهِ، فجاءتْ إليه الأخبار في أثناء الطريق بأنْ التتَار مَلكُوا حَلب وَنهبُوهَا وأحرقُوا الجَامع، وَقتلُوا منها جَماعة ثم رَجعُوا إلى بلَادهم لما بلغهُم مجيء السُلطان.

فلما جاءت الأخبار بذلك، وكانَ السلطان قدْ وصل إلى غزة؛ فرجعَ إلى الدّيَارِ المصريّة، فلما بلغَ التتَار رجُوع السلطان رَجعُوا إلى [١٦/ب] البلاد، وَأخذوا في أسبَاب الفسَاد، فخرجَ إليهم السلطان ثَانيًا، فتلاقى مع عسكر التتَار على المرج، وذلك في يوم الخميس رابع عشر رجب سنةِ ثمانين وستمائة، فوقعَ بينهُما هُناكَ وَقعة عظيمة، وقُتلَ منَ الفريقين جَماعة كثيرة، وتقنطرَ منكُوتمر أخو أبغَا ووَقعَ إلى الأرضِ، فلما رَأوا التتَار ذلك ترجلُوا لأجلهِ وحَملُوهُ، فلما رأوهم المُسلمون قدّ ترجلُلو فحملُوا عليهم حملة عظيمة، فكانتْ النصرة للمسلمين وَانكسرُوا التتار أنحسَ كسره، وَهربَ التتَار، وكانتْ هذهِ الوَقعة منَ الوَقعَات المشهُورة وَرجعَ السلطان إلى الدّيَار المصريّة وَهوَ في غاية النُصرة.

وفي سنةِ إحدى وَثمانين وَستمائة، فيها: قبضَ السلطان عَلى جَماعةٍ منَ الأمراء، منهُمْ: الأمير بَيسري، وَالأَمير بكتُوت الشمسي، وَالأَمير كشتغدي، وَجماعةٍ كثيرة منَ المماليك السُلطانيّة منَ خُشداشينه وشرع في إنشاء مماليكه[1].

وَفيهَا: تَزوَّج السلطان الملك المنصُور قلَاون بأَشلُون بنت الأَمير نُكاي، وَهيَ أمُ وَلده النَاصر محمد[2].

وَفي سنةِ اثنتين وثمانين وسُتمائة، فيها: ابتدأ السلطان الملك المنصُور قلاون بعمَارةِ القُبة والمدرسة وَالبيمَارستان التي بين القصرين؛ وقيلَ: انتهى منهُمْ العمل في مُدّة عشرةِ أشهر، على ما نُقل في الأخبَارِ.

قيلَ[3]: وكانَ سبب بنائه لِهذَا البيمَارستَان أن الملك المنصُور قلاون أَمرَ بقتل جَماعةٍ من العوَام، بسببِ أُمور وَقعتْ لهُ مَعهم، فأوجبتْ تغير خَاطرهُ عليهمْ،

---

[1] في جواهر السلوك، صـ١٢٩: في أحداث سنة ٦٨٠هـ.
[2] في جواهر السلوك صـ١٢٩: في أحداث سنة ٦٨٠هـ.
[3] في بدائع الزهور ١/١/٣٥٤: نسب القول للشيخ تقي الدين المقريزي؛ أورد المقريزي سبب البناء وهو غير المذكور هنا. (انظر: المواعظ والاعتبار ٢٦٨/٤).

فأمر بوَضعِ السيف فيهم ثلاثة أيَام، ثم إن القُضاة وَالعُلماء طلعُوا إليهِ وشفعُوا فيهمْ، فعفى عنهُمْ بعدَ مَا قُتلَ منهُمْ جَماعةِ كثيرة، ثم إنهُ ندم بعدَ ذلك عَلى مَا فعل، فأمر ببناء هذَا البيمَارستَان، وَأوقف عَليه هذهِ الأوقَاف الكثيرة، وَفعلَ هذهِ الخيرات العظيمة، ليُكفّرَ الله تعالى عنهُ مَا فعلهُ بالناسِ؛ ممَا تقدم ذكرهُ؛ وَالله أعلم بحقيقة ذلك. انتهى.

وَفي سنةِ ثلاث وَثمانين وسُتمائة، فيها: توّجه السلطان إلى البلادِ الشاميّة لتفقد الأحوال، فوصلَ إلى حصنِ المرَقب[1]، فحَاصرهُ مُدّة ثمانية وَثلاثين يَومًا، ثُمَ أَخذهُ بالأمَانَ، وَرجع إلى الدّيَارِ المصريّة.

ثمَ دخلتْ سنةِ أربع وَثمانين وسُتمائة [١٧/أ]، **فيها:** أرسلَ السلطان الأمير طُرنْطَاي نائب السلطنة إلى حصَارِ سُنقر الأشقر، الذي تقدمَ أنهُ تسلطنَ بدمشق، ولمَا تلاشى أَمرهُ هربَ إلى صهيُون، وعصى بهَا، فلما وَصلَ إليهِ الأمير طُرنْطَاي النائب، فحَاصرهُ أشدَّ الحصَار، فعند ذلك أذعَنَ[2] للطاعة، وَأرسل يطلب الأمان، فأجابهُ الأمير طُرنْطاي إلى ذلك، فنزلَ سُنقر الأشقر إلى الأمير طُرنْطاي فتعَانقا وتحالفا لبَعضهما، فلما استوثقَ منهُ سُنقر الأشقر أخذَ عيَالهُ وَأوْلادِهُ وَسَافر صُحبَة الأمير طُرنْطاي قَاصدًا للدِّيَارِ المصريّة.

فَلمَا بَلغَ السلطان الملك المنصُور قلاوُن مجيء سُنقر الأشقر، خرجَ إلى تَلقيهِ، فاجتمعَا عند مسجد التبن بالقُرب منَ المطريّة، وَكانَ ذلك في يَوم السبت ثالث عشر رَبيع الأول منَ السنةِ المذكورة، فلما وقعتْ عين سُنقر الأشقر عَلى السلطان قلاوُن ترجّل عن فرسهِ، وكانَ بلا سيف مشدُود الوَسط بمنديلٍ[3]، فلَمَا قُربَ منهُ الملك المنصُور قلاوُن ترجّلَ لهُ السلطان أيضًا، وَمشى لهُ خطوات وَتعانقَا، ثم بكى سُنقر الأشقر، فَرَقَّ لهُ السلطان وَأخَلعَ عَليه، وَاركبهُ فرس، وَركب إلى جَانب السلطان حتى طلعَا إلى القلعة، ثم نزلَ إلى مَكانٍ عُدّ لهُ.

وَفي سنةِ خمس وَثمانين وستمائة، فيها: قبَضَ السلطان عَلى مملُوكه الأَمير عَلم الدّين سنجر الشُجاعي، وَصَادرهُ وَاحتَاط عَلى مَوْجُودهِ، ثُم عصرَه

---

[1] بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام. (معجم البلدان ١٠٨/٥).
[2] في الأصل "أدعن".
[3] في الأصل "منذيل".

بالمعَاصيّر، واستسفى أموَالهُ، وَخَلعهُ منَ الوزارة، ثم أَخلعَ عَلى الأمير بدر الدّين بَيدرَا المنصُوري واستقر بهِ وزيرًا[1].

وَفي سنةِ ست وَثمانين وستمائة، فيها: توعكَ جسدَ السلطان الملك الصَالح نُور الدّين عَلي ابن الملك المنصُور قَلَاوُن، وَكانَ [١٧/ب] قدْ تَسلطَ في حَياة وَالدهِ المنصُور قلَاوُن عندَمَا عزمَ عَلى المسير إلى حركةِ التتَار، فأركبهُ بشعَارِ السلطنة، وشقَ المدينة وَزُينت لهُ، وَطلعَ إلى القلعةِ وَجلسَ عَلى سرير الملك إلى جَانب وَالده، وبَاسُوا لهُ الأمراء الأرض، وَذلك في سنة تسع[2] وسبعين وستمائة، وَسبب ذلك أنَ المنصُور قلَاوُن كان كثير الأسفَار؛ فسلطنَ وَلده الملك الصَالح علي ليكون نائبهُ إذَا سَافر إلى البلادِ الشاميّة، فأقام الملك الصَالح عَلى ذلك مُدّة.

حتى دخلتْ سنة سَبع وَثمانين وستمائة فمرضَ الملك الصَالح مَرضًا شديدًا بعِلّةِ الكبد، وَرمي الدَم وَسلسل في المرضِ مُدّة طويلة حتى مَات في ليلة الجُمعة رَابع شهر شعبان سنة سبع وَثمانين، فحزنَ عليه وَالدَه الملك المنصُور قلَاوُن حُزنًا شديدًا، وَرَمي كلوَتتهُ من عَلى رَأسهِ، وَصرَخ "وَاوَلدَاه".

وكانُوا الأمراء جلُوسًا عَلى باب الستَارة[3] ينتظرون مَا يكُون مِنْ أَمرهِ، فلما وَقعَ الصُرَاخ دخلَ الأمير طُرنْطاي النَائب عَلى السلطان، فوجدهُ مكشُوف الرَأس وَكلوَتتهُ مُرميّه عَلى الأرض، وَهوَ يصيحُ، فلما رآهُ الأمير طُرنطاي عَلى هذهِ الحَالة، فأرمي كلوَتتهُ عن رّأسهِ، وَكذلك بقية الأمراء وَاستمر هذَا الأمر سَاعة.

ثم إنَ الأمير طُرنطاي أخذَ شاش السلطان منْ عَلى الأرض، وَباس الأرض هُوَ وَالأمير سُنقر الأشقر الذي تسلطنَ بدمشق، وناوَلهُ للسُلطان فدفعهُ، وقال: "إيش بقيت أعمل بالملك بعدَ ولدي؟"، فقالُوا لهُ: "تعيش رَأس مولانا السُلطان"، ثم تقدمُوا جميع الأُمراء [١٨/أ] وَبأسوا الأرض، وَوَضعُوا كلوَتَت السلطان عَلى رَأسه وَاستمرَ العزاء قائمًا في تلك الليلةِ.

---

[1] الخبر في جواهر السلوك ١٣٠: في أحداث سنة ٦٨٧هـ.
[2] كذا في الأصل، والصواب "سبع".
[3] كان من أبواب القصور المخصصة لسكنى الملك وحرمه، وقد زال الباب بزوال تلك القصور وحل مكانها السراى الكبري التى أنشأها محمد علي باشا الكبير في سنة ١٢٤٣هـ لسكناه هو وحرمه. (النجوم الزاهرة ١٤٨/١٠ هامش ١).

فلما أَصبحُوا أخذُوا في أسبَاب تجهيزه، فأَخرَجُوهُ وَصَلُوا عليه بالقلعة، وَأرَادَ السلطان أنْ ينزلَ معهُ إلى التُربةِ؛ فمنعُوهُ الأمرَاء مِنْ ذلك، ونزلُوا به فكان لهُ مَشهدٌ عظيمٌ، وذلك في يَوم الجُمعة قبلَ الصلاة، فمشُوا قُدامَهُ النَاس قَاطبَه إلى تُربةِ وَالدَتهِ خوند خَاتون، وهيَ التي بالقرب منَ السيّدة نفيسة، رضي الله عنهَا.

فلما أصبحَ السلطان يَوم السبت نزلَ إلى تُربة وَلده وزارَ قبره، وجلس عنده، وكانَ معهُ سَائر الأمراء، ولما مَات الملك الصَالح علي خَلفَ وَلدًا ذكرًا يُسمى الأمير مُوسى، وَهوَ صَاحبُ الرَبعُ الذي في الغرابَليّين[1]، ثم صَارَ المأتم عَمال سبعة أيَام، وَالصَدقَات مُستمرة في كلّ ليلةٍ.

ثم كتبَ القَاضي مُحيى الدّين ابن عبد الظاهر كاتبْ السرّ الشريف عن لِسَان أبيه الملك المنصُور قلَاوُن إلى نائب الشَام، وَغيره منَ النُواب، كتابًا يذكر فيهِ مَا أصابهُ مِنَ الرَويّة، ويشرح فيه معنى القضيّة، وهيَ هذهِ الألفَاظ السَنيّة، وَنحمدُ الله عَلى حُزنٍ حُزنَا بهِ بالصبرِ، حُسن الثواب عَلى هذهِ المُصيبةِ الظاهرة، وَكانَ قصْدَنَا أنْ نَجعلهُ مَلكًا في الدُنيَا، فأختارهُ اللهُ مَلكًا في الآخرة"[2].

ثُم دخلتْ سنةِ ثمان وَثمانين وستمائة، فيها: سَافر السلطان الملك المنصُور قلَاوُن إلى نحو البلاد الشَاميَّة، فدخلَ إلى دمشق في ثَالث عشر صفر، فأقامَ بهَا إلى العشرين منْ صفر، ثم توّجه وَصُحبتهُ العسَاكر إلى نحو طرَابُلس، وَحَاصر أهلهَا، وَنصبَ على سُورهَا المنَاجنيق، واستمر مُحاصرهَا أربعة وَثلاثون يَومًا، ففتحها بالسيفِ في يَوم الثلاثاء رَابع عشر رَبيع الآخر من السنةِ المذكورة، فوَرَدتْ البشائر إلى الدّيَار [١٨/ب] المصريّة بهذهِ النُصرَة التي حَصَلتْ، وَفتح مَدينة طَرَابُلس وَجبيل[3]، ثم رَجَعَ السلطان إلى القَاهرة، وَهوَ في غاية النُصرةِ[4].

وفي هذه السنة: جرَّدَ الأَمير عز الدّين أيبك الأفرم إلى نحو بلاد النُوبة، لأن صَاحب النُوبة تجرّأ وَهَجمَ عَلى مَدينةِ أسوَان، ونَهبَ أسَواقهَا، فجرَّدَ إليهِ

---

(1) داخل باب زويلة (انظر: الخطط المقريزية ١٨٢/٣).

(2) نقله ابن إياس في بدائع الزهور ٣٥٨/١/١- ٣٥٩ عن "الصلاح الصفدي".

(3) مدينة تقع على الساحل اللبناني بين طرابلس وبيروت. (انظر: الشرق الأدني القديم في مصر والعراق ٣٤٢).

(4) في جواهر السلوك، صـ١٣٢: في أحداث سنة ٦٨٩هـ.

السلطان الأمراء وَالعسكر، فلما وَصلُوا إليهِ هَربَ منْهُم، فتبعُوهُ إلى آخر بلادِهِ، فغنمُوا أشيَاء كثيرة منَ الجوَار وَالعبيد وغير ذلك، وَرَجعُوا العسكر إلى القَاهرة.

ثُم دَخلتْ سنةِ تسع وَثمانين وستمائة، فيها: عزمَ السلطان الملك المنصُور قلَاوُن على التوجّه إلى نحو البلادِ الشاميَّة، وَقَصدَ أنْ يُحاصر مَدينة عَكا، فخرج منَ القَاهرة في ثامن عشر شوال منَ السنةِ المذكورة فنزلَ بالريدانية، وأقامَ بهَا حتى يتكامل العسكر؛ فوجدَ في نفسه توعك، ثم صَارَ الأمر يتزَايد عليه، وَثقلَ في المرض.

وكانَ وَلدَهُ الأمير خليل قدْ عهد إليه وَالدَه قلَاوُن في أيَام حَياتهِ، وَلقبهُ بالملك الأشرف، لما توعَك السلطان اضطربت الأحوَال، وصَارَ ولده الأشرف خليل يَنزل إليه في كلّ يَوم منَ القلعة ويتفقد أحواله، ثم يرجع إلى القلعَة.

وكان الأمراءَ يَدخُلُون على السلطان في كلّ يَوم صُحبَة الحُكماء، فلما رأى الأمير طُرنْطاي النَائب حَال السلطان قدْ تَغيّر وَزادَ بهِ الإسهَال، مَنع الأمراء منَ الدُخُول إلى السُلطان، وصَارَ يدخل إليهِ الأمير طُرنْطاي وَحَدهُ.

فلما قوي بالسُلطان الألم، وتحققُوا مَوته، فاجتمعُوا الأمرَاء، وَجَاءوا إلى الأمير طُرنْطاي النَائب، وقالُوَا لهُ: "أنتَ تعلم مَا بينك وبينَ الملك الأشرف خليل من حظِ النفس، وبُغضهُ فيكَ، وقد صَارَ الأمر إليهِ، وَالسُلطان مَا بقى [١٩/أ] فيه رَجوَة، ومتى صَارَ الحُكم إليه، فهوَ قاتلك لا مُحاله، فَبَادر إليه وأمسكهُ قبلَ أنْ يمسكك، وَنحن كُلنَا عُصْبتك"، فسكتَ الأمير طُرنْطاي سَاعة، ثم قَالَ: "كيف يُشاع عني أني خنتُ ابن أستاذي مِن بعدهِ وَقتلتهُ فإنْ رَضي بي كنتُ مَملُوكه وَمملُوك وَالده، وَأنْ قتلني صرتُ منْ جُملة الشُهدَاء، وَكنتُ مَظلُومًا".

ثم إنَ المنصُور قلَاوُن أخذَ في النزع، فقعَدَ الأمير طُرنْطاي عند رَأسهِ حتى مَاتَ، وغمضهُ.

فلمَا أصبحَ الصبَاح، جَاء الأمراء عَلى العَادة، فلم يُمكنهُم منَ الدُخُول إلى السُلطان، فمضُوا إلى بيُوتهم، ثم إنهُ أرسل خزائن المَال وَالاطلاب[1] الذي كانُوا معَ السلطان بسبب السّفر إلى الشّام، وأرسل يُعرف وَلدهُ الأشرف خليل، وأشارَ عليه أنهُ يُقيم بالقلعة، ولا ينزل إلى المدينة، وَوَكلَ به مُقدم المماليك.

---

[1] لفظ كردي معناه الأمير. ثم عدل مدلوله فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش، وكان أول استعمال هذا اللفظ بمصر والشام أيام صلاح الدين الكبير. (تكملة المعاجم العربية ٦٣/٧).

ثم إنَ الأمير طُرنْطاي حَملَ السلطان قلَاوُن في محفةِ بعد المغرب، وَهوَ ميتٌ، وَطلع بهِ إلى القلعةِ، وَغسلهُ وَكفنهُ، وَنزلَ بهِ في تابُوتٍ بَعدَ العشاءِ، والأمراء وأعيان الناس من القُضاة وغيرهم مشاه قُدامهُ، وَهم يتباكون، إلى أنْ وَصلُوا بهِ إلى القُبة التي أنشأهَا بين القصرَين، فدُفنَ بهَا.

وكانتْ وفاتهُ في يوم السبت سَادس ذي القعدة سنة تسع وَثمانين وَستمائة، ودُفنَ في ليَلةِ الأحد، وكانتْ مُدّة تَوعكه تسعة عشر يومًا.

وكانتْ مُدّة سلطنتهُ بالدّيَار المصريّة إحدى عشرة سنة وَثلاثة أشهر وَستة أيَام، كما قيل:

كلُّ ابنِ أنثى، وإنْ طالتْ سَلامَتَهُ يَوْمًا عَلى آلةٍ حَدْبَاءَ مَحمُولُ[1]

وَلما مَاتَ المنصُور قَلَاوُن خلف منَ الأولادِ ثلاثة ذكور، هم: الأشرف خليل، وَالناصر محمد، والأمير أحمد وُلدَ بعدَ وَفَاتهِ. [١٩/ب]

وَكانَ المنصُور قلَاوُن حسن الشكل، مُعتدل القَامَة، درى اللون، قليل الكلَام بالعربي، وَكانَ شُجاعًا بطلًا مقدَامًا، وكانَ مُغرمًا بُمشتري المماليك، حتى قيلَ: "تكامل عندهُ منَ المماليك اثني عشر ألف مملوك"، وَقيلَ: "سبعة ألاف مملوك".

وَمما يدلُ عَلى عُلو همتهُ، وَحُسن اعتقَاده؛ وَهوَ عَمارتهُ للبيمَارستَان الذي بين القصرين، وَهوَ مِنْ حسنَات الزمَان تحتاج لهُ الملُوك وَيفتقر إليه الغني وَالصعَلوك، وَلا يَعلم أحد في الإسلام أحسن وقفًا وَلا أحسن شرطًا منهُ، ولا أكثر مصرُوفًا عَلى وجُوه البر وَالصدَقَاتْ مثلهُ، وَقد كفاهُ ذلك في الدُنيَا وَالآخرة.

وهوَ الذي غير تلك الملَابس الشنيّعة، التي كانتْ تُلبس في الدُولِ القديمة للعسكر، قيلَ: كانْ كلوتَاتهم صُوف أَصفر مُضرَّبة عَرِيض بغير شاش[2]، وكانتْ المماليك تُربي لهُم ذوَائب شعر خلفهُمْ وَيجعلُونهَا في أكياسٍ حرير أحمرَ وَأَصفر، وكانُوا يَشدُوا في أوْسَاطِهم بنُود بعلبكي مصبُوغة عُوضًا عن الحَوائصِ[3]، وكانتْ أمامهُم ضيقة جدًّا، وكانتْ أخفافهمْ بُرغَالي[4]، وَيلبسُون

---

[1] بحر البسيط؛ البيت لكعب بن زهير بن أبي سلمى. (انظر: جمهرة أشعار العرب، صـ٦٣٨).

[2] جمع كلوتة وهى غطاء للرأس تشبه الطاقية؛ والشاش: هي قطعة من قماش. (انظر: الملابس العربية، دوزي ٢٣٦- ٢٤٠).

[3] حياصة، بمعنى الحزام، أى ما يشد في الوسط. (صبح الأعشى ٤/ ٤٠).

[4] خف من جلد الفرس مبطن بجلد ذئب. (النجوم الزاهرة ٧/ ٣٣١ هامش ٤).

فوقهَا سُقمَان، وَيشدُوا منْ فوق قماشهم أبزيم[١] جلد بحلق، وكانتْ لهُمْ صوالق بُرغَالي كبَار، يَسع الوَاحد منهَا قدر نصف وَبية قمح، وكانتْ مناديلهمْ خَام كلّ منديل قدر الفُوطه لمسح أيديهمْ، فغيّر المنصُور قلَاوُن ذلك جميعه وَجدّدّ لهُم ملابيس غيرّ ذلك، وأيضًا كانتْ خلعَ الأمراء المقدّمين الألُوف عتّابي، فرسمَ أنَ تُعمل لهُمْ خلعَ مَنَ الطرَد وَحش[٢].

وَهوَ أول من أسكن المماليك في أبرَاج القلعة، وَسمَاهُم البُرجيّة.

وأمَا فتوحَاتهِ منْ بلادِ الفرنج: المرقب، وَجُبله، وطَرَابُلس الغرب [٢٠/أ]، وَاللاذِقيَّة[٣]، وَجُبيل.

وَأخذَ منْ أولادِ الملك الظاهر بيبرس: الكرك، وَالشوبك.

وَأمَا مَا أبطلهُ في أيَام دَوَلته منَ المظالم: وَهوَ أنهُ كانَ يُوخذ ممنْ عندهُ مَالٌ زكاته، فإذا مَاتَ ذلك أو عُدمَ مَالهُ، فيُؤخذ ذلك القدر المقرر عليه منْ أوْلادهِ أوْ وَرَثتهِ أوْ أقَاربهِ، وَلو بقي منهُم وَاحد فأبطل ذلك.

منهَا: مَا كانَ يَأخذ للمُبشرين إذا حضرُوا يبشرُون بأخذ حِصنٍ أوْ بنصرَة عسكر أوْ نحو ذلك، فيُجبى منْ أهل مصر عَلى قدرِ طبقَاتهم في السعة.

وأبطل مَا كانَ يُجبى من أهل مصر عندَ وَفاءِ النيل المُبارك ممَا كانَ يُعملُ بهِ شُوى وحَلوى وَفَاكهة برسم المقيَاس فأَبطل أشيَاءً كثيرة مِنْ هذَا النمط في أيَام دَوَلتهِ.

وكانَ قَلَاوُن مِنْ أَجلِّ مُلُوك التُرك قدرًا وأَعظمهُم آثارًا، وأعلَاهُم همّه، وَلما مَاتَ تولى منْ بَعدِهِ ابنهُ خليل.

وَماتَ في أيام المنصُور قَلَاوُن مِنَ الأعيان، وَهُم: الشيخ بُرهَان الدّين ابن جماعةِ، وَالشيخ مُحيى الدّين النَووي صَاحب المنهَاج[٤]، وابن خلكان المؤرخ،

---

[١] الإِبْزِيمُ حديدةٌ تَكُونُ فِي طرَف حِزَامِ السرْج يَسْرَج بِهَا. (لسان العرب، ابن منظور، ٤٩/١٢).
[٢] كلمة مركبة تطلق على ضرب من الثياب تصنع على هيئة جلد الوحش. (للمزيد انظر: النجوم الزاهرة ٣٣٢/٧ هامش ١).
[٣] مدينة في ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال حمص وهي غربيّ جبلة، وهي الآن من أعمال حلب. (معجم البلدان ٥/٥).
[٤] انظر ترجمته في بدائع الزهور ٣٦٣/١/١- ٣٦٣.

وَالشـيخ نَاصـر الـدّين ابـن المُنيـر[1]، والشـيخ جَمـال الـدّين الشريشـي[2] شـارح مقَامَات الحَرِيرِي، وَالشيخ علاء الدّين ابن النفيس شيخ الأَطبـاء، وابـن النحـاس النحوي، وغير ذلك منْ أعيانِ العُلماءِ وَالصُلحاءِ وَغيرهمْ.

---

(1) هو أحمد بن محمد بن منصور، من علماء الإسكندرية وأدبائها ولـى قضـاءها وخطابتهـا مـرتين، ولـد سنة ٦٢٠هـ، ت ٦٨٣هـ، له تصانيف منها "تفسير" و"ديوان خطـب" وغيـره، ولـه نظـم. (انظـر: فوات الوفيات ١٤٩/١- ١٥٠).

(2) هو محمد بن أحمد بن محمد بن سجمان الوائلي البكري الشريشي المالكي، ت ٦٨٥هـ، لـه "شـرح ألفيـة ابن معطى" في النحو مجلدان، وكتـاب فـي "الاشتقاق". (انظـر: نفح الطيـب، المقري التلمسـاني، ١٣١/٢).

ذكر

سلطنة الملك الأشرف صلاح الدّين

خليل ابن الملك المنصُور قلَاوُن الصَالحي[1]

وَهوَ الثامنُ مَن مُلُوكِ التُرك وَأوْلادِهمْ بالدّيَارِ المصريّة؛ أَستقلَ بالمملكة بعدَ مَوتَ أبيهِ الملك المنصُور قلَاوُن، وذلك في يَوم الأحد سَادس ذي القعدة من سنةِ تسع وَثمانين وستمائة، وكانَ مولدُه في سنةِ ست وستينَ وستمائة عَلى ما ذكر. [٢٠/ب]

فلما تسلطنَ استحلفَ لهُ سَائر الأمراء، ثم ركبَ بشعَار السلطنةِ من قلعةِ الجبل إلى الميدَان الذي تحت القلعة، وأخلعَ هُناك عَلى الأمراءِ وأعيان الدولة، وسبب نزوله إلى الميدان فإنَ الأمراء تَخيَّلوا منْ طلوعهم إلى القلعةِ[2]، فنزلَ السلطان إلى الميدَان، وأخلعَ عليهم هُناك، ثم أخلعَ عَلى الأمير عَلم الدّين سنجر الشجَاعي واستقر بهِ وَزيرًا، وانقضَ الموكب على ذلك.

فلما كانَ يوم السبت ثَالث عشر ذي القعدة قبضَ السلطان على الأمير طُرنْطاي النَائب، وكانَ بينهُ وبين الأشرف خليل حظ نفس من أيَام وَالده، وكانَ الشجاعي يكره الأمير طُرنْطاي أيضًا؛ فحسَّنَ للسُلطان القبض عَليه، فاستدعَاهُ وَقتَ الظُهر فَطلعَ إلى القلعة، فلما مثلَ بين يدي السلطان أَمرَ بالقبضِ عليه، فحمل إلى الاعتقال وَهوَ على أسوء حَال، كما قالَ القائلُ في المعني:

أَحـذر مـنَ النَـاس ولا ... فـي معـرك الشـدِ تجـل[3]
فـي قلـب ليـثٍ بـتْ وَخَـفَ ... أنْ بـتَ فـي قلـب رجـل[4]

ثُم إن الأشرف خليل أمر بقتلِ الأمير طُرنْطاي النَائب، فقُتل وَهوَ في السجن، وَذلك في ثامن عشر ذي القعدة منَ السنةِ المذكورة، فأقامَ ثلاثة أيَام لمْ

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ٣٦٥/١/١- ٣٧٨؛ جواهر السلوك ١٣٤- ١٤٠.
(٢) ورد في بدائع الزهور ٣٦٥/١/١: سبب عدم طلوع الأمراء "خشية أن يقبض عليهم".
(٣) "في معرض الشك بحل" في السحر الحلال في الحكم والأمثال صـ٩٧.
(٤) بحر مجزوء الرجز.

يُدفن، ثم أخرجُوهُ بَعدَ ذلك عَلى جَنويّةٍ فغسلهُ وكفنهُ بعض أصحَابهِ وَدفنهُ في القرَافةِ.

ثم إن الأشرف خليل رَسمَ للشجاعي أنْ يَحتاطَ عَلى مَوجُود الأمير طُرنطاي، فنزلَ إلى بيته ورَسمَ عَلى مُبَاشرينهِ وَقبضَ عَلى مماليكهِ، وجميع حَاشيتهِ، وَعَلى نسائهِ، وَسرَاريه، وَأَحضرَ لهُم المعَاصيَّر وَعصرهُم، وَجعلَ يُقرِّرهُم عَلى مَوجودهِ وأموَالهِ، بقى الشُجاعي ينزل في كلّ يَومٍ إلى بيتِ الأَمير طُرنطاي، ويُقرّر جميع [٢١/أ] حَاشيته وَعَيالِه فَظهرَ[١] لهُ أشياء كثيرة منَ الأموال وَالتُحفِ وغير ذلك.

ثم إنَ الأشرف خليل أخلع عَلى الأمير بيدرا واستقر بهِ نَائب السلطنة عُوضًا عن الأمير طُرنْطاي.

ولمَا تم أمر الأشرف خليل في السلطنة واستقامتْ أحوَالهُ؛ أرسل خَلف القاضي شمس الدّين ابن السَلعُوس وكانَ بالحجَاز الشريف مِنْ أيَام وَالده المنصُور قلاوُن، فلما صَار الأَمر إلى الأشرف خليل أرسل لهُ نجابٌ، وعلى يدهِ مَرْسُوم، وَحَشَّاهُ الأشرف بخطهِ، بقلم العلاَمَة بين السُطُور، وَهوَ يقول: "يَا شُقير، جُدَّ السير، جَاءَ الخير".

وكَانَ كثيرًا مَا يُحشى في مَراسيّمهِ بقلم العَلاَمَة.

وحشا أيضًا مرسُومًا إلى دمشق، لما رسم بإسقاط مَا كانَ يُؤخذ مِن بَاب الجَابية عَلى كلّ حمل منَ القمح خمسةِ دَراهم مَكسًا، فكتب في مَرسُومهِ بين السطُور: "ولنكشف عن رَعايانَا هذهِ الظُلامة، وَنستجلبُ بذلك الدُعَاء لنَا مِنَ الخَاصةِ وَالعَامة"؛ وَهوَ أولُ سُلطان حَشا في المرَاسيم بخطهِ بين السطُور.

فلما حضرَ شمس الدّين ابن السَلعُوس منَ الحجَاز خلعَ عليه، واستقر بهِ وَزيرًا، وَفوض إليهِ أَمرَ المملكة جَميعهَا، وَخُلعَ الشُجَاجي منَ الوزَارة، وكانَ حضُورابن السَلعُوس مَن مكة في ثالث عصر المُحرم مع مُبشر الحَاج.

وَكانَ أَصَل ابن السَلعُوس تَاجرًا في دمشق، فحضرَ إلى مصر، وَصَارَ في خدمةِ الأشرف خليل مَن أيَام وَالده قلاَوُن، ثم إن ابن السَلعُوس استَاجَر للأشرف خليل موَاضع كثيرة بدمشق، فحصَّلَ لهُ منهَا ربحٌ كثير، فلمَا أَحضرَه بين يدي

---

[١] في الأصل "فطهر".

الأشرف خليل فأعجبَهُ ذلك، وَحُظى عندهُ ابن السَلعُوس فجعلهُ نَاظر ديوَانه، وكانَ يَكتبَ خطًا جيدًا، فلمَا بَلغَ المنصُور قلاوُن أنَ ابن السَلعُوس قدْ احتوى عَلى عقلِ ولدهِ [٢١/ب] خليل فَأمرَ بنفيهِ إلى مَكة، فأقامَ بهَا إلى أنْ مَاتَ قلاَوُن، وَتسلطن ابنهُ خليل أرسلَ خلفهُ، كما تقدم.

فلما حَضرَ استقرَ بهِ وَزيرًا وفوض إليه أمور المملكة، وأَحال الأمراء وَأعيَان الناس في أشغَالهم عَليه، وَرَسمَ السلطان لجَماعةٍ منْ رُؤوس النُوب وَالمماليك السُلطانيّة بالركُوب في خدمته كلّ يَوم، فصَارَ يَركب في مَوكبٍ عظيم، وكانتْ القُضاة الأرْبَعة تركب قُدّامه في أيَام المواكبِ، فرقى ابن السَلعُوس في دولةِ الأشرف خليل إلى السُهى، وأظهر منَ العظمة والكبريَاء أمرًا عظيمًا، وصَارت الناس قاطبة على بَابهِ، وانفرَدَ بالكلمة، وَصَارَ صَاحب الحلّ وَالعقد بالدِّيَارِ المصرية، فكانَ كما قالَ القَائلُ:

مَلِكٌ إذَا قَابَلْتُ بِشْرَ جَبِينِهِ ... فَارَقْتُهُ وَالبِشْرُ فَوْقَ جَبِينِي
وَإِذَا لَثَمْتُ يَمِينَهُ وَخَرَجْتُ مِنْ ... أَبْوَابِهِ لَثَمَ المُلُوكُ يَمِينِي[(١)]

وَكانَ الأشرف خليل لما قَتلَ الأمير طُرنطاي النَائب صَفَا لهُ الوقتُ وَطاشَ، واستخفَ بالنَاسِ، وَعُظم أمرهُ، ثم إنهُ جرَّدَ وخرجَ بنفسهِ إلى نحو البلادِ الشَاميّة، وَقصدَ حِصَار مَدِينة عكَا، وكانت بيدِ الفرنج، وَكانُوا يقطعُون الطريق عَلى المُسلمين مِنَ التجَارِ وَغيرهمْ، فتوجّه الأشرف خليل إليهَا وحَاصرهَا ونصبَ عَليهَا المنَاجنيق، وكانَ عِدَّتهُمْ نحو خمسة وسبعين منجنيقًا، فأقامَ يُحَاصِرهَا مُدّة يَسيرَة هُوَ وَالعسَاكر، فأعطاهُ الله تعَالى النصر ففتحهَا بالسيف في يَوم الجُمعةِ سَابع عشر جُمادى الآخر من سنةِ تسعين وَسُتمائة[(٢)].

فَلمَا فتحتْ عَكا فأَمرَ بهدمِ سُورهَا، وَكذلك صَيدَا وَبيروت، وكانتْ مَدينة عَكا مِنْ أَحسن المدَائن، وَأَعمرهَا، وَصَارُوا النَاسُ مِنْ بعد ذلك ينقلُون منهَا الرُخَام الملوَّن مُدَّة طويلة، ومِنْ جُملةِ ما نقلَ منها وَهوَ البَاب الرُخَام الذي على المدرسةِ النَاصرية [٢٢/أ] التي بين القصرين، وكانَ هذَا البَاب عَلى كنيسةٍ بهَا، ولمَّا

---

(١) بحر الكامل؛ البيتان لعمارة اليمني. (انظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٢٩٨/٢).

(٢) في جواهر السلوك، ابن إياس، صـ١٣٦: الخبر جاء مضطربًا وغير واضح؛ كما جاء في أحداث سنة ٦٨٩هـ.

فُتحتْ عكا استشهدَ يَوم فتحهَا اثنا عشر أميرًا، ونحو مَائة مملُوك[1]، وَماتَ بهَا العِزي نقيب الجيُوش المنصُورة؛ وَهوَ صَاحبُ سُويقةِ العزي[2].

ثم رَجعَ الأشرف خليل إلى الدِّيَارِ المصريّة، وَهوَ في غَايةِ النصر، وَكانَ يَومَ دُخُوله إلى القَاهرة يَومًا مشهُودًا، وَزُينتْ لهُ فَدخلَ مِنْ بَابِ النَّصر، وَشق منَ المدينة.

فَلما وَصلَ إلى البيمَارستَان التي بينَ القصرين نزَلُ هُناكَ وزَارَ قبرَ وَالدهُ قلَاوُن، ثمَ رَكبَ وَطلعَ إلى القلعةِ وَالأمراء مُشاه قُدَّامهُ حتى طلعَ إلى القلعةِ، فأخلعَ عَلى الأمير بَيدرَا النائب، وَعَلى الوَزير وَأربَاب الوَظَائف، وَغيرهمْ منْ أعيَانِ النَاس، وفيهِ يَقُولُ القاضي مُحيى الدِّين ابن عبد الظاهر كاتب السِّر الشريف:

يَا بني الأَصْفَر قد حل بكم ... نقمة الله الّتي لَا تنفصلْ
نزل الأَشْرَف فِي ساحلكم ... فَأَبشرُوا مِنْهُ بِصكٍّ[3] مُتَّصِلْ[4]

وَقالَ محمد بن غانم في الأشرف خليل وَيُوسُف بن أيُوب:

مليكَان قدْ لقّبَا بالصّلَاح ... فَهذَا خليلُ وَذَا يُوسفُ
فيُوسفَ لَا شكّ في فضلهِ ... وَلكن خليل هُوَ الأَشْرَفُ[5]

وَلمَا رَجعَ الأشرف خليل منَ هَذهِ السَّفرة أخذَ في أسبَاب القبض عَلى جماعةٍ مِنَ الأمرَاءِ، فمسكَ الأَمير حُسَان الدّين لاجين السلحدَار نائب الشَام وَحبسهُ بقلعةِ صَفد[6] لما كانَ عَلى مدينةِ عكا، ثُم أمسك الأَمير سُنقر الأشقر الذي كان تسلطنَ بدمشق، كما تقدم، وَقبضَ على الأمير طُقصُوا، وَأرسلهُما إلى مصر قبل حُضُوره.

---

(1) في بدائع الزهور ٣٦٨/١/١: "وقتل من المماليك السلطانية مائة وعشرين مملوكًا"؛ في جواهر السلوك صـ١٣٦: "ومات يوم فتح عكا... وثلاثة وخمسون مملوكًا من مماليك السلطان، ومات نحو ثلاثين مملوكًا من مماليك الأمراء".

(2) هذه السويقة خارج باب زويلة قريبة من قلعة الجبل، كانت من جملة المقابر التي خارج القاهرة، فيما بين الباب الحديد والحارات وبركة الفيل، وبين الجبل الذي عليه الآن قلعة الجبل. (الخطط المقريزية ١٩٣/٣).

(3) كذا في الأصل وجواهر السلوك صـ١٣٦؛ "بِصفع" في السلوك ٢٢٥/٢.

(4) بحر الرمل؛ البيتان في: المصدر السابق ٢٢٥/٢. بدائع الزهور ٣٦٩/١/١.

(5) بحر المتقارب؛ البيتان في: فوات الوفيات ٤١٠/١. الوافي بالوفيات ٢٥٢/١٣. المقفى الكبير ٤٥٩/٣. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٧٤/٣- ٧٥. ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

(6) كذا في الأصل وجواهر السلوك صـ١٣٧؛ وفي بدائع الزهور ٣٩٦/١/١: قبض عليه وأرسله إلى ثغر الإسكندرية.

فلمَا حَضرَ مسك الأمير جُرمكى وقيدهُم، ثم أحضرَ الأمير لاجين منِ السجن، فلما أكملهُم سبعة مِنَ الأمراء فأمرَ بخنقهمْ فخنقوا تحت الليل، فلما أخرجُوهم ليَدَفنوهُم فوَجدَوا الأمير لاجين فيهِ بعض [٢٢/ب] رُوح، فأَخبرُوا بهِ السلطان فَرَقَّ لهُ وَأنعم عليه بتقدمة ألف.

ثم أفرجَ عن الأمير بيسري، وَأحضرَهُ منَ السجن، وَسبب ذلك أنَ السلطان لمَا قدمَ من السفر وشقَ المدينة، فلمَا جَازَ عَلى بيتِ الأمير بيسري خَرجُوا بأوْلادهِ عَلى البابِ، وكانُوا ستّة أولاد ذكور صِغَار، فبَاسُوا الأرض للسُلطان، فقَالَ: "مَنْ هَؤلاء"، فقَالُوا لهُ الأمرَاء "هؤلاء أولاد مَملُوكك بيسري"، فرقَ لهُم، ورَسمَ لهُمْ بالإفرَاج عنْ أبيهمْ فَأَحضرهُ، وَأنعم عليه بتقدمةِ ألف.

ثُم دخلتْ سنة إحدى وَتسعين وستمائة، فيها: سَافر السلطان إلى نحو البلاد الشاميّة، ثم توجَّه إلى حلب، ثم إلى قَلعةِ الرُوم[1]، فنصبَ عَليهَا ثلاثة وَعشرين منجنيقًا، ففتحهَا في يَومِ السبتِ حَادى عشر رَجب، وَكانتْ هذهِ القلعة كُرسى مملكة الأَرَمنْ.

ثُم دخلتْ سنة اثنتين وَتسعين وستمائة، فيها: رجعَ السلطان إلى القَاهرةِ، فَأَقَامَ مُدّة، ثُمَ سَافر عَلى الهُجنِ إلى الكرك، واستقر بالأَميرِ أقوش نَائب الكرك.

ثم توجّه إلى دمشق، فعرض هُناك العسَاكر، وَعيَّنَ منهُم جَماعة مِنَ الأمراءِ والمماليك السُلطانية إلى مدينةِ سيس، وَعلى أن السلطان يجى بعدَهُم، فلما وصَلُوا العسَاكر إلى سيس، أَرسلَ صَاحب سيس يَطلب الصُلح، فكاتبُوا السلطان بذلك فأشارُوا جَماعة مِنَ الأمراءِ عَلى السلطان بعمل المصَلحة في أَمرِ الصُلح، فوَقعَ الرأي عَلى ذلك، فَسَلمهُمْ صَاحب سيس إليهم ثلاث قلَاع وهُمْ: بهْنسَا، وَمرعش، وَتل حمدُون، فحصلَ بذلك للمُسلمين غَايةِ الخير.

ثم إنَ السلطان أقامَ بدمشق إلى مُستهل رَجب، ثُم توجَّهَ إلى نحو حمص، فأضَافه الأَمير مُهنَا بن عيسى ثلاثة أيَام، فلما عزمَ عَلى الرحيل قبضَ عَلى الأمير مُهنَا بن عيسى وعَلى أخوتهِ، وَولى الأَمير عَلي بن حُديثة عُوضًا عن مُهنَا بن عيسى.

---

[1] قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط بها مقام بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمنية كتاغيكوس، وهذه القلعة في وسط بلاد المسلمين. (معجم البلدان ٣٩٠/٤).

ثم رجعَ إلى دمشق [٢٣/أ]، ثُم رَسمَ للأَمير بَيدرَا النَائب بأنْ يَأَخذ العسَاكر وَيتوجّهِ إلى القاهرة، فتوجّه بَيدرَا بالعسكر إلى مصر.

وَأقامَ السلطان بَعدَهَ بدمشق عَلى سبيل التَّنزة أيَامًا، ثم قَصدَ التوجّه إلى القَاهرةِ، فدَخلهَا في موكبٍ عظيم.

وكانَ الأشرف خليل مَسْعُودًا في حرَكاتهِ، شُجاعًا مِقدَامًا صَابرًا عَلى القتال وَالحرب، وَلوْ طالَ عمرهُ لأَفتتح غَالب بلَاد العِرَاق، وَلا يُعرف في أبنَاءِ الملُوك منْ يُنَاظرهُ في الشجَاعةِ وَالإقدَام، وَعلى هذَا قدْ اتفقُوا أرباب التوَاريخ مِنَ المُتقدمين وَالمتأخرين.

وفي هذهِ السنةِ وهي سنة اثنتين وَتسعين وستمائة: توفي القاضي مُحيى الدين ابن عبد الظاهر كاتب السِّر الشريف، وَهوَ صَاحبُ الأشعَار اللطيفة، وكانَ مولده في سنةِ عشرين وستمائة، وَعَاش منَ العُمر اثنتين وسبعين سنة، ومنْ شعرهِ اللطيف، وَهوَ قولهُ:

شُكرًا لِنسمةِ أرضكُمْ ... كمْ بَلغتْ عَنِي تحيَّة
لَا غَرو إنْ حَفظتْ أحَا ... ديثَ الهَوى فهي الذَكيّة[1]

ثُمَ دَخلتْ سنة ثلاث وَتسعين وستمائة، فيها: تَوجّه السلطان الملك الأَشرف خليل إلى نحو البُحيرَة في ثالث المُحرم، وَذلك عَلى سَبيل التنزُة، فَلمَا مَضى إلى البُحيرَة تَوجّه إلى مكانٍ يُعرفُ بالحمَامَاتِ، وَهوَ غربي تروجة[2]، فقصدَ يتصيّد هُناكَ، وكانَ قَصدَهُ أنْ يدَخلَ إلى الإسكندرية.

فأَرسلَ الصَاحب شمس الدّين ابن السَلعُوس إلى ثغرِ الإسكندرية ليُجهز للسُلطان الإقَامَات وَالتقادِم، فوجدَ غِلمَان الأَمير بيدرَا النَائب بثغر الإسكندرية، وقَدْ استولُوا عَلى البُهار، وَادخرُوا منهُ في الحوَاصل مَا ليسَ مثلهُ في الحوَاصل السُلطانية، فأَرسل ابن السَلعُوس يُكاتب السلطان بمَا رأى مِنْ [٢٣/ب] حوَاصل بَيدرَا، وَمَا فيها مِنَ البُهار.

---

(1) بحر الكامل؛ ديوان الصبابة صـ١١٥. خزانة الأدب، ابن حجة الحموي ٦٥/٢؛ ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

(2) قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية؛ وقد اندثرت هذه القرية، ومكانها اليوم كوم تروجة الواقع بحوض تروجة بمركز أبو المطامير بالبحيرة. (معجم البلدان ٢٧/٢. القاموس الجغرافي ١٩٠/١/١).

فأَرسلَ السلطان خَلفَ الأَمير بَيدرًا بحضرة الأمراء وَوَبخهُ بالكلام بينَ الأمراء، وَتوعدَهُ بكلِّ سُوءٍ، فتلطفَ بهِ الأمير بَيدرًا في الكلَام حتى خرجَ مِن بين يديه، فاجتمعَ بأَعيَان خُشدَاشينه وَهُم: الأمير حُسام الدّين لاجين المنصُوري، وَالأَمير شمس الدِّين قرَاسَنقر، وغيرهما منَ الأمراء ممن هُوَ مِنْ عُصبتهِ، فاتفقَ رأيهُمْ عَلى الوَثوبِ عَلى السلطان في ذلك المكان، وَكانَ السلطان أعطى لكلٍ منَ الأمراء دَستورًا بأن يتوجهُوا إلى القَاهرة إلى حينٍ يَعُود السُلطان، فلمْ يبق مَعهُ سوى بعض مَماليك منْ خَواصهِ.

فلمَا كانَ يَوم السبت خَامس المُحرم رَكب السلطان مُنفردًا وَحدَهُ، وَليسَ مَعهُ سوى الأَمير شهَاب الدّين ابن الأشد أَمير شكار.

فلمَا بلغَ الأَمير بَيدرَا ذلك قالَ: "هذا أوان انتهَاز الفُرصة"، فأَرسل خلفَ خشدَاشينه وَهُم: الأمير قرَاسُنقر، وَلاجين، وَبهَادُر رَأس نوبة، وَاقسُنقر الحُسَامي، وغيرهم منَ الأمراء وَالخَاصكيّة، فشدُوا ترَاكيشهَمْ في أوْسَاطهمْ وَركبُوا خيُولهم، وَسَاقُوا خلف السلطان فوَجدُوهُ منفردًا وَحده وَليسَ مَعهُ سوى شهاب الدّين ابن الأشد أَمير شكار، وبَعضَ مَماليك صِغَار.

فلما رَأى السلطان الأمراء وَهُم قَاصدِينهُ، وكانُوا نحو عشرَة مِنَ الأمراء والخَاصكية، فأَحسَّ منهُمْ بالشرِ، وظهر لهُ منهُم الغدر، فلما وَصَلُوا إليه عَاجلُوهُ بالحسَام قبلَ الكلَام، فأَول من ابتدأهُ بالحسَامِ الأمير بَيدرَا النَائب، فضربهُ بالسيف عَلى يدّهِ، فصَاحَ عليه الأَمير لاجين، وقال له: "يَا نحس من يُريد أنْ يتسلطنَ يَضرب هَذهِ الضَربة".

ثم ضربهُ لاجين عَلى كتفهِ ضَربة، فوَقعَ إلى الأرض، فجاء الأَمير بهَادُر رَأس نوبة وَنزلَ عن فرسهِ، وَأدْخل السيف من دبرهِ، وأطلعهُ منْ حَلقهِ، وَبقى كلّ وَاحدٍ مِن الأمراءِ يظهر مَا في نفسهِ منَ الأشرف خليل، ثم تركُوهُ ميتًا [٢٤/أ] في المكانِ الذي قُتل بهِ.

ثُم رَدُوا إلى الوِطَاق، وَاشتَورُوا فيمنْ يَسلطنُوهُ، فوَقعَ رأيهمْ عَلى سَلطنةِ الأَمير بَيدرَا النَائب، فحلفُوا لهُ الأمراء، وَبَاسُوا لهُ الأرض، وَلقبُوه بالملك الأَمجد، وقيل: "بالملك الرحيم".

ثم قصدُوا التوجّه إلى القَاهرة، فاركبُوا بَيدرَا تحتَ العصَائب السُلطانية، ثـم مسكُوا جَماعة منَ الأمراء الذي[1] تخلفُوا هُنـاك منـهم: الأمير بيسـري، وَالأمير بكتمر السلحدَار، وغيرهمْ منَ الأمراء.

فلما وَصلَ هذَا الخبر إلى الأمراء الذين كانُوا بالقاهرة، فخرجُوا عَلـى حميّـة، وَمعهُمْ المماليك السُلطانية، فلمَا عَدوا منَ الجيزة، وَوَصلُوا إلى الطرَانة[2] تلاقُوا هُناك مَع بَيدرَا فوَقع بينهُما هُناك وَقعة عظيمة، فلما بَانَ على بَيدرَا عينَ الغُلب، فَصَارَ يتسحب منْ كانَ مَعهُ منَ المماليك السُلطانية، وَيجى إلى الأَمير كتبغَا.

وكـانَ بَيـدرَا قدْ جمعَ مَعـهُ عُربَـان كثيـرة، فلمـا رأوْا حَـال بَيدرَا تلاشـى إلـى الغُلب، فَلوُّا عَنـهُ وَرَجعُوا إلـى البُحيـرة، فلـم يَكـن إلا سَـاعة يسيـرة، وقـدْ مُسـك الأميـر بَيـدرَا وَمـنْ كـانَ مَعـهُ مـنَ الأمـراء، فلمَـا مُسـك بَيـدرَا قتلُـوهُ المماليـك الأشرفيّة، وَشقُوا بَطنهُ، وأخرجُوا كبدهُ، وَصَارَ كلّ أحدٍ منهُمْ يَقطـعَ مَعـهُ قطعَـة، ثُمَ حزُوا رَأسهُ وَحملُوهَا عَلى رُمح، وَقصدُوا التوجّه إلى القَاهرة.

فلما دّخلُوا إلى القَاهرة طافُوا برَأسـه فـي المدينـة، وَهرَبَ منْ كـانَ مِنْ عُصـبةِ بَيدرَا، وَهُم: الأميـر لاجين، وَالأمير قرَاسُنقر، وغيـر ذلك ممـن كـانَ مـن عُصـبةِ بَيدرَا، ثم إن الأمير سنجر الشُجَاعي نَادى أنَ أحدًا مِنَ النواتيـة لا يَعدى بأَحدٍ منَ المماليك الذي[3] كانُوا مع بَيدرَا هذَا مَا كانَ مِنْ أَمر بَيدرَا بعدَ قتل الأشرف خليل.

وأمَـا مَـا كـانَ مِنْ أَمـر الأشـرف خليـل فأنـهُ أقـامَ بعـد قتلـه ثلاثـة أيَـام، وَهـوَ مَطروحٌ في البريـة حتـى قيل: أنَ [٢٤/ب] الذبَـاب أكلُـوا منـهُ جَانـب، حَتـى قَـالَ الشَاعرُ في المعنى، منْ أبياتٍ:

أَلَـمْ تَـرى أَنَ الليَّـثَ حَقًـا تنَاهَشَـتْ ذِبَـاب الفَـلَا منـهُ ذِراعًـا وَسَـاعِدَا[4]

ثم إنَ وَالى تروَجة، وَهوَ أَيدَمُر الفخري، حَملَ السلطان عَلـى جملٍ وَأتـى بـهِ إلـى القَـاهرة، فَغُسـل وَكفن وَصَلى عليـه، وَدُفنَ فـي مدرسـتهِ التـي بـالقُرب منَ السيَّدة نَفيسة.

---

[1] كذا في الأصل، الصواب "الذين".
[2] هي بلدة مصرية قديمـة بـالقرب من بركـة النطـرون، وهـي الآن إحدى قـرى مركـز كـوم حمـادة بمديرية البحيرة. (الانتصار ٢/ ٣١١. والنجوم الزاهرة ٢٩/١١ هامش ٣).
[3] كذا في الأصل، الصواب "الذين".
[4] بحر الطويل.

وَكانَ مَلكًا جَليلًا مُهَابًا، ضخم الجسدِ، كبير الوجة، مُستدير اللحيّة، حسنَ الوَجة، شديد البَأس، وكانَ مُنهمكًا عَلى اللَّذَاتِ، يَميلُ إلى اللّهو وَالطرب وَالسمَاع الطيب، وَشرْب الرَاح، وَحبّ الملاح.

قالَ القاضي مُحيى الدّين ابن عبد الظاهر كاتب السّر الشريف: «مَا رَأيتُ ولا سمعتُ بأسبق من ذهن[1] الملك الأشرف خليل، ولقدْ كنتُ أَحضرُ بالمرَاسيم للعلامة، فما عَلَمَّ عَلى مرسُومٍ قط، إلا وَقرأهُ جميعهُ، وَفهم مَا فيه، بلْ وكانَ يُخرج علينا بأشياء كثيرة فيها الصوَاب، ولقدْ تعاظم في أخر الوقت، حتى صَارَ يكتب في مَوضِع العلامة، (خَا) وَهوَ إشارةٌ إلى الحرف الأول منْ اسمه، ومنعَ الكُتاب بديوَانِ الإنشاء بأنْ لا يكتبُوا لأحد من الأمراء والنُواب «الزعيميّ»، وكانَ يقول: "من زعيم الجيُوش غيري"».

وكانَ لهُ معرفة تامة بأَحوالِ المملكة، وَكانَ كفوًا للسلطنة، وَلكنْ كانَ منْ مسَاوئه أنهُ كانَ يَسمع مِن وَزيرهِ شمس الدّين ابن السلعُوس، وكانَ ذلك سَببًا لزوَالِ مُلكهِ.

وكانَ منْ مسَاوئه أيضًا أنهُ نفى أَولاد الملك الظاهر بيبرس البُندقدَاري إلى القسطنطينية وَهُمَا سلامش وأخيه خضر، وقد تقدم ذلك، وكانَ ذلك غَاية المسَاوئ.

ولكنْ كانَ عندَهُ العدل وَالإنصَاف في حق الرعيّة لَا يُراعى في الحَق أحد منَ الأمراءِ ولا غيرهم إذَا ظهرَ لهُ الحق، وَممَا مُدحَ بهِ، وَهوَ قَولُ القَائلُ فيه مِنْ أبياتِ: [٢٥/أ]

يا أيها الملك الذي سطوَاتهُ	**حُملتْ بهَا الأَعداء في يقظَاتهَا**
ملك تقر له الملوك بأنه	**إنسان أعينها وعين حياتها**
شتّتَ شمل المال بعدَ وفُوره	**وجمعتَ شمل الناس بعد شتاتهَا**
وَظهرتَ بالعدل الذي أمسى به	**في البيدِ يخشى ذئبهَا مِن شاتهَا[2]**

وكانتْ قتلتهُ في عصرِ يَوم السبت خَامس عشر المُحرم سنة ثلاث وَتسعين وستمائة، وَمَاتَ وَلهُ منَ العُمرِ نحو من ثلاثين سنة، وَهوَ في خيَارِ شبَابهِ.

---

[1] في الأصل "دهن". والتصحيح من المقريزي نقلا عن ابن عبد الظاهر (انظر: المقفى الكبير ٤٥٦/٣).

[2] بحر الكامل؛ الأبيات لصفي الدين الحلّي (انظر: ديوان صفي الدين الحلي، ١١٧-١١٨. بدائع الزهور ٣٧٨/١/١. النجوم الزاهرة ٨٦/١١).

وكانتْ مُدّة سلطنته بالدِّيَارِ المصريّة ثلاث سنين وَشهرين وَأيَام.

وَأمَا فتُوحَاته الذي فتحهَا في أيامهِ وَهيَ: مدينة عكا، وَصُور، وَصيدَا، وَبيرُوت، وَعتليثْ[1]، وَقلعة الرُوم، وَبَهسنَا، وَمرعش، وَتلَ حَمدُون.

وَممَا أنشأهُ في أيَامهِ وَهيَ: الأشرفيّة التي بالقلعة[2]، وَالمدرسة التي عندَ مشهد السيّدة نفسية.

وقيل: أنَ المماليك بَلغُوا في أيَامهِ اثنى عشر ألف مَملُوك[3].

وَلمَا قُتلَ الأشرف، وَقدمَ عَلى رَبهِ تعالى وَأشرفْ، فأتفقَ رأي الأمير كتبغَا وَبقية الأمراء عَلى سلطنةِ أخيهِ محمد بن قلاوُن، وأنْ يكُون الأمير كتبغَا نائب السلطنة وَمُدَبر المملكة، فعند ذلك سلطنُوهُ وَلقبُوهُ بالملك الناصر محمد.

---

(1) اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر. (معجم البلدان ٨٥/٤).

(2) هذا القصر المعروف بالأشرفية أنشأه الملك الأشرف خليل بن قلاون في سنة اثنتين وتسعين وستمائة. (الخطط المقريزية ٣٦٩/٣).

(3) في بدائع الزهور ٣٧٨/١/١: "ستة آلاف مملوك".

ذكر

سَلطنَة الملك النَاصر محمد

ابن الملك المنصُور قلَاوُن[١]

وَهوَ التَاسعُ مِن مُلُوك التُرك وَأوْلادِهم بالدِّيَار المصريّة؛ تسلطنَ بعدَ قتلة أخَاهُ الأشرف خليل، وذلك في رَابع عشر المُحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة[٢]، وجلسَ على سرير الملك، وَلهُ من العُمر تسع سنين، وَدخلَ في العَاشرة، وكانَ مَولدهِ في سنةِ أَربع وَثمَانين وَستمائة، وَأمُه خوند أشلُون بنت الأَمير نُكاي.

فلمَا تَم أَمرهُ في السلطنةِ، استقر بالأَمير كتبغَا نَائب السلطنة، وَالأَمير سنجر الشُجَاعي وَزيرًا، وَالأَمير بيبرس الجَاشنكير أسْتَادَارًا؛ وفي [٢٥/ب] ذلك اليوم عُلقت رَأس بَيدرَا عَلى باب القُلَّة[٣].

ثُم إنَ الشُجاعي قَبضَ عَلى جَماعةٍ منَ الأمراء وهم: قفجق السلحدَار، وَقرمشي السلحدَار، وَبُوري السلحدَار، وَلاجين جركس، وَمُغلطاي المسعُودي، وَكُردي السَاقي، فلمَا قبضَ عليهمْ قيدَهم وأرسلهُم إلى الجُب بالقلعة، ثم إنهُ قَبضَ عَلى جَماعةٍ غير هَولاء مِنَ الأمراء وَأعتقلهُم بخزانةِ البُنود[٤].

---

[١] أخباره في: بدائع الزهور ٣٧٨/١/١- ٣٨٦؛ جواهر السلوك ١٤٠- ١٤٣.

[٢] في بدائع الزهور ٣٧٨/١/١: "ثامن عشر المحرم"؛ في جواهر السلوك ١٤٠: كما هنا.

[٣] أحد الأسوار الداخلية الواقعة في القسم الشمالي الشرقي من مباني قلعة الجبل، وكان السور الذي فيه هذا الباب يفصل بين الساحة التي كانت خلف باب القلعة العمومي وبين الدور السلطانية، وسمي بهذا الاسم لأنه كان هناك قلة (برج مرتفع) بناها الملك الظاهر بيبرس، وقد اندثر بسبب إزالة السور. (صبح الأعشى ٣٧٢/٣؛ الخطط المقريزية ٣٧١/٣؛ النجوم الزاهرة ٤٥/٨ هامش ١).

[٤] في بدائع الزهور ٣٧٨/١/١: "خزانة شمايل"؛ أما خزانة البنود: هذه الخزانة بالقاهرة هي الآن زقاق يعرف بخط خزانة البنود، على يمنة من سلك من رحبة باب العيد يريد درب ملوخيا وغيره، وكانت أوّلا في الدولة الفاطمية خزانة من جملة خزائن القصر يعمل فيها السلاح. (الخطط المقريزية ٣٢٩/٣).

وَتولى عقُوبتهمْ الأَمير بيبرس الجَاشنكير، وَقرَّرَهُم عَلى من كانَ سببًا في قتلةِ الأشرف خليل، ثُمَ قطعُوا أيديهم وأرجلهم وسمروا عَلى الجمَال، وَطافُوا بهمْ في القَاهرة، وَكانَ لهمْ يَوم مشهُود لمْ يُسمع بمثلهِ، ثم وَسطُهُم في سُوق الخيل.

ثُم بعدَ ذلك قبضُوا عَلى الصَاحب شمس الدّين ابن السَلعُوس، فتسلمهُ الشُجاعي وَلا زَالَ يَعصرَهُ وَيَضربهُ حتى مَاتَ تحت الضرب في يوم الأحد خَامس عشر من السنة المذكورة، وَأحَاط عَلى جميع مَوجُوده هُوَ وَعيَالهُ وَأقَاربهُ وَحَاشيته، وَاستصفى أموَالهُمْ جَميعهَا.

وكَانَ الصَاحب شمس الدّين ابن السَلعُوس لما رَقَى في دولةِ الأشرف خليل، كما تقدم، أرسل يَطلب أقَاربه، وكانُوا بالشامِ فكلهُمْ أجَابُوهُ إلى الحضُور إلا شخصًا منْ أقاربهِ؛ فإنهُ خافَ على نفسهِ، وَلمْ يُوافق على الحضُور إلى مصر، وكتب إلى ابن السَّلعُوس، وَهُوَ يقُولُ هَذهِ الأبيَاتِ وَهُما:

تَنْبِيه يَا وَزِير الملك وَاعْلَم ... بأنك قدْ وطِئتَ عَلى الأَفَاعي
وَكن بِاللهِ معتصماً فَإنّي ... أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ نَهْشِ الشُجَاعي[1]

فكان الفَالَ بالمنطق، وَتسلمَ الشُجَاعي ابن السَّلعُوس، وضربهُ حتى مَاتَ تحت الضرب، كما تقدم.

ثم إنَ الشُجَاعي لمَا صفا لهُ الوقتِ وَرأى السلطان صغير السّن، فصَارَ يرمي الفتن بين الأمرَاءِ وبينَ الأَمير كتبغَا النَائب، فصَارَ مَع كتبغَا فريق منَ العسكر وَمع الشُجَاعي [٢٦/أ] فَريق.

وقيل: أن الشجَاعي أَنفقَ عَلى المماليك البُرجيّة في يَومٍ وَاحدٍ ثمَانين ألف دينَار، واتفقَ مَعهُمْ أنَ "كل منْ قتلَ أميرًا وَجاءَ برَأسهِ، يُعطيه إقطاعه"، فلما بلغ الأمير كتبغَا ذلك اجتمعَ بأعيَان خشدَاشينهُ، وَلبسَ آلة الحرب، وَوَقفَ في سُوق الخيل، فلما عَلمَ الشُجَاعي بذلك غلق بَاب القلعة، وعَلق الصنجقَ السُلطاني، وَدَقَ الكؤسَات حربي، وبقي مُنتظرًا من يَطلع إليهِ منَ الأمرَاء، فلمْ يَطلع إليه أحد منهُمْ، وَصَارَ الأَمير كتبغَا يُحاصر القلعَة، وَقطعَ عنهَا الماء.

---

[1] بحر الوافر؛ البيتان لأحمد بن عثمان أخو محمد بن السَّلعوس. (انظر: المقفى الكبير ٣٢٠/١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢٣٤/١). وجاء الشطر الأول من البيت الأول مختلفًا في المصادر، (انظر: المختصر في أخبار البشر ٣١/٤. تاريخ ابن الوردي ٢٣٢/٢. الوافي بالوفيات ٦٥/٤. النجوم الزاهرة ٥٤/٨).

فلمَا كانَ يَوم الجُمعة ثالث عشرين صفر منَ السنةِ المذكورة نزل المماليك البرجّية من القلعة عَلى حميّة، وَتقاتلُوا معَ الأَمير كتبغَا أشدّ القتَال حتى كادَ كتبغَا أنْ ينكسر، ثُم قوى كتبغَا عليهم، وَكانَ أكثر الأَمرَاء معهُ مثل: الأمير بيسري، وبكُتاش أمير سلاح، وَبكتُوت العلائي، وَأيبك المُوصلي، وَآقسُنقر، وَبَلَبان الحُسيني، وَغير هؤلاء جَماعة كثيرة منَ الأمراءِ، فكسرُوا المماليك البُرجيّة.

فعند ذلك نزلتْ خوند أَشلُون وَالدَة الملك النَاصر إلى بابِ السلسلة، وَأرسلتْ خلفَ الأَمير كُتبغَا وتحدَّثتْ مَعهُ مِن أعلى السُور، وَقالتْ لهُ: "إيش قصدك حتى نفعلهُ"، فقَالَ لهَا: "مَا لنَا قصد إلا مسك الشُجَاعي وَأخماد الفتنة، وَنحن لوْ بقيتْ منْ أولادِ أسُتَاذنَا بنت عَمياء، مَا خرجنَا الملك عنهَا، وَلا سيما ولده النَاصر، وفيهِ كفاية"، فاتفقت معهُ عَلى مَسك الشُجَاعي، فلمَا رأوا ذلك من كانَ مَع الشُجاعي، فصَارُوا ينزلُون مِنْ عِندِهِ إلى الأَمير كُتبغَا وَاحدًا بعدَ وَاحد حتى لم يبق عندَ الشُجَاعي إلا القليل، فطلبَ الشُجَاعي الأَمَان منَ الأَمير كُتبغَا، فَلمْ يُوافقُ بقية الأَمراء عَلى ذلك.

فلما رَأى الشُجَاعي عين الغُلب، دَخلَ إلى السلطان الملك النَاصر في صورةِ أنهُ يَستَشِيرهُ [٢٦/ب] في أَمر هذهِ الحركة، فَقَالَ لهُ السُلطان: "يَاعمي مَا سبب هَذهِ الفتنة، وَإيش أخر هذَا الحَال الذي أنتم فيهِ"، فقَالَ الشُجَاعي: "هذَا ملهُ لأجلك يا ابن أسُتاذي، فقَالَ السُلطان: "يَاعمي أنَا أَعطيكَ نيابة حلب، وَأخرُج رُوح عنهُمْ واستريح منْ هذهِ الفتن"، فلم يُوافق عَلى ذلك.

فقامُوا إليهِ المماليك الذين كانُوا عند السلطان في المجلس وَمسكُوهُ، وقيدُوهُ، وَأرسلُوهُ إلى الجُب، فبينما هُوَ في أثناء الطريق فخرجُوا عليه المماليك فقتلُوهُ، وَقطعُوا رَأسهُ وَيدهُ، وَأَخذهم في فُوطة، وكانَ الذي قتلهُ يُقالُ لهُ بَهاء الدّين أقُوش.

فلما خرجَ برَأس الشُجَاعي إلى باب القلعة رأى المماليك البُرجيّة مُحتَاطين ببابِ القلعة، فقَالُوا لأقُوش: "مَا معك"، فقال: "خُبز سُخن أرسلهُ السلطان إلى الأَمير كتبغَا، ليعلمْ أنَ عندنا الشيء كثير"، فترَكُوهُ حتى نزل منَ القلعة، ولو علمُوا مَا معهُ لقتلُوهُ منْ وقتهِ، فلما نزلَ توجّه إلى الأَمراء وَرَمى رَأس الشُجاعي بينَ أيدهمْ، فلمَا رأوا رَأس الشُجاعي خَمدَتْ الفتنة، وَسكن الحَال.

ثم إن الأمراء رَسمُوا للمُشاعليّة بأن يَأخذُوا رَأس الشُجاعي وَيَطُوفُوا بهَا على رُمح، فجعَلُوهَا عَلى رُمح، وَطافُوا بهَا مصر والقَاهرة.

وكانَ أكثر الناس يكرَهُون الشُجَاعي، فصَارُوا يعطُون المُشاعِليّه أشياء [1] منَ الفضةِ، وَيَأخذُونَ منهم الرَأس ويدخلُونها إلى دَارهم، وَيصَفعُونهَا بالقباقيب وَالنِعَال حتى يتشفُوا منهُ، فصَارُوا يطوفُون بهَا الحَاراتِ وَالأزقة حتى حَارَات اليهُود والنصَارى وَهُمَ يَصفعُونهَا بالنعَال، وَرُب مَا بَاكُوا عليهَا، فأقامُوا عَلى ذلك ثلاثة أيَام. وَقيل: كانَ معَ المشاعليّه بَرنيّة خضراء، يُحصلُون فيها مَا يَأخذُونهُ منَ الناسِ، فقيل: أنهُم مَلُوا تلك البَرنيّة ثلاث مرَات فضة، ولم يُسمع بمثلِ هذهِ الوَاقعة فيمَا تقدم مِنَ الوقَائع [٢٧/أ] الغريبة.

وكانَ سنجر الشُجَاعي هذَا رَجلًا طَويلًا، تامَ القَامة، أبيض اللون، أشقر اللحيّة، مُهاب الشكل، وَلكنهُ كانَ ظالمًا جَاهلًا عسُوفًا، كثير الأذى للناسِ، جبارًا عنيدًا، لا يُراعى في الأنَام خليل، وكانَ عندهُ قسْوَة زائدة في حقِ الرَّعيّة، فلمَا جرى لهُ ما جرى لم يَرث لهُ مَخلُوق، فكان كما قَالَ القَائلُ:

لا تفعل الشرّ فتسمى به ... وافعل الخير تجازى عليه

أمَا ترى الحية من شرّها ... يقتلها من لا أساءت إليهْ [2]

فلمَا قُتل الشجاعي خمدَتْ الفتنة، وَطلعُوا الأمراء إلى عندَ السُلطان، وَجمعُوا المماليك البُرجية، وكانُوا يَسكنُون في أبراج القلعة، فأنزلهمْ الأمير كُتبغَا إلى أبراج القاهرة، وَأمرهم أن يَسكنُوا بهَا، وكان المماليك البُرجيّة نحو أربعة ألاف وسبعمائة مَملُوك، ورَسمَ لهُم بمرتبَاتهم عَلى حَالهَا بحكم أنهُم لا يركبُون ولا ينزلُون منَ الأبرَاج.

ثُم إنَ الأمير كُتبغَا قَبضَ عَلى جَماعةٍ مِنَ الأَمراء وَهُم: الأمير بيبرس الجَاشنكير، وَاللقماني، وَأمير آخر، وَقيدهُم وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية.

وَأفرجَ عن الأمير قُفجق [3] السلحدَار، وَالأمير عبد الله حَامل الجتر، وَعُمر السلحدَار، وَقرمشي، وَبُوري، وَلاجين جركس، وَمُغلطاي، وَكُردي الساقي، فأخلعُوا عليهم وأعَادُوا إليهم إقطاعَاتهم وَوَظائفهمْ.

---

[1] في الأصل "شياء".

[2] بحر السريع.

[3] في الأصل "قبجق"، وورد الاسم قبل قليل "قفجق".

ثُمَ دَخلتْ سنةِ أَربع وَتسعين وَستمائة، فيها: في عَاشر المُحرم ثار جَماعة مِنَ المماليك الأَشرفية في الليل، وَكسرُوا بابِ سَعَادة، وَهجمُوا أسطبلات الناسِ، وَأخذُوا خُيولهمْ، وَبَاتُوا تلك الليلة يُجاهدُون في القَاهرة، فلمَا أَصبحَ الصبَاح أَرسل الأمير كُتبغَا قَبضَ عليهم، وَقطع أيديهم، وصلبَ بعضهمْ على بابِ زويلة، وَوَسّط بَعضهُم، وكانُوا نحو ثلثمائة [٢٧/ب] مملُوك.

فلمَا جرى ذلك، اجتمع الأَمراء، وضربُوا مشورة، وَقَالُوا: "السُلطان صَغير السنّ، وقدْ طمع المماليك في حقِ الرّعيّة، وَالوقت مُحتَاج إلى إقامة سُلطان كبير"، فعند ذلك خلعُوا الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن مِنَ السلطنة، وَوَلُوا كُتبغَا.

فكانتْ مُدّة الملك النَاصر محمد في السلطنةِ الأولى أحد عشر شهرًا وَأيَام.

ذكر

سَلطنة الملك العَادل زين الدّين

كُتبغَا بن عبد الله المنصُوري[1]

وَهوَ العَاشرُ من مُلُوك التُرك وَأوْلادهمْ بالدِّيَارِ المصريّة؛ تسلطن بَعدَ خلع الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن في حَادى عشر المُحرم سنةِ أربع وَتسعين وستمَائة.

وكانَ أصلهُ من سبَايَا التتَار، أخذهُ المنصُور قلَاوُن في وقعةِ حمص الأولى، وذلك في سنةِ تسع وَخمسين وَسُتمائة، فصَارَ من جُملة مماليك السُلطان، وقدْ مَلكهُ قلَاوُن قبلَ أنْ يلى السلطنة، فلما تسلطنَ جعلهُ أمير عشرة، ثم بقى مقدم ألف، فلما قُتل الأشرف خليل وَتولى أخوهُ محمد بن قلَاوُن فاستقر بهِ نَائب السلطنة عُوضًا عنْ الأمير بَيدرَا، فلما خُلعَ النَاصر محمد من السلطنةِ بقى كُتبغَا سُلطانًا.[2]

فلمَا تَمَ أَمرَ كُتبغَا في السلطنةِ استقرَ بالأَمير لَاجين نَائب السلطنة عُوضًا عن نفسهِ، وكانَ الأمير لَاجين ممن توَاطئ عَلى قتلِ الأشرف خليل، فلما قُتل الأشرف خليل هَربَ لَاجين وَاختفى مُدّة طويلة نحو سنة، فكانَ مُقيمًا في مَأذِنِة[3] جَامع أَحمد بن طُولُون، ثم إن الأمير كُتبغَا شفعَ فيهِ أيَام الملك النَاصر محمد بن قَلَاوُن، فلما ظهرَ أنعم عليه بتقدمةِ ألف، فلمَا تَسلطنَ كُتبغَا جَعلهُ نَائب السلطنة وَفوَّضَ إليهِ أُمور المملكة؛ ثم أخلعَ عَلى الأمير الحَاج بَهادُر واستقر بهِ حَاجب الحُجاب.

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٣٨٦- ٣٩٤؛ جواهر السلوك ١٤٤- ١٤٦.

[2] جاءت على الهامش بخط المؤلّف، (حاشية) "وَفي دَولةِ الملك العَادل كُتبغَا في سنةِ خمس وَتسعين وستمائة توفي الشيخ فاتح الأَسمر بن عثمان التكرُوري المرَاكشي، وَدُفنَ بثغرِ دمياط، وكانت لهُ كرامَاتٌ خارقة، رضي الله عنهُ". في الأصل "فتح الأستمر". وبدائع الزهور "فتح الأسمر" (انظر: المواعظ والاعتبار ١/٤١٤. بدائع الزهور ١/١/٣٨٧).

[3] في الأصل "مادنة".

فلمَا تَم أَمرَ كُتبغَا في السلطنةِ أنشأ لـهُ حَاشية، وأَمَّر جَماعـة منَ خُشدَاشينه، وَأنعم عليهم بتقادم أُلوف، ورَاج أَمرهُ، واستقامتْ أَحوَالهُ في السَّلطنةِ [٢٨/أ].

وَمنَ الحوَادِثِ في أيَامِهِ: أنَ الأرضَ أُجدِبت، وَوَقع الغلاء بالدِّيَارِ المصريّة، وَغلتِ الأسعار حتى وّصلَ بسعر القمح كلّ أَردب بمَائة وَخمسين درهمًا، وَاشتدَّ الأَمر عَلى الناسِ حتـى أكلُوا مِن الكـلَاب وَالقطـطِ وَالحمير أشياء كثيرة، حتـى صَارَ الكلب يُباع بخمسةِ درَاهم، وَالقطِ بدرهمين، وَدَام هذَا الأمر عَلى النَاس.

حتـى دَخَلت سنـة خمس وَتسعين وَستمائة، فيهـا: اشتدّ الأَمر عَلـى النـاسِ حتى بلغَ سعر القمح كلّ أَردب بمَائة وسبعين درهمًا، وبلغَ سعر الفُول والشعير كلّ أردب بمَائـة وَعشرين درهمًا، وَأبيـع الفُروج بخمسـة عشـر درهمًـا، وأبيـع السفرجلة وَالتُفاحـة كـل وَاحـدة بثلاثـين درهمًـا، وأبيـع اللحـم كـلّ رطـل بسـبعةِ درَاهم، وَأبيع البيض كلّ واحدة بأَربعةِ درَاهم.

وَمَاتَ في هذه السنة منَ النـاسِ مَـا لا يُحصـى عَدَدَهُمْ من الجُوع، وَصَـارُوا مَوتـى في الطُرقَات، حتى جَافتْ منهم المدينة.

وقيلَ: جاءَ جرَادٌ كثير فـي تلك السنة فأكل النـاسُ منـهُ شيئًا كثيـرًا، وأبيـع كـلّ أربعةِ أَرطَال جرَاد بـدرهمين، وأبيـع الكُمـأة كلّ سبعةِ أرطَـالَ بـدرهم؛ وكـانَ هذَا الغلاء عَامًا في سَائر البلادِ الشَاميّة وَالحلبيّة، حتى في الحَجاز الشريف وَالمدينة.

وَمَاتَ منَ العَالم فـي هذه السنةِ نحـو الثلث، ثـم ترَاجـعَ الأَمر بَعدَ ذلك قليلًا قليلًا، وَأنحَطَّتْ الأَسعَار، وَأنصـلح الحَـال بَعدَ تلك الشدّة العظيمـة التـي حَصَلَتْ للناسِ من هذَا الغلاء الشديد، كما يُقالُ:

قَـــل لمـــنْ يحمـــل هَمَّـــا ... أن هَـــــذَا[١] لا يَـــــدُومُ
مِثلَمـــا تُنفـــى المَســـرَّاتُ ... هكـــذَا تُنفـــى الهمُـــومُ[٢]

وَفـي هذِهِ السنةِ وَهي سنـة خمس وتسعين وسُتمائة، فيهـا: تـوفي الشيخ سرَاج الدّين الورَاق الشَاعر، وكانَ مولده في سنةِ خمس عشر وستمائة، فكانـتْ مُدّة حيَاته نحو ثمانين سنة، وَمن شعرهِ لنفسهِ، وَهوَ قولهُ:

---

(١) "هما" في ألف ليلة وليلة ٧/١. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٣٣٤/٢.
(٢) بحر مجزوء الرمل؛ البيتان للبهاء زهير، وقد نقلهم ابن إياس بالمعنى وليس حرفيًا. (انظر: بدائع الزهور ٣٩١/١. ديوان البهاء زهير، ٢٣٧).

وَاخجلتــي وَصـــحَائفي سُــودًا غــدَتْ وَصـحائفِ الأَبـرَارِ فــي إشـرَاقِ [٢٨/ب]
وَمُـــوبخ لـــي فـــي القيَامـــةِ قَائـــلٌ[١] أكـــذَا تكُـــون صـــحَائف الـــوَرَّاق[٢]

ثُمَ دَخلت سنة سِت وَتسعين وستمائة، فيها: سَافر السلطان الملك العَادل كُتبغَا إلـى الـبلاد الشَـاميّة بسـبب تمهيّـد الـبلاد، فَدَخَلَ إلـى دمشـق وَصـلى بهَـا الجُمعة، وَلعبَ بالأكرة في الميدَانِ الكبير، وأقَامَ بدمشق أيَامًا، ثم قصدَ التوجّه إلى نحو الدِّيَارِ المصريّة.

فلمَا وَصَلَ إلـى وَادي فحمـة[٣]، قـبضَ الأَميـر لَاجـين النَـائـب عَلـى الأميـر بُتخاصِ العَادلي، وَالأمير بكتُوت الأزرَق، وَكانا جنَاحَي الملك العَادل كُتبغَا.

فلمَا بلغَ كُتبغَا ذلك رَجعَ إلى دَمشق في نفرٍ قليل منَ العسكر، فلمَا رَجعَ كُتبغَا إلـى دَمشـق احتـوى الأَميـر لَاجين عَلـى خـزَائن المَـال، وَرَكـب تحـتَ العصَـائب السُلطانية، وقصدَ التوجّه نحو الدّيَارِ المصرية، هذَا مَا كانَ منْ أَمر الأمير لَاجين.

وَأمَا مَا كانَ من أَمر الملك العَادل كُتبغَا فأنهُ لمَا رَجعَ إلى دمشق، وأقَامَ بهَا ثلاثة عشر يَومًا، وَهوَ بقلعةِ دِمشق، وَأطاعتهُ الرّعيّة الدمشقيّة.

فمَا عن قليل حتى جَاءتْ الأخبار منَ القَاهرة بأنَ لاجين قدْ تسلطن بمصر، وَتلقب بالملك المنصُور، فَعندَ ذلك انحلَّ أَمرِ العَادل كُتبغَا، وَفلتْ عنهُ الناسُ.

فلمَا كـانَ يَوم الخميس ثـامن رَبيع الأول منَ السنةِ المذكُورة وَصَلَ الأمير حُسـام الـدّين لَاجـين أسُـتَادَار العَاليـة إلـى دَمشـق، وَعَلـى يـدهِ مرَاسيم للأمـرَاء الدمشقيّة، فـاجتمعُوا بـدَار السعادة، وَحضرُوا القُضـاة الأربعـة، وَقَرُوا علـيهم مرَاسيم السلطان الملك المنصُور لاجين، فأَذعَنُوا[٤] لهُ بالسمع وَالطاعة، ثم بَعدَ ذلك دَخلَ الأمير لاجين الأسُتَادَار ومعهُ قاضـي القُضـاة بـدر الـدّين ابـن جَماعـة الشافعي على الملك العَادل كُتبغَا وَهوَ بقلعةِ دمشق، وَتكلمُوا مَعهُ كلامًا كثيرًا.

---

[١] "وتوقعي لموبخ لي قَائِل" في: مسالك الأبصار ٢٢٢/١٩. الوافي بالوفيات ٢٣٩/١.
[٢] بحر الكامل؛ البيتان لسراج الدّين عمر الوراق في: مسالك الأبصـار ٢٢٢/١٩. الوافي بالوفيات ٢٣٩/١. خزانة الأدب وغاية الأرب ٥١/٢. بدائع الزهور ٣٨٩/١/١.
[٣] لم يذكره ياقوت في معجم البلدان، وهو في فلسطين في الطريق إلى البلاد المصرية. (انظر: التعريف، ابن فضل العمري، صـ٢٤٨).
[٤] في الأصل "فأدعنوا".

ثم إن العَادل كُتبغَا أذعن [1] وَدَخَلَ تحت طاعة الملك المنصُور لَاجين، وقالَ: "هذَا خُشدَاشي وَمهما أرَاد يفعلَ [٢٩/أ] فيَا كنتُ رَاضيًا بذلك"، ثُم بعدَ أيام قلَائل وَصلَ الأَمير قفجق المنصُوري وَقدْ استقر نَائب دمشق، فلمَا وَصلَ إلى دمشق نزلَ بدَار السعادة، فأَرسلَ العَادل كُتبغَا إلى قفجق نَائب الشَام يَطلب منهُ أنْ يَعطيه نيابة صرخد، وَيُرتب لهُ مَا يُكفيه هُوَ وعيَالهُ، فأَجَابهُ قفجق إلى ذلك، ثم إن العَادل كُتبغَا توجّه إلى صرخد وَصُحبتهُ ممَاليكه وَهوَ في غَاية العزّ وَالعظمة وَالاكرام.

فكانتْ مُدّة سلطنة الملك العَادل كُتبغَا بالدِّيَارِ المصريّة إلى أنْ خُلعَ نحو سنتين إلا شهرين، وَأقامَ بصرخد إلى سنةِ تسع وَتسعين وَستمائة.

فلمَا عَادَ الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن إلى السلطنة الثانية أنعم عَلى كُتبغَا بنيَابةِ حَماه، لأنهُ كانَ من خَواصِ مماليك أَبيه قلَاوُن، وَكانَ الملك النَاصر يَميل إلى كُتبغَا دُون ممَاليك أبيه، فأقامَ كُتبغَا بحمَاه إلى أنْ مَاتَ في يَوم عيد النحر سنة اثنتين وسبعمَائة، وَدُفن في حمَاه، ثُم نقل بعدَ ذلك إلى دمشق، وَدُفن بسفح جبل قَاسيُون، وَماتَ وَلهُ منَ العُمر نحو ستين سنة.

وكانَ كُتبغَا رجلًا أسمرَ اللون، قصير القَّامَة، أجرُود اللحيّة، وكانَ مَوصُوفًا بالشجاعة، وَكانَ دَينًا خيرًا سليم الباطن، وَمنْ سلامةِ بَاطنهِ وَتغفُلهِ الذي جَعَلَ لَاجين نَائب السلطنة بمصر؛ حتى جرى عليه منْ لَاجين مَا جرى وَخلعهُ مِن السلطنة، وتولى عُوضه، فكانَ كما يُقالُ في المعنى:

وَالخِلُّ كَالمَاء تُبْدِي لِي ضَمَائِرهُ ... مَعَ الصَّفَاءِ وَيَخْفِيْهَا مَعَ الكَدَرِ [2]

---

(1) في الأصل "أدعن".

(2) بحر البسيط؛ البيت لأبي العلاء المعري. (انظر: وفيات الأعيان ٤٥٠/١. كنز الدرر وجامع الغرر ٦٠٠/٦).

ذكر

سلطنة الملك المنصُور حُسام الدِّين

لَاجين بن عبد الله المنصُوري[1]

وَهوَ الحَادي عشر من مُلُوك التُرك وَأوْلادِهم بالدِّيَارِ المصريّة؛ وَأصلهُ مِن ممَاليك قلَاوُن [٢٩/أ] تسلطن بَعدَ خلعَ العَادل كُتبغَا بوَادي فحمة، وَتلقب بالملك المنصُور، وَذلك في شهر صفر سنة ستَ وَتسعين وستمائة[2].

فلمَا تسلطنَ هُناك توجّه إلى الدِّيَارِ المصريّة، فلمَا دَخلهَا زُينت لهُ، وَدُقتْ الكؤسَات، فطلعَ إلى القلعة، وَجلسَ عَلى سريرِ الملكِ، وَحملتْ على رَأسهِ القبة والطير.

فلمَا تمَ أَمرهُ في السلطنةِ استقر بالأمير قرَاسُنقر المنصُوري في نيَابة السلطنة، فأَقَامَ بهَا مُدّة يسيرة، ثُمَ قبضَ عليه واستقر بمملوكهِ منكُوتمر في نيَابة السلطنة، ثم أخلع على الأمير سُنقر الأعسر واستقر بهِ وَزيرًا.

ثم أمر بالإفراج عنْ أَولاد الملكِ الظاهر بيبرس البُندقدَاري، وأرسلَ أحضرهم منَ القسطنطينيَّة، فلما دخلُوا إلى مصر، كانَ سلامش ابن الملك الظاهر قدْ مَاتَ في القسطنطينيَّة، فأتُوا بهِ وَهوَ ميتٌ مُصبَّر، فدُفنَ بالقرافةِ الصغرى، وَأَمَا أخيه سيّدي خضر فأنهُ أقَام بمصر مُدّة، ثم طلبَ منَ السلطان دَستورًا بأنْ يُسافر إلى الحجاز الشريف، فأعطاهُ السلطان دَستُورًا، فسَافر إلى الحجاز، ثم رجعَ إلى الدِّيَارِ المصريّة فأقامَ بهَا إلى أنْ ماتَ.

وفي هذهِ السنةِ: أمرَ الملك المنصُور لَاجين بعمَارة جَامع أَحمد بن طُولُون، وكانَ هذَا الجَامع قدْ أقام مُدّة مَائة وسبعين سنة وَهوَ خرابٌ بغير سُقُوف، وَسبب عمَارتهُ أنَ السلطان لَاجين لما قُتلَ الأشرف خليل، كانَ لَاجين ممنْ وَالسَ عَلى

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٣٩٤/١/١- ٤٠١؛ جواهر السلوك ١٤٧- ١٥٠.

[2] في جواهر السلوك ١٤٧: "سنة خمس وتسعين وستمائة".

قَتله، فلما قُتلَ الأمير بَيدرًا، كما تقدم، وتولى النَاصر محمد بن قلَاوُن فاختفى لَاجين في مئذنةِ جَامع بن طُولُون مُدّة طويلة، فَنذرَ عَلى نفسهِ إنْ نجى منْ هَذهِ الشدّة يُعمر الجَامع كما كانَ، فلما أعطاهُ الله تعالى السلطنة، فأمرَ بعمَارتهِ وَذلك في شهر المُحرم سنةِ سبع وتسعين وستمائة، وَرتب لهُ أوْقافٌ، وَقرّرَ بهِ دِكة تكُون في سطح الجَامع؛ بسببِ [٣٠/أ] الميقَاتيّة لتحريرِ الوَقتِ، وَأوقَفَ عَلى ذلك وَقفًا، وَهوَ باقٍ إلى الآن.

وفي هذه السنة وَهي سنة سبع وَتسعين وستمائة، فيها: رَاك الملك المنصُور حُسَام الدِّين لَاجين البلاد المصريّة، وَهوَ الروك الحُسَامي، وكانَ ابتداؤه في سَادس جَمادى الأول منَ السنةِ المذكُورة، فشرعُوا في عملِ الأورَاق، وَكانَ المتكلم في كتبِ القوائم التَاج الطويل.

فلما كانَ ثَامن رَجب فرّقتْ المثالات وَكانتْ الدِّيَارِ المصريّة يومئذ مَقسُومة عَلى أربعة وَعشرين قيرَاطًا، منهَا أَربع قرَاريط للسُلطان وَالكلف والرَواتب، وَعشر قرَاريط للأمراءِ وَالإطلاقَات، وَعشر قرَاريط لأجنادِ الحلقة، فرسمَ السلطان للمُباشرين بأنْ يكفُوا الأمراء وَالأجناد بعشر قرَاريط، وَزادُوا الذين تشكُوا مِنْ ذلك قيرَاط، وبقي للسُلطان ثلاثةِ عشر قيرَاطًا، وبقي العسكر ضعيف ليسَ لهُ مَا يقوى بهِ الفلاحين.

وَكانَ الشاد على ذلك الأمير بَهاء الدّين المنصُوري، والمتكلم الأمير مَنكُوتمر النَائب، فسَارَ في الناسِ أقبح سِيرة، وَصَارَ يُقَابح الأمراء وَالجند أنحس مُقابحة، ويُخَاشِنهُمْ في اللفظِ، وكانَ الأمير منكُوتمر منْ سيئات الملك المنصُور لَاجين، وَلما عُزل الأمير قرَاسُنقر المنصُوري منَ النيابةِ، وَتولى منكوتمر فشق ذلك على الأمراء وَالجُند.

ثم إن منكوتمر النَائب حسّنَ للملك المنصُور لَاجين بَأن يمسك جَماعة منَ الأمراء وهم: الأمير أينبك الحموي، وَالأمير قرَاسُنقر النَائب، وَجماعة غير ذلك منَ الأمراء.

فلمَا بَلغَ الأَمير قفجق نَائب الشَام هُوَ وَالأَمير بكتمر الأبوبكري، وَالأَمير بُزْلَار [1]، فلما هربُوا توجهُوا إلى القَان غازَانِ ملك التتَار، وَكانَ هذَا سببًا للفتنةِ العظيمةِ التي وقعة، كما سيأتي ذكر ذلك في مَوضعهِ. [٣٠/ب]

---

[1] في الأصل "نزلار"، والتصحيح من السلوك ٣٨١/١/٣ والنجوم الزاهرة ١٧٥/١١ وبدائع الزهور ٢٥٧/٢/١. وقد ورد بعد ذلك بهذه الصيغة الصحيحة.

فلمَا وَقعَ ذلك منَ السلطان لَاجين نفرتْ عنهُ قُلوب الرَّعيّة لسوء تدبير مملوكه منكوتمر، وَقد أختارُوا عود الملك لناصر كلّ أحد منَ الرّعيةِ.

وفي هَذه السنة وَهي سنة سبع وَتسعين وَستمائة، فيها: حج الخليفة الإمَام أحمد الحَاكم بأمر اللهِ فأنعم عليه السلطان لاجين بسبعمائة درهم[1].

ثم دَخلت سنة ثمان وَتسعين وستمائة، فيها: توجّه السلطان لاجين إلى نحو القصر الكبير، وَكانَ صَائمًا فَدخلَ إلى القصر ليفطر هُناك، وكانَ جَماعة منَ المماليك الأشرفية أتفقُوا عَلى قَتلهِ لأنهُ كان ممن تواطئ عَلى قتلهِ الأشرف خَليلِ.

فلمَا عَلِمُوا أنَ السلطان لَاجين دَخلَ إلى القصرِ فدَخلُوا عليه بعدَ العشَاء، وَهوَ جَالسَ يَلعب بالشطرنج، فأَول من دَخَل عليه من المماليك كُرجي مُقدم البُرجيّة، وَكانَ قدْ اتفقَ مع نُوغَان الكرمَاني، وَكانتْ نَوبتهُ في السِلحدَارِية تلك الليلة، فقَالَ لهُ السُلطان: "غلقت عَلى المماليك البُرجيّة"، فقالَ: "نعم"، فشكرهُ السلطان عَلى ذلك، وَكانَ أكثر المماليك البُرجية وَاقفًا في دهَليز القصر.

وكانَ السلطان جَالسًا وَعندَهُ القَاضي حُسام الدِّين الرَازي الحنفي، وأمَامُهُ مُحب الدِّين ابن العسَان، وَشيخ العرب يَزيد.

فلمَا دَخَلَ كُرجي عَلى السلطان وَجدَهُ مُنكبًا عَلى الشطرنج، فتقدَمَ كُرجي عَلى أنهُ يَصلح الشمعة، فأرمى الفُوطة عَلى النْمجَاة[2]، وقَالَ للسُلطان: "يَا خُجم مَا تُصلى العشَاء"، فقَالَ السُلطان:"نعم"، وَقَامَ ليُصلي العشَاء، فضربهُ كُرجي بالسيف عَلى كتفهِ فَهدلهُ، فطلبَ السلطان النْمجَاة فلم يجدَها، فقامَ منْ هَولِ الضربة، وَمسك كُرجي وَأَرَمَاهُ تحتهُ، فجاءَ إليهِ نُوغَان الكرمَاني، وَأخذَ النمجاة، وَضرب السلطان عَلى رجلهِ فقطعهَا.

فصَاح عليه القَاضي حُسَام الدّين: "وَيلكُمْ أسُتاذِكمْ كيف تقتلُوهُ"، فانقلبَ السلطان عَلى ظهرهِ مَيتًا، فتركُوهُ وَمضُوا [٣١/أ] وَأَغلقُوا بَاب القصر عَليه، وَتركُوا عندّهُ القَاضي حُسَام الدّين.

ثم إنَ كُرجي توجَّه في الليل بَعدَ العشَاء إلى دَار النيَابة، وَدَقَّ البَاب عَلى الأَمير منكُوتمر النَائب، وَقَالَ لهُ: "إنَ السلطان يَطلبك"، فأنكرَ ذلك، وَقَالَ لهُ:

---

[1] في بدائع الزهور ٣٩٨/١/١: الخبر بدون ذكر المبلغ الذي أخذه الخليفة من السلطان لاجين.
[2] خنجر معقوف شبيه بالسيف الصغير أو القصير. (تكملة المعاجم العربية، دوزي، ٣١٢/١٠).

"قَتلتَ السُلطان"، فقَالَ كُرجي: "نعم، قتلنَاهُ وَجينَا نَقتلك يَا نحس"، وَكَانَ منكُوتمر بينهُ وَبين كُرجي حظِ نفس.

ثم إن كُرجي قبضَ عَلى منكُوتمر، وَتوجّه بهِ إلى الجُب، الذي كانَ بالقلعة، يحبسُوا فيهِ الأمراء، فلما أعتقلُوا به منكُوتمر، كانَ بهِ من الأمراء أينبك الحموي، وَالأمير قرَاسُنقر الأعسر، الذي [1] تقدم ذكرهُما[2]، وكانَ منكُوتمر سببًا لمسكهما، فلما رأوهُ شتمُوهُ، وَلعنُوهُ، وَأرَادُوا قتله.

فلمَا طلعَ النهَار، جَاء كُرجي إلى الجُب، وَذبحَ منكُوتمر النَائب، وَهوَ في الجُب، ثم دُفنَ السلطان لَاجين وَمنكُوتمر في ذلك اليَوم.

فكانت مُدّة سلطنة المنصُور لَاجين إلى أن قُتلَ سنتين وَشهرين وَأيَام، وكانت قتلتهُ في ليلةِ الجُمعة عَاشر رَبيع الآخر سنةِ ثمان وَتسعين وستمائة.

وكَانَ رجلًا طويلًا، أشقر اللحية، أزرق العينين، مُهَابًا، مَوصُوفًا بالفرُسيّةِ، شُجاعًا بطلًا، دينًا خيرًا، أَبطلَ في أيَامهِ منَ المُكُوسِ أشياء كثيرة، وَماتَ وَلهُ منَ العُمر نحو ستين سنة[3].

ثُمَ في أثناء ذلك اليَوم حضرَ الأمير بَكتاش أمير سلاح، وَكَانَ مُسافرًا مَع طائفةٍ منَ العسكر نحو البلاد الشاميّة، فلما حضرَ نزلَ إليه كُرجي وَنُوغَان الكرمَاني، فقَالَ الأمير بَكتاش لكُرجي: "تُريدَ أنْ تَعملَ في كلِ شهرٍ سُلطان"، ثم أشارَ لمنْ حولهُ، فقبضُوا على كُرجي، وَقتلُوهُ في الحال، وَهَرَبَ نُوغَان الكرمَاني، وَطُوغي، ثم قبضُوا عَليهما وأحضرهُما إلى عندِ الأمير بَكتاش، فأمرَ بقتلهُمَا[4].

ثم إنَ الأمراء اجتمعُوا وَضربُوا [٣١/ب] مَشوَرة فيمنْ يُولُوهُ سُلطانًا، فأتفقَ رأيهم عَلى عَود الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، فأَرسلُوا لهُ نجَابٌ إلى الكرك بالحضُور إلى الدِّيَارِ المصريّة، وبقي تخت المملكة خَاليًا بغير سُلطان أحد وَأربعين يَومًا، حتى حَضرَ الملك النَاصر من الكرك، وتولي السلطنة.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "اللذان"

(٢) خبر الأمراء الذين كانوا بالجب لم يرد ببدائع الزهور.

(٣) في بدائع الزهور ٤٠٠/١/١: "وله من العمر نحو ثلاث وستين سنة".

(٤) جاء الخبر مختصرًا في بدائع الزهور ٤٠٠/١/١.

ذكر

عَود الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن

إلى السّلطنةِ بالدِّيارِ المصرية[١]

وَهيَ السَّلطنة الثَّانية، فَدَخلَ إلى القَاهرةِ في ثامن جَمادى الأول سنةِ ثَمان وَتسعينَ وستمائة.

فَزُينتْ لهُ القَاهرة، وَدُقت لهُ بالشائر، فَطلعَ إلى القلعة، وَلبسَ خَلعَة السلطنة، وَهي جُبة سودَاء بطوق ذهب وَعمامه سَودَاء، وَسيف بدَاوي، مُقلد بهِ[٢]، فجلسَ عَلى سرير الملك، ونُودي باسمه في القَاهرة، وَضجُوا الناسُ لهُ بالدُعاءِ، وفي ذلك يقولُ الشيخ عَلائي الدِّين الوَدَاعي[٣]:

المَلِكُ النّاصِرُ قَدْ أَقْبَلَتْ　　　دَوْلَتُهُ مُشْرِقَةَ الشَّمسِ
عَادَ إلى كُرْسِيِّهِ مِثْلَمَا　　　عَادَ سُلَيْمَانُ إلى الكُرْسِي[٤]

ولمَا استقر الملك النَاصر عَلى سرير مُلكهِ، أَخلعَ عَلى من يُذكر منِ الأمراء، وَهم: الأمير أَقُوش الأفرمِ واستقر به نَائب دمشق؛ وَأخلعَ عَلى الأمير سِلَار المنصُوري واستقر بهِ نَائب السلطنة؛ واستقر بالأمير بيبرس الجَاشنكير أتابكي العسَاكر؛ وَأخلعَ على الأمير قرَاسُنقر[٥] الأعسر واستقر بهِ وَزيرًا؛ وَأَخلعَ عَلى الأمير حُسام الدِّين واستقر بهِ أسْتَادَارًا؛ وَأخلعَ عَلى جماعةٍ كثيرة منَ الأمراء، وأنعم عَلى جَماعةٍ كثيرة منَ المماليك السُلطانيَّة بإقطاعَاتٍ سنيَّة.

---

[١] أخبار السلطنة الثانية في: بدائع الزهور ١/١/٤٠١- ٤٢٣؛ جواهر السلوك ١٥٢- ١٥٩.
[٢] ذكر وصف خلعة السلطنة لم يرد في هذا الموضع من بدائع الزهور.
[٣] هو علي بن مظفّر الكندي. (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧١/٨).
[٤] بحر السريع؛ البيتان في: أعيان العصر ٨٠/٥. مورد اللطافة ٥٦/٢. النجوم الزاهرة ١١٦/٨. بدائع الزهور ٤٠٢/١/١.
[٥] في بدائع الزهور ٤٠٢/١/١: "سنقر"؛ وقد ورد بعد ذلك كما في بدائع الزهور.

ثم في أوائل دَوْلتهِ جَاءتْ الأخبَار منَ البلادِ الحَلبيّة بأنَ غَازان بن أرغُون بن أبغَا بن هُلاكوا ملك التتَار، قدْ وَصَلَ أوَائل عسكره إلى الفُرات[1]، وَهوَ في جمعٍ كبير نحو مَائة ألف[2].

وسبب هذهِ الفتنة أنَ المنصُور لاجين قصدَ يقبض عَلى قفجق نَائب الشَام، فلما أَحسَ قفجق بذلك هَربَ وَتوجّه إلى عند [٣٢/أ] القَان غَازَان، وَهيَّجه إلى الحضُور إلى نحو البلاد الشَاميّة، فلما بَلغَ السلطان وَالأمراء ذلك تجهزُوا للخرُوج إليه، فأعرض السلطان العسَاكر، وَعين الأتابكي بيبرس الجَاشنكير بأنْ يتوجه قُدَام العسكر في الجَاليش[3].

ثم خرجَ السلطان بَعدَ ذلك، وَهوَ في عسكرٍ عظيم، وكانِ خروجه في أوَائل سنةِ تسع وتسعين وستمائة، وَجدَّ في السير، فوَصلَ إلى دمشق في ثَامنْ رَبيع الأول، وَكانَ خُروج السلطان من مصر في نصف شهر صفر، وكانَ معهُ الخليفة الإمَام أحمد الحاكم بأمرِ الله وَالقُضَاة الأَربعة، وَسَائر الأمراء وَالعسكر.

فنزل بقلعةِ دَمشق، ثم رَحلَ السلطان عن دمشق، فتلاقى مَع عسكر التتَار بالقرب من سَلميّة[4] بمكان يُعرف بوَادي الخَازندَار، فوَقع بين عسكر مصر وبين عسكر التتَار هُناك وَقعة عظيمة، لمْ يُسمع بمثلهَا، فعندَ ذلك انكسر العسكر المصري، وَهربَ السلطان الملك النَاصر محمد في طائفةٍ يَسيرَة منَ العسكر إلى نحو بعلبك، وقدْ نُهبَ بَركهُ وَبرك الأمراء والعسكر، وَقتلَ منَ الفريقين مَا لا يُحصى عَدَدهُم.

فلما جَاءتْ الأخبَار إلى دمشق بأنَ السلطان قدْ انكسر، فخَاف أهل الشَام عَلى أنفُسِهمْ منْ غَازَان، فاشتورُوا أعيَان العُلماء بالشَامِ عَلى الخروج إلى غَازَان ليطلبُوا منهُ الأمَان، فخرج قَاضي القُضاة بدر الدّين ابن جمَاعة الشَافعي، والشيخ زين الدّين الفارقي[5]، والشيخ تَقى الدّين ابن تيميّه، وَالقاضي نجم الدّين

---

(١) في بدائع الزهور ١/١/٤٠٣: "البيرة".

(٢) كذا في جواهر السلوك ١٥٤؛ في بدائع الزهور ١/١/٤٠٣: "مائتي ألف مقاتل".

(٣) الراية العظيمة في رأسها خصلة من الشعر، ومعناها هنا الطليعة من الجيش. (انظر: صبح الأعشى، القلقشندي، ٤/٨؛ السلوك، المقريزي، ٣/١/٣١٠ هامش ٣؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٧/١٠١ هامش ٣؛ العصر المماليكي، سعيد عاشور، صـ ٤٠٣).

(٤) بين حماة ورفنيّة. (انظر: معجم البلدان ٣/٢٤٠- ٢٤١).

(٥) هو عمر بن إبراهيم بن مسعود أبو حفص الربعي الفارقي أديب عصره، كتب في ديوان الإنشاء وخنقه لص في بيته بالظاهرية (بمصر) طمعًا بماله، كان عارفًا بالتفسير والأصول، له "المقدمة الكبرى" و"المقدمة الصغرى" في النحو، ت ٦٨٧هـ. (انظر: فوات الوفيات ٣/١٢٩- ١٣١).

ابـن الصّـصـري[1]، وَالقَاضــي عـز الـدّين ابـن الزَّكـي، وَالشـيخ عـز الـدّين ابـن القلانسي، وَالقَاضي جَلال الدّين القزويني، وَغير هؤلاء منَ العُلماء وَالصُلحَاء.

فلمَا دَخلُوا عَلى غَازَان وَوَقفُوا بين يديه، فوقفَ التُرجمَان، وَتكلمَ بينهُم، فقـالَ لهُم غَازَان: "إن الذي تطلبُونهُ منَ الأمَان [٣٢/ب] قدْ أرسلنَاهُ قبلَ حُضُـوركم"، فرَجعُوا إلى دمشق، واجتمع النـاس، وَقُرئ علـيهم الأمَـان الـذي أرسلهُ غَـازان، ففرح الناس بذلك، وَحَصلَ عندَهُم سكون.

ثم حضرَ الأمير قفجق الذي كانَ نَائب الشَام، ونـزلَ بالميدَان الأخضـر، وَأرسـل يقول لنَائب قلعـة دمشـق: "بـأنْ يُسلم القلعـة، وَإلا تُأخـذ غصـبًا منـهُ"، فأَرسـلَ نَـائب القلعـة يقـول: "لـيس عنـدي جـواب إلا السـيف، وَكيـف أُسلم القلعـة والسُلطان الملـك النَاصر في قيد الحياة؟، وقدْ وَصلتْ إليَّ بطـاقتهُ، وَهوَ يُوصيني بأنْ لا أُسلم القلعة".

ثـم إنَ عسـكر غَـازَان حَاصـرُوا قلعـة دمشـق، ونصـبُوا عليهـا المنَـاجنيق، وَأحرقُوا غَالب ضيَاع الشَام وَنهبُوهَا.

ثـم إنَ غَـازَان رَحـلَ عـن دمشـق فـي يَـومِ الجُمعـة ثـاني عشـر جُمـادى الأول، وأقَامَ بعدَ رحيله نائبه قطلو شـاه مَـع جَماعـة كثيـرة مـنَ التتَـار، وَكـانَ غَـازَان قدْ ولـى الأمير قفجقَ نيابة الشَام كما كانَ، هَذَا مَا كانَ منَ أَمر غَازَان.

وَأمَا مَا كانَ منْ أمرِ العسكر المصري وَالسُلطان فأنهُ لمَـا انكسـر، كمـا تقدم، دخَل إلى الدِّيَارِ المصريّة عَلى حين غفله، هُوَ وَالعسكر، وقدْ نـهبَ جميع برَكُهم، وَقُماشهُمْ.

فلمَا طلعَ السلطان إلى القلعة فَتح الزردخَاناة، وَفرَّق جميع مَا فيها منَ السلاح عَلى العسكر، ثم فتحَ خزَانةِ المَال، وَنفَقَ عَلى العسكر، فـأعطى أَعيَـان المماليك لكلّ وَاحدٍ ثمانين دِينَارا، وَأعطى لمنْ دُونـهمْ خمسة وسبعين دِينَارًا، وَأعطـى لمن دُون ذلـك خمسـة وسـتين دينَـارًا، وأعطـى ممـاليك الأمـراء لكـلّ وَاحـدٍ خمسـين دينَارًا[2]، وَأعطى عسكر الشام لكلّ وَاحدٍ خمسـة[3] أرَادَب قمـح، وعشـرة أرَادب

---

[1] هو القاضي نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم بن الصصْري الرّبعي الدمشقي الشافعي. (انظر: ١/١٢٥- ١٢٧؛ الدرر الكامنة ١/٣١٢- ٣١٣؛ البدر الطالع ١/١٠٦- ١٠٧).

[2] الخبر توزيع الأموال على المماليك جاء مفصلًا عما ورد في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ١/١/٤٠٥).

[3] في بدائع الزهور ١/١/٤٠٥: "عشرة".

شعير، وعشرة دَنَانير ذهب، وَأرسل للأمراء منَ الأكابر وَالأصاغر نفقة لكلّ وَاحدٍ عَلى قدر مقامه.

ثُمَ إنَ السلطان قصدَ التوجّه إلى غَازَان ثانية، فنفقَ عَلى العسكرِ نفقة ثانية، وكانَ الذي أعطاهُ لهُمْ أولًا لأجلِ تَرقيعِ أحوالهم، بسببِ [٣٣/أ] مَا جرى مِن أَمرِ هذهِ الكسرة، كما تقدم.

ثم إنَ السلطان خرجَ منَ القاهرة وَصُحبتهُ الخليفة الإمام أحمد، وَالقضاة الأربعة، وَالأمراء وَالعسكر، فسَارَ حتى وَصَلَ إلى الصَالحيّة، فجاءت لهُ الأخبار برجُوع غَازَان إلى بلادهِ، فضربُوا الأمراء مشورة في رَجُوع السلطان إلى القاهرة أو توجّههُ إلى البلادِ الشاميّة، فوَقعَ الاتفاق على أن السلطان يُقيم بالصَالحيّة، وَأنَ نَائب السلطنة وَالأمراء والعسكر يتوجهُون نحو الشام.

فتوجَّه الأمير سلَار النَائب وَالأتابكي بيبرس الجَاشنكير وَالعسكر، فلمَا وصَلُوا إلى الشام، فتلقاهُم قفجق الذي كانَ سببًا لهذهِ الفتنة، وأظهرَ الطاعة للسُلطان، وَأشارَ بأنْ يرجع السلطان إلى القَاهرة، فإنَ في ذلك المصلحة، فكاتب الأمراء السلطان بذلك، فرجعَ السلطان إلى القَاهرة، وَرَجعت الأمراء بعدهُ، وذلك في ثامن عشر شهر رمضان منَ السنة المذكورة.

نكتة[1] لطيفة، قيلَ[2]: أنَ الملك المنصُور قلاون أسْتاذ قُفجق المذكُور، خرج يَومًا إلى الفضَاءِ وَمعهُ جَماعة مِنْ أَخصائهِ، وَذلك على سبيل التنزُة، فذبح هُناك السلطان خرُوفًا بيدهِ، وَانشرحَ ذلك اليوم، فلمَا مدّوا السِمَاط جعلُوا ذلك الخرُوف الذي ذبحه السلطان بيدهِ في صدرِ السِمَاط، فقطعَ منهُ السلطان الكتف، ثم جرَّدهُ مِنْ لحمهِ، وَأنقاهُ وَتركهُ سَاعة إلى أنْ جِفَّ، ثم لوَّحَهُ على النار قليلًا، ثم تَفلَ عليهِ، وَألقاهُ منَ يدهِ، فسَألهُ بعض الأمراء عن ذلك بعدَ أنْ سكنَ غضبهُ، فقَالَ: "هذا الصبي قُفجق لَا تخرجوهُ بعدي إلى البلادِ الشاميّة، لأنهُ يحصل منهُ فسَادٌ كبيرٌ إذا خرج"، فكانَ الأمر كما قالهُ المنصُور قلَاوُن، وَالملُوك لهُم فرَاسة [٣٣/ب]، كما قيل في المعنى لبعضهمْ:

---

(1) في الأصل "نكثه".

(2) يذكر ابن إياس في كتابه بدائع الزهور أن القول منقول عن "الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة في السكردان" بدائع الزهور ٤٠٦/١. وهو بالفعل ينقل من ابن أبي حجلة في كتابه سكردان السلطان، ٧٨- ٧٩.

يَـرى العَواقِـبَ فـي أثنـاءِ فِكرَتِـهِ كـأنَّ أفكـارهُ بالغَيـبِ كُهـانُ
لَا طرفـةً مِنـهُ إلا تحتَهَـا عَمَـل كالـدَّهر لَا دوَرَةٌ إلّا لَهـا شـانُ[1]

وَلم يزل قفجق مُوخرًا في دولة الملك المنصُور قلَاوُن مُدّة حيَاته إلى أنْ ماتَ المنصُور قلَاوُن، وتسلطنَ وَلده خليل، ثم تسلطنَ لَاجين فوَلى قفجق نيابة الشَام، ثم إن المنصُور لَاجين قصدَ مَسك قفجق فهربَ إلى بلاد[2] الشرق، وَأثار هذهِ الفتنة العظيمة، وَندب غَازَان إلى المجيء إلى بلادِ الشَام، وكانَ للملك المنصُور قلاوُن معرفة تامة في علم الكتفِ.

قَالَ القَاضي محيى الدّين ابن فضل الله: "حكى لي الأمير قفجق بعدَ مَا جرى، الذي جرى منْ غَازَان، قال: "لما تلَاقينا نحنُ وَأنتم – يعني عسكر السلطان وَعسكر غَازَان – فلمَا كادَ غَازان أنْ ينكسر وَهَّمَ بالهرُوب، فطلبني ليضرب عُنقي، لأنَ مجيئه كانَ برأي، فلمَا حضرتُ بين يديه، فقالَ لي: "مَا هذا الحَال"، فقلتُ لهُ: "أنَا أَخبر بعسكرنا فأنَ لهُمْ حَملةٌ واحدة، فالقَان يصبر سَاعة فما يبقى قُدّامهُ أحدٌ منهُمْ"، فصبر سَاعة فكان الأَمر كما قلتهُ، فلمَا انكسرتُم، فأرَادَ أنْ يزحف عليكم بمنْ معهُ منَ العسَاكر، فعلمتُ أنهُ متى مَا زَحفَ عليكم لم يُبقي منكم أَحدًا، فقلتُ لهُ: "القَان يَصبر سَاعة فأن عسكرنا لهُم حيلٌ كثيرة، ورُبمَا يكُون لهُم كمينٌ، فيخرجُ علينَا، فتنكسر"، فوَقفَ سَاعة حتى أبعدَتُمْ عنَا، فلولا أنَا مَا سَلمَ منكم أحدٌ"[3]. ومنْ هنا نرجع إلى أخبَار الملك النَاصر.

ثُم في هذه السنةِ وَهيَ سنة تسع وتسعين وستمائة، فيها: اختلفتْ عُربَان البحيرة اختلافًا فَاحِشًا، وهُمْ طائفتان جَابر وَمرَديس، فعين [٣٤/أ] لهم السلطان تجريدة عظيمة، وكانَ باش العسَاكر الأَمير بيبرس الدّوَادَار المنصُوري أحد الأمراء المقدمين، وَصُحبتهُ عِشرينَ أميرًا طبلخَاناه وَعشرَاوَات، فخرجُوا عَلى الفور، وَجدُّوا في السير إلى أنْ وَصلُوا إلى تروجة، فوجدوهُم قدْ تفرَقوا، فتبعُوهُم فأخذُوا موَاشيهم من الجمالِ والأغنامِ، ثُم إنهُمْ كتبُوا لهُم أمَان، وَأصلحُوا بينهُمْ ثُم عَاد الأمراء وَالعسكر إلى الأبوَابِ الشريفة.

---

(١) بحر البسيط؛ البيتان لابن معرّف المنجّم. (انظر: خريدة القصر وجريدة العصر ٢/٢٠٩).
(٢) في الأصل "بلا".
(٣) الخبر في سكردان السلطان صـ٧٩.

ثم دخلت سنة سبعمائة منَ الهجرةِ النبوية، فيها: جاءت الأخبار بأنَ التتَار وَصلَ أَوَائلهُمْ إلى الفُراتِ، وَهُمْ خلَائق لَا تُحصى، فعند ذلك أَحضرَ السلطان الأمراء وَضربُوا مشورَة في أمر ذلك، وَقرَّر السلطان برأي الأمراء عَلى الأغنياءِ وَأعيَان التجَار مَال؛ بسببِ كُلفةِ العسكر برسم التجريدة، وكانَ المتكلم على ذلك الأَمير سُنقر الأعسر الوَزير، وَالأمير نَاصر الدّين ابن الشيخي وَالي القَاهرة، فاستخرجُوا في هذهِ الحركةِ نحو مائة ألف دينار[1].

ثُمَ خرجَ السلطان وَصُحبتهُ العسَاكر، فلمَا وَصلَ إلى غزّة، جاءت الأخبار بأن العساكر الحلبيّة توجهُوا إلى التتَار، وكسرُوهُم كسرة قويّة، وَرَجعُوا إلى بلَادهم، فلما بَلغَ السلطان ذلك رَجعَ إلى الدّيَار المصريّة، وَسبب رُجوعهُ أنَ العسكر تقلقُوا منْ قلّة[2] التبن وَالشعير، وَلما رَجعَ السلطان مَن غزّة، أرسلَ من هُناك تجريدة صُحبة الأمير بكتمر السلحدَار، فأقامُوا بالرُهَا لِتطمئن الرّعيّة.

وفيهَا رَسمَ السلطان لليهُود والنَصَارى والسمّرة، بلبس عمَائم مُختلفةِ الألوَان، فألبَسَ اليهُود عمَائم صُفر، وألبَسَ النصَاري عمَائم زُرق، وَألبَسَ السمَّر[3] عمَائم حُمر[4][٣٤/ب]، وَفي ذلك يَقول شمس الدّين الطيّبي:

تعجّبوا لِلنّصَارَى وَالّيَهُود مَعًا ... وَالسَّامريّين لمَا عُممُوا الخُرقَا

كَأنّمَا بَات بالأصبَاغِ مُنسَهلًا ... نِسرُ السَّمَاء فأَضحَى فَوْقهُمْ دَرَقَا[5]

ثُمَ دخلتْ سنة إحدى وسبعمائة، فيها: في ليلة الجُمعة ثامن عشر جَمادى الأول توفي الخليفة الإمام أحمد الحاكم بأَمرِ الله، وَتولى ابنهُ المُستكفي باللهِ أبي

---

(١) في بدائع الزهور ٤٠٩/١/١: "مائتي ألف دينار وكسور".

(٢) في الأصل "قلّت".

(٣) السامرة أو السمرة طائفة من اليهود، وهم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: {وأضلهم السامري} انظر: صبح الاعشى ٢٧١/١٣. المواعظ والاعتبار ٣٨٣/٤.

(٤) جاءت على الهامش بخط المؤلّف، (حاشية): قيل: كانَ سبب لبس أَل الذمّة هذهِ الألوَان أنَ رجلًا مغربيًا منْ أهلِ العلم، كانَ جالسًا عَلى بَابِ قلعة الجبل، فَدَخلَ عليه بعض كُتاب السلطان الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، فقَامَ إليهِ ذلك المغربي، وَعَظمهُ وتوهَّم أنهُ مُسلم، ثم ظهر لهُ بعد ذلك أن ذلك الرجل نصرَاني، فقَام ذلك المغربي، وَدَخل إلى الملك النَاصر محمد بن قلاوُن، وَفاوضهُ في تغيير زيّ أَهل الذمّة ليقل عن النَاس أذَاهُم، وتعرف المُجرمُون بسيمَاهُم، فأجَابهُ السلطان إلى ذلك، وَرسم لهُم بلبسِ هذهِ الألوَان، وكانُوا جميع أهل الذمّة يَلبسُون الميَازر العسَليّة من قديم الزمَان في الدُولِ الماضِيّة. (والخبر نقلًا عن سكردان السلطان ١٧٩). (وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر ٨٤/٥. الوافي بالوفيات ٢٥٥/٤. المواعظ والاعتبار ٤١٩/٤. بدائع الزهور ٤٠٨/١/١).

(٥) بحر البسيط.

الرّبيع سُليمان، وكانتْ خلافة الامام أحمد نيفًا وَأربعين سنة، وَهَوَ أَبُو الخُلفَاء الذينَ بمصر كلهُمْ.

ثُمَ دخلت سنة اثنتين وسبعمائة، فيها: جاءت الأخبَار منْ البلَادِ الحلبيّة بأن قطلوشاه أمير غَازَان قدْ تحرك، وَوَصلَ إلى الفُراتِ، وَأرسلَ كتاب إلى نائب حلب مَضمُونه أنَ بلادهم قدْ أَمحلتْ في هذهِ السنة، وكانَ ذلك عين الخدَاع.

ثم بعد ذلك جاءت الأخبار بأنَ طائفة من التتَارِ وَصلُوا إلى مرعشر[١]، فجفلت منهُ الرعيّة، فعند ذلك استعدَّ السلطان للخرُوج إليهمْ، وبرزت المرَاسيم الشريفة للنُواب بأنْ يستعدُّوا لذلك، ثم إن السلطان عيَّنَ منَ الأمراءِ المقدمين ستّة، ومن المماليك السُلطانية نحو ألف مملُوك، وَخرجُوا من القَاهرة في ثانى عشر رجب منَ السنةِ المذكُورة، فلمَا وَصلُوا إلى قَاقُون، تواترت الأخبار بصحةِ وَصُول التتَار، وأنَ غَازَان فيهمْ وقدْ وصلُوا إلى الرحبّة، وَأنَ نائب الرحبّة الأَمير سنجر الغتمي تلطف بغَازَان، وَأرسل لهُ بالإقَامَات مَع وَلدهِ وَمنعهُ من مُحاصَرةِ البلد، ثم إن غَازَان أرسل نَائبهُ الأمير قطلوشاه إلى نحو الشَام ومعهُ اثنا عشر طُومان، وَرجعَ غَازَان إلى نحو بلَاده[٢].

فلمَا بلغَ السلطان الملك النَاصر ذلك أحضرَ الأَمير سلَار النَائب، وَضربُوا مشورة في ذلك، ثم إن الأَمير سلَار [٣٥/أ] وَبقية الأمراء أشارُوا عَلى السلطان بالخرُوج إلى الشَام، قبلَ أنْ يتمكنَ العدُو من البلَادِ على الفور، ونادى في القَاهرة للعسكر بأنَ لا يتأخر منَ الجُند لا كبير ولا صغير وَلا جليل وَلا حقير.

وأحضرَ السلطان طائفة من عُربان الشرقية وَالغربية وَالبُحيرة[٣]، وخرجَ مُسرعًا وصُحبتهُ الخليفةُ المستكفي باللهِ أبُو الربيع سُليمَان وَالقضاة الأَربعة، وسَائر الأمراء من الأكابر وَالأصَاغر، فتقدَّم الأَمير بيبرس الجَاشنكير مع جَماعة من الأمراء إلى نحو الشَام، قبلَ وُصول السلطان إليها، فجمعُوا النُواب والعسَاكر الشاميّة وَالعُربان حين وَصُولهم إلى الشَام.

جاءت الأخبار بوصُول جَاليش قُطلوشاه نَائب غَازَان، فلمَا بلغ الأمراء ذلك رَكبُوا على حميّة، هُم وَالنواب، فكسرُوا جَاليش قطلوشاه وَنهبُوهُمْ[٤]، فلما بلغَ

---

[١] في بدائع الزهور ٤١٢/١/١: "بالمرعش".
[٢] الخبر هنا جاء أكثر تفصيلًا عما ورد في بدائع الزهور (انظر: بدائع الزهور ٤١٣/١/١).
[٣] لم يرد ذكر عربان البحيرة في بدائع الزهور.
[٤] هذا الخبر ليس في بدائع الزهور.

السلطان ذلك خرج منَ القَاهرة في ثالث شعبَان، وَجدَّ في السير هُو وَالعسكر حتى وَصلَ إلى دِمشق، فكانَ دخولهُ إليهَا في يَوم السبت مُستهل شهر رمضَان منَ السنةِ المذكُورة، ففرح الناسُ بقدُومهِ[1].

ثم إنَ السلطان بَرزَ إلى قِتَال عسكر غَازَان، فخرج بمنْ معهُ من الأمراء وَالنُواب وَالعسَاكر، وَمَا جمعَ منَ العُربان المصرية وَالشاميّة، فاجتمعُوا عَلى مرج رَاهط، فلمَا تلاقى عسكر السلطان مع عسكر غَازَان، وكانَ قطلوشاه نَائب غَازَان في مَائة ألف مقاتل من التتَار، فتلاقُوا تحت جبل غَبَاغب، فكان بين الفريقين وَقعة لم يُسمع بمثلهَا في مُبتدأ الإسلام، فكانتْ النُصرَة للملك النَاصر عَلى عسَاكر التتار، التي قدْ سَدُّوا الفضاء لِكثرتهمْ، فقتلَ منهُم جَماعة كثيرة، "وَأسِرَ منهُم أكثر منَ الثلث"[2].

وَقتلَ من عسكر السلطان جَماعة كثيرة منهُم من الأعيان الأمير حُسَام الدّين لاجين أسُتادَار العَالية، وَاوْليَا بن [٣٠/ب] قرمَان[3]، وَسُنجر الكافري، وَأيدمر الشمسي القشَاش، وَأَقوش الشمسي الحاجب، وَعز الدّين أَيدمر المنصُوري الشهير بالرفا، وَعز الدين أيدمر نقيب الجيُوش المنصورة، وَعلائى الدين ابن دُدَا التُركماني، وَحُسَام الدّين علي بن سَاخل، وسيف الدّين بهَادُر الدكاجكي، وَنحو ألف[4] مملُوك من ممَاليك السلطان وَالأمراء.

ثمَ حَالَ الليل بينَ العسكرين، وَاختلطَ الظلَام، ثم إن عسكر التتار التجأ إلى أعلى الجبال، وبَاتُوا يُوقدُون النيران، وَباتَ السلطان والعسَاكر مُحدقينَ بهمْ كالحلقة.

فلمَا أَسفر صُبح يوم الأحد ثاني[5] شهر رَمضَان فعَاينُوا التتار الخطب المهُول، وأيقنُوا بالهلاك، وَأمتلأت قلُوبهم رُعبًا، فعندَ ذلك فسحتْ لهُم العساكر السُلطانية فبَادروا للهروب، فحملُوا عليهم العسَاكر السُلطانية فصيَّروهُم رممًا، وَأَسرُوا منهُمْ مَا شاءَ فأمتلأت منْ قتلَاهمْ القِفار وَأمسُوا، كما قَال الشاعر، منَ أبيات:

---

(١) هذا الخبر ليس في بدائع الزهور.
(٢) في بدائع الزهور ٤١٣/١/١: "وأسر البعض منهم".
(٣) هذا الأمير ليس مذكورًا فيمن قتل في هذه المعركة في بدائع الزهور.
(٤) في بدائع الزهور ٤١٤/١/١: "ألف وخمسائة".
(٥) في بدائع الزهور ٤١٤/١/١: "خامس".

مشوا[1] متسابقى الأعضاء فيهم لأرجلهم بأروسهمْ عُثارُ
إذا فاتوا السيوف تناولتهم بأسيافٍ مِن العطشِ القفارُ[2]

ثُمَ إن السلطان أَرسلَ الأمير بكتُوت الفتَاح بكتب هذه النُصرَة إلى الديَار المصريّة، ثم رحلَ منْ مكانِ الوَقعة إلى دِمشق وَصحبتهُ الخليفة المُستكفي بالله وَالقُضاة الأربعة، فنزلَ بالقصر الأبلق ونزلَ الخليفة برُباط النَاصر بسفح جبل قاسيُون، فدخل في موكبٍ عظيم، وَزُينت لهُ دِمشق فأقام بهَا أيَامًا[3].

ثُم قصدَ التوجّه إلى نحو الدّيَار المصريّة، فوصلَ إلى القَاهرة في ثالث عشرين شوَال منَ السنة المذكُورة، فدخلَ إلى القَاهرة في موكبٍ عظيم، وَزُينت لهُ زينة عظيمة، وكانَ يَوم دخُولهُ يَومًا مشهُودًا، وَجعلُوا الأسارى من التتَار في [٣٦/أ] في قيودٍ منَ الحديد، وَصناجقهُمْ بأيديهمْ منكُوسة وطبُولهمْ مَعكُوسة، فشقَ القاهرة وَهُم بين يدهِ.

فلما وَصلَ إلى قُبةِ وَالده التي بين القصرين، ترجَّل الملك النَاصر عن فرسهِ، وَدَخلَ وَزارَ قبر وَالده قلاوُن، ثم خرجَ وَطلعَ إلى القلعة، وَالأمراء جميعًا بينَ يديهِ، وَفُرشت تحت رجليّ فرسهِ الشقق الحرير إلى أنْ وَصلَ إلى قلعةِ الجبلِ، وجلسَ على سرير ملكهِ.

نقلَ بعض المؤرخين: أنَ الذي غنموهُ العسَاكر السُلطانية في هذهِ الوَقعة، لمَا كسرُوا التتَار منْ سلاحٍ وَقماشٍ وَخيولٍ وَسبايَا منَ النساءِ وَالبناتِ، مَا لَا يُسمع بمثلِهِ فيما تقدمَ منَ الغنَائم.

وَفي هذهِ السنة: في الثالث وَالعشرين من ذي الحجة وقعتْ زلزلة شديدة بالدّيَارِ المصريّة، وَسَائر أَعمَالهَا، وَكانَ قُوة عملهَا في ثغر الإسكندرية، فهدَمت سُورهَا والأبرَاج، وعدّة أمَاكن منَ المدينة، وهدمت جَانب المنَار، وفاضَ البحر المالح عَلى البَر.

وَأمَا الدّيَارِ المصريّة فهدمت أكثر جُدران الجَامع الحاكمي، وهَدمت مَأذنة المدرسة المنصُورية، وَمَأذنة الجامع الظافري الذي بالفكاهِيّن[4]، وَمأذنة جَامع

---

(1) في زبدة الفكرة ٣٧٨: "مضوا".

(2) بحر الوافر؛ الأبيات في التحفة المملوكية صـ١٦٧. "جاءت بألفاظ مختلفة".

(3) هذا الخبر ليس في بدائع الزهور.

(4) هذا الجامع بالقاهرة في وسط السوق الذي كان يعرف قديما بسوق السرّاجين، ويعرف اليوم بسوق الشوّايين، كان يقال له الجامع الأفخر، ويقال له اليوم جامع الفاكهيين، وهو من المساجد الفاطمية. (الخطط المقريزية ٨٤/٤).

الصَالح[1]، وهدمت جُدرَان الجَامع العُمري الذي بمصر العتيقة، وَتشققت منْ هذهِ الزلزلة الجبَال وَخرج الناسُ إلى الصّحَاري، وظنُوا أنهَا القيَامة؛ وكانتْ هذه الزلزلة مُتَّصلة إلى دِمشق، وَالكرك، وَالشوبك، وصفد، وغَالب البلاد الشاميّة.

وَأقامتْ هذه الزلزلة تعَاوَد الناس مُدّة عشرين يَومًا وَهلك فيها جماعة كثيرة تحت الردم، حتى قيل: أنَ شخصًا كانَ يَبيع اللّبن، فسقطتْ عليه دَار، فظنُوا الناسُ أنهُ قدْ مَاتَ، فأقام ثلاثة أيَام بليَاليهَا [٣٦/ب] وَهوَ تحت الردم، فلمَا شالُوا عنهُ الردم، فَوجدُوهُ على قيدِ الحيَاةِ، فأَخرجُوهُ مِنْ تحتِ الردم سَالما، لأنهُ تشبكتْ فَوقهُ الأخشاب، فسلمَ بذلك، وقيل: كانتْ معهُ جرَّة فيها لبن، فوجدت كما هي سَالمة وفيهَا اللبن.

وَقيل: كانتْ هذهِ الزلزلة في الصيف فجاءَ عَقيبهَا لفحَات سُمُوم تَلفح حتى أغمى على الناس منهَا.

ثُمَ دخلت سنة ثلاث وسبعمائة، فيها: خرجَ الأمير بيبرس الدوَادَار، لعِمَارة مَا تهدمَ منَ الأبراج والأسوَار بمدينة الإسكندرية، بسبب مَا حَصلَ منَ الزلزلة؛ فكانَ عدّة مَا سقطَ منَ الأبراج سبعة عشر بُرجًا وستة وأَربعُون بدنة[2].

ثُم إنَ جماعة منَ الأمراء التزَمُوا بترميم مَا تهدَمَ منَ الجوَامع بالدّيَارِ المصريّة، ممَا كانَ منَ أمر الزلزلة، فأنفقُوا عَلى ذلك من مَالهمْ جُملة كبيرة.

وَفي هذهِ السنة: جاءت الأخبَار بموت القَان محمود غَازَان، الذي جرى منهُم مَا تقدم ذكره، وَهوَ غَازَان بن أَرَغُون بن أَبغَا بن القَان هُلاكوا ملك التتَار، وَقيل: أنهُ مَاتَ مسمُومًا، سمّتهُ زوجتهُ بُلغَان شاه، وكانَ قصدَ غَازَان أنْ يزحف عَلى البلَادِ الشاميّة ثانية، فكفى الله المؤمنين القتال[3]، وَقيلَ: أنَ زَوجتهُ بُلغَان شاه سمتهُ في منديل الفرش، وَكانَ مَوتهُ بالقرب منْ همدَان، وحُمل إلى تبريز، فدُفن بهَا، وفي ذلك يَقولُ علائي الدّين الوَدَاعي، شعرًا:

---

(1) هذا الجامع من المواضع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين، وهو خارج باب زويلة. (الخطط المقريزية ٨٤/٤).

(2) في الأصل "بذنه".

(3) يقصد هنا بالآية القرآنية ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]

قـــد مَـــاتَ غـــازان بِـــلَا مريـــةٍ[1] وَلـم يمـت فــي الحُجـج[2] الْمَاضِــيَة
بـــلْ شـــنعُوا عـــن مَوتـــهِ فـــأَنثنى[3] حيًـــا ولكـــــن[4] هَـــذِه القاضـــية[5]

ثُمَ دخلت سنةِ أَربع وسبعمائة، فيها: حضرَ إلى الأبوَابِ الشريفة صَاحب دَنقلة[6]، وَصُحبتهُ هَدَايَا جَليلة، مِنْ رَقيقٍ وَجَمالٍ وَالأبقَار الخيَسِيّة، وَغير ذلك فأُنزلَ بدَارِ الضيَافة [٣٧/أ] وَأخلعَ عليهِ.

ثُمَ دخلت سنةِ خمس وسبعمائة، فيها: ابتدَأ المقر الرُكنى بيبرس الجَاشنكير بعِمَارة خَانقَاته، التي برحبة بَاب العيّد، قبالة الدَرب الأَصفر[7].

وفي أواخر سنةِ ست وسبعمائة وَقعَ الغلاء بالدّيَارِ المصريّة وَهافت الغلةِ وتشحطتْ، وَدَامَ ذلك إلى أنْ **دخلت سنةِ سبع وسبعمائة** فَأشتدَّت الأسعَار، ثُمَ ترَاجعَ الحَال قَليلًا، قَليلًا، حتى عَادَ إلى مَا كانَ عليه من الرُخص[8].

وفيهَا: وقعَ بين السلطان وَبينَ سلَار النَائب، وَثارَ بينهُما القَال وَالقِيل، فأَرسل سلَار النَائب يَقولُ للسُلطان: "أَنفى جَماعة منَ الخاصكيّة، وَهُم: بيبغَا التُركماني، وَخَاص ترك، وَينتمر، وَكانُوا من خوَاص السُلطان[9]، فقَال السُلطان: "وَمَا ذنبهم"، فقَالَ سَلَار: "هؤلاء يَرمُون الفِتن بيننَا وبينَ السُلطان"، فمَا وَسعَ السلطان إلا أنهُ أَخرجهُمْ إلى القُدس ترضيةً لخَاطر سلَار النَائب.

وَفيهَا: عيَّنَ السلطان تجريدة إلى بلادِ اليمن، لأن صَاحب اليمن الملك المُؤيد هزبَر الدّين دَاود، منع الهديّة التي كانتْ مُقرَّرَة عَلى أَبَائهِ، فرسمِ السلطان

---

(1) في بدائع الزهور ٤١٨/١/١: "علة".
(2) في الدرر الكامنة ٢٥١/٤: "المدد".
(3) في الدرر الكامنة ٢٥١/٤: "وَكَانَ الْأَخْبَار مَا أفصحت".
(4) في الدرر الكامنة ٢٥١/٤: "عَنهُ فَكَانَت".
(5) بحر السريع.
(6) مدينة كبيرة في بلاد النوبة في الجنوب بها منزل ملكهم، على شاطئ النيل، لها أسوار عالية لا ترام، مبنيّة بالحجارة. (مراصد الاطلاع ٥٣٤/٢).
(7) ذكر الخانقاة في: الخطط المقريزية ٢٨٥/٤.
(8) في بدائع الزهور ٤١٩/١/١: أن الغلاء انحلت في سنة ٧٠٦هـ؛ وهنا جاء أنه امتد حتى سنة ٧٠٧هـ.
(9) في بدائع الزهور ٤٢٠/١/١: جاء الخبر أن السلطان قبض على جماعة من الخاصكية الذين هم عصبة سلَار، وأن ذلك عزّ على الأمير سلار؛ عكس ما ورد هنا.

بعمَارة مرَاكب تُسمى جلبَات، وَعيَّنَ جَماعة من الأمرَاء، فلمَا وَردت عليهِ الأخبار بحركة التتَار، فأهمل ذلك[1].

ثُم دخلت سنة ثمان وسبعمائة، فيها: جاءت الأَخبار بحركةِ التتَار، فرَسمَ السلطان بتجهيز العسَاكر، وعيَّنَ جَماعة مِنَ الأمرَاء، منهم: الأَمير جَمال الدّين آقوش المُوصلي المُسمى قتَّال السبع، وَالأَمير شمس الدّين الدّكُز السلحدَار، وغيرهُما منَ الأمرَاء الطبلخَانات وَالعشرَاوَات، وَالمماليك السُلطانية، فلمَا شرعُوا في أَمرِ الخرُوج إلى السفر، جاءت الأخبار برجُوع التتَار إلى بلادِهم، فَبَطلَ أَمر التجريدة[2].

ثُم قوي عزمَ السلطان عَلى الحج في تلكِ السنةِ، فلمَا كانَ يَوم السبت خَامس عشرين شهر رمضَان من [٣٧/ب] السنة المذكُورة، خرجَ السلطان منَ القَاهرة، وَصُحبتهُ جَماعة منَ الأمرَاء، منهُم: الأمير عز الدّين أَيدمرِ الخطيري أسُتَادَار العَالية، وَهوَ صَاحبُ الجَامع الذي في بُولاق، وَالأَمير حُسَام الدّين قرَا لاجين[3] أَمير مجلس، وَالأَمير آل ملك الجُوكندَار، وَالأمير بَلبَان المحمدي أمير جَاندَار، وَأيبك الرُومي، وَبيبرس الأحمدي، وَغيرَ هؤلاء جَماعة منَ الأمرَاء وَالخَاصكيَّة.

فسَارَ إلى نحو الصَالحيّة، فعيّدّ بهَا عيّد الفطر، وَرَحلَ منهَا، وقصدّ التوجّة إلى نحو الكرك، فدخلهَا في يَوم الأحد عَاشر شوَال، فلمَا وَصلَ إلى خندَقِ قلعة الكرك، فمدُّوا لهُ جسرٌ ليعبر عليهِ، فلمَا عَبرَ على ذلك الجسر، فانكسرَت أخشَاب الجسر من تحتِ أرجلهم بَعدَ أنْ تقدمَ فرس السلطان بخطوَتين، فسقطَ بعضِ ممَاليك في الخندق، فلمْ يمت منهُ غيرَ وَاحد، وَانصدَعَ منهُم جَماعة كثيرة.

فلمَا طلعَ السلطان إلى قلعةِ الكرك واستقر بهَا أيَامًا، فجمعَ الأمرَاء وَصرّحَ لهُمْ بمَا كانَ عندَهُ كمين، وأنهُ قدْ رغبَ عن الملك، وَاختارَ الإقامة بالكرك، ثم رَسم لنَائب الكرك أن يخرجَ منَ القلعة، فخرجَ منهَا بمن كانَ معهُ منَ الرجَال واستقر السلطان الملك النَاصر بهَا، وكانَ السُلطان قدْ قَرَّرَ معَ الأمرَاء بأنهُ

---

[1] ورد الخبر في بدائع الزهور ٤١٩/١/١: في أحداث سنة ٧٠٦هـ.
[2] ورد الخبر في بدائع الزهور ٤٢٠/١/١: في أحداث سنة ٧٠٧هـ.
[3] في بدائع الزهور ٤٢٠/١/١: "لاجين قرا".

يتوجَّه إلى الكرك قبل خروجه إلى الحج ليتفقد الأحوَال، وأنَ عيَالهُ يسَافرُون معَ الركب المصري وَهوَ يُلاقيهمْ منَ العقبة.

فلمَا كانَ سَابع عشر شوال، خرجَ المحمل من القَاهرة، وَصُحبتهُ عيَال السُلطان، والسّنيح[١] وَالبرَك السُلطاني، وكانَ أمير المحمل في تلك السنة الأمير جمال الدّين خضر بن نُوكبَه[٢].

فلمَا وَصلُوا إلى العقبة، أَرسل السلطان أخذَ عيَاله، وَأخذ السّنيح، وَأحضرَهُم إلى الكرك، فلمَا صارُوا عندهُ في الكرك [٣٨/أ] رَسمَ إلى الأمراء الذين كانُوا صُحبتهُ بأنْ يَعودُوا إلى الدّيَارِ المصريّة، وَأَعَادَ صُحبتهُمْ البرك وَالهُجن وَخزائن المَال وَالعصائب السُلطانيّة التي كانُوا برسم سفر الحجَاز، فحضر الأمرَاء إلى الدّيَارِ المصريّة، وَعلى أيديهم كتاب يتضمن رَغبتهُ عن الملك، وإقامتهُ بالكرك، وَأذَن لهُمْ في إقامةِ من يَصلح للملك، وَأشهدَ على نفسهِ بالخُلع.

فلما كانَ يَوم السبت ثالث عشرين شوَال، حضر الأمرَاء الذّين كانُوا صُحبة السُلطان، فلمَا بَلغَ الأَمرَاء الذّين بالقَاهرة مجيء الأمرَاء المقدّم ذكرهم، رَكبُوا جميعًا وَوَقفُوا بسُوق الخيل فقرأوا عليهمْ كتاب السُلطان، وأنهُ خلعَ نفسهُ من الملك، واختار الإقامة بالكرك.

فأشتوَرُوا الأمراء في بعضهم، وَقَالُوا: "إنْ رَاددنَا السلطان في العود، نخشى من نفَاق العُربان في البلادِ إلى حين عَود الجوَاب".

فلما كانَ وقت الظهر ركب الأمراء وَطلعُوا إلى القلعة، واجتمعُوا في دار النيابة، وَضربُوا مشوَرة فيمنْ يُولُونهُ السلطنة، وكانتْ الكلمة مجتمعة بين سلَار النائب، وَبينَ الأتابكي بيبرس الجَاشنكير، فطالَ بينهُما الكلام فيمنْ يلي السلطنة، فوقعَ الاتفاق عَلى سلطنة الأَتابكي بيبرس الجَاشنكير، وأنَ سلَار يكون نَائبًا على عَادتهِ.

ثم إن جميعَ الأَمرَاء تحَالفُوا على ذلك، بأنْ يكُونُوا كلمة واحدة، ثُمَ أحضرُوا خلعة السلطنة وَالفرس وَالقبة وَالطير فَلبسَ الأتابكي بيبرس الجَاشنكير خَلعَة

---

[١] في المعجم الوسيط ٤٥٣/١: "السنيح: السانح والدر والحلي، جمعها سنح".
[٢] في بدائع الزهور ٤٢١/١/١: "الأمير جمال الدين خضر بك بن نوكبيه".

السلطنة منْ دَار النيَابـةِ، وَركبَ الفرس من دَار النيابـة إلـى الإيوان الأشرفي، وحُملت القُبة وَالطير على رأسهِ.

فكانتْ سلطنـة الملك النَاصر محمد بن قلاون في هذهِ المرَّةِ الثانيـةِ عشر سنين وكسُور، [٣٨/ب] وَهيَ السلطنة الثانية.

وَقيلَ[١]: كانَ سبب تَوجّه الملك النَاصر محمد بن قلاوُن إلى الكرك، فأنـهُ صَـارَ مـع سـلّار النَائـب وَمَـعَ الأتـابكي بيبـرس الجَاشـنكير[٢] فـي غَايـة الضـنك، لَا يتَصرف في شيء من أُمور المملكة إلا باختيَارهُما.

حتـى قيلَ: أنـهُ طلبَ يَومًا خرُوفًا بدريًا رَميسًا فمنعَ منـهُ، وَقيلَ لـهُ: "حتـى يجيء كريم الدّين كاتب بيبرس الجَاشنكير".

فغضبَ من ذلك، وَتوجّـه إلـى الكرك واختَـار الإقامـة بهَـا، وَأخذ عيَالـه منَ العقبة، كما تقدم.

---

[١] في بدائع الزهور ٤٢١/١/١: نسب القول إلـى الصـلاح الصفدي؛ والخبر في: الوافي بالوفيات، الصفدي ٦٦/١٩.
[٢] في الأصل "الجاشنكبر".

ذكر
سلطنة الملك المُظفر رُكن الدِّين
بيبرس الجَاشنكير المنصُوري[1]

وَهوَ الثاني عشر من مُلُوك التُرك وَأوْلَادِهمْ بالدِّيَارِ المصريّة؛ تسلطنَ بَعدَ خلعَ الملك النَاصر محمد بن قلاوُن، في يَومِ السبت بَعدَ العصر ثالث عشرين شهر شوَال سنةِ ثمان وسبعمَائة، فلمَا رَكبَ بشعَارِ السلطنةِ منْ دَارِ النيَابة إلى الإيوان الأشرفي، وَالأمرَاء وَأعيَان الدولة مشاة بين يديه، فجلسَ على سرير الملك، وَتلقب بالملك المظفر.

ثم إنهُ استقر بالأَمير سلَار نَائبًا عَلى عَادتهِ، وأخلعَ عَلى الصَاحب ضيَاءِ الدّين النشَاي[2] واستقر بهِ في الوزَارة عَلى عَادتهِ، وَأخلعَ عَلى جَماعةٍ كثيرة منَ الأمرَاء وَأربَاب الوظائف في ذلك اليَوم، حتى قيلَ: أنهُ أخَلعَ ألفين وَمَائتين[3] خلعة، مَا بينَ خِلع وَتشاريف وَغير ذلك.

ثُمَ دخلت سنة تسع وَسبعمائة، فيها: تَوقفَ النيل عن الزيَادة في أوَاخر مسرى، وَنقص في أوَاخر النسّى، فضج الناسُ لذلك، وَتشحطتَ الغِلال، وارتفعَ السّعر في سَائر الغِلَال، ثم سكنَ الأمر قليلًا، وانحطتْ الأَسعَار، ثم كُسِرَ السُدَّ من غير وَفَاء، وذلك في سَابع توت، فلمْ يُخلق المقيَاس لذلك، لانَ التخليق مَا يكُون [٣٩/أ] إلَّا بالوفَاءِ[4].

فلمَا كانَ سَابع عشرين تَوت نَقصَ النيل جُملة وَاحدَة، فكانَ مُنتهى الزيَادة في تلك السنة خمسة عشر ذِرَاعًا وسبعة عشر أصبعًا، وفي ذلك يقول النصير الحمَامي[5]:

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٤٢٣/١/١- ٤٣١؛ جواهر السلوك ١٦٠- ١٦٣.
[2] في جواهر السلوك ١٦٠: "ضياء الدين النشائي".
[3] في بدائع الزهور ٤٢٤/١/١: "ألف وثلثمائة".
[4] في بدائع الزهور ٤٢٤/١/١: توقف النيل عن الوفاء إلى ٢٧ توت، ثم نقص في ١٩ بابه؛ وهو غير ما ورد هنا.
[5] النّصير - بفتح النون - ابن أحمد بن علي المناوي الحمّامي. (انظر: فوات الوفيات ٢٠٥/٤).

إنْ عجَّـــلَ النُــــورُوز قَبــــلَ الوَفـــــا　　　عجَّـــلَ للعَــــالِمِ صـــــفع القَفَـــــا
فقــدْ كفـــى مـــنْ دمعهـــمْ مَـــا جَـــرى　　　وَمَـــا جـــرى مـــن نـــيلهمْ مَـــا كفـــى[1]

ثُـم إنَ العوام صَنَّفُوا كلامًا وَلحنُّوهُ وَصَـاروا يغنُونـهُ فـي أمَـاكنِ المُفترَجَـات وَغيرهَا، وَهوَ هذا:

سُــــــلطاننَا رُكـــــــينْ　　　وَنَــــــائبُوا دُقــــــينْ
يَجينَــــــا المــــــا　　　مِــــــنْ أيــــــنْ؟
هَـــــاتُوا لنَـــــا الأَعـــــرجْ　　　يجـــــي المَـــــا وَيَــــدّحرجْ[2]

وَكانَ سلَار النَائب فـي ذقنـهِ بَعض شعرَات فـي حنكـهِ، لأنـهُ كـانَ منَ التتَـار الخطاى، وكانَ الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن بـهِ بعض عرج.

فلمَا فشى هذَا الكلَام بين النَاس، فبَلَغَ السلطان الملك المُظفر بيبرس، فقبضَ عَلـى جَماعـةٍ كثيـرة مـنَ الأَعـوَام، نحـو ثلثمائـة إنسَـان، فضـرَبَ مـنهُم جَماعـة بالمقَارع، وَقطعَ ألسن جَماعة منهُم، وَأشهرَهُمْ في القَاهرة.

ثُمَ إنَ السلطان الملك المظفر بيبرس حَسنَ ببَالـهِ أنْ يقبضَ علـى جَماعـةٍ منَ الأمـرَاء وَالخاصـكية، فقبضَ عَلـى نحـو ثلثمائـة إنسَـان، فعنـدَ ذلـك نفـرتْ منـهُ القلُوب، وَاختَار كلّ أَحدٍ عَود الملك النَاصر محمد، وَصـارُوا جَماعـة مـنَ المماليك السُـلطانية يتسـحبُون تحـت الليـل، وَيتركُـون بيـوتهم وَأوْلادهـم وَأمـوَالهم، وَيتوجَّهُون إلى الكرك عندَ الملك النَاصر محمد.

ثـم إنَ الملك المظفر بيبرس أَرسلَ إلـى الملك النَاصـر محمد كتَـاب عَلـى يدي الأَمير مُغلطـاي، وَالأَمير قُطلوبُغَـا، وَكـانَ مضمُون الكتـاب يشـتمل عَلـى تهَدِيد وَوَعيد وَإنكار وَتشدِّيد، فمنهَا: "إن لـم تنتـه وَترجـع عن مُكاتبتك للأمرَاء، وَإلا جَرى عليك كمـا جَرى عَلـى أَوْلَادِ الملك الظـاهر بيبـرس [٣٩/ب] البنُدقدَاري، وَنفيهمْ إلى القسطنطينية".

فلمَا وَصل إلى الملك النَاصر وَهوَ بـالكرك، وَقرأ ذلك الكتـاب، اشتدَّ غضبَهُ عَلى مُغلطاي وَقُطلوبُغَا الذي أَرسلهُما إليهِ المُظفر بيبرس، فقبض عليهمَا حينَ أغلَظ عليه في القول، وَأَعتقلهُما بعدَ أن ضربهمَا علقة قويّة.

---

[1] بحر السريع.
[2] من غناء عامي.

ثم إنَ النَاصر محمد كاتب نَائب حلب، وَنائب طرَابلس، وَنَائب صفد، وَنائب حَماة، وَهوَ يقولُ لهُم: "لمَا أشتدَّ عَليّ الضنك خرجتُ منَ القاهرة، وتركتُ لهم الملك، وَرضيتُ بأحقر المسَاكن، وَأَصغر الأمَاكن، ليستريح خَاطري، فما بيرجعُوا عني، وَأَرسلُوا يطلبُوا مني المال وَالخَيل وَالمماليك الذي في خدمتي، وَانتهى الحَال إلى أن أَغلظُوا عليّ في المُخاطبَة، وأَرسلُوا يقُولُون لي لإن لم تنتنه عن مُكاتبتك إلى الأمراء، وَإلا جرى عليك مثل مَا جرى عَلى أَوْلاد الملك الظاهر بيبرس، وَنفيهمْ إلى القسطنطينية"، ثم قالَ لهُم في رسَالتهِ: "وَأنتم تعلمُون مَا لوَالدي عليكم من العتق والتربية والاحسَان، وَمَا أظنكمْ ترضون لي بهذَا الهوَان العظيم، فأمَا أنكم تكفُّوا عني هَؤلاء المُتعصبين عَليّ، وتكفُوني هذَا الأَمر، وَإلا فأنَا ألتجئ إلى بلَادِ التتَار، وَهوَ خيرٌ لي من النفي إلى بلَادِ الكُفَارِ"[١].

ثم إنَ الملك النَاصر أَرسل هذهِ المُطالِعَات عَلى يدّ شخصٍ يُسمى تَاج الدّين أوْزَانْ، فلمَا وَصلتْ هذهِ المُطالِعَات إلى النُواب، فأَخذتهمْ الحميَّة لابن أسُتَاذهُمْ، فأَرسَلُوا يُعرّفُونهُ أنهُم طوعَ يده، وَوَفقِ مقصدهُ، ومتى أَرَاد الحركة بَادرُوا نحوهُ.

فلمَا وَردت هذهِ الأجوبة عَلى الملك النَاصر قصد الخروج من الكرك، فخرجَ منهَا، وسَارَ إلى البُرج الأَبيض[٢] من أعمال البلقَاء، فأرسلَ الأَمير جَمال الدّين أقُوش الأفرم نائب الشام يُعرّف الملك المُظفر [٤٠/أ] بيبرس بأنَ الأمراء وَالنُواب قد فُسدت بوَاطنهم، وَتغيَّرت خوَاطرهم، وَأنَ الملك النَاصر قد تحرّك وَخرجَ منَ الكرك، وَهوَ قَاصدٌ للدِّيَارِ المصريّة.

فلمَا وَقفَ المُظفر بيبرس عَلى مُطالعةِ نَائب الشَام، فَعيّنَ للنَاصر تجريدة، وَبهَا منَ الأمرَاء، الأمير سيف الدّين بُلُرْغي[٣] صهُرهُ، وَالأمير عزّ الدّين أيبك البغدَادي، وَالأمير شمس الدّين الدكزُ السلحدَار، وَالأمير جَمال الدّين أقُوش نائب الكرك[٤]، وَعيّنَ معهُم نحو أربعة آلاف[٥] مملوك، فنفقَ عليهمْ وَجهَّزُوا

---

[١] جاءت الرسالة أكثر تفصيلًا عما ورد في بدائع الزهور (قارن: بدائع الزهور ٤٢٦/١- ٤٢٧ وجواهر السلوك ١٦١).

[٢] هو مركز من مراكز الطريق البريدي بين غزة ودمشق. (صبح الأعشى ٣٨٠/١٤. والسلوك ٥٩/١/٢ هامش ١).

[٣] في بدائع الزهور ٤٢٧/١/١: "بلغار".

[٤] في بدائع الزهور ٤٢٧/١/١: "الذي كان نائب الكرك" وهذا هو الصحيح، حيث ورد ذكره أنه نائب الشام.

[٥] في بدائع الزهور ٤٢٧/١/١: "ألفي".

أمرهُم في سبعة أيَام[1]، ثم خرجُوا مِنَ القَاهرة فـي يَوم السبت تَاسع رَجب منَ السنةِ المذكُورة، فلما نزلُوا بمسجد التبن عند المطرية[2]، فأقَامُوا به يَوما وِ ليلة، ثُمَ عَادُوا إلى القَاهرة.

وَسَبب عَودهم أنَ كتـاب نَائـب الشـام وَرَدَ علـى المُظفـر بيبـرس بـأنَ الملـك النَاصر دَخل إلـى الشـام فـي عسكرٍ عظـيم، وَزُينـت لـهُ، وَكـانَ يَوم دُخُولـهُ يَومًـا مشـهُودًا، ومعـهُ بكتمـر الجُوكنـدَار نائـب صـفد بالعسَـاكر الصـفديّة، وَأسـندَمُر كُرجي نَائب طرَابُلس بالعسَاكر الطرَابُلسيّة، وَتمر السَاقي نائـب حمص، ومعـهُ عسَاكر حمص، وكذلك نَائب حَماه، وَبقية النُواب، وَنزلَ بالقصر الأَبلق، وَالحاج بهَادُر حَامل الجتر عَلى رَأسهِ.

فلمَا نزلَ بالقصر الأَبلق أحضرَ إليه السنجري نَائب قلعة دِمشق بسِمَاطٍ عظـيم، ثم إن الملك النَاصر حَلف سَائر النُوَاب، وَسَائر الأمرَاء، وَأَرسلَ أمَـان إلـى جَمـال الدّين أقوش الأفرم نـائب الشام، وَأنهُ على عَادتهِ، وَخُطبَ باسم الملـك النَاصـر فـي يَوم الجُمعة عَلى منَابر دِمشق؛ ثم حضرَ الأمير قرَا سُنقر المنصُوري نـائب حلـب، وَصُحبتهُ العسَاكر الحلبيّة، فركب الملك النَاصر وخرجَ إلى تلقيهِ.

فلمَا بلغَ الملك المُظفر بيبرس ذلك اضطربت أَحوَالهُ، وَضَاقتْ عليه الدُنيا بمَا رَحبتْ.

فلمَا كانَ يوم [٤٠/ب] الثلاثاء سَادس عشر شهر رَمضان، دخل المقر السيفي سلَار النَائب مـع جَماعـة منَ الأمـراء إلـى الملـك المُظفر بيبـرس، وقـالُوا لـهُ: "إنَ غالب الأمراء وَالعسكر قدْ تسحبُوا منَ القَاهرةِ، وَتوجهُوا إلى عنـد الملـك النَاصـر، وَقدْ اختارهُ كلّ أحدِ من العسكر، ومن الرأي أنْ تُرسلَ إلى الملك النَاصـر مـع أحـدٍ من الأمرَاء، وتسَألهُ في مكان تتوجّه إليه أنتَ وعيَالك، فلعَلـهُ أنْ يُجيبك إلـى ذلـك، ومتى لم تُبادر بهذَا، وَإلا دَهمتك العسَاكر، وَتؤخذ كُرهًا".

فقَالَ المُظفر: "وَمنْ هُوَ الذي يتوجّه إلى الملك النَاصر بهذهِ الرسَالَة"، فأَشَـار عليـه الأمـرَاء: "بـأنَ الأميـر بيبـرس الـدوَادَار، وَالأميـر بهَـادُر آص يتوجهَـا بهـذهِ الرسَالة".

---

[1] الخبر ليس في بدائع الزهور.

[2] في بدائع الزهور ٤٢٧/١/١: "ونزلوا بالريدانية".

ثـم إنَ الملـك المُظفـر بيبـرس كتـبَ كتابًـا إلـى الملـك النَاصـر يترقـقَ لـهُ فيـهِ، وَيسألهُ في مكانٍ يتَوجّه إليه هُوَ وعيَاله، أمَا الكرك، وأمَا صهيُون، وَأمَا حَماة.

ثم إن الملك المظفر نزل عن الملك، وَأشهدَ عَلى نفسـهِ بـالخُلعِ، وجهزَ الخُلـع وَالكتاب عَلى يدي الأمير بيبرس الدوَادَار.

وَمن عجَائبِ الاتفاق أنَ الساعةَ التي رَكبَ فيها الملك النَاصـر محمد من الشـام وَهوَ قاصدٌ نحو الدِيَارِ المصريّة، كانتْ هيَ السَاعةُ التي خَلعَ فيها الملك المُظفر بيبرس نفسهُ منَ الملك، فكانت كما يُقال سَاعة سعد؛ وَدَامَ فيها الملك النَاصر فـي السلطنة إلى أنْ مَاتَ عَلى فرَاشهِ، كما سيَأتي ذِكرهُ في موضعهِ.

فلما توجّه الأَميران المذكُوران إلى عند الملك النَاصر بكتـاب الملك المُظفر، كما تقدم، فأَقام الملك المُظفر بعدَ ذلك أيَامًـا، ثـم دَخلَ إلـى الخـزائن السُلطانية، وَأخـذَ مـنَ المـالِ مَـا قدرَ عليـهِ والتُحفِ وَالخيُولِ وَالسـلاحِ، وَأخـذَ معـهُ سبعمائة مملُوك، وَأخذَ صُحبتهُ [٤١/أ] الأَمير بكتُوت الفَتَاح، وَالأمير أَيدمُر الخطيرى، وَالأَمير قجماس.

فلما كانَ ليلة الأربعاء سَادس عشر شـهر رَمضـان مـن السنةِ المذكُورة نـزلَ المُظفر بيبرس منَ القلعة بعدَ العشاء، من باب القرَافة[1]، وَأخذَ منَ الاصـطبل[2] السُلطاني عدّة خيُول من الخيُول الخاص.

فلما بَلغَ العوَام نزولهُ منَ القلعة، تجمعُوا لهُ وَرَجمُوهُ، وَسبُوهُ سبًا قبيحًا، فأنـهُ كانَ أفحش في حَقهمْ، وَشوَّش علـى جَماعةٍ منـهُم كمـا تقدم مـن ذلك؛ فلـولا أنـهُ أَشغل العوَام بنثر الفضة عليهم، وَإلا كانُوا قتلُوهُ لَا مُحالـة؛ فلمَـا نـزلَ من القلعـةِ توجه إلى نحو أطفيح[3]، وَقصدَ بأن يتوجّه إلى أَسوَان.

فلما أَصبح الصبَاح، وَأشيّع ذلك بينَ الناس، فخـرجَ مـن بقـي فـي القَـاهرة من الأمرَاء وَالعسَاكر طالبين الملك النَاصـر، وتـأخر الأمير سلَار فـي القلعـة لحفظِ القلعة وخزائن المال، ثـم إن سلَار أفرج عن الذّين كـانَ الملـك المُظفر أعتقلهُمْ

---

[1] في بدائع الزهور ١/١/٤٣٠: "الدرفيل".
[2] في الأصل الاسلطبل.
[3] بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فـي شرقيه. وهـي بمركـز الصـف بمحافظـة الجيزة (معجم البلدان ٢١٨/١؛ القاموس الجغرافي ٢٥/٢/٣).

بالقلعة، ثم إنهُ كاتب الملك النَاصر بمَا وقعَ مِن أَمرِ الملك المُظفر، وَأَرسل آلطُنبُغَا الجمدَار بهذهِ الوَاقعة.

وَلمَا كانَ يَومِ الجُمعة خُطبِ باسم الملك النَاصر محمد قبلَ دُخُوله إلى القَاهرة، هذَا مَا كانَ مِنْ أَمرِ الملك المُظفر بيبرس الجَاشنكير.

وَأمَا مَا كانَ من أَمرِ الملك النَاصر محمد فأنهُ لمَا خرجَ منَ الشام، وَوَصلَ إلى غزّة فحضرَ إليه الأَمير بيبرس الدوَادَار، وَالأمير بهَادُرآص، وَقدْ سَافرَا على خيلِ البريد، فلما قرأ كتَاب المُظفر وَتحقق خلعهُ، ففرح الملك النَاصر لذلك، وقَالَ: "الحمد لله الذي صَانَ الله تعَالى دِمَاء المسلمين عن القتَالِ"، ثُمَ أخلعَ عليهُما التشاريف السنيّة، ثم إن الملك النَاصر كتب إلى الملك المُظفر بالأمَان، وَأعَادَ الأميرين المذكُورين إلى القَاهرةِ [٤١/ب] فوجدُوا الملك المُظفر قد تعدَّى عنْ أطفيح، فأرسلُوا إليه بالأَمَان، فكانتْ مُدَّة غيبة الأَميرين ستّة أيَام[١] ذهَابًا وَإيَاب منَ القَاهرة إلى غزة.

ثُم إن الملك النَاصر خرجَ من غزّة، وَجدَّ في السّير، فوَصلَ إلى بركةِ الحآج[٢] في سلخ شهر رَمضَان، فعيَّد هُناكَ، وخرجَ إليه المقر السيفي سلَار النَائب، وقبّلَ لهُ الأَرض، وَكذلك سَائر الأمرَاء من الأكابر وَالأصَاغر، وَأعيَان الناس، ثم إن الملك النَاصر صلى في الدّهليز السُلطاني صلاة العيّد، وَطلعَ إلى القلعة في موكبٍ عظيمٍ، وكانَ ذلك في يَوم الأربعَاء مُستهل شوَال سنة تسع وسبعمَائة.

---

(١) في بدائع الزهور ٤٣١/١/١: "سبعة أيام".

(٢) في بدائع الزهور ٤٣١/١/١: "خانقة سرياقوس". وبركة الحاج: من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية وفي الشمال الشرقي محطة المرج وبالقرب منها. عرفت قديما باسم بركة الحجاج أو بركة الجب نسبة إلى عميرة بن تميم بن جزء التجيبيّ صاحب الجب المعروف باسمه في الموضع الذي يبرز إليه الحجاج عند خروجهم من مصر إلى مكة. (المواعظ والاعتبار، المقريزي، ٢٨٨/٣ والقاموس الجغرافي ٣١/٢/١).

ذكر

عود الملك النَاصر محمد

ابن قلاون إلى السلطنة[1]

وَهيَ السّلطنة الثالثة، فلمَا كانَ يَوم الخميس ثاني شوال منَ السنةِ المذكُورة، لبسَ الملك النَاصر خلعة السلطنة، وَبايَعهُ الخليفة المُستكفي بالله سُليمان، وَجلسَ على سرير الملك، وَحُملت القُبة وَالطير على رأسهِ.

وجلسَ بالإيوَان الأشرفي، وَأحضرَ النُواب الذين حضرُوا صُحبتهُ، وسَائر الأمرَاء منَ الأكابر وَالأصَاغر، وحَلفهُمْ لنفسهِ من كبيرٍ وَصغير، فلما حلفُوا قام المقر السيفي سلَار النَائب وسَأل السلطان بأنْ يَعفيه منَ النيَابة، وَيخرج إلى الشوبك، وَيُقيم بهَا بَطالًا، لأنَ الشوبك كانت جارية في إقطاع الأمير سلَار، فأَجَابهُ السلطان إلى ذلك، وَأعطاهُ دستُورًا إلى السفر، وَأَخلعَ عليه خلعة الرِضَا، وسَافر منْ يَومهِ بعدَ العصر.

فكانتْ مُدّة نيَابتهِ بالدِّيَارِ المصريّة إحدى عشرة سنة، ثم إن السلطان استقر بالأمير بكتمر الجُوكندَار في نيَابةِ عُوضًا عن سلَار.

ثم إن السلطان أَرسلَ الأَمير بيبرس الدوَادَار، وَبهَادُرآص إلى الملك المُظفر [٤٢/أ] بيبرس، وَكانَ تقدمِ إلى نحو أَخميم، فلمَا اجتمعَا بهِ فتلطَّفَا معهُ في القول، حتى استخلصَا منهُ الأموَال الذي[2] كانَ أخذها منَ الخزائن وَالخيُول الخَاصة، وَأخذُوا منهُ الممَاليك الذي[3] كانُوا مَعهُ.

ثم إنهُم قالُوا له: "إنَ السلطان يَقولُ لك امضي من على السُويس، وَتوجَّه من هُناك إلى الكرك، فأَقم بهَا أنتَ وَعيَالك". فرحلَ الملك المُظفر من هُناكَ عَلى أنهُ

---

[1] جاءت أحداث السلطنة الثالثة في: بدائع الزهور ١/١/٤٣١- ٤٨٦؛ جواهر السلوك ١٦٣- ١٨٠.
[2] كذا في الأصل، والصواب: "التي".
[3] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

يَمضي إلى الكرك، وَتوجّه الأمرَاء الذينَ كانُوا صُحبة الملك المُظفر مَعَ الأَمير بيبرس الدوَادَار، وَصُحبتهُم المماليك وَالخيُول وَالأَموَال، فتوجّهُوا إلى نحو القَاهرة.

وتوجَّه الملك المُظفر بيبرس إلى نحو السُويس على أنهُ يَمضي إلى الكرك، فبينما هُو في أثناء الطريق، أَرسل الملك النَاصر إليهِ الأمير أَسندمر كُرجي بممَاليكهِ فقبضَ عليه، وَأحضرهُ إلى الأَبواب الشريفة، فطلعَ إلى القلعةِ في اللّيل، وَذلك في ليلةِ الخميس رَابع عشر ذي القعدة، فأودعهُ السلطان في الاعتقالِ.

فلمَا كان يَوم الخميس وقت الظهر، طلبهُ السلطان في خلوةٍ، فلما مُثلَ بينَ يديهِ وَبخهُ بالكلام، وَعدّد لهُ مَا وَقعَ منهُ منَ القبائح، ثم أَمرَ بخنقهِ بينَ يديهِ، فخُنقَ بوَتر حتى كادَ يَهلك، ثُم نفسَّ لهُ وَزَادَ في سبّهِ، ثُمَ خَنقهُ ثانيًا إلى أنْ مَاتَ في ذلك اليوم وَهوَ يَوم الخميس المذكُور.

ثم رَسم السلطان بأن يُسلم إلى زَوجتهِ، وَأَمرَ بدَفنهِ في تُربةٍ في القرَافةِ؛ ثم بعدَ مُدّة تَدَخل الأمرَاء عَلى السُلطان، بأن يُنقلَ الملك المُظفر بيبرس إلى خَانقَاتِهِ التي تم إنشائهَا عندَ الدّرب الأصفر [1]، بالقرب من خَانقةِ سعيد السُعدَاء [2].

فكانتْ مُدّة سلطنة الملك المُظفر بيبرس الجَاشنكير بالدِّيَار المصريّة أحد عشر شهرًا وَأيام.

وَكانَ مليحَ الشكل، أبيض اللّون، أشقرَ [٤٢/ب] اللّحية، أَشهل العينَان، وَافر العقل، حَسنَ السيّرة، وكانَ كفُوا للسلطنة [3].

وفي أواخر هذهِ السنة: أَخلعَ السلطان عَلى من يُذكر من النُواب وَهُم: الأَمير قرَاسُنقر المنصُوري تولى نيَابة الشَام عُوضًا عن الأفرم، وأقَامَ الأفرم بصرَخد بطالًا؛ واستقر الأمير قفجق المنصُوري نَائب حلب، واستقر الحاج بهَادُر في نيَابة طرَابُلس[4].

---

[1] انظر المزيد عن خانقاة بيبرس في: المواعظ والاعتبار، المقريزي، ٢٨٥/٤.
[2] انظر المزيد عن الخانقة الصلاحية أو سعيد السعداء في: المصدر السابق ٣٦١/٤.
[3] يذكر ابن إياس في بدائع الزهور عكس ما ورد هنا، أن فترة حكم بيبرس كانت أشر الأيام مع قصرها. (انظر: بدائع الزهور ٤٣٤/١/١).
[4] الخبر ليس في بدائع الزهور.

ثُم إنَ السلطان الملك النَاصر محمد عملَ الموَكب في الإيوان الأشرفي، وَقبضَ عَلى جَماعةٍ منَ الأمرَاء البُرجيّة، وَأَمَّر جَماعة من ممَاليكهِ وهُمْ: تنكز، وكستآي، وَبيبرس السلحدَار[1].

ثُم دخلت سنة عشرة وسبعمَائة، فيها: أَخلعَ السلطان عَلى الأمير بكتمر النَاصري الحَاجب واستقر بهِ وَزيرًا.

ثم إنَ السلطان بَلغهُ أنَ أخُو سلَار النَائب، وَجَماعة منَ الأمرَاء الذّين كانُوا منْ عُصبةِ سلَار، قصدَهُم الوَثُوب عَلى السُلطان، فبَادر السلطان وَقبضَ عَلى أَخى سلَار، وَجَماعة منَ الأمرَاء نحو أَربعة عشر أميرًا.

ثم إنهُ كتبَ إلى سلَار مُطالعَة تتضمن مَا بَلغهُ عنهُم، ثم إنهُ رَسمَ لِسلَار بالحضُور إلى الأبوَاب الشريفة ليزُول القَال والقيل، ثم أَرسلَ هذهِ المُطالعة عَلى يد الأَمير علم الدّين سنجر الجَاولي، وأَمرهُ بالقبضِ عَلى سلَار، فتوجّه إليهِ سنجر الجَاولي، وَكانَ سلَار مُقيمًا بالشوبك كما تقدم، فلمَا حضرَ أَوْدعَه السلطان في السجن، فلمْ يلبث في السجن إلا قليلًا وَمَاتَ، وكانَ أصلهُ من مماليك الملك الصَالح علي بن قلاوُن الذي مَاتَ في حيَاة وَالده، كما تقدم.

وقيل[2]: لما سُجنَ سلَار بالقلعةِ أَحضرَ إليهِ السلطان طَعَاما، فأبَى أنْ يَأكل منهُ، وَرَدَّهُ عليه، وَأظهرَ الحنق، فلَما بَلغَ السلطان ذلك فأمرَ بأنْ لا يَعُودُون يرسلُوا إليه طَعَامًا، فأَقَامِ أيامًا لم يَأكل [٤٣/أ] شيئًا، حتى قيل: أنهُ لمَا تَزايد بهِ الجُوع أكلَ أَخفَافهُ، وهوَ في السجن بقلعة الجبل، فلما بلغ السلطان ذلك أَرسل يقُولُ لهُ: "السُلطان قدْ رَضي عليك، فقُم وَأَخرج منَ السجن"، فقَامَ وَمشى خطوات ثُمَ وقعَ ميتًا منْ شدَّة الجُوع، وَعُظم القهر.

وَكانَ شديد الغَضب، وكانَ لهُ برّ وَمعروفٌ، كثير الصدقَات، وكانَ أسمر اللّون، مَربُوع القَامة، خَفيف اللّحيَّة، لهُ بعضُ شعرَات في حنكهِ، وكانَ منَ التتَار الخطآي، وَكان لطيفًا في ملبسهِ.

---

(١) الخبر ليس في بدائع الزهور.

(٢) في بدائع الزهور ٤٣٦/١/١: نسب القول لصلاح الصفدي. والخبر مذكور لدى الصفدي مختصرًا في: أعيان العصر وأعوان النصر ٤٩١/٢- ٤٩٢. الوافي بالوفيات ٣٤/١٦.

اقترحَ أَشيَاء في الملبُوس، وَهي منسُوبة إليهِ إلى الآن، وَهوَ السلّاري وَالمنَاديل [1] السلاريّة، واقترح أشياء في قماش الخيل وَآلة الحرب، وَهي منسُوبة إليه إلى اليوم.

وَلمَا مَاتَ تولى أَمرَ دَفَنه الأمير علم الدّين سنجر الجَاولي، وَدَفنهُ في مَدْرَستهِ الجَاوليّة التي عند الكبش[2].

ثم إنَ السلطان احتاطَ علي مَوجُود سلار، فظهرَ لهُ منَ الأموَال وَالتُحف مَا لا يُسمع بمثلهِ في خزَائن الملُوك.

قَالَ محمد بن شاكر الكتبي[3]: وَقفتُ عَلى قوائم بخد المولى جَمال الدّين ابن الفويرة[4] تتضمن مَا أشتملتْ عليه تركة المرحُوم سلّار النَائب:

وَهوَ مَا ضُبط في أَول يَوم وَهوَ يَوم الأحد سَادس عشر جُمادى الأَول من سنة عشر وسبعمائة: يَاقوت أحمر بهرمَان رَطين [5]، بلخش[6] رَطين [7] وَنصف، زُمُرد ريَحاني وَذُبَابي[8] تسعة عشر[9] رَطلًا، صنَاديق ستّة، ضمنهَا فصُوص مَاس، وَعين الهر قطع كبَار العِدّة ثلثمائة، لؤلؤ مدوّر كبَار من مثقالٍ إلى درهم ألف وَمَائة وَخمسين [10] حبَّة، ذهب عين مَائتى ألف دينَار، درَاهم أربعمَائة ألف درهم وَاحد وسبعُون ألف درهم [11].

---

(1) في الأصل "المناذيل".

(2) ذكر المدرسة في (المواعظ والاعتبار، المقريزي، ٢٥٥/٤).

(3) الخبر لدى ابن شاكر في فوات الوفيات ٨٧/٢- ٨٩.

(4) هو: يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد، القاضي الرئيس جمال الدين ابن الفويرة، ت: سنة ٧٤٢هـ. (أعيان العصر ٥/ ٥٧٨ رقم ١٩٥٠).

(5) "رطلين" في بدائع الزهور ٤٣٧/١/١؛ وجواهر السلوك ١٦٥: "رطلان".

(6) بلخش: من الأحجار الكريمة، يتكون بنواحي بلخشان "بذخشان"، وهي بلاد الترك تتاخم الصين، (انظر صبح الأعشى ٢/ ١٠٣، النجوم الزاهرة ٩/ ٢١ هامش ٤. عقد الجمان ٢٤٤/٥ هامش ٤).

(7) "رطلين" في بدائع الزهور ٤٣٧/١/١؛ وجواهر السلوك ١٦٥: "رطلان".

(8) زمرد ريحاني: أي لونه أخضر فاتح شبيه بلون ورق الريحان، أما الذبابي: فهو شديد الخضرة، ولا يشوب خضرته لون آخر من الألوان، جيد المائية، شديد الشعاع، ويسمى ذبابيًا لتشبيه لونه بلون كبار الذباب الأخضر الربيعي، (انظر: صبح الأعشى ٢/ ١٠٨، النجوم الزاهرة ٩/ ٢١ هـ ٥، ٦. عقد الجمان ٢٤٤/٥ هامش ٥).

(9) "عشرين" في بدائع الزهور ٤٣٧/١/١.

(10) "مائة وخمسين" في بدائع الزهور ٤٣٧/١/١.

(11) الخبر في: فوات الوفيات ٨٨/٢. الوافي بالوفيات ٣٤/١٦. أعيان العصر ٤٩٢/٢. المنهل الصافي نقلا عن ابن شاكر ١٠/٦. النجوم الزاهرة ٢١/٩. عقد الجمان ٢٤٤/٥. بدائع الزهور ٤٣٧/١/١.

وَفي يَوم الإثنين سَابع عشرة، فصُوص مُختلفة رَطلان، ذهب عين خمسة وَخمسين ألف دينَار، درَاهم ألف ألف درهم، مُصَاغ وَعقُود ذهب أَربع قنَاطير مصرى، طاسَات، وَأطباق [٤٣/ب] وَطُسوت[١]، وَأهوَان ذهب وَفضة ست قنَاطير[٢].

وَفي يَوم الثلاثاء ثامنْ عشرة، ذهب عين خمسة وَأَربعُون ألف دينَار، درَاهم ثلثمائة ألف وثلاثُون ألف درهم، قطزيَات[٣] وَأَهلّه، وَطلعَات، صنَاجق فضّة، ثلاث قنَاطير[٤].

وفي يَوم الأَربعَاء تاسع عشرة، ذهب عَين ألف ألف دينَار، درَاهم ثلثمائة ألف درهم، أقبيَا بفرو قَاقم ثلثمائة قبا، أقبيا حرير عمل الدَار مَلّونة بفرو سنجَاب أَربعمَائة قبا، سُروج ذهب بميَاتر زركش مَائة سرج، وَظهرَ لهُ عند صهره الأمير مُوسى ثمان صنَاديق لم يُعلم مَا فيهَا، ووجدّ لهُ منَ التفَاصِيّلِ الطرد وحش، وَعَمل الدَار ألف تفصيلة، ووجدَ لهُ منَ الخيَامِ ستّ عشرة نوبة، وَوَصلَ صُحبتهُ منَ الشوبك منَ الذهب العين مَائة ألف دينَار، ومنَ الدرَاهم أَربعمائة ألف درهم وَمنَ الخلع الملّونة ثلثمائة خلعة، وَخركاه بغشاءٍ أطلس أَحمر مطرَّز بزركش، ووجدَ لهُ منَ الخيُول ثلثمائة رَأس، منَ الخيُول الخَاص، دُون الدشار، ومنَ البغَال مَائة وعشرين قطَار، ومنَ الجمال مَائة وعشرين قَطار، هذَا كله خَارجًا عَما وُجدَ لهُ منَ الأملاك، وَالضيَاع، والمعَاصر، وَالشوُن، والمراكب، وَالعبيد، وَالخدَام، وَالجوَار، وَالمماليك وَالفرش والأغنام، وَالأبقار، ووجدَ لهُ في الشوُن، ثلثمائة ألف أردب، غلة وَمعَ هذا كلهُ مَات بالجُوع وَهوَ في السجن، ثم ظهر لهُ مخباة في دَاره فوجدَ فيها أكياس ذهب ما

---

(١) طسوت أو طشوت هو: إناء كبير مستدير من نُحاس أو نحوه يستعمل للغسيل. (معجم اللغة العربية المعاصرة ١٤٠٠/٢).

(٢) الخبر في: فوات الوفيات ٨٨/٢. الوافي بالوفيات ٣٤/١٦. أعيان العصر ٤٩٢/٢- ٤٩٣. المنهل الصافي نقلا عن ابن شاكر ١٠/٦. النجوم الزاهرة ٢١/٩- ٢٢. عقد الجمان ٢٤٤/٥- ٢٤٥. بدائع الزهور ٤٣٧/١/١.

(٣) هكذا في الأصل وبدائع الزهور ٤٣٧/١/١ والنجوم الزاهرة ٢٢/٩؛ في عقد الجمان ٢٤٥/٥: "قطريات"؛ في أعيان العصر ٤٩٣/٢ والوافي بالوفيات ٣٤/١٦ وفوات الوفيات ٨٨/٢: "براجم".

(٤) الخبر في: فوات الوفيات ٨٨/٢. الوافي بالوفيات ٣٤/١٦. أعيان العصر ٤٩٣/٢. المنهل الصافي نقلا عن ابن شاكر ١٠/٦. النجوم الزاهرة ٢٢/٩. عقد الجمان ٢٤٥/٥. بدائع الزهور ٤٣٧/١/١.

يُعلم عدَّة مَا فيهَا، وَوجدَ لهُ في مكانٍ قريب منَ الخلاة فسقيّة مملوءة ذهب عَين سكب بغير أكياس مَا يُعلم لهُم عدّة.

وقيلَ: كانت أجرة أملاكه وَضيَاعة وَمُستاجرَاته في كلّ شهر مائة ألف دينار.

وَمنَ العجَائب أنَ سلَار حوى هذه الأموال العظيمة، وقدْ [٤٤/أ] أَقَامَ في نيابةِ السلطنة بمصر إحدى عشرة سنة، فهذهِ الأَموَال كُلهَا جُمعتْ في هذهِ المُدَّة اليسيرَة، وهذَا منَ العجَائب التي لمْ يُسمع بمثلهَا، فأَمَا أَنهُ ظَفرَ بكنز، وَأَمَا أَنهُ صح معهُ عَمل الكيميَاء، وَأَمَا أنهُ أخذَ هذه الأموال من الخزائن السُلطانية قبل حضُور الملك النَاصر من الكرك، قدْ قَالَ القائل في المعنى:

أَجمعْ[١] وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ مَبْعُوْثُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِن عَمَلٍ ... مُحصى عَلَيْكَ وَمَا خَلّفْتَ مَوْرُوْثُ[٢]

ثُم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة، فيها: خُطب للسُلطان الملك النَاصر محمد بن قلاوُن في أفريقية ببلادِ الغرب، وسبب ذلك أنَ صَاحب أفريقيّة، وَهوَ أبُو يحيى اللحيَاني[٣]، قدمَ عَلى السلطان الملك النَاصر، وَأرَاد أنْ يستنجد بهِ على بعضِ مُلُوك الغرب، وَالتزمَ للسُلطان أنهُ إذَا فتح أَفريقيّة أقَامَ نفسهُ فيها نائبًا عن السُلطان، فجرَّدَ السلطان معهُ أمير عشرة، ونحو مَائة مملُوك.

فلمَا توجّهُوا نحو بلاد الغرب تسَامعتْ بهِ العُربَان وَأهل الأعمال، بأنهُ وَاصل بجيشٍ من قبلَ السلطان فعُظم أَمرهُ، فلمَا وصلَ إلى بلاد الغرب وَثب على بلاد بُجاية وَتونس ومَلكهَا، وَدخلَ إليهَا والصناجق السُلطانية عَلى رَأسهِ، فَراجَّ أَمرهُ وَهَابتهُ مُلُوك الغرب وفتحَ أفريقيّة، وذلك في شهر رَجب منَ السنةِ المذكُورة فخطبَ للسُلطان في هذهِ الأقَاليم كما قرَّرَ معهُ.

---

(١) هكذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٤٣٨/١/١. وفي: العقد الفريد ١٣٣/٣. رياض النفوس ٢٦٤/٢. الحلة السيراء ٢٩/١. وجاءت في أغلب المصادر "أعمل".

(٢) بحر البسيط؛ البيتان قد نسبهم ابن الأبار إلى مروان بن الحكم. (الحلة السيراء ٢٩/١). وقد نُسب البيان لسعدون المجنون، انظر: عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري صـ٥٩. وقد ورد البيتان في المصادر بدون النسبة لأحد. (انظر: العقد الفريد ١٣٣/٣. رياض النفوس ٢٦٤/٢. تاريخ دمشق ٦/٣٨).

(٣) هو زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد ابن الشيخ عمر، الملك أبو يحيى صاحب تونس، المغربي المالكي اللحياني. (انظر: المنهل الصافي، ٣٦٣/٥).

وفيهَا: قبضَ السلطان عَلى الأَمير كرَاي المنصُوري نَائب الشام، وَالأَمير بكتمر الجُوكندَار نَائب السلطنة، وَنقلَ الأمير أقوش نَائب الكرك إلى نيابةِ دِمشق؛ واستقر بالأَمير بيبرس الدوَادَار المنصُوري في نيَابة السلطنةِ بمصر.

وفيهَا: هربَ الأمير قرَاسُنقر المنصُوري نَائب الشامِ وَالأمير أقُوش الأفرم إلى بلادِ التتَار.

ثُم دخلت سنة اثنتا عشر وسبعمَائة، فيها: حضر رُسل صَاحب اليمن وَصُحبتهُمْ هَدَايَا جَليلَة. [٤٤/ب]

وفيهَا: حضرَ ملك النُوبة إلى الأَبوَاب الشريفة، وَصُحبتهُ تقَادمٌ كثيرة، منهَا: ألف رَأس رَقيق وَجَمال وَأبقار كثيرة خيَسِيّة.

وفيهَا: قبضَ السلطان عَلى الأَمير بيبرس الدوَادَار المنصُوري نَائب السلطنة، واستقر بالأمير أَرغُون الدوَادَار الناصري في نيَابة السلطنة بمصر.

وَاستقر بالأَمير تنكز الحسَامي في نيابة دِمشق عُوضًا عن الأمير أقُوش؛ وَلما تولى الأمير تنكز نيَابة دِمشق جعلَ السلطان دِمشق أكبر منْ نيَابة حَلبَ، وكانتْ نيَابة حَلب أكبر منْ دِمشق في أول الزمَان؛ ثم استقر بالأمير سودُون النَاصري في نيَابةِ حَلب.

وَفيهَا: انتهتْ عمَارة الجَامع الجدّيد[1]، الذي أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون، عندَ مَوردة الحَلفَاء، المُطل عَلى بحر النيل، وَكانَ قدْ شرعَ في عمارتهِ منْ سنةِ عشر وسبعمَائة، وَقيلَ: أنهُ نَقلَ حجَارتهُ مِنْ صنمٍ يُقَالُ لهُ السرّية، كانَ في قصرِ الشمعِ[2].

وَفيهَا: أمرَ السلطان بعمَارة الميدَان الذي تحت القلعةِ، وَأَمرَ بعمَارة الميدَان الكبير الذي عندَ موَردة الجبس[3].

وَفيهَا: حَضرَ مملوك نَائب حلب، وأَخبرَ بأَنَ التتَار قدْ تحرَكُوا عَلى البلادِ؛ فعرض السلطَان العسكر، وَنفق، وخرجَ منَ القَاهرةِ في أوَائل شهر رمضَان من السنةِ المذكورة.

---

(1) الخبر في بدائع الزهور ٤٤١/١/١ وجواهر السلوك ١٦٧: السلطان بدأ في عمارة المسجد، بعكس ما ورد هنا جاء أنه انتهى؛ وفي صبح الأعشى بانتهاء من عمارة المسجد في ٨ صفر ٧١٢هـ (انظر: صبح الأعشى ٣٤٦/٣).

(2) في بدائع الزهور ٤٤١/١/١: "نقل هذه الأعمدة... من قلعة الروضة"، وهنا نقلت من قصر الشمع.

(3) في بدائع الزهور ٤٤٢/١/١: "عند البركة الناصرية".

فلمَا وَصلَ إلى غزّة، جاءت الأخبَار بأنَ التتَار لمَا سمعُوا بقدُوم السُلطان، رَحلُوا عنْ قلعةِ الرّحبَة، وَتوجّهُوا إلى بلادِهم، وَأنَ نَائب الرَّحبة[1] كبسَ عليهمْ وَكسرَهُمْ كسرَه قوّية، فلمَا سمعَ السلطان بذلك قوي عزمَه عَلى أنْ يُسَافر منْ هُناكَ إلى الحجَاز الشريف، وَقدْ سُميت هذهِ الغزوة «الكذّابة».

ثم إنَ السلطان فرّقَ العسَاكر في البلادِ الشاميّة وَالبلاد الحلبيّة، وتوجّه السلطان إلى الكرك، ثُم تَوجه منْ هُناك إلى الحجَاز، وَهذهِ الحجّةِ الأُولى، فحجَّ السلطان في تلك السنةِ [٤٥/أ] وَرَجعَ إلى دِمشق في ثَانى عشر المُحرم منْ سنةِ ثلاثةِ عشر وسبعمَائة، ثُم توجّه إلى القَاهرة فدَخلهَا في ثالث عشر صفر من سنةِ ثلاثة عشر، وكانَ يَوم دُخُوله إلى القاهرة يَومًا مشهُودًا، وَزُينتْ لهُ زينة عظيمة، وَكانَ لهُ مَوكبٌ عظيم.

وَفي أثناء السنةِ الخالية وَهي سنة اثنتا عشر وسبعمَائة، فيها: كانتْ وفَاة الشيخ نَصيّر الدّين الحمَامي الشاعر، وَكانَ منَ الشُعرَاء المعدُودَة، وَلهُ شعرٌ جيد، فمن شعرهِ لنفسه، وَهوَ قولهُ:

لي مَنزلٌ معروفَهُ	**يَنهَلُ غَيثًا كالسُحُبْ**
أقبل ذَا العُذرِ بِهِ	**وأكرِمَ الجارُ الجُنُب**[2]

وَقولهُ:

وكدّرتَ حمَامي بغيبتك الّتي	**تكدَّرَ من لذاتهَا صَفوُ مشرَب**[3]
فَمَا كَانَ صَدرُ الحَوض مُنشرِحاً بهَا	**ومَا**[4] **كَانَ قلبُ المَاء فيهَا بِطيّب**[5]

ثُم دخلت سنة ثلاثة عشر وسبعمَائة، فيهَا: عَاد [السُلطان][6] منَ الحجَازِ الشريف، فَأقَامَ مُدّة يسيرَة، ثُم سَافر إلى بلَادِ الصّعيد، بسببِ تمهيد إقليم الصّعيد من فسَادِ العُربانِ، فضيّقَ عَليهمْ السلطان منَ البرّ الشرقي، وَمنَ البرّ الغربي، حتى أَسرَ العُربَان جميعهَا، فصفدُوا في الحدّيدِ، وَحَملُوا في المرَاكب إلى القَاهرة، فسُجنَ منهُم جَماعة، وَاستعملَ منهُم جماعة في الحفيرِ للجسُور.

---

(1) في بدائع الزهور ٤٤٢/١/١: "نائب حلب".
(2) بحر مجزوء الرجز.
(3) في بدائع الزهور ٤٤٣/١/١ وخزانة الأدب ٥٩/٢: "تكدر فيها العيش من كل مشرب".
(4) في خزانة الأدب ٥٩/٢: "ولا".
(5) بحر الطويل.
(6) في الأصل "السُلطامن".

ثُم عَاد السلطان وَأقامَ بالأهرَام أيَامًا عَلى سبيَل التنزّة، ثم طَلَعَ إلى القَلعةِ، وَكانَ ذلك في شهرِ رَمضَان منَ السنةِ المذكُورة.

وَفيهَا: شَرعَ السلطان في رَوك البلَادِ الشَاميّة، وَهوَ الروك الناصري، فأَمرَ بإحضَار كُتاب الجيُوش الشَاميّة وَالمصريّة، وَحضرَ نَائب غزّة وتكلمُوا في ذلك، وَكتبُوا المثَالَات وَالمنَاشير، وَأَرسلُوهُم عَلى يد الأمير قجليس السلحدَار، فسلمَّ الأوراق إلى نَائب الشام، ففرَقهَا في ذلك اليَوم عَلى الجيُوش [٤٥/ب] الشَاميّة.

وَحُوّلتْ سنة اثنتا عشر وسبعمَائة الخرَاجيّة إلى سنةِ ثلاثةِ عشر وَسبعمَائة الهلاليّة.

ثُم دخلت سنة أَربعة عشر وسبعمَائة، فيها: شرَعَ السلطان في عمَارة القصر الأَبلق، بقلعة الجبل وَهوَ عِبَارة عن ثلاثة قصُور مُتدَاخلة في بعضهمْ، وَفيهمْ خمس قَاعَات، وَثلاثة مرَاقد؛ قيل: أنهُ أكملَ عمَارة ذلك في عشرَة أشهر.

فَلمَا كملَ ذلك فأَمرَ السلطان بأن يُمدَّ فيه سمَاطًا عظيمًا، وَأَرسلَ خلف الأمرَاء منَ الأكابر وَالأصَاغر وَأعيَان الدولة وَغالب العسكر، فَمدَّ لهُم سمَاطًا عظيمًا، فأكلُوا وَشربُوا القَمز[١] وَملأ الفسقيَّة التي في القصر الكبير سُكرًا وَليمُون.

ثم إنَ السلطان أَخلعَ في ذلك اليَوم عَلى الأمرَاءِ، وَأَربَاب الوظائف، وَالأَعيَان، وَالبنَاييّن وَالمُهندسين، نحو ألفين وَخمسمَائة خلعة، مَا بينَ تشاريف وَأقبيَاء وَغير ذلك، وَفرَّقَ في ذلك اليَوم منَ المالِ نحو مائة ألف دِينَار[٢]، ذكر ذلك صَاحب تَاريخ زُبدة الفكر[٣].

ثُم دخلت سنة خمسة عشر وَسبعمَائة، فيها: توجّه نَائب تنكز وَسَائر النُواب، وَالعسكر المصري[٤] إلى نحو مَلطيّة[٥]، فحَاصرُوا الأَروام[٦] الذّين

---

[١] القِمزُّ: هو شراب مسكر مشهور في عهد المماليك. (انظر: رحلة ابن بطوطة ٢٢٠/٢).

[٢] "خمسين ألف دينار" في بدائع الزهور ٤٤٥/١/١. يذكر المقريزي في كتابه: "فبلغت النفقة على هذا المهم خمسمائة ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم". (المواعظ والاعتبار ٣٦٦/٣).

[٣] وهو الأمير رُكن الدّين بيبرس المنصُورى الدّوَادَار.

[٤] ليست في بدائع الزهور.

[٥] هي من بناء الإسكندر وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين. (معجم البلدان، ياقوت، ١٩٢/٥).

[٦] "الأرمن" في بدائع الزهور ٤٤٦/١/١.

كانُوا بهَا، فطلبُوا الأمَان منَ العسكر، ففتحُوهَا في يوم الإثنين ثاني عشرين المُحرم[1] منَ السنةِ المذكُورة.

وفيهَا: راكَ السلطان البلاد المصريّة وَهوَ الروك النَاصري بَعدَ الروك الحُسَامي.

ثُم دخلت سنة ستّة عشر وَسبعمَائة، فيها: جرّدَ السلطان العسكر إلى صَحرَة عيذَاب[2]، بسببِ فَسَاد العُربان، فخرج إليهمْ ستة أمرَاء مَقدَمين أُلوف، وَجَماعة منَ العسكر، فتوجهُوا إلى نحو [بلاد][3] البجاة، وَجَاوزُوا الأقاليم الثلاثة، فلمْ يظفرُوا بأحدٍ منَ العُربَان البَاغيّة، فرَجعُوا إلى الدِّيَارِ المصريّة منْ غير طائل، فكانَ غَالب قُوت العسكر في هذهِ السَفرة منَ الذُرة.

وفي هذهِ السنةِ: توفي الشيخ [٤٦/أ] عَلائي الدّين الوَدَاعي الكندي، وكانَ شَاعرًا مَاهرًا، ولهُ شعرٌ جيّدٌ، فكانتْ مُدّة حيَاته ستَّة وَسبعين سنة، وَمولده في سنةِ أربعين وستمائة.

ثُم دخلت سنة سبعة عشر وسبعمَائة، فيها: جرَّدَ السلطان العسكر إلى نحو آمد[4]، فملكُوهَا عَلى حين غفلةٍ من أَهلهَا.

وَفيهَا: سَافر السلطان إلى غزّة، وتوَجّه منْ هُناك إلى زيَارةِ بيت المقدس، فزَارَهُ، ثُم توجَّه إلى زيَارةِ الخليل عليه السلام، فزَارَهُ؛ ثُم رجعَ إلى الديّارِ المصريّة، وذلك في جمَادى الآخر منَ السنةِ المذكُورة.

وَفيهَا: أوفى النيل بَدَري في تَاسع عشرين أبيب[5]، وَكُسرَ السدَّ، وَخُلقَ المقيَاس.

وَفيهَا: وَسَّعَ السلطان الجَامع الذي في قلعة الجبَل، وَعمَّرَهُ عَلى مَا هُوَ عليه الآن، فَقيلَ: أنهُ أكملَ عمَارتهُ في أَربَعةِ أشهر وَخمسة وَعشرين يَومًا [6].

---

(1) في بدائع الزهور ٤٤٦/١/١: ٢٢ ربيع الآخر.

(2) بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد، وهي على البحر الأحمر وهي على الحدود بين مصر والسودان. (معجم البلدان ١٧١/٤؛ القاموس الجغرافي ٣٣٨/١/١-٣٣٩).

(3) في الأصل "بلا".

(4) وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلّها قدرًا وأشهرها ذكرًا. (معجم البلدان ٥٦/١).

(5) في جواهر السلوك ١٦٩: "١٩ أبيب".

(6) في بدائع الزهور ٤٤٨/١/١: انتهاء مدة العمل كانت في ٦ أشهر.

وفي سنةِ ثمانية عشر وَسبعمَائة، فيها: جَهزَّ السلطان عسكرًا إلى نحو بلاد برقة، بسببِ فَسَادِ العُربَان لأنهُم مَنعُوا الزكاة وَالعدَاد، وأظهرُوا العِصْيَان.

وَفيهَا: أجرى السلطان مَاء النيل منَ البحرِ إلى قلعةِ الجبَل، في مجَار عَلى قنَاطر، وَرَكزَ لهَا أبَار بسوَاقي نقَّالة في عِدَّةِ أمَاكن.

وَفيهَا: عَمرَّ السلطان الحوش بقلعةِ الجبَل، وَزرَعَ بهِ بُستان عظيم، ونقلَ إليهِ الأشجَار وَالريَاحيّن منْ سَائر البلادِ.

وَفيهَا: حجَّ السلطان الملك النَاصر محمد بن قلاوُن، وَهيَ الحجّة الثَانية، وَحجَّ صُحبتهُ منَ الأمرَاء المقدَّمين نحو اثنين وَعشرين أميرًا [1]، من الأمرَاء الطبلخَانَات وَالعشرَاوَات نحو ثلاثين أَميرًا، وَحجّ مع السلطان في تلك السنة الملك المؤيد عمَاد الدّين إسمَاعيل صَاحب حَماة، وسَافر معهُ القَاضي كريم الدّين نَاظر الخوَاص الشريفة، وَالقَاضي فخر الدّين نَاظر الجيش، وَالقاضي علائي الدّين ابن الأثير كاتب السرّ، وَكان سفرَ السلطان في تَاسع ذيِ القعدة، فوَصَل إلى مَكة، وَحجّ وَقضى منَاسك الحج، وَغسلَ الكعبة بيدهِ.

وَأبطلَ جميع المكُوس التي كانت بمكة وَالمدينة في تلك السنة، ثم رَجع السلطان إلى الدّيَارِ المصريّة.

في سنةِ تسعة عشر وسبعمَائة، وَفيها: تزوَّج السلطان ببنت أزبك خَان، فأُحضِرَتْ مِنْ بلادِ الشرق إلى الدِّيَارِ المصريّة، فدَخَلَ عَليهَا، وَكانَ لهَا مهم عظيم.

ثُم دخلت سنة عشرين وسبعمَائة، فيها: جرَّدَ السلطان العسَاكر إلى مدينةِ سيس، فطرَدُوا منْ كانَ بهَا منَ الأَرمن، وَمَلكُوهَا.

ثُم دخلت سنة إحدى وعشرين، فيها: حجّتْ خَوند طُغَاي أُم أَنُوك زوَجة السلطان الملك النَاصر محمد، وَحجَّ في خدمتهَا الأَمير قجليس أَمير سلَاح، وَالقَاضي كريم الدّين ناظر الخوَاص، وَغير ذلك مِنَ الأعيَان.

---

[1] في بدائع الزهور ١/١/٤٥٠: "اثنى عشر".

خرجت من القَاهرة في ثَامن شوال، وَسَافر صُحبتهَا الكوسات[١] والعصائب السلطانية، فلمَا حجّتْ رَجعتْ في عَاشر المُحرم، فنزلَ إليهَا السلطان وَتلقَاهَا من بركة الحَاج[٢].

وفيهَا: جَرَّدّ السلطان الأمراء وَالعسَاكر إلى نحو سيس، وَقلعة إيَاس، وَذلك أنَ الأَرمن لما رَحلوا العسَاكر السُلطانية رَجعُوا وَمَلكُوا سيس، وَقلعة ايَاس، فلمَا بلغَ السلطان ذلك، عيّنَ لهُم تجريدة ثقيلة، وَكانَ بهَا مِنَ الأمرَاء: ألمُاس الحَاجب، وَطرجي أَمير مجلس، وَأَصلمْ[٣] السلحدَار، وَبهَادُر آص، وَسنجر الجمقدَار، وَكجكر العلمي، وَآقوش الأَشرفي نَائب الكرك، وَغيرَ ذلك مِنَ الأمراء وَالعسكر، فلمَا وَصلُوا إلى سيس حَاصرُوهَا أَشدَّ الحِصَار حتى هربَ منْ كانَ بهَا مِنَ الأَرمن، وَقتلُوا منهُم خلقٌ كثيرة، وَفتحُوها بالسيف، وَأَخربُوا سُورهَا، وتركُوهَا خَاوية عَلى عُروشهَا، وَرَجعُوا العسكر إلى الدِيَارِ المصريّة.

وَفيهَا: عمَّر السلطان مِيدَان المهَارة الذي عندَ [٤٧/أ] قنَاطر السّبَاع[٤].

ثُم دَخلت سنة اثنتين وَعشرين وسبعمائة، فيهَا: قَبضَ السلطان عَلى القَاضي كريم الدّينِ الكبير نَاظر الخوَاص الشريفة، وكانَ يُعرف بابن السَّدِّيد، وكانَ السلطان قدْ أَدْنَاهُ وَقرَّبهُ وَنَالَ في أيَامهِ من العزّ وَالرفعة مَا نَالهُ جعفرَ البرمكي في أيَام هرُون الرّشيد، وَصيّر إليهِ التّصرُف في الخزَائنِ وَالأَموَال، وكان الأمراء وَالأعيَان يَركبُون في خِدمتهِ، وَينزلُون مَعهُ إلى بيتهِ.

ثم إن السلطان تغيّر خَاطرَهُ عليه فقبضَ عليه، ثُمَ استصفى أَموَاله وَذَخَائره وَلم يترك لهُ كثيرًا وَلا قليلًا، ثُم نفاهُ إلى الشوبك، هُوَ وَلدَهُ وَعيَاله، ثم بَعدَ مُدّة نقلهُ إلى القُدس، واستقر بالقَاضي تَاج الدّينِ عبد الوهَاب في نِظَارةِ الخوَاص الشريفة، ثُم نقلَ القَاضي كريم الدّين المذكُور من القُدس الشريف إلى بلاد أسوان وَهوَ مُقيدٌ فسُجنَ بهَا فأقَام في السجنِ مُدّة يَسيرة وَمَاتَ[٥].

---

[١] الكوسات: هي صنوجات من نحاس شبه التُّرس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع خاص، ومع ذلك طبول وشَبَّابَة. (صبح الأعشى، القلقشندي، ٨/٤).

[٢] في جواهر السلوك ١٦٩: في أحداث سنة ٧١٩هـ.

[٣] في بدائع الزهور ٤٥٢/١/١: "أصلام".

[٤] في جواهر السلوك ١٦٩: في أحداث سنة ٧٢٠هـ؛ قناطر السباع: أوّل من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداريّ، ونصب عليها سباعا من الحجارة، فإن رنكه كان على شكل سبع. (الخطط المقريزية ٢٦٠/٣).

[٥] جواهر السلوك ١٦٩-١٧٠: الخبر في أحداث سنة ٧٢٠هـ.

قيلَ: أنهُ عمدَ إلى خشبةٍ وَعَملَ فيها حَبلًا وَجَعلهُ في عُنقهِ، وَخنقَ بهِ نفسهُ حتى مَاتَ وَهوَ في السجنِ، فلمَا مَاتَ أَحضرَ السلطان وَلده عبد الله وَعَاقبهُ وَقرَّرَهُ على الأموَال وَالذخَائر، فأظهرَ مخبَاه في بيتهِ فيها مَايتى ألف دينَار، وَهذَا خَارجًا عمَّا أَخذَهُ السلطان منهُ أولًا منَ الأَموَالِ وَالتُحف وَغير ذلك مَا لا يُحصى، كما قيل في المعنى:

احْـذَرْ مُدَاخِلـةَ[1] المُلُـوكِ ولا تَكُـنْ ... مَـا عِشْـتَ بِالتَّقْرِيـبِ مِـنْهُم وَاثِقَـا
فَالْغَيْـثُ غَوثَـكَ[2] إنْ ظَمِئْـتَ وَرُبَّمَـا ... تَرْمِـي بِوَارِقَـهُ عَلَيْـكَ صَـوَاعِقَا[3]

وَممَا يُحكى[4] عن القَاضي كريم الدّين هذَا أنهُ شربَ يَومًا دَوَاءً، فجمعَ كلّ وَردٍ بالقَاهرةِ، فحُملَ إلى دَارهِ، فَفرَشَ منهُ في دَارهِ مَا قدرَ عليه، حتى عَلى كرَاسي بيت الخلاء، وَدَاسُوا الناسُ منهُ مَا دَاسُوا، وَأخذُوا منهُ مَا أخذُوا، ثم إن الغلمان أخذُوا مَا فضلَ منهُم، فَأباعُوهُ [٤٧/ب] بثلَاثةِ ألاف دِرهم[5].

وَكَانَ كريمًا سَخيًا، وَمنْ أَثاره: أنهُ عمَّرَ جَامعًا بالزرَيبة[6]، وَوَقفَ عليه وَقفًا، وَعمَّرَ بالقرافة خَانقَاه[7]، وَوَقفَ عليهَا وَقفًا، وَلهُ أثار كثيرة غير ذلك، وَفيه يقولُ الشيخ جَمال الدّين ابن نبَاته:

يَـا كريمـاً قَـدْ وَافِـقَ[8] الاسـم بالفعـ ... ـلِ وَأنسـى فـي الفضـلِ كـلّ قـدِيمِ
لَا تخـف نبـوَة الحـوَادث فـالله ... كـريمٌ يحـبُّ كـلّ كَـرِيمِ[9]

وَماتَ القَاضي كريم الّدين هَذَا وَلهُ منَ العُمر نحو ستين سنة.

---

[1] في شرح سنن ابن ماجه للهرري ٥/١٠: "مُباسطةَ".
[2] في شرح سنن ابن ماجه للهرري ٥/١٠: "غَيْثُكَ".
[3] بحر الكامل؛ البيتان لأبي الحسن طلحة. (انظر: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار صـ٦١).
[4] في بدائع الزهور ٤٥٤/١/١: أنه نقل عن "الصارمى إبراهيم بن دقماق في تاريخه".
[5] نقل ابن إياس الخبر في بدائع الزهور ٤٥٤/١/١: عن ابن دقماق في تاريخه.
[6] "بالجزيرة الوسطى" في بدائع الزهور ٤٥٤/١؛ والزريبة: هى زربية قوصون فكانت على النيل تجاه الميدان الظاهري، وبنى الناس الدور الكبيرة هناك وعظمت العمارة بأرض هذه الزريبة، مكانها اليوم الأرض التى عليها دار الآثار المصرية وملحقاتها بشارع مريت باشا بالقاهرة. (الخطط المقريزية ٢٣٥/٣؛ النجوم الزاهرة ١٨٤/٩ هامش ٢).
[7] خانقاه أو خانكاه وجمعها الخَوَانك، وهي كلمة فارسية، معناها: بيت أو دار الصوفية، ثم كثر استعمالها على الألسنة فقيل: "خانقاه" وهي المكان الذى ينقطع فيه المتصوف للعبادة، وتجمع بين تخطيط المسجد والمدرسة، مضاف إليها الغُرف التى يختلى بها، أو ينقطع بها المتصوف للعبادة، والتى عُرفت بالخلاوي. (الخطط المقريزية، ٢٨٠/٤).
[8] "طابق" في ديوان ابن نباتة المصري صـ٤٧٨.
[9] بحر الخفيف؛ البيتان لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور. انظر: ديوان ابن نباتة المصري صـ٤٧٨.

ثُم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمَائة، فيها: ابتدأ الملك النَاصر محمد بن قلاوُن بعمَارةِ الخَانقاه المبَاركة التي بسريَاقُوس[1]، قيلَ: أنَ الملك النَاصر محمد رَأى النبي ﷺ ، في المنام، وَأشارَ عليه بأنْ يبني في هَذَا المكان خَانقاة، فَبَنَى هذهِ الخَانقاة [2].

فلمَا كملتْ قرَّرَ فيها شخصٍ منْ أولياء الله تعَالى، يُقالُ لهُ الشيخ مُجد الدّين الأقصرَاي[3]، وَرَتبَ بهَا صوفةٍ، وَقرَّرَ بهَا حصُور [4].

فلمَا انتهتْ العمَارة نزلَ السلطان هُناك، وَعَملَ بهَا وَليمة عظيمة، وَحضرَ فيها القُضَاة الأَربعة، وَأعيَان النَاس منَ العُلماء وَغيرهم، ثم إن هذهِ البُقعة تزَايدتْ في العمَائرِ، وبنى بهَا الأمَاكن الفَاخرة، وَرغبُوا النَاسُ في سُكنَاهَا، وَصَارتْ مَدِينة عظيمة، فيها عدّةِ مسَاجد وَبنى بهَا الملك الأَشرف بُرسبَاي مدرسة عظيمة بخُطبَة.

ثُم دخلت سنة أَربع وَعشرين وسبعمائة، فيها: حضرَ إلى الأَبوابِ الشريفة الملك مُوسى مَلك التكرُور قَاصدًا الحجَازِ الشريف، وَصُحبتهُ هَدَايَا جليلة، وَتقادمِ عظيمة فحجَّ في تلك السنة، ثم رجعَ إلى بلَادهِ[5].

وَفيهَا: رَسمَ السلطان بحفر الخليج النَاصري، فبدأ بهِ منْ عند مَوردَة الجبس إلى القنطرَة الجديدة التي بالقُربِ من زُقاقِ الكحلِ، وَوَزَّعَ حَفرَهُ عَلى الأمرَاء [٤٨/أ] بالقصبةِ الحَاكميّة، وَذلك بمُقتضى أنَ إقطَاعَاتهم تَنتَفعُ بالرّي منْ هذَا الخليج[6]، فاحتفل بهِ الأمرَاء كُلّ الاحتفال، وَحفرُوهُ حتى نَبعَ الماء مِنْ أَرضهِ، وَانتجز العملَ منهُ في أَقلّ منْ شهرين.

ثُم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة، فيها: بَرزت المرَاسيم الشريفة ببناء قناطر عَلى الخليج النَاصري الذي حفرَه، فعمَّر قنطرة عند الميدَان الكبير

---

[1] من القرى القديمة في مصر، وهي الآن من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية، واقعة على الشاطئ الشرقي لترعة الإسماعيلية في شمال القاهرة. (النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٧٩/٩ هامش ١).

[2] في جواهر السلوك ١٧٠: الخبر في أحداث سنة ٧٢١هـ.

[3] في جواهر السلوك ١٧٠: الشيخ مجد الدين الأقصرائي.

[4] كذا في الأصل، وربما يقصد "حضور" بمعنى الحضرة.

[5] في بدائع الزهور ٤٥٧/١/١: الخبر في أحداث سنة ٧٢٥هـ.

[6] سبب أمر الأمراء بالحفر؛ لم يرد في بدائع الزهور.

بموردةِ الجبس، وَعمَّر قنطرة تُعرف الآن بقنطرَة قُديدَار، وَعمَّر قنطرَة بظاهر بَاب البحر، وَعمَّر قنطرَة عند بركة قرموط تُعرف الآن بقنطرَة العسراءِ، وَعمَّر قنطرَة عندَ بركة الرَطلي تُعرف الآن بقنطرةِ الحَاجب، وَعمَّر قنطرَة عندَ زُقاقِ الكُحل تُعرف الآن بالقنطرَة الجدّيدة(١).

وَفيهَا: رَاكَ السلطان البلاد الحلبيّة كما فعلَ بالبلادِ الشاميّة.

ثُم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمَائة، فيهَا: رَسمَ السلطان بإبطال الضرب بالمقَّارعِ منْ سَائر مملكتهِ، وَكُتبَ بذلك مرَاسيم شريفة، وَقُرئتْ عَلى المنَابرِ بمصر وَالشام(٢).

وَفي هذهِ السّنة: أُبيع القمح بخمسةِ درَاهم كلّ أَردب، وَالشعير بثلاثةِ درَاهم كلّ أَردب(٣).

وفي هذهِ السّنة: أَجرى السلطان عين مَاء بمكة، وعمَّ نفعهَا أهل مكة، وَهذهِ العين تعرف بعين بَازَان عندَ الصّفَا(٤).

ثُم دخلت سنة سبع وَعشرين، فيهَا: قبضَ السلطان على الأمير طشتمر حمص أَخضر، وَالأمير قُطلوبُغَا الفخري، ثُم أفرجَ عنهُما في يَومهُما، فاستمرَ طشتمر عَلى عَادتهِ بمصر، وَأرسلَ قُطلوبُغَا الفخري إلى الشام(٥).

ثُم دخلت سنة ثمان وَعشرين، فيهَا: أَمرَ السلطان بإحضَار القاضي مُحيي الدِّين ابن فضل الله العُمري كاتب سرّ الشام، فلَما حضرَ إلى الأَبوَابِ الشريفة [٤٨/ب]، وَأخَلعَ عَليه، واستقرَ بهِ كاتب سرّ الشريف بالدّيَارِ المصريّة، وممَا يُحكى عنهُ: أنهُ كانَ إذا دخلَ إلى عند السلطان وقت العلامة، وَخرجَ من عندِهِ، أحِضر فُوطة العلامة، وَجمعَ مَا فيها منَ الرملِ الذي يتنَاثر منَ العلائم بحضرَتِ السُلطان، فيجمع ذلك وَلا يَرمي منهُ شيئًا، وَيضعهُ في مَرمَلتِهِ التي

---

(١) في بدائع الزهور ٤٥٩/١/١: في أحداث سنة ٧٢٨هـ.
(٢) بدائع الزهور ٤٥٧/١/١: الخبر في أحداث سنة ٧٢٥هـ.
(٣) ورد في بدائع الزهور مختصرًا، حيث جاء أن حدث غلاء بالأسعار. (انظر: بدائع الزهور ٤٥٨/١/١).
(٤) بدائع الزهور ٤٥٧/١/١: الخبر في أحداث سنة ٧٢٥هـ.
(٥) بدائع الزهور ٤٥٧/١/١-٤٥٨: الخبر في أحداث سنة ٧٢٦هـ.

لنفسهُ، وَيقُولُ: "هذَا رَملٌ سعيدٌ لَا يُرمى منهُ شيء"، فكانَ إذا كتبَ أشياءً رَمَلهُ منْ ذلك الرمل[1].

ثُم دخلت سنة تسع وَعشرين، فيهَا: حضرَ إلى الأبوَابِ الشريفةِ الملك الموَيد عِمَاد الدِّين صَاحب حَماة، وَصُحبته هَدَايَا جليلة، وَتقَادم عَظيمة[2].

وَفيهَا: عمَّر السلطان القَصر الكبير الذي بالميدَان الذي عندَ بركة النَاصريّة، وَحفرَ البركة المُجاورَة للميدَان الكبير، وَأجرى إليهَا منَ الخليج النَاصري.

وَفيهَا: أَخرجَ السلطان وَلدهُ الأمير أحمد إلى نحو الكرك، وَرَسمَ لهُ بأنْ يُقيم بهَا.

ثُم دَخلت سنة ثلاثين وسبعمَائة، فيها: رَسمَ السلطان بهدم الإيوان الأشرفي، وَالدُور التي كانتْ حَولهُ، وَعمَّر هذَا الإيوان الموجُود الآن.

وَفيهَا: حضرَ إلى الأبواب الشريفةِ المقر السيفي تنكر نَائب الشام، وقدْ جَاء زَائرًا إلى السُلطان، وَصُحبتهُ تَقَادِم عظيمة، فأنزلهُ السلطان بالميدَان الكبير.

ثُم دَخلت سنة إحدى وَثلاثين، فيهَا: رَسمَ السلطان بأنْ يُعمل للكعبةِ بَابًا جَدِّيدًا، فَعُملَ لهَا بَاب منَ الخشبِ السّنط الأحمر، وَعُمل عليه الصَّفَائح الفِضّة، فكانَ زنتهَا ثلاثُون ألف دِرهم، وَلمَا قُلعَ البَاب العَتيق وَزَنُوا مَا كانَ عليه منَ الفضةِ، فكانَ زَنتهَا ستُون رَطلًا، فأنعمَ بهِ السلطان عَلى بني شَيبَة، خُدَام البيت الشرّيف، فَتقَاسمُوهُ، وّهذَا البَاب كانَ عملهُ الخليفة المُقتفي باللهِ في سنةِ اثنتين وَخمسين وَخمسمَائة.

ثُم دَخلت سنة اثنتين وَثلاثين، فيهَا: قَصدَ السلطان بأن يتوجّه إلى الحجَاز الشريف، وَهيَ [٤٩/أ] الحجَّة الثَالثة، فخرجَ منَ القَاهرة في سَابع عشر شوَال، وكانَ صُحبتهُ الملك الأَفضل محمد بن الملك المُؤَيد عِمَاد الدّين صَاحب حَماة، وَأَخذَ السلطان معهُ ذلك الباب الجدّيد الذي صنعهُ للكعبَةِ، فرَكّبهُ بحضرتهِ على البيت الشريف، وَكانَ صُحبتهُ منْ يُذكر منَ الأمراء، وَهُم: الأَمير أَيَدمُر الخطيري، وَالأمير جنكلي بن البابَا وَهوَ صَاحبُ الدّرب المنسُوب إليهِ، وَالأمير بيبرس الأحمدي، وَالأمير بهَادُر المُعزّي، وَالأَمير أيدغمش، وَالأمير بكتمر

---

[1] بدائع الزهور ٤٦١/١/١: في أحداث سنة ٧٣٠هـ.
[2] بدائع الزهور ٤٥٨/١/١: في أحداث سنة ٧٢٧هـ.

السَاقي، وَوَلده الأَمير أحمد، وَالأمير طُقز دمر، وَالأمير سنجر الجَاولي، وَالأمير قوصون، وَالأمير صوصون، وَالأمير طايربُغَا، وَالأمير[1] بشتَاك، وَالأمير أقبُغَا آص الجَاشنكير، وَالأَمير طَقتمر الخَازن، وَالأَميرقُماري، وَالأَمير تمر الموسوي، وَالأمير أيَدمُر أَمير جَارندَار، وَالأَمير مسعُود الحاجب، وَالأمير صَارُوجَا النقيب، وَغير ذلك منَ الأمرَاء المقدَّمين وَالعشراوَات، فكانَ عِدَّة منْ سَافر معَ السلطان في تلك السنة إلى الحجَاز الشريف، نحو سبعينَ أميرًا[2] مَا بينَ مُقدّم ألف وَطبلخَانَاة وَعشرَاوَات، فكانتْ مُدَّة غَيبَةِ السلطان في هذهِ السّفرة إلى الحجَاز ذِهَابًا وَإيَابًا أَربعة وَخمسُونَ يَومًا.

وَمنَ الحوَادث في هذهِ السنة: أنَ الأَمير الكبير بكتمر السَاقي لمَا حجَّ معَ السُلطان، هُوَ وَوَلدهُ الأمير أحمد، فلمَا قضُوا الفرض وَرجعُوا فمرضَ الأَمير بكتمر في أثناء الطريق، فلمَا وَصلَ إلى عيُون القصب[3]، فمَاتَ هُناك، وَدُفنَ بهَا وذلك في ثاني المُحرم من سنة ثلاث وَثلاثين وسبعمَائة، ثُم مرض وَلده الأَمير أَحمد أيضًا، وَمَاتَ بنخل وَدُفنَ بهَا، ثم نُقلَا منْ بعدِ ذلك إلى الخَانقاه التي بالقرَافة الصُغري.

وكانَ الأَمير بكتمر أَصلهُ من ممَاليك الملك المُظفر [٤٩/ب] بيبرس الجَاشنكير، فلمَا مَات الملك المُظفر أَخذهُ الملك النَاصر محمد مع جُملةِ مَوجُود الملك المُظفر بيبرس فجعلهُ سَاقيًا، ثُم عُظمتْ مكانة بكتمر عندَ الملك النَاصر، وَصَارَ أَميرًا كبيرًا، ثُم زوَّجهُ الملك النَاصر بأختهِ، وَكانَ ينزل إلى الأمير بكتمر في بيتهِ، وَينفرد عندَه وَينام في بعضِ الأحيَان بنفسهِ في نفرٍ قليل منَ خوَاصهِ، وكانَ إذَا قُدّم إلى السلطان شيء فيُقدم لبكتمر مثلهُ أوْ أَحسن منهُ، وَصَارَ صَاحب الحلّ والعقد في دَوَلةِ الملك النَاصر، وَعظمتْ مهَابتهُ وكثرَتْ أَموَالهُ، حتى قيلَ: كانَ في أسطبلهِ مَائة سَطل بيد مَائة سَايس، وَتحت يد كلّ سَايس طُوالة خيل من الخيُولِ الخاص، وَحوى منَ الأموَال وَمن الجوَاهر وَالتُحفِ مَا لا حَوَاهُ غيْرُه منَ الأمرَاء في عصره، فلمَا ثقلَ أَمرهُ على الملك النَاصر محمد فدَىَّ عليه من أَسقاهُ

---

[1] جاء بخط المؤلف بجوار هذه الكلمة هامش (وَالأَمير قطز أمير أخور)، وورد اسمه في بدائع الزهور ٤٦٣/١/١.

[2] في بدائع الزهور ٤٦٣/١/١: "اثنين وسبعين".

[3] منزلة في طريق الحج المصري ببلاد الحجاز، وهي اليوم في خليج إيلات عند العقبة، بينها وبين المُوَيْلح. (النجوم الزاهرة ١٠٥/٩ هامش ٢؛ رحلة الشتاء والصيف، صـ١٨).

سُمًا، هُوَ وَوَلده الأمير أَحمد بن أخت السُلطان، فَماتَا وَهُما رَاجعَان منَ الحجَاز، كما تقدم.

وقيلَ: لمَا مَاتَ بكتمر أَحتَاط الملك النَاصر عَلى مَوجُوده الذي كانَ معهُ في طريق الحجَاز، فقيلَ: وُجد معهُ خمسمَائة تشريف عَلى سَائر الأصنَاف، مَا بين خلع أطلس وَكوَامل وَغير ذلك حتى خلع للمتعممين، ومنْ دُونهمْ منَ الأمرَاء وَالأجناد وَغيرهم، وَقيَل: وُجدَ معهُ عدّة قيُود وزناجير في حَوش خَانَاة، فعندَ ذلك تحققَ السلطان صحة مَا كانَ نُقلَ عنهُ.

وكانَ الأَمير بكتمر يُحجر عَلى الملك النَاصر، ويمنعهُ منَ الظلمِ، وكانَ الملك النَاصر لا يُخالفهُ في شيء يَقولهُ، وكانَ الملك النَاصر مع بكتُمر مَسْلُوب الاختيار.

وكان الأمير بكتمر من أَحسنَ النَاس شكلًا، أبيضَ اللون، مُشرب بحمرة، أَسود اللّحيّة، مُعتدل الاَمة، حَسنَ العبَارة، وَافر العقل، لهُ وَقارٌ، وهيئة تامة، قليل الأذى في [٥٠/أ] حَقِ الرعيّة، وكانَ لهُ برٌ وَمعروفٌ، فمنْ جُملة ذلك أنهُ أنشأ بالقرَافةِ الصُغري خَانقَاة، وَجعلَ فيها حمَّامًا وَفُرنًا وَطَاحُونَا، وَقرَّر فيها صوفة وَحضور، وَجعلَ لهَا أوْقَافًا كثيرة وَأوْقف بهَا رَبعة مَكتُوبة كُلهَا بالذّهب لمْ يُعمل مثلهَا، وَهيَ موجُودة إلى الآن، وَلهُ آثار كثيرة بمصر وَالشام.

وَلمَا مَاتَ الأَمير بكتمر رَقى منْ بعدهِ الأمير قُوصون، وَعُظم أَمرهُ، قيلَ: إنَ السلطان أنعمَ بزردخَانةِ الأمير بكتمر عَلى الأمير قُوصُون، قيلَ: أنهَا قُوّمتْ بستمَائة ألف دِينَار، وقيلَ زوَّجهُ الملك النَاصر بإحدى بنَاتهِ وَرَقّاهُ في أيَامهِ.

وَقيلَ: وَقعَ بينَ الأَمير بكتمر السَّاقي قبلَ أنْ يَموت وَبينَ الأَمير قُوصُون تشَاجر، فقالَ قُوصُون لبكتمر: "أنَا مَا نُقلت منَ الأطبَاقِ إلى الأَسطبلَات، بلْ أَخذني السلطان من شخصٍ تَاجر كنتُ في خدمتهِ، فلمَا أَخذني السلطان اتفقَ في ذلك اليَوم أن شخصًا منَ المماليك السُلطانية توفى في ذلك اليَوم، فأنعمَ عليّ السلطان بإقطاعهِ وَبيتهِ وَبركة وَقماشه، وَصرتُ خَاصكيًا في ذلك اليوم".

وسبب ذلك أنَ التاجر الذي كنتُ عندَه قالَ لهُ السُلطان: "بيعنى هذَا المملوك"، فقَالَ التَاجرُ: "هذَا مَا هُوَ مملوكٌ بلْ هُوَ حرٌ[1]"، فقَالَ السُلطان:

---

[1] في الأصل "جر"؛ والتصويب من بدائع الزهور ٤٦٥/١/١ وجواهر السلوك ١٧٢.

"لابد من أخذهِ"، فأخذني من ذلك التَاجر، وَأرضاهُ عن ثمني بأشياءٍ كثيرة، ثم إن السلطان أنعمَ عَليّ بمَا تقدّم ذكرهُ فلمْ أُباع مثل المماليك، وَكنتُ مِنْ مُبتدأ أَمري في عزٍّ وَرِفعة بخلَاف مَا يقع للمماليك، انتهى ذلك.

ثُم دخلت سنةِ أربع وثلاثين وسبعمَائة، فيها: حضِر إلى الأَبوَاب الشريفة الأَمير مُهنا بن عيسى أَمير آل فضل، فَلمَا حَضر أَخلعَ عليه السلطان وَأقرَّهُ عَلى حَالهِ[1].

وَفيهَا: حضـرَ المقـر السيفي تنكـز نَائـب الشَـام إلـى عنـدِ السـلطان زَائـرًا وصُحبته [٥٠/ب] الهَدَايَا وَالتقَادِم، فأكرمـهُ السُلطان، وَأنزلـهُ بالميدَان الكبيـر الذي بالنَاصرية، وكانَ ذلك أَخر اجتمَاعهِ بالسُلطان الملك النَاصر محمد.

ثُم دخلت سنةِ خمس وثلاثين وسبعمَائة، فيها: أَفرجَ السلطان عن مَنْ يُذكر منَ الأمراء المُعتقلين، وَهُمْ: الأَمير بيبرس الحَاجب، وَتمر السَاقي، وَالأمير غَانم بن أَطلس خَان، وَالأَمير طُغلقٍ، وَبلَاط اليُونسي، والشيخ علي الأَوجَاقي، وَبُلرُغي، وَبتخاصَ، وَلَاجين العُمري، وبيبرس العلمي، وَكجُلي.

وَفيهَا: رَسمَ السلطان بعمَارةِ قنطرةٍ عَلى بحر أبي المُنّجا عندَ شيبين القصر[2].

وَفيهَا: جاءت الأخبَار بأن الأَرمن ملكُوا سيّس، فأَرسل السلطان إلى نَائبِ حلب بأخذِ العسكر، وَأن يكبس على منْ في سيّس، فخرجَ إليهَا في سَابع عشرين شهر رمضان، فحَاصرُوا منْ في سيسِ، وَدَخلُوا إليهَا وَنَهبُوا مَا فيهَا، وَأَحرقُوا ضيَاعِهَا، وَأَسرُوا مِنَ الأَرمْن الذي كانُوا بهَا نحو ثلثمَائة إنسَان.

فلمَا بلغَ الأرمْن الذي[3] كانُوا بقلعةِ إيَاس، مَا جرى على منْ كانَ في سيّس، فَثَارُوا على منْ كانَ في المدينة منَ المسلمين، وَحشرُوهُمْ في فندقٍ وَأَحرقُوهُم عن أَخرهم، وكانُوا نحو ألفين إنسَان منَ المُسلمين، وَذلك في يَوم عيّد النحر منَ السنةِ المذكُورة.

ثُم دَخلت سنة ست وَثلاثين، فيهَا: وقعَ الغلاء بالدِّيَارِ المصريّة، فأبتَاع القمح كلّ أردب بسبعين دِرهمًا، وَعُدمَ الخبز من الأَسوَاق، فرسمَ السلطان للأمرَاء بفتح

---

(1) بدائع الزهور ٤٦٧/١/١: الخبر في أحداث سنة ٧٣٣هـ.
(2) هي بلدة قديمة واليوم هي شبين القناطر. (انظر: القاموس الجغرافي، محمد رمزي، ٣٥/٢/١-٣٦).
(3) كذا في الأصل، الصواب "الذين".

شونهمْ وَبيعهمْ القمح بثلاثين دِرهمًا الأَردب، فأَمتثلُوا ذلك، ثُم بَعثَ الله تعالى بالرّخاءِ وَانحَّطتْ الأسعَار في أوائلِ شهر رمضَان.

وَفيهَا: رَسمَ السلطان لتنكز نَائب الشام بعمَارة قلعة جَعبرَ[1]، فعمَّرَهَا في أَسرع مُدّة، وَرَتب فيها الرجَال، وَجَعلَ لهَا نَائبًا، ثُم رجع تنكز إلى دِمشق.

وَفيهَا: توجَّه الأمير [٥١/أ] أَزدُمر الشمسي نَائبِ بَهسنَا إلى قَلعةِ دَرَندة [2]، وَحَاصرهَا، فطَلب منهُ أَهلهَا الأمَان، فتسلمهَا، وَأقَامَ بهَا نَائبًا، ثم تَوجّه إلى قلعة النُقيْر[3]، وَحَاصرهَا، فطلب أَهلهَا الأمَان، فَتسلمهَا، وَأَقَامَ بهَا نَائبًا.

وَفيهَا: رَسمَ السلطان بنقل الخليفة الامَام المُستكفي باللهِ أَبو الربيع سليمان مِنْ منَاظر الكبش إلى قلعةِ الجبل، فأنزلهُ بالبُرج الكبير، وَمنعهُ منَ الاجتماعِ بالنَاسِ، فَأَقَامِ عَلى ذلك مُدَّة، ثُمَ رَسمَ لهُ بالنزُولِ إلى منَاظر الكبش عَلى عَادتهِ بعدَ أنْ أقَامَ في البُرج خمسة أشهر وَسبعة أيَام.

ثُم دَخلت سنة سبع وَثلاثين، فيهَا: أَرسلَ تجرِّيدة إلى نحو البلَادِ الحلبيّة، بسببِ فسَاد الأَرمنْ في البلَاد[4].

وفيهَا: حضَرتْ إلى الأبوَاب الشريفة الحُرّة زوجة ملك الغرب طالبَة للحجَاز الشريف، وَأَحضَرتْ صُحبتهَا التقَادِم وَالهَدَايَا النفيسة[5].

ثُم دَخلت سنة ثمان وَثلاثين، فيهَا: رَسمَ السلطان الملك النَاصر بتوجّه الخليفة أَبُو الربيع سُليمَان منَ القَاهرةِ إلى مدِينةِ قُوص منْ بلَادِ الصّعيدِ [6]، فخرجَ هُوَ وَعيَالهُ وَأَوْلَادَهُ، فشقَ ذلك على النَاسِ وَتَأَسفُوا لهذَا الأمر، وَفي ذلك يقُولُ الشيخ زَين الدّين ابن الوَرَدي:

---

[1] قلعة جعبر على الفرات بين بالس والرّقّة قرب صفّين. (معجم البلدان ١٤١/٢-١٤٢).

[2] وهي مدينة في جهة الغرب عن ملطيّة، ذات بساتين وأنهار وعيون ماء تجري. (صبح الأعشى ١٣٢/٤).

[3] موضع بين هجر والبصرة. (معجم البلدان ٣٠١/٥).

[4] لم يرد الخبر في بدائع الزهور وجواهر السلوك.

[5] لم يرد الخبر في بدائع الزهور وجواهر السلوك.

[6] وهي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، قاعدة مركز قوص (القاموس الجغرافي، محمد رمزي، ٤/٢/ ١٨٧-١٨٩).

أخرجُوكم إلَى الصَّعِيدِ لأمرٍ[(١)] غيرَ مُجزٍ[(٢)] فِي مِلّتي وَأعتقَادِي
لَا يغيّركمُ الصَّعِيدِ وَكُونُوا فِيهِ مثل السيُوفِ فِي الأغمَادِ[(٣)]

وَكانَ سبب تَغيّر خَاطر السلطان الملك النَاصر محمد عَلى الخليفةِ أَبي الرَّبيع سُليمَان، قيل: رُفعتْ للملك النَاصر قصّة، وَعليهَا خَطِ الخليفة سُليمَان: "بأنْ يَحضرَ النَاصر محمد بن قلاوُن إلى مجلسِ الشرع الشريف بالمدرسة الصَالحيّة أوْ يوكلّ"، فشقَ ذلك على الملك النَاصر محمد، وَبقي في خَاطرة منَ الخليفةِ سُليمَان، حتى نفَاهُ إلى قُوص.

فلمَا نفَاهُ أَعهدَ بالخلافةِ إلى وَلدِهِ أَحمد، فلمْ يمش السلطان ذلك العهد الذي عهده سُليمَان إلى ولده أحمد، وَأقَامت مصر بلا خليفة أربعة أشهر، وَالسُلطان [٥١/ب] مُصمّم عَلى عدم وَلَاية أَحمد بن المُستكفي باللهِ سُليمَان.

ثُمَ إنْ السلطان وَليَّ إبرَاهيم أَخُو المُستكفي باللهِ سُليمَان، وَكانَ قبيحَ السيّرة، قالَ قَاضي القُضَاة شهَاب الدّين ابن حجر في تَاريخهِ [(٤)]، لمَا تَولى إبرَاهيم المذكُور الخلَافة، لقبُوهُ بالوَاثق باللهِ، فكانت العوَام تُسميه المُستَعطي باللهِ لِقذَارةِ نفسهِ، وَسوء تدَبيرهِ[(٥)].

ثُمَ دخلت سنة تسع وَثلاثين وَسبعمَائة، فيها: ظَهرتْ بالقَاهرةِ امرأة تُسمى الخنّاقَة، فكانتْ تحتَال على النسَاءِ وَالأطفال، وَتخنقهُمْ، وتأخذ ثيابهمْ، فشاعَ أمرهَا بينَ النَاس، فلَا زالُوا يَحتَالُوا عليهَا حتى أنهُم مَسكُوهَا، وَشنقُوهَا عَلى بَابِ زُوَيلة، وكانَ لهَا يَومًا مشهُودًا.

وَفيهَا: قبضَ السلطان عَلى نَاظر الخوَاص الشريفة المُسمى بالنشو، وَسلمهُ إلى الأَمير بشتاك النَاصري، فعَاقبهُ حتى مَاتَ تحتَ الضّرب، وَاستصفى أَموَالهُ، ثُم وَلُوا صِهرُهُ، وفي ذلك يقول المعمَار[(٦)]:

---

(١) في تاريخ الوردي ٣٠٧/٢: "العذر".

(٢) في تاريخ الوردي ٣٠٧/٢: "مجد".

(٣) بحر الخفيف؛ الخبر في: تاريخ الوردي٣٠٧/٢: " وَقلت فِي ذَلِك مضمنًا من القصيدة الْمَشْهُورَة لأبي الْعَلَاء بَيْتا وَبَعض بَيت".

(٤) ذكره ابن حجر في كتابه (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٦٢/١).

(٥) الخبر في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٦٢/١. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٣١٧/٢٤- ٣١٩. تاريخ الخلفاء صـ٣٤٣.

(٦) إِبْرَاهِيم بن عَليّ المعمار الْمَشْهُور بغُلَام النوري الشَّاعِر الْمَعْرُوف، مات بالطاعون سنة ٧٤٩هـ. (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٥٤/١).

قــدْ أَخلــفَ النِشْــو صِــهرَ سُــوءٍ قبــيح فِعـــلٍ كمَـــا تـــروهُ
أَرَادَ لِلشـــــرِّ فـــتح بـــابٍ فـــــأغلقوهُ وســـــمَّرُوهُ[1]

ثُمَ دَخلت سنة أَربعين وسبعمَائة، فيها: توفي الخليفة أبُو الرّبيع سُليمَان، وَهوَ بقُوص، وكانتْ وفَاتهُ في شهر شعبَان منَ السنةِ المذكورة[2].

وَفيهَا: تُوفي سيِّدى أنُوك وَلدَ السلطان الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، وَكانَ أَعزَّ أولادهُ عندَهُ، وَكانَ مليح الشكل، حَسن الهيئة، بديع الجمَال، وَمَاتَ منَ العُمرِ نحو عشرين سنة، فتَأَسَّفَ عليه السلطان أَسفًا شدّيدًا، وَأظهر عليه الحُزن، وَممَا رَثاهُ بهِ الشيخ صلَاح الدّين الصفدي، وَهوَ قولهُ:

مَضــيتَ وَكُنــتَ لِلــدُنيَا جَمــالًا وَجَرَّعْــتَ "النجُــوم الزُهــر"[3]فَقْــدَكْ
وَمــنْ عَجَــب اللّيــالى فيــكَ أنْ لَا يَمُــوتَ أبُــوكَ يَــا آنُــوكَ بَعْــدَكْ[4]

وَفيَها: أَرسلَ السلطان الأَمير بشتاك النَاصري، وَالأَمير يلبغَا اليحيَاوي، [٥٢/أ] وَصُحبتهُم عشرين مملُوكًا منَ الخَاصكيّة، وَأَمرهُم بالقبضِ عَلى تنكز نَائب الشَام.

وَكانَ أَصل تنكز منْ ممَاليك الملك المنصُور لَاجين، وَلهذَا كانَ يُدعى تنكز الحُسَامي، فلمَا قُتلَ المنصُور لَاجين وتولى الملك النَاصر محمد أخذَ تنكز من جُملة مَوجُود الملك المنصُور لَاجين، وَصَارَ من ممَاليك النَاصر محمد، ثُم جعلهُ خَاصكيًا، ثُم بقي أمير عشرة، ثُم بقي أَمير طبلخَانَاة، ثُم بقي مُقدم ألف، ثُم بقي نَائب الشَام.

وَكانَ تنكز دينًا خيرًا، كثير البرّ وَالمعرُوف، وَلهُ آثارٌ كثيرة بمصر وَالشَام، وَأقَامَ في نيَابةِ دِمشق ثمانية وَعشرين سنة، وَعظمَ أَمرهُ وَهَابتهُ الملوك وَالأمرَاء وَالنُواب، وَكانَ لهُ عندَ السلطان الملك النَاصر مَنزلة عظيمة، حتى كانَ يُكاتبهُ "أَعزَ الله أَنصَار المقر الكريم"، وَزادَهُ في الأَلقابِ الأتابكي الزاهدي العَايدي، مُعز الإسلام وَالمُسلمين، سيّد الأمرَاء في العَالمين[5]، وَهذَا لمْ يقع لِنَائب قَبلهُ منَ النُواب، وكانَ السلطان لا يَفعَلَ شيئًا منَ الأمُورِ حتى يُرسل يُشاور تنكز فيهَا.

---

[1] بحر مخلع البسيط.
[2] لم يرد هذا الخبر في بدائع الزهور وجواهر السلوك.
[3] في أعيان العصر وأعوان النصر ٦٣٣/١: "الكواكبَ فيك".
[4] بحر الوافر؛ البيتان في: أعيان العصر وأعوان النصر ٦٣٣/١
[5] هذه الألقاب لم يرد ذكرها في بدائع الزهور.

وكانَ تنكز عفيف الذيل وَاليدّ، غيرَ أنهُ كانَ صَعبَ الخُلق، شدّيد الغضب، مَا غضبَ عَلى أحدٍ ثُم رضى عنهُ أبدًا.

فلمَا ثُقل أَمرهُ عَلى الملك النَاصر، أَوْقَعتْ العِدي بينَ السلطانِ وَبينـهُ، فأَرسلَ إليهِ الأَمير بشتاك النَاصري، وَالأَمير يلبغَا اليحيَاوي، فلمَا وَصلُوا إليـهِ قـالُوا لـهُ: "السُلطان رَسم بأنْ تحضر إلى القَاهرة ليزوَّج ابنك ببنتِ السُلطان"، فقالَ تنكز للأَمـرَاء الـذين حضـرُوا مـنَ القـاهرةِ: "أَمضُـوا أنـتُم وَأنَـا أَحضـر بولـدي إلـى الأَبـوَابِ الشـريفة بَعـدَكُم بسُـرعة"، فلمَـا حضـرُوا عنـدَ السلطان أغلظـوُا فـي العبَارة، وَأُثخنوا جرَاحَاتِ تنكز عندَ الملك النَاصر.

فعندَ ذلك أَرسل إليهِ السلطان الأَمير طَاجَار الدّوَادَار، وقـالَ لـهُ: "قُم أَحضـر عندَ السلطان وَالخيرة لك"، وَلُو أنَ تنكز حضـرَ إلـى السلطان صُحبة [٥٢/ب] الأَمير بشتَاك، وَالأَمير يَلبُغَا اليحيَاوي، كانَ حَصلَ لـهُ كلّ خير وَافر، وَمَا كـانَ السلطان يَسمع فيه كلاَم الأَعدَاء، ثم إن تنكز قالَ لِطاجَار: "أَمض أنتَ، وَأنَا بعدَ ثمانية أيَام خلفك".

فلمَا حضرَ طاجَار عند السُلطان، وَرَدَّ الجوَاب بغيرَ طائل، فتغيَّر السلطان على تنكز تغيّرًا عظيمًا، وَعيَّن لهُ تجرّيدة ثقيلة، وَرَسم للنُـوابِ بـأن يمشُـوا عليه منْ هُناك، فمشى عليـهِ الأَميـر طشتمر حُمص أحضـر نَـائب صـفد[١]، وَالعسكر المصـري، فعنـدَ ذلـك قبضُـوا علـى تنكـز نَـائب الشَـام، وَأرسـلُوهُ صُـحبة الأَميـر بيبرس السلحدَار، وكانَ ذلك في ثالث عشر ذي الحجّة.

ثم أحاطُوا عَلى مَوجُوده، فالذي ضُبط من ذلك منَ الذهبِ العين ثلثمائـة ألـف دينَار، وستين ألـف دِينَـار، ومـنَ الفضـة النُقرَة ألف ألف دَرهم وَخمسمَائة ألف دِرهم؛ وَوُجد لهُ منَ البلخش وَاليَاقُوت وَاللؤلؤ الحبّ الكبار مَا لا يُحصى؛ وَوُجدَ عندَهُ من الاطُـرز الـزركش وَالحـوَايص الـذهب وَالخلـع الأطلس مَـا لا يُحصـى لكثرتهِ[٢]، وَوُجدَ عندَهُ من أَصنَافِ الأَقمشة والبَرك فكانَ عِدّة مَا حُمل عليه ذلك البرك ثمانمَائة حمل جمل [٣]، وَوُجدَ لهُ ودَائعٌ عندَ النَاس أَربعُون ألـف دِينَـار[٤]، وَألف ألف وَمائة ألف درهم نقرة، وَوُجدَ لهُ منَ الأَملاكِ وَالضيَاعِ بمصر وَالشَام

---

(١) خروج نائب صفد، لم يرد في بدائع الزهور.

(٢) في بدائع الزهور ٤٧٨/١/١: "مائة وخمسين بقجة".

(٣) في بدائع الزهور ٤٧٨/١/١: "مائة وخمسين جملا".

(٤) في بدائع الزهور ٤٧٨/١/١: "مائتين وخمسين ألف دينار".

مَا لا يُحصى عددهم فقوّمُوا بمَا ينيف عن مَائةِ ألف دينَار[1]، وذلك خارِجًا عن الأوقَافِ الذي[2] بمصر والشَام.

فلمَا وَصل تنكز إلى القَاهرةِ رَسمَ السلطان بتقييّدِهِ، وَأَرسلهُ إلى السجن بثغر الإسكندريّة، فأُعتقلَ بهَا نحو أربعين يَومًا، ثم إن السلطان أَرسل إليهِ مُقدّم الدَّولة الحَاج إبرَاهيم بن صَابر، فخنقهُ وَهوَ في السجن؛ ثُم غسَّلهُ وكفنوهُ وَصُلِيَّ عليه، وَدُفنَ بثغر الإسكندرية، ثم نقلَ مِنْ بعد ذلك إلى دَمشق في سنةِ أربع وَأربعين وسبعمَائة[3]، وَدُفنَ في تُربتهِ التي عمّرهَا بالقُرب من جَامعهِ الذي أنشأهُ بدمشق، وفي ذلك يقولُ الصلاح الصفدي: [٥٣/أ]

فيَا لَهَا من آيَة ظَاهرة ... إلَى دمشق نقلوا تنكزًا
وَنَفسه[4] فِي جنّة الآخِرَة[5] ... فِي جنّة الدُّنْيَا لَهُ جثة

وقُولهُ فيهِ أيضًا:

أَرَادهُ الله رَبُّهْ ... فِي نَقلِ تنكز سرٌّ
يَحُبُّهَا وَتحبُّهْ[6] ... أَتَى بِهِ نحو أَرض

وكانَ تنكز أخضرَ[7] اللون، خفيف اللّحيّة، طويل القامة، مليح الشكل، حَسِنَ الوَجه، وَافر العقل، حَسنَ السيَاسة، أقَام في نيَابةِ دمشق ثمانية وَعشرين سنة وَلايةٍ وَاحدة، وّهذَا لم يُعهد لنَائبٍ قبلهُ، وكانَ السلطان مَعهُ مَسلُوب الاختيَار فيمَا يَختَارهُ، ثم إن السلطان أَقلبَ عليه بعد ذلك، جرى منهُ مَا تقدمَ ذكره، فكانَ كما يُقال في الأمثال: " ثلاثةٌ لا يُأَمنُ إليهم، المال وَإنْ كثر، والملوك وإنْ قربُوا، والمرأة وإنْ طالت صحبتها"[8].

---

[1] في بدائع الزهور ٤٧٨/١/١: "ما قوّم بمائتي ألف دينار".
[2] كذا في الأصل والصواب "التي".
[3] في بدائع الزهور ٤٧٩/١/١: أنه تم نقله في أواخر سنة ٧٤١هـ؛ وذكر كلا من الصفدي وابن تغري بردي: أنه نقل في سنة ٧٤٤هـ. (انظر: أعيان العصر ١٣٧/١، والوافي بالوفيات ٢٦٦/١٠، ١٦٦/٤).
[4] في بدائع الزهور ٤٧٩/١/١: "وروحه".
[5] بحر السريع؛ البيتان في: أعيان العصر ١٣٧/٢. الوافي بالوفيات ٢٦٦/١٠. المنهل الصافي ١٦٦/٤.
[6] بحر المجتث.
[7] في بدائع الزهور ٤٨٠/١/١: "أسمر".
[8] في: اللطائف والظرائف صـ٣٠. زهرة الآداب ٧٣٠/٣. بهجة المجالس ٣٥٤/١. الآداب الشرعية ٤٨٥/٣: "السلطان والبحر والزمان".

ثُم دخلتْ سنة إحدى وَأَربعين وَسبعمَائة، فيها: تزَايدتْ عظمة السلطان الملك النَاصر محمد، وَكثرتْ مماليكه، حتى صَارَ رَاتبهُ وَرَاتب ممَاليكهُ في كلّ يَومٍ منَ اللّحم ستّة وثلاثين ألف رَطل، وَبَالغ في مُشترى الممَاليك.

وَهوَ أَولُ من اتخذَ الشَاش وَالقُماش للعسكر، وَالأقبيّة المفتوحة، وَالطُرز الذهب، والحوَايص الذهب، والأقبية القَاقُم.

وَهوَ أولُ من رَتَّب المواكب في القصر عَلى هَذَا التَرتيب الحسن، وَرتّب وَقُوف الأمرَاء في المواكب عَلى قدرِ منَازلهمْ، وكذلك أرباب الوَظَائف منَ المُتعممين.

وَقدْ طالتْ أيَامه في السلطنةِ بخلَاف من تقدمهُ منَ الملُوك، وصَفَا لهُ الوقت، وَصَارَ أكثرَ الأمرَاء وَالنُواب ممَاليكه وَممَاليك وَالدهُ قلَاوُن؛ ولا يُعلم لأحدٍ منَ الملُوك آثارٌ [٥٣/ب] مثلهُ، وَمثل ممَاليكه، حتى قيلَ: قدْ تزَايدتْ في أيَامهِ الدِّيَارِ المصريّة وَالبلَادِ الشاميّة منَ العمَائر مقدَار نصفهَا من جوَامعٍ وَقنَاطرٍ وَجسُور وغير ذلك.

قالَ الشيخ سيف الدِّين أبُو بكر بن أَسد في تَاريخهِ: وَقفتُ عَلى توَاريخ الملُوك المتقدِّمة فمَا رَأيتُ لأَحدٍ مِنَ الملُوك مَا وَقعَ لِلملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، فأنهُ خُطبَ لهُ في أمَاكنٍ لم يُخطب فيها لأحدٍ من الملُوك قبلهُ، وَكاتبُوهُ سَائر مُلوك الأرض من مسلمٍ وَكافر، وَهَابُوهُ وهَادُوهُ وَخشُوا منْ سطوتهِ، وَهذَا لم يتفق لغيره مِن الملُوك، وَكانَ مَسعُودًا في حركاتهِ مُحببًا لِلنَاسِ؛ وَفيهِ يَقُولُ الصفي الحلّي من أبيَاتِ مدحهُ بهَا:

النّاصِر السُلطان مَنْ[1] خضعت لَهُ ... كلّ[2] الْمُلُوك مشارقًا ومغَاربَا
ملكٌ يَرى تَعبَ المكارِمِ رَاحَة ... وَيَعُدّ رَاحَاتِ الْفَرَاغِ مَتاعِبَا
تُرجَى مكارمهُ وَيُخشى[3] بطَشهُ ... مثلَ الزمَانِ مُسَالمًا وَمُحارِبَا
فَإذا سَطَا مَلأ الْقُلُوب مهَابَة ... وَإذا سخَا مَلأ الْعُيُون مَواهبَا[4]

وَلمْ يَزل مُنتصبًا عَلى تحتِ مملكتهِ حتى مَرضَ، وَمَاتَ على فراشهِ في ليلةِ الخميس في العشرين من ذي الحجّة سنةِ إحدى وَأَربعين وَسبعمَائة، وَمَاتَ وَلهُ

---

(١) في ديوان صفي الدين الحلّي صـ٩٦: "الْملك الَّذِي".
(٢) في ديوان صفي الدين الحلّي صـ٩٦: "صِيدُ".
(٣) في ديوان صفي الدين الحلّي صـ٩٦: "مواهبه ويرهب".
(٤) بحر الكامل.

من العُمر نحو ثمانية وَخمسين سنة، وَدُفنَ في يَوم الخميس المذكُور عَلى وَالدِهِ قلَاوُن في القُبةِ التي أنشأهَا وَالده بينَ القصرين، وكثر عليه الحُزن وَالأسف، كمَا قيل في المعنى:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي ... مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
وَمُكَلِّفُ الأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا ... مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا[1] ... صَفْوًا مِنَ الأَقْذَارِ وَالأَكْدَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا ... تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ [٥٤/أ]
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ ... وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِ[2]

فكانت جُملة سلطنة الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن بالدِّيَارِ المصريّة وَالبلَادِ الشَاميّة ثلاثة وَأربَعُون سنة وَثمانيةِ أَشهر وَأيَام، وذلك دُون الخُلع بينهمْ، كما تقدم، فكانَ مَا بينهمْ نحو أَربع سنين وَأشهر، وَقدْ تَولى المملكة ثلاث مرَات، كما تقدم، وَحجَّ ثلاث حجَات وَزَار القُدس وَالخليل عليه السلام، ثلاث مرَات.

وَلمَا مَاتَ خلف منَ الأولاد أحد عشر وَلدًا، وَهُم: سيَّدي أبُو بكر، وَسيّدي أَحمد، وَسيّدي كجك، وَسيَّدي شعبَان، وسيّدي إسمَاعيل، وَسيّدي حَاجي، وَسيّدي حَسنَ، وَسيّدي صَالح، فهذهِ الثمانية تَوَلُّوا منْ بَعدِهِ السلطنة، كما سيأتي ذكرهُم في موَاضِعهِ.

وَأمَا الذي لمْ يَلُوا السلطنة: فسيّدي رَمضَان، وَسيّدي حُسين، وَسيّدي يُوسف؛ وَأمَا الذين تَوفُوا في أيَام حيَاتهِ فسيّدي إبرَاهيم، وَسيّدي محمد، وسيّدي آنوك، وَسيّدي عَلي، فهذَا مَجمُوع مَا جاءهُ منَ الأَولادِ الذكُور، وَأمَا مَا جَاؤهُ مِنَ البنَات فشيءٌ كثير.

وَأمَا فتُوحَاته الذي فتحهَا في أيَامهِ: مَلطيّة، وَآمد، وَدَارندة، وَإيَاس، وَبَهنسا، وَمرعش، وَتل حَمدُون، وَقلعة النُقيّر، وَقلعة نجيمة[3]، وَالهَارُونيّة[4]، وَكاورَا[5]، وَاسفندكار[6]، وَغير ذلك.

---

(1) في الأصل "تديرها"، والتصويب من بدائع الزهور ٤٨٢/١/١ وجواهر السلوك ١٧٧.
(2) بحر الكامل؛ الأبيات لأبي الحَسَن التِّهَامي. انظر ترجمته وكذلك الأبيات في: الوافي بالوفيات ٧٤/٢٢ - ٨٢.
(3) وردت في صبح الأعشى قلعة نجمة. وهي قلعة على القرب من الفرات بينها وبين جسر منبج خمسة وعشرون ميلا. (صبح الأعشى ١٣٧/٤).
(4) مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللّكّام. (معجم البلدان ٣٨٨/٥).
(5) وهي قلعة في الشمال عن آياس على جبل مطلّ على البحر الروميّ. (صبح الأعشى ١٣٥/٤).
(6) وهي قلعة من بلاد الأرمن واقعة في الإقليم الرابع. (المصدر السابق، ١٣٤/٤).

وَأمَا نُوابهُ بالدِّيَارِ المصريّة: كُتبغَا، وَسلَار، وَبكتمر الجُوكندَار، وَبيبرس الدّوَادَار المنصُوري، وَأَرغُون النَاصري مملُوكه.

وَأَمَا وَزرَائه: سنجر الشُجاعي، وتَاج الدّين ابن حنَا، وَفخر الدّين الخليلي تَولى مرّتين، وَسُنقر الأعسر، وَأيبك البغدَادي، وَمحمد بن الشنحي[1]، وَأيبك الأشقر وَهوَ أولُ منْ تَسمى مُدبر المملكة؛ وَابن عطا، وَابن النشاي، وَبدر الدّين محمد بن التُركماني، وَأَمين الدّين ابن الغنّام تولى ثلاث مرَات؛ وَبكتمر الحَاجب، وَمُغلطاي الجمَالي.

وَأمَا قضَاته الشافعيّة: الشيخ تقي الدّين ابن دَقيق العيّد، وَالشيخ [٥٤/ب] بَدر[2] الدِّين ابن جَماعة، وَجمال الدِّين الزُرَعي، وَجلَال الدّين القزويني، وَعز الدّين ابن جَماعة.

وَأمَا كتاب سرِّهِ: القاضي شرف الدّين ابن فضل الله، وَالقاضي علائي الدّين ابن الأثير، وَالقَاضي مُحيي الدّين ابن فضل الله، وَولدهُ القَاضي شهاب الدّين وَهوَ صَاحبُ كتاب الإنشاء وَلهُ شعرٌ جيّد، وَالقَاضي شهاب الدّين مَحمُود، وَالقَاضي عَلائي الدّين ابن فضل الله.

وَأمَا نُظار جَيشه: القَاضي بهَاء الدّين ابن الحلّي، وَالفخر وَأظنّه صَاحب القنطرة، تَولى مرّتين؛ وَالقَاضي قُطب الدّين ابن شيخ السّلَاميّة، وَالقَاضي شمس الدّين ابن التَاج، وَالقَاضي مكين الدّين ابن قروينة، وَجَمال الكُفَاة.

وَأمَا نُظار خوَاصهِ: فالقَاضي كريم الدّين ابن السَّديد، وَالنشو، وَصهرُه.

وَأمَا دَوَادَارّيته: الأَمير عزّ الدّين أَيدَمُر مملُوكه، وَالأَمير أَرغُون النَاصري مملُوكه، وَرَسلَان، وَآلجَاي مملُوكه، وَصلاح الدّين يُوسف بن الأَسعد، وَبُغَا، وَطَاجَار الدّوَادَار.

---

[1] في بدائع الزهور ٤٨٤/١/١ وجواهر السلوك ١٧٧: "محمد بن الشيخي" وكذلك في المصادر.

[2] جاء هامش بخط المؤلف، في أول الصفحة بجوار كلمة "بدر": "وَأمَا منْ توفي في أيَام دَولته منَ الأعيَان وَهُم: الخليفة أحمد الحاكم بأَمر الله، وَولده أبُو الربيع المُستكفي بالله سُليمان، وَقَاضي القُضاة تقي الدّين ابن دقيق العيّد الشافعي، والشيخ زين الدّين الفَارقي، وَالشيخ صدر الدّين ابن الوكيل صَاحب الأشعار اللطيفة، وَالشيخ ضيَاء الدّين الطُوسي شارح الحَاوي، وَالشيخ شمس الدّين السُروجي شارح الهدَاية وَكان من كبار الحنفيَّة، وَالتوريزي مُحدث مَكة، وَالشيخ صَفي الدّين أبُو الثنَاء محمُود، وَابن جُبارة شارح الشاطبيّة، والشيخ الزَاهد يَاقُوت العرشي، وقاضي القُضاة جلال الدين القزويني، والشيخ بُرهان الدّين الجعبَري، وَالشيخ فتح الدّين ابن سيّد النَاس، والقاضي مُحيي الدّين ابن فضل الله كاتب السرّ الشريف، وغير ذلك من الأعيَان".

وَأمَا مَا أنشأهُ في أيَامهِ منَ العمَائرِ: وَهوَ القصر الكبير الأبلق، وَالقصرين الذي تِليه، وَالأيوَان الكبير، وَالجَامع الكبير الذي بالقلعةِ، وَالجَامع الجدَيد المُطل عَلى بَحرِ النيل، وَالخَانقَاة التي بسْريَاقُوس، وَالحوَش الكبير الذي بالقلعةِ، وَدُور الحرم، وَالمجرَاة التي من بحرِ النيل إلى قلعة الجبَل، وَالميدَان الذي تحت القلعة، وَالميدَان الكبير الذي عند مَوردة الجَبس، وَالقصر الذي بهِ، وَالبركة النَاصريّة، وَميدَان المهَارَة، وَهوَ الذي أَجرى الخليج النَاصري من مَورَدةِ الجبس إلى القنطرة الجديدِ، وَأنشأ عليه القنَاطر، كما تقدم، وَهوَ الذي عمَّر قنَاطر أمُ دينَار، وَقنَاطر شيبين، وَقنَاطر [٥٥/أ] أبُو صير، وَالجسر الذي بشبرَامنتْ، وَجسر بني يُوسف، وَقنَاطر اللّبيني.

وَجَدّد عمَارة جَامع رَاشدة، وَجَدّد عمَارة الرّصد، وَجدّد عمَارة المشهد النفيسي، وَعمَّر الزريبة التي بثغر دميَاط، وَعمَّر الأَسطبل السُلطاني، وَالطلبَلخَانَاة التي بالصوَّة، وَعمَّرَ زَاوية الشيخ رَجب التي تحت القلعة، وَلهُ غيرَ ذلك آثارٌ كثيرة بمصر وَالشَام.

وَأمَا مَا أَبطلهُ في أيَامهِ منْ وَجُوهِ الظلم: وَهوَ ضمانُ المغَاني، وَكانَ عبَارةً عن أخذِ مَالٍ منَ النسَاءِ البغَايَات، وَذلك لوْ خرجت أَجلَ امرأة في القَاهرةِ تقصدَ البُغَاء، وَنزَّلتْ اسمهَا عندَ امرأة تُسمى الضَامنة، وَأقَامتْ بمَا يلزمهَا منَ المبَلغِ المُعيّن عِليهَا، لما قدر أكبرَ منْ في مصر يَمنعهَا منَ البُغَاءِ، وَعَمل الفَاحِشة، ولاَ يزجُرهَا عنْ ذلك، وَكانَ يتحصَّلَ من هَذهِ الجّهةِ مال كبير، فأبطلَ ذلك في أيَّامهِ.

وَأَبطل أيضًا مَا كانَ يُوخذ ممنْ كانَ يَبيع ملكًا عن كلِّ ألفٍ عشرين دِرهمًا، فأَبطلَ ذلك جميعهُ، وَكانَ يتحصَّلَ منْ هذين الجهتَين مَالًا كبيرًا.

وَكانَ النَاصر محمد منْ أَجلِّ الملُوك قدرَا، وأَعظمهُم نَهيًا وَأَمرَا، وَأكثرَهُم آثرًا وَذكرَا، وَمعرُوفًا وبرًّا، وَجُبلتْ عَلى مَحبتهِ القلُوب سِرًا وَجهرَا، وَلمَا مَاتَ تَولى مِنْ بعدهِ ابنهُ المنصُور أبي بكر.

ذكر

سلطنة الملك المنصُور سيَف الدِّين

أبي بكر ابن الملك النَاصر محمد بن قلاوُن[١]

وَهوَ الثالثُ عَشر منْ ملُوك التُرك وَأوْلادِهمْ بالدِّيَارِ المصريّة، وَهوَ أَولُ من تَسلطن مِن أولادِ الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، وَكانَ في أَولَادهِ منْ هُوَ أكبرُ منهُ، ولكن الملك النَاصر محمد اختَارَ ذلك وَعهِدَ إليهِ، وَقدّمَهُ عَلى أخوتهِ؛ وَكانت وَلَايتهُ في يَوم الخميس حَادي عشرين ذي الحجّة من سنةِ إحدى وَأربعين وَسبعمَائة.

فلمَا جَلسَ عَلى سرير الملك، وَتَم أَمرَهُ في السلطنةِ، [٥٥/ب] عَملَ الموكب، فاجتمعت في القصرِ الكبير [سَائر الأمرَاء][٢]، فأخلعَ في ذلك اليَوم عَلى منْ يُذكر منَ الأمرَاءِ وَهُم: المقر السيفي طقُز دَمُر صَاحب القنطرة التي عَلى الخليج الحَاكمي فاستقر نَائب السلطنة بمصر؛ وَأَخلعَ عَلى المقر السيفي قُوصُون واستقر أتابك العسَاكر بمصر؛ وَأَخلعَ عَلى المقر السيفي حُمص أَحضر واستقر نَائب حلب.

ثُم صَارَ أَمرَ المملكة ضَائع بينَ الأمرَاء، فصَارَ مع الأَمير طاجَار الدوَادَار عُصبةِ منَ الأمرَاء، ومعَ الأتابكي قوصُون عُصبة من الأمرَاء، فأتفقَ طَاجَار الدوَادَار معَ السلطان الملك المنصُور عَلى القبضِ عَلى الأتابكي قوصُون، وَهوَ في الخدمةِ بالقصرِ الكبير، وكانَ الملك المنصُور في طبعهِ الخفّة وَالرّهج في الأُمور، فأفشى سرّهُ لبعضِ الخَاصكية، فبلغُوا ذلك للأتابكي قوصُون، وَأخبرُوهُ بمَا قدْ عزمَ السلطان عليه منْ مسكهِ لهُ، فكانَ كما قيلَ في المعنى:

---

[١] أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٤٨٦- ٤٨٩؛ جواهر السلوك ١٨٠- ١٨١.

[٢] جاءت على هامش الصفحة بخط المؤلف أعلى كلمة الكبير، وتم وضعها بين قوسين لأن المؤلف لم يشر أنها تخص هذا الموضوع ولكنها مناسبة للمعنى.

إذَا الْمَـــرْءُ أَفْشَـــى سِـــرَّهُ بِلِسَـــانِهِ وَلَامَ عَلَيْــهِ غَيْـــرَهُ فَهُـــوَ أَحْمَـــقُ
إذَا ضَـاقَ صَـدْرُ الْمَـرْءِ مِـنْ[1] سِـرِّ نَفْسِـهِ فَصَـدْرُ الَّـذِي يُسْـتَوْدَعُ السِّـرَّ أَضْـيَقُ[2]

فلمَـا بلـغ الأتـابكي قُوصُـون ذلـك فـأتفقَ الأَمير أيـدغمش أَميـر أخـور كبيـر، وجَماعة منَ الأَمرَاءِ، عَلى خلع الملك المنصُور أبي بكر.

فلمَـا كـانَ يَـوم الموكـب امتنـعَ الأتـابكي قُوصُـون عـن حضُـور الخدمـة، فاضطربت الأحوَال في ذلك اليَوم.

ثم إن الأتابكي قُوصُون طلع إلى القلعةِ بعدَ انفضَاض الموكب، وَقت الظهر عَلـى حين غفلـة، وَقبضَ عَلـى الملك المنصُور أبـي بكـر، وَأَرسلهُ إلـى السجنِ بمدينةِ قُوص، وَمعهُ أَخويه يُوسف وَرَمضَان.

فكانت مُدّة سلطنة الملك المنصُور أبي بكر نحو ثلاثة أشهر، وكانَ خلعهُ في شهر صفر من سنةِ اثنتين وَأربعين وَسبعمَائة.

ثم إن الأتابكي قُوصُون قبَضَ عَلى الأَمير طَاجَار الدوَادَار، والأَمير بشتاك، وَمعهُما جَماعـة منَ الأَمـرَاءِ، وَأَرسلهُمْ [٥٦/أ] إلـى السجن بثغر الإسكندرية، وَقبضَ عَلى جَماعةٍ كثيرة من المماليك السُلطانية.

ثم إنَ الأتَابكي قُوصُون أَرسلَ إلى عبد المُؤمن مُتولي نَاحية قُوص بـأنْ يقتلَ الملك المنصُور أبي بكر فقتلهُ، وَأَرسل رَأسهُ إلى قُوصُون في الدَّسِ، فكُتمَ مَوتـهُ عن النَاسِ، وَهوَ أَولُ مَنْ قُتلَ من أولادِ محمد بن قلَاوُن، وكانَ ذلك من أكبر ذُنوب قُوصُون، ثُم تسلطن مِنْ بعدهِ أخيهِ كجُك.

---

[1] في مرآة الزمَان في تواريخ الأعيان ١٢٧/١٤: "عن".
[2] بحر الكامل؛ البيتان لأحمد بن يوسف. (انظر: مرآة الزمَان في تواريخ الأعيان ١٢٧/١٤- ١٢٩).

ذكر

سلطنة الملك الأشرف علائي الدّين

كجُك ابن الملك النَاصر محمد بن قلاوُن[1]

وَهوَ الرَابعُ عشر من ملُوك التُرك وأوْلادِهمْ بالدِّيَارِ المصريّة، وَهوَ الثاني من أوْلادِ محمد بن قلَاوُن، تَولى المملكة بَعدَ أخيه المنصُور، وَجلسَ عَلى سرير الملك في يَوم الإثنين حَادي عشرين صفر سنةِ اثنتين وَأربعين وسبعمَائة، فجَلسَ على سرير الملك وَلهُ منَ العُمر سبع سنين[2].

فلمَا تم أَمرهُ في السّلطنةِ أَخلعَ على المقر السيفي قُوصُون النَاصري واستقر نَائب السلطنة، وَأتابك العسَاكر، وَسكن في دَارِ النيَابة، وَتصرفَ في أُمور المملكة بحسبمَا يَختَارَهُ منهَا، فكانَ إذَا حضرتْ العلامة، أَخذَ قُوصُون بيدّ السلطان كجك وَالقلم في يدهِ حتى يريهِ كيف يَعلّم عَلى المرَاسيم وَالمنَاشير، وَكانَ الأمر جميعه بيدّ قُوصُون وَالسُلطان معهُ مثل العَصفُور في يدِّ النسُور.

فاضطربت أَحوَال الدِيَارِ المصريّة وَالبلَاد الشَاميّة، وَكثر الخُلف بينَ الأمرَاء، وَتوقفت أحوَال الرعيّة، وَحَصلَ لِلنَاسِ الضرر الشامل بسببِ ذلك، وَقدْ قالَ بَعضُ الشعُراء في المعنى:

سُلطَاننَا اليَوْم طِفْلٌ وَالاكابرُ في ... خُلفٍ وَبينهمْ الشَّيْطَانُ قدْ نَزغَا
فكَيفَ يَطمع مَنْ مسَّتهُ مظْلمَة ... أَن يبلغ السؤل وَالسُّلْطَان مَا بَلغَا[3][٥٦/ب]

ثُم إنَ الأتابكي قُوصُون صَارَ في كلِّ يَوم يَمسك جَماعة من المماليك السُلطانية، وَأَرسلَ إلى ألطنبُغَا نَائب الشَام يَأمرهُ بالقبضِ عَلى طشتمر حُمص أَخضر نَائب حَلب.

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٤٩٠- ٤٩٤؛ جواهر السلوك ١٨١- ١٨٢.

(٢) في جواهر السلوك ١٨١: "تسع سنين".

(٣) بحر البسيط؛ البيتان في: المختصر في أخبار البشر ١٣٥/٤وتاريخ ابن الوردي ٣٢١/٢: "فقلت في ذلك"؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٣٩/٣. مورد اللطافة ٧١/٢. النجوم الزاهرة ٢٢/١٠. حسن المحاضرة ١١٦/٢. وذكر كلا من نجم الدين الغزى والمحبي أن البيتين لزين الدّين عمر ابْن المظفر الوردي، انظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه مقدمة/٢٦. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٩٥/٤.

فلمَا بَلغَ طشتمر ذلك قُوي عزمه عَلى أنْ يتوجّه إلى الكرك، وَيَحضر الأَمير أحمد ولدَ السلطان الملك النَاصر محمد من الكرك، وكانَ مُقيمًا بهَا من أيَامِ وَالده الملك النَاصر، وَقد تقدم ذلك.

فلمَا بَلغَ الأتابكي قُوصُون ذلك، أَرسلَ الأَمير قطلو بُغَا الفخري إلى الكرك، بأن يقبض عَلى الأمير أحمد وَلد السلطان الملك النَاصر، ويتوجّه بهِ إلى السجنِ بثغر الإسكندرية، فلمَا توجّه الأَمير قطلوبُغَا الفخري إلى الكركِ، كاتب نَائب حلب وَنائب حَماة وَنائب صفد بأنْ يكُونُوا عَونًا لهُ على أن يَحضر الأَمير أَحمد منَ الكرك إلى القَاهرةِ، ويسلطنُوهُ عُوضًا عن أخيهِ كجك، فوَقعَ اتفَاقهُم على ذلك، وَتوجهُوا إلى دمشقِ بمنْ معهُم منَ العسَاكر ليقبضُوا عَلى ألطنبُغَا نَائب الشام لأنهُ كانَ من عُصبةِ قُوصُون، فأَرسلَ الطنبُغَا نَائب الشام إلى النُواب يسألهُم في الصُلح، وَأنهُ يكُون تحت الطاعة للأمير أَحمد وَلد السلطان الملك النَاصر، فوَقع الاتفَاق عَلى ذلك.

فلمَا بلغ الأتابكي قُوصُون ذلك أَرَادَ أنْ يقبض عَلى الأَمير أَيدغمش أَمير أخُور كبير، فلمَا بَلغَ أَيدغمش ذلك، ركبَ هُوَ وَالأَمير آقسُنقر وَالأَمير يلبُغَا اليحيَاوي، وَجماعة الأمرَاء، وَطلعُوا إلى الرمَلة، وَأحَاطُوا بالقلعة.

وَنادى الأَمير أَيدغمش للعسكر كلِّ منْ لمْ يكُن عندهُ فرس يحضر إلى الأَسطبل السُلطاني، وَيأخذ لهُ فرس، فطلعُوا إليهِ العسكر قاطبة، ففرقَ عليهمْ عدّة خيُول منَ الأَسطبل السُلطاني، فوَثب العسكر بأَجمعهمْ عَلى قُوصُون، فلمَا تحقَقَ قُوصُون أنَ الرَكبة عليهِ [٥٧/أ] أَقامَ بالقلعةِ وَحصَّنهَا.

ثم إن الأَمير أَيدغمش نَادى للأَعوَام بأن ينهبُوا بيت قُوصُون، فدَخلُوا إليهِ السوَاد الأَعظم منَ الأعوَام، وَأَحرقُوا بَابه وَنهبُوا أَسطبَلهُ، وَمَا كانَ في حوَاصلهِ من سُكرٍ وَخيامٍ وَنحاسٍ وَصيني وَسلاحٍ وغير ذلك، وَهوَ ينظر إليهمْ من شباك طبقتهِ التي فوق الأَسطبل السُلطاني، فبقى قُوصُون يَقولَ: " يَا مُسلمين، مَا تحفظُوا هذَا المَال، أمَا أنْ يكُون لي أو للسلطان"، فقالَ الأَمير أيدغمش أَمير أخور: "هذَا شكرَانهِ للعوَام، وَالذي عندكَ منَ المالِ والتُحف يكفي السلطان"، فصَار العوَام كلّ منْ رَآوهُ منْ مماليك قُوصُون أوْ منْ حَاشيتهِ يَقتلُوهُ في الطُرقَات، وَاستمر الأَمر عَلى ذلك إلى بعد الظهر، فانكسرَتْ همَّه قُوصُون عن القتال، وَتسحبَ منْ كانَ عنده منَ العسكر، فهجمَ عليه الأَمير أَيدغمش وَمسكه وَقيدّهُ وَسجنهُ في الزَردخانَاة.

فلمَا مُسكَ قُوصُون نهب العوام خَانقَاته التي دَاخل بَابِ القرَاقة، وجَامعةُ الذي بالقرب من بركةِ الفيل، ثم إن الأَمير أَيدغمش صَارَ يمسك الأمرَاء الذي[1] كانُوا من عُصبةِ قُوصُون، ثم أَرسلُوا قُوصُون إلى السجن بثغر الإسكندرية، وفيه يَقولُ المعمار:

شخصُ قَوصُون رَأينَا فِي العَلاليقِ مُسمَّر
فَعجبنَا منهُ لمَّا جَاءَ فِي التسمِيرِ سُكرْ[2]

وكانَ أميرًا عظيمًا مَليًا مُهَابًا، صَارَ في أيَام الأشرف كجك صَاحب الحل وَالعقد، وَتصرّف في أُمور المملكة كما يَختار.

فلمَا أُرسلَ قُوصُون إلى السجنِ، خُلعَ الأشرف كجك منَ السلطنةِ، وَدخلَ إلى دُورِ الحرم، ثم أَرسلُوا الأمراء إلى الأَمير أَحمد بن النَاصر محمد ليحضر من الكرك، حتى يُولُوهُ السلطنة، فخُطبَ باسمه في القَاهرةِ قبل حُضُورهِ منَ الكرك، وَلُقب بالملك النَاصر إلى أن حضرَ، وتولى السلطنة، كما سيَأتي ذلك في موَضعهِ.

فكانت مدّة أخيه الأشرف كجُك في [٥٧/ب] السلطنةِ إلى أنْ خُلعَ خمسة أشهر.

وَأَقام في دُور الحرم إلى أنْ مَاتَ عَلى فرَاشهِ في دَولةِ أخيه الملك الكامل شعبَان، وَكان أبُوهُ الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن لحظ فيه بعين الفرَاسةِ أنهُ يلي الملك وَهوَ صغيرٌ، فسمَاهُ كجُك يعني سُلطان صغيّر، فتسلطنَ وَلهُ مِنَ العُمر خمس سنين، وَقيل: دُون سبع سنين.

---

(١) كذا في الأصل، الصواب "الذين".

(٢) بحر مجزوء الرمل.

ذكر

سلطنة الملك النَاصر شهاب الدِّين أَحمد

ابن الملك النَاصر محمد ابن الملك المنصُور قلَاوُن(١)

وَهوَ الخامسُ عشر من ملُوك التُرك وَأَوْلَادِهم بالدِّيَار المصريّة؛ وَهوَ الثالثُ من أولادِ النَاصر محمد بن قلَاوُن، تسلطنَ بعدَ خلع أَخيه الأشرف كجُك، في يَوم الإثنين عَاشر شهر شوال سنةِ اثنتين وَأَربعين وَسبعمَائة.

فلمَا جلسَ عَلى سرير الملك، وَقعَ منهُ أُمورٌ لا تقع إلا ممنْ أُصيبَ في عقلِهِ، وَذلك أنَ الأمير طشتمر حُمص أخضر نَائب حلب، لمَا حضر معهُ منَ الكرك، وَكانَ سببًا في سلطنتهِ، فلمَا حضرَ إلى الدِّيَارِ المصريّة، أَخلعَ عليه واستقر بهِ نَائب السلطنة بمصر، واستقر بالأَمير قُطلوبُغَا الفخري نَائب دمشق؛ وَأَخلعَ عَلى الأَمير عَلائي الدّين أَيدغمش واستقر بهِ نَائب حلب، فلم يُقم في السلطنةِ سوى ثلاثة وَثلاثين يَومًا، وَقبضَ عَلى الأَمير طشتمر حُمص أَخضر وَقيَّدهُ، وكانَ ذلك من جُملة عكس النَاصر أَحمد، ثم أَرسل نحو ألف فارس إلى قُطلوبُغَا الفخري الذي استقر بهِ نَائب دمشق، وَأَمرهم بالقبض عليه.

فلمَا كانَ يَوم الإثنين سَلخ ذي القعدة، فخرجَ السلطان الملك النَاصر أحمد منَ الدِّيَارِ المصريّة في طَائفةٍ منَ العسكر قَاصدًا نحو الكرك، وَمعهُ أَموَالٌ جزيلة أَخذَهَا منَ الخزَائن السُلطانية، وَأَخذَ معهُ منَ التُحف أشيَاء كثيرة، وتوجّه إلى الكرك، فدَخلهَا في يَوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة، وَأَخذ معهُ الأمير طشتمر حُمص أَخضر وَهوَ مُقيدٌ [٥٨/أ] في مَحفةٍ، وَلمَا وَصل ذلك العسكر الذي أَرسلهُم إلى دمشق فقبضُوا عَلى قُطلوبُغَا الفخري، وَأَحضروهُ إلى الكرك فأَعتقلهُ هُوَ وَطشتمر حُمص أخضر في قلعةِ الكرك.

ثُم دخلت سنة ثلاث وَأربعين وسبعمَائة، فيها: في خَامسِ المُحرم كتب الأمرَاء الذّينَ بمصر كتابًا إلى السلطان الملك النَاصر أحمد، وَهوَ بالكرك بأنْ

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٤٩٥ـ ٤٩٨؛ جواهر السلوك ١٨٢ـ ١٨٣.

يحضرَ إلى الديَار المصريّة، فإنَ أحوَال المملكة ضَائعة، وَأرسلُوا هذَا الكتَاب صُحبة خَاصِكي يُقالُ لـهُ طقتمر الصَّلَاحي، فدَخلَ إلى الكرك في حَادي عشر المُحرم، وَاجتمع بالسُلطان وَردَّ الجوَاب عن السلطان "بأنهُ قَاعد في الكرك إلى حين يمضي الشتَاء، وَبعد ذلك يحضر إلى القَاهرة".

ثم إن السلطان بدَا لـهُ أن يَقتل طشتمر حُمص أَخضر وَقطلوبُغَا الفخري، فأخرجهُمَا منَ السجنِ، وَوَسطهُمَا في ميدَان الكرك، وَهذَا الأَمر مَا يقع ممنْ في رَأسهِ عَقل، وكانَا سَببًا في سَلطنتهِ وَتَعصّبَا لهُ حتى تسلطن، فكانَ كما قيلَ في المعنى:

مَا تَفْعلُ الأعْداءُ في جاهِلٍ مَا يَفعل الجاهِلُ في نفسِهِ[١]

وَقدْ قالَ المعمَار في طشتمر حُمص أخضر عدّة مَقاطيع منهَا:

جُننت بالملك لمَا اتاك بالبسط مَا جنْ
وَقدْ أَمنتَ الليَالى يَا حُمص أخضَرْ وَدَاجِنْ[٢]

فلمَا وقعَ من النَاصر أَحمد ذلك فنفرَتْ منهُ القلُوب، وَلمْ يَستحسنَ أَحدًا منَ النَاسِ منهُ هَذهِ الفعَال القبيحة، فلمَا بلغَ الأَمرَاء الذّين بالقَاهرةِ مَا فَعلَ النَاصر أحمد، اتفقُوا عَلى خَلعهِ فخلعُوهُ منَ السلطنةِ، وسلطنُوا أخوهُ إسمَاعيل، وَاستمر النَاصر أحمد في الكرك إلى أنْ قُتلَ، كما سيَأتي ذكره في مَوضعهِ.

فكانتْ مُدَّتهُ في السلطنةِ إلى أنْ خُلعَ وَهوَ بالكرك شهرين وَاثني [٥٨/ب] عشر يَومًا، فكانَ كما قيل في المعنى لبعضِهمْ:

فَلمْ يُقم إلا بمقدَارِ أنْ قلْتُ لهُ أَهلًا وَسَهلًا وَمَرْحَبًا[٣]

---

(١) بحر السريع؛ البيت لصالح بن عبد القدوس، انظر: المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي ١٦٤/١.

(٢) بحر المجتث؛ البيتان في: ديوان المعمار، ق ٣٠/أ.

(٣) بحر السريع؛ البيت للقَاضي فخر الدّين ابن مكانس. انظر: العيون الغامزة على خبايا الرامزة، للدماميني، صـ١٧٤. لم يرد هذا البيت في بدائع الزهور.

ذكر

سلطنة الملك الصَالح عماد الدّين إسمَاعيل

ابن الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن[١]

وَهوَ السَادسُ عشر من مُلُوك التُرك وَأوْلادِهمْ بالدِّيَارِ المصريّة؛ وَهوَ الرَابعُ منْ أَولادِ النَاصر محمد بن قلَاوُن، تسلطن بَعد خلع أخيهِ النَاصر أَحمد، في يَوم الخميس ثاني عشرين المُحرم سنةِ ثلاث وَأربعين وسبعمَائة[٢].

فلمَا جلسَ عَلى سرير الملك، وَتمّ أَمرهُ في السلطنةِ استقر بالأَمير آقسُنقر السّلَاري نَائب السلطنة بالدِّيَارِ المصريّة؛ واستقر بالأَمير أَيدغمش في نيَابة الشَام؛ واستقر بالأَمير طقز دُمر في نيَابةِ حَلب؛ واستقر بجَماعةٍ كثيرة من الأمرَاءِ كلّ وَاحدٍ منهُم في وَظيفةٍ منَ الوَظائف.

ثم قبضَ على الأَمير ألطنبُغَا الماردِيني وَهوَ صَاحب الجَامع الذي في البرَادِعيّين، وَأَرسلهُ إلى السجنِ بثغر الإسكندريّة.

ثُم دخلت سنةِ أَربع وَأَربعين وسبعمائة، فيها: قَبضَ عَلى الأَمير آقسُنقر السّلَاري نَائب السلطنة، واستقر بالأَمير آل مَلك في نيَابةِ السلطنة بمصر.

فَلمَا تَولى آل مَلك نَائب السلطنة أَمرَ بهدمِ خزانة البنودَ، وكانت دَاخل القَاهرة، وَكانَ يَسكنهَا طائفة مِنَ الأَرمن الأُسرى، وكانتْ قبل ذلك حَبسًا يُحبس فيها أَصحَاب الجرَائم، فَلمَا هدَمَهَا جَعلهَا دَارًا لِلخمّارة لأنهَا كانتْ بالقُربِ منْ دَارهِ، فصَارَ يجتمع بهَا أَقوام منَ المنَاجيس وَالمقامرين وَالحرَاميّة، وَلا يَقدر أحدٌ منَ النَاسِ يَمنَعهُم من ذلك، لا وَالي وَلا غيره منَ الحكام، فلمَا تضرَّر النَاسُ من ذلك، فأخربهَا وَجَعلهَا أَسطبلَات وَقَاعَات وَغير ذلك[٣].

---

[١] أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٤٩٨- ٥٠٦؛ جواهر السلوك ١٨٤- ١٨٥.

[٢] في بدائع الزهور ١/١/٤٩٩: ١٢ محرم ٧٤٣هـ.

[٣] في بدائع الزهور ١/١/٥٠٠: أن خزانة البنود لما هدمها آل ملك بنى مكانها مسجدًا، وأن المسجد لا يزال مقفولًا إلى عصر ابن إياس.

ثُم دخلت سنةِ خمس وَأَربعين وسبعمائة، فيها: أخذتْ الكرك، وَقُتلَ النَاصر أحمد بن النَاصر محمد بن قلَاوُن، وقد صَار [٥٩/أ] أَخوه الملك الصَالح يُجرِّد إليهِ العسَاكر تَجرِّيدَة بَعدَ تَجرِّيدَة، فلم يبقَ بالقَاهرة أَميرًا ولا جُنديًا حتى خرج إليهِ، وَحَاصرهُ فلم يقدرُوا عليه.

وَهوَ مع ذلك لا يكلّ وَلَا يملّ منَ القتال، حتى نفد جميع مَا كانَ في خزَائنهِ منَ الأموَال، حتى أنهُ ضرب مَا بقي عنده منَ الذهب وَخلطَ معهُ النحاس، وَنفقهُ عَلى عسكرهِ، فكانَ الدِينَار منهُ يُساوي خمسة دراهم.

وَهلك من كان عنده في قلعةِ الكرك من الجُوع والعطش والعُري، فلمَا تَمادى عليه الأَمر تفرَّق من كانَ حوله من عسكرهِ، وَظهرَ عليه الخذلان بعدَ أنْ أقامِ في المُحاصرة نحو ثلاث سنين، ثم إنهُمْ مَسكُوهُ في يَوم الإثنين ثاني عشرين صفر من سنةِ خمس وَأربعين وسبعمَائة[١] فعندَ ذلك أَرسل إليهِ الملك الصالح الأَمير منجك اليُوسفي فقطعَ رَأسهُ، وَأحضرهَا بين يدي أخيه الملك الصَالح.

وكانَ النَاصر أَحمد أَشجع أخوته وَأحسنهُمْ شكلًا، وَلكنهُ كانَ سيء التدبير في أُموره، قليل المعرفة، الغَالب عليه الجّهل، فلم تُساعدُه الأَقدَار.

ثُم دخلت سنةِ ست وَأَربعين وسبعمَائة، فيها: مرضَ السلطان الملك الصَالح وَأقَامَ مَرِيضًا نحو أَربعين يَومًا، ثم مَاتَ في يَوم الخميس حَادي عشرين ربيع الأول سنةِ ست وَأَربعّين.

فكانتْ مُدّة سلطنته بالدِيَارِ المصريّة ثلاث سنين وَشهر وَنصف.

وَكانَ خيَار أَولَاد النَاصر محمد بن قلَاوُن، وَلهُ برٌ ومعروفٌ وَآثارٌ، فمنْ ذلك أنهُ أوْقفَ قريّة من ضوَاحي القَاهرة تُسمى بيسُوس[٢] على كسَوةِ الكعبة الشريفة؛ وكانَ يحبّ العدل في الرعيّة، وَسَاسَ الملك في هذهِ المدَّة أَحسن سيَاسة، وَمَاتَ على فرَاشه بخلاف أخوته، وكانَ على مذهبِ بعض الخُلفاء يَميل إلى الجوَار المُولداتْ والحُبش حتى [٥٩/ب] السُودَان، وكانَ يحبّ منْ يمدح لهُ في ذلك، فكان الشُعرَاء يكثرُون لهُ من مدح ذلك، فمن ذلك قول بعض الشُعرَاء:

---

[١] في بدائع الزهور ٥٠٣/١/١: يوم الإثنين ٢٢ ذي الحجة ٧٤٥هـ.

[٢] في جواهر السلوك ١٨٥: "يليسوس"؛ والصحيح بيسوس: وهي من القرى القديمة، وهي الأن تسمى باسوس من أعمال القليوبية. (القاموس الجغرافي، محمد رمزي، ٥٥/٢/١).

يكُـــون الْخَـــال فِـــي خـــدٍ قَبـــيح فيكسُـــــوهُ الملَاحـــــةَ والجمَـــــالَا
فَكيـــف يُـــلامُ مشـــغُوفٌ عَلـــى مـــنْ يـــرَاهُ كُلـــه فِـــي الْعـــين خـــالا![1]

وَلهم في هذَا المعنى عدّة مقاطيع.

وَلمَا مَاتَ الملك الصَالح دُفنَ في القُبة التي بين القصرين، وَقدْ رثاهُ الصلَاح الصفدي:

مَضَـى الصَّـالحُ المَرْجـو للبـأسِ والنّـدَى وَمَـنْ لَـمْ يَـزَلْ يَلْقَـى المُنَـى بالمَنَـائِح
فَيـا لَـك مِصْـر كَيْـفَ حَالُـكِ بَعْـدَهُ إذا نَحْـنُ أَثْنَيْنَـا عَلَيْـكِ بصَـالِحِ[2]

---

[1] بحر الوافر؛ البيتان لابن مسلمة. انظر: شرح مقامات الحريري ٢٣٤/١. وفي بدائع الزهور ٥٠٥/١/١: نسب البيتين لابن نباتة.
[2] بحر الطويل؛ البيتان في: أعيان العصر ٥٢٥/١. الوافي بالوفيات ١٣١/٩. ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

ذكر

سلطنة الملك الكامل زيّن الدّين

شعبَان ابن الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن[١]

وَهوَ السَابعُ عشر من مُلوك التُرك وَأوْلادِهمْ بالدِّيَارِ المصريّة؛ وَهوَ الخَامسُ من أوْلادِ الملك النَاصر محمد قلاوُن، تسلطن بعد مَوت أخيه الملك الصَالح إسمَاعيل بعهدٍ منهُ، وكانَ شعبَان هذَا أخاه والملك الصَالح إسمَاعيل شقيقهُ؛ فجلسَ عَلى سرير الملك في يَوم الخميس حَادي عشرين رَبيع الأول سنةِ ست وَأربعين وسبعمَائة.

وفيه يَقولُ ابن نبَاتة:

طَلعَةَ سُلطَانِنَا تبَدتْ[٢] بكامل السّعد في الطوعِ[٣]
وَاعجبْ لنَا منهُ كيفَ أبَدتْ[٤] هِلاَلُ شَعْبَانَ فِي رَبِيعِ[٥]

فلمَا تَم أَمرهُ في السلطنةِ، سَارَ في النَاسِ سيرَة قبيحة، وَصَارَ يَخرج الإقطاعَات بالمالِ، وَعملَ لذلك دِيوَانًا، وَصَارَ يَعيّن القدر في المنَاشير، وَكانَ مُحبًا لجمع المال، ثم أَخذ في أسبَاب القبض عَلى جَماعةٍ منَ الأمرَاءِ، فقبضَ عَلى آل مَلِك نَائب السلطنة، ثُم أفرجَ عنهُ، وَوَلاهُ نيَابة صفد، فلمَا تَوجّه إليهَا أَرسل قبضَ [٦٠/أ] عَليه في أثناء الطريق، وَأَرسلهُ إلى السجنِ بثغرِ الإسكندرية، هُوَ وَالأمير قُماري أسْتَادَار العَالية، ثم استقر بالأمير ارُقطاي في نيَابةِ السلطنة بمصر، وَأَرسلَ بالقبضِ عَلى طقز دمُر نَائب الشام، وَوَلى الأَمير يَلبُغَا اليحيَاوي عُوضهُ في نيَابة الشام.

---

[١] أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٥٠٦- ٥١٣؛ جواهر السلوك ١٨٥- ١٨٨.

[٢] في ديوان ابن نباتة ٣٢٠: "جبين سلطاننا المرجى".

[٣] في ديوان ابن نباتة ٣٢٠: "مبارك المطلع البديع"؛ وفي بدائع الزهور ١/١/٥٠٧: "بكامل السعد في الطلوع".

[٤] في ديوان ابن نباتة ٣٢٠: "يا بهجة الدهر إن تبدى".

[٥] بحر مخلع البسيط.

وَفي هذهِ السنة: توفي الملك الأشرف كجُك وَهوَ في دُور الحرم من حينٍ خُلع منَ السلطنة، كما تقدم.

ثُم دخلت سنةِ سبع وَأربعين وسبعمَائة، فيها: جاءت الأخبار منَ البلَاد الشَاميّة بأنْ يلبُغَا اليحيَاوي نَائب الشَام خَامر عَلى السلطان وَأظهرَ العِصيَان.

فلمَا كانَ يَوم الجُمعة اجتمع الأمرَاء كلهُم في القلعةِ، فقرأ عليهم السلطان مَا وَردَ منَ الأخبَار، بسببِ عصيَان نَائب الشام، فاتفقَ رَآيهمْ بأنْ يُرسلُوا الأَمير منجك اليُوسفي لِكشفِ الأخبَار، فتوجّه إلى دِمشق، ثم إن السلطان أَعرضَ العسكر، وَقصدَ التوجّه إلى قتَال نَائب الشَام.

فَلما كانَ يَوم السبت طلبَ السلطان أَخويه وَهُما حَاجي وَحُسين، إليهُما سُرُور الزّيني، وَقالَ لهُمَا: "أَحضرُوا إلى عند السُلطان"، فَقالُوا: "نحنُ شربنَا اليَوم دَوَى، وَلا نستطيع الحضُور في هذا اليَوم".

ثم إنَ السلطان أَرسلَ إليهمْ الزمَام صوَاب الطُولُوني، وقَالَ لهُ: "قلَ لهُم بأَنْ يَحضرُوا وَالخيرَة لهُمْ"، فابُوا عن الحُضور، وَقالُوا: "أَصبرُوا علينا إلى أنْ نتعَافَا، وَنحضر إلى بين يدي السُلطان".

فلمَا رَدُوا هذَا الجوَاب، فَغضبَ السلطان غَضبًا شديدًا، وَقالَ أَرسلُوا خلف الأَمير أَسندمُر الكاملي، وَالأَمير قُطلوبُغَا الكركي، فَلمَا حَضرَا، قَالَ السلطان لهُمَا:" طلبتُ أخوَتى بأنْ يَحضرُوا إلى عندي، فأبُوا عن الحضُور"، فقالَ الأَمير أسندمُر الكاملي لأَرغُون [٦٠/ب] العلائي زَوج أُم السُلطان: "أَدخُلْ أَنتَ إليهمَا وَأَخرجْهُمَا مِنْ عند أُمهَاتهمَا"، فدَخل إليهمَا العلائي، وَأخرَجهُمَا إلى عند مَقام الرديني[1]، وَأُمهَاتهما معهُمَا يَتبَاكونَ.

فَلمَا حضرُوا بين يدي السلطان بَاسُوا لهُ الأرض، وَقَالُوا: "يَا مَولانَا السلطان لا تأخذ عَلينا، فإنّا كُنا شربنَا دَوى، وَلنا أيَام ونحنُ ضِعَاف"، فقالَ لهُ السُلطان: "تكذبُوا مَا أنتمُ إلا مُخامرين عَليَّ"، فأخرجَ حَاجي ختمة كانتْ معهُ وَحَلفَ عليهَا "أنهُ مَا امتنع عن الحضُور إلا كانَ ضعيفًا وشرب دَوى"، فقَالَ لهُ السُلطان: "مَا هذَا صحيح"، فحلفتْ أُمهُ وكشفتْ رَأسهَا، وَكذلك فَعلتْ أُم سيّدي حُسين، فدَفعُهما السلطان وَاعتاظ عليهُما، وَقَال: "أنتمُ نسَاء مَا لكمُ عقُول".

---

[1] هو داخل قلعة الجبل بالقاهرة. ينسب إلى أبي الحسن بن مرزوق بن عبد الله الرديني الفقيه. (المواعظ والاعتبار ٣/ ٣٥٥).

ثُم أَمر بإدخَال أَخويهِ إلى الدُهيشة، وَأمهَاتهُما مَعهُما، وَوَصَّى عليهما الخُدام، فبَاتُوا تلك الليلة حول الدُهيَشة، وَمعهُمْ سيُوفهمْ.

فلمَا أَصبحَ السلطان طَلَبَ عشرين حَجر مُسَقّط وَحملين جبس، وَقصدَ إدْخالهُما في مَكانٍ تحت الدُهيشة، وَيبنى[1] عليهُما بالحجر.

فلمَا كانَ يوم الإثنين ثالث عشرين جَمادى الأَول[2] بعد صلَاة الصُبح، خرجَ من بيتهِ الأَمير مَلكتمر الحجَازي، وَهوَ لابس آلة الحرب، هُوَ وَمماليكهُ إلى عندِ قُبةِ الهواء، وَقصدَ الوَثُوب عَلى السلطان الملك الكامل، أنهُ بلغهُ أنَ السلطان يَقصد مسكهُ في ذلك اليَوم، فتوجّه إلى قُبةِ الهواء.

فلمَا استيقظ السلطان مِنْ نومهِ رأى الأحوَال مُضطربة، فقالَ لأَرغُون العلائي: "إيش الخبر"، فأخبرُوهُ: "بأنْ الأَمير ملكتمر الحجَازي وَأرغُون شاه، وَجَماعة كثيرة منَ الأمراءِ لبسُوا آلة الحرب، وَتوجهُوا إلى قبةِ الهوَاء".

فعندّ ذلك رَسمَ السلطان بشدّ الخيُول، وَبفتح باب الزردخَاناة، فلم يجد عندهُ أحدًا منَ المماليك إلا قليل، فركبَ وَخرجَ من بَابِ الأسطبل السُلطاني [٦١/أ] وَمعهُ بعض الأمرَاء وَبَعض مماليك، وَدَقت الكوسَات حربي، فمشي السلطان إلى تحت الطبلخَانَاة، وَوَقفَ وَبقي ينتظر من يَطلع إليه، فلمْ يَطلع إليهِ أَحدًا منَ الأمرَاءِ، سوى الأَمير أَسندمُر الكاملي، وَالأَمير قُطلوبُغَا الكركي، وَالأمير أَرغُون العلائي، وجوهر السّحرتي مُقدم المماليك.

فَلمَا علم السلطان أنَ مَا بقي يجى إليه أحد، تقدم إلى بين العروستين[3]، وَقصدَ بأن يتوجّه إلى قبة الهوَاء، فبرز إليهِ الأَمير أَرغُون شاه، وَالأَمير قَرَابُغَا القاسمي، وَالأمير أقسُنقر، وَضربُوا عليه يزك[4]، وَوَقعَ القتَال، فبرَز الأمير بيبغا[5] أَروس إلى أَرغُون العلائي، وَضرَبهُ بطبر عَلى وَجههِ، فسقط عن فرسهِ إلى الأرض.

---

[1] في الأصل "وَينني".

[2] في بدائع الزهور ٥٠٩/١/١: (٣ جمادى الأول).

[3] مكان يجاور قلعة الجبل.

[4] كلمة فارسية تعني طلائع الجيش، وهي جماعة كانت ترسل للاستكشاف. (الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، صـ١٧٧–١٨٠).

[5] في الأصل "بينغا"؛ وفي بدائع الزهور ٥١٠/١/١: "بيبغا"، وقد وردت هذه الصيغة بعد ذلك، وهي الصحيحة؛ وفي جوهر السلوك ١٨٧: "يلبغا".

فلمَا رَأى منْ كانَ حَول الملك الكامل، أنَ الأَمير أَرغُون العلائـي انكسرَ، تسحبَّ من كانَ حولـهُ منَ العسكرِ، فلمَا رَآى الملك الكامل أنَ أَمرهُ تَلاشـى، فهربَ فـي أربعـةٍ مـن المماليك، وَطلـع إلـى القلعـةِ، وَأرَادَ أنْ يـدخل مـن بَـابِ السلسلة، فوَجدهُ مَقفُولًا، فصَارَ يسألَ بعض المماليك الصّغَار بأنْ يفتح لهُ البـاب، حتـى يَطلـع إلى القلعـةِ، فنزل إليـهِ بعض المماليك، وَفتح لـهُ البـاب، فطلـعَ إلـى القلعـةِ، وَهوَ سَائق فأَرَادَ أنَ يدخل إلى الحوش، ويقتل أخويـه، فلمْ يفتحُوا لـهُ الخُدَام بَاب الحوش، فرجعَ إلى بيتِ أُمهِ، فاختفى فيهِ، هَذَا مَا كانَ منْ أَمرِ الملك الكامل شعبَان بَعدَ كسرته عند قبةِ الهواء[1].

وَأمَا مَا كـانَ مِنْ أَمرِ الأمرَاءِ الذّين وَثبُوا عَلـى السلطان، فأنهُم لمـا انكسرَ فمسكُوا الأمراء الذي[2] كـانُوا مـعَ السلطان، وهُم: أرغُون العلائـي، وَأَسندمُر الكاملي، وَقُطلوبُغَا الكركي، وَجوهر السّحرتي مُقدم المماليك، وكلِّ منْ كانَ معهُ منَ الأمرَاءِ وَالمماليك، ثُم طلعُوا إلى القلعةِ وَهُم رَاكبُون على خيُولهمْ إلى وسطِ الحَوش السُلطاني إلـى أنْ وَصَلُوا إلـى بَـابِ الستـارَة، فقـالُوا لِلخُدَام: "أَيـنَ بـن أُستَاذنا حَـاجي؟"، فقـالُوا لهُم الخدَام: [٦١/ب] "أَنـهُ مَحبُوسٌ فـي الدُهَيشـة هُوَ وَأخُوهُ سيّدي حُسين"، فدَخلُوا إلى الدُهيشـة، وَأخرجُوا حَاجي وَحُسين، وَبَاسُوا الأرض لحَاجي، وَقالُوا لهُ: "أنتَ سُلطاننَا".

ثُم إنهُم تطلبُوا الملك الكامل شعبَان فلم يجدوهُ فهجمُوا عليه في بيتِ أُمه، وكان بيت أُمه فوق القلعة عند دَار النيَابة، فلمْ يجدُوهُ في البيتِ، فمسكُوا الجوَار، وقصدُوا يوسَّطُوهُمْ، وَأَحضرُوا لهُم المُشاعِليَّة، فأَقرُوا عَليـه بأَنـهُ فـي بيـتِ الأَزيَار[3]، فهجمُوا عليه، فوَجدُوهُ وَاقفًا بينَ الأَزيَار، وَقدْ أبتلتْ أثوَابه بالمـاءِ، فمسكُوهُ وَمضُوا بهِ إلى الدُهيشة، فسجن في المكانِ الذي كـانَ فيـه أخويـه حَـاجي وحُسين، وَكانَ المُتولي أَمر ذلك الأَمير أَرغُون شاه، وَالأَمير مَلكتمر الحجَازي.

قالَ الشيخ صلاح الدِّين الصفدي في "تذكرتـه"[4]: حكـى لـي أسنبُغَا دوَادَار الأَمير أَرغُون شاه، قالَ: مَدّينَا السِمَاط على أنَ الملك الكامل شعبَان يَأكل منـهُ،

---

[1] في الأصل "الهوي"، وقد أوردها من قبل بالرسم الصحيح.
[2] كذا في الأصل، الصواب "الذين".
[3] الأزوار - الأزيـار: جمـع زارة، وهـي الأرض ذات المـاء والحلفـاء والقصـب. (لسـان العـرب ٣٣٦/٤).
[4] هو مجموع شعر وأدب وتراجم وأخبار، كبير جدا، جاء في تعليقات الميمني أن منه أحد عشر جزءا في مكتبة البساطي بالمدينة "رقم ١٦٥ - ١٧٥ أدب". لم يطبع. (انظر: الأعلام ٣١٦/٢).

ثُم جهّزنا إلى حَاجي وَحُسين شيئًا منَ الطعَام، وَهُمَا في السجنِ، فخرجَ حَاجي منَ السّجنِ، وَأكل السمَاط الذي صُنعَ لأخيهِ الملك الكامل، وَدخلَ الملك الكامل إلى السجنِ، وَأكل مَا كانَ صُنعَ لأَخيهِ حَاجي وَحُسين، فسُبحان القَادر عَلى كل شيء، وَهوَ الفعّال لما يُريد، وَقدْ قالَ القائلُ في المعنى:

لا تــأمننَّ الــدهر وهــو مســالم ... ســلس القيــاد فقــد يعــود مُحربَــا
وَاحــذر تقلبــهُ وَلا تعجــب لــهُ ... إنْ أَركــب الماشــي وَأَمشــى الرَاكبَــا[1]

وَقالَ بَعضهُمْ:

كــم حــاربتني شــدةٌ بجيشــها ... وضــاقَ صــدري مــن لقاهــا وانــزعج
حتــى إذا أيسْــتُ مــن خلاصــها ... جــاءتني الألطــافُ تســعى بــالفرج[2]

ثُم إن الملك الكامل أَقامَ محبُوسًا في مكانٍ في الدُهيشة ثلاثة أيَام، ثم إن أخَاهُ حَاجي أَرسلَ إليهِ أَربعةِ أنفس منَ السّلحدَاريّة، [٦٢/أ] وَأَمرهُم بقتلهِ، فَدَخلُوا عليه وَقتلُوهُ، وَهوَ في السجنِ فَمَاتَ في ليلةِ الخميس ثالث جُمادى الآخر سنةِ سبع وَأَربعين وسبعمَائة.

فكانتْ مُدّة سلطنتهُ بالدِيَارِ المصريّة سنة وَشهرين وَنصف.

وَكانَ أَشقر اللَّون، أَزرَق العينين، وَافر الأنف، مُجدَّر الوَجه، يَميل إلى الصُفرة، قبيّح الشكل وَالفعل، وَلمَا مَاتَ دُفن عَلى وَالدهِ في القُبةِ التي بينَ القصرين، وَفيهِ يَقُولُ الصلَاح الصفدي:

بَيــت قَــلَاوُن سَــعَادَاتهُ ... فِــي عَاجــلٍ كَانَــتْ بِــلَا أَجــل
حــل علــى أملاكــه للــردى ... ديــن قــد اسْــتَوْفَاهُ بالكامــل[3]

ثُم تولى من بَعدهِ أخوه حَاجي.

---

(١) بحر الكامل؛ البيتان لأحمد بن محمد النصيري. التقاط الزَّهر من نتائج الرحلة والسفر في أخبار القرن الحادي عشر، صـ١٩٠.
(٢) بحر الرجز؛ وجاء ذكر البيتين في فضائل وكرمات السيدة نفيسة، انظر: السيدة نفيسة صـ١٣٤.
(٣) بحر السريع؛ البيتان في: الوافي بالوفيات ١٦/٩٠- ٩١.

ذكر

سلطنة الملك المُظفر حَاجي

ابن الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن[1]

وَهوَ الثامنُ عشر منْ مُلُوك التُرك وَأوْلادِهم بالدِّيَارِ المصريّة؛ وَهوَ السَادسُ منْ أولادِ الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، وَكانَ مَولدهُ في سنةِ اثنتين وَثلاثين وسبعمَائة، وَكانَ أبُوهُ الملك النَاصر في الحجَاز، فَوَلدَ في طريقِ الحجَاز عندَ العَود، فسمَاهُ حَاجي.

فلمَا خُلعَ الملك الكامل تسلطنَ بعدَهُ في يَوم الإثنين مُستّهل جُمادِى الآخر سنةِ سبع وأربعين وسبعمائة، وَفيهِ يَقُولُ الشيخ جَمال الدّين ابن نبَاته المصري:

يَا إمام الوَري مَضى نصف عَامٍ[2] لمْ أنلْ فيهِ مِنْ وصولي رَبعُ[3]
سنة إنْ غفلتَ عنيَ فيهَا كسرتني وكيف لَا وَهيَ سبعُ[4]

فَلمَا تم أَمر الملك المُظفر حَاجي في السلطنةِ، أرَادَ أنْ يقبضَ على جَماعةٍ من الأمرَاءِ، فرسمَ لنقيب الجيُوش المنصُورة بأنْ يدُور عَلى الأمرَاءِ المقدمين، بأن يَطلعُوا إلى القلعةِ، بسببِ القصر.

فلمَا طلع الأمرَاء إلى القصرِ دخل عليهم بعدَ المغرب [٦٢/ب] جَماعة منَ المماليك السُلطانية، وَمسكُوا جَماعةِ منَ الأمرَاءِ، وهُم مُجتمعُون في القصر، فلمَا تقدمُوا إلى الأَمير أقسُنقر ليمسكُوهُ، فجرَّد سيفهُ، وَقصدَ نحو السلطان ليقتله، فمسكهُ الأَمير شجاع الدّين غرلُوا والأمير كجلي، وأخذوا سيفهُ منهُ، ثُمَ مسكوهُ وقبضُوا على الأَمير مَلكتمر الحجَازي، وَالأَمير قرَابُغَا القَاسمي، وَالأَمير أيتمش عبد الغني، وَصُمغَار، وَكانتْ سَاعة تشيب منهَا النوَاصي، ثُم

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٥١٣- ٥١٩؛ جواهر السلوك ١٨٨- ١٩٠.
[2] في ديوان ابن نباته ٣١٨: "يا إمام التقى مضى ربع عامٍ".
[3] في ديوان ابن نباته ٣١٨: "من وصولي ولم يصل ليَ ربع".
[4] بحر الخفيف.

أَمرَ السلطان بتقييّدهم، وَأَرسلهُم إلى السجنِ بثغر الإسكندرية، وَهُم: بزلَار العُمري، وَصُمغار، وَقرَابُغَا القَاسمي، وأيتمش عبد الغني.

وَأمَا الأَمير آقسُنقر وَالأَمير مَلكتمر الحجَازي فرسمَ السلطان بأنْ يُحبسُوا في مَكانٍ في الحوش السُلطاني، فَلمَا حُبسُوا فقضى الله أمرهُ فيهمْ في تلك الليلةِ، فخنقُوا تحت اللّيل وَدُفنُوا.

وَكانَ الأَمير آقسُنقر وَالأمير مَلكتمر الحجَازي سببًا لسلطنةِ الملك المُظفر حَاجي، فلمَا تسلطنَ جرى عليهُما منهُ مَا جرى، وَكانَ هذَا بخلَافِ الظن، وَقدْ قَالَ القائل في المعنى:

رُبَّما يَرْجُو الفَتَى نَفْعِ فَتَىً ... خَوْفهُ أَوْلَى بِهِ مِن أَمَلِهْ
ربَّ مَن تَرْجُو بِهِ دَفْعَ أَذَىً ... سَوفَ يَأتِيكَ الأذَى مِن قِبَلِهْ[1]

ثُم عمل السلطان الموكب، وَأخلعَ في ذلك اليَوم عَلى خمسةِ عشر أَميرًا، مَا بينَ مُقدم ألف وَطبلخَانَاة.

وَفيهَا: جاءت الأخبَار بأنَ يَلبُغَا اليحيَاوي نَائب الشام هربَ، ثُم مُسك وَسُجنَ، ثُمَ قُطعتْ [رَأسهُ][2]، وَأحضرتْ إلى القَاهرةِ، وَعُلقتْ على بَابِ زُويلة.

وَفيَها: قبضَ السلطان عَلى الأَمير شُجاع الدّين غُرلُوا وَسَجنهُ، ثُم أَمرَ بقتلهِ فقُتلَ وَدُفن، فنبشُوا العوَام قبرَهُ، وَأخذُوا كفنهُ، فلمَا بلغَ السلطان ذلك فرسمَ لوالى القَاهرة بأنْ يقبضَ عَلى مَنْ فعلَ ذلك، فقبضُوا عَلى جَماعةٍ من العوَام، وَضربُوهمْ بالمقَارع، وَقطعُوا [٦٣/أ] أيدهمْ وَطَافُوا بهمْ في القَاهرةِ.

وَفيهَا: في يَومِ الأربعاء ثَامِنْ شهر رمضَان وصلَ منَ الشام مَال منْ موجُودِ يَلبُغَا اليحيَاوي نَائب الشام، فلمَا دَخلَ إلى الحزَائن الشريفة فأنفقهُ السلطان جميعهُ عَلى غلمان طيُور الحمَام.

وَكانَ الملك المُظفر حَاجي مُولعًا بحبِّ اللّعب بالحمَام، حتى خرجَ في ذلك عن الحدّ، وَعملَ لِلحمَام خلَاخيل ذهب في أَرجلهمْ، وَألوَاح ذهب في أَعنَاقهمْ، وَصنعَ لهُم مقَاصير خشب مُطعمة.

---

[1] بحر الرمل؛ البيتان لجريح المقل. انظر: يتيمة الدهر ٥٨/٥.
[2] جاءت في الهامش بخط المؤلف، ولم يشر إليها، ولكن تم إضافتها في هذا الموضع لمناسبة السياق.

فقالَ الشيخ شهَاب الدِّين ابن أبي حَجلة في تَرجمتهِ للمُظفر حَاجي: "وَقدْ اشتغلَ بلعب الطيُور عن تدبير الأُمور، وَالتَهي[1] عن الأحكام، بالنظر للحمَام، فجعلَ السُطُوح دَارهُ، والشمس سرَاجهُ، والبُرج منَارهُ، وَأطاعَ سُلطان هوَاهُ، وَخَالف منْ نهَاهُ، وَصَارَ لا يَعرف في ذلك الهزل منَ الجدّ، وخرجَ في الأُمورِ عن الحدّ، وصَارَ لا يبات في القصر عندَ الأمرَاء في ليَالي المواكب إلا قليل، وَاستخف بالأمرَاءِ منْ حقيرٍ وَجليل، فصَارَ نهارهُ عندَ الحمَام، وليلهُ عند الجوَار ينَام".

فلمَا بلغَ الأمرَاء أنَ السلطان أنفقَ المال الذي وصلَ من موجُود نَائب الشام عَلى غلمان الحمَامِ، وكانَ نحو خمسين ألف دينَار، فشقَ ذلك عَلى الأمرَاءِ وَعزَّ عليهم.

فلمَا حضرَ الأمير جبغَا من السفر، فذَكرُوا لهُ الأمرَاء مَا وقعَ منَ السلطان منَ هذهِ الأُمور، فدَخلَ الأَمير جبغَا على السلطان وقت الظهر، وَذكرَ لهُ مَا قالُوهُ الأمرَاء، وَعنَّفَ السلطان في هذهِ الأُمور الذي يفعلهَا، وقَالَ لهُ: "إنَ الأمرَاء وَالعسكر قدْ خَامرُوا على السلطان بسبب ذلك"، فأغتَاظَ السُلطان، وَرَسمَ بذبح الحمَام الذي عندهُ أَجمعين، وَخربَ تلك المقَاصير، وَرَسمَ للخُدِّام بأنَ أحدًا منهُمْ لا يَخلي عندهُ شيءٌ من الحمَام، ثُم أَرسلَ إلى الأَمير جبغَا يَقُولُ لهُ: "أني قد ذبحتُ الحمَام التي عندي كلهُمْ، وَأنَا إن شاء الله تعالى، أذبح في هذَا القُرب [٦٣/ب] خيَاركم كما ذبحتُ الحمَام".

فلمَا سمع الجبغَا ذلك قَامَ من وَقتهِ، وَدَخلَ إلى نَائب السلطنة، وَأَعملهُ بمَا قالهُ السُلطان، وكذلك أَعلمَ الأَمير بيبُغَا أُروس بذلك، فاتفقُوا كلهُم عَلى الوَثوبِ عليه، قالَ الشيخُ صلَاح الدّين الصفدي:

أيهَا العَاقلُ اللّبيب تفكرْ ... في المليك المُظفر الضِّرغَامِ
قدْ تمَادَى في البغي وَالغيِّ حتى ... كانَ لَعْبَ الحَمَام جِدَّ الحَمَامِ[2]

فلمَا كانَ يَوم الأحد ثاني عشر شهر رمضَان لبسُوا الأمرَاء آلةِ الحرب، وَخرجُوا إلى قُبةِ النصر، فلمَا بلغَ السلطان ذلك رسمَ بشدِّ الخيُول، وَدَقتْ الكوسَات حربي، وَركبَ السلطان هُوَ وَمَماليكه، وَخرجَ مِن بَابِ الأَسطبل

---

[1] كذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٥١٦/١/١؛ وفي جواهر السلوك ١٨٩: "النهي".
[2] بحر الخفيف؛ البيتان في: أعيان العصر ١٨٠/٢. الوافي بالوفيات ١٨٤/١١.

السُلطاني ومعهُ بعض مَماليك، وَمُقدّمهُم عنبر السَحرتي، ثم إن السلطان مَشى إلى بينِ التُرب بمنْ معهُ منَ المماليك.

ثُم طلبَ الأَمير شيخُوا العُمري وَبعثهُ إلى الأمرَاء الذي[1] في قبةِ النصر، وقَالَ لهُم: "إيش قصدَكُم حتى نعرف"، فمضى الأَمير شيخُوا بهذهِ الرسَالة إلى الأمرَاءِ، فقَالُوا لهُ: "امضِ إليه، وَقُل لهُ ينزل عن الملك، ويكُف هذَا القتَال".

فلمَا رَدّ شيخُوا هذا الجوَاب عَلى السُلطان؛ فأغتاظ، وَقالَ: "لَا أنزل عن المُلك، وَمَا عندي إلا السيف"، فرجع شيخُوا بهذَا الجوَاب، ثم زحف الأمراء الذي[2] في قُبة النصر عَلى السُلطان، وَجاء الأَمير يببُغَا أُروس من وراء الجبلِ، وَضربُوا عَلى السلطان يزك، فلمَا رأى ذلك منْ كانَ مع السُلطان، فصَارُوا يَتسحَّبُون مِنْ حولهِ قليلًا قليلًا.

فتقدَمَ إليهِ الأَمير بيبُغَا أُروس، وَحملَ عَلى السلطان فضرَبهُ السلطان بطيرٍ كانَ معهُ فلمْ يؤثر فيهِ، ثُمَ نزل بيبُغَا أُروس عن فرسهِ وَمسك لجام فرس السُلطان، وتكاثرُوا عليه المماليك، فقلعُوهُ منْ سرجهِ، فقبضَ عليهِ الأَمير بيبُغَا أُروس، وَأخذهُ وَهوَ مَاشي مكشُوف الرَأس، وَمضى [٦٤/أ] بهِ إلى عند الأمرَاء، فلمَا وَقفَ بينَ يدي الأَمير أرُقطاَي نائب السلطنة، نَزلَ أرُقطاَي عن فرسهِ، وَأَرمى عَلى الملك المُظفر قباءهُ، وقَالَ: "أعُوذ باللهِ أنْ أقتلَ سُلطان بن سُلطان، امضُوا به إلى القلعة، فأَسجنُوهُ بهَا"، فأخذهُ الأَمير بيبُغَا أُروس، ومضى بهِ إلى تُربةٍ في البَابِ المحرُوق فخنقهُ هُناك، وَدُفنَ مِنْ وَقتهِ، وَمَاتَ ولهُ منَ العُمر نحو عشرين سنة.

فكانتْ مُدّة سلطنتهُ بالدِيَارِ المصريّة سنة وَثَلاثةٍ أشهر وَثمانية عشر يَومًا.

وَكانَ الملك المُظفر حَاجي شُجاعًا مِقدَامًا جرّيًا، سفَاكًا للدِّماء قَتل جَماعة كثيرة منَ الأمرَاءِ في أيَامهِ، وكانَ كثير المُصادِرَات لِلرعيّة وغيرهم، وَفيهِ يَقُولُ الصلَاح الصفدي:

---

[1] كذا في الأصل، الصواب "الذين".
[2] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

حَـــــان[1] الـــــرَّدَى للمظفّـــــر وَفِـــي الثّـــرى قـــدْ[2] تعفّـــرْ
كَـــمْ قـــدْ أبَـــادَ أَمِيـــرًا عَلـــى الْمَعَـــالِي تـــوَفّرْ
وَقَاتـــل الـــنّفس ظَلمًـــا ذَنُوبُـــهُ مَـــا تُكَفّـــرْ[3]

وَلمَا قُتلَ المُظفر حَاجي طلع الأمراء إلى القلعةِ، واشتورُوا فيمنْ يُسلطنُون، فمنهُمْ من يَقُولُ: "نُسلطن سيّدى حُسين"، ومنهُمْ منْ يَقُولُ "لَا، معَي مَا تسلطنَ حُسين يقتُلنَا عن آخرنَا"، وَكثر القَال وَالقيل بينَ الأمرَاء، وَأقامتْ القَاهرة بغير سُلطان يَومين، وَالناس يَدعُون إلى الله تعالى بإصلَاح أَحوَال المُسلمين.

ثُم في اليَوم الثالث وَقعَ الاختيَار بين الأمراء عَلى أنْ يُولُوا سيّدي حسن بن الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، فطلبُوهُ منَ دُور الحرم، وَسلطنُوهُ بعدّ خُلف كثير.

---

[1] في الوافي بالوفيات١١/١٨٤ وأعيان العصر ٢/١٧٩: "خَان".
[2] هكذا في أعيان العصر ٢/١٧٩؛ وفي الوافي بالوفيات ١١/١٨٤: "التُّراب".
[3] بحر المجتث.

ذكر

سلطنة الملك النَاصر أبي المحَاسن حَسن

ابن الملك النَاصر محمد ابن الملك المنصُور قلَاوُن(١)

وَهوَ التَاسعُ عشر من مُلُوك التُرك وَأوْلادِهمْ بالدِّيَارِ المصريّة؛ وَهوَ السَابع منْ أوْلادِ النَاصر محمد بن قلَاوُن [٦٤/ب] تَولى الملك وَلهُ منَ العُمر ثلاث عشرة سنة، وَكانَ مَولدهُ في سنةِ ست وَثلاثين وسبعمَائة.

تسلطن بعد قتل المُظفر حَاجي، في يَومِ الثلاثاء رَابع عشر شهر رَمضَان سنةِ ثمان وَأَربعين وسبعمَائة، فأَركبُوهُ مِنْ بَابِ الستَارة إلى الأَيوَان، وَهوَ بخلعةِ السلطنة، قيلَ: كانَ اسم السلطان حَسن قماري، فلمَا أرَادوا أنَ يُسلطنُوهُ، فقَالَ للأمراءِ: "أنَا مَا اسمى إلّا حَسن"، فقَال الأمراءُ: "عَلى بركةِ الله"، فَلمَا سلطنُوهُ دَقت الكوسَاتْ، وَنُودي باسمهِ في القَاهرةِ، وَضج النَاسُ لهُ الدُعاء.

فَلمَا جَلسَ على سرير المُلك، وَتَم أَمرهُ في السلطنةِ، أخلعَ على الأَمير بيبُغَا أُروس واستقر بهِ نَائب السلطنة بمصر عُوضًا عنْ أَرُقطاي؛ وَأخلعَ عَلى أرُقطاي واستقر نَائب حَلب؛ وَأخلعَ عَلى الأَمير أَرغُون شاه واستقر بهِ نَائب الشام؛ وَأخلعَ عَلى الأَمير منجك اليُوسفي واستقر بهِ وَزيرًا وَأستَادَرًا؛ وَأخلعَ على جَماعةٍ كثيرة مِنَ الأمرَاءِ، واستقر كلِّ وَاحدٍ منهُمْ في وَظيفةٍ منَ الوَظائف، وَفرَّقَ الإقطاعَات عَلى المماليك السُلطانيّة، وَأَرضى سَائر الرَعيّة.

ثُم دَخلت سنةِ تسع وَأربعين وسبعمَائة، فيها: رَكب الأمراء وَنَزلُوا إلى بحر النيل، وكانَ قدْ نشف ممَا يلي برّ مصر، فأتفقَ رأي الأمرَاء عَلى أنْ يسُدُّوا البحر ممَا يلي برّ الجيزة، فرَسم الأمراء للأَمير منجك اليُوسفي الوَزير بأنْ يتولى أَمر ذلك، فأَرمى عَلى كلِّ دُكانٍ بمصر وَالقَاهرةِ دِرهمين، وَكتبُوا مرَاسيم شريفة إلى الولاةِ والكُشاف، بأن يَأخذُوا على كلِّ نخلة في البلَادِ دِرهم، فجُمع من ذلك أَموَالًا عظيمة.

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٥١٩- ٥٣٨؛ جواهر السلوك ١٩١- ١٩٣.

فأخذ الأَمير منجك ذلك المال، وَاشترى منهُ مرَاكب، ومَلاهُم حجَارة وطين وَأَخشاب، وَغرَّقهمْ في بحرِ الجيزة، فلمْ يُفدْ من ذلك أشياء، فغضب الأمرَاء عَلى منجك وَمسكُوهُ؛ بسبب ذلك أنهُ جمع منَ البلَادِ ومن القَاهرة مالًا جزيلًا، وَضيّعهُ في البطالِ، [٦٥/أ] وَلمْ يَحصل بذلك نفع لِلمُسلمين[١].

وَفيهَا: أخلعَ عَلى الأَمير جَبغَا واستقر نَائب طرَابُلس؛ وأخلعَ عَلى الأَمير أحمد شاد الشربخَانَاه واستقر نَائب صفد.

وَفيهَا: كانَ الفنَاء الذي أفنَى العبَاد، وَأَخربَ البلَادَ، وكانَ هذَا الطَاعُون عامًا في سَائر الأرض، حتى قيلَ: كانَ يخرج منَ القَاهرةِ في كلِّ يَوم أكثر منْ عشرين ألف جنَازة، وَأَحصَى بعض النَاس مَا يخرج من أَبوَابِ القَاهرةِ من الجنَائز، فبلغَ عِدّتهم في شهر شعبَان وَرَمضَان تسعمَائة ألف إنسَان، وَلم يُسمع بمثلِ هذَا الطَاعُون، فيمَا تقدم.

فإنَ الطوَاعين المشهورة في الإسلَامِ خمسة[٢]، وَهُم: طَاعُون شيرُويّه[٣].

وَطَاعُون عموَاس[٤]: كانَ في زمن عُمر بن الخطاب فوَقعَ بالبلادِ الشاميّة.

وَالطَاعُون الجارَف: كانَ في زمن عبد الله بن الزُبير في سنةِ سبع وستين منَ الهجرةِ، فقيل: مَاتَ فيه في ثلاثة أيَام في كلِّ يَوم سبعين ألفًا، وَقيلَ: مَاتَ فيهِ لأنس بن مالك رَضى الله عنهُ، ثلاثة وثمانُون وَلدًا، وَقيلَ: ثلاثة وسبعُون وَلدًا في ثلاثةِ أيَام، وَقيلَ: رُزق منِ صُلبهِ مَائة وَلد.

وَطاعُون الفُتيات، قيلَ: أنهُ ابتدأ بالعذَاري وَالجوَاري، وكانَ قُوَّة عمله بالبصرَة وَوَاسط، وَمشى إلى البلادِ الشاميّة.

وَطَاعُون جاء في سنةِ إحدى وَثلاثين وَمائة، فماتَ فيه ألف ألف وستمائة ألف وخمسُون ألف إنسان، وَمَاتَ فيه المُغيرة بن شعبة.

---

[١] بدائع الزهور ١/١/٥٢١-٥٢٢: الخبر في أحداث سنة ٧٤٨هـ.

[٢] في بدائع الزهور ١/١/٥٢١-٥٢٢: نقل الخبر عن الذهبي في تاريخه، والذهبي نقله عن المدائني، وبالبحث لم نجد الخبر عند الذهبي، وفي المصادر: نجد خبر أبو الحسن المدائني، وهو راوية ومؤرخ. (انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ١٠٦/١؛ بهجة النفوس والأسرار، المرجاني، ٢٣٥/١؛ فتح القريب المجيب ٧٠٨/٦).

[٣] بدائع الزهور ١/١/٥٢٨: وقع في المدائن ببلاد الفرس.

[٤] عِمَوَاسُ: رواه الزمخشري بكسر أوله، وسكون الثاني، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه، وآخره سين مهملة: وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس. (معجم البلدان ١٥٧/٤).

فهذهِ الخمسة طوَاعين المشهورة التي جاءت في صدرِ الإسلام؛ ولكن لمْ يُسمع بمثل هذَا الطاعُون الذي جاء في سنةِ تسع وَأربعين وسبعمَائة لأنهُ عمّ البلَاد قَاطبة، وَمَاتَ فيهِ منَ النَاسِ مَا لا يُحصى عَدَدَهُمْ من مُسلمٍ وَكافر.

وَكانَ قُوَّة عمله في بلادِ الفرنج؛ وَأقَامَ دَائرًا في الأَرض مُدّةِ سنين[1] حتى [٦٥/ب] عُدِمتْ جميع البضَائع، لِقلّةِ الجُلَّاب، وَبَلغتْ الرَاوية الماء أكثر من عشرةٍ درَاهم، وبلغَ طحينِ الأَردب الدّقيق خمسة عشر درهمًا، وجَاء عقيب ذلك الفناء غلاء عظيم، حتى أُبيع فيهِ كلِّ وئيةِ قمح بمَائتين درهم.

وكانَ هذَا الطَاعُون قد زَادَ على مَا قبلهِ منَ الطوَاعين، لأنهُ وقعَ أيضًا في القِططِ وَالكلَاب، حتى في الطيُور وَالوحُوش، وَلقدْ شَاهدُوا منهُمْ أشياء كثيرة، وَهيَ مَطرُوحة في البرَاري، وَتحت إبَاطِهَا الطوَاعين، وكذلك الخيل وَالحمير وَالبهَائم، وفي ذلك يَقُول الصّلاح الصّفدي:

لمــــا افترســـتَ صَـــحَابِي ... يَـــا عَـــام تســـعَ وَأربعينـــا
مَـــا كنـــتُ وَالله تســـعًا ... بَـــلْ كنـــتَ ســـبعًا يَقينًـــا[2]

وَقولهُ أيضًا:

لَا تثـــق بِالْحَيَـــاةِ طرفَـــة عـــينٍ ... فِـــي زمَـــانٍ طاعُونـــه مُســـتَطِيرُ
فَكَـــأَن الْقُبُـــور شـــعلة شـــمع ... والبرايـــا لَهَـــا فـــرَاشٌ تطيـــرُ[3]

وَقَالَ المعمَار:

قَـــبحَ الطّـــاعُون دَاءً ... فقَـــدَتْ فِيـــهِ الْأَحِبَّـــة
بِيعـــت الأَنفـــس فيـــهِ ... كـــلِّ إنسَـــانٍ بِحبّـــةْ[4]

وَقالَ الشيخُ زين الدّين ابن الوردي، رَحَمهُ الله عليه:

يَقُولُـونَ شُـمَّ الخَـلّ فـي زَمـنِ الوَبَـا ... وَفَاقَـا لمَـا قَـالَ الأَطبَـاءُ يَـا خِلّـي
فـإنْ قَلتُ للطاعُونِ تسطُو عَلى الوَرَى ... يَقُولُ نَعم... أَسطُو وَأنفك في الخَـلّ[5]

وَقَالَ الشيخُ صلاح الدّين الصَّفدي أيضًا، رَحمهُ الله تعالي:

---

[1] في بدائع الزهور ٥٣٠/١/١: "٧ سنين".

[2] بحر المجتث؛ البيتان في: أعيان العصر ٥١٩/٣ والسلوك ٩١/٤.

[3] بحر الخفيف؛ البيتان في: السلوك لمعرفة دول الملوك ٩٣/٤.

[4] بحر مجزوء الرمل؛ البيتان في: النجوم الزاهرة ٢١٢/١٠. نيل الأمل في ذيل الدول ١٧٧/١. وجاء البيت الأول فقط في: السلوك لمعرفة دول الملوك ٩٣/٤.

[5] بحر الطويل.

دَارتْ مِـنَ الطَّـاعُونِ كـأسُ الفنَـا فـالنفسُ مِـنْ سـكرتِهِ طافحـة
قـدْ خـالف الشـرع وَأحكامَـهُ لأنَّـهُ يَثبـتُ بالرَّائحـة[1]

ثُمَ دخلت سنةِ خمسين وسبعمَائة، فيها: جاءت الأَخبَار بأنَّ أَرغُون شاه نَائب الشام قُتلَ في الليل؛ وسبب ذلك أنَ الأَمير [٦٦/أ] جبغَا نَائب طرَابُلس دَخلَ إلى دمشق في طائفةٍ منَ الأمرَاءِ وَالمماليك، وكانَ أَرغُون شاه نَائب الشام مُقيمًا بالقصرِ الأبلق الذي بالشام، هُوَ وَعيَالهُ، فدَخلَ عليه الجبغَا وَهوَ نائمٌ، وَقبضَ عليه وَقيدَّهُ، وسجنهُ.

فلمَا أصبحَ الصبَاح اجتمع أمراء دمشق، وَقَالُوا للجبغَا "لايشٍ فعلتَ هذَا"، فأَخرجَ لهُمْ كتاب السلطان بمسك أَرغُون شاه، فعندَ ذلك سكتُوا، ثم إن الجبغَا أَحتَاط على مَوجُود أَرغُون شاه جميعهُ.

فلمَا كانَ ثاني ليلة وَهيَ ليلة الجُمعة رَابع عشرين ربيع الأول[2] وَجدُوا أَرغُون شاه مَذبُوحًا، وَهوَ في السجنِ، فأَثبتَ الجبغَا مَحضرًا، بأنَ أَرغُون شاه ذبحَ نفسهُ بيده.

فعندَ ذلك وَقعَ بينَ جيش دمشق وَبينَ الجبغَا بسبب ذلك، فركبُوا على الجبغَا، وَأنكرُوا عليه في الكتابِ الذي كانَ معهُ مِنْ عندِ السُلطان، وكانَ الجبغَا أظهرَ كتاب السلطان بقتلِ أَرغُون شاه، فَتَحاربُوا هُم وَالجبغَا، ثم إن الجبغَا أَخذَ ما أَحتاطَ عليهِ منْ مَوجُود أَرغُون شاه من أموَالٍ وَخيُولٍ وغير ذلك، وَتوجَّه إلى نحو المزّة[3]، فلم يتبعهُ أحد من عسكر الشام، وَخَافُوا عُقَبا ذلك، ثُم رحلَ الجبغَا إلى طرَابُلس.

ثم إن أمراء دمشق كاتبُوا السُلطان بمَا جرى منَ الجبغَا في حق نَائب الشَام، وَأرسلُوا ذلك الكتاب عَلى يدِّ بريدي، فتوجّه إلى القَاهرةِ، فلمَا بلغَ السلطان أنكرَهُ، وَعَاد الجوَاب مع البريدي، بأنَ ليسَ عندَ السلطان من ذلك علم بمَا وَقعَ منَ الجبغَا، وَأنَ الكتاب الذي أظهرهُ الجبغَا مُفتعل عن السُلطان.

ثم رَسم السلطان لِعسكر دمشق بأنْ يَمشُوا عَلى الجبغَا حيث كانَ وَيقتلُوهُ، فعند ذلك خرجُوا إليهِ عسَاكر دمشق في العشرِ الأول من ربيع الآخر، وَلا زالُوا

---

(1) بحر السريع.
(2) بدائع الزهور ٥٣٤/١/١: "٢٤ رجب".
(3) وهي قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق. (معجم البلدان ١٢٢/٥).

خلفهُ [٦٦/ب] حتى قبضُوا عليه، وَعلى منْ كانَ معهُ منْ أمراء طرَابُلس، وَدخلُوا بهمْ إلى الشام، وكانَ يَومًا مشهُودًا بدمشق، ثم إن عسكر دِمشق وَسَّطُوا الجبَغَا وَايَان الحاجب في سُوق الخيل بدمشق، وَعُلقَا على الخشبِ فمكثَا أيَامًا ثم أُنزلَا وَدُفنَا.

ثُم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمَائة، فيها: أخرجَ السلطان تجرّيدَة إلى البلَادِ الشَاميّة وَالحلبيّة، فظفرُوا بشخصٍ منَ التتَارِ يُسمى ابن هندُوا، وَكانَ قدْ ملك مدينةِ سِنجَار[1]، فحَاصرُوهُ، فطلبَ منهُم الأمَان، ثُم رجعَ العسكر وَهُم سَالمُون.

وَفيهَا: رُشِدَّ الملك النَاصر حسن، وَقبضَ على جَماعةٍ منَ الأمرَاءِ، منهُم: بيبغَا أُورس، وَمنجك اليُوسفي.

وَفيهَا: كانتْ وقعة بمكة في منى بينَ الأمير طاز وَبينَ الملك المُجاهد صَاحب اليمن، فأنهُ حجّ في تلك السنة، فحصل بينهُ وبين الأَمير طاز وقعة صعبّة، فانكسر الملك المُجاهد، وَقبضَ عليه الأَمير طاز وَقيَّدهُ، وَأحضرَهُ صُحبتهُ إلى الأَبوَابِ الشريفة.

ثُم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمَائة، فيها: قدَمَ الأَمير طاز منَ الحجَازِ الشريفِ، وَصُحبتهُ الملك المُجاهد صَاحب اليمن، فلمَا حضرَ بين يدي السلطان أَطلقهُ، وَرسمَ لهُ بالعَود إلى بلَادهِ، وَأَرسل معهُ الأمير قشتمر المنصُوري، فلمَا توجّه صُحبتهُ إلى الينبع[2]، فأرَادَ الملك المُجاهد أنْ يَهربَ من هُناك، فقبض عليه الأَمير قشتمر وَرَجع بهِ إلى القَاهرةِ، فقُيِّد وَأُرسلَ إلى السجن بقلعةِ الكرك.

وَفيهَا: في يوم الأحد سَابع عشر جَمادى الآخر وَثب الأَمرَاء عَلى السلطان الملك النَاصر حسن، وَلبسُوا آلة الحرب، وَطلعُوا إلى الرّملة، وَوَقفُوا تحت القلعة، وَهُم: الأمير طاز، وَالأمير بيبُغَا الشمسي، وَالأمَير بيغرَا [٦٧: أ] النَاصري، فدَكزَ الأَمير طاز وَطلعَ إلى القلعةِ، وَهوَ رَاكبٌ، وَمعهُ بعض أُمراء، فقبض عَلى السلطان حسن، وَسَجنهُ بالقلعةِ دَاخل دُور الحرم، فأقَامَ بهَا إلى حين عَودَته إلى السلطنة، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعهِ.

---

[1] مَدِينَة سِنْجار وَهِي مَدِينَة مَشْهُورَة فِي الجزيرة وَهِي من الْعرَاق الْيَوْم. (انظر: مجاني الأدب في حدائق العرب، ١/٢٠٥).

[2] من عمل المدينة. (انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٤٩).

فكانتْ مُدّة الملك النَاصر حسن في السلطنةِ بالدِّيَارِ المصريّة ثلاث سنين وتسعة أَشهر، وَهيَ السلطنةُ الأولى، ثُمَ تولى مِنْ بَعدِهِ أخيهِ صَالح.

ذكر

سلطنة الملك الصَالح صلَاح الدّين صالح

ابن الملك النَاصر محمد ابن الملك المنصُور قلَاوُن[1]

وَهوَ العشرُون منْ مُلُوك التُرك وَأوْلادِهمْ بالدِّيَارِ المصريّة؛ وَهوَ الثامنُ منْ أوْلادِ الملك النَاصر محمد بن قلَاون، وكانَ مَولده بقلعةِ الجبل في شهر رَبيع الأول سنةِ ثمان وثلاثين وسبعمَائة، وَأُمهُ خوند قطلوُ مَلك بنت الأَمير تنكز نَائب الشام؛ تَولى المملكة بعدَ خلع أخيه النَاصر حسن في يَوم الإثنين ثَامن جَمادى الآخر سنةِ اثنتين وَخمسين وسبعمَائة.

فلمَا جلسَ عَلى سرير الملك، وتمَ أَمرهُ في السلطنةِ، فصَارَ الأَمير طاز صَاحب الحلّ وَالعقد، وَليسَ لِلملك الصَالح معهُ سوى مُجرد الاسم فقط.

فوَقع الخُلف بينَ الأَمراء، فوَثبَ الأَمير منكلى بُغَا الفخري وَالأَمير مُغلطاي عَلى الأَمير طاز، فلمَا ركبُوا توجهُوا إلى قُبةِ النصر، فعندَ ذلك ركب السلطان الملك الصَالح، وَنزلَ منَ القلعةِ ومعهُ الأَمير طاز وجَماعة منَ الأمرَاء وَالخَاصكيّة.

وَنَادى في القَاهرة لِلعوَام أى مَنْ وَجُدوهُ من مَماليك منكلي بُغَا الفخري، وَمُغلطاي يَقتلُوهُ فقُتلَ في ذلك اليَوم جَماعة كثيرة منَ المماليك.

ثم زحفَ [٦٧/ب] السلطان وَالأَمير طَاز إلى نحو الأَمرَاء، فتقاتلُوا[2] عندَ خليجَ الزعفرَان، فوَقعَ بينهُمْ وَقعة عظيمة، فانكسرَ الأَمير منكلي بُغَا الفخري وَمُغلطاي، وَمُسكَا في ذلك اليَوم، فحُبسَا في خزَانةِ شمايل، وَرجعَ السلطان وَالأَمير طاز إلى القلعةِ.

ثُم إنَ السلطان أَرسلَ بالإفرَاج عن الأَمير شيخُوا العُمري، وَالأَمير منجك اليُوسفي، فأُحضرُوا من ثغرِ الإسكندرية، وَطلعُوا إلى القلعةِ، فأنعمْ عَلى شيخُوا

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٥٣٨- ٥٥٣؛ جواهر السلوك ١٩٣- ١٩٧.

[2] في الأصل (فتقاتلوا).

بتقدمة ألف، وكذلك أُروس، وَكانَ في السجنِ بالكرك، فلمَا حَضر أُخلعَ عليه واستقر نَائب حلب؛ وَأُخلعَ عَلى الأمير أَرغُون الكاملي واستقر نَائب الشَام.

ثُم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمَائة، فيها: جاءت الأخبَار بأنَ بيبُغَا أروس نَائب حلب خرجَ عن الطاعةِ، وكذلك بكلمش نَائب طرَابُلس؛ وَكذلك الأَمير أحمد نَائب حماة؛ وكذلك ألطنبُغَا بُرنَاق نَائب صَفد؛ فأَرسلَ أَرغُون الكاملي نَائب الشام يَخبر السلطان وَالأمير طاز بمَا وَقعَ منَ النُواب.

ثُمَ جاءت الأخبَار من بعدِ ذلك بأنَ بيبُغَا أُروس وَصلَ إلى دمشق بمن معهُ منَ العسَاكر الحلبيّة، فلمَا بلغَ نَائب الشام ذلك خرج من الشام، وترك بالشَامِ نَائب غيبه، وَأَقَامَ هُوَ بغزّة، فلمَا وَصلَ بيبُغَا أُروس إلى دمشق دَخلهَا، وَوَقفَ بسُوق الخيل وَمعهُ منْ تقدم ذكرهُ منَ النُواب وَالعسكر، فاستعرَض هُناك العسكر الشامي وَالعسكر الحلبي، فكانَ مَعهُ منَ النُواب وَالأمرَاء نحو ستين أميرًا غيرَ العسَاكر.

فلمَا فرغَ منَ العرضِ نزلَ عندَ قُبة [٦٨/أ] يَلبُغَا، وَأَرسلَ إلى نَائب قَلعةِ دمشق، وَهوَ الأمير أَيَاجي، يَطلب منهُ أميرًا كانَ مَسجُونًا بقلعةِ دمشق، فأَرسلَ إليهِ الأَمير أَيَاجي يَعتذر بأن هذَا المسجُون سُجنَ بأَمرِ السلطان، وَلا يقدر عَلىّ إطلَاقهِ، ثم إن النَائب حَصَّنَ قلعة دمشق تحصينًا عظيم، وَأرسلَ يَقُول لأهلِ البلد: "لَا تفتحُوا دكاكينكمُ وَلا تبيعُوا شيئًا عَلى عسكر حلب".

فعندَ ذلك اشتدَّ غضب الأَمير بيبُغَا أُروس عَلى أَهل دمشق، وَأَمرَ عسكره بأنْ يَنهبُوا القرى التي حول دمشق، وَالبسَاتين، ويقطعُوا الأشجار، فمَا أبقُوا في ذلك مُمكن حتى نَهبُوا البنَات وَالنساء، وجرى عَلى أَهل دمشق منْ عسكر بيبُغَا مَا لا جرى عليهمْ منْ عسكرِ غَازَان لمَا قدَمَ إلى دمشق.

فَلما جاءت الأخبَار بذلك رَسمَ للعسكر بأنْ يَتجهزُوا للسفر، وَعَلقَ الجَاليش، ثم إن السلطان عيّن الأَمير عُمر شاه، وَهوَ صَاحبُ القنطرَة، وَالأَمير محمد بن بكتمر السَاقي، وَالأَمير قماري الحموي، بأنْ يَخرجُوا قبل خُروج السُلطان، فتوجهُوا إلى ناحية الصّيد لحفظ البلاد منْ فسَادِ العُربَان.

ثُم خرجَ السلطان الملك الصَالح صَالح إلى نحو البلاد الشّاميّة، وَصُحبته منْ يذكر منَ الأَمراء، وَهُمْ: الأَمير طاز، وَالأَمير شيخُوا، وَالأَمير صُرغتمش، وَالأَمير أَسندمُر العُمري، وَأَخُوهُ طاز، وَجردمُر، وَقرَابُغَا، وَبتخَاص، وَقجَا

السّلحدَار، وَطشتمر القَاسمي، وَسُنقر المحمدي، وَقُطلوبُغَا الذّهبي، وَبقية الأمرَاء المُقدّمين، وَكانَ معهُ منَ الأمراء الطبلخَانَاة وَالعشرَاوَات، نحو منْ ثمانين أَميرًا.

ثم إن السلطان ترك بالقَاهرةِ الأمير قبلاي نَائب السلطنة لِصونِ المدينة، وَخرجَ السلطان منَ القاهرة في يَوم الثلاثاء سَابع [٦٨/ب] شهر شعبَان سنة ثلاث وَخمسين وسبعمَائة، وَكانَ صُحبتهُ الخليفة المُعتضد باللهِ أبو بكر وَالقُضاة الأَربعة، فوَصل الملك الصَالح إلى دمشق في مُستهل شهر رَمضَان، وَنزلَ بالقلعةِ وَصلى الجُمعة بالجَامعِ الأموي.

وكانَ الأَمير بيبُغَا أُروس لما بلغهُ قُدوم السلطان إلى دمشق، رَحلَ مِن دمشق في النصف من شعبَان، وَخلّفَ جَماعة منَ التُركمان في أطرَافِ البلَاد، فلما استقر السلطان بدمشق أقَام بالقلعةِ وَتوجه الأمرَاء خلف بيبُغَا أُروس ومن معهُ منَ النُواب.

فلمَا كانَ خَامس شهر رَمضَان أحضرُوا بين يدي السلطان سُيُوف مَنْ قُتلَ منَ الأمراء وَالنُواب الذّينَ كانُوا صُحبة بيبُغَا أُروس.

فلمَا كانَ ثالث شوَال جاءت الأخبَار إلى عندَ السلطان بأنَ بيبُغَا أُروس انكسرَ وَهربَ، وَمُسك جميع مَنْ كانَ معهُ منَ الأمراء وَالنُواب، ثُم دخلُوا بهمْ إلى دمشق وَهُم في زنَاجير وَقيُود، وكانَ لهُم يَوم مشهُود.

فرَكبَ الملك الصَالح وَنزلَ منَ القصر الأَبلق إلى الطارمَة، وَوَقفَ العسكر تحت القلعة، وَأَحضرُوا بالأمرَاءِ الممسُوكين وَالنُواب بينَ يدى السُلطان، فوَسَّطَ في ذلك ليَوم منهُم ستّة أَمراء بسُوقِ الخيل بدمشق، وَهُم: الطُنبُغَا بُرنَاق نَائب صَفد وَهوَ صَاحبُ الدرب المنسُوب إليه؛ وَطيبُغَا الأَوجَاقي المعرُوف بحلَاوة، وَالمهدي شاد الدوَاوين بحلب، وَأَسنبُغَا التُركماني، وَألطنبُغَا شاد الشربخَانَاة المعرُوف بالعلائى، وَشادى أخُو الأَمير أَحمد نَائب حَماة؛ ثُم شُفعَ في ملكتُمر السِّعيدي فحُبسَ بقلعةِ دمشق.

ثُم إنَ السلطان قصدَ التوجّه إلى نحو الدِّيَارِ المصريّة، وَهوَ في غَايةِ النصر وَالإقبال [٦٩/أ] فدَخلَ إلى القَاهرةِ في نصف شوَال منَ السنةِ المذكُورة، فزُينت لهُ القَاهرة، وَطلعَ إلى القلعةِ في مَوكبٍ عظيم.

وَفي أَواخر هَذهِ السنةِ: قبضَ السلطان الملك الصَالح عَلى الصَاحب علم الدِّين ابن زَنبُور وكانَ وزيرًا، وَنَاظر الجيُوش المنصُورة، وَنَاظر الخوَاص الشريفة، وَهذهِ الوَظائف السّنيّة لمْ تجمع في أَحدٍ قبلهُ من الأَعيَان، وَفيهِ يَقوُلُ الأَديب سُميكة:

هَــذَا ابــن زَنبُــور الصَــاحبْ ... فــي النَــاسِ مَــا أكثــر ســمُّهْ
يَــا مــنْ دَرى زنبــور إشْ كــانْ ... أَبُــوه أوْ زَنبُــور أمُّــهْ[1]

فلمَا مُسك ضُربَ وَقُيِّدَ وَنُفي إلى قُوص، وَاحتاطَ عَلى مَوجُودهِ مِنْ صَامت وَنَاطق.

فمن ذلك مَا نُقل عن قاضي القُضاة بُرهَان الدِّين ابن جَماعةِ أنهُ قالَ: "وَقفتُ عَلى قَوائم فيها مَا ضُبط منْ مَوجُود الصَاحب عَلَمُ الدِّينِ ابْن زُنْبُورٍ، وَهيَ: قُماش ملون مُفصّل ألفين وسُتمَائة قِطعة منهَا مُفري ألفين قِطعة، جندَات بوجهين ستمَائة قِطعة، خُنينيَات[2] خمسة آلاف قِطعة، أوَاني ذهب وفضة ستينَ قنطارًا، فصُوص جَوهر قنطارَان وَأربعُونَ رطلًا، لؤلؤ حبّ أَردبين بالمصرى، ذهب عين ستمائة ألف دينَار، حوَايص ذهب ستة ألاف حيَاصة، كلوتَات[3] زركش ستة ألاف كلوته.

وَوُجد لهُ دخَائر عندَ النَاس في أمَاكن عِدتّهَا ستة وثلاثون مكانًا، وَوُجد لهُ فضّة نقرة ثلاثُون أَردبًا، شَاشَات ثلثمائة ألف شاش، بُسط رُومى وَمقَاعد مِنْ سائر الأنوَاع خمسة وَثلاثُون ألف قِطعة، أنطاع صِغَار وَكبَار ثلاثُون ألف نطع، خيُول وبغال وَجمال عشرُون ألف رَأس، وَوُجد لهُ في مكان أيضًا سبعمَائة ألف دينَار.

وَوُجدَ لهُ عبيد وَجوَار سبعمَائة رَأس، مَماليك [٦٩/ب] تُرك وَرُوم خمسُون مَملُوكًا، خُدَّام مَائة رَأس، وَوُجدَ لهُ منَ الصيني ثلاثُون ألف قِطعة، ومنَ النحاس

---

[1] بحر الرجز؛ في بدائع الزهور ٥٣٤/١/١: (زنبور أبوه ولا أمه). وفي المنهل الصافي ١٩١/١، ٧١/٧: الأبيات "لإبراهيم المعمار". وفي إنباء الأمراء بأنباء الوزراء "للعماد"، صـ٧٢. وجاءت الأبيات بصيغ مختلفة عما ورد هنا.

[2] في بدائع الزهور ٥٤٥/١/١ ومآثر الإنافة في معالم الخلافة ١٥٦/٢: "خنينيات"؛ وفي جواهر السلوك ١٩٤: "المصريات".

[3] في بدائع الزهور ٥٤٥/١/١ ومآثر الإنافة في معالم الخلافة ١٥٦/٢: "كلفتات". و كلّوتات: جمع كلّوتة - بتشديد اللام - فارسية - وتعنى الطاقية الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن، وكان الأمراء يلبسونها بغير عمامة، ولها كلاليب تعقد تحت الذقن وهي الكلبندات وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم، وكانت صفراء اللون. (انظر: المعجم العربي لأسماء الملابس، صـ٤٣٤).

أَربعُون ألف قِطعة، وَوُجدَ لهُ منَ الأَملاك وَالعقار وَالضيَاع ستّة ألاف مَكان، قُومُوا بثلثمائة ألف دينَار، وَوُجدَ لهُ منَ المعَاصرِ خمسة وَعشرين معصرَة، وَبهمْ منَ القنُودِ مَا لَا يَنحصر وَزنهُ.

وَوُجدَ لهُ إقطاعَات حَلقة سبعمائة إقطاع، وَوُجدَ لهُ سرُوج وَبذْلات وَعدد لِلخيل قُومُوا بثمان مَائة ألف درهم، وَوُجدَ لهُ مخَازن فيها بضَائع وَبُهَار قُومُوا بأَربعمَائة ألف دينَار، وَوُجدَ لهُ منَ المرَاكب سُتمَائة مركب، وَوُجدَ لهُ منَ البسَاتين وَالغيطان مَائتين مَوضع، وَوُجدَ لهُ منَ السوَاقي ألف وَأربعمَائة سَاقية، وَوُجدَ لهُ منَ الأبقَار الحلَّابة وَالغنم مَا لَا يَنحصر، وَوُجدَ لهُ منَ الغلَال مَا لَا يَنحصر.

وَوُجدَ لهُ عندَ الناس وَدَائع كثيرة منْ قُماشٍ وَمَالٍ وَغير ذلك مَا لَا يَنحصر"[1]، وَمع ذلك كلهُ أُخذ جميع مَالهُ ونُفي منَ القَاهرةِ، وَمَاتَ غريبًا عنْ أَهلهِ وَدُفنَ هُناك، فكان كما يُقالُ: " المَالُ كَالْمَاءِ، من استكثر مِنْهُ، غِرقَ فيهِ".

وَقالَ بَعضهُم في ذم المال:

النّارُ آخِرُ دِينَارٍ نَطَقْتَ بِهِ ... وَالْهَمُّ آخِرُ هَذَا الدِّرْهَمِ الْجَارِي
والمرءُ مَا دَامَ مشغُوفًا بِحبهُمَا[2] ... مُعَذَّبُ الْقَلْبِ بَيْنَ الْهَمِّ وَالنَّارِ[3]

وَقالَ بَعضهُم أيضًا:

رَأيتُ الدرهم المضروبُ أضحى ... كلصِ مَالهُ أَبدًا أَمَانَة
ألمْ تَرى كلِّ انسانٍ حَرِيص ... يُحصلهُ وَيرميهِ الخزَانة[4]

ثُم دخلت سنة أَربع وخمسين وسبعمائة، فيها: حضرَ إلى القَاهرةِ [٧٠/أ] رُؤوس جَماعةٍ منَ النُوابِ الذي[5] تقدَّمَ عصيَانهم، وَهُم: بيبُغَا أُروس نَائب

---

[1] خبر ما وُجد لدى ابن زنبُور جاء مختصرًا في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢٩٦/٨. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٩/٣. مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١٥٦/٢-١٥٧. الذيل التام على دول الإسلام، صـ١٢٧.

[2] وهذا الشطر جاء بألفاظ مختلفة في المصادر. (انظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس صـ١٥٣. الدرر الفريد وبيت القصيد ١٨١/٤. اللباب في علوم الكتاب ٧٦/٥).

[3] بحر البسيط؛ البيتان للبستي. (انظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ١٥٣). ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

[4] بحر الوافر؛ البيتان لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

[5] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

حلب، وَبكلمش نَائب طرَابُلس، وَالأمير أَحمد نَائب حَماة، فلمَا حضرُوا بهم عُلقُوا على بابِ زُويلة ثلاثة أيام.

وَفيهَا: ظهرَ فسَاد العُربان ببلادِ الصِّعيدِ، وكانَ كبير العُربَان يُسمى الأَحدب شيخ عرك، فاجتمعَ عليه طائفة كبيرة منَ العُربانِ، وَأظهرُوا الفسَاد، وَنهبُوا الغلَال، وَلمْ يُبقُوا ممكنًا.

فلمَّا بلغَ السلطان ذلك فخرجَ إليهمْ بنفسه، وكانَ جَاليش العسكر الأَمير طاز، وَالأَمير شيخُوا، وَالأَمير صُرغتمش، فلمَا سَارُوا إلى العرب وَقعَ بينهُم وَقعة عظيمة، لم يُسمع بمثلِهَا فيمَا تقدم، فعند ذلك انكسرَ الأَحدب كبير العُربَان ومنْ معهُ منَ العرب بعدَ أنْ كادَتْ الأمرَاء أنْ تنكسر، وَقُتلَ منَ العربِ خلق لَا تُحصى لِكثرتهمْ، حتى قيلَ: أنَ بعضَ الأمرَاء بنى مِنْ رُؤوسهمْ مسَاطب على جنب البحر وَمآذن[1]، وَجَعلَ رنكهُ عليهَا، وَلَا زال الأَمير شيخُوا وصُرغتمش يتبعَ العُربَان إلى بلَادِ الوَاحات الدّاخلة.

ثُمَ رَجع الأمراء إلى الدِّيَارِ المصريّة، وَمعهُمْ منَ العربِ الأسرى نحو ألف إنسَان منْ أكابر العُربَان، وَغنمُوا منهُم مَائة حمل رماح، وثلاثُون حِمل دَرقْ، وَثمانُون حمل سيُوف، وَمنَ الخيُولِ ألف وَسبعمَائة رَأس، وَمنَ الجمالِ ألف وَخمسمَائة جمل، وَمنَ الأغنامِ مَا لَا يُحصى عَدَدَهُمْ[2].

فَلمَا وَصلُوا إلى القَاهرةِ دَخلَ السلطان قبل الأمراء بأيَامٍ، ثُم دخلَ الأمير شيخُوا وَالأَمير صُرغتمش بعدَهُ، وصُحبتهُم الأسرى وَالغنَائم، فرَسمَ السلطان بتوسيط أَربعةِ عشر إنسَان منْ أكابر العُربَان، ووَسط مَائة وَأربعين من أشرَارهمْ؛ ثُم إنَ السلطان نَادى في القَاهرةِ بأنَ فلاح لا يركب [٧٠/ب] فرس، وَلَا يحمل سلَاح.

ثُم بعدَ أيَام حضرَ الأَحدب كبير العُربَان شيخ العَركي، وَكانَ قدْ هَربَ منْ وَجهِ السلطان وَالأمراء، فحضرَ طائعًا إلى الأَبوابِ الشريفة، فأَقرَّهُ السلطان عَلى عَادتهِ شيخ العركي كمَا كانَ، وَأخلعَ عليه، وَتوجَّه إلى بلَادِهِ، وَفي ذلك يَقُولُ بعض الشُعراء:

---

[1] في الأصل "موانن". والتصحيح من بدائع الزهور ١/١/٥٥٠ وجواهر السلوك ١٩٥.
[2] الخبر جاء في بدائع الزهور ١/١/٥٥٠: بدون ذكر أي أعداد.

مَــا هــادن الســلطان أَعدَائــهُ[1] إلّا لأمــــر فِيـــهِ إذَلالهــــمْ
حَتَّـــى لَــهُ تكْثــرُ أَمْــوَالهُمْ وللظبـــى تكبــرُ[2] أطفَـــالهمْ[3]

وَفيهَا: بَرزَ مرسُوم السلطان بأنَ اليهُود وَالنصَاري لَا يستخدمُوا في ديوَانٍ، وَأنْ تكُونَ عَمائمهمْ عشرة أذرُع؛ وَأنهُم لا يركبُوا مع مكارى مُسلم، وَإذَا مرُّوا بالمسلمين يَنزلُوا مِنْ عَلى الحمير، ويظهرُوا المسكنة؛ وَأنهُم لَا يدخلُوا الحمَّام إلا بصَليبٍ في أعنَاقهمْ، وَأشرطُوا عليهمْ أشياء كثيرة مِنْ هذَا النمط.

وَفيهَا: توجّه الأَمير أَرغُون الكاملي نَائب حَلب، وَصُحبتهُ العسَاكر الحلبيّة إلى مَدينة الأَبلستين، في طلبِ الأَمير قرَاجَا بن ذُو الغَادر أَمير التُركمان، ليقبَضُوا عليه، لكونهُ وَافق بيبُغَا أُروس على العصيَان.

فلما وَصل إليهِ العسَاكر الحلبيّة، هَربَ بمنْ معهُ من التُركمان، فَسَارُوا خلفهُ، وَتبعُوا أثرهُ إلى أنْ أدركُوهُ بأَطرَاف بلَادِ الرُوم، فلما أَحسَّ بهم هَربَ، فنهبُوا العسكر بيُوتهُ وبيُوت مَنْ معهُ مِنَ التُركمان، وَأخذُوا مَواشيهمْ.

ثُم إنَ قراجَا المذكُور التجأ إلى ابن أَرتنَا عظيم الرُوم، فقبضَ عليه أَرتنَا، وَجهّزهُ إلى السُلطان، فلمَا وَصلَ إلى القَاهرةِ، رَسمَ السلطان بتسميرهِ[4] فسمّرُوهُ، وَطافُوا بهِ في القَاهرةِ، ثُمَ وسَّطُوهُ في الرَملة[5].

ثُم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعمائة، فيها: اتفق جَماعة منَ الأمراءِ عَلى [٧١/أ] خَلع الملك الصَالح، منهُم: الأَمير شيخُوا العُمري النَاصري، ومعهُ جَماعة منَ الأمراء، وكانَ الأَمير طاز النَاصري الدوَادَار مُسافرًا يَتصيّد بالبُحيرة[6]، فاغتنم الأمراء هذهِ الفُرصة.

---

(1) جاء في الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ٤٣٨: "ما هادن ارمن سلطاننا".
(2) في المصدر السابق: "تكثر"
(3) بحر السريع؛ البيتان لابن عبد الظاهر (انظر: المصدر السابق والوافي بالوفيات ٢١٥/١٠).
(4) التسمير: نوع من الصلب على صليب من الخشب، تدق فيه أطراف المحكوم بالإعدام بالمسامير إلى الخشب، فيبقى المسمَّر ساعات أو أيامًا حتى يموت. (معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ٤٤-٤٥).
(5) في بدائع الزهور ٥٥٢/١/١ وجواهر السلوك ١٩٦: أن أرغون هو من قبض على قراجا؛ بعكس ما ذكر هنا.
(6) في: بدائع الزهور ٥٥٢/١/١: أن الأمير طاز كان في البحيرة بسبب العربان.

وكانَ الأَمير شيخُوا لما أُفرجَ عنهُ منَ السجنِ، وَحُضرَ إلى القَاهرةِ، أخلعَ عليهِ واستقر أَمير كبير في دَولةِ الملك الصَالح، وَهوَ أولُ من سُمي بأَمير كبير، وَلبسَ لهَا خلعةً، وَصارتْ الأتَابكيّة من يَومئذٍ وَظيفة.

فَلمَا اتفقَ رَأى الأَمراء عَلى خلعِ الملك الصَالح، كانَ القَائم في ذلك المقر السيفي سيف الدّين شيخوُا أَمير كبير.

فَلمَا كان يَوم الإثنين ثَاني شوَال طلع الأمراء إلى الموكب على العَادة، فقبضُوا عَلى الملك الصَالح بحضرةِ شيخُوا، وَخلعُوهُ منَ المُلكِ، وَسجنُوهُ بدُور الحرم، وَأعَادُوا أخاهُ النَاصر حسن إلى السلطنةِ.

وَاستمر الملك الصَالح في دُور الحرم مُحتفظًا بهِ إلى أنْ مَاتَ في ذي الحجّة سنةِ إحدى وستين وسبعمَائة، وَدُفنَ بتربةِ عمهِ الملك الصَالح عَلي بن قلَاوُن، وَقدْ تقدم ذكر ذلك في أخبار قلَاوُن، وَهوَ في القُبة التي بالقربِ منَ السيّدة نفيسة، رضي الله عنهَا.

وكانَ الملك الصَالح هَذَا مَليكًا جليلًا مُهَابًا، وَافر العقل، قليل الأذى، دَينًا خيرًا، حَسنَ السيّرة، مليح الشكل.

فكانتْ مُدّة سلطنتهُ بالدِّيَارِ المصريّة إلى أنْ خُلعَ ثلاث سنين وَثلاثة شهُور وَأَربعة عشر يَومًا.

ذكر من توفي في أيَام دَوَلتهِ منَ الأعيَانِ، وَهُم: الخليفة الحَاكم بأَمرِ الله بن المُستكفي باللهِ تَوفي في سنةِ أَربع وخمسين وسبعمائة؛ وَتوفي الشيخ أبُو حيَّان المغربي[1]؛ وَالشيخ زين الدِّين ابن الوردي[2]، وَهوَ صَاحبُ "كتاب البَهجة"، وَلهُ شعرٌ جيدٌ، وكانَ مِنْ كبارِ عُلماءِ الشَافِعيّة؛ وَتوفي الشيخ شمس الدّين الذهبي المؤرّخ[3]؛ وَتوفي القَاضي شهاب [٧١/ب] الدِّين ابن فَضل اللهِ كاتب السرّ[4]، وَهوَ صَاحبُ كتاب الإنشاء، حيث يقُولُ في ذلك:

---

(1) في بدائع الزهور ٥٠١/١/١: ورد خبر وفاته في سلطنة السلطان الصالح إسماعيل في أحداث سنة ٧٤٥هـ، وهو الصواب؛ وهو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي (انظر: ١٧٥/٥).

(2) في بدائع الزهور ٥٢٤/١/١: ورد خبر وفاته في سلطنة السلطان حسن الأولى في أحداث سنة ٧٤٩هـ، وهو الصواب.

(3) في بدائع الزهور ٥٢١/١/١: ورد خبر وفاته في سلطنة السلطان حسن الأولى في أحداث سنة ٧٤٨هـ، وهو الصواب.

(4) في بدائع الزهور ٥٣٣/١/١: ورد خبر وفاته في سلطنة السلطان حسن الأولى في أحداث سنة ٧٥٠هـ، وهو الصواب.

يَــا طالــبَ الإنشــاء خُــذْ علمــهُ عنـــي فَطمـــي غيـــرَ منكُـــورِ
وَلا تقــف فـــي بَـــابِ غيـــرِي فَمـــا تدخلـــــهُ إلاّ بدَسْـــــتُورِي[1]

وَتوفي الحَافظ بن قيم الجَوزيّة؛ وَتوفي ابن اللّبان الشاعر[2]؛ وَتوفي الشيخ شمس الدِّين ابن العفيف[3]، صَاحب الأشعَار اللطيفة، توفي في سنةِ خمس وَخمسين وسبعمَائة، وَمَنْ شعرهِ اللّطيف، قوله:

زُرْتَكُـــمُ صُـــحبَة وَوَدًّا وَجـــدتكُمْ[4] مُغْلقـــينَ بَابَـــا
سَـعيي إلـــى بَـــابكمْ جُنُـــونٌ عَليـــهِ فأســـتأهلُ الحِجَابَـــا[5]

---

[1] بحر السريع؛ البيتان في: التعريف بالمصطلح الشريف صـ١٤. ولم يرد ذكر البيتين في بدائع الزهور.

[2] في بدائع الزهور ٥٢٥/١/١: ورد خبر وفاته في سلطنة السلطان حسن الأولى في أحداث سنة ٧٤٩هـ، وهو الصواب؛ وهو شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي (انظر: شذرات الذهب ٢٧٩/٨).

[3] لم ترد ذكر وفاته في بدائع الزهور؛ وهو الشاب الظريف محمد بن سليمان بن عليّ، توفّي شابًا بدمشق في يوم الأربعاء رابع عشر رجب سنة ثمان وثمانين وستّمائة. (انظر: الوافي بالوفيات ١٠٩/٣ والمقفى الكبير ٣٦٩/٥).

[4] في خزانة الأدب وغاية الأرب ١٠٢/٢ ومطالع البدور ومنازل السرور صـ٢٤: "ألفيتُهم".

[5] بحر مخلع البسيط؛ نسب ابن إياس البيتين لابن العفيف؛ والمصادر تذكر أن البيتين لابن الوردي. (انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب ١٠٢/٢. مطالع البدور ومنازل السرور صـ٢٤).

ذكر

عَود الملك النَاصر حسن

ابن الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن(١)

وهي السلطنة الثانية، جلسَ على سرير الملك في يَوم الإثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وَسبعمَائة.

فلمَا تَمَ أَمرهُ في السلطنةِ صَارَ المقر السيفي شيخُوا أَمير كبير عَلى عَادَتهِ، وَصَارَ صَاحب الحلّ والعقد في أيَامهِ، وكانتْ عظمتْ شيخُوا في تلك الأيَّام؛ وَصَارَ الأَمير صُرغتمش رَأس نوَبةِ النُوب، فاستمر شيخُوا وصُرغتمش أَربَاب الحلّ وَالعقد في تلك الأيَّام.

فَلمَا حضرَ الأَمير طاز منَ الصيدِ، فقبض عليهِ الأمرَاء، وَسجنُوهُ بالقلعةِ هُوَ وَأخوتهِ ثم إن بعضَ الأمرَاء شفعَ فيهِ، فَأُفرجَ عنهُ، وَأُخلعَ عليهِ واستقر نَايب حَلب، فتوجَّه إليهَا مِن يومهِ.

ثُمَ دخلت سنةِ ست وخمسين وسبعمَائة، فيها: كملتْ عِمَارة المقر السيفي شيخُوا، وَهيَ الخَانقَاة وَالجَامع وَالحمَامَات وَالرُبوع، الذي بخط الصليّبة، ثم قرَّر الشيخ الإمام العَالم العلامة أكمل الدِّين الحنفي شيخ الخَانقَاة، وكانَ الشيخ أكمل الدِّين منْ أكابر الحنفية في عصرهِ، وفيه يَقُولُ الشيخ شهَاب الدِّين بن أبي حجلة:

شيخٌ تقدمَّ في العُلُومِ لأنهُ ... إنْ عُدَّ أَربَابُ الفضَائل أَوَّلُ

مَا قيلَ هَذَا كاملٌ في ذَاتِهِ ... إلا وَقَلتُ الشيخُ عندِي أكملُ(٢) [٧٢/أ]

ثُمَ إنَ شيخُوا قرَّرَ بالخَانقَاه حُضُور منْ بعدِ العصر، وَأوْقفَ عليهَا وَعَلى الجَامع جهَات كثيرة، وَأَشرطَ في وَقفهِ أشياء كثيرة مِنْ برّ وَإحسَانٍ لِلصوفة(٣)، وَفيهِ يَقُولُ شهَاب الدِّين بن أبي حَجله:

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٥٥٣- ٥٨٠؛ جواهر السلوك ١٩٧- ٢٠٣.

(٢) بحر الكامل؛ البيتان في: الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب ٥٥/١. لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

(٣) بدائع الزهور ١/١/٥٥٧-٥٥٨: الخبر في أحداث سنة ٧٥٧هـ.

وَمدرســــةٍ للعلـــم فيهـــا مـــوَاطنٌ فشــيخُوا بهَـــا فــردٌ وإيثــارهُ[1] جَمْـعُ
لـــئن بَـــاتَ فيهـــا لقُلُـــوبِ مَهَابَـــة فَوَاقفُهـــا ليــثٌ وأشــياخُها سَــبْعُ[2]

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعمَائة، فيها: ابتدأ السلطان الملك النَاصر حَسن بعِمَارة مَدرستهِ التي في الرَملة تجاه القلعة بسُوقِ الخيل، وَكانَ مكانهَا قصر يلبُغَا اليحيَاوي نَايب الشَام، فهدَمهُ، وَبنَى المدرَسة مكانهُ، وَهَذهِ المدرسة لمْ يُعمر مثلهَا في مُبتدأ الإسلام وَإلى الآن[3].

قيلَ: أنَ أَيوَانهَا بُني عَلى مثالِ إيوان كسرى أنو شِروَان، وَجعلَ فيها أربع مدَارس، لِكلِّ شيخ مذهب مدرَسة، ومن رَأى عمَارة مدرسة السلطان حَسن عِرفَ عُلو همتهُ بينَ المُلُوك السَالفة، كما قيلَ في المعنى:

لَسْـــنَا وَإنْ كَرُمَـــتْ أَوَائِلُنَـــا أَبَـــدًا عَلَـــى الْأَنْسَـــابِ[4] نَتَّكِـــلُ
نَبْنِـــي كَمَـــا كَانَـــتْ أَوَائِلُنَـــا تَبْنِـــي وَنَفْعَـــلُ فَـــوقَ[5] مَـــا فَعَلُـــوا[6]

وفي هذه السنة: هبّت ريح عظيمة منْ جهةٍ الغرب، وكانَ ابتدأها من أوائل النَهار، فاصفر منهَا الجو، ثُم أَحمرَّ، ثُم أَسود، وَاستمرتْ ذلك اليوم، فهدَمتْ عدّة أمَاكن، وَقلعتْ عدّة أشجَار، وَدَامَ ذلك إلى قُربِ التسبيح، فأَمطرَتْ السمَاء، وسكنتْ الرِيَاح.

وفي هذه السنة: جاءت الأخبَار بأن القَان حَسن صَاحب بغدَاد توفي إلى رحمةِ الله تعالى، وَتَولى ولدهُ القَان أُويس عُوضهُ.

ثُم دخلت سنة ثمان وَخمسين وسبعمَائة، فيها: وَثبَ مَملُوك من مَماليك السلطان السلحدَاريّة، يُسمى قَطلو قجاه السلحدَار، عَلى المقر السيفي شيخُوا، وَهوَ في الخدمةِ بالإيوان، فضربهُ في وجههِ بالسيف ثلَاث ضربَات [٧٢/ب] فَعندَ ذلك وقع شيخُوا إلى الأرض مغشيًا عليه.

---

[1] في بدائع الزهور ٥٥٨/١/١: "وآثاره".
[2] بحر الطويل؛ البيتان في: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٢٠/٤. حسن المحاضرة ٢٦٦/٢.
[3] بدائع الزهور ٥٥٩/١/١: الخبر في أحداث سنة ٧٥٨هـ.
[4] هكذا وردت في المصادر: "الأَحْسَابِ".
[5] هكذا وردت في أغلب المصادر: "مِثْلَ".
[6] بحر الكامل؛ البيتان لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر. (انظر: الحيوان ٩٥/٧. الكامل في اللغة والأدب ١٣٢/١. العقد الفريد ١٤٨/٢. معجم الشعراء صـ٤٠٠، ٤١٠). وفي بدائع الزهور ٥٦١/١/١: نسب ابن إياس البيتين لابن أبي حجلة.

وَقَامَ السلطان مِنْ المجلس وَهوَ مُرتابٌ، فطلع مَماليك شيخُوا إلى القلعةِ وَهُمْ رَاكبُون، وَمعهُمْ الأَمير خليل بن قُوصُون، وَكانَ شيخُوا مُتزوجًا بأم الأمير خليل زوجة قُوصُون، فلما طلعُوا إلى القلعةِ وجدُوا في شيخُوا بعض رَمق، فَحملُوهُ عَلى جنويّه، وَنزلُوا بهِ إلى بيتهِ من سُلِّم المدرّج، وَمَماليكه مِنْ حوله، وَكانُوا نحو تسعمَائة مَملُوك.

فلمَا نزلَ إلى بيتهِ أحضرُوا لهُ مُزين، فخيَّطَ جرَاحَاته، وَكانَ ذلك يَوم الإثنين في العشرينِ مِنْ شعبَان[1].

فَلمَا بَاتَ تلك اللّيلة نَزِلَ لَهُ السلطان في يَوم الثلاثاء إلى بيتهِ، وَنزلَ عنْ فرسهِ وَدَخلَ إلى مكان فيهِ شيخُوا، وسَلِّم عليه، وَحَلفَ لهُ أنَ الذي جرى لم يكن بعلمهِ، ولا لهُ بهِ خبرٌ.

ثُمَ رَسمَ السلطان بإحضَارِ قُطلو قُجاه الذي ضَربَ الأمير شيخُوا، فَسَألهُ السُلطان: "هَلْ أمرَكَ أحد مِنَ الأمراءِ بذلك"، فقالَ قُطلو قُجاه: "لا والله مَا أمرني أَحد منَ الناسِ بذلك، غير أني قدّمتْ للأَمير شيخُوا قصّة، بسببِ إقطاعٍ فأخرجهُ لشخصٍ غيري، ففعلتُ ذلك من قهري منهُ"، فَعندَ ذلك رَسمَ السلطان بتسْمِيرهِ فسُمِّر عَلى جَملٍ، وَطافُوا بهِ في القَاهرةِ، ثُم وَسَطُوهُ في الرملة.

وَاستمر شيخُوا مُلازمًا لِلفرَاشِ، من شهرِ شعبَان إلى أَواخر ذي القعدة نحو من ثلَاثة شهُور وَنصف، إلى أن مَاتَ في يَوم الجُمعة سَادس عشرين ذي القعدة سنةِ ثمان وَخمسين وَسبعمَائة، فكثرَ عليه الحُزن والأَسف، وَكانتْ جنَازتهُ مشهُودة، وَنزلَ السلطان وَصَلى عليه في سبيلِ المُؤمني، وَدُفنَ في خَانقَاتهِ التي في الصليبة دَاخل القُبة.

وكانَ شيخُوا منْ أَجلِ الأمرَاء قدرًا، وَأَعظمهُم معرَوفًا وَبرًا، وَلهُ بالقَاهرةِ آثارٌ وذكر، وَمنْ أنشأه الجَامع الأخضر[2]، الذي بالقُربِ منْ فمّ الخور، ولهُ آثارٌ كثيرة غير ذلك، وَاتفق يَوم مَوته أنَ الأَرض زُلزلَتْ [٧٣/أ] زَلزلة خَفيفة، وَأَمطرتَ السمَاء، وفي ذكر يَقُولُ بعضُ الشُعرَاء:

---

[1] في بدائع الزهور ٥٦٢/١/١: "٢١ شعبان".

[2] سمي بهذا الاسم لأن بابه وقبته فيهما نقوش وكتابات خضر. (انظر: الخطط المقريزية ١٣٤/٤).

بروحي مَنْ أبكى السَّمَاء لفَقْدِهِ[1] بغيثٍ ظَنَنَّاهُ نَوَال يمينهِ
وَمَا اسْتَعْبَرَتْ إلا أسىً وتأسُّفًا وإلا فماذا القَطْرُ في غير حينهِ![2]

وَقَالَ بعضهُمْ أيضًا يرَثيه:

لمَا أَفلتَ عِن المنَازلِ أظلمتْ تلك البقَاع[3] وَغَابَ عنهَا المُشفقُ
وَتقُولُ مصرَ لبُعدِ[4] شيخوا شقَني أَرَقٌ علـى أرَقٍ ومثلِيَ بأرَقُ[5]

وَكانَ شيخُوا أَميرًا دَّينًا خيّرًا، كثير البرّ والصّدقَات، قليل الأَذى.

ثُم دَخلت سنةٍ تسع وَخمسين وَسبعمائة، فيها: تزَايدتْ عظمة الأَمير صُرغتمش بَعدَ الأَمير شيخُوا واستقر كمَا كانَ شيخُوا، وَصَارَ صَاحب الحلّ وَالعقد بالدِّيَارِ المصريّة، فأَرسلَ قبضَ عَلى الأَمير طَاز نَايب حَلب، وَسجنهُ بثغر الإسكندرية.

فأنهُ كانَ بينهُ وَبينَ الأَمير صُرغتمش حظّ نفس قديمْ من أيَام شيخُوا، وَكانَ شيخُوا يدخل بينهُما الصُلح في كلِّ وَقتٍ، ثُمَ يعُودَا إلى مَا كانَا عليه مِنْ حظُوظِ النفوس، فلمَا سُجنَ الأَمير طَاز، تَولي بعدَهُ الأَمير منجك اليُوسفي نَايب حلب.

وَفيهَا: ضُربت الفلُوس الجُدَد كل فلس بدرهم وَبدرهمين، وكلّ فلس زنتهُ مثقال، وذلك بإشارة المقر السيفي صُرغتمش النَاصري رَأس نوَبة النُوب، فثقلَ أَمر ذلك عَلى الناسِ، وَتضررَتْ منهُ السَوقة.

ثم إن الأَمير صُرغتمش لمَا تضَاعفت حُرمتهُ، وَانفردَ بأَمور المملكة، وَصَارَ معهُ عُصبَةْ منَ الأمرَاءِ، فثقلَ أَمرهُ عَلى الملك النَاصر حَسن، فبَادِر إليه وقبضَ عليه، وَعلى جَماعةٍ منَ الأمرَاءِ ممن كانَ من عُصبتهِ[6]، فكان كمَا قيلَ في الأمثال:

---

(1) هكذا ورد في المصادر: "بنفسيَ مَنْ أبكى السَّمواتِ فَقْدُهُ".
(2) بحر الطويل؛ البيتان للحسن بن علي بن الزبير. (انظر في: "الخريدة" قسم شعراء مصر: ١/ ٢٢٢. معجم الأدباء: ٩٤٧/٢. و"فوات الوفيات": ١/ ٣٣٨. الوافي بالوفيات ٨٣/١٢. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ٣٧٧/٢٠).
(3) في بدائع الزهور ٥٦٣/١/١: "الديار".
(4) في بدائع الزهور ٥٦٣/١/١: "الفقد".
(5) بحر الكامل؛ في بدائع الزهور ٥٦٣/١/١: البيتان للصفدي.
(6) في بدائع الزهور ٥٧٠/١/١-٥٧١: الخبر في أحداث سنة ٧٦١هـ.

وَرُبمَا فَاتَ بَعضَ النّاس حَاجتهُم[1] مَعَ التَواني[2] وكَانَ الحزمَ لوْ عجلُوا[3]

فلمَا كانَ يَوم الإثنين في العشرين من شهر رَمضَان[4] منَ السنةِ المذكُورة قبضَ السلطان عَلى الأمير صُرغتمش النَاصري، وَهوَ في الموكب بالقلعةِ.

فلمَا سمعُوا مَماليكه بذلك ركبُوا وطلعُوا إلى الرَمله، وَوَقفُوا تحت القلعة، وَكانُوا ثمانمَائة مملُوك، فعندَ ذلك رَكبُوا المماليك السُلطانية وَبقية الأَمرَاء، وَاتقعُوا مع مَماليك صُرغتمش منْ بَاكر النهار إلى قريب المصر، فانكسرُوا مَماليك صُرغتمش وَهربُوا.

فعندَ ذلك نهبُوا العوَام وَالزعر بيت صُرغتمش، وَدَكالين الصليبة، وَصَارُوا يمسكُون جَماعة من الأعجام مِنْ صُوفيةِ الخانقَاة الصُرغتمشيّة، وكل من رَآوهُ من حَاشيةِ صُرغتمش يمسكُوهُ، وَاستمرَ الأَمر عَلى ذلك إلى أَخر النهَار.

فَلمَا كانَ يَوم الثلاثاء حَادي عشرين رَمضَان، رَسمَ السلطان بتقييّد الأَمير صُرغتمش، وَأَرسلُوهُ إلى السجنِ بثغر الإسكندرية، وَمعهُ جَماعة منَ الأمراءِ ممن كانُوا من عُصبتهِ، وَهُمْ: الأَمير طشتمر القَاسمي حَاجب الحُجاب، وَالأَمير طُقبُغَا صاووق، وَالأَمير جركس الرَسُولي، وغيرهم منَ الأَمراءِ.

وَفيهَا: تَوفي الأَمير تنكربُغَا الماردينيِ وَهوَ صهرُ السلطان الملك النَاصر حَسن، فَلمَا مَاتَ أَنعم السلطان عَلى مملُوكهِ يَلبُغَا العُمري النَاصري الخاصكي بتقدمةِ ألف، وَهوَ إقطاعُ تنكربُغَا الماردينيِ، ثُمَ أَخلعَ عليه، وَجعلهُ أَمير مجلس، وَهذَا أَول عظمة يَلبُغَا[5].

وَلما نفي السلطان الأَمير صُرغتمش إلى ثغر الإسكندرية، وَمن معهُ منَ الأَمراءِ، فأَقَامَ الأَمير صُرغتمش في السجنِ إلى أوائل ذي الحجة، فأَشاعُوا في القَاهرةِ مَوته بأَنهُم دخلُوا عليهِ فوَجدُوهُ ميتًا، فكانَ مُدّة اعتقَالهُ شهرين وَاثني عشر يَومًا[6]؛ وَكَانَ أَميرًا عظيمًا مُهَابًا مَليًا، [٧٤/أ] وَلهُ برّ ومعرُوفٌ وَآثَارٌ، وغيرَ ذلك.

---

(1) في خزانة الأدب ٣٥٧/١ والسحر الحلال في الحكم والأمثال صـ٩٦: "أمرهم".
(2) في خزانة الأدب ٣٥٧/١ والسحر الحلال في الحكم والأمثال صـ٩٦: "التأني".
(3) بحر البسيط.
(4) في بدائع الزهور ٥٧٠/١/١: "٢١ رمضان".
(5) في بدائع الزهور ٥٦٨/١/١: الخبر في أحداث سنة ٧٦٠هـ.
(6) ورد الخبر مختصرًا في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٥٧١/١/١).

وَممَا وَقعَ فِي أيَامهِ مِن الحوَادث إنَ النصَارى كانَ عندَهُم صندُوق منَ الخشبِ، وَفيهِ أُصبعَ بَعض من هَلك مِنْ عُبادهم، يُسمُونهُ الشهّيد، وَكانَ هذَا الصندُوق في كنيسةٍ مِنْ كنَائسهم، يحفظونهُ غاية الاحتفَاظ.

فإذَا كانَ يَوم الثامن من شهر بشنس من شهور القبط، أَخرجُوا ذلك الصندُوق الذي فيهِ الأَصبع، وَتوجهُوا بهِ إلى نحو شبرَا، وَهيَ مِنْ ضوَاحي القَاهرة، فيَلقُونَ ذلك الأصبع في بحر النيل، وَيغسلُونه فيهِ، وَيزعمُونَ أنَ النيلَ لَا يزيد إلا بإلقاء ذلك الأصبع فيه، ثُم يعيدُونهُ إلى الصندُوق، وَيحتفظُون بهِ إلى العَام القَابل، فيلقُونهُ أيضًا في النيل في التاريخ المذكُور، فأقَامُوا على ذلك دَهرًا طويلًا.

وكانَ يَحصل بسببِ ذلك منَ الفسَادِ، وَارتكاب المعَاصى مَا لَا يُسمع بمثلهِ، فكان أَهل مصر يخرجُون إلى شبرا، وينصبُون الخيام على شاطئ بحر النيل، وَيمتلئ البحر بالمرَاكبِ مِنْ كلِّ جَانبٍ، وَلم يَبق في القَاهرةِ مُغنٍ وَلا مُغنيَّة، وَلا صَاحب آلة، وَلا رُبّ مَلعُوب، إلا ويخرج إلى شبرَا في يَوم عيّد الشهيّد، فيجتمعُ هُناكَ عَالمٌ لا يُحصى، وَتنفقُ[1] أموَالٌ لَا تنحصرُ، وَيتجاهرُون بمَا لَا ينبغي شرحهُ منَ المعَاصي.

وَكانَ اعتمادَ فلاحين شُبرَا دَائمًا في وفَاءِ الخراج عَلى مَا يَبيعُونهُ منَ الخمرِ في يَوم عيّد الشهيد، وكانتْ شبرَا تُزرع كُلهَا كرُوم بسببِ ذلك، حتى قيلَ: كانَ يُباع في ثلَاثةِ أيَام من عيّد الشهيد بخمسةِ آلاف دِينَار[2] خمرًا.

وَلمْ يزل ذلك الحَال عَلى مَا ذكرناهُ من الاجتماع واللّهو في ذلك المكان، في كلِّ سنةٍ أيَام عيّد الشهيد إلى أنْ دَخلت سنة خمس وَخمسين وسبعمَائة، وَذلك في أَواخر [٧٤/ب] دَولَة الملك الصَالح صَالح بن النَاصر محمد بن قلَاوُن.

فَتعصَّبَ الأَمير صُرغتمش النَاصري، وَقَامَ في ذلك قيامًا عظيمًا لله تعالى، وَألزمَ السلطان الملك الصَالح بإبطالِ ذلك[3]، فَرَسمَ السلطان لِحَاجبِ الحُجاب،

---

(1) في الأصل "تنتفق".

(2) في بدائع الزهور ٥٦٥/١/١: "بثلاثة آلاف دينار".

(3) من قام بإبطال ذلك العيد الملك الناصر حسن، والخبر ذكر في أحداث سنة ٧٥٩هـ. (انظر: بدائع الزهور ٥٦٥/١/١-٥٦٧) ؛ وجاء الخبر عند المقريزي فيقول: "وكانت مدّة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ أبطله الأمير بيبرس إلى أن أعاده الملك الناصر، ستا وثلاثين سنة، واستمرّ عمله في

وعلائي الدِّين ابن الكورَاني وَالي القاهرة، بأنْ يَتوجَّهُوا إلى نحو شُبرَا، وَيمنعُون الناسُ من نصبِ الخيَام عَلى شَاطئ بحر النيل.

ثُم إنَ الأَمير صُرغتمش كبس عَلى الكنيسةِ التي فيها ذلك الأُصبع، وَأخذ الصندُوق، وَأحضرهُ إلى بين يدي السلطان الملك الصَالح، فأَمرَ بحرقهِ بينَ يديهِ في الميدَانِ الذي تحت القلعةِ، وَرَسمَ بأن يدرُّوا رُمَادُ ذلك الأُصبع في البحر، وَبَطلَ ذلك الأمر منْ يَومئذٍ.

وَكانَ ذلك في صَحيفةِ المقر السيفي صُرغتمش النَاصري رَأس نوبة النُوب، تغمدّهُ اللهُ برحمته، فاتفقَ أنَ النيلَ زَادَ في تلك السنة زيَادةً لم يُعهد بمثلهَا في مُبتدأ الإسلام، وَبَطلَ مَا كَانُوا يَعتقدُونهُ النصَاري أنَ النيلَ لَا يزيد إلا بإلقاء ذلك الأُصبع فيه؛ ومنْ هُنَا نرجع إلى أَخبارِ دَولة الملك النَاصر حَسن.

ثُم دخلت سنة ستين وسبعمَائة، فيها: جاءت الأخبَار بأنَ المقر السيفي منجك اليُوسُفي لمَا تَولى نيَابةِ الشَام، وخرج إلى غزّة فهربَ من هُناك، ولم يُعرف لهُ خيرٌ، فعَاقب السلطان بسببهِ خلقًا كثيرة، وَحبَسهُمْ إلى أنْ ظهرَ، كمَا سيَأتى ذكر ذلك في موضعهِ.

ثُم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة، فيها: رَكِبَ السلطان الملك النَاصر حسن، وَشقَ القَاهرة، وَنزلَ إلى القُبة التي فيها وَالدهُ قلَاوُن التي بينَ القصرين، وَزارَ قبر وَالده، وَدخلَ إلى الضُعفَاءِ وَالمجَانين، ثُمَ رَكبَ وَخرجَ مِن بَابِ النصر، وَشقَ الفضَاء، ثُم رَجعَ إلى القلعةِ من بينِ التُرب[1].

وَفيهَا: رَسمَ السلطان للمقر السيفي بيدمُر الخوارزمي [٧٥/أ] نَائب حلب، بأنْ يتوجّه بالعساكر الحلبيّة إلى مدينة سيس وَيُحاصِرهَا، فَلمَا خرجَ إليهَا أخذَهَا

كل سنة بعد ذلك إلى أن كانت سنة خمس وخمسين وسبعمائة... فلما كان العشر الأخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والأمير علاء الدين عليّ بن الكورانيّ والي القاهرة إلى ناحية شبرا الخيام من ضواحي مصر، فهدمت كنيسة النصارى، وأخذ منها أصبع الشهيد في صندوق وأحضر إلى الملك الصالح، وأحرق بين يديه في الميدان، وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذه النصارى، فبطل عيد الشهيد من يومئذ إلى هذا العهد". المواعظ والاعتبار ١/١٣٠-١٣١؛ وهكذا جاء الخبر في أكثر من مصدر. (انظر: الدرر الكامنة ٤٣/٢؛ النجوم الزاهرة ٢٠٢/٨؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١٦٧/١؛ عقد الجمان، العيني، ٢٦٨/٤).

[1] بدائع الزهور ٥٦٨/١/١: الخبر في أحداث سنة ٧٦٠هـ.

بالأَمَان، ثم توجَّه إلى طرسُوس فأَخذهَا بالأَمَانِ، وَكذلك المصيّصة، وَفتحَ في تلك السنة عدّة قلَاع، وَرجعَ إلى حلب، وَهوَ منصُورٌ[١].

وَفيهَا: جاءت الأَخبَار بأنَ منجك اليُوسُفى نَايب الشَام قدْ مُسكَ، وَكانَ لهُ نحو سنة مُختفي، فلمَا حضرَ بينَ يدي السلطان كانَ عليه بُشتْ عَسلي، وَعَلى رَأسهِ ميزر أَبيض، فلمَا قَابلَ السلطان وَبخَّهُ بالكلام، ثُم عفى عنهُ وَسَامحهُ، وَرَسمَ لهُ بأَمرَّيةِ أَربعين في الشَام، ويكُون طرخَانًا، فلبسَ خلعة، وَخرجَ من يَومهِ.

ثُم دخلت سنة اثنتين وَستين وسبعمَائة، فيها: تزَايدتْ عظمة الملك النَاصر حَسن، وَتنَاهَا أَمرهُ في الغلو، فعدّى إلى برِّ الجيزة، فأَقَامَ بهَا في كُوم برَا[٢] مُدّة طويلة، إلى أنْ دَخلَ الشتَاء، وَربط النَاسُ خيُولهُم في الرَّبيعِ، وَسبب ذلك أنَ كانَ بالقَاهرةِ أوْخَام وأَمراض شديدة وَوَبَاء، فَأَقَامَ السلطان هُناك حَتى يزُول ذلك مِنَ القَاهرةِ، وَكانَ السلطان نَصبَ هُناك خَيمة غريبة الشكل، لم يُعمل مثلهَا في الدُنيا، قيلَ: أَهدَاهَا لهُ بعض مُلُوك الهند، قيلَ: كانَ فيها حمَّام، وَكانتْ صنعة عجيبة؛ وفيهَا يَقُولُ الشيخُ شهَاب الدِّين ابن أبي حَجلة التلمساني:

حَوتْ خيمة السلطان كُلِّ عجيبةٍ ... فأمسيتُ منهَا بَاهتًا أَتَعجَّبُ
لِسَانى بالتقصِيّر فيهَا مُقصِّرٌ ... وَإنْ كانَ في أطنَابِهَا بَاتَ يُطنِبُ[٣]

وَفِيهَا يَقُولُ أيضًا:

إذَا مَا خَيمةَ السُلطان لَاحتْ ... فقُلْ في حُسنِهَا نَظمًا وَنَثرَا
وَإنْ رُفعتْ وَرُمتَ النصبَ منهَا ... فصِف أطنَاتِهَا وَهَلمَّ جَرًّا[٤] [٧٥/ب]

وفي هَذهِ المُدّة التي أَقامهَا السلطان هُناك، وَقعَ بينهُ وَبينَ مملُوكه يَلبُغَا العُمري الخاصكي، فقصدَ الوَثوب عَلى السلطان هُناك؛ فَلمَا بَلغَ السلطان ذلك، رَكبَ ليلة الأَربعَاء تَاسع جَمادى الأَول منَ السنةِ المذكُورة، وَمعهُ بعض جَماعة منَ الأمرَاءِ، وَقصدَ يَكبس عَلى يَلبُغَا وَهوَ في الخيَامِ.

---

[١] بدائع الزهور ١/١/٥٦٨: الخبر في أحداث سنة ٧٦٠هـ.
[٢] هي من القرى القديمة، حرف إلى كوم بره وهو اسمها الحالي، تتبع إمبابة. (القاموس الجغرافي ٦٣/٢/٣).
[٣] بحر الطويل؛ البيتان في: النجوم الزاهرة ٣١٥/١٠. المنهل الصافي ١٣٠/٥.
[٤] بحر الوافر.

فَلمَا علمَ يَلبُغَا بذلك أَخذَ حَذرَهُ، وَألبسَ مَماليكه، وَخرجَ عن الخيَامِ وَأَخلَاهَا، وأكمنَ قريبًا منهَا، فَلمَا كبسَ عليهِ السلطان في نصف الليل، فلمْ يَجد في الخيَامِ أَحدًا، ثم إن يَلبُغَا حَطمَ عَلى السُلطان، وأتقعَ معهُ فأنكسرَ السلطان وَمَنْ مَعَهُ مِن الأمراءِ، وَهربُوا تحتَ اللّيل.

وَعدَّى السُلطان، وَطلعَ إلى القلعةِ، فتبعهُ يَلبُغَا بمنْ معهُ منَ الأمرَاءِ وَالمماليك، فَلمَا طَلَعَ السلطان إلى القلعةِ، فلمْ يجدْ مَعهُ منَ المماليك إلا قليل، وَلمْ يكنْ معهُ منَ الأمرَاءِ إلا ثمانْ تمر العُمري[1] وَأيدمُر الدوَادَار، فلم يَجدْ للمماليك خيُولا يَركبُونهَا، لأنَ الخيُول كانت في الرّبيع.

فَلمَا أَسفرَ النهَار طَلَعَ يَلبُغَا إلى الرملة، وَحَاصر القلعة، فَلمَا رأى النَاصر حَسن عين الغُلب، رَكبَ وَنزلَ منَ القلعةِ، هُوَ وَالأمير أيدمُر الدوَادَار، وهُمَا في زي العرب، وقصدَ النَاصر حَسن بأنْ يتوجه نحو الشام، ويستنجد بالأمير بيدمُر الخوَارزمي نَايب الشام، فأنَ النَاصر حَسن نقلهُ مِنْ نيَابةِ حلب إلى نيَابةِ الشَام، لمَا أنْ هربَ منجك اليُوسُفي، كما تقدم.

فلمَا نزلَ النَاصر حَسن منَ القلعةِ، فبينمَا هُوَ في أثناءِ الطريق عندَ المطريّة، فلقيهُمَا بعض المماليك، فقبضَ عليهُما، وَأَحضرهُمَا إلى عند يَلبُغَا العُمري، فأمَا أَيدمُر الدوَادَار، فأرسلهُ إلى السجنِ بثغر الإسكندرية. [٧٦/أ]

وَأمَا الملك النَاصر حَسن فكانَ آخر العهد بهِ، قيلَ: إنهُ خُنقَ وَرُمي في البحر، وَلم يُعرف لهُ قبرٌ، ولمْ يُدفنَ في القُبة التي في مدرَستهِ.

وكانتْ قَتلتهُ في جَمادى الأول[2] سنة اثنتين وَستين وسبعمَائة.

وَكانَ السلطان حسن أَشقر اللّون في وَجههِ بعض نمش، وَكانَ عربي الوَجه، أشقر اللحية، نحيف الجسّد، مُعتدل القَامَة، **وَكانَ** ملكًا شُجاعًا مِقدَامًا مُهَابًا، نافذَ الكلمة، مُحبًا لجمع الأموال، وَمَاتَ وَلهُ مِنَ العُمرِ نحو سبعة وَعشرين سنة، **وَكانَ** يميل إلى اللَّهو وَالطربِ وَشربِ الراح، مُولعًا بحبِّ النسَاء الحسَان، لَا يملّ مِنْ شرب الراح، وَلا منَ الطربِ في اللّيلِ وّالنهار، حتى قَالَ فيهِ القائل:

---

[1] في بدائع الزهور ٥٧٦/١/١: "تمان تمر العمري".
[2] في بدائع الزهور ٥٧٧/١/١: "١٢ جمادى الآخرة".

لمّـــا أتـــى لِلعَاديَـــات وَزَلزَلـــتْ حَفـــظَ النسَـــاء وَمَـــا قَـــرَا لِلوَاقِعَـــة
فلأجـل هَـذَا الملـك أضـحى لـمْ يكـنْ وَأتـــى القِتَـــال وَفَصّـــلتْ بالقَارعـــة
لـــوْ عَامـــلَ الـــرَّحمنَ فَـــازَ بكهْفـــهِ وَبنصـــرهِ فـــي عصـــرهِ لِلسَـــابعة
مَـــنْ كانـــتَ القينَـــات مِـــنْ أحزَابـــهِ عَطعـــط بـــهِ الـــدُخَان نَـــارٌ لَامعَـــة[1]

يُشيرُ النَاظم إلى مُغنى يُسمى عَطعَط وَإلى مُشببٍ يُسمى الدُخَان.

فكانتْ مُدّة سلطنة الملك النَاصر حَسن بالدِّيَارِ المصريّة عشر سنين وَنصف السلطنة الأولى، ثلاث سنين وَتسعةِ أشهر وَأيَام، وَالسلطنة الثانية ست سنين وسبعةِ أشهر وَأيَام.

وَلمَا مَاتَ خلف من الأولَادِ عشرة ذُكُور، وَهُمْ: سيّدي أحمد، وَسيّدي علي، وَسيّدي قَاسم، وَسيّدي إسكندر، وَسيّدي مُوسَى، وَسيّدي يَحيى، وَسيّدى شَعبَان، وَسيّدي يُوسف، وَسيّدي إسمَاعيل، وسيّدي محمد، وخلف منَ البنَاتِ ستة.

وكانَ في أيَامهِ منَ الأمرَاءِ المقدّمين الألوف منْ أولادِ النَاس تسعة[2]، وَهُمْ: عُمر بن أرغُون النَائب، وَأسنبُغَا بن بكتمر الأبُوبكري، [٧٦/ب] وَمحمد بن المُحسنى، وَأحمد بن آل ملك النَائب، وَمُوسى بن أرقطاي، وَمحمد بن طُرغَاي، وَمحمد بن بهَادُرآص، وَمُوسي بن الأركشي؛ ومنْ أولادِ السلطان ثلَاثة أمراء مقدَّمين، وَهُمْ: سيّدي أحمد، وَسيّدي علي[3]، وَسيّدي قاسم.

وَأمَا من أولادِ النَاسِ من الأمراء الطبلخَانَات وَالعشراوَاتْ فكثير.

وَأمَا منْ كانَ في أيَامهِ منْ أولادِ النَاسِ مِنَ النُواب، وَهُمْ: العَلائي بن قشتمر نَايب حلب، وَبيدَمُر الخوَارزمي نَائب دمشق، وَابن صُبح نَائب صفد.

وَكانَ قصدَ النَاصر حَسن إنشاء أولاد النَاس في أيَامهِ، وَهُوَ آخِرُ منْ تَولى السلطنة منْ أولادِ الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، وَكانَ كفوًا للمملكةِ، لكن خانهُ الزمان وعَاجلهُ حِمَام، وَسطى عليهِ الدهر، كمَا قيلَ في المعنى:

وَمَـــنْ يَـــأمَنِ الـــدُّنْيَا يَكُـــنْ مِثْـــلَ قَـــابِضٍ عَلَـــى الْمَـــاءِ خَانَتْـــهُ فُـــرُوجُ الْأَصَـــابِعِ[4]

وَلمَا قُتل النَاصر حَسن تَولى مِنْ بعدهِ ابْنِ أخِيهِ المُظفر حَاجي.

---

[1] بحر الكامل؛ الأبيات في: النجوم الزاهرة ٣١٦/١٠. المنهل الصافي ١٣١/٥.
[2] في بدائع الزهور ٥٧٨/١/١: "عشرة"؛ أسماء المذكورين تسعة فقط.
[3] لم يرد ذكره أنه من الأمراء مقدمين ألوف في بدائع الزهور.
[4] بحر الطويل؛ البيت لهِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ. (انظر: معجم ابن المقرئ صـ٢٢٢). ولم يرد ذكر هذا البيت ببدائع الزهور.

وَأمَا مَنْ تُوفي في أيَامـهِ مِنَ الأعيَان، وَهُمْ: الشيخ تقي الدِّين السُبكي[١]، وَالشيخ بهَاء الدِّين ابن عقيل[٢]، وَالحَافظ مُغلطاي[٣]، وَالشيخ أبُو أُمامَه[٤]، وَابن النقَاش[٥] من كبَار الشَافعيّة، وَغير هؤلاء منَ العُلماء وَالأعيَان.

وَذلك في السلطنةِ الثانية انتهتْ أخبَار دولة النَاصر حَسن.

---

[١] وردت ترجمته في بدائع الزهور ١/١/٥٥٦-٥٥٧.

[٢] في بدائع الزهور ورد خبر وفاته في أحداث سنة ٧٦٩هـ، وهو الصواب. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/٦٦) ؛ وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي بهاء الدين ابن عقيل من أئمة النحاة، من نسل عقيل بن أبي طالب، مولده سنة ٦٩٤هـ، وفاته سنة ٧٦٩هـ بالقاهرة، ولي قضاء الديار المصرية لمدة قصيرة، له "شرح ألفية ابن مالك" و"الجامع النفيس"، وغير ذلك. (انظر: الدرر الكامنة ٣/٤٢- ٤٥؛ حسن المحاضرة ١/٥٣٧).

[٣] في بدائع الزهور ورد خبر وفاته في سلطنة السلطان المنصور محمد. (انظر بدائع الزهور ١/١/٥٨٦) ؛ وهو مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكحري المصري الحكري الحنفي أبو عبد الله علاء الدين مؤرخ من حفاظ الحديث، عارف بالأنساب، تركي الأصل، ولي تدريس الحديث في المدرسة المظفرية بمصر، وله عدة تصنيفات. (انظر: لسان الميزان ٦/٧٢؛ الدرر الكامنة ٦/١١٤؛ حسن المحاضرة ١/٣٥٩).

[٤] في بدائع الزهور ورد خبر وفاته في أحداث سنة ٧٦٣هـ، وهو الصواب. (انظر بدائع الزهور ١/١/٥٨٩) ؛ وهو محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي ثم المصري، أبو أمامه ويقال له ابن النقاش، واعظ مفسر فقيه، له "شرح العمدة" ثمانية مجلدات و"تخريج أحاديث الرافعي" وكتاب في "الفروق" وغير ذلك، ولد سنة ٧٢٠هـ، ومات سنة ٧٦٣هـ. (انظر: الدرر الكامنة ٥/٣٢٥-٣٢٨).

[٥] أبو إمامة وابن النقاش شخص واحد وليس شخصين، كما ورد في بدائع الزهور ١/١/٥٨٩ وجواهر السلوك٢٠٣.

ذكر
سلطنة الملك المنصُور محَمد ابن الملك المظفر حَاجي
ابن الملك النَاصر محمد بن المنصُور قلَاوُن[1]

وَهوَ الحَادي وَالعشرُون من مُلوك التُرك وَأوْلادِهُمْ بالدِّيَارِ المصريّة؛ تسلطنَ بعد قتل عمّهِ الملك النَاصر حَسن في يَوم الأربعَاء تَاسع جُمادى الأول[2] سنةِ اثنتين وستين وسبعمَائة، فتولى الملك وَلهُ مِن العُمرِ أَربع عشرة سنة. [٧٧/أ]

وَكانَ القائم بتدبير أُمور مملكتهِ المقر السيفي يَلبُغَا العُمري النَاصري الخَاصكي، فاستقر بهِ أَتَابك العسَاكر المنصُورة، وَكانتْ عظمة يَلبُغَا في أيَامِ الملك المنصُور هذَا، ثُم استقر بالمقر السيفي قشتمر المنصُوري نَايب السلطنة.

ثُمَ أَفرجَ عَنْ منْ كانَ مسجُونًا منَ الأمراءِ، وَهُمْ: الأمير طاز النَاصري الدوَادَار، وَالأمير جركتمر المارديني، وَالأمير قُطلوبُغَا المنصُوري، وَطشتمر القَاسمي، وَملكتمر[3] المحمدي، وأَقتمر عبد الغني، وَبكتمر المُؤمني، وَجردمُر[4]، وَقرَابُغَا[5]، وَبتخاص[6]، فَلما أَفرجَ عنهُم أَنعم عليهم بالإقطَاعَات وَالتقَادم الألوف.

ثم جاءت الأخبَار في أثناءِ دَوَلتهِ بأنَ الأَمير بيدمُر الخوارزمي نَائب الشَام خَامر، وَخرجَ عن الطاعةِ، وقدْ مَلك قلعة دمشق، وَكذلك جَماعة منَ النُواب خَامرُوا معهُ.

---

[1] جاءت أخباره في: بدائع الزهور ١/١/٥٨٠- ٥٩٤؛ جواهر السلوك ٢٠٤- ٢٠٥.
[2] في بدائع الزهور ١/١/٥٨١: جمادى الأخرة.
[3] في بدائع الزهور ١/١/٥٨١: تلكتمر.
[4] لم يرد ذكره في بدائع الزهور.
[5] لم يرد ذكره في بدائع الزهور.
[6] لم يرد ذكره في بدائع الزهور.

فَلمَا جاءت الأَخبَار بذلك تجهّز السلطان الملك المنصُور، وَخرجَ إلى البلَادِ الشَاميّة، وَصُحبتهُ الأتابكي يَلبُغَا العُمري وجميع الأمرَاء والعسَاكر، فخرجَ من القَاهرةِ في شهر شعبَان(١) سنةِ اثنتين وستين وَسبعمَائة.

فَلمَا وَصلَ إلى دمشق أَرسلَ نَائب الشَام يَطلب الأمَان، فأَرسلَ لهُ السلطان بالأمَانِ، فَلمَا نَزلَ منَ القلعةِ، وَقَابل السلطان قبضَ عليه الأتابكي يَلبُغَا وَقيَّدَهُ وَأَرسلهُ إلى السجنِ بثغر الإسكندرية.

ثم إن السلطان استقر بالأمير عَلي الماردينى نَائب الشَام عُوضًا عن بيدمُر الخوَارزمي، واستقر بالأمير قُطلوبُغَا الأَحمدي نَائب حلب؛ ثُم رَجعَ السلطان إلى القَاهرةِ فدخلهَا في موكبٍ عظيم.

ثُم دخلت سنة ثلاث وستين وَسبعمَائة، فيها: تزوّج الأتابكي يَلبُغَا بخوند طُولُوبيه، زوجة أستَاذهُ الملك النَاصر حسن.

وفيها: تُوفي الإمام الخليفة المُعتضد باللهِ ابن الإمَام المُستكفي باللهِ سُليمَان، وَعهدَ [٧٧/ب] بالخلَافةِ لوَلدهِ الإمام المُتوكل عَلى اللهِ محمد، فَتَولى الخلَافة بعدَ وَالدهِ واستقر بهَا.

ثم دخلت سنة أَربع وستين وَسبعمَائة، فيها: تَوفي سيّدي حُسين بن الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، وَهوَ وَالدُ الملك الأشرف شعبَان، وَهوَ أخرُ منْ تُوفي من أَولادِ الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، وَمَاتَ وَلم يتولى السلطنة، وَكانتْ وَفَاتَهُ في ليلةِ السبت رَابع رَبيع الآخر(٢) منَ السنةِ المذكُورة.

وفيها: قبضَ الأتابكي يَلبُغَا العُمري عَلى السلطان الملك المنصُور محمد، وخلعهُ مِنَ الملك، وَأَدخلهُ إلى دُور الحرم مُحتفظًا بهِ، وَذلك في يَومِ الثلاثاء رَابع عشر(٣) شعبَان منَ السنة المذكُورة، وَوَلى عُوضهُ الأشرف شعبَان بن الأَمجد حُسين المُقدم ذكر وَفاته.

فكانتْ مُدّة الملك المنصُور محمد بن المُظفر حَاجي بالدِّيَارِ المصريّة إلى أنْ خُلعَ منَ السلطنةِ سنتين وَأَربعةِ أشهر(٤).

---

(١) في بدائع الزهور ١/١/٥٨٢: "رمضان".
(٢) في بدائع الزهور ١/١/٥٩٢: جمادى الأولى.
(٣) في بدائع الزهور ١/١/٥٩٢: "الإثنين"؛ وفي جواهر السلوك ٢٠٥: "الثلاثاء ١٥ شعبان ٧٦٤هـ".
(٤) في بدائع الزهور ١/١/٥٩٣: "سنتين وثلاثة شهور وستة أيام".

وَكانَ الملك المنصُور هَذَا يَميل إلى اللّهو وَالطربِ، وَشرب الرَاح، وَكانَ لهُ جوَار مغَاني جوقة كاملة نحو عشرة جوَار سُود، تُعرفنَّ بمغَاني المنصُور، وَكانَ رَاضيًا بأَرغدِ العيش الطيّب، وحُبّ السمَاع الحَسن.

وَهوَ آخرُ منْ أَقنى الجوَار المغَاني، يَزفُون بالطَارَاتِ عند الصبَاح وَالمساء، وكانتْ هَذهِ عَادة الملُوك والأَكابر، يَقنُوا عندَهُم الجوَار المغَاني، وَأَخر منْ كانَ يفعل ذلك منَ الأكابر الأَمير محمُود الأسُتَادَار العَالية، ثُم من بعدهِ بطلَ ذلك مع مَا بطل من محَاسن عيشةِ الأَكابر بالدِّيَارِ المصريّة.

ثُمَ إنَ الملك المنصُور أقام عَلى ذلك، وَهوَ في دُور الحرم مُختفي إلى أنْ مَاتَ في ليلةِ السبت تَاسع المُحرم إحدى وَثمانمَائة، وَمَاتَ وَلهُ منَ العُمرِ نحو خمسة وخمسين سنة[1]، وَدُفنَ في تُربةِ جدّتهِ أُم أَبيهِ خوند طُغلي، عندَ البَاب المحرُوق، وَلمَا مَاتَ خلف عِدَّة أوْلَاد ذُكُور وَأَنَاث، وَكانَ قانعًا بمَا هُوَ فيه [٧٨/أ] منْ أَرغدِ العيش الطيب، كمَا قَالَ القَائلُ في المعنى:

كُلّ المُلُوكِ تسطَوا بِالملكِ وَالسِّلَاح
وَنَا قنعتُ مِنْهُ بِالرَّاحِ والملاح[2]

وقال آخر في المعنى:

قَالُوا رَأَينَاكَ كلِّ وَقتٍ تهيمُ بالشُربِ وَالغنَاءِ
فَقلتُ إني أمرءٌ[3] قنُوعٌ أَعيشُ بالماءِ وَالهوَاءِ[4]

---

[1] في جواهر السلوك ٢٠٥: "نحو خمسين سنة".
[2] الموشحة؛ في مورد اللطافة ٩٦/٢ والنجوم الزاهرة ٤٥/١٣.
[3] في فوات الوفيات ٥٩/٤: "فتى".
[4] بحر مخلع البسيط؛ البيتان لمجير الدين ابن تميم الإسعردي. (انظر: فوات الوفيات ٥٩/٤. خزانة الأدب ٨٠/٢).

ذكر

سلطنة الملك الأشرف أبي المعَالي زين الدّين شعبَان

ابن الأَمجد حُسين بن الناصر محمد بن المنصُور قلَاوُن[1]

وَهوَ الثاني والعشرون من مُلوك التُرك وأولادهم بالدّيَارِ المصريّة، تسلطنَ في يَوم الثلَاثاء خَامس عشر شعبَان سنةِ أَربع وَستين وَسبعمَائة، وكانَ لهُ مِنَ العُمرِ لمَا تسلطن إحدى عشرة سنة[2].

وَكانَ مليح الشكل، بديع الجمال، فلمَا لبسَ خلعة السلطنةِ، وجلسَ عَلى سريرِ الملك، وَتلقبَ بالملك الأشرفِ، وَدُقتْ لهُ بالبشَائرُ، ونُودي باسمهِ في القَاهرةِ، فضجُوا النَاسُ لهُ بالدُعَاءِ، وفيهِ يَقولُ القيمُ خلف الغُبارِي[3]، من زجلٍ لطيف:

حَبَّ قلبي شعبَان مُوفق رَشيدْ	وَجمالو أشرف وَمَالو حُدُودْ
وَأبوهُ الحُسين وَعمو الحَسنْ	وَارثْ الملك من جُدودِ الجدودْ
سلَّ لحظك صَارم لقتلِ العِدَا	وأنتَ منصُور طَول المدَا وَالسِّنينْ
زَعقَ السّعد بين يديك: شاويشْ	فرَّحَ القلب بَعدَ مَا كان حَزينْ
وَنصبْ لك كُرسى عَلى المملكة	وَظهر لك نصره بِفتحو المُبينْ
وَالعَصَايب منْ حَولك اشتَالتْ	- خفقت في الرُكوب عليك - البُنودْ
فاحكمَ احكم في مصرَ يَا سُلطانْ	فجميّع المِلَاح لحُسنك جُنودْ

فلمَا تمَّ أمرَ الأشرف شعبَان في السلطنةِ، أقرَ الأتابكي يَلبُغَا العُمري [٧٨/ب] على عَادتهِ أَمير كبير، واستقر بالمقر السيفي منكلي بُغَا الشمسي في نيَابة

---

[1] جاءت أخباره في: بدائع الزهور ٣/٢/١- ١٨٧؛ جواهر السلوك ٢٠٦- ٢٢٥.

[2] في بدائع الزهور ٣/٢/١: "اثنتى عشرة سنة"؛ وفي البداية والنهاية تح: التركي ٦٧٧/١٨ والسلوك لمعرفة دول الملوك ٨٣/١/٣ والنجوم الزاهرة ٢٤/١١: "له من العمر عشر سنين". وفي البداية والنهاية تح: بشار ٤٤٣/١٦: "له من العمر عشرون سنة"؛ وفي جواهر السلوك ٢٠٦: "إحدى عشرة سنة" وفي صـ٢٢٢: "وتولى الملك وعمره عشرين سنة".

[3] هو خلف بن محمد الغباري عاش في القرن الثامن الهجري، وكان فقيها وعالما وأديبا وشاعرا ينظم الشعر الفصيح ولكنه اشتهر بنظم الزجل. (د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف ٣٩٣/٧).

دمشق؛ واستقر بالمقر السيفي قُطْلُو بُغَا الأَحمدي في نيَابة حلب عَلى عَادتهِ؛ واستقر بالمقر السيفي أَزدَمُر العُمري النَاصري الخَازندَار في نيَابةِ طرَابُلس؛ واستقر بالأَمير قشتمر المنصُوري في نيَابةِ صفد؛ واستقر بالأمير عُمر شَاه في نيَابةِ حَماه؛ واستقر بالأَمير عُمر بن أَرغُون[1] النَائب في نيَابةِ غزّة.

ثم عمل الموكب بالقصر الكبير، وَأَخلعَ على منْ يُذكر منَ الأمرَاءِ أربابِ الوَظائفِ بالدّيارِ المصريّة وَهم: المِقر السيفي طَيْبُغَا الطَّوِيلُ أَمير سلاحَ، وَالمقر السيفي عشقتمر المَاردِيني[2] أَمير مجلس عَلى عَادتهِ، وَالمقر السيفي أَرغُون الأسعردي دوَادَار كبير، وَالمقر السيفي أَرغُون الأَزرقي رَأس نوبة النُوب، وَالمقر السيفي طيبُغَا العلائي حَاجب الحُجاب، واستقر بجَماعةٍ منهُم بتقَادم ألُوف، وَعَلى جَماعةٍ منهُم بطبلخَانَات وَعشرَاوَات، هذَا مَا كانَ من أخبَارهِ في مُبتدأ دَولتهِ.

ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمائة، فيها: استقر المقر السيفي عشقتمر المارديني نائب حلب، عوضًا عن قطلُو بُغَا الأحمدي[3]، ثم نُقلَ الأَمير أزدمُر العُمري[4] إلى نيَابةِ حلب عُوضًا عن عشقتمر الماريني.

وفيها: جاءت الأخبار من البلاد الشامية بأن نائب الشام منكلي بُغَا الشمسي فتح باب كيسَان[5] الذي بدمشق، بحضور القضاة الأربعة وأرباب الدولة، وكان هذا الباب مغلقًا من مدة تزيد على مائتي سنة، وقد سدَّ هذا الباب في أيام العادل نور الدين الشهيد، وقد اقتضى الرأي فتح هذا الباب ففيه مصلحة للمسلمين، ثم

---

(1) في السلوك ٨٤/١/٣ والنجوم الزاهرة ٢٥/١١ وبدائع الزهور ٥/٢/١: "أرنبغا... في نيابة غزّة".

(2) ورد اسمه في النجوم الزاهرة ٢٥/١١ والسلوك ٨٤/١/٣: "أَشَقْتَمُر الماريني".

(3) في بدائع الزهور ١٠/٢/١ والنجوم الزاهرة ٢٥/١١: "منكلي بُغا الشمسي"؛ وفي السلوك ٨٤/١/٣: "قطلو بُغا الأحمدي"، كما هنا.

(4) في بدائع الزهور ١٦/٢/١: "الأمير جرجي"، وكذلك "وفيه نقل أشقتمر... إلى نيابة طرابلس عوضًا عن الأمير أزدمر العمري" وذكر ذلك ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢٧/١١. والصحيح ما جاء في بدائع الزهور.

(5) هو أحد أبواب سور دمشق في الزاوية الشرقية الجنوبية منه، ينسب إلى كيسان مولى معاوية، وقيل: مولى غيره، والنصارى يسمونه باب بولس، ويقولون: أنه دلى نفسه من نافذته هربًا من الاضطهاد وهو على بعد خطوات من مدافن المسيحيين، قريبا من مرقد بلال الحبشي مؤذن النبي ﷺ المدفون في مقبرة باب الصغير. (انظر: دليل سوريا وفلسطين بدكر، صـ٣١١؛ وتاريخ ابن عساكر ٤٧٧/١٠؛ خطط الشام، كرد على ١٥٧/٦؛ فلسطين الإسلامية، استرانج، صـ٢٣١).

إن نائب دمشق عَقدَ عَلَى النهرِ قنطرة كبيرة على الطريق السالكة بسبب المسافرين[1].

ثم في هذه السنة: برز مرسُوم السلطان للقضاة والحكام بإبطال جميع[٧٩أ] الوكلاء من أبواب الحكام بالديار المصرية والبلاد الشامية، وفي ذلك يقول الشيخ بدر الدين ابن حبيب[2]:

يَقُولُ ذَا الحَقَّ الذي غَالهُ خَصْمٌ أَلَدٌ وَلِسَانٌ كليلْ
إنْ صَيَّروا أَسرَ وكيلي سُدًى فحسبى الله وَنِعمَ الوَكيلْ[3]

ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمائة، فيها: توفي الملك الصالح صالح بن الملك المنصور غازي صاحب مَاردين، وكان ملكًا جليلًا نبيلًا يحب العدل في الرعية، فكانت مدة مملكته بِمَاردين نحو أربعة وخمسين سنة، وعاش من العمر نحو سبعين سنة[4].

ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمائة، فيها: رسم السلطان لنائب حلب بأنْ يتوجه بالعساكر الحلبية لحصار قلعة خَرْتَبِرْتُ[5] من أعمال ديار بكر، فسار إليها نائب حلب وحاصرها نحو أربعة أشهر، فطلب صاحبها الأمان فأجيب إلى ذلك فنزل طائعًا، وحضر إلى الأبواب الشريفة وقابل السلطان فأخلع عليه خلعة واستقر على حاله[6].

---

(1) لم يرد هذا الخبر في بدائع الزهور. وجاء الخبر في: البداية والنهاية ٦٨٩/١٨ والسلوك ٩٢/١/٣ والنجوم الزاهرة ٢٦/١١ وجواهر السلوك ٢٠٧.

(2) هو: طَاهِر بن الْحُسَيْن بن عمر بن الْحسن بن عمر بن حبيب بن شويخ الزين أَبُو الْعِزّ ابْن الْبَدْر أبي مُحَمَّد الْحلَبِي الْحَنَفِيّ وَيعرف بِابْن حبيب. ولد بعد الْأَرْبَعين وَسَبْعمائة بِقَلِيل بحلب، وَدخل الْقَاهِرَة ودمشق وَأَقَام فِي كل مِنْهُمَا مُدَّة، وَكتب فِي ديوَان الْإِنْشَاء بِبَلَدِهِ وبالقاهرة. (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ٣/٤- ٤).

(3) بحر السريع.

(4) ورد الخبر في: بدائع الزهور ١٥/٢/١ والسلوك ٩٥/١/٣ والنجوم الزاهرة ٨٥/١١- ٨٦: في أحداث سنة ٧٦٥هـ. وصفة الملك الصالح لم ترد إلا هنا والنجوم الزاهرة ٨٦/١١.

(5) هو اسم أرمني للحصن المعروف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم. (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٥٥/٢).

(6) الخبر ورد في: السلوك "وَكتب إِلَى الأَمِير جرجي نايب حلب أن يسير لأخذ قلعة خرت برت من ديار بكر وَأخذ صَاحبهَا خَلِيل بن قراجا بن دُلغادر مقدم التركمان فنازل قلعتها نَحْو أَرْبَعَة أشهر وَعَاد بِغَيْر طائل. لمنعتها وحصانتها. ثم إن ابْن دلغادر طلب الأمان فأمن وَقدم إِلَى الْقَاهِرَة". السلوك ١٢٠/١/٣ وبدائع الزهور ٢١/٢/١.

وفي هذه السنة: جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية، بأنَ صاحب قبرص وصل إلى الثغر في يوم الجمعة ثالث عشرين صفر، وهو في سبعين مركبًا من المراكب الحربية، وأن نائب الإسكندرية خرج إليه ومعه جماعة من عربان البحيرة إلى ظاهر باب البحر فاتقع مع الفرنج هناك وقعة عظيمة، فانكسر نائب الإسكندرية، وهرب بمن معه من العربان، فدخل الفرنج إلى المدينة ونهبوا أسواقها وقتلوا جماعة كثيرة من المسلمين وحرقوا باب رشيد[1].

فلما جاءت الأخبار بذلك كان السلطان هو والمقر السيفي يلبُغا العمري في سرياقوس على سبيل التنزه، فلما بلغ السلطان ذلك طلع إلى القلعة في باكر[٧٩/ب] النهار ونادى للعسكر بأنَ الرحيل إلى السفر بعد الظهر.

فصلى السلطان الظهر وركب وعدى إلى بر الجيزة، وكان أيام النيل[2]، ثم سار إلى الطرانة فنزل بها، وأرسل الجاليش، وهم جماعة من الأمراء: الأمير طَيْبُغَا الطَّوِيلُ أمير السلاح؛ والأمير خليل بن قوصون أمير مجلس؛ والأمير قطلو بُغا المنصُوري؛ والأمير كوكنداي أخو طَيْبُغَا الطَّوِيلُ؛ وغيرهم من الأمراء.

فلما وصلوا إلى ثغر الإسكندرية فوجدوا الفرنج قد رحلوا عن الثغر، وتوجهوا إلى بلادهم بعدما جرى منهم ما جرى من القتل والنهب وغير ذلك.

فلما بلغ السلطان رجوع الفرنج إلى بلادهم فرجع إلى القاهرة، ورسم بعمارة ما فسد من ثغر الإسكندرية، وأرسل للأمراء الذين تقدموا بأن يقيموا هناك لتطمين أهل البلد وعودهم إليها.

ثم إن السلطان أخلع على الأمير بكتمر الشريف[3] وجعله نائب ثغر الإسكندرية، بتقدمة ألف، وهو أول من وليهَا من الأمراء المقدّمين، وكانت قبل ذلك ولاية مُنحطة الرُتبة، وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

---

[1] كان من أبواب مدينة الإسكندرية في سورها الشرقي، وسمي بذلك لأنه كان على رأس الطريق التي توصل من الإسكندرية إلى مدينة رشيد، وقد اندثر هذا الباب، ومكانه اليوم في الحدائق الواقعة شرقي مدخل شارع فؤاد الأول عند اتصاله بشارع أبو قير بمدينة الإسكندرية. (النجوم الزاهرة ١٨٤/١١ هامش ١).

[2] يقصد أن النيل في قوة الزيادة. (انظر: بدائع الزهور ٢٢/٢/١، وجواهر السلوك ٢٠٧).

[3] في بدائع الزهور ٢٤/٢/١: "بكتمر الشرفي"، وفي السلوك ١١٤/١/٣: "بكتمر الشريف" وهو موافق لما ورد هُنا.

إســــــــكندريّة قَالــــــــــــتْ يــاتــــــائبي صُــــــــنْ[1] دِمَاكـــــــا
لقــــــــدْ تغيـــــــرَّ ثغــــــرى وَاحتجـــــتْ فيــــــهِ سِــــوَاكا[2]

وفي هذه الواقعة يقول الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة:

ألا فـــي سَـــبيلِ اللهِ مَـــا حَـــلَّ بـــالثغر علـى فرقـةِ الإسـلامِ مـنْ عُصْبـةِ الكفُـرِ
أتَاهَـــا مِـــنَ الإفــرنجِ سـبعُونَ مركبًـــا وَضَـاقتْ بهَـا الغِربَـان فـي البـرِّ والبحـرِ
وَصُـــيِّر منهَـــا أزرق البحـــر أسـودًا بنُـو الأَصـفر البَـاغُون بـالبيضِ وَالسُـمرِ
أتُـوا أهلهَـا هجمًـا علـى حـينِ غفلـةٍ وَبَـاعهُمْ فـي الحـربِ يُقصـرُ عـن فتـرِ
فكـمْ مِـنْ فقيـرٍ عَـاشَ فيهـا مِـنَ الغِنَـي وكـمْ مـن غنـيٍ مَـاتَ فيهـا مـنَ الفقـرِ
نثـــرتْ دُمُـــوعى يَـــوم فــرط نِظَــامِهمْ فيَا ليت شعري من يُبلغهُمْ نَثري[3] [٨٠/أ]

وفيها: خرج الأمير طَيْبُغَا الطَّوِيلُ أمير سلاح إلى نحو وادي العَبّاسَةُ[4] ليتصيد هناك، فأرسل إليه الأتابكي يَلبُغَا العُمري جماعة من الأمراء المقدمين، وهم: الأمير أرغون الأسعردي الدوادار، وأروس المحمودي أستادار العالية، والأمير أرغون الأزقي رأس نوبة النُوب، والأمير طيبُغَا العلائي حاجب الحُجاب، وأرسل صحبتهم تشريف إلى الأمير طَيْبُغَا الطَّوِيلُ أمير سلاح وهو بالعباسة، بأن يستقر نائب الشام، وأن يتوجه من هناك.

فلما وصلوا إليه هؤلاء الأمراء، فأبى طَيْبُغَا الطَّوِيلُ بأن يلبس ذلك التشريف، وأظهر العصيان، فوافقه على ذلك الأمير أرغون الأسعردي، والأمير أروس[5] المحمودي، وهرب الأمير طيبُغَا العلائي حاجب الحجاب، والأمير أرغون الأزرق، وتوجها إلى نحو القاهرة وأخبرا الأتابكي يَلبُغَا بما قد جرى من هذه الواقعة.

فعند ذلك ركب السلطان الملك الأشرف شعبان هو والأتابكى يلبُغا العمري وسائر الأمراء، وذلك في يوم السبت سابع ربيع الأول من السنة المذكورة،

---

[1] في بدائع الزهور ٢٥/٢/١: "صن يا خليل".
[2] بحر المجتث.
[3] بحر الطويل.
[4] وهي بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية، ذات نخل طوال، وقد عمّرت في أيامنا لكون الملك الكامل بن العادل بن أيوب جعلها من متنزهاته ويكثر الخروج إليها للصيد لأن إلى جانبها مما يلي البرّيّة مستنقع ماء يأوي إليه طير كثير فهو يخرج إليها للصيد، سمّيت بعبّاسة بنت أحمد بن طولون؛ وهي لا تزال معروفة باسمها إلى الآن وهي بمركز أبو حماد بالشرقية. (معجم البلدان ٧٥/٤؛ القاموس الجغرافي ٦٩/٢/١-٧٠).
[5] في الأصل "وأروس"، والصحيح ما أثبتناه من السلوك ١١٥/١/٣.

فتوجه السلطان إلى نحو قبة النصر فوقف هناك، هذا ما كان من أمر السلطان والأمراء.

وأما ما كان من أمر طَيْبُغَا الطَّوِيلُ، فأنه ساق هو ومن معه من الأمراء من وادي العباسة الليل كله حتى أصبح الصباح، فتلاقى هو والأتابكى يَلبُغَا على قبة النصر، فأَتقعُوا هُناك وقعة عظيمة فأشرف فيها يَلبُغَا على الكسرة، وكان يَلبُغَا قد أكمن كمينًا في فُمّ وَادِي السدرة على طيبُغَا ومن معه من الأمراء من ورائهم، فانكسر طَيْبُغَا الطَّوِيلُ ومن معه [٨٠/ب] ومُسك هو والأمير أرغون الأسعردي الدوادار، والأمير وأروس المحمودي الأستادار، والأمير كوكنداي أخو طَيْبُغَا الطَّوِيلُ، وأمسكوا غير ذلك جماعة كثيرة من الأمراء الطَّبْلَخَانَاهْ[١] والْعَشْرَاوَاتِ، ثم قيدوا منهم جماعة وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية، وانتصر عليهم يَلبُغَا هذه النصرة العظيمة.

وفي هذه السنة: حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير حيار بن مهنا أمير آل فضل، وكان له مدة طويلة عاص[٢]، فأحضره نائب حماة، فأخلع عليه واستقر على عادته.

وفيها: أنعم السلطان على جماعة كثيرة من الأمراء بأمريات طبلخانات وعشراوات.

وفيها: مات الملك المجاهد سيف الدين علي صاحب بلاد اليمن، واستقر بعده ولده الملك الأفضل عباس[٣].

ثم دخلت سنة ثمان وستين وسبعمائة، فيها: طُلبِ المقر السيفي منكلي بُغَا نائب الشام، فلما حضر إلى الأبواب الشريفة أكرمه السلطان، وأخلع عليه واستقر به نائب حلب وجعل حلب أكبر من دمشق على القاعدة القديمة، وأضاف له أربعة آلاف فارس من عسكر دمشق، وتوجه إلى حلب، واستقر بالأمير آقتمر عبد الغنى في نيابة دمشق.

وفيها: اهتم الأتابكي يلبُغَا بعمارة مائة غُراب، بسبب الجهاد في سبيل الله، وكان الشآد على عمارة هذه الأغربة الأمير طيبُغَا العلائي حاجب الحجاب.

---

[١] ومعناه بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات؛ ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم. (صبح الأعشى، القلقشندي، ١٣/٤).

[٢] في بدائع الزهور ٢٩/٢/١: "عاص على السلطان".

[٣] الخبر فى: بدائع الزهور ٤٢/٢/١. بدون ذكر من تولى بعد الملك سيف الدين علي.

وفيها: في مستهل ربيع الآخر عدى السلطان الملك الأشرف شعبان إلى بر الجيزة، ثم فضل التوجه إلى البُحيرة ليتصيد هناك، وصُحبته الأتابكي يَلبُغَا العُمري وبقية الأمراء، فلما عدى السلطان، كان يومًا مشهودًا في القصف والفرجة، وذلك أن [٨١/أ] الأغربة الذي عمرهم الأتابكي يَلبُغا أعرضهم على السلطان في ذلك اليوم وهم قدْ اشحنوا بالسلاح وآلة الحرب والنفط والطبول والزمُور ولعبوا بها في البحر قُدام السلطان الملك الأشرف شعبان ذهابًا وإيابًا وكان يومًا لم يُر مثله.

ثم إن السلطان عدى إلى بر الجيزة وتوجه إلى الطرَانة فأقام بها، فوقع هُناك بين الأتابكي يَلبُغَا العُمري وبين مماليك فأنهُ قد صار يضرب بعضهم بالمقارع وَقطع أنف بعضهم ويوسط بعضهم فعند ذلك نفرتْ منهُ قلوب مماليكه واختاروا قتله(١).

فلما كان ليلة الأربعاء سادس ربيع الآخر ركبوا مماليك يَلبُغا وكبسوا على أستاذهم وهو في الخيام، فلما أحسّ(٢) بهم ركب فرس النوبة وَهرب تحت الليل، وتوجه إلى انبابه، وعدى من هناك، وتوجه إلى بيته الذي في الكبش.

وطلب الأمراء الذين كانوا بالقاهرة، وأرسل منع المراكب أنْ لا يعدوا بأحد من العسكر إلى بر مصر، وَاجتمع عندهُ منَ الأمراء المقدمين الأمير طيبُغَا العلائي حَاجب الحُجاب وَكانَ أستادَارهُ، والأمير أينبك البدري وَكانَ أمير آخورهُ، وآقبُغَا جركس أمير سِلاحه، وغير هؤلاء جَماعة من الأمراء هذا مَا كانَ منْ أَمرِ يَلبُغَا.

وأمَا مَا كانَ مِنْ أمر مماليكه فأنهم لما علموا بهروبه اجتمعوا كلهم، وجاءوا إلى السلطان الملك الأشرف شعبان، وقالوا لهُ: "إنْ لم تركب معنا، وإلا قتلنَاك"، فركب صُحبتهم إلى أن وصلوا إلى سَاحل انبابه، فأقام السلطان هُناك من يَوم الأربعاء إلى يَوم الخميس.

ثم إنَ يَلبُغَا طلع إلى القلعة وأخرجَ سيدي أنوك أخو الملك الأشرف شعبَان من دُور الحرم، وسلطنهُ، وَلقبهُ بالملك المنصُور، وذلك [٨١/ب] في يَوم الجُمعة، فركب وَصُحبته سيّدي انوك، وَجَماعة منَ الأمراء، وَتوجّهُوا إلى نحو الجزيرةِ الوسطى.

---

(١) الخبر هنا جاء مضطربًا من ابن إياس وللتوضيح انظر: بدائع الزهور ١/٢/٤٥.

(٢) في الأصل "أحسن".

فصَارَ الملك الأشرف شعبَان في برّ إنبابة، ويَلبُغَا في الجزيرةِ الوسطى، وَهُما يترَامُوا بالنُشاب، ومكاحل النفط، فعندَ ذلك حضرَ إلى عند السلطان الملك الأشرف شعبَان شخص منَ النَواتية، يُسمى محمد بن لبطة، كانَ ريّسًا على المرَاكبِ في أيَامِ الملك النَاصر محمد بن قلَاوُن، فقَالَ للسُلطان: "أنَا أعدى بك"، فأَخذ نحو ثلاثين غُرابًا منَ الذي كانَ عمَّرهُم يَلبُغَا، كما تقدم، فكسرَ بُروقهم وعمَّرَهم بالمقَادِيق، وَعدى بالسُلطان وَالعسكر أَولا بأَول، وَهُمْ رَاكبُون الخيُول، وَذلك في يَومِ السبت بعدَ العصر، فطلعَ السلطان مِن جزيرةِ الفيل إلى أنْ طلعَ إلى القلعةِ.

فَلمَا تسَامع الأمراء وَالعسكر الذّين كانُوا عندَ يَلبُغَا بأن السلطان الملك الأشرف شعبَان طلع إلى القلعة، فصاروا يتسحبون من عند الأتابكي يَلبُغَا، ويطلعون إلى القلعة فلم يبق مع يَلبُغَا الا القليل من الأمراء والعسكر.

فرجع يَلبُغَا من الجزيرة الوسطى، وطلع إلى الرملة، ووقف بسوق الخيل ساعة، فلم يطلع إليه أحد من العسكر فلما رأى أمره في إدبار، نزل عن فرسه وصلى ركعتين قدام باب الميدان، ثم حلَّ سيفه وأعطاهُ للأمير طيبُغَا حاجب الحجاب، وركب فرسه وقصد التوجه الى بيته الذي في الكبش، فرجموه العوام وسبوه لأنهم كانوا يبغضونهُ بُغضًا شديدا ثم وصل إلى بيته بعد جهد كبير.

فلما أقام في بيته أرسل السلطان إليه بعض الأمراء ليحضروه إلى القلعة، فركبَ يَلبُغَا من بيته وطلع إلى القلعة، ومعه طيبُغَا العلائي حاجب الحجاب، وَكانَ طلوعه إلى القلعة يوم السبت وقت المغرب، فلما طلع إلى [٨٢/أ] القلعة فسجن بها هو وطيبُغَا العلائي فأقام في السجن إلى بعد العشاء، فهجمُوا مماليكه عليه، وأخرجُوهُ مِنَ السحن، وأخذوهُ، وتوجهوا به إلى باب القلعة، فلما وصلوا به إلى سلم المدرج أراد أنْ يركب فمنعوه مماليكه من الركوب، ومشوا به إلى رأس الصُوّة، فتقدم إليه مملوك من مماليكهِ، يُسمى قرَاتمُر، فضربه بالسيف، فأرمى رأسهُ، فأخذوا رأسه بقية المماليك، وَوَضعوها في مَشعل، وتوجهوا بها إلى بيته الذي في الكبش.

وكان يَلبُغَا لهُ سلعة خلف أذنه، فلما رأوا رأسه لم يشك أحدًا في قتله، وصار جسدهُ مرمي في الصُوّة، فلما أصبح الصباح جاء الأمير طشتمر الدوَادَار فأخذ جثّتهُ، وحصَّل رأسهُ وَخيَّطهَا عَلى جُثتهُ، وَدَفنهُ في تربةٍ خارج الباب المحروق، وفي هذهِ الوَاقعة يقول بعض شعراء العصر في المعنى:

أتَـاك عَلَـى يـدك[1] المـوتَ لمَـا ظهـرَتَ بمَـا نهَـاك الشـرعُ عنـهُ
فـلَا تعتُـب سِـوَاك عَلَـى الـذِي قـدْ بُليـتَ بِـهِ فـدُود الخـلَّ منـهُ[2]

وَقَالَ آخرٌ:

بَـدَا شـقَاء يَلبُغَـا وَعَـدَّتْ عِـدَاهُ فِـي سُـفنِهِ إليْـهِ
وَالكـبش لـمْ يُفْـدِهِ وَأَضـحتْ تَنـوحُ غِربَاتُـهُ عليْـهِ[3]

وَقَالَ آخرٌ:

حوَاشـي يَلبُغَـا كـانُوا زُنَـاةً فَـلَا تَعجـب إذَا رُجمُـوا جهَـارَا
وَلا عجـبٌ إذَا سـكرُوا بحـربٍ فأهـل الكـبش مَـا برحُـوا سُـكارَى[4]

وكانت قتلة الأتابكي يلبغا في ليلة الأحد تاسع ربيع الآخر من سنة ثمان وستين وسبعمائة.

وَكانَ أميرًا جليلاً مَليا، عالي الهمة، نفاذ الكلمة، صاحب الحل والعقد بالديار المصريّة [٨٢/ب] ليس على يدّهِ فيمَا يَأمُرَ بهِ، وَكانَ الملك الأشرف شعبَان في يد يلبغا مثل اللولب يدوره كيف شاء. وَكانَ يَلبُغَا سيئ الخُلق، جرِّي اليد سفَاكًا للدِّمَاء قتلَ جَماعة كثيرة من مماليكهِ وَمنَ الأمراء ولا سيما قتله للسُلطانِ حسن وهو أستَّاذهُ، وَقدْ رقاهُ في أيَامهِ، كما تقدم.

وقيل: أنهُ غضِبَ يَومًا عَلى سَابق الدّين مثقال مُقدم المماليك فضرَبهُ في وسطِ القصر الكبير سُتمائة عَصَاه[5]، وَكانَ قُرب مَوتهِ زَادَ في الأذى وَالظلم في حق الناس لكنهُ كانَ أميرًا زائد الشهامة والعظمة.

قيلَ: بلغت عدَّة مماليكه نحو ألفين وخمسمائة مملُوك[6]، وَكانَ منهُم أَربعة أمراء مقدّمين ألُوف غير العشرَاوَات، وَإليهِ يُنتسبُ الطرز الذهب العريض الطويل، فيُقال: "طرز يَلبُغَاوي"، وَإليهِ تنتسبُ الصُّحُون الكبار، فيُقالُ: "صحون يَلبُغَاويّة".

---

[1] في بدائع الزهور ٥٠/٢/١: "يديك".
[2] بحر الوافر؛ في بدائع الزهور ٥٠/٢/١: البيتان لابن العطار.
[3] بحر مخلع البسيط؛ البيتان في: الدرر الكامنة ٢٠٩/٦. النجوم الزاهرة ٤٠/١١. حسن المحاضرة ١١٩/٢.
[4] بحر الوافر.
[5] لم يرد ذكر هذا الخبر في بدائع الزهور.
[6] في بدائع الزهور ٥١/٢/١: "ثلاثة آلاف مملوك".

قيلَ: كان ضريبة كلّ صحن عشرة أَرطال لحم، وإليهِ تُنتسب أشياء كثيرة غيرِ ذلك، وَكانَ مَاشيًا عَلى نِظامٍ مَا لَا مَشاعليه أحد من الأمراء قبلهُ وَلا بَعدَهُ، وَعَاشَ في أَرغدِ عيشٍ وفي سعةٍ منَ المالِ، وعظم الجَاهِ، كمَا يُقالُ في المعنى:

خُذْ مِنْ زَمَانِك مَا أعْطَاكَ مُغتنمًا وَأنتَ نَاهٍ لهذَا الدَّهرِ آمرُهُ

فالعمرُ كالكَأسِ تُستَحْلى أوائِلُهُ لكنّهُ رُبَّمَا مُجَّتْ أَواخِرُهُ[1]

فلما قُتلَ يَلبُغَا أَصبح الأمراء وطلعوا إلى القلعة، وقبضُوا على جَماعةٍ منَ الأمراءِ، وَهُم: قَرَابُغَا البدري، وَيعقُوب شاه، وَطيبُغَا العلائي حاجب الحجاب، وقبضوا على جماعة من الأمراء الطبلخانات، فقيدّوا الجميع وأرسلُوهم إلى السجن بثغر الإسكندرية، وَصَارَ المُتحدِّث في أُمورِ [٨٣/أ] المملكة الأمير طغيتمُر النظامي، وَالأمير اقبُغَا الأحمدي الجلب.

ثُم عملَ السلطان الموكب وَأَخلعَ عَلى من يُذكر منَ الأمراء، وَهُمْ: الأمير قشتمر المنصُوري واستقر حَاجب الحُجاب عوضًا عن طيبُغَا العلائي، وأَخلعَ على الأمير أَيدمُر الشامي واستقر دوَادَار كبير، وَأُضيف إليهِ نظر الأحبَاس، وَهوَ أَولُ من تكلم في الأحباس من الدوَادَاريّة.

وَفيهَا: مُسك الصَاحب فخر الدّين بن قَرْوينة وَتسلَّمَهُ الأمير قَرَابُغَا الصُرغتمشي، فصَارَ يُعَاقبهُ وَأَحرقَ أصابعهُ بالنارِ وَلَا زالَ يُعَاقبهُ حتى مَاتَ تحت الضرب.

وَفيهَا: في يَومِ الخميس سَادس عشر رَجب أَثارَ بعض الأمراء فتنة، وركب وطلع إلى الرَملة، فنزلَ إليهم جَماعة من المماليك السُلطانيّة، فكسرُوهُمْ وَمُسك الأَمير قَرَابُغَا الصُرغتمشي، والأمير [تغري][2] برمش العلائي، والأمير أينبك البدري، والأمير إسحق[3] الرَّجبي، والأمير قرابغا العزي، والأمير مُقبل الرُومِي، فقُيدُّوا وَأُرسَلُوا إلى السجن بثغر الإسكندرية.

---

[1] بحر الطويل؛ البيتان لابن النبيه. (انظر: فوات الوفيات ٧٠/٣. خزانة الأدب ٣٤٢/١. زهر الأكم في الأمثال والحكم ٢٢/٣).

[2] لا توجد في الأصل، وكذلك لا توجد في أصل بدائع الزهور، وتم إضافتها من المحقق (انظر: بدائع الزهور ٥٦/٢/١ هامش ٣)، وتوجد في: السلوك ١٤١/١/٣؛ وهذا الاسم سيرد في الصفحات القادمة.

[3] في الأصل "أيسحاق"، والتصحيح من: بدائع الزهور ٥٦/٢/١ والسلوك ١٤١/١/٣.

فلما جرى ذلك رَكب جميع الأمراء عَلى السلطان فنزلَ إلى الحُراقةِ، وَدُقتَ الكوسَات حربى، وَوَقف الأمراء بسُوق الخيل، فأرسلَ السلطان يَقُولُ للأمرَاءِ: "إيش قصد كم"، فقالُوا: "مَسك الأمير أسندمُر النَاصري وَجَماعة مِنْ مماليك يَلبُغَا".

وَكانَ الأَمير أَسندمُر لما قُتلَ يَلبُغَا استقر أتابك العسَاكر عُوضًا عن يَلبُغَا العُمري، وسكن في بيتهِ الذي في الكبش، وَالتفَّ عَليه جَماعة مِنْ مماليك يَلبُغَا وَأراد انْ يمشي على طريقةِ يَلبُغَا.

فلما رَكب الأمراء وَوَقفُوا بسُوق الخيل، فلمْ يشعرُوا إلا والأمير أَسندمُر قدْ أقبلَ منْ نحو قُبةِ الهوى، وَوَصَلَ إلى تحتِ الطبلخَانَاة السُلطانية، وَمعهُ مماليك يَلبُغَا وَجَماعة منَ الزعر بأيدهمْ المقَالع، فلما رأوه الأمراء الذي[1] في سُوق الخيل هربُوا مِنْ وَجههِ بأجمعهمْ، وَلمْ يثبت في الوَقُوفِ منَ الأمراءِ سَوى [٨٣/ب] الأمير ألجَاي اليُوسفي[2]، وَالأمير أَرغُون شاه [ططر][3]، فصَارُوا يتَّفقُوا مَعَ الأمير أَسندمُر، ومماالك يَلبُغَا إلى بعد الظهر، فلم يُساعدهُمَا أحد منَ الأمراء، وَلمْ يَطلع إلى الرَملة منهُم واحد، فعندَ ذلك هربَ الأمير ألجاي اليُوسفي، والأمير أَرغُون شاه تتر، وَانكسرَا وَانتصَرَ عليهُمَا الأمير أَسندمُر ومماليك يَلبُغَا.

ثُم إنَ الأمير أَسندمُر قَبضَ عَلى جَماعةٍ منَ الأمراءِ، وَهُمْ: الأمير أَيدمُر الشامي الدوادار، وَألجاي اليُوسفي، وَقُطلُوبُغَا جركس أمير سلاح، وَأَرغُون شاه ططر[4]، وَطغيتمر[5] النظامي، وَقجماس الطازي، وَأقطاي اليلبُغَاوي، وَأَقْبُغَا الأحمدي[6]، وَجَماعة كثيرة منَ الأمراء الطبلخَانَات والعشرَاوَات، فقُيدُوا وَأُرسلُوا إلى السجن بثغر الإسكندريّة.

---

(1) كذا في الأصل، الصواب "الذين".
(2) في السلوك ١٤٢/١/٣: "الحسامي اليوسفي"، وقد ورد في الصفحة التالية "أجاي اليوسفي".
(3) في الأصل "تتر". وفي: بدائع الزهور ٥٧/٢/١ والسلوك ١٤٢/١/٣.
(4) في الأصل "تتر".
(5) في السلوك ١٤٣/١/٣ وبدائع الزهور ٥٧/٢/١: "طُغاي تمُر".
(6) في السلوك ١٤٣/١/٣: "ألطنبغا الأحمدي".

فكان عدّة منْ مُسك في هذه الحركة من الأمراءِ المُقدَّمين ثمانية[1]، وَمنَ الأَمراء الطبلخَانَات والعشرَاوَات تسعة[2]، ولما انتصرَ أَسندمُر النَاصري هَذهِ النُصرةِ العظيمة لم يَخلعَ الملك الأشرف شعبان من السلطنة بل أبقاهُ على حالهِ.

ثُم عملَ السلطان الموَكب وَأَخلعَ عَلى منْ يُذكر منَ الأَمراء، وَهُمْ: المقر السيفي أَسندمُر النَاصري واستقر أتابك العسَاكر عَلى عَادتِهِ، وَأَخلعَ عَلى المقر السيفي أَزدمُر العُمري النَاصر الشهير بالخازندَار واستقر أمير سلاح وَقدْ تَقدَّمَ أنهُ تَولى نَائب حلب، ثُمَ رُسمَ بإحضَارهِ، فلمَا حضرَ أخلعَ عليهِ واستقر أَمير سلاح بالدِّيَارِ المصريّة عُوضًا عن قُطلوبُغَا جركس.

وَأَزدمُر العُمري هَذَا هُوَ جَد وَالد مُؤلف هَذَا التاريخ، وَكانَ جَدَّ وَالده لأُمهَ، وَكانَ الأمير أَزدمُر أَميرًا دّينًا، خيرًا، لهُ برٌ ومعروفٌ، وَأَثارٌ فمن ذلكَ أنهُ أنشأ حوضًا وَسبيلًا في قريةِ جلمةِ بني سعد مِنَ أعمالِ قَاقُون، وأنشأ خَانًا بالقُربِ من حلب يُسمى خَان سرَاقب، وَجَعلهُ للسبّيل، وَلهُ أَوقَافٌ على الحرمينِ الشريفين، وَكانَ كثير البرّ وَالصدَقَات نَاظرًا إلى فعلِ الخير [٨٤/أ] وَحُبّ الثواب تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه.

وَأَخلعَ علي الأمير جَرْكَتَمُر المنجكي واستقر أمير مجلس، وَأَخلعَ على الأمير ألطنبُغَا اليلبُغَاوي واستقر رأس نوبة النوبِ، وَأَخلعَ على الأمير بيرم العزّي طُقطاي واستقر دوادار كبير عُوضًا عن أيدَمُر الشَامي، وَأَخلعَ عَلى قطلقتمُر العلائي واستقر أَمير جَاندَار، وأخلع على سلطان شاه بن قرَا واستقر حَاجب ثاني[3]، وَأَنعم السلطان عَلى جَماعةٍ كثيرة من المماليك بأَمريَاتِ طبلخانَاه وَعشرَاوَات عوضًا عمن مَسك في هذهِ الحركة، ونفى إلى السجن بثغر الإسكندرية، كما تقدم.

وفي أثناء هذه السنة: كانتْ وَفَاة الشيخ جَمال الدّين محمد بن نباته المصري، وَهوَ صَاحبُ الأَشعَار اللّطيفة، الذي فَاقَ بهَا عَلى مَنْ تَقدَمهُ مِنَ الشُعرَاء، وَكانَ

---

[1] في بدائع الزهور ٥٧/٢/١: "تسعة"، والتاسع الذي لم يأت ذكره في عقود الجمان، هو: "آقبغا الجلب"، وكذلك العدد نفسه في السلوك.

[2] في بدائع الزهور ٥٧/٢/١: عدة من قبض عليه نحو خمسة وعشرين أميرًا، تسعة مقدم ألوف والباقي من أمراء الطلبخانات وعشرات أي ستة عشر أميرًا، وكذلك العدد في السلوك ١٤٣/١/٣.

[3] خبر الخلعة على سلطان شاه، لم يرد في بدائع الزهور وكذلك جواهر السلوك؛ وورد في: السلوك ١٤٤/١/٣.

مَولده في سنةِ ست وَثمانين وَستمائة، وَوَفَاتهُ في سنةِ ثمان وستين وسبعمَائة، فكانتْ مُدّة حيَاته اثنتين وَثمانين سنة، ومنْ شعرهِ لنفسهِ، وهو قوله:

أَصغ لمَا قَالَ أَخُو وَقتكمْ وَخلّ عنك اليَومَ مَا قِيلَا
وَاسمع مُقَاطِيعًا لهُ أطرَبتْ وَلا تَقُلْ إلا مَوَاصِيلَا[1]

ثُم دخلت سنة تسع وستين وسبعمَائة، فيها: جَاء الفرنج إلى مدينة إياس، وَحَاصرُوا قلعتهَا، وَكان الفرنج في مائة[2] قطعة من المرَاكبِ الحربية، فخرجَ إليهم الأمير منكلى بُغَا الشمسي نَائب حلب، وصُحبتهُ العسَاكر الحلبيّة، فلما سمعُوا الفرنج بقدوم نَائب حلب رحلُوا من قلعة إياس، وَتوجهُوا إلى طرَابُلس، وكانوا ثلاثة ملُوك من مُلُوكِ الفرنج: صَاحب قبرس، وَ صَاحب رُودس، وَصَاحب الأَسبِتَار[3].

وَكانَ نَائب طرَابُلس غَائبًا عن المدينة [٨٤/ب] فأَغتنمُوا الفرنج هذهِ الغفلة، ونزلوا إلى سَاحل طرَابُلس، فخرجَ إليهم بعض عسكر، فاتقعُوا معهم فانكسرُوا عسكر طرَابُلس، وَدخل الفرنج إلى البلد، وَنهبُوا أسواقها، وقتلوا بها جماعة منَ المسلمين نحو أربعين رجلا، ثُم تسامعُوا بذلك أهل البلاد فتحَابُوا وَجاءوا إلى طرابلس، واتقعُوا مع الفرنج وقعة عظيمة فقُتلَ منَ الفرنج نحو ألف فارس، وَانكسرُوا وَرجعُوا إلى بلادهم خائبين.

وفي أواخر هذه السنة: هجم الوباء على الدِّيار المصرية، وأقَامَ نحو أربعة أشهر، فكان يخرج من أبوابِ القاهرة في كلِّ يَومٍ "عشرة آلاف"[4] جنازة، فكانَ الأمر كمَا قَالَ القَائل:

---

[1] بحر السريع؛ البيتان في: مطالع البدور ومنازل السرور، صـ٢٣٥. خزانة الأدب ١٣٥/٢. ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

[2] في بدائع الزهور لم يأت ذكر عدد القطع التي اتجهت نحو قلعة إياس، وفي السلوك ١٥٠/١/٣ "مائة قطعة".

[3] الخبر في بدائع الزهور ٦٥/٢/١: أن الفرنج دخلوا مدينة طرابلس ثم توجه إلى قلعة إياس بعكس ما ورد هنا.

[4] "اثنتي عشرة ألف" في بدائع الزهور ٦٦/٢/١؛ وفي السلوك ١٦٢/١/٣: "فمات في كل يوم ما ينيف على مائة ألف نفس"؛ وهذا الرقم مبالغ فيه. وفي النجوم الزاهرة ٥٢/١١: "بلغت عدّة الموتى في اليوم أكثر من ألف نفس وأقام نحو الأربعة أشهر وارتفع".

تُرَوِّعُنا الْجَنائِزُ مُقْبِلاتٍ ... وَنَلْهُو حِينَ تتعرضُ[1] مُدْبِراتِ
كَرَوْعَةِ ظبيةٍ صُدِفَتْ لِذِئْبٍ[2] ... فَلَمَّا غابَ عادَتْ راتِعاتِ[3]

ثُم دخلت سنة سبعين وسبعمَائة، فيها: في يَوم الجُمعة سَادس شهر صفر بعد صلاة الجمعة رَكب مماليك يَلبُغَا وَمَعهُم جماعة من الأمراء، ثم دخلوا إلى بيت الأتابكي أسندمُر النَاصري، فقال لهم: "إيش قصدكم"، فقالوا: "أَمسكُوا خمسة منَ الأمراءِ، وأنفُواهُم، وإلا نَقتلهم"، فقال لهم أسندمُر: "وَمنْ هَؤلاء الأمراء الذّين تمسكُونهم"، فقَالوا:" أَزدَمُر العُمري أمير سلاح، وَبيرم العِزّي أَمير دوَادَار، وَجركتمُر المنجكي أَمير مجلس، وَبيبُغَا القُوصُوني أَمير أخور كبير، وكبك الصُرغتمشي الجُوكندَار"، فمسكهُم أَسندمُر النَاصري، وَقيّدَهُم وَأَرسلهم الى السجنِ بثغر الإسكندرية[4].

وأمَا الأمير أَزدمُر العُمري الخَازندَار، فقيّدَوهُ وَأَرسلُوهُ إلى السجنِ بقلعةِ الصُبيبة، فأَقَامَ في السجنِ إلى سنةِ إحدى وسبعين وسبعمائة، فرُسمَ لهُ بالإفراج، فلما قصدَ التوجّه إلى نحو القَاهرةِ [٨٥/أ] فَمرضَ في أثناءِ الطريق، فدخلَ إلى القَاهرة وَهوَ مريضٌ، فأقَامَ مُدّة يسيرة، وَمَاتَ في أوائل سنة اثنتين وسبعين وسبعمَائة، وَدُفنَ في القرافة الصُغرى بالقربِ من زاوية الشيخ أبي العبَاس البصيّر، رحمة الله عليه[5].

ثُم إنَ مماليك يَلبُغَا استمروا على ما هم عليه في لبسهم آلة الحرب، وعُظم الفساد، فلما أصبحُوا يوم السبت قالوا للأتابكي أسندمُر الناصري: "اخلع السلطان الملك الأشرف شعبان، وَوَلي غيره".

فلما بلغَ السلطان ذلك نزل إلى الأسطبل السُلطاني، وجلس بالمقعد المطل على الرملة، وعلق الصجنق[6]، ودقت الكوسات حربي، وركبوا المماليك السُلطانيه

---

(1) في ديوان جرير ١٠٢٤/٢: "تذهب".
(2) في ديوان جرير ١٠٢٤/٢: "كروعة هجمة لمغار سبع".
(3) بحر الوافر؛ البيتان لجرير. (انظر: ديوان جرير ١٠٢٤/٢)؛ والبيتان لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.
(4) الخبر في السلوك ١٥٠/١/٣ وبدائع الزهور ٦٦/٢/١ وجواهر السلوك ٢١٢: في أحداث سنة ٧٦٩هـ.
(5) الخبر في بدائع الزهور ٧٣/٢/١: في أحداث سنة ٧٦٩هـ.
(6) السُنْجَقُ أو الصَّنْجَقُ، بالسين والصاد: هي الراية الخاصة بالسلطان، عليها ألقاب السلطان واسمه، وهي من شعارات الملك. والسَّنْجَقُ: اسم تركي يعني الرُمح، والراية تكون في أعلاه. (راجع: صبح الأعشى ٥/ ٤٣٠، والمعجم الجامع ١٢٠).

وجماعة من الأمراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات، واجتمع معهم السواد الأعظم من العوام والزعر.

وكان مماليك يلبغا قد طغوا وتنمردوا، وصاروا يأخذون نساء الناس من الحمَامَات، وينهبُون أموال التجار من الدكاكين، فبغضوهم الناس قاطبة.

فلما ركبوا على السلطان تعصب عليه الناس أجمعين، فتوجه مماليك يلبغا إلى بيت الأتابكي أسندمُر، وركبوهُ بالغِصبِ وتوجهوا به من وراء القلعة ومعهُ جماعة من الأمراء، ثم زحفوا تحت الطبلخاناه السُلطانية، فلاقتهم الزعر والعوام بالحجارة والمقاليع، فألقى الله تعالى في قلوب مماليك يَلبُغَا الرُعب فولوا مُدبرين، وانكسروا كسرة قويّة، وهرب أسندمُر الناصري، وَكانَ يظن أنهُ ينتصر كما وقع لهُ قبل ذلك، فلم يكن بعد ساعة إلا وقدْ مُسك الأتابكي أسندمُر وجماعة كثيرة من مماليك يلبغا، وصار العوام كلّ منْ مسكُوهُ من مماليك يلبغا يقتلوه.

ثم احضروا أَسندمُر إلى بين يدي [٨٥/ب] السلطان الملك الأشرف شعبَان، فأراد انْ يُقيدَهُ ويُرسلهُ إلى السجن بثغر الإسكندرية، فشفع فيه الأمراء، وَعَرَّفُوا السلطان أنهُ مقهورٌ مع مماليك يلبغا، وَلَا يقدر عَلى ردهمْ، فأطلقهُ السُلطان، وَرسمَ لهُ بان يكُون أتَابكًا على عَادته، وَرَسمَ لَهُ بِأنْ ينزل إلى بيته، وأَرسلَ معهُ الأَمير خليل بن قوصُون أمير مجلس، وَكانَ الأمير خليل ابن عمة السلطان الملك الأشرف شعبان.

فلما نزل مع الأتابكي أسندمُر إلى بيته في صُورة أنهُ مُرّسم عليه حتى تخمد هَذهِ الفتنة، فتحالفَا وتعاهدَا على المُخامرة على السُلطان، واجتمع عند الأتابكي أَسندمُر في تلك الليلة جَماعة منَ الأمراء ومنَ مماليك يلبغا.

فلما كانَ يَوم الإثنين ثامن عشر صفر من السنةِ المذكُورة ركبَ الأتابكي أسندمُر وَالأَمير خليل بن قُوصُون وَجَماعة منَ الأمراء، وطلعُوا إلى الرملة وَوَقفوا بسُوق الخيل، فنزلَ السلطان إلى المقعد المُطل على الرملة، وعلق الصنجق، وَدُقت الكوسَات حربي، فحصلَ في ذلك اليوم وَقعة عظيمة بين السلطان وبين الأتابكي أسندمُر، فانكسر أَسندمُر والأمير خليل بن قُوصُون، وَهربَا فنهب العوام بيوت من انكسرَ منَ الأمراء، وَصَارُوا يمسكُون مماليك يَلبُغَا أولًا بأَول، وَيُودعوهُم في الحبُوس، ثُم مسكُوا الأتابكي أَسندمُر، والأمير

خليل بن قُوصُون، وَالأمير الطُّنبُغَا اليلبُغَاوي، وجماعة كثيرة مِنَ الأمراءِ مَمَنْ كانَ مِنْ عُصبهِ أَسندمُر.

ثُم إنَ السلطان قيّدَهُم أجمعين، وأَرسلهُم إلى السجنِ بثغر الإسكندرية، وأمَا مماليك يَلبغا فأكثرهُم قتل، وعرَّقُوا منهُم جَماعة، وَهربَ إلى بلادِ الشرق منهُم جَماعة، وانتصرَ عليهم الملك الأشرف شعبَان [٨٦/أ] هذه النصرة العظيمة، وفي ذلك يَقُولُ إبرَاهيم المعمَار:

سُلطاننَا دَامتْ لهُ عزةٌ ... وَنُصرَةٌ مِن أَجلِ هَاتين
دَمَّرَ كبشين وَمنْ سعدهِ ... مَا انتطحتْ في ذاك شاتين(١)

وَقَالَ الشيخُ شهَاب الدّين بن العطار(٢):

هِلَالُ شَعْبَانَ جَهْراً لاحَ فِي صَفَر ... بالنّصْرِ حَتَى أَرَى عِيدًا بشَعْبَانِ
وأَهْلُ كَبْشٍ كَأَهْلِ الفِيلِ قَدْ أَخِذُوا ... رَجْمًا ومَا انْتَطَحَتْ فِي الكَبْشِ عنزانِ(٣)

ثُم إنَ السلطان رَسمَ بالإفرَاج عنَ مِنْ يُذكر منَ الإمراءِ، وهُم: ألجاي اليُوسفي، وأيدمُر الخطاي، وَجَماعة منَ الأَمراء ممن كانَ مسجُونا.

ثُم عملَ السلطان الموَكب وَأَخلعَ عَلى منْ يُذكر منَ الأمراءِ، وَهُم: المقر السيفى يَلبُغَا آص المنصُوري واستقر أتابك العسَاكر عُوضًا عن أَسندمُر النَاصري، وأخلع على المقر السيفي ألجاي اليُوسفي واستقر أمير سلاح عُوضًا عن الأَمير أزدمُر العُمري، وَأنعم على الأَمير أيدمُر الخطاي بتقدمة ألف.

ثم بعدَ أيَام بَلغَ السلطان أنَ الأتابكي يَلبُغَا آص اتفق معهُ جماعة منَ المماليك السُلطانية بأن يركبُوا عَلى السُلطان، فلما تحققَ السلطان ذلك قبضَ عَلى الأتابكي يَلبُغَا آص وَعَلى الأمير تلكتمر المحمدي، وَقيدَّهُمَا وَأَرسلهما إلى السجن بثغر الإسكندرية، وَفي ذلك يَقُولُ الشهَاب بن العطار:

---

(١) بحر السريع؛ البيتان في مخطوط ديوان ابن المعمار لوحة ٢٦/ب.
(٢) هو أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين ابن العطار الدنيسري أديب، أصله من "نيسر" قرب ماردين بالجزيرة، ولد سنة ٧٤٦هـ بالقاهرة. له نظم كثير وكان يمدح الأكابر وينظم في الوقائع، ولـه كتب منها: "نزهة الناظر في المثل السائر" و "المستانس في هجو بني مكانس" وغيرهم. (انظر: الدرر الكامنة ١/٣٤٠- ٣٤٢).
(٣) بحر البسيط؛ البيتان في: مورد اللطافة ١٠٠/٢. النجوم الزاهرة ٤٨/١١. المنهل الصافي ٢٣٦/٦. حسن المحاضرة ١١٩/٢.

يَلبُغَـــا آص تولـــى جُمعَـــة فبغـــى وَاختَـــارَ حَربًـــا وَادَّعـــى
وَيـــحَ مَـــنْ جَـــاء لحكـــمٍ زَائـــرًا ثُـــمَ مَـــا سَلّـــم حتَـــى وَدَّعَـــا[1]

ثُم إنَ السلطان أَرسل خلف المقر السيفي منكلي بُغَا الشمسي نَائب حلب [٨٦/ب] فلما حضر إلى الأبواب الشريفة، أخلعَ عليه واستقر أتابك العساكر عُوضًا عن يَلبُغَا آص، وأرسل خلف الأمير عليّ المارديني نائب دمشق، فلما حضر أخلع عليه واستقر نائب السلطنة بالديار المصرية، وأنعم على جماعة كثيرة مِنَ الأمراء بتقادم ألوف، وعلى جماعة بطبلخانات وعشراوات.

وفي هذه السنة: توفي الملك المنصور غازي صاحب ماردين، وتولى بعده ولده الملك الصالح محمود.

وفي هذهِ السنة وَهيَ سنة سبعين وسبعمائة، فيهَا: ظهرَ بالشَامِ جرَادٌ عظيم لم يُسمع بمثله، وَكانَ قد أتى من مكة، فكثر حتى أكلَ الاشجار وأخشاب السقوف وَالأبواب، وَمَا وَصلَ إليهِ من الأمتعةِ، وَسدّتَ الناس أعين الماء خوفًا منَ الجرَادِ أنْ يُفسدهَا، وَكانَ مُعظم أمره في حوران وعجلون منْ قرى الشام، حتى قيلَ: حضر الناس إلى صلاةِ الجُمعة فملاء الجرَاد صحن الجَامع، وَترمي على الخطيب وَهوَ فَوق المنبر حتى شغلهُ عن الخطبة، ثُم كثر حتى جَافت منهُ القرى والبلدان، فصَار النَاسُ يَشمُونَ القطرَان من تلكِ الرَائحةِ الكرهة، ثم تناقص وَارتفع.

ثُم دخلت سنةِ إحدى وسبعين وسبعمَائة، فيها: أخلعَ على الأمير قشتمر المنصُوري واستقر نائب حَلبْ.[2]

وَفيهَا: استقر الأمير منحك اليُوسُفي نايب الشام، وَحضرَ بعد مُدّة إلى الأبواب الشريفة، وَصُحبتهُ التقَادم وَالهدَايَا[3].

وَفيهَا: أخلعَ على الأمير آل كُز الكشلَاوي واستقر وزيرًا وَأسُتَادَارًا[4].

---

[1] بحر الرمل.
[2] الخبر في: السلوك ١٦٩/١/٣ وبدائع الزهور ٨١/٢/١: في أحداث سنة ٧٧٠هـ.
[3] الخبر في: السلوك ١٦٩/١/٣ وبدائع الزهور ٨١/٢/١: في أحداث سنة ٧٧٠هـ.
[4] الخبر في: السلوك ١٦٩/١/٣ وبدائع الزهور ٨١/٢/١: في أحداث سنة ٧٧٠هـ.

وَفيهَا: عَدي السلطان الملك الأشرف شعبَان إلى برّ الجيزة على سبيل التنرة، وَنزلَ عندَ الأهرَام، وأقَامَ هُناك سبعةِ أيَام، ثُم رحلَ منْ هُناكَ وَتوجّه إلى البحيرة [٨٧/أ] ثُم رحلَ منهَا وَتوجّه إلى ثغر الإسكندريّة، وَكانَ أيَام النيل فحصلتَ للناسِ مُشقة عظيمة منَ المخَائض، فلما دخل إلى ثغر الإسكندريّة دخلَ من بَابِ رشيد، وَالأَمراء بينَ يديه من بَابِ رشيد إلى بَابِ البحر، وَفُرشت لهُ الشقق الحرير تحت حَافر فرسهَ، وَكانَ له يوم مشهود فأَقَامَ هُناك ثلاثة أيَام وَتوجّه إلى نحو الدِيَارِ المصريّة[١].

وَفيهَا: في يَوم الأربعاء وقف العوَام تحتَ القلعة، وَمنعُوا من يَطلعَ إليهَا، ثُم أرسلُوا يقُولُون للسلطان: "سلّمنَا بكتمر الشريف وَالي القَاهرة وعلائي الدّين ابن كلبك شاد الدّوَاوين"، فوَقفُوا تحتَ القلعة إلى بعد العصر، وَكلما ينزل إليهم الأوجاقيّة يقُولُون لهم: "أَرجعُوا فيأبُوا من الرجوع"، فَرَسمَ السلطان للمماليك بأنْ ينزلُوا إليهم فنزلُوا إليهمْ وَأَرمُوا عليهم بالنشابِ، وَمسكُوا منهُم جَماعة وَوَضعُوهُم في الحبُوس، وقُتلَ منهُم جماعة، وَفر البَاقُون، ثُم في ثاني يَوم نَادي السلطان للعوَام بالأمَانِ والاطمان[٢].

وَعزلَ عنهُم بكتمر الشريف وَالي القَاهرة وَولي الأمير حُسين بن الكورَاني وَاستمر وَالي القاهرة[٣].

وَفيهَا: جاءت الأخبار بأن نائب حلب قشتمر المنصُوري قدْ قتلَ، هُوَ وَولدهُ محمد، وَسبب ذلك أنَ حيَار أَمير آل فضل وَولدهُ نُعير حصلَ بينهُما وَبين نائب حلب وقعة عظيمة، وَقتلَ فيها جَماعة منْ عسكر حلب، فقتلَ نائب حلب وَولده في تلك المعركة، ثم إن السلطان أخلعَ على الأمير عشقتمر الماريديني واستقر بهِ نائب حلب عوضًا عن قشتمر المنصُوري، وَأَرسل خلعة إلى الأمير زَامل بأن يكُون عُوضًا عن حيَار بن مهنَا وَرَحل آل فضل.[٤]

---

(١) الخبر في: السلوك ١٧٠/١/٣ وبدائع الزهور ٨٢/٢/١ وجواهر السلوك ٢١٤: في أحداث سنة ٧٧٠ه؛ ولم يرد فيهما أي ذكر لوجود مشاقة للناس بسبب النيل.

(٢) الخبر في: السلوك ١٧٣/١/٣ وبدائع الزهور ٨٥/٢/١ وجواهر السلوك ٢١٥: في أحداث سنة ٧٧٠هـ.

(٣) في بدائع الزهور ٨٥/٢/١: أن الأمير حسين تولى عوضا عن علاء الدين ابن كلبك، وهذا خطأ والصحيح ما ورد هنا وذلك لأن علاء الدين كان شاد الدواوين وليس والي القاهرة.

(٤) الخبر في: السلوك ١٧٥/١/٣ وبدائع الزهور ٨٦/٢/١: في أحداث سنة ٧٧٠هـ.

وفي أواخر هذهِ [٨٧/ب] **السنة:** أَنعم السلطان عَلى الأميرِ بشتَاك العُمري النَاصري بتقدمة ألف، وَكذلك الأَمير بهادُر الجمَالي، وجَماعةٍ من الأمراءِ غير ذلك، وَأَنعم على جَماعةٍ منَ الأَمرَاءِ بطبلخَانَات وَعشرَاوَات.(١)

وفي هذهِ السنةِ: حجّتْ خوند بركة وَالدة السلطان الملك الأشرف شعبَان، فخرجتْ منَ القَاهرةِ في تجملٍ زائدٍ، وصُحبتهَا منَ الكُوسَات وَالعصَائب السُلطانية، وَحجَّ صُحبتهَا منَ الأَمرَاءِ: الأَمير بشتاك العُمري رَأس نوبة النُوب، وَالأَمير بهَادُر الجمَالي، وَمَائة مَملُوك منَ المماليك السُلطانيَّة، وسَافرت في أَجملِ هيئةٍ.(٢)

ثُم دخلت سنة اثنتين وسبعين وسبعمَائة، فيهَا: في سَادس عشر المُحرم حضرتْ خوند وَالدة السلطان مِنَ الحجَازِ الشريف فخرجَ السلطان إليها وَتلقَّاهَا منَ البُويب(٣)، وَكانَ لهَا يَوم مشهُود.(٤)

وَفيهَا: توفي الأَمير عليّ المارديني النَاصري نَائب السلطنة بمصر، وَكانَ أميرًا دينًا خيرًا، مُنقَادًا إلى الشرع، قريبًا مِنَ النَاسِ، بَاشر نيَابة دمشق، وَنيَابة حلب، وَنيَابةِ السلطنة بمصر، وَمَاتَ وَالنَاس رَاضيّة عنهُ، وَلمَا مَاتَ أخلعَ السلطان عَلى الأَمير طشتمر العلائي واستقر نَائب السلطنة بمصر.(٥)

ثُم دخلت سنة ثلاث وسبعين وسبعمَائة، فيها: رَسمَ السلطان الملك الأَشرف شعبَان للسَادةِ الأشرَاف بالدِّيَارِ المصريّة وَالبلاد الشاميّة بأن يَجعلُوا في

---

(١) الخبر في: السلوك ١٧٦/١/٣- ١٧٧ وبدائع الزهور ٨٦/٢/١: في أحداث سنة ٧٧٠هـ. وكما ورد في بدائع الزهور خبر وفاة بشتاك العُمري في رمضان وقد ذكره المقريزي أنه حج هذه السنة خوند بركة أم السلطان، كما سيرد ذلك في الخبر التالي.

(٢) الخبر في: السلوك ١٧٧/١/٣ وبدائع الزهور ٨٨/٢/١ وجواهر السلوك ٢١٥: في أحداث سنة ٧٧٠هـ. وورد في الخبر في بدائع الزهور أن عدد المماليك السلطانية "مائتي مملوك"، في السلوك وعقود الجمان والنجوم الزاهرة٥٥/١١: "مائة مملوك".

(٣) تصغير الباب، نقب بين جبلين؛ وهي مدخل أهل الحجاز إلى مصر. (معجم البلدان ٥١٢/١. القاموس الجغرافي ٣٤/١).

(٤) الخبر في: السلوك ١٨١/١/٣ وبدائع الزهور ٩٣/٢/١ وجواهر السلوك ٢١٥: في أحداث سنة ٧٧١هـ.

(٥) الخبر في: بدائع الزهور ٩٤/٢/١ وجواهر السلوك ٢١٥: في أحداث سنة ٧٧١هـ.

عمَائمهمْ شطفات خُضر ليتميّزُوا عنْ غيرهم وَتعظيمًا لقدرهمْ[(١)]، وَفي ذلك يَقُولُ الشيخ شهَاب الدّين بن جَابر الأندلسي[(٢)]:

جَعَلُوا لِأَبْنَاءِ الرَّسُولِ عَلَامَةً ... إنَّ الْعَلَامَةَ شَأْنُ مَنْ لَمْ يُشْهَرِ
نُورُ النُّبُوَّةِ فِي كَرِيمِ وُجُوهِهِمْ ... يُغْنِي الشَّرِيفَ عَنِ الطِّرَازِ [٨٨/أ] الْأَخْضَرِ[(٣)]

وَقَالَ الشيخ بدر الدِّين حسن بن حبيب:

عمَائم الأشرَاف قدْ تميّزتْ ... بخُضرةٍ رَقَّت وَرَاقتْ منظرَا
وَهَذهِ إشارة أنَّ لهُمْ ... فى جنّةِ الخُلدِ لبَاسًا أخضرَا[(٤)]

وقال الشيخ شمس الدين بن المزين الدمشقي:

أَطْرَافُ تِيجَانٍ أَتَتْ مِنْ سُنْدُسٍ ... خُضْرٍ كَأَعْلَامٍ عَلَى الْأَشْرَافِ
وَالْأَشْرَفُ السُّلْطَانُ خَصَّصَهُمْ[(٥)] بِهَا ... شَرَفًا لِيَعْرِفَهُمْ مِنَ الْأَطْرَافِ[(٦)]

وَقَالَ الشيخ شهَاب الدّين ابن أبي حجلة التلمسَاني:

لآلِ رَسُولِ اللهِ جَاهٌ وَرِفعَةٌ ... بهَا رُفِعَتْ عَنّا جميّع النّوَائبِ
وَقدْ أَصبحُوا مثلَ الملُوك برنكهِمْ ... إذَا مَا بَدُوا للنَاسِ تحتَ العصَائبِ[(٧)]

وَفيهَا: عزل السلطان قَاضي القُضاة بهائي الدّين السُبكي الشَافعي، وَأَخلعَ على الخطيب بُرهَان الدِّين ابن جماعة خطيب القُدس واستقر بِهِ قَاضي الْقُضَاةِ

---

(١) الخبر في السلوك ١٩٩/١/٣ والنجوم الزاهرة ٥٦/١١ وبدائع الزهور ١٠٧/٢/١: في أحداث سنة ٧٧٣هـ، وبهذا لم يرد هنا ذكر أي أحداث تخص سنة ٧٧٢هـ. وفي جواهر السلوك ٢١٦: ورد الخبر في أحداث ٧٧٢هـ.

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي، شاعر عالم بالعربية أعمى من أهل المرية، صحبه إلى الديار المصرية أحمد بن يوسف الغرناطي الرعيني، فكان ابن جابر يؤلف وينظم، والرعيني يكتب واشتهر بالأعمى والبصير، ومات في البيرة سنة ٨٧٠هـ، وكان مولده سنة ٦٩٠هـ، وله عدة مصنفات ومؤلفات منها: "شرح ألفية ابن مالك" وغيرها. (انظر: مفتاح السعادة ١٥٦/١. بغية الوعاة ٤. نفح الطيب ٦٦٨/٢ و٧٦٨/٤. نكت الهميان ٢٤٤- ٢٤٦).

(٣) بحر الكامل.

(٤) بحر الرجز.

(٥) في بدائع الزهور ١٠٨/٢/١: "شرفهم".

(٦) بحر الكامل.

(٧) بحر الطويل.

الشَافعيَّة بالدِّيَارِ المصريّة، وَبُرهان الدِّين هذَا هُوَ ابن أَخى قَاضي القُضَاة عزّ الدِّين ابن جَماعة.[1]

ثُم دخلت سنة أربع وسبعين وسبعمَائة، فيها: تُوفي الأتَابكي منكلي بُغا الشمسي، فأَخلعَ السلطان على المقر السيفي ألجاي اليُوسفي، واستقر أتَابك العسَاكر بمصر عوضًا عن منكلي بُغَا الشمسي.

وَفيهَا: أنعم السلطان عَلى وَلدِهِ الأمير عليّ بتقدمةِ ألف.

وَفيهَا: توفيت خوند وَالدة السلطان الملك الأشرف شعبَان، وَكانتْ متزوّجة بالمقر[٨٨/ب] الأتابكي ألجاي اليُوسفي.

وَكانت دَيّنة خيّرة، وَلهَا برٌ وَمعرُوفٌ، كثيرة البرّ وَالصدقَات، وَمنْ أفعَالهَا الحَسنة أنهَا أنشأتْ مدرسة بالتبَانة[2]، وَرَتبتْ بهَا دَرُوس للمذَاهب الأَربعة، وَمكتبًا للأَيتَام، وَحَوضًا للسّبيل، وَجَعِلت لِذلك أَوْقَافًا كثيرة.

وَلمَا مَاتتْ دُفنت بهذِهِ المدرسة، فحزنَ عليهَا السلطان الملك الأشرف حُزنًا شديدًا؛ لأنهُ كانَ يُحبهَا وَلا يُخالِفهَا فيمَا تُريد مِنْ أُمُور المملكة من الشفَاعَات وَغيرهَا، وَلمَا مَاتت رَثَاهَا الأَديب شهَاب الدِّين ابن الأعرج السعدي[3]، وَهوَ قولهُ:

---

(1) الخبر في: السلوك ١٩٩/١/٣ وبدائع الزهور ١٠٨/٢/١-١٠٩: أنه أخلع على الشيخ سراج الدين عمر البلقيني عوضًا عن بهاء الدين السبكي بسبب وفاة السبكي، وليس كما هو مذكور هنا أن الخلعة كنت بسبب العزل وأن من تولي بعده هو برهان الدين ابن جماعة.

(2) هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل، يعرف خطها بالتبانة وموضعها كان قديمًا مقبرة لأهل مصر، وهذه المدرسة لا تزال قائمة إلى اليوم باسم جامع أم السلطان بشارع باب الوزير الذي أصله من خط التبانة، والتبانة: قديمًا المنطقة التي تمتد من باب الوزير إلى الدرب الأحمر بالقاهرة، وهذه المنطقة يتوسطها اليوم شارع باب الوزير وشارع التبانة بقسم الدرب الأحمر، وعرف بخط التبانة لأنه كان فيه الأسواق التي يباع فيها التبن اللازم لمؤونة دواب القاهرة، ومن محاسن المصادفات أنه يحتفظ بهذا الأسم من عهد المقريزي إلى اليوم. (راجع: النجوم الزاهرة ١٨٠/١٠ هامش ١ و٥٩/١١ ١).

(3) هو الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني نظام الدين المعروف بالأعرج، فاضل مفسر من أهل نيسابور سكن بقم، من كتبه ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم و"تعبير التحرير" و"توضيح التذكرة النصيرية" في الهيئة. (انظر: هداية العارفين ٣٨٢/١؛ الذريعة ٢٠٦/٤، ٤٩٢).

فِـي ثَـانِي الْعشْـرين مـن ذِي الْقعـدَة[١] كَانَـت صَبِيحَـة مـوت أم الْأَشْـرَف
فَـالله يَـرحـمهَـا وَيُـعظـم أجـرَهُ وَيكُـون فِـي عَاشُـورِ مَـوت اليُوسُـفي[٢]
فكانَ الفَال بالمنطق.

ثُم دخلت سنة خمس وسبعين وسبعمَائة، فيها: في يَومِ الثلاثاء سَادس المُحرم وثبَ الأتَابكي ألجاي اليُوسفي على السُلطان، وَلبسَ آلة الحرب، وَطلعَ هُوَ وَمَماليكه إلى الرَملة، وَسبب ذلك أنهُ قدْ حَصلَ بينهُ وَبينَ الملك الأشرف شعبَان تشاجُر؛ بسببِ ميرَاث والدةَ السُلطَان، فحنقَ منهُ ألجاي، وَرَكبَ وَأظهرَ المُخامرَة عَلى السُلطَان.

فلما تحقق السلطان مُخامرته، نَادى للعسكر وَالأمرَاء بأن يركبُوا على ألجاي، فركبَ العسكر جميعهِ وَطلعُوا إلى الرَملة، وَاتقعُوا معَ ألجاي إحدى عشر وَجهًا؛ فانكسر ألجاي وَهربَ إلى نحو بركةِ الحبش[٣]، ثُم طلعَ مِن وَرَاء الجبل الأَحمر، وَمضى إلى قُبة النصر وَأَقَامَ هُناك، فأَرسلَ السلطان خلفهُ فأَبَا أنْ يَحضر، فأَرسلَ إليهِ خلعة هُناك بأنْ يَستقر نَائب حَماه، فَقَالَ [٨٩/أ] : "أَنا أَروح بشرط أنْ يَكُون بَرْكي، وَقُماشي، وَمَماليكي معي"، فَمَا أجابهُ السلطان إلى ذلك، وَبَات العسكر ليلة الخميس لَابسين آلة الحرب، فهربَ مِن مَماليك ألجاي في تلك الليلة جَماعة وَأتُوا إلى عندَ السُلطان.

فلما أَصبحَ الصبَاح رَسمَ السلطان للأمرَاءِ وَالمماليك السُلطانيّة بأنْ يتوجهُوا إلى قُبةِ النصر وَيُحاربُوا ألجاي، فَلمَا أقبلَ عليه العسكر هربَ مِن وجههم، فسَاقُوا خلفهُ إلى نحو قليُوب، فأَرمى نفسه بفرسهِ في البحر، فغرقَ ألجاي وَطلعَ الفرس منَ البرِ الغربي، ثم إن العسكر مسكُوا جَماعة من مَماليكِ ألجاي، وَأَحضرُوهُم إلى القَاهرةِ.

---

[١] في بدائع الزهور "فى مستهلّ الشهر من ذي الحجة". انظر: السلوك ٢١١/١/٣ وبدائع الزهور ١١٥/٢/١. ونيل الأمل في ذيل الدول ٥٢/٢. وبلفظ ابن إياس في عقود الجمان في: مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١٧٢/٢. المواعظ والاعتبار ٢٥٨/٤.

[٢] بحر الكامل.

[٣] كانت في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين النيل والجبل. وسميت بركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشي الصدفي، ممن شهد فتح مصر، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها. وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضي الزراعية التابعة لزمام قرية دير الطين، وجزء عظيم من الأراضي الزراعية التابعة لقرية البساتين. (انظر: معجم البلدان ٤٠١/١. الخطط ٢٦٩/٣. النجوم الزاهرة ١٤/٥ هامش٢).

ثُم إنَ السلطان أَرسلَ الغطاسين غاصُوا عليه إلى أنْ طلعُوا بهِ، فأَحضرُوا لهُ تَابوت وَأتُوا بهِ إلى القَاهرةِ وَذلك في يوم الجُمعة تَاسع المُحرم سنة خمس وسبعين وسبعمَائة، فلمَا حضرَ إلى القَاهرةِ غسَّلُوهُ، وكفنُوهُ، وَصلُوا عليه، وَدفنُوهُ في جَامعهِ الذي أَنشأهُ في سُويقةِ العزي[1].

وَكانَ ألجاي أميرًا جَليلًا مَليًا مُهَابًا، كثير البر وَالصدقَات، وكَانَ زوجَ أُم السلطان الملك الأَشرف شعبَان، وَلو مسكهُ السلطان مَا حصلَ لهُ منهُ إلّا كلِّ خير.

ثُمَ إنَ السلطان أَرسلَ أَحضرَ الأَمير أَيدمُر نَائب طرَابُلس، فَلمَا حضرَ إلى الأبوَاب الشريفة أخلعَ عليه السلطان واستقر بهِ أتَابك العسَاكر عُوضًا عن ألجاي، فَأقَامَ مُدَّه يسيرة وَمَاتَ بالقَاهرةِ، فأرسلَ السلطان خلفَ المقر السيفي منجك اليُوسفي نَائب الشَام، فَلمَا حضرَ إلى الأبوَاب الشريفة أخلعَ عليهِ السلطان واستقر بهِ نَائب السلطنة وأتابك العسَاكر، وَفوّض إليهِ أَمور المملكة جميعهَا، وَرَسمَ لهُ بأن يخرجَ الأَمريَات [٨٩/ب] بالشَامِ، وَأنْ يُولي الولَاة والكُشاف بالدِّيَارِ المصريّة[2]، وَرَسمَ لهُ بأن يخرج الإقطاعَات من أَربعمَائة دينَار إلى ستمائة، وَكانتْ عَادة النُواب بمصر لا يخرجُوا منَ الإقطاعَاتِ أكثر منْ أَربعمَائة دِينَار، وَفيه يَقُولُ شهَاب الدّين ابن أبي حجلة منْ أبيَاتِ:

أَمنجكُ سُلَّ في الأَعدَاءِ بُتْرَكْ ... ولا تتركْ منَ الإفرنج بترَكْ
تداركتَ المعَالي بالعوالي ... ولكنْ فضلَ جُودك ليسَ مُدركْ
فجُودك حول شاطي البحر بحري ... فيَا لله فيهِ مَاء أبُوكْ[3]
وَقد أنستَ مصرًا حين قالت[4] ... تولّى الله حيث حللتَ نصرَكْ[5]

وَفيهَا: أَخلعَ السلطان على مملُوكه المقر السيفي أَرغُون شاه الأشرفي واستقر بهِ رَأس نوبة النُوب.

---

[1] سويقة العزي: هذه السويقة خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل بالقاهرة، عرفت هذه السويقة بالأمير عز الدين أيبك العزي نقيب الجيوش، واستشهد على عكا عندما فتحها الأشرف خليل بن قلاوون في يوم الجمعة سابع عشر جمادي الآخرة سنة تسعين وستمائة، وهذه السويقة عامرة بعمارة ما حولها. (انظر: الخطط، المقريزي ١٩٣/٣، ٢٥٧/٤. النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٢٠٤/٨ هامش ٣).

[2] الكشاف: قبل استحداث النيابة بالوجهين القبليّ والبحريّ كان بهما كاشفان يعبّر عن كل منهما بوالي الولاة. (راجع: صبح الأعشى، القلقشندي، ٦٦/٤).

[3] هذا البيت لم يرد في بدائع الزهور.

[4] في بدائع الزهور ١٤٩/٢/١: "وفيك تقول مصر حين تشدو".

[5] بحر الوافر.

وَفيهَا: كانَ الغلاء بالدِّيَارِ المصريّة، وَسبب ذلك توقف النيل عندَ الوفَاء، وَنقصَ أَصبعين، فخرج النـاسُ قاطبـة إلـى الصحراء يستسقُون، وَذلك فـي يَوم الخميس ثالث ربيع الآخر منَ السنةِ المذكُورة، فخرج النَاسُ إلى نحو قُبة النصر، وَأحضرُوا هُناك منبرًا، وَاجتمع القُضَاة، وَالفقراء، وَالمشَايخ، وَأَعيَان النَاس من الأمراءِ وغيرهم، وَالخليفة، ولم ينزلَ السُلطان، وَكانَ الذي خطبَ خُطبة الاستسقاء الشيخ شمس الدّين بن القُسطلاني خطيب جَامع عمرو، فَلمَا خطبَ وَدعى كشفَ رَأسهُ وَحوَّلَ ردَاءهُ، فكشفُوا النَاسُ رُؤوسهُم، وَاستغَاثُوا إلى الله تعالى بالدُعاءِ، وَكانَ يَومًا مشهُودًا تُسكبُ فيهِ العبرَات، فلمْ يزد النيل بعد ذلك شيئًا[^1]، وَتزَايد سِعر القمح وَجميّع الغلَات، وقدْ انتهى لسِعر من سبعين دِرهمًا كلّ أردب إلى مَائة وَعشرين[^2] دِرهمًا، وَأشتدّ الأَمر على النَاسِ، وَشرَّقت البلاد في تلك السنةِ، وَقلت الأقوَات.

فرَسمَ السلطان للأتابكي منجك بأنْ يَجمع الحرَافيش ويفرَّقهُم على الأمرَاءِ المُقدّمين لكلِّ أَمير مُقدّم ألف مَائة حَرفُوش، وَعلى أَعيَان التُجار وَمسَاتير النَاس لكلِّ وَاحدٍ بحسبِ مقَامهِ وَقدَرتهِ على ذلك، ثم إن السلطان نَادى بأنَ كلّ منْ شحتَ مِنَ الحرَافيش مِن بعدِ ذلك صُلب مِن غيرِ [٩٠/أ] مُعَاوده، وَرَسمَ السلطان بأنْ يَعطُوهُم في كلِّ يومٍ رَطلين منَ الخُبزِ وَمَا يُشاكل ذلك منَ الطِعَامِ.

ثُمَ دخلت سنة ست وسبعين وسبعمَائة، فيها: تنَاهى سِعر الغلة إلى مَائة وَأَربعين درهمًا كلّ أَردب، وَالشعير بثمانين درهمًا كلّ أَردب، وَالخُبز كلّ رطلين إلَّا رُبع بدرهمٍ، وَصَار أكثر النَاس يَأكلُون خُبز الفُول وَالنُخال، وَأُبيع اللّحم الضَان كلّ رَطل بدرهمين وَنصف، وَاللّحم البقري كلّ رَطل بدرهمٍ وَنصف، والرَاوية الماء بخمسةِ درَاهم، وَمَاتَ في تلك السنةِ أكثر الدوَاب منْ قلةِ العلف، وغلاء سَائر البضَائع في تلك السنة، حتى أتباع كلّ بطيخةِ صيفي بمَائة درهم، وَكلّ دجَاجة بعشرةِ درَاهم، وكلّ رُمَانة بستةِ عشر درهمًا، وَجَاء عقيب ذلك فنَاء عظيم وَأوْخَام زَائدة، وكانَ ذلك في شهر رمضان منَ السنةِ المذكُورة[^3].

[^1]: الخبر في: السلوك ٢١٩/١/٣. ولم يرد هذا الخبر في بدائع الزهور.
[^2]: في بدائع الزهور ١٣٨/٢/١: "مائة وعشرة".
[^3]: جاء خبر الغلاء في بدائع الزهور مقطعًا ومقسمًا على أحداث سنة ٧٧٥هـ وسنة ٧٧٦هـ وداخل كل سنة مقسم على الشهور: ١٢٧/٢/١، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣. وكذلك في السلوك ٢١٨/١/٣- ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٣- ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧. وقارن الأسعار في: السلوك وبدائع الزهور.

وَفيهَا: جاءت الأَخبَار بفتح مدينة سيس، وَكانتْ فِي أَيدي الأَرمَن مُدَّة طويلة، ففرح السلطان بذلك، وَأَمرَ بدق الكُوسَات ثلاثة أَيَام، وَأُحضرَ التكفُور [(1)] صَاحب سيّس أَسيرًا إلى الأبوَاب الشريفة، فَرَسمَ السلطان باعتقالهِ وَرَتبَ لهُ مَا يكفيهِ، **وَفي فتح سيس يَقُولُ بَعض الشُعراء منْ أبيَاتِ:**

الملك الأشرف إقبَالهُ ... تُهدى لهُ كلّ عزيزٍ نفيسْ

سَاقَ إلى سَوقِ العدى أدهمًا ... وَسَاعد الجيش على أخذِ سِيسْ[(2)]

وَفيهَا: جاءت الأَخبَار بأن القَان أُويس صَاحب بغدَاد قدْ تُوفى إلى رحمةِ اللهِ تعَالى، وَتولى بعدهُ ابنهُ الأَكبر شيخ حُسين، وَكانتْ مُدّة مملكة ألقَان أُويس على بغدَاد وتوريز[(3)] تسع عشرة سنة.

وَفيهَا: تُوفى المقر السيفي منجك اليُوسفي نَائب السلطنه بالدِّيَارِ المصريّة وَأتَابك العسَاكر، وَذلك في يَومِ الخميس تَاسع عشرين ذي الحجّة منَ السنةِ المذكُورة، [٩٠/ب] وَمَاتَ وَلهُ منَ العُمرِ نحو سبعين سنة، وَدُفن في خَانقَاتهِ التي أنشأهَا تحتَ القلعة بالقُربِ من الصُوَّةِ، وَكانَ أميرًا دَينًا خيرًا، كثير البر وَالصدقَات، وَلهُ آثارٌ كثيرة بمصر وَالشَام.

ثُمَ دخلت سنة سبع وسبعين وسبعمَائة أقولُ وَهذهِ السنةِ عزيزة الوقُوع جدًّا، لمْ يتفق مثلهَا من مُبتدأ الإسلام من سنين الهجرةِ النبويّةِ، ولمْ يتفق أن يَأتي مثلهَا منَ السِّنين القَابلة، وذلك قد اجتمعَ فيها ثلاث سِبَاع فهيَ سنة سبع وسبعين وسبعمَائة، وَهذَا غير مُمكن أن يتفق مثلهَا مَما يَأتي من الأَعوَامِ القَابلة وَللعَاقل في هذَا نظر.

ففيهَا: ختّنَ السلطان الملك الأشرف شعبَان أَوْلَادِه، وأَقَامَ المُهم عمال في القلعة سبعة أيَام، وَكانَ ذلك في تَاسع المُحرم.

---

(1) في الأصل "التكنور"، والصحيح التكفور في: السلوك ٢٣٧/١/٣ وبدائع الزهور ١٣٩/٢/١. والتكفور: هو لقب على ملوك أرمينيا الصغرى، متملكي سيس. (انظر: السلوك ٣٢٧/١/٣ هامش ٣ والتعريف بالمصطلح الشريف صـ٨٠)

(2) بحر السريع؛ ذكر ابن إياس في بدائع الزهور ١٣٩/٢/١- ١٤٠: الأبيات لبدر الدين ابن حبيب.

(3) هو الاسم الذي كان جاريا على ألسنة العامة للدلالة على مدينة تبريز أشهر مدن أذربيجان. انظر: صبح الأعشى ٣٥٨/٤).

وَفيهَا: ابتداء السلطان بعمَارة مدرستهِ[1] التي أنشأهَا في رَأس الصُوّة[2] تجَاة الطبلخَانَاة السُلطانيّة، وَكانَ غَالبَ النَاس يتطيرُون من حوَادثِ هذهِ السنةِ، فلمْ يَحصل فيها إلّا كلِّ خير.

ثُم دخلت سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، فيها: أَبطلَ السلطان ضمَان المغَاني من سَائر مملكته واستمر ذلك إلى الآن، وَهوَ جَائزٌ في صحيفتهِ، وَأَبطلَ ضمَان القرَاريط، وَكانَ ذلك أنَ الشخصَ إذَا أبَاع مِلكا يُوخذ منهُ لبيتِ المال عن كلِّ ألف درهم عشرين دِرهمًا نقرة، فأَبطلَ ذلك جميعه.

وَفيهَا: توعك جسد السُلطان، وَأَقَامَ أيَامًا ثُمَ شُفي.

وَفيهَا: قوي عزم السلطان إلى السفر إلى الحجَازِ الشريف، فأَشَارَ عليه بَعض الصُلحاء بترك الحج في هذهِ السنة، فلمْ يَسمع مِنْ أَحدٍ.

فلمَا كَانَ يَوم السبت ثَاني عشر شوال، خرجَ طَلبَ السُلطَان، وَأطلَاب الأمرَاء المُسَافرِين صُحبته [٩١/أ] وَمَما اشتملَ عليه طلب السلطان من الهُجنِ عشرين قطَار بقُماش ذهب، وَخمسة عشر قطار هُجن بقماش حرير، وَقطار هُجن مُلبَّسه خليفتى، وَقطار هُجن بقماش أَبيض برسم الإحرَام، وَمَائتين فرس مُلبّسه بركستوَانَات حرير مُلون، وَكجاوتين زركش، وَتسع محفَات بأَعشيَة زركش، وَستّة وَأَربعين زوج محَائر مُخمل مُلون، وَقطارين جمال مُحملة أشجار مُزهرة في طينهم في صنَاديق خشب، وغير ذلك من جَمالٍ مُحملة سُكر، وَحلوى، وَفاكهة، وَمَا أشبه ذلك[3].

ثُم خرج السلطان في يَومِ الإثنين رَابع عشر شوال، فَلمَا نزل من القلعة توجّه إلى سريَاقُوس، وَأَقَامَ بهَا إلى يَوم الثلاثاء ثاني عشرين شوال، وَلمَا أقام السلطان بسريَاقُوس أخلعَ الشيخ ضيَاءِ الدّين القنوي[4] واستقر بهِ شيخ مدرسته التي

---

(1) كانت هذه المدرسة برأس الرميلة تجاه القلعة، أنشأها الملك الأشرف شعبان وجعلها من محاسن الدنيا (الخطط التوفيقية، على مبارك، ٣/٢).

(2) في الأصل (السوة). وردت قبل قليل بالصاد.

(3) قارن الأعداد في: السلوك ٢٧٢/١/٣- ٢٧٣ والنجوم الزاهرة ٦٩/١١- ٧٠ وبدائع الزهور ١٧٢/٢/١ وجواهر السلوك ٢١٩، لاختلاف الأعداد بين عقود الجمان وبدائع الزهور، وتشابهها مع السلوك.

(4) في: السلوك ٢٧٣/١/٣ والنجوم الزاهرة ٧٠/١١: "الشيخ ضياء الدين القرمي"؛ وهكذا ورد الاسم في المصادر.

أنشأهَا برَأس الصُوَّة، وَقرَّرَ فيها حُضُورًا من بعد العصر، وكانت هذهِ المدرسة من محَاسِنِ الدُنيَا في الزُخرف وَالبناءِ، وقدْ هُدِمتْ هذهِ المدرسة في دولةِ الملك النَاصر فرج بن برقوق.

ثُمَ إنَ السلطان رَحلَ منْ سِريَاقُوس وَتوجّه إلى بركةِ الحاج وَنزلَ بهَا، وَكانَ صُحبتهُ مِنَ الأمرَاءِ المُقدّمين تسعة، وَهُمْ: المقر السيفي أرغُون شاه الأشرفي أتَابك العسَاكر، وَالمقر السيفي صُرغتمش الأشرفي أمير سلاح، وَالمقر السيفي بيبُغَا السَابقي أمير مجلس، وَالمقر السيفي بهَادُر الجمالي أمير خُور كبير، وَالمقر السيفي صُرَاي تمر المحمدي رَأس نوبة النُوب، وَالمقر السيفي طشتمر العلائي الدوَادَار، وَالأَمير مُبَارك شاه الطَازي، وَالأَمير قُطلقتمر العلائي الطويل، وَالأَمير بشتَاك الكريمي، وَمنَ الأمراءِ الطبلخَاناة خمسة وعشرين أميرًا، وَمنَ الأمرَاءِ [٩١/ب] العشرَاوَات خمسة عشر أميرًا.

ثُمَ إنَ السلطان جَعَلَ المقر السيفي أقتمر عبد الغني نَائب السلطنة مُقيمًا بالقاهرةِ، وَجعلَ الأَمير أيدمُر الشمسي نَائب الغيبة، وَرَسمَ لنَائبِ السلطنة، وَسَائر الأمرَاء المقيمين بالقَاهرة بأن يَطلعُوا إلى القلعةِ في كلِّ يَوم أثنين وَخميس وَيعطُوا الخدمة للأسيَاد أوَلَاد السُلطان، فصَار الأمرَاء يَجلسُون عَلى بَاب الستَارة، ويخرج إليهم ابن السلطان وَهوَ الأَمير عليّ، وَكانَ أكبرَ أوْلَاده، فيَجلس الأمراء ساعة لطيفة عَلى بَابِ الستَارة، ثُمَ يقُوم الأَمير عليّ وَلد السلطان وَيقُولُ بيدهِ: "بسم الله"، فيقوم الأمراء وَينصرفُوا بعدَ أنْ يشربُوا السُكر.

ثم إن السلطان رَحلَ من بركةِ الحاج وقصدَ التوجّه إلى الحجاز الشريف، وَكانَ السلطان قدْ ضبطَ أُمور المملكة قبلَ أن يخرج إلى الحجاز، وَأخذَ معهُ منَ الأمراء من كانَ يخشى أَمرهُ، وترك بالقَاهرة من كانَ يرْكنْ إليه منَ الأمراء، وَظنَ أنَ الوقتَ قد صفا لهُ وَالأقدَار تجرى بخلَافِ الاختيار، كمَا يقالُ في المعنى:

إذَا لمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى ... فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[1]

فَلمَا رَحلَ السلطان من بركةِ الحاج رَجع الأمراء المُودَّعُون لهُ إلى بيُوتهم، واستقر الأمر على ذلك.

---

[1] بحر الطويل؛ البيت للتنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة (١/ ١٧٧). والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء (١/ ٥٣٢) ذكر أن البيت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-. وذكره اللبيب في (الدرة الصقيلة صـ ١٦٦) في شرح البيت نفسه من الرائية ونسبه إلى النميري.

فَلما كانَ يَوم السبت ثَالث القعدة أتفقَ الأَمير طشتمر المحمدي اللفَاف أحد الأمراء العشراوات، وَالأَمير قرطاي الطازي أحد رُؤوس النُوب، وَالأَمير أسندمُر الصُرغتمشي، وَالأمير أينبك البدري أحد الأمرَاء الطبلخَانَاة، وَجَماعة منَ المماليك السُلطانيّة، وَجَماعة مماليك الأَسياد، وَجَماعة من مماليك الأَمرَاء المُسافرين صُحبة السُلطان، فلبسُوا آلة الحرب في [٩٢/أ] يوم السبت المذكُور، وَطلعُوا إلى الرملة، وَوَقفُوا سَاعة، ثُمَ طَلعُوا إلى القلعةِ، وَاجتمعُوا بالمماليك الذي[1] في الطباق، فألبسُوهم آلة الحرب أَيضًا، ثُم اجتمعُوا كلهُم وَأتُوا إلى بَابِ الستَارة، وَدقُوا الباب، فخرجَ إليهم الأَمير الزمَام وَهوَ مثقَال الجمَالي، وَالأمير جُلبَان العلائي اللاَلاَ، وَالأُمير قُطلوبُغَا جركس اللالا، فقَالُوا لهُم: "إيش الخبر"، فقَالُوا: "أَعطُونَا الأمير عليّ ابن السلطان حتى نُسلطنهُ فإنَ قدْ بَلغنَا أنَ وَالدهُ الملك الأشرف شعبَان قدْ مَاتَ بالعقبة".

فتوقَّفَ الأَمير الزمَام سَاعة، فعيّنُوا لهُ القتل، فدخلَ إلى الحريمِ وَأخرج لهُم الأَمير عليّ، فأَجلسهُ عَلى بَابِ السّتَارة، ثُم إنهُم أَحضرُوا نَائب الغيبَة الأَمير أَيدمُر الشمسي، وَبَاسُوا للأَمير على الأَرض، ثُم تَوجهُوا بهِ إلى الإيوان السُلطاني، فأَجلسُوهُ عَلى التخت، وَأَرسلُوا طلبُوا الأَمرَاء الذين بالمدينة، فطلعُوا إلى سُوق الخيل، فطلبُوهم أن يَطلعُوا إلى القلعةِ، فأَبُوا من ذلك، فأَنزلُوا لهُم بالأَميرِ عليّ إلى بَابِ السلسلة، وَجلسَ بالحُراقةِ التي في الأَسطبلِ السُلطاني، فطلعُوا إليهِ سَائر الأَمرَاء الذين بالمدينة، وَبَاسُوا لهُ الأرض وَحلفُوا له، ثم إن المماليك مسكُوا في ذلك اليَوم جَماعة منَ الأمرَاء العشراوَات، وَهُم: طشتمُر الصَالحي، وَبَلاط السيفي ألجُاي، وَحَطط اليلبُغَاوي أحد رُؤوس النُوب، وَسجنُوهُم بالقصرِ، ثُم قَالُوا لوَالي القَاهرة أنزلَ نَادي في المدينةِ بالأمَان وَالاطمَان، وَالدُعَاء للسُلطان الملك المنصُور عليّ، فنزلَ الوَالي وَنادى في المدينة بذلك.

وَأَقَامُوا إلى يَوم الأحد وَهُم لَابسُون آلة الحرب، فلمَا كانَ وقت الظُهر اشتاع الخبر بأنَ شخصًا [٩٢/ب] منَ المماليك السُلطانيّة قبضَ على شخصٍ من المماليك يُسمى قَازَان اليرقُشي أَمير أَخور، وَكانَ قد توجّه صُحبة السلطان الملك الأشرف شعبَان إلى الحجاز الشريف، فوجدوهُ في المدينة مُتنكرًا فمسكُوهُ، وجَاءوا بهِ إلى الأَمير أَيدمُر الشمسي نَائب الغيبة، فسَألُوهُ عن سبب مجيئهِ،

---

[1] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

فصَـارَ يُمغمـغ فـي الكـلام، فعرَّوهُ وَأرَادُوا توسيطهُ، فقَـالَ لهُـم: "أَمهلُـوا حتـى أَخبركُم القصّة".

ثُم حكى لهُم أن السلطان لمَا وَصلَ إلى العقبة فـي يَوم الثلاثـاء فأقَـامَ بهَـا ذلـك اليوم، فلمَا أَصبح نهَار الأربعَاء طلبُوا منهُ المماليك السُلطانية العليق[1]، فقَـالَ لهُم: "أصبرُوا إلـى الأزنـم[2]"، فلمَـا مَـدَّ لهُم السمَاط فلم يَحضـر مـن المماليك السلطانية أحد، وأبوا أن يأكلوا السماط، وَاتفقوا بأن يركبُوا عَلى السلطان هُناك.

وَكانَ الذي وَافقَ المماليك عَلى الركُوب منَ الأمرَاء: الأَمير طشتمُر العلائـي الـدّوَادَار الكبيـر، وَالأَميـر مُبـارك الطـازي، وَالأَميـر صُـراي تمـر المحمـدي، وَالأميـر قطلقتمـر العلائـي الطويـل، فركبُـوا عَلـى السـلطان فـي يَـومِ الخمـيس، وَركبَ معهُم جَماعة كثيرة من مَماليكِ الأَسيادِ فتحَاربُوا مع السُلطان، فأنكسـرَ السلطان وَهربَ هُوَ وَجَماعة منَ الأمرَاءِ، وَهُم: الأتابكي أَرغُون شاه الأشـرفي، وَالأَمير صُرغتمش الأشرفي أَمير سلاح، وَالأَمير بيبُغَا السَابقي، وَالأَمير بشتَّاك الكريمي، وَالأَمير أَرغُون كتك، وَالأَمير يَلبُغَا النَاصري، وَجَماعة من المماليك السُلطانية، وقدْ فارقت السلطان وَالأمرَاء بعجُرود[3] وَهُم عَلى مُجيء في هذهِ اللّيلة، فعندَ ذلك ركبَ الأَمير أسندمُر الصُرغتمشي، وَالأَمير طُولُو، وَجماعة كثيرة منَ المماليك السُلطانيّة، وتوجهُوا إلى بركة الحاج فوَجدُوا الأمرَاء الذّين توجهُوا مع السُلطان، وَلمْ يجدُوا معهُم [٩٣/أ] السلطان وَلا الأَمير يلبُغَا النَاصري وَلَا الأتابكي أَرغُون شاه الأشرفي، فقتلُوا الأمرَاء الذي[4] جَاءوا معَ السُلطان، وَحملُوا رُؤوسهم إلى القَاهرةِ، وَعَلقُوهُم عَلى بَابِ القلعة، هذَا مَا كـانَ من أَمرِ الأمرَاء.

وَأمَـا مَـا كـانَ من أَمرِ السلطان الملك الأشرف شعبَان فأنَ محمد بن عيسي الهجَان أَمير العَائد قَالَ للسُلطان: "أنَا أَخذك وَأتوجّه بك إلى نحو بلَاد الشام فتُقيم

---

(١) ويقصد بالعليق أكل الدواب.

(٢) الأزلم: كانت محطة من محطات الحجاج في الطريق بين القاهرة ومكة المشرفة، بها قلعة خربة وآبار غير صالحة للشرب، ويباع عندها الحشيش الغذاء الدواب، والسمن والغنم والسمك وغير ذلك مما تجلبه العرب. (الخطط التوفيقية، على مبارك، ٢٦/٩).

(٣) عجرود: منطقة صحراوية إحدى محطات الحاج القديمة على الطريق ما بين القاهرة والسويس، تقع في الجهة البحرية الغربية من السويس على بعد عشرين كيلو متر. (النجوم الزاهرة ٧٤/١١ هامش ٢ والخطط التوفيقية ١٤/٧).

(٤) كذا في الأصل، الصواب "الذين".

بغزّة، وتجمع العسَاكر وَسَائر عُربان بلاد الشام، وَتدخل إلى القَاهرة، وَتأخذ مملكتك بالسيفِ"، فوَافقهُ السلطان عَلى ذلك، وَأرَادَ أنْ يتوجّه معهُ إلى غزّة، فلمْ يُوافقهُ على ذلك الأتَابكي أرغُون شاه وَلا الأمير يلبُغَا النَاصري، وَدَخلُوا إلى القاهرةِ تحت الليل، فأختفى السلطان تلك الليلة في تُربة في الصحراءِ، فلمَا أخذهُ قرار في تلك الليلة فتوجّه مِنْ هُناك آخر الليل إلى الجودرّية، فاختفى عند امرأة في الجودرّية تُسمى أمِنه زوجة ابن المشتولي، كانتْ تربية خَوند أم السُلطان، فأقَام عندَهَا مُختفى.

فلمَا كانتْ ليلة الإثنين جاءت امرأة[1] إلى الأمير أينبك البدري، وَأخبرتهُ بأن السلطان مُختفى في مكانٍ بالجودرّية[2]، فأرسلَ معهَا مَماليك، ومعهُم الأَمير الطنبُغَا السُلطاني، فتوجهت بهم إلى بيتِ أَمنه زوجة ابن المشتولي، فكبسُوا البيت المذكُور، فهربَ السلطان واختفى بالبادهنج[3]، فطلعُوا إلى السطح فتشُوا عليه فوَجدُوهُ في البادهنج، فمسكُوهُ، ثُم إنهُم نهبُوا كلّ شيء كان في البيت[4]، وَطلعُوا بالسُلطان إلى القلعةِ، وَهوَ رَاكب فرس، فتسلمهُ الأَمير أينبك البدري، وَخلَا بهِ تلك الليلة، وَبَات يُعَاقبه ويقررهُ على الذخائر[5] كلها، فأخبرهُ عنهَا.

فلمَا كانتْ ليلة الثلاثاء دَخلَ جركس مملوك ألجاي اليُوسفي وكانَ شاد العمَائر عند ألجاي، فتسلّم السلطان الملك [٩٣/ب] الأشرف شعبَان، وَخنقهُ بوترٍ تَحتَ اللّيل حتى مَاتَ، وذلك في ليلةِ الثلاثاء سَادس ذي القعدة سنةِ ثمان وسبعين وسبعمَائة، فلما مَاتَ وَضعهُ في قُفةٍ وكسرَ ظهرهُ وخيّط عَليهِ بلَاس، وَأَرسلهُ تحتَ اللّيل على حمارٍ، فأرمَاهُ في بئر بالقُربِ من بَابِ الزغلة عندَ المجرَاة، فمَاتَ شهيدًا، رحمة اللهِ عليه، فكان الأَمر كما قدْ قيلَ:

---

(1) الخبر في بدائع الزهور ١٨٠/٢/١: أن المرأة التي أخبرت عن مكان السلطان هي نفسها "أمنة" التي نزل السلطان في بيتها؛ أما في المصادر الأخرى: أن امرأة بلغت عن وجود السلطان في بيت أمنة. (انظر: السلوك ٢٨١/١/٣ والنجوم الزاهرة ٧٥/١١) وهذا يتطابق ما ذكره ابن إياس هنا.

(2) الجودرية: حارة في القاهرة باسم طائفة من العسكر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي، موقعها المنطقة التي يخترقها اليوم شارع الجودرية وفروعه وحارة الجودرية الكبيرة وحارة الجودرية الصغيرة وعطفة الجودرية بالقاهرة. (الخطط المقريزية ٩/٣ والنجوم الزاهرة ٥١/٤ هامش ٣).

(3) كلمة فارسية، معناها المنفذ الهوائي في أعلى المنزل وهو ما يعبر عنه العوام بالشخشيخة. (النحوم الزاهرة: ٧٦/١١ هامش ٢ نقلا عن قاموس استينجاس).

(4) في الأصل "البيب".

(5) في الأصل "الدخاير".

يَـــا نَفْـــسِ صَـــبْرًا وَإِلّا فَـــاهْلَكِي جَزَعًـــا إِنَّ الزَّمَـــانَ عَلَـــى مَـــا تَكْـــرَهِيْنَ بُنِـــي
لَا تَحْسِـــبِي نعْمَـــةً سَـــرَّتْكِ صُحْبَتهَـــا إِلّا بِمِفْتَـــاحِ[1] أَبْـــوَابٍ مِـــنَ الحَـــزَنِ[2]

هذَا مَا كانَ من أَمرِ الملك الأشرف شعبان.

وَأمَا مَا كانَ من أمرِ الأمرَاء الذّين خَامرُوا عَلى السلطان في العقبة فأنهُم لمَا أنْ هَربَ السلطان ومنْ معه مِنَ الأمرَاءِ، فاجتمع الأمرَاء الذي[3] كانوا بالعقبة، وَجَاءوا إلى الخليفة المتوكل على الله، وَكانَ صُحبة السلطان لمَا سَافر، فقَالُوا لهُ: "يَا أَمير المؤمنين أعمل أنتَ سُلطان"، فحلفَ الخليفة أنهُ مَا يتسلطن وَامتنع كلّ الامتنَاع، فأقَامُوا العسكر وَالأمرَاء عَلى ذلك يَومين وَهُم يسَألُون الخليفة، وَهوَ يمتنعُ من ذلك، فلمَا طال الأمر توجهُوا القُضَاة الأَربعة الذّين كانُوا صُحبة السلطان من العقبةِ إلى زيَارة بيت المقدس الشريف.

وَأمَا بقية الحُجاج فإنَ الأمرَاء عيّنُوا الأَمير بهَادُر الجمَالي أَمير أخور كبير بأن يتوجّه صُحبة الحاج أَمير المحمل، وَجَعلُوا الأول وَالمحمل فرد ركب.

ثُم إن الأَمرَاء وَالعسكر أخذُوا الخليفة وتوجهُوا إلى القَاهرةِ وصُحبتهم حريم السلطان الملك الأشرف شعبَان، فلمَا وَصلُوا إلى عجرُود جاءت الأخبَار لهُم بمَا جرى في القَاهرةِ من قتلِ السلطان وسلطنة ولده على الملك المنصُور.

ومن غريب الاتفاق أنَ اليوم [٩٤/أ] الذي خَامرُوا فيهِ المماليك، وَرَكبُوا على السلطان في العقبةِ وَافق اليَوم الذي رَكبُوا فيهِ الأمرَاء وَالمماليك بالقَاهرةِ، وَوَقعتْ فيه الفتنة بمصر، فلما وَصل الأمرَاء منَ العقبةِ إلى بركة الحاج، فجاءت الأخبَار إلى القَاهرةِ بذلك فتوجه إليهم جَماعة من الأمرَاءِ وَالمماليك السُلطانيّة، فتلاقُوا معهُم في الريدانيّةِ، فاتقعُوا هُناك فأنكسر الأمرَاء الذي[4] خرجُوا لهُم منَ القَاهرةِ وَسَاقَ خلفهُم الأَمير قطلقتمر العلائي الطويل إلى رَأس الصُّوة، فتكاثرُوا عليه المماليك السُلطانيّة فمسكُوهُ مِن وَقتهِ، وَأحضرُوا بهِ إلى المقر السيفي أقتمر عبد الغني نَائب السلطنة، فتلقَاهُ وأكرمهُ، ثم إن الأمير طشتمر الدّوَادَار الكبير اتقع مَعَ

---

[1] في المصادر "مفاتيح". انظر: المنتظم ٨٨/١٣. الدر الفريد وبيت القصيد ٣٧٩/٣. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٣٠٥/٧.

[2] بحر السريع؛ البيتان لابن المعتز. انظر: المنتظم ٨٨/١٣. الدر الفريد وبيت القصيد ٣٧٩/٣. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٣٠٥/٧. ولم يرد البيتان في بدائع الزهور.

[3] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

[4] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

العسكر إلى بعد المغرب عِدّة وجُوه، فأنكسر طشتمر وَهربَ إلى نحو الباب المحرُوق، فاختفى في تُربةٍ هُناك، وَأرسلَ يَطلب الأمَان منَ الأمرَاءِ، فأَرسلُوا إليه بالأمَان، فلمَا حضرَ بين يدى الأمرَاء قبضُوا عليه وَقيدوه، وأرسلُوهُ إلى السجنِ بثغرِ الإسكندريّة، وَفي ذلك يَقُولُ شهَاب الدّين ابن العطَار:

إنْ كانَ طشتمر طَغَى وَأتى لحربٍ يُسرعُ
وَبغى سيُؤخذَ عَاجلًا وَلكلِّ باغٍ مَصرَعُ[١]

قيلَ: وَلمَا قُتلَ الملك الأشرف شعبَان أقَامَ في البئر أيَامًا حتى ظهرت رَائحتهُ فطلعُوا بهِ مِنَ البئرِ بعض التُّرابه فمرّبهِ بعض خُدَامِه فعرَفهُ بإمَارةٍ كانتْ فيهِ، فلمَا دَخلَ الكيل أخذ ذلك الخَادم جَماعة من خُشدَاشينهِ ومعهُم تَابُوت، فحملُوهُ فيهِ، وَأحضرُوه إلى مدرسة والدته التي بالتبانة، فغسلُوهُ هُناك وَكفنونهُ وَصلُوا عليه وَدفنُوهُ في القُبةِ التي تجاه قُبة [٩٤/ب] وَالدته، رَحمة الله عليه[٢].

وَكانَ الملك الأَشرف شعبَان من حسنَاتِ الزمَان في العَدْلِ وَالحِلم، وَكانَ مِلكًا هينًا لينًا مُحبًا للعُلماءِ وَالفقراءِ مُنقَادًا إلى الشرع، وَكانَ مُحسنًا لأقاربهِ، وبني عمه وَأخوته، وينعم عليهم بخلَاف من تقدّمه من أقاربهِ، وكانتْ الدُنيا في أيَامهِ هَادِية منَ الفتن منَ التُركمان وَالعُربَان وغيرهم، وقد قَالَ منْ مَدَحهُ:

بالملك الأشرف المُفدى شعبَان فُزنَا بكلِّ فضلِ
منْ وَطَنَ الكون وَالرعَايَا بطيّ ظُلمٍ وَنشرِ عدْلِ[٣]

وقيلَ فيهِ أيضًا:

للملك الأشرف السُلطان سيّدنَا مَنَاقبٌ بعضهَا يبدو به العجبُ
لهُ خلَائقُ بيضٌ لَا يُغيّرهَا صرف الزمَان كما لَا يَصدَأ الذهبُ[٤]

وَكانَ مَولدهُ في سنةِ أَربع وخمسين وسبعمائة، وَتولى الملك وَلهُ منَ العُمرِ عشر سنين[٥]، وَمَاتَ وَلهُ منَ العُمر أربع وعشرين سنة.

---

[١] بحر مجزوء الكامل؛ لم يرد البيتان في بدائع الزهور، في جواهر السلوك ٢٢٢.
[٢] في السلوك ٢٨٢/١/٣ والنجوم الزاهرة ٧٦/١١: أنه دفن بالقبة التي بها أمه، وذكر ابن إياس هنا وبدائع الزهور ١٨٢/٢/١: أنه دفن في قبة أخرى غير قبة أمه، وجاء في النجوم الزاهرة ٥٩/١١ هامش ١: "وبالبحث تبين لي أنه يوجد إلى اليوم تجاه المدرسة المذكورة بقايا قبة قديمة بجوار زاوية الهنود بشارع باب الوزير ومن المحتمل أنها هي القبة التي دفن فيها السلطان شعبان، كما ذكر ابن إياس".
[٣] بحر مخلع البسط.
[٤] بحر البسيط؛ البيتان لشهاب الدين أحمد بن العطار. انظر: النجوم الزاهرة ٨٣/١١.
[٥] سبق وتم التعليق على عمر السلطان في ذكره.

وكانتْ مُدّة سلطنتهِ بالدِّيَارِ المصريّة أَربع عشرة سنةٍ وَشهرين وعشرين يَومًا، وكانتْ قتلته في ليلةِ الثلاثاء خَامس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمَائة.

وَلمَا مَاتَ خلفَ من الأَولَادِ ستة بنين، وَهُمْ: سيدي عليّ الذي تسلطنَ بعدهُ، وسيّدي أَمير حاج، وسيدي قاسم، سيّدي محمد، وسيّدي إسمَاعيل، وَسيّدي أبُو بكر، وَوُلدَ لهُ بعد مَوته سيدي أَحمد الذي مِن خوند سمرَا، وَخلف سبع بنات[1].

وَأمَا فتُوحَاته فمدينةِ سيّس، وَسنجَار، وَدُوْرِكيّ[2].

ومن إنشائه المدرسة التي كانت في رَأس الصّوة تُجَاه الطبلخَانَاة السُلطانيّة؛ ومن إنشائه الأشرفيّة التي بالقلعةِ [٩٥/أ] وَغير ذلك.

وَكانَ في أيَامهِ منَ الأمرَاءِ الطبلخَانَاة وَالعشرَاوَات جَماعة كثيرة منْ أَوْلَادِ الناسِ، وَهُم: الأمير عبد الله بن بكتمُر الحاجب، وَأَمير حاج بن مُغلطاي، وَعليّ ابن منجك اليُوسفي، وَمحمد بن تنكزبُغَا، وَأَحمد بن يَلبُغَا العُمري، وَمُوسى بن دندَار، وَقُرطقَا بن سُوسُون.

وَمنَ الأمرَاءِ العشرَاوَات، وَهُم: أَبُو بكر بن سُنقر الجمَالي، وَأَحمد بن محمد بن لَاجين، وَمحمد بن بكتمر الشمسي، ومحمد بن قُطلوبُغَا المحمدي، ومحمد بن سُنقر المحمدي، وَخضر بن عمر بن أحمد بن بكتمر السَاقي، وَغير ذلك مِنْ أولاد الأمراء.

وَفي الجُملةِ أنهُ كانَ مِلكًا جليلًا، مُهَابًا، كرِيمًا، عَارفًا بتدَبير أُمور المملكة، مُستجلبًا بالإحسَان قُلوب الرعيّة، مُجريًا أُمورهم على القوَاعد المُرضِيَّة.

وَلمَا مَاتَ رثَاهُ القيم الأديب خلفِ الغُباري بهذهِ القطعةِ الزجل وَهيَ هذهِ:

عن منَازِلْ طالع القلعة كوكب السّعد اختفى حِين بَانْ
اقترَان زُحل مع المريخْ وَكسُوف شمس انتقَال شعبَانْ

---

[1] الخبر في: السلوك ٢٨٣/١/٣: "من الأولاد سبعة"؛ وبدائع الزهور ١٨٢/٢/١: "من الأولاد ستة" والسابع ولد بعد موت السلطان.

[2] دُوركي: بضم الدال المهملة، وسكون الواو، وكسر الراء، والكاف بعدها ياء النسبة: من بلاد الروم، وهي من مضافات حلب. (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين عبد المؤمن القطيعي، ٥٤٠/٢).

صَار مُحرم نومنَا لمَا صفرَ المنزلْ مِنَ الأشرفْ
وَادَّخرْ مِنّا ربيع[1] العيشْ وَجُمادَين فتكهُمْ أسرَفْ
وَرَجب فيه الملك شعبَان دوَّرَ المحمل وَلما أشرفْ
رَمضَان صَامُوا وفي شوالْ شال وذي القعدة بدا الحرمَانْ
فيه جرتْ سيرة لذي الحجّة مَا جرتْ في سَالفِ الأزمانْ
قدْ فهمنا أصل ذي النوبة بسماع ما جاء من الأخبارْ
في حِصَار شعبان وفي ضربو نوبتين وَالخنق بالأوتارْ
ولذا صَار قلبنا موصول بالهموم وَالعقل منّا طارْ
وخروج السّهم لو [تشييب][2] في القصب مِن دَاخل الأبدانْ
وَالسيوف غنتْ لرقص الخيلْ والأنامل هزّت العِيدَانْ [٩٥/ب]
للحجاز لما نوي الأشرف وَرَحلْ مع جُملةِ العُشّاقْ
خامرت مَائة من العسكر ولرصد الغدر جُو[3] أجوَاق
قتلُوه شركة وَتَاريخو للعرَاق والأصبهَان انساق
وقد أضحى في الرمل مدفون والذى بيه في طرب فرحان
صار مُحيّر والحمام في الدوحْ نَاح لِفقدُو باختلاف ألحَانْ
الدّخاير ذاهبة حين صَارْ وَاسطة عِقدَ الجيُوش غايبْ
وَالذهب كنُّو الحزين صَفّر صُورتُو وَأمَا اللجين شايب
والعقيق كنّو قد اتخضب بالدِّمَا حين كهربُو كاربْ
وَسلُوك الدُر واليَاقُوت عِقدهَا اتفرّط منَ التِيجَانْ
وأصبح الجوهر يتيم بَعدُو وَدُسُوع العين عليه مرْجَانْ
ذي الذي كان الملك إيدو وإيدهمْ في فَرد زبدِيّة
جُوه بعملة غدر مدْفُونة وَحيل في السرّ مخفيّة
وَقلُوب بالغمِ مغمومَة وَكبُود بالغين مُشويّة
وَأمُور مُزوّرة لكنْ قبلَ مَا سقوه الهوَان ألوَانْ
طبخُوا القدرة وقدْ صَارُو حَولهَا مُسْتجمعين إخوَانْ
في أتَابك مصر كنت أعهدْ قوم عَزِيزيّن جَبر للمكسُورْ

---

(1) في بدائع الزهور ١٨٥/٢/١ وجواهر السلوك٢٢٣: "ربيعين".
(2) في الأصل "تشبيبْ"؛ والتصحيح من بدائع الزهور ١٨٥/٢/١ وجواهر السلوك٢٢٣.
(3) كذا في الأصل، وفي بدائع الزهور وجواهر السلوك: "جوا".

منهم أرغون شاه وَصُرغتمش — وَالشهيّر بالسّابقي المنصُورْ
وَالأَمير بشتاك مع الأفرمْ — بأمر مَنْ لُو الحُكم وَالمقدُورْ
جَا القضا عَاجل خذ الخمسة — وقد أضحا عزّهُم مُنهَانْ
هكذا الدُنيا وقدْ قالُوا — في المثلْ: "مَا عزّ شيء إلّا
جَال بنفسُو ذَا الملك لمَا — جَا يُصيبْ دستُو عليه مَقلُوبْ
وَأخذْ فِيلُو سريع شامَاتْ — وانكشف[1] رُخو وصَار مَغلُوبْ
هكذا في رُقعةِ الدُنيا — دِست هذى المملكة المنصُوبْ
ذا يكنْ رَاكب فرس عزو — عاليّهْ فرحَانْ يَعُود في أخزَانْ[٩٦/أ]
والذى في الحَاشية بَيدَقْ — ينتقل حتى يصيرْ[2] فرزَانْ
مصر وادى تيه وَصَارتْ غابْ — وسكنْ وأبرَاج حَوَتْ رِفعة
وَأمَارتها الذي كانُوا — في هنا من قبل ذي الوقعة
للملك خلان وَهُم غزلانْ — وأسود وأقمار لهُم طلعة
خفت الأقمار منَ الأبراجْ — وَخلا المسكن مِنَ الخلّانْ
وعن الغَاب غَابتَ الآسّادْ — وأقفر الوَادى من الغزلانْ
ضمَّ الأشرف قبر ليت شعرى — هو لقنديل نور ضياه جامع
أو صدف فيه خالص الجوهر — أو فلك فيه غاب قمر طالع
أو نقول غاب فيه أسد ضاري — أو جفير جُوّاه حُسَام قاطع[3]
أو كِناسْ فيه أحسن الغزلان — أو حِمَا فيه أفرس الفُرسَانْ
أو جسد فيه رُوح منَ الأَروَاحْ — أو سوَاد مُقلة وفيهَا إنسَان
نسألك يا الله بجاه مُوسى — وبعيسى وأحمد المحبُوبْ
غيث الأشرف واوهبُو رَحمة — وعليه افرغْ صَبْر أيُوبْ
فارق أذكرنا فراق يوسف — مثل مَا أورثنا حزن يعقوب
وَالخليل منّا بقي[4] قايل — لخليلو حين يرَاه لهفَانْ
في سفين الحُزن بعدُو نوح — وأجر دمعك في الخدُودْ طُوفَانْ

---

(1) في بدائع الزهور ١٨٦/٢/١ وجواهر السلوك ٢٢٤: "وانكسر".
(2) في بدائع الزهور ١٨٦/٢/١ وجواهر السلوك ٢٢٤: "يصير".
(3) هذا البيت لم يرد في جواهر السلوك.
(4) في بدائع الزهور ١٨٧/٢/١ وجواهر السلوك ٢٢٤: "غدًا".

نصر شعبان تمَّ بالكاملْ ... لعطي والحُكم للقَادِرْ
نسألك يَا حق يَا عَادلْ ... كنْ لجيش المسلمين ناصر
وأرزُق العَالم عملْ صَالحْ ... واصلح البَاطن مع الظاهر
واخمد الفتنة وَطمنّا ... لا تشتتنَا مِنَ الأَوطانْ
وانصر المنصُور عليّ واعفُو ... عن أبيهِ الأشرف السُلطان
يَامن أَمسَا مثل مَا صبح في ... فرح بالجاه وكثر المالْ
قطّ لا تركنْ لذى الدُنيَا ... واحذر احذر حَالهَا إنْ حَالْ[٩٦/ب]
كمْ عزيز ذَلّتْهُ صَار يَطلبْ ... جَاه يجيّه مَا جَاه وَمَالُو مَالْ
فالبسْ البس حُلّة التقوى ... قبلَ لبسك شُقة الأكفَانْ
لا تغُرك زينة الدُنيا ... كل ما تنظر عليهَا فانْ
آخر الثامن مع السبعيّن ... بعد تاريخ سبعمَائة عَامْ
يا غُباري قَلتُ في الأشرفْ ... نظم شاع في أقليم مصر وَالشام
وَأنتَ في فن الزجل قيّمْ ... بدُرُوج تشهدْ بهَا الحُكامْ
وَبنظم النثر من فكرك ... كمْ وكمْ صنفتْ مِن دِيوَانْ
والبديع لك صَارتْ الفُرسَانْ ... فيهِ رِجَالْ والقيمة أدوانْ

انتهتْ أخبَار دَولة الأشرف شعبَان، وَذلك على سبيل اختصَار منهَا.

ذكر

سلطنة الملك المنصُور عليّ ابن الملك الأشرف شعبان

ابن الأمجد حُسين ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصُور قلاَوُن[١]

وَهوَ الثَالثُ وَالعشرون من ملُوك التُرك وأَوْلادهم بالدِّيَارِ المصريّة، جَلسَ على سرير الملك في يَومِ الأحد رَابع[٢] ذي القعدة سنة ثمان وَسبعين وسبعمَائة.

فلمَا حضرَ أَمير المؤمنين المُتوكل عَلى الله وَكانَ صُحبة الأشرف شعبَان في العقبة، فَلمَا جرى مَا تقدّم ذكرهُ، وَحضرَ الخليفة إلى القَاهرةِ، فاجتمع الأمراء وَالخليفة والقُضَاة الأربعة، وَبايع الخليفة إلى الملك المنصُور عليّ، وَلبسَ خلعة السلطنة من بَابِ الستَارة، وَرَكبَ إلى الأيوَان، وجَلسَ هُناك سَاعة، ثُم دخلَ إلى القصرِ الكبير وَمَدّ بهِ السِمَاط.

فلما فرغَ من السمَاط، أُخلعَ عَلى منْ يُذكر منَ الأمراءِ، وَهُمْ: المقر السيفي أقتمر الصَاحبي الشهير بالحنبلي واستقر نَائب السلطنة بمصر، وَرَسمَ لهُ ببرك الأتَابكي أَرغُون شاه الأشرفي؛ وَأُخلعَ على الأميرِ قُرطاي الطازي واستقر رَأس نوبة النُوب، وَرَسمَ لهُ ببرك الأمير صُرغتمش الأشرفي؛ وَأُخلعَ عَلى الأَمير أَسندمُر [٩٧/أ] الصُرغتمشي واستقر أَمير سلَاح؛ وَأُخلعَ على الأمير قُطلوبُغَا البدري واستقر أَمير مجلس؛ وَأُخلعَ على الأَمير طشتمر العلائي الدّوَادَار واستقر نَائب الشَام، وَرَسمَ لهُ بأنْ يخرج منْ يَومهِ؛ وَأُخلعَ على الأَميرِ إيَاس الصُرغتمشي واستقر دوَادَار كبير.

وَأنعم على جَماعةٍ من الأمرَاءِ بتقادم ألُوف، وهُمْ: دمردَاش اليُوسقي، وَبلاط السيفي ألجاي، وَالطُنبُغَا السُلطاني، وَيَلبُغَا النظامي، وَأُخلعَ على الأَمير أينبك البدري واستقر أمير أخُور كبير.

---

[١] أخباره في: بدائع الزهور ١/٢/١٨٨- ٢٨٤؛ جواهر السلوك ٢٥٥- ٢٣٦.
[٢] في جواهر السلوك ٢٢٥: "خامس".

وَأنعم عَلى من يُذكر من الأمرَاءِ بطبلخَانَاة، وهُمْ: بيقجَا الكمالي، وَقُطلو بُغَا البشيري، وقطلو بك النظامي، وأحمد بن التُركماني، وَقطلو قجاه أخُو أينبك البدري، وتمربُغَا البدري، والطنبُغَا المعلم اليلبُغَاوي، وتلكتمر عبد الله المنصُوري، وَأسنبُغَا الصَارمي، وَأطلمش الطازي، وأربُغَا السيفي جبغَا، وإبرَاهيم بن قطلقتمُر العلائي، وَعليّ بن أُقتمر عبد الغني، وَأسنبغَا النظامي، وَمَامُور القلمطَاوي، وَأطلمش الأَرغُوني، وَمُقبل الرُومي.

وَأنعم على جَماعةٍ منَ الأمرَاءِ بأَمريَات عشرة، وَهُمْ: محمد بن قُرطاي الطازي، وخضر بن ألطنبُغَا السلطاني، ومحمد بن شعبان بن يَلبُغَا العُمري، وَتكا الشمسي، وَأسنبغَا المحمودي، وطُبج المحمدي، وتلكتمر المنجكي، وَآقبغَا السيفي ألجاي، وَجركس السيفي ألجاي وَهوَ الذي خنق الملك الأشرف شعبَان، وقد تقدم ذلك؛ وَطقتمش السيفي يلبُغَا، وَطُوغان العُمري الشَاطر، وخليل بن أسندمُر العلائي، ورمضان بن صُرغتمش النَاصري، وَأخيهِ حسن، ويُوسف بن شادي، وخضر الرسُولي، وقطلوبُغَا أَمير علم، وسُودون العثماني شاد السلَاح خاناه، وَأَسندمُر الشرفي، ومنكلي بُغَا الطرخَاني، ومُغلطاي الشرفي، [٩٧/ب] وغير هَولاء منَ الأمرَاءِ[١].

وَأَفرجَ عنْ جَماعةٍ منَ الأَمرَاءِ المُعتقلين، وَتم أَمرهُ في السلطنةِ.

ثُم دخلت سنةِ تسع وسبعين وسبعمَائة، فيها: في يَومِ الأحد في العشرين من شهر صفر منَ السنةِ المذكُورة، عمل المقر السيفي قُرطاي وَليمة، فَأَهدَى إليهِ المقر السيفي أينبك البدري ششش[٢]، وَعملَ لهُ فيهِ بنجًا، فلمَا شربَ منهُ قُرطاي تبنَّج ونَامَ حتى طلعة الشمس، فرَكبَ أينبك البدري وَألبس مَماليكه آلة الحرب، وَطلعَ إلى الرملة، فعند ذلك نزلَ السلطان الملك المنصُور عليّ إلى المقعد المُطل على الرملة، وَدُقتْ الكوسَات حربي، فاجتمع بقيةِ الأمرَاء وَالمماليك السُلطانية، فَأَقَامُوا على ذلك يَوم وَليلة.

---

[١] الخبر في: (السلوك ٢٨٩/١/٣): وجاء مطابقة لما ورد عند ابن إياس؛ أما عند ابن تغري بردي فيذكر: " وحسن أخو قطلوبغا حاجّى أمير علم" حيث ورد هنا أن حسن أخو رمضان، وأن قطلوبغا من الأمراء الذين أنعم عليهم. (راجع الخبر في: النجوم الزاهرة، ١٥٠/١١).

[٢] ضرب من المسكر مثل البشتكي والتمر بغاوى. (النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ١٥٣/١١ هامش ١، نقلا عن طبعة كاليفورنيا لهذا الكتاب).

فلمَا أَصبح نهَار الأثنين إحدى عشرينِ صفر صحى الأَمير قُرطاي من سكرتهِ، فاجتمعَ عندهُ الأمرَاء، وَهُم: الأمير أَسندمُر الصُرغتمشي أمير سلَاح، وَالأَمير قطلو بُغَا البدري أَمير مَجلس، وسُودُون المنجكي، وَمبَارك الطازي، وقطلو بُغَا جركس، وغير ذلك منَ الأمرَاءِ الطبلخَانَاة وَالعشرَاوَات، فأَرسلَ الأَمير قُرطاي يسَأل السلطان بأن يكُون نَائب حلب، فَأَرسلَ إليه السلطان منديل الأمَان، وَخلعة بأن يكُون نَائب حلب، وَرسمَ لهُ بأنْ يخرجَ من يَومهِ، فخرجَ وتوجّه إلى سِريَاقُوس، فلمَا أنْ خرجَ قُرطاي مسكُوا الأمرَاء الذّين كانُوا مِنْ عُصبة قُرطاي، ثُمَ قَال المماليك للمقر السيفي أقتمر الحنبلي نَائب السلطنة: " أَمسك الأَمير أينبك البدري"، فقَالَ لهُم: "مَا هذَا مصلحة"، وَرجَّعهُم عن ذلك.

فلمَا كانَ يَوم الثلاثاء ثاني عشرين صفر رَكبَ المقر السيفي أَقتمر الحنبلي يسيّر نحو قُبة النصر، فأَرسلَ إليهِ المقر السيفي أَينبك البدري [٩٨/أ] خلعة عَلى أنْ يكُون نَائب الشَام، وَقَالَ لهُ: "أَخرج من هُناك"، فخرجَ من وَقتهِ وسَاعتهِ.

فلما خرجَ قُرطاي استقر أينبك البدري أتَابك العساكر عُوضًا عن طشتمُر المحمدي اللفَاف، وَمُسك طشتمر اللفاف وَأُعيد المقر السيقى أقتمر عبد الغني إلى نيَابةِ السلطنة بمصر كما كان أولًا عُوضًا عن أقتمر الصَاحبي الحنبلي؛ وَأُخلعَ على بلاط السيفي ألجاي وَاستقر أَمير سلَاح، عُوضًا عن أَسندمُر الصُرغتمشي؛ وَأُخلعَ على الأَمير الطنبُغَا السُلطاني واستقر أَمير مجلس عُوضًا عن قطلوبُغَا البدري؛ وَأُخلع على الأَمير دمِرداش اليُوسفي واستقر رَأس نوبة النُوب على عادتهِ؛ وَأنعم عَلى الأمير يلبُغَا النَاصري بتقدمةِ ألف، وَأنعم عَلى جَماعةٍ غير هَؤلاء بتقادم أُلوف وَطبلخَانَاة وَعشرَاوَات.

ثُم إن الأتابكي أينبك البدري وَقع بينهُ وَبين الخليفة المتوكل عَلى الله، فخلعهُ من الخلافةِ، واستقر بالإمَامِ زكريَا بن إبرَاهيم ابن عم المتوكل على الله، وَلقبَ بالمُستعصم، وَكانتْ وَلايتهِ من عير مُبايعةٍ وَلا عهدٍ منَ المتوكل.

ثُم إنَ الأتابكي أينبك أسكن مَماليكه في مدرسة السلطان حسن، وَمدرسة الأشرف شعبَان التي في رَأس الصُوة[١]، وَجعلَ في كلِّ مدرسة مَائتي مملُوك وَتصرّفَ في المملكة كمَا يختَار، وَأعطى لِوَلديهِ تقدمة ألف[٢].

---

(١) في الأصل "السُوة".

(٢) الخبر في: السلوك ٣٠٩/١/٣ والنجوم الزاهرة ١٥٥/١١: "جعل في كل مدرسة مائة مملوك". في بدائع الزهور ٢٠٥/٢/١: "جعل في مدرسة السلطان مائتي مملوك ومدرسة الأشرف شعبان مائة".

وَفيهَا: جاءت الأخبَار بأنَ جميع النُواب خَامرُوا وخرجُوا عن الطاعةِ، فعندَ ذلك علقَ السلطان الجاليش، وَنفقَ عَلى العسكر وَخرجَ مُسرعًا عَلى الهُجن، وَذلك في تَاسع عشر[1] رَبيع الأول سنة تسع وسبعين.

وَمنَ الحوَادثِ في هذهِ السنة: أن في سَابع عشرين تمُوز من الشهور القبطية أَمطرتْ السمَاء مَطرًا شديدًا برِعدٍ عظيم وَبرق [٩٨/ب] حتى سَالَ مِنَ المطرِ مثل الغُدرَان العظيمة.

وَفي أوَاخر ربيع الأول أنفصلَ الإمام زكريَا مِنَ الخلافةِ، وَأُعيد الإمام المتوكل على اللهِ عَلى عَادَتِه، فكانتْ مُدّة خلَافة المُعتصم بالله زكريا عشرينَ يَومًا.

فلمَا خرجَ السلطان الملك المنصُور عليّ منَ القَاهرةِ وَمعهُ الأتابكي أينبك البدري وبقية الأمراء وَالخليفة المُتوكل وَالقُضَاة الأَربعة، فلمَا وَصلَ إلى بلبيس رجع السلطان وَمعهُ الأتَابكي أينبك، وسبب ذلك أنَ قطلو قجاه أخُو الأتابكي أينبك كانَ في الجَاليش قُدَام العسكر، فبلغهُ أنَ الجمَاعة الذي[2] في الجَاليش من الأمرَاء والعسكر قصدُوا أنْ يكبسُوا عَلى قُطلو قجاه أخُو أينبك البدري ويقتلُوهُ، فهربَ قطلو قجاه تحت اللّيل ومعهُ ثلاثة من الأمرَاءِ، فلما حضرَ إلى عند أخيه الأتابكي أينبك وَأخبرهُ بمَا جرى فأخذ أينبك الملك المنصُور عليّ وَرَجعَ إلى القَاهرة، فطلعَ السلطان إلى القلعةِ عَلى حين غفلة.

فلمَا كانَ يَوم الإثنين ثانى[3] ربيع الآخر رجع الأمرَاء وَالعسكر مَنْ أثناءِ الطريق، فلما رَجعُوا ركبُوا كلهُم على حميّة وَوَقفُوا في سُوق الخيل، فنزلَ إليهم قطلو قجاه أخُو أينبك وَمعهُ نحو مائتي مملُوك من المماليك السُلطانيّة، فانكسر قُطلُو قجاه أخُو أينبك كسرة قوية، وَكانَ جميع الأمرَاء وَالعسكر مُخامر على الأتابكي أينبك البدري، فلمَا تحقق أينبك أنَ هذه الركبة عليه، فركب فرسه وَهربَ إلى نحو كيمان مصر العتيقة[4]، فشحتَهُ الأمير أَيدمُر الخطاي مع جَماعة من المماليك السُلطانية، فلمْ يقعُوا لهُ على أثر، ثُم إنهُمْ وجدُوا فرسه

(١) في بدائع الزهور ٢٠٦/٢/١ وجواهر السلوك ٢٢٦: "سابع عشر".
(٢) كذا في الأصل، الصواب "الذين".
(٣) في بدائع الزهور ٢٠٨/٢/١ وجواهر السلوك ٢٢٦: "ثالث".
(٤) هذه الكيمان تمتد إلى الغرب والجنوب بين التلول المعروفة بتلول زينهم "زين العابدين" وبين حائط مجرى الماء المعروف بالعيون بالقاهرة. (راجع: النجوم الزاهرة ٧٦/١١ هامش ٣).

ولبسهِ مُرمى بينَ الكيمان، فلما تحقق الأمرَاء هرُوب الأتابكي أينبك فطلعُوا إلى الأسطبل السُلطاني، ومَلكُوا بَاب السلسلة، وصَارَ المُتحدّث في أُمور المملكة المقر السيفي قُطْلُقْتَمُر [٩٩/أ] العلائي الطويل، فَضربَ رَنكَهُ(١) على بيت الأتابكي شيخُوا(٢) الذي بالرملة.

فَلمَا كانَ صَبيحة يَوم الثلَاثاء رَابع رَبيع الآخر حضر الأمراء الذين كانُوا قدْ توجّهُوا في الجَاليشِ قبل العسكر، وَهُم الأمراء: دَمِردَاش اليُوسفي، والأَمير بلاط السيفي ألجاي، وَالأمير يلبُغَا النَاصري، وَالأمير برقُوق العثماني، وَبركة الجُوبَاني، وبُوري الحلبي الأحمدي، وَأقبُغَا آص الشيخوني، وَغيرهم منَ الأمرَاءِ؛ فلما حضرُوا طلعُوا إلى الأسطبلِ السُلطاني، وتكلمُوا مع الأَمير "قُطْقتمُر العلائي الطويل"(٣) وبقية الأمرَاء، فتكلمُوا بأنْ يقيمُوا سُلطانًا كبيرًا، فاختلفُوا في ذلك؛ ثم إن الأمراء قبضُوا عَلى الأميرِ قطلقتمُر العلائي، وَالأمير الطنبُغَا السُلطاني، وغيرهما منَ الأمراء، وَقيدُّوهُم وَأَرسلُوهُم إلى السجنِ بثغرِ الإسكندرية.

فَلمَا كانَ يَوم الأَحد تَاسع رَبيع الآخر ظهرَ الأَمير أينبك البدري فقبضَ عليهِ الأَمير يلبُغَا النَاصري، وقيدّهُ وَأرسلهُ إلى السجنِ بثغر الإسكندرية فسُجن بهَا، وَفيهِ يَقُولُ شهَاب الدّين ابن العطار:

مِنْ بعدِ عزّ قد ذلّ أينبكٌ ... وَانحطّ بعدَ السُّمو منْ فتكَا
وَرَاحَ يَبكي الدِّمَاءُ منفردًا ... وَالناس لا يعرفُونَ أَينَ بَكَا(٤)

وَفيهَا: في سَادس عشر رَبيع الآخر رَكبَ الأَمير برقُوق العثماني، وَالأَمير بركة الجُوبَاني، وَيَلبُغَا النَاصري، وَقبضَ عَلى جَمَاعةٍ من الأمرَاءِ، وَهُمْ: الأمير

---

(١) الرنك: هو الشعار الذي يتخذه الأمير لنفسه علامة للأماكن المنسوبة إليه. (راجع: صبح الأعشى ٦١/٤ـ ٦٢).

(٢) في بدائع الزهور ٢٠٩/٢/١: أن الأمير ضرب رنكة على بيت الأمير أحمد بن الأتابكي أينبك، وكذلك ورد في السلوك ٣١٣/١/٣؛ وهذا عكس ما ذكر هنا، وورد أيضًا في: النجوم الزاهرة ١٥٨/١١: أنه ضرب رنكة على بيت الأتابكي شيخون. والصحيح ما جاء في بدائع الزهور والسلوك.

(٣) ابن إياس يذكر هذا الأمير هكذا "قطلقتمر" وأحيانا يرد "قطقتمر" بدون حرف اللام، وجاءت صيغة هذا الاسم في: السلوك ٣١٣/١/٣ "قطلو أقتمر"، وفي النجوم الزاهرة ١٥٨/١١: "قطلقتمر"، وفي بدائع الزهور ٢٠٨/٢/١: "قطلو آقتمر". لذلك ترك الاسم بالصيغة التي يذكرها ابن إياس بخط يده دون تعديل.

(٤) بحر المنسرح.

دمرداش اليُوسفي، وَالأَمير تمرباي الحسني، وَالأمير أقبُغَا آص الشيخوني، وَالأمير قُطلوبُغَا الشعبَاني، وَالأمير دمرداش التمان تمري المُعلم، وَأَسندمُر العُثماني، وَبُجمَان العلائي أَمير مشوي، وَأسنبُغَا التلكي، وأُرسلُوا جميعًا إلى السجنِ بثغرِ الإسكندرية.

وَأقَامَ الأمير يلبُغَا النَاصري بالأَسطبل السُلطاني، وَحكم بينَ النَاس، ثُم [٩٩/ب] أنَ يَلبُغَا النَاصري، أَرسل يَحضرَ الأمير طشتمُر الدوَادَار مَن الشَام، واستمر الأَمير يلبُغَا النَاصري في الأَسطبلِ السُلطاني ستة أيَام، ففي اليَوم السَابع رَكبَ الأَمير برقُوق العُثماني وَالأَمير بركة، وَطلعَا إلى الأسطبلِ السُلطاني فانزلَا يَلبُغَا النَاصري منهُ.

ثُم إنَ السلطان أَخلعَ عَلى الأمير برقُوق العثماني واستقر بهِ أمير أخور كبير، وأخلع على الأميرِ بركة الجُوبَاني واستقر بهِ أمير مجلس.

ثُمَ حضرَ الأمير طشتمر الدّوَادَار منَ الشَامِ، فخرجَ الملك المنصُور عليّ إليه[١] لتلقيهِ، وَخرجَ إليه سَائر الأمراء، فلمَا أَقبلَ السلطان على الأمير طشتمر نزلَ عن فرسهِ، وَقبّلَ الأرض بين يدى السُلطان، فلمَا طلعَا إلى القلعةِ فأخلع عليهِ واستقر أتابك العساكر بمصر عُوضًا عن أينبك البدري، وَحضرَ صُحبة الأَمير طشتمر منَ الشَام الأَمير تمرباى الدمردَاشي، وَالأمير تغري برمش العلائي، وَالأَمير سُودُون الشيخُوني، وَالأَمير طقتمش اليلبُغَاوي، فَلمَا حضرُوا أنعم عليهم بتقادم ألُوف واستقر الأمير تمرباي الدمِردَاشي رَأس نوبة النُوب.

ثُم إنَ السلطان أَفرجَ عن جَماعةٍ منَ الأمرَاءِ المُعتقلين بثغر الإسكندرية، منهم: سُودُون المنجكي جَهاركس، وَقُطلوبُغَا أمير سلاح، وَألطنبُغَا السُلطاني، وَإيَاس الصُرغتمشي، وَقُطلوبُغَا البشيري، وَأُصبُغَا[٢]، وَغير ذلك من الأمرَاءِ.

وَفيهَا: في ثالث عشر شوَال توجّه الأمير بلاط السيفي ألجاي أمير سلاح إلى الربيع بالجيّزية، فأَرسلَ إليهِ السلطان خلعة، وَرَسمَ لهُ بأنْ يتوجّه من هُناك إلى نيَابةِ طرَابُلس، فأجَابَ إلى ذلك؛ ثُم اتفقَ الحال عَلى أنْ يُقيم بالقُدسِ الشريف بطالًا، ثُم توجّهُوا به إلى الكرك فأَقَامَ بهَا[٣].

---

[١] في الأصل "إلى".
[٢] في: السلوك ٣١٧/١/٣ وبدائع الزهور ٢١٣/٢/١: "أسنبغا".
[٣] خبر إقامة الأمير بالكرك، لم يرد في بدائع الزهور والنجوم الزاهرة؛ ورد في: السلوك ٣٢٢/١/٣.

ثُم أُخلعَ عَلى الأمير يَلبُغَا الناصري وَاستقر أَمير سلَاح عُوضًا عن بلاط.

وَفيهَا: ثَارُوا فتنة مماليك [١٠٠/أ] الأتَابكي طشتمر مع مَماليك المقر الزيني بركة الجُوبَاني، فلبسَ كلّ طائفة منهُم آلة الحرب، وَقَاتلُوا أشدّ القتال، فأَرسلَ الأتابكي طشتمر يَطلب لنفسهِ الأمَان من المقر السيفي برقُوق أمير أخُور كبير، فأَرسلَ إليهِ برقُوق الأمَان فركبَ وَطلعَ إلى عندهِ بالأسطبلِ السُلطاني، فَلمَا طلعَ إلى بَرقُوق قبضَ عليهِ وقيَّدَهُ، وَأَرسلهُ إلى السجنِ بثغرِ الإسكندرية هُوَ وَأَمير حَاج بن مُغلطاي.

ثُم إنَ السلطان أَخلعَ عَلى المقر السيفي بَرقُوق العُثماني واستقر بهِ أتَابك العسَاكر بمصر عُوضًا عن طشتمُر العَلائي، وَأُخلعَ عَلى المقر السيفي أيتمش البُجاسي واستقر أَمير أخُور كبير عُوضًا عن بَرقُوق.

وَفي خَامس عشر ذي الحجة قبضَ الأتَابكي بَرقُوق عَلى الأَميرِ يَلبُغَا النَاصري أَمير سلَاح، وَقيَّدهُ وَأَرسلهُ إلى السجنِ بثغرِ الإسكندرية، وَأُخلعَ عَلى المقر السيفي أينَال اليُوسفي واستقر أَمير سلَاح عُوضًا عن يَلبُغَا النَاصري.

وفيها: في ليلةِ الأحد خَامس عشرين ذي الحجة وَقعَ حريق بظاهر بَابي زُويلة، فأحرقَ دَار التُفاح وَالربع الذي حولهِ، وَعملت النار إلى البرَادعيين، وَإلى عند المدرسة الدُهيشة، وَلولا سُور القَاهرة لاحترَق نصف المدينة؛ فركبَ الأمير بركة الجُوبَاني، وَالأمير أيتمش البُجاسي، وَالأَمير قرَا دمِرداش الأَحمدي، وَالأمير تغري برمش حَاجب الحُجاب، وَمعهُم جميع مماليكهُمْ مُشاه ليطفُوا الحريق، فأقامت النَار تعمل في البيُوت وَالربُوع وَالدكاكين يَومين بليَاليهَا ولم تنطفئ حتى أعيُوا من ذلك[1]، وَفي ذلك يقولُ شهَاب الدّين بن العطار:

أرتنَا دَار تُفَاحٍ بليلٍ ... حَريقًا وقدَهُ أمسى عظيمَا
وَنَالتْ بعد ذاك النّور نارًا ... وَكَانَتْ جنّة فغدَتْ جحيمَا[2]

وفي ذلك يَقُولُ الشيخ زين الدّين ابن حبيب الحلبي:

---

[1] الخبر في: السلوك ٣٢٨/١/٣ والنجوم الزاهرة ١٦٦/١١ وجواهر السلوك ٢٢٧: في أحداث سنة ٧٨٠هـ؛ وفي بدائع الزهور ٢٢١/٢/١: في أحداث سنة ٧٧٩هـ.

[2] بحر الوافر.

بِبَــابِ زُويلـــةٍ وَافَـــي حريـــق || أزَال مَعَــاني الحُســـن المــصُونِ
وَدَمَّـــر كـــلَّ عَـــالٍ مِـــنْ دَراهُ[1] || وصيّـــر كـــل عَـــالٍ مثـــلِ دُونِ
وَعَبـــرةَ عِبـــرة الـــرَائينَ أجـــرى || يَقيـــنًا كـالعيُـــونِ مـــنَ العيُـــونِ
وَمَـــا بـــرح الْخَلَائـــق فِـــي ابتهَـــالٍ || لمُحيـــى الأَرض مِـــنَ بعـــدِ المنُـــونِ
إلـــى أن قَـــالَ فِـــي لـطــف خَـفِـــيٍّ || وَفـضـــل عنَـــايـــةٍ يَـــا نَـــارَ كُـونـي[2]

ثُـم دخلـت سـنة ثمـانين وسـبعمَائة، فيهـا: فـي سَـادس رَبيـع الأول قـبضَ الأتَـابكي برقُوق العُثماني على جَماعةٍ من الأمرَاءِ، وَهُمْ: الأَمير قُطلو بُغَا أَمير علم، وَألطنبُغَـا العلائـي، وَأَسنبُغَا التلكـي، وَبَلك الأحمـدي، وَغريـب الأشـرفي، وجُوبَـان الطيـدمُرى، وَتمـان تمُـر المُوسـوي، وَجنتمُـر المحمـدي، وسُـودُون العُثماني، وَقُرطقًا بـن سُوسُون، وَبجمـان العلائـي أمير مشوي، وأقبُغَـا بلشـون، وغير ذلك منَ الأمرَاءِ، فَقيّدُوهُم وَأرسلُوهُم إلى السجنِ بثغرِ الإسكندرية.

ومن الحوادث في هذه السنة: أنَ في يوم الإثنين رَابع عشرين شعبَان رَكبَ الأتَـابكي برقُـوق العُثمـاني ليسيّر نحـو قُبـة النصـر، وَكـانَ المقـر السـيفي بركـة الجُوبَاني مُسَافرًا في البُحيرة يتصيّد، فـاغتنم المقر السـيفي أَينـال اليُوسـفي أَمير سلاح تلك الغفلـة فَركـبَ هُوَ وَمَماليكـه وَركـبَ معـهُ جَماعـة مـنَ الأمـراءِ، وَهُم: الأَميـر سُـودُون جـركس المنجكـي، وَالأَميـر سُـودُون النُـورُوزي، وَالأَميـر صُنصُلان الجمَالي، وَجُمق النَاصري، فَحطـمَ الأمير أينـال اليُوسـفي، وَطلـعَ إلـى الأسـطبلِ السُلطاني فملكـهُ، ثُـم فـتحَ زردخَانـة الأتَـابكي برقُـوق وَألـبسَ مَماليكـه منهَا، ثم إنهُ أَنزلَ مماليك الأتابكي برقُوق الكُتابيَّة مِنَ الطباق وَأوْقفهُم على سُور بَابِ السلسلة، فقَالَ لهُ الأَمير سُودُون جركس: "دعنـي [١٠١/أ] أخذ معي مَائـة مملُـوك مُلبسـه، وَأخـرجُ إلـى بَرقُـوق لمَـا أنْ يرجـع"، فـأتقع معـهُ فـي الريدَانيـة، فمنعهُ الأَمير أينَال اليُوسفي مِن ذلك.

فلمـا بلـغَ الأتَـابكي بَرقُـوق ذلـك الخبـر فرجـعَ وَدَخلَ إلـى بيـت المقـر السـيفي أيتمش البُجاسي، فلما دخلَ إليهِ ففتح أيتمش زردخَانتـهُ وألـبسَ مَماليكـه ومَماليك الأتَابكي بَرقُوق، ثُمَ خرجَ من بيتـهِ وَطلـعَ إلـى الرّملـه هُوَ وبرقُـوق، فـأتقعُوا مـع مَماليك أينَال وسُودُون، ثُم أَحرقُوا بَابِ السلسلة، فَلمَا رَأوا مماليك بَرقُوق الذي[3]

---

[1] في بدائع الزهور ١/٢/٢٢٢: "من بناء".
[2] بحر الوافر.
[3] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

أقعدَهُم أينَال في الأبراجِ الذي [1] على بَابِ السلسلة أنَ أسُتاذهم بَرقُوق يَحاصر بَاب السلسلة، فأَرَمُوا بالنُشابِ عَلى أينَال اليُوسفي وَهوَ في الأَسطبل السُلطاني، فجَاءتْ أينَال نشابة في رقبتهِ فأنجرحَ وَخرجَ هَاربًا من بَابِ الأسطبل الذي بالقرَافة، فاختفى في بيتهِ فَعندَ ذلك طلعَ الأتَابكي برقُوق إلى الأسطبل السُلطاني، وَأرسلَ قبضَ على أينال وسُودُون منْ بيُوتهم وقيّدَهُم، وَأرسلهُم إلى السجنِ بثغرِ الإسكندرية فسُجنَا بهَا[2]، وَفي ذلك يَقُولُ شهاب الدّين ابن العطار المصري:

قــدْ ألــبسَ الله بَرقَــوق المهَابَــةِ فــى ... نهَــارِ الاثنــين مــن عــزٍ وَتمكــينِ
وَرَاحَ أينــال مــع سُــودُون وَانكســرَا ... وَكــانَ يَومًــا عَسِــيرًا يَــوم الإثنــينِ[3]

وَقولهُ فيهِ أيضًا:

بغــى إينــال واعتقــد الأمــانى ... تســاعده فمــا نــال المؤمّــل
ومــدّ لأخــذ برقــوق يديــه ... ولــم يعلــم بــأن الخــوخ أســفل[4]

وَكانَ أينال اليُوسفي صَاحب الأَمير بركة الجُوباني، وَلمَا جرتْ هذهِ الوقعة كان الأمير بركة مُسَافرًا في البُحيرة، كما تقدم أخبار ذلك، فقَالَ شهَاب الدّين ابن العطّار:

مَــا بَــالَ أينــال أتــى ... فــي مثــلِ هَــذهِ الحركــة
مــع عِملــهِ بأنّهَــا ... خَاليــة مِــنْ بَرَكــة[5]

ثُم إن السلطان عمل الموكب، وَقبضَ على من يُذكر منَ الأمرَاءِ، وَهُمْ: سُودُون جركس المنجكي، وَسُودُون النُورُوزي، وَصُنصُلَان الجمَالي، وَجُمق النَاصري، وَقُماري الخَازندَار، فهذا مَا كان من حوَادثِ هذهِ السنة.

ثُم دخلت سنة إحدى وَثمانين وسبعمَائة[6]**، فيها:** في يَوم الأربعَاء سَابع عشر صفر أرسلَ المقر الزِّيني بركة الجُوباني إلى عند الأتَابكي برقُوق يَعلمهُ

---

[1] هكذا في الأصل، الصواب: التي.

[2] الخبر في: السلوك ٣٦٥/١/٣ والنجوم الزاهرة ١٦٧/١١: في أحداث ٢٤ شعبان سنة ٧٨١هـ؛ وفي بدائع الزهور ٢٢٦/٢/١: في أحداث ١٤ ربيع الأخر سنة ٧٨٠هـ؛ وهنا في أحداث ٢٤ شعبان سنة ٧٨٠هـ.

[3] بحر البسيط.

[4] بحر الوافر.

[5] بحر مجزوء الرجز.

[6] جميع الأخبار التي وردت في أحداث هذه السنة جاءت في المصادر الأخرى في أحداث سنة ٨٧٢هـ، انظر: السلوك ٣٧٩/١/٣- ٤٠٥ والنجوم الزاهرة ١٧٤/١١- ١٨٧ وبدائع الزهور ٢٥٤/٢/١- ٢٨٠.

بـأنَ أيـتمش البُجاسـي لابـس آلـة الحـرب هُـوَ وَمماليكـه، فَـأَرَادَ الأتَـابكي بَرقُـوق يكشـف عـن ذلـك فلـمْ يكـن لهـذَا الكـلَام صـحّة، فَطلـعَ أيـتمش إلـى عنـد الأتَـابكي بَرقُـوق وَطلبُـوا المقـر الزينـي بركـة أنْ يطلـعَ إلـى الأسـطبل السُـلطاني فـأبى مـنْ ذلك، فترَدَدَتْ الرُسل بينَ الأتَابكي بَرقُوق وَبينَ الأمير بركة.

ثـم إنَ الأتـابكي برقُـوق أرسـل الشـيخ أكمـل الـدين الحنفـي والشـيخ أمـين الـدّين الخلـوَاتي[1] إلـى عنـد الأميـر بركـة، فمشُـوا فـي الصُـلحِ بـينَ أيـتمش البُجاسـي وَبـينَ الأمير بركة، فأصطلحَا وَنَزلَ أيتمش إلى عند الأمير بركة صُحبة الشيخ أكمل الدّين وَالشيخ أَمين الدّين، فأخلعَ الأمير بركـة عَلـى الأميـرِ أيـتمش قبَـاء نُـخ وَأركبـهُ فـرس بسرج ذهب وَكنبُوش[2]، ثُم طلعَ أيتمش إلى بَابِ السلسلة وَانفصَلَ الأمر على ذلك.

فلمَـا كـانَ ليلـة الجُمعـة تَاسـع عشـر صـفر ركبُـوا الأمـرَاءُ وَلبسُـوا آلـة الحـرب، وسبب ذلك أنَ الأمير بركة لبسَ في بيتهِ آلة الحرب وَألبسَ مَماليكه وَمسك جَماعة منَ الأمرَاءِ؛ فلمَا بَلغَ بقية الأمرَاء ذلك لبسُوا آلة الحرب وَطلعُوا إلى الرّملـة، فعنـدَ ذلك أَرسلَ المقر الأتَـابكي بَرقُـوق القُضَـاة الأَربعـة إلـى عنـد المقـر الزينـي بركـة، فمشُوا في أَمرِ الصُلح بينَ الأمرَاء وَبين الأمير بركة، فأَصطلحُوا وَتَحالفُوا.

ثُـمَ طلعُـوا فـي يَـوم السـبت إلـى القلعـةِ وَلعبُـوا بـالأكرة وَالصَّـولجَان، وَزَالَ [١٠٢/أ] مَا في خَاطِرهم منَ الحقدِ، وَأقَامُوا عَلى ذلك أيَام.

فلمَا كانَ يَوم الإثنين سَابع رَبيع الأول ركب الأمرَاءُ ليسّرُوا نحو قُبـة النصـر وَرجعُوا، فَطلعَ المقر الأتَابكي بَرقُوق إلـى الأسـطبلِ السُـلطاني، وَرجـع الأمـرَاءُ إلى بيُوتهم، وَكانَ المقر الأتَابكي بَرقُوق قدْ جَاءهُ وَلدٌ ذكر وَسمَاهُ محمد، فَعملَ لـهُ يَوم سَابعه عقيقة، وَمَدَّ سمَاطًا عظيمًا في ذلك اليوم، وَعزمَ عَلـى الأمـرَاءِ كلهـم، فطلعَ إليـهِ بعض أَمراء، وَكـانَ قبـل ذلك بأيَـامِ بَلـغَ الأتَـابكي بَرقُـوق بـأنَ الأَمير بركة قدْ اتفقَ عَلى قتلهِ في يوم الجُمعة إذَا دخلَ إلى الصلَاةِ في الجَامعِ، فبقى في نفس بَرقُوق من ذلك شيء.

---

[1] في السلوك ٣٧٩/١/٣ وبدائع الزهور ٢٥٥/٢/١: "الشيخ أمين الدين الخلوي"؛ وفي النجوم الزاهـرة ورد ١٧٤/١١: "الشـيخ أمـين الـدين الحلـواني" وجـاء أيضًـا فيـه ١٠٤/١٢: "الشيخ أمين الدين الخلواتي الحنفيّ".

[2] جمع كنابيش وهو كساء الفرس أي البرذعة تجعل تحت سرج الفرس، وهو أيضا اللثام الذي يستعمله أهل بلاد المغرب لتغطية الوجه من الذقن إلى الخيشوم اتقاء لبرودة الصباح ورطوبته، ويسمى أيضا الكنفوش. (انظر: مصطلحات صبح الأعشى ٢٨٩/١٥؛ الملابس المملوكية، صـ ١٣٥).

فلمَا عملَ الوليمة طلعَ إليهِ من يُذكر منَ الأمرَاءِ، وَهُمْ: الأَمير قرَا دَمِرْدَاش الأَحمدي، وَالأَمير صُراي، وَالأَمير طُبُج المحمدي، وَالأَمير أَقتمر العُثماني أَمير دوَادَار كبير، وغير ذلك من الأمراءِ، ولم يَطلع الأَمير بركة وَلا منْ كَانَ منْ عُصبتهِ، فَمدَّ الأتَابكي بَرقُوق السِمَاط، ثُم غلقَ بَاب السلسلة.

وَقبضَ على ثلاثةٍ منَ الأمرَاءِ، وَهُمْ: قرا دَمِرْدَاش الأحمدي، وَطُبج المحمدي، وَأقتمر العُثماني، ومسك معهُم صُراي الرّجبي الطويل وَهوَ أخُو الأَمير بركة الجُوبَاني.

ثُمَ إنَ المقر الأتَابكي بَرقُوق ألبسَ مَماليكه آلة الحرب، وَنزلَ بُزْلَار[1] العُمري النَاصري وَهوَ سَائقٌ إلى مَدرَسةِ السلطان حَسن، فدخلهَا هُوَ وَمَماليك الأتَابكي بَرقُوق فطلعُوا إلى السطح، وَأَرمُوا بالنُشاب عَلى الأَمير بركة وَهوَ جَالسٌ في مقعدهِ، وكانَ سَاكنًا في البيت الذي تحت مدرسة السلطان حَسن، فلما رأى بركة ذلك قَامَ مِنْ مقعدهِ وَأَمرَ مَماليكه أنَ يَلبسُوا آلة الحرب، وَخرجَ من بَابِ السرّ هُوَ وَمَماليكه وَمن كانَ عندهُ مِنَ الأَمرَاءِ، فشق منَ المدينة وَخرجَ من بَابِ الفتُوح، وَتوجّه إلى الريدَانيّة. [١٠٢/ب]

فلمَا خرجَ بركة مِنْ بيتهِ نَادى الأتَابكي بَرقُوق للعِوَام بأنْ يَنهبُوا بيت بركة، فأَحرقُوا العَوام بَابهُ وَدخلُوا وَنهبُوا كل ما[2] فيهِ مِنْ قُماشٍ وَبرك حتى أخذُوا رُخَامهُ وَأبوَابهُ.

ثُمَ إن الأَمير بركة أَقَامَ في الريدَانيّة ذلك اليَوم، فخرجَ إليه طائفة من خُشدَاشيتهِ، ثم إن الأتَابكي بَرقُوق عيّنَ الأَمير آلان الشعبَاني[3]، وَالأمير أيتمش البُجاسي، وَالأمير قُرُط التُركماني، وغير ذلك منَ الأمرَاءِ وَالمماليك بأنَ يتوجهُوا إلى الأَمير بركة وَيتقعُوا معهُ، فتوجهُوا إليه وَاتقعُوا معهُ فكسرهم الأَمير بركة وَشحتهُم إلى تحتِ القلعة فبَاتُوا تلك الليلة.

فلمَا أَصبحُوا نهَار الأَربعاء تَاسع ربيع الأول نَزلَ السلطان الملك المنصُور عليّ إلى الأَسطبلِ السُلطاني، وَجلسَ في المقعد المُطل عَلى الرّملة، وَدُقتْ الكُوسَاتْ حربي، وَاجتمع الأمرَاءُ وَالمماليك السُلطانيّة.

---

[1] في الأصل "نزلار"، وقد ورد بعد ذلك بالصيغة الصحيحة.
[2] في الأصل "كلما".
[3] آلان الشعباني: هكذا وردت في السلوك ٣٨٢/١/٣ وبدائع الزهور ٢٥٨/٢/١؛ وفي النجوم الزاهرة ١٧٦/١١: "علان الشعباني".

فلمَا كانَ الظُهر وَقتَ القَايلة أَرسلَ المقر الزيني بركة إلى الأتَابكي بَرقُوق يَقُولُ لهُ: "إيش أنتَ قَاعد تعمل! أمَا تلاقيني أوْ الاقيك"، فأَرسلَ إليهِ بَرقُوق يَقُولُ لهُ:" اختر لك أي مكان نرسلك فيهِ نَائبًا حتى تخمد هذهِ الفتنة"، فلما سمعَ بركة هذَا الجوَاب فلمْ يُوافق على النيَابةِ.

وَكانَ ذلك اليَوم نهَار مُحرّ فأزندَتْ البرّية عَلى العسكر الذي كانَ مع الأَمير بركة، فأشَارَ عليهِ بعض أَخصَائه بأن يركب في ذلك الوقت، وَقَالُوا لهُ: "أنَ العسكر الذي مع بَرقُوق في هذَا الوقتْ مُقيل في البيُوت، وَهذهِ وَقت غفلة"، فأَركب وَأَحطِم إلى الرملة، فركبَ معهُ مِنَ العسكر في قُوةِ القَايله[1]، وَانقسمُوا فرقتين، فرقة في الطريق السَالكة، وفرقة مِنْ تحت الجبل الأحمر.

فلما بَلغَ الأتَابكي بَرقُوق نلك، فأَرسلَ الأمرَاء وَالمماليك السُلطانية إلى الفرقة التي فيها الأَمير بركة الجُوبَاني، فأتقعُوا مع بركة فانكسرَ [١٠٣/أ] الأَمير بركة الجُوبَاني، وَهربَ وَتشتَّتَ مَنْ كانَ معهُ منَ الأمراءِ وَالمماليك، فسَاق بركة حتى خُفى عنِ العيُونِ، فقيلَ: أنهُ تقنطر من على فرسهِ فَأختفى في مكانٍ حتى دخلَ الّليل.

وَأمَا مَا كانَ من أَمرِ الفرقةِ التي توجَّهتْ مِنْ تحت الجَّبل الأَحمر فكانَ فيها الأَمير يَلبُغَا النَاصري، فتوجه إليه الأَمير أيتمش البُجاسي فأتقعَ معهُ فضربَ أيتمش يَلبُغَا المنجكي بطبرٍ كانَ معهُ على وَجههِ فسقط عن فرسهِ وَانكسرَ منْ كانَ معهُ من العسكر، وَأخذ أيتمش صنجقهُ وَطبلخَانتهُ، وَجُرح مِنْ هذهِ الفرقة جَماعة كثيرة، وَقتلَ منهُم طائفة كثيرة مِنَ المماليك وَالغلمَان.

ثُمَ إنَ الأَمير بركة أَقَام مُختفى تلك الليل فتوجّه تحت الليل وَمعهُ شخصٌ منَ الأمرَاءِ العشرَاوَات يُقالُ لهُ "أقبُغَا صِيوَان"، فأتى إلى جَامع المقسي[2] الذي في بَابِ البحر، فأختفى عند شخص منَ الصالحين يُقالَ لهُ "الشيخ محمد القُدسي".

فلمَا طلعَ النهَار أَرسل الأَمير بركة إلى عند الأتابكي بَرقُوق يُعرَّفوهُ أنهُ مُقيم في جَامعِ المقسي، فأرسلَ إليهِ بَرقُوق الأَمير الطنبُغَا الجُوبَاني وَالشرفي يُونس

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) جامع بالمقس بباب البحر وهو المعروف بالجامع الأنوار، بناه الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٣هـ وجدده الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسي في سنة ٧٧٠هـ فصار العامة يقولون: جامع المقسي. (انظر: صبح الأعشى ٣٦٥/٣؛ الخطط المقريزية ٦٨/٤؛ النجوم الزاهرة ١٧٨/١١ هامش١).

دوَادَار الأتَابكي بَرقُوق، فلمَا دخلُوا إليه قَامَ وَركبَ مَعهُمَا وَطلعَا بهِ إلى القلعةِ فقُيد، وَأُرسل إلى السّجن بثغرِ الإسكندرية[١]، وفي ذلك يَقُولُ ابن حبيب الحلبي:

يـــا ويحهـــا مِـــنْ حَالـــةٍ[٢] ... وشُـــومهَا مِـــنْ حركـــة
وَقُبحهَـــا مِـــنْ فتنـــةٍ[٣] ... فيهَـــا أزالـــت بركـــة[٤]

وفي هذهِ الوَاقعة يَقُولُ القيم خلف الغُباري مِنْ زجلٍ لطيف:

مصر صارت بعد انقباض في انشراح ... وقلعها مُزخرفة والقصور
يا إله احفظ لنا برقوق ... واحرس[٥] الجند وانصر المنصور
جعل الله لكل وقعا سبب ... ونقول لك سبب هَذِي الوقعة
بركا رَادْ يعمل على أيتمش ... والى الشام يسيروا سرعة
طلب الصلح بينهم برقوق ... فأرسلوا لُو أخْلَع عليه خِلعة [١٠٣/ب]
وَبقا بعض ما بقا في القلوب ... والغليل[٦] ما اشتفى بغل الصدور
وقد أمسوا على حذر بايتين[٧] ... وإيش يفيد الحذر مع المقدور
أصلحُوا بينهم نهار جمعة ... وصفا ودهم وطابو الجميع
جاء أيتمش عُصبة الأمير برقوق ... وبقا كل حد لأمروا مطيع
فمسك في نهار الأثنين طبج[٨] ... ودمرداش مع الدويدار سريع
بركا حين[٩] سمع بذلك طلب ... قبة النصر خوف من المقدور
كان حذور حتى وقع في الشرك ... والمثل قال: "ما يوقع إلا الحذور"

فلَمَا جرى ذلك أَقامتْ القَاهرة مَغلُوقة الأبوَاب ثلاثة أيَام حتى مسكُوا الأمرَاء الذّين كانُوا عُصبة الأَمير بركة، وَهُمْ: قرَا كسك اليبُغَاوي، وَأَيدمُر الخطاي، وَسُودُون الطغيتمري، ويلبغا المنجكي، وقرا بلاط الأحمدي، وقرابغا الأبو بكري، وتمربُغَا الشمسي، وَقطلو بك النظامي، وَأقبُغَا صيوان،

---

(١) جاء الخبر هنا وفي بدائع الزهور ٢٦١/٢/١ وجواهر السلوك ٢٣٠: أن الأمير بركة أرسل يخبر الأتابكي عن مكانه؛ أما في السلوك ٣٨٤/١/٣ والنجوم الزاهرة ١٧٨/١١: "تدل عليهما بعض من هناك"، "فُغمز عليه في مكانه".
(٢) في بدائع الزهور ٢٦١/٢/١ وجواهر السلوك ٢٣٠: "فتنة".
(٣) في بدائع الزهور ٢٦١/٢/١: "زلة"، وفي جواهر السلوك ٢٣٠: "ذلة".
(٤) بحر الرجز؛ وفي بدائع الزهور ٢٦١/٢/١ وجواهر السلوك ٢٣٠: "ما صار فيها بركة".
(٥) كذا في الأصل، وبدائع الزهور ٢٦١/٢/١؛ وفي جواهر السلوك ٢٣٠: "واحرص".
(٦) كذا في الأصل، وبدائع الزهور ٢٦١/٢/١؛ وفي جواهر السلوك ٢٣٠: "العليل".
(٧) في الأصل "يايتين"، والتصويب من بدائع الزهور ٢٦١/٢/١.
(٨) كذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٢٦١/٢/١ وجواهر السلوك ٢٣١: "طنبج".
(٩) في الأصل "حن"، والتصويب من بدائع الزهور ٢٦١/٢/١ وجواهر السلوك ٢٣١.

وكـزل القرمـي، وَطُولُـوتمر الأحمـدي، وتنكـز العُثمـاني، وغريـب الأشـرفي، وَالطنبُغَا الأرغُوني، وَأَمير حَـاج بن مُغلطـاي، وَطُـوجي الحسـني، وَيُوسـف بـن شادي، ثُمَ نفى منهُم جَماعة إلى الإسكندرية، وَجماعة إلى دمياط، وَجَماعـة إلـى قُوص، ثـم إن السـلطان أفـرج عـن جَماعـةٍ مِـنَ الأمـرَاءِ المُعتقلين عُوضًـا عـنْ هؤلاء الأمرَاء.

وَفيهَا: جاءت الأخبَار بـأنَ بيدمُر الخوَارزمي نَائب الشَام قدْ خـامرَ وَخـرجَ عن الطاعة، فقبض عليهِ الأمرَاء الذي[1] بدمشق وسُجنَ.

ثُم إنَ السلطان عَمل الموكب، وَأخلعَ على مَنْ يُذكر منَ الأمرَاءِ، وَهُمْ: المقر السيفي أيتمش البُجاسي واستقر رَأس نُوبة النُوب.

ثُم في الموكب الثاني، أَخلـعَ عَلـى المقر السيفي آلان الشـعبَاني واسـتقر أَميـر سلاح، وأخلـع علـى المقر الطنبُغَا الجُوبَـاني واسـتقر أَمير مَجلس، وَأخلـعَ عَلـى المقر السيفي الأبُغَـا العُثمـاني واسـتقر دوَادَار كبير، وَأخلـعَ عَلـى الطنبُغَا المُعلم واستقر [١٠٤/أ] رَأس نَوبة ثَانى، وَأخلعَ عَلـى الأميـر جركس الخليلـي واسـتقر أَمير أَخور كبيـر، وَأخلـعَ عَلـى قرابُغَـا الأَبـوبكري واسـتقر حَاجب ثـاني، وَأخلـعَ عَلى كمشبُغَا الأَشرفي واستقر شاد الشربخَانَاه السُلطانيّة.

وَأنعمَ عَلى جَماعةٍ كثيرة مِنَ الأمرَاءِ بأمريَات طبلخَانَاتْ وَعشرَاوَاتْ، منهُم: تنكزبُغَا السيفي يلبُغَا، وَأقبُغَا النَاصري، القُندسي، وَقُلطوبُغَا الكوكاءي، وَسُودُون بَـاق، وَطُـوجي العلائـي، وَفـارس الصُرغتمشـي، وَكمشـبُغَا الخَاصـكي، وَبيـرم العلائي، وَقُوصُون المحمدي الأشرفي، وَأقبُغَا الأجيني، وَبيبرس التمَان تمُري، وغيرَ ذلك منَ الأمرَاءِ.

وفي هذهِ السنة: زَادَ شرّ عُربان البُحيرة، وَكانَ كبير العُربان يُسمى بدر بـن سلَّام، فجـاءتْ الأخبَـار بـأنَ بـدر بـن سـلام كـبس علـى دمنهُـور ونـهبَ أَسَـواقهَا وَأَخربَ البلد، فلمَا سمعَ الأتَـابكي برَقُوق بـذلك عيّنَ فـي ذلـك اليـوم جَماعـة مِـنَ الأمـرَاءِ المُقـدّمين، وَهُـمْ: الأميـر آلان الشـعبَاني أميـر سـلاح، وَالأميـر الطنبُغَـا الجُوبَـاني أميـر مجلـس، وَالأَميـر أيـتمش البُجاسـي رَأس نُوبـة النُـوب، وَالأميـر مَـأمُور القلمطـاوي أحـد المُقـدّمين، وَالأميـر أَحمـد بـن يَلبُغَـا العُمـري أحـد المُقدمين، وَالأمير بـلَاط الصُرغتمشي أحد المُقدمين، وَالأمير بهَادُر الجمالي،

---

[1] كذا في الأصل، الصواب "الذين".

وَالأمير بزلار العُمري النَاصري أحد المُقدّمين، فهذا ثمان أَمرَاء مُقدمين، وَعيّنَ منَ الأمرَاءِ الطبلخَانات اثني عشر أَميرًا، فخرجُوا وَتوجهُوا إلى البُحيرة في يَومِ الجُمعة رَابع عشر جمادى الأول منَ السنةِ المذكُورة.

فلمَا وَصلُوا إلى البُحيرة فحصلَ بينَ التُرك وبينَ العرب وَقعة لم يُسمع بمثلهَا فيمَا تقدم، فحضرَ أَمير أَخُور المقر السيفي أيتمش البُجاسي وَأخبر بأنَ العُربَان أرَادُوا كبسَ الأمرَاء وَهُم في خيَامهم، فحضرَ إلى عند الأمرَاء شخص مِنَ العربِ وأخبرَهُم بأنَّ [١٠٤/ب] العرب يَقصدون أن يكبسُوا الخيَام في تلك الليلة، فخرج الأمرَاء وَالعسكر مِنَ الخيَامِ وَأكمنُوا لهُم كمين بالقُربِ مِنَ الخيَامِ، فلما جَاء الليل جَاء العرب وكبسُوا الخيَام فوَجدُوهَا خَالية فرجع عليهمْ التُرك فقتلُوا منَ العربِ نحو ألف إنسَان وَهربَ كبير العُربَان بدر بن سلام فَنهَبُوا أموَالهُم وَأسرُوا نسائهم وَأوْلادهم، وَمَا نجى منهُم إلّا القليل، وَأحاطُوا على جمالهم وَأغنامهم وَخيُولهم، فعند ذلك قصد الأمرَاء التوجّه إلى القَاهرةِ فكانَ يوم دُخولهم إلى القَاهرةِ يَومًا مشهُودًا، فدَخلُوا بالعربِ في زنَاجير وَنسائهم في حبَال، وَكانَ ذلك اليَوم منَ الأيَام المعدُودة في الفُرجةِ وَالقصف، وَفي هذهِ الوَاقعة يَقُولُ القيم الأديب خلف الغُباري من زجل:

باسمِ رَبّ السمَا ابتدى	فارجُ الهَمّ والكُربْ
وَنعِيدْ لِلّذى حضرْ	قِصّة التُرك وَالعربْ
جَا الخبر يَوم الأربعَا	بأنَّ في ليلةِ الأحدْ
جَا دَمنهُور عَرَب خَدُوا	سُوقهَا وأخربُوا البلدْ
وَابنْ سلام أَميرُهُمْ	هُو الذي للجميّع حشدْ
فبرز أيتمش سريعْ	بمَماليك وَرُوس نُوبْ
وعُدَدْ مَالهَا عَددْ	وَبطلبُوا لهُمْ طلبْ
وَالأمَارا[1] المُعيّنينْ	كل وَاحدْ بجيش بَدَا
عَدّ بعدَ الصلاه وَرَاحْ	وَغدَا قصدَ للعِدَا
في المعَادى رَأيتْ لهمْ	يَوم زحَام فايش[2] نَقُول غدَا
لِتروجَا تروَّجُوا[3]	وَاستَرَاحُوا مِنَ التّعبْ

---

[1] كذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٢٦٩/٢/١ وجواهر السلوك ٣٣٢: "الأمرا".
[2] كذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٢٧٠/٢/١ وجواهر السلوك ٣٣٢: "طايش".
[3] كذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٢٧٠/٢/١ وجواهر السلوك ٣٣٢: "تروحوا".

وَنَصبْ كُلّ حدْ خِيَامْ   وَلِصيد العِدَا انتصبْ
حَضرُوا مَا التقُوا أَحدْ   من جميع العرب حضرْ
وَابنَ عرَّام أتَا لهُمْ   بَعثُوه يكشفَ الخبرْ [١٠٥/أ]
مَا عرِفْ للعربْ طريقْ   بَعدُ وجَا عبدُو في الأَثرْ
لأيتمش حَدَّثُو الصَّحِيحْ   قَام سَرِيعْ أيتمش رَكبْ
مَا ترك تُرك في الوِطَاقْ   وَالخِيَامْ حِيَلَ قدْ نَصبْ
رَاحتْ التُرك مِنْ مكانْ   وَأتَا بدر مِنْ مَكانْ
وَتفر(١) عنْ وَجَا الوِطَاق   وَلهُم قَالَ أنَا فلَانْ
وَلمُوسى بن خضر صَاحْ   مَاتْ بطعنَا مِنْ السنَانْ
وَرَأى التُرك دَاركُوه   في طلُوع النّهَار هَرَبْ
شحتُوا أيتمش سريعْ   وَرقَاب من معُوا ضَرَبْ
وَاقعة حَرب ذى العرب   لا غنَا مَالهَا نبَا
بدرْ في الليلْ بعَادِيَاتْ   جَا البلد وَالنسَا سبَا
طلبُوا النصر جَا لهُمْ   مَالهُمْ في الخبر سَبَا
في القتال كانَ لهُم نهَارْ   لو ترَاه سَاعة اقتربْ
يَوم قيَامَا وَكمْ عربْ   جَاثية فيهِ عَلى الرُكبْ
جَسِّ ذي النوبَ بالسمَاعْ   قدْ فهمنَا منَ الأَصُولْ
ضرب موصُول بمخ طارْ   هزَّ عُودْ دقتَّ الطبُولْ
في الخرُوج ثَابت العربْ   فازت التُرك بالدّخولْ
وَالسِّهَام شبيثْ عَلى   جسِّ الأوتار بلا قصبْ
غنتْ البيض عَلى الخُوذْ   رَقصُوا الخيل منَ الطربْ
وَابن سلام مع الأجلْ   فاز بنفسُو عَلى فرسْ
وَالأمير أيتمش رَحلْ   لتروجَا سريع كبسْ
في البيُوت حَارت النفُوسْ   مَا التَقا حدَّ لُو نفسْ
نبَّشُوهُم من الشُون   قبَّبُوهُمْ من القُببْ
وَخدُوا فضّة الجميّعْ   وَجميّعْ مَالهُمْ ذهبْ
وَقعَ القتل في الرِجَال   وقد اتهتك الحرِيمْ [١٠٥/ب]
وَالذى كانْ مُقيم رَحلْ   سَا عليهَا أَحدْ مُقيمْ

(١) كذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٢٧٠/٢/١ وجواهر السلوك ٣٣٢: "واثّفَرْ".

وكم إنسَانْ بسيف وَقَوس ... مَا عرف لَو هُناك غريمْ
جَبد السيف مِنَ الجفيرْ ... وَلراس منْ لقيه ضربْ
وَإنْ حماه مُشترى النفَاقْ ... سُرعًا بالقوسْ عليه عقبْ
لمَا نزُّوا السيُوف دِمَا ... سَاعة النّحر في النُحورْ
اعتقدتْ أنهَا تُحيضْ ... صِرتُ نعجبْ لذى الأَمورْ
قَال فتى بَابلى اللحَاظْ ... كيف يُحيضُوا وهُمْ ذكُورْ
إلّا ذَا سَاحرُ القتَال ... أيتمشْ للسيُوف كتبْ
بَاب نزيف نزّةِ الدِمَا ... مَعْ مَماليك ذِي[1] الجَّلبْ
البُحيرَا من الفتنْ ... سعدَهَا زَال وَاختفَا
وَبقى فرحهَا حزنْ ... وَقدْ اتكدّرَ الصّفَا
وَلنَاس قلتُ إيش جرَا ... وَالذى قد جرَا كفَا
قَالُوا من تحت رَأسْ بُديرْ ... مَال بثقلُوا قد انتهبْ
وَبنَاتُوا الخُدور سُبُوا ... قلتُ سبُّوه فهُو السببْ
جَا ابن سلام معُو رجَالْ ... كلّ حَدْ شهَوتُو رغيفْ
ذَا على رقبتُو تقَالْ ... وَ[ذا][2] في رقبتُو شليفْ
وَ[ذا][3] لَو دِرْع سِيسبَان ... و[ذا][4] لَو دِرْع خُوصْ وَليفْ
وَالقسى قيسْ من نخيلْ ... وَخرايطهُمُ الجُعبْ
وَصوَارمهُم الجريدْ ... وخُوذهُمْ قِصعْ خشبْ
فاعل النحس في القيَاسْ ... مَا عرف صنعة البنَا
جَا بنَا شى بلا أسَاسْ ... هدَّتْ التُرك مَا بنَا
وَتروجَا المُعمَّرة ... خُربتْ حِن لهَا دنَا
قلعُوا أبوَابهَا الجميّعْ ... والسُكفَاتْ مع العَتَبْ
يَمسكُوا بدر يَعتبُوهْ ... وَعليه يُوقِع العَتَبْ [١٠٦/أ]
يدر تبتْ يدَا أبَاهْ ... لِصلَاح النسَا فسَدْ
كم مليحَا أتتْ وَفي ... جيدِهَا حَبلْ من مَسَدْ
وَلى قَال شخص من حُنين ... بدر في ذى الذي قصَدْ

---

[1] في بدائع الزهور ٢٧١/٢/١: "من مماليكه".
[2] في الأصل "ذَ"، والتصحيح من بدائع الزهور ٢٧١/٢/١.
[3] في الأصل "ذَ"، والتصحيح من بدائع الزهور ٢٧١/٢/١.
[4] في الأصل "ذَ"، والتصحيح من المصدر السابق

هُـــو أيُـــو جهـــل قَلـــتُ: لا إلّا قلبُوأبُـــــو لهَـــــبْ
قَـــال لـــي: وامرَاتُـــو إيـــش تكُـــونْ؟ قَلــــتُ: حَمالـــــةَ الحَطـــــبْ
جِـــينْ[1] غَلـــبْ منـــى رَاجحـــى وَانكســـر كســـرْ مَـــا انجبـــرْ
قالـــت: أقـــوَام يُعـــدّ سُـــوه أنـــتَ قـــيمّ دِيَـــار مصـــرْ
جَـــا الحكـــمْ طـــابقى[2] وَقـــالْ: يَـــا غُبـــاري جـــرَا خبـــرْ
لـــدِيَارِ مصـــر قيمـــين فـــى الزجـــلْ ذَا يكُـــون عجـــبْ
قَلـــتُ: ذَا قـــيمّ السّـــفهْ وَأنَـــا قـــيمّ الأدَبْ

وَمنْ حوَادثِ هذهِ السنة: قدْ جاءت الأخبَار من ثغر الإسكندرية بأنَ المقر الزيني بركة قدْ مَاتَ وَهوَ في السجن، فأَرسلَ الأتابكي بَرقُوق دَوَادَاره الأمير يُونس لكشفِ خبر موتِهِ، فتوجّه إلى ثغر الإسكندرية، وكشفَ عن ذلك فأَسفرتْ القضيّة بأنَ خليل بن عرَام نَائب الإسكندرية قتلهُ، فأخرجهُ الشرفي يُونس من القبر وكشفَ عليه، فوجدَ بهِ ثلَاث ضربَات إحدَاهِنَ في رَأسهِ، وَوَجدهُ مدفونًا في ثيابهِ من غير تغسيل وَلا تكفين، ثم إن الشرفي يُونس غسّلهُ وكفنهُ وصلى عليه وَدفنهُ خَارج بَاب رَشيد، وبنى عليه قُبة وكتبَ بذلك محضرًا، ثُم توجه الشرفي يُونس إلى نحو القَاهرة وصُحبتهُ خليل بن عرَام، فلما حضرَ ابن عرّام إلى القَاهرة أوْدع في سجن خزَانة شمايل، ثُم عُصر وَقُرّر بمَا قيلَ عنهُ أنهُ أخذَ منْ رَأس الأمير بركة فصُوص كانتْ معهُ، فأنكرهَا غاية الإنكار، وَحلفَ أنهُ لم يرَهَا.

فلمَا كان يَوم الخميس عشرين رَجب أَحضرُوا ابن عرَّام من خزانةِ [١٠٦/ب] شمايل إلى القلعةِ، فلمَا وَصلَ إلى باب القُلة، فرَسمَ الأمير مَأمُور حَاجب الحُجاب وَالأَمير قطلقتمُر أمير جَاندَار بأن يُعرى وضُرب بالمقَارع، فضُربَ ستّة وَثمانين شيبًا، ثُم أُحضرَ له جمل وَسُمرَّ عليه، وَنزل منَ القلعةِ وَهوَ مُسمّر، فلمَا وَصلَ إلى سُوق الخيل فأَوقفُوهُ قُدَّام بَاب سلسلة سَاعة، فَجَاء إليه مَماليك بركة فضربُوهُ بالسيُوف وَالدبَابيس إلى أنْ مَاتَ، ثُمَ قطّعُوهُ قِطع وَعَلقُوا رَأسهُ عَلى بَابِ زُويلة، وَقيلَ: أنَ بعضَ مَماليك بركة قطعَ أذنهُ بالسيفِ وَجعلَ يَأكلهَا من شدّةِ خلقهِ، ثُم جمعُوا مَا وجدُوا من أعضَائه وَدفنُوهُ في

(1) في الأصل "حِن"، والتصحيح من بدائع الزهور ٢٧٢/٢/١.
(2) كذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٢٧٢/٢/١ وجواهر السلوك ٢٣٤: "طاقى".

بمدرستهِ التي أنشأهَا عند قنطرة أَمير حُسين بن جندر بشقةِ الخليج الحَاكمي[1]، وَفي ذلك يَقُولُ شهَاب الدّين ابن العطار المصري:

بَـــدَتْ أَجـــزا ابـــن عَـــرَّامٍ خَليـــلٌ مُقَطَّعَـــةً مِـــنَ الضّـــربِ الثقيـــلِ
وَأَبـــدَتْ أَبحـــر الشُـــعرَاء[2] المرَاثـــي مُحـــرَّرةً بِتقطيـــع الخليـــلِ[3]

وَقيلَ: أنَ الشيخ يحيى الصَّنَافيري وَالشيخ نهَار بشرَا بن عرَّام بذلك أَنهُ مَا يمُوت إلَّا مُسمرًا مُوسكًا، وَكانَ ابن عرَّام قبلَ موته عملَ تَاريخًا ذكر فيه وقَائع الأَحوَال فلمَا جرى لهُ مَا جرى، قَالَ فيهِ ابن العطار:

أيـــا ابـــنَ عـــرَّام قـــدْ سُـــمّرتِ مُشـــتهرًا وَصَـــارَ ذلـــك مَكتُوبًـــا وَمَحسُوبَـــا
مَـــا زلـــتَ تجهـــدَ فـــي التـــاريخِ تكتُبـــهُ حتـــى رَأينَـــاك فـــي التَـــاريخِ مكتُوبَـــا[4]

وَفي هذهِ السنةِ: عمَّر الأتَابكي بَرقُوق جسر الشريعة بطريق الشام عندَ أَرِيْحَا[5] عَلى نهرِ الشريعة، وَجعلَ طُولهُ مَائة وعشرينَ ذرَاعًا، وَعرضهُ نحو عشرينَ ذرَاعًا.

وَفي هذهِ السنةِ: أَبطل المقر الأتَابكي مُكُوسًا كثيرة بالدِّيَارِ المصريّة وَالبلَادِ الشاميّة، وَفي ذلك يَقُولُ بعض الشعرَاء:

---

(1) مدرسة بجوار جامع الأمير حسين بحكر جوهر النوبيّ من برّ الخليج الغربيّ خارج القاهرة، أنشأها الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام، وهي تعرف اليوم بجامع المرصفي عند قنطرة الأمير حسين بالقاهرة، وأنها أنشئت حوالى سنة ٧٨٠هـ وهي اليوم خرب، وليس ظاهر من وجهتها إلا الباب. (انظر: الخطط المقريزية ٢٥٠/٤؛ النجوم الزاهرة ١٨٥/١١ هامش ١)؛ قنطرة الأمير حسين: هذه القنطرة على الخليج الكبير، ويتوصل منها إلى برّ الخليج الغربيّ، فلما أنشأ الأمير سيف الدين حسين بن أبي بكر بن إسماعيل بن حيدر بك الروميّ الجامع المعروف بجامع الأمير حسين في حكر جوهر النوبيّ، أنشأ هذه القنطرة ليصل من فوقها إلى الجامع المذكور، وكان يتوصل إليها من باب القنطرة. (الخطط المقريزية ٢٦٢/٣).

(2) وفي بدائع الزهور ٢٧٥/٢/١؛ وأما في الخطط ٢٥٠/٤ والنجوم الزاهرة ١٨٦/١١ وجواهر السلوك ٢٣٥: "الشعر".

(3) بحر الوافر.

(4) بحر البسيط.

(5) وهي مدينة الجبّارين في الغور من أرض الأردنّ بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك، سمّيت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح. (معجم البلدان، ياقوت، ١٦٥/١).

أيَــا ملكًــا بنــى جســرًا بعــدلٍ بــهِ حمــلَ الأنَــام عَلــى الشّــريَعة
لــهُ شَــرفٌ عَلــى الجــوزاء سَــامٍ وفــوق الحـوت أركـان مَنِيعَـة[1][١٠٧/أ]

وَفيهَا: في يَومِ الثلاثاء في ثَامن ذي الحجة وَصلَ إلى الأبوَابِ الشريفة وَالد المقر الأتَابكي بَرقُوق، فخرج النَاسُ قاطبة إلى مُلتقاه من الأمَراءِ وغيرهم، فتلقُوهُ من العكرشة[2]، وَقيل: هُوَ المكان الذي التقى فيه يُوسف الصدّيق عليه السلام مع أبيهِ يعقوب عليه السلام، فلمَا تلاقى بَرقُوق مع أَبيه تعَانقَا وَرَكبَا وَرجعَا إلى سريَاقُوس، فنزلَا بهَا، وَمَدَّ سِمَاطا عظيمًا، وَأَقَامَ بهَا إلى وقت الظُهر، فجاءتْ إليهِ سَائر أَربَاب الدولة من القُضَاةِ وَالوزراء وَأعيَان الناس.

ثُم إنَ الأتَابكي بَرقُوق ركبَ من سريَاقُوس وَتوجّه إلى القَاهرةِ، فدَخلَ من بَابِ النصر، وَزُينت لهُ المدينة، فَشقَ منَ القَاهرةِ، وَطلعَ إلى القلعةِ.

وَكانَ وَالد الأتَابكي بَرقُوق جركسي مُغلقًا لَا يَعرف بالعربية وَلا بالتركيّة شيئًا، وَكانَ اسمه أَنسْ، وَقيلَ أنصْ بالصاد.

فَلمَا طلعَ إلى القلعةِ تقدّم الأمير أَيدمُر الشمسي إلى الأتَابكي بَرقُوق، وَقَالَ لهُ: "يا خوند أنَا بقيتُ رجلٌ كبير، وَشختُ وَمَا بقي يَصلح لي أَمرِيَّة، فخُذْ أَمريتي إلى وَالدك، وَرَتّبَ لي مَا يُكفيني، وَأكُون طرخان"، فأَبى الأَتَابكي بَرقُوق من ذلك فلمْ يُقيم الأمير أَيدمُر الشمسي بعد ذلك سوى ثلاثة أشهر وَماتَ، فأخذ الأتَابكي أَمريّتهُ إلى وَالدِهِ أَنس، فكانَ الفَال مُوكل بالمنطق، وّكانَ هذَا مِنْ جُملةِ سعد الأَتَابكي بَرقُوق[3].

ثُم دخلت سنةِ اثنتين وثمانين وسبعمَائة، فيها: جرّدَ الأَمير آلان الشعبَاني إلى البُحيرةِ، بسبب فسَاد العُربان، فجاءتْ الأخبَار بأنَ العُربَان كسرُوا الأَمير آلان، فلمَا سمعَ الأَتَابكي بَرقُوق بذلك أَمر بتعليق الجَاليش السُلطاني، وَخرُوج السلطان الملك المنصُور عليّ، فاضطربت أَحوَال القَاهرة في ذلك اليَوم، فأشَار بعض الأمراء على الأَتَابكي بَرقُوق بعدَمِ [١٠٧/ب] خُروج السلطان من

---

[1] بحر الوافر؛ يذكر ابن إياس في بدائع الزهور ٢٧٩/٢/١: أن البيتين لابن العطار.
[2] شرقي العش المعروفة بالعكرشا بالقرب من سرياقوس، واليوم يطلق على بركة واقعة في الطريق الصحراوي بين القاهرة وبلبيس، وأن هذه البركة لا تزال باقية بأرض بلدة "أبو زعبل". (الانتصار، ابن دقماق، ١٠٣/٢؛ القاموس الجغرافي ٨٦/١/١).
[3] لم يرد الخبر في بدائع الزهور، ما ورد أن أنص توفي بعد إمرته بثلاثة أشهر. (انظر: بدائع الزهور ٢٧٨/٢/١- ٢٨٩).

القَاهرة، وأنْ يُجردُوا لهُم جَماعة منَ الأمرَاءِ فَعيّنُوا لهُم سِتّ أُمرَاء مُقدّمين أُلوف، وَمنَ الأمرَاءِ الطبلخَانَاة عشرة، ومن الأمرَاءِ العشرَاوَات عشرة، ثُمَ جاءت من بعد ذلك الأخبَار بأنَ الأمرَاء وَالكُشاف قويُوا عَلى العرب وَكسرُوهُم كسرة قوّية، فبَطلتْ التجرّيدة.

ثُم دخلت سنة ثلاث وثمانين وسبعمَائة، فيها: كانَ ابتداء الطَاعُون بالدِّيَارِ المصريّة، وَوَقع الغلاء في تلك السنة أيضًا، فحضرَ إلى القَاهرة الشيخ الصَالح سيدي عليّ الرُوبي، وَطلعَ إلى عند الأتَابكي بَرقُوق، وأقَامَ عندهُ يَومين وَبشرَّهُ مِن لفظهِ بأنهُ يَبقى سُلطان في سنةِ أربع وَثمانين، وَممَا بشرَّ الناس بهِ أنَ بعدَ مُضي شهر يَرتفع الوبَاء وَيتنَاقصَ الغلاء، فكانَ كمَا قالَ.

ثم إنَ أُشيع في القَاهرة بأن السلطان الملك المنصُور عَليّ ابن الملك الأشرف شعبَان قدْ طُعن وَهوَ في حَال العدَم، فلمَا كانَ يَوم الأحد ثالث عشرين شهر صفر توفي السلطان الملك المنصُور عليّ إلى رحمة الله تعالى بعد الظُهر، وَدُفنَ من يَومهِ في تربة جدّتهِ خوند بركة وَالدة الملك الأشرف شعبَان التي في التبَانة، وَكانَ الذي تولى تجهيزهُ وتكفينهُ الأمير قُطلوبُغَا الكُوكَائي(١) أسُتَادَار العَالية، وَقيلَ: أنَ الملك المنصُور عليّ مَاتَ بالجُدري(٢).

فكانتْ مُدّة سلطنتهُ بالدِّيَارِ المصريّة خمس سنين وثلاثة أشهر وَنصف، وَمَاتَ وَلهُ من العُمرِ اثنتي عشرة سنة وشهر.

وَكانَ مَلكًا كثير المكارم، قليل الأذى، جميل الصُورة، وَافر العقل، ثابت الجنَان، غير عجُول في حركاتهِ، وَلم يكن لهُ منَ المملكة سوى مُجرد الاسم فقط، وَالأَمر كلهُ للأتَابكي بَرقُوق.

وَلمَا مَاتَ الملك المنصُور عليّ تولى بعده أخوهُ الملك الصَالح أَمير حَاج، وَلم يحسر الأتَابكي بَرقُوق أنْ يتسلطن بعد الملك المنصُور عليّ، فأقَامَ الملك الصَالح أمير حَاج في [١٠٨/أ] السلطنة آلَة حتى استقَامَ لهُ الأمرُ.

---

(١) كذا في الأصل والنجوم الزاهرة ١٨٨/١١؛ وفي السلوك ٤١٢/١/٣ وبدائع الزهور ٢٨٢/٢/١: "الكوكاى".

(٢) وكذلك ورد في جواهر السلوك ٢٣٥؛ وفي بدائع الزهور ٢٨٤/٢/١: أنه مات بالطاعون.

ذكر

سلطنة الملك الصَالح أَمير حاج

ابن الملك الأشرف شعبَان بن الأمجد حُسين[1]

وَهوَ الرَابعُ والعشرُون من ملُوك التُرك وَأوْلادِهِمْ بالدِّيَارِ المصريّة، تسلطنَ بعدَ مَوت أَخيهِ الملك المنصُور عليّ في يَوم الإثنين رَابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمَائة؛ فتولى الملك وَلهُ من العُمر إحدى عشرة سنة، فحضرَ إلى بَابِ الستَارة أمير المؤمنين المتوكل على اللهِ وَالقُضَاة الأَربعة وَسَائر الأمرَاء وَطلبُوا أولادِ الملك الأشرف شعبان، فوقع الاتفاق على تولية سيدي أمير حاج لأنهُ أكبر أَخوتهِ، فبُويع بالسلطنةِ، وَلبسَ خلعة السلطنة، وَركبَ مِنْ بَابِ الستَارةِ إلى الإيوَان، فَجلسَ عَلى سرير الملك وَحلف لهُ الأمراء، وَمدّ السِّماط، وَدَخلَ إلى القصر بعدَ مَدَّ السِّماط، وَتمت وَلايتهُ، ونُودي باسمهِ في القَاهرةِ، وَتلقبَ بالملك الصَالح، وَخُطبَ باسمهِ عَلى المنَابر.

ومنَ الحوَادث في أيَامهِ: قدْ جاءت الأخبَار منَ البلادِ الحلبيّة بأنَ التُركمان كسرُوا عسكر حلب، وَأنهُم وَصلُوا إلى العمق، وَأنهُم طمعُوا في أَخذِ البلادِ، فلمَا بلغَ الأتابكي بَرقُوق ذلك فَعيّنَ لهُم تجريدة، وَرَسمَ للنُواب بأنْ يخرجُوا إليهمْ، فخرجَ إليهمْ سَائر النُواب فانكسر التُركمان، وَقُتلَ منهُم جَماعة كثيرة، وَنهبُوا أموَالهُم وَطردُوهُم إلى مَلطيّة.

ثُمَ دخلت سنة أَربع وَثمانين وَسبعمَائة، فيهَا: حضرَ إلى الأبوَابِ الشريفة المقر السيفي بَيدمُر الخوَارزمي نَائب الشَام، وَكانَ مُعتقلًا بثغر دميَاط، فلما حضرَ أُخلعَ عليه واستقر نَائب الشَام عَلى [١٠٨/أ] عَادَتهِ.

وَفيهَا: حَسُنَ ببَالِ الأمرَاء أنْ يَعملُوا جسرًا بينَ الرَوضة وَجزيرة أَروى[2]، فندَبُوا إلى ذلك المقر السيفي جركس الخليلي أَمير أَخُور كبير، فهملَ طُولهُ نحو

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٢٨٥/٢/١- ٣١١؛ جواهر السلوك ٢٣٦- ٢٣٧.

[2] واقعة في وسط النيل بين بولاق وبر القاهرة وجزيرة الروضة وبر الجيزة، إنها تعرف بالجزيرة الوسطى، تعرف اليوم بجزيرة الزمالك. (الخطط المقريزية ٣٢٦/٣؛ النجوم الزاهرة ١٢٦/٩ هامش ٢؛ القاموس الجغرافي ٢٠٥/١).

ثلاثمائة قصبة، وعرضهُ عشر أَقصَاب، وَجعلَ بظاهر الجسر خوَازيق سنط، طُول كلّ خازُوق نحو ثمانية أذرُع، وَأَمرَ عليهم أفلَاقِ خشب نخل، وَجعلهُم ستارة عَلى الجسرِ، وانتهى العمل منهُ في نحو شهرين، ثُمَ حفرَ في وَسطِ البحر خليج مِن الروضة إلى الزربية، وَكانَ ابتداء ذلك في ربيع الأول سنة أربع وثمانين وسبعمَائة، وَفي ذلك يَقُولُ الأَديب عيسى بن حجاج العَالية:

جسر الخليليّ المقرّ لقد رسا ... كالطود وسط النيل كيفَ يُريدُ
فإذا سألتم عنهما قلنا لكم ... ذا ثابت دهرًا وَذاك يَزيدُ[1]

وَفيهِ يَقُولُ شهَاب الدّين ابن العطار المصري:

رَاعى الخليليّ قلبَ الماء فَحينَ طغى ... بنى على قلبهِ جسرًا وَحيَّرهُ
رَأى ترمّل أَرضيهِ وَحدتهَا ... وَالنيل قدْ خَافَ يَغشَاهَا فجسَّرهُ[2]

ثُمَ إنَ النيل زَادَ في تلك السنة زيَادة لم يقعَ مثلهَا في الجَاهلية وَلا الإسلام، وَذلك أنهُ زَادَ أصبعين منْ إحدى وعشرين ذرَاعًا، فأكل ذلك الجسر كلهُ، وَرَاح الذي عملهُ الخليلي في البطالِ، وَفيهِ يَقُولُ ابن العطار أيضًا:

أثنان يا بَحرنا مِنْ ... إحدى وعشرين عُمنَا
فأنظر بفضلك فيما ... جرى وإلا غرقنَا[3]

وفيهَا: جرَّد السلطان الأمرَاء إلى نحو بلاد الصّعيد[4]، بسببِ فسَاد العُربان، فخرجَ إليهمْ خمسة أَمرَاء مُقدّمين أُلوف، وَجَماعة منَ الأمرَاءِ الطبلخانَاة وَالعشرَاوَات، فلمَا سمعُوا العُربان بذلك هربُوا مِنْ [١٠٩/أ] يَومهمْ، فكبسُوا منهُم الأمرَاء نحو ثلاثة آلاف رَأس غنم براقي، وَنحو ستَّة آلاف رَأس مَاعز، فأَخذُوَهُم الأمراء وَرجعُوا إلى نحو القَاهرة، وَأمَا العُربَان فتوجّهُوا إلى نحو برقَا خَائبين.

وَمن الحوَادث في هذهِ السنة: أنَ في يَوم الثلاثاء وقتَ الظُهر كانَ المقر الأتَابكي برَقُوق نَائمًا وعندهُ شخص منَ الخَاصكيّة يُكبِّسهُ يُسمى شيخ الصفوي، فلمَا أرَادَ بَرقُوق أنْ يستغرق في النوم، فمسك شيخ الصفوي جَنبَ الأتَابكي بَرقُوق وَكبَّسهُ قوى فقعدَ عَلى حَيلهِ، وقَالَ: "إيش الخبر"، فقَالَ لهُ شيخ

---

(١) بحر الكامل.
(٢) بحر البسيط.
(٣) بحر المجتث؛ لم يرد في بدائع الزهور.
(٤) الخبر في: السلوك ٤٧٠/٢/٣ وبدائع الزهور ٣٠٥/٢/١: "عربان البحيرة"، وليس بلاد الصعيد.

الصـفوي: "أنَ مَملُوكـك أيـتمش الخَاصـكي اتفـق مـع مَماليـك الأَسـيَاد، وَبُطـا الأشرفي أنهُم في هَذهِ السَاعة يُريدُوا قتلك"، فسكتِ بَرقُوق سَاعة، ثُم فـي أثنـاءِ ذلك دَخلَ أيتمش الخَاصكي فقَامَ إليهِ بَرقُوق وأَخذ بيده قوس كبّاد كانَ إلى جَانبهِ، فضرَبَ بهِ أيتمش ضربة واحدة أَرمَاهُ علـى الأَرض، فلمَـا وَقـعَ قَـالَ لـهُ بَرقُـوق: "يَا مخنث منْ يُريد قتل المملوك يقعَ مِنْ ضربةٍ وَاحدة"، ثُم قبضَ عليـهِ، ثم قـامَ وَخـرجَ إلـى الأَسـطبل، وَجلـسَ فـي المقعـد المُطـل علـى الرملـة، وَطلـبَ بُطـا الخَاصـكي فقبضَ عليـه، ثُـم طلـبَ سَـائر الأمـرَاء مِـنَ الأكـابر وَالأصَـاغر، فلمَـا طلعُـوا إليـه فشـكى لهُـم مَـنْ مماليك الأَسيَاد، وَأخبـرهُم بمَـا وَقـعَ لـهُ، فعنـدَ ذلـك أشـارُوا عليـه بمسـكهم، فقبضَ فـي ذلـك اليـوم عَلـى خمسـة وسـتين مملُوكًـا مـنْ مَماليك الأَسيَاد، فأرسلهُم إلى خزانةِ شمايل.

وَأمَـا أيـتمش وَبُطـا الأشـرفي فَرَسـمَ بنفيهمَـا إلـى الشَـام، ثُـم نفـى مـنْ مَماليـك الأَسـيَاد جَماعـة إلـى قُـوص، وَهُـم ثلاثـة وأَربعُـون مملُوكًـا مـنَ شـرَار مماليـك الأَسياد.

فلمَـا كـانَ يَـوم الأَربعـاء تَاسـع عشـر شـهر رَمضَـان مـن سـنةِ أَربـع وَثمـانين وسـبعمائة طلـبَ الأتَـابكي بَرقُـوق الخليفـة المُتوكـل علـى الله وَالقُضَـاة الأَربعـة وَسَائر الأمرَاء، فاجتمعُوا بالأَسطبلِ [١٠٩/ب] السُلطاني، فتكلَّم كاتب السرّ بدر الدِّين ابن فضل الله العُمري، في المجلس وَذكر: "أنَ الأَحوَال قدْ فُسدتْ وَالبلاد قـدْ خُربـتْ، وَأنْ العُربَـان قـد زادُوا فـي الفسَـادِ، وَأنَ أكثـر النُـواب خَـامرُوا، وَخرجُوا عنْ الطاعةِ، وأنَ أُمور المملكة غيرَ مُستقيمة، وأنَ الوقتَ مُحتَـاج إلـى إقَامة سُلطَان كبير لدفع العدو، وَسُكون الاضطرَاب"، فتكلم القُضَـاة مـع الخليفـة في ذلك، ثُم وَقعَ الاختيَار عَلى سلطنةِ الأتَـابكي بَرقُـوق، فعندَ ذلك خلعُـوا الملك الصَـالح أَميـر حَـاج بـن الأشـرف شـعبَان مـنَ السـلطنةِ، وَأخـذُوا منـهُ النمجَـاة وَالتُرس، وَأَحضرُوهُمَا إلى عندِ الأتَابكي بَرقُوق وَدَخلَ الملك الصَـالح إلـى دُورِ الحرم عند أَخوتهِ.

فكانتْ مُدّة سلطنتهُ بالدِّيَارِ المصريّة سنة وسبعة أشهر.

وَاستمرَ مُقيمًا في دُور الحرم إلى أنْ عَادَ إلى السلطنةِ ثاني مَرّة، كمَـا سيأتي ذكر ذلك في مَوضعهِ، وَهوَ آخرُ منْ تَولى منْ ذرّيةِ بني قلَاوُن، وبهِ قد أنقضتْ دَوَلة بني قلَاوُن كأنهَا لم تكنْ بعدَ أنْ أقامتْ المملكة فيهمْ مَائة سنة وَثلاث سنين، فسُبحَانَ منْ لا يَزول مُلكهِ.

ذكر
ابتداء دولة الجراكسة
فأولهم الظاهر برقوق
ذكر
سلطنة الملك الظاهر سيف الدين
أبي سعيد برقوق بن أنص العُثماني الجركسي[1]

وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وهو أول ملوك الجراكسة بمصر؛ تسلطن في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، الموافق لآخر يوم من هاتُور، وهو من الشهور القبطية.

وفي حال جُلوسه على تخت المملكة، أمطرت السماء مطرًا خفيفًا، فاستبشر الناس بذلك؛ فلما صلى الظهر بايعه أمير المؤمنين بحضرة القضاة [١١٠/أ] الأربعة، وسائر الأمراء.

وأحضروا لهُ خلعة السلطنة، وهي جبة سوداء، وشاش أسود ملفوف على عمامة، ولها عذبة زركش ، وسيف بداوي، فلبس ذلك، وركب من الأسطبل السلطاني إلى باب سرِّ القصر الكبير، فطلع منه إلى القصر وجلس على تخت المملكة، وتلقب بالملك الظاهر، ونُودي باسمه في القاهرة ومصر بالأمان والأطمان، والدُعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق، فضج الناس لهُ بالدُعاء من الخاص والعام، وفي ذلك يقول الشيخ شهاب الدين ابن العطار المصري:

ظهور يوم الأربعاء ابتدى ... بالظاهر المعتز بالقاهر
والبشر قد عمّ وكلّ امرئ ... منشرح الباطن بالظاهر[2]

وفيه يقول القيم الأديب خلف الغُباري من زجل لطيف:

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٣١٨/٢/١- ٤٠٣؛ جواهر السلوك ٢٣٧- ٢٤٤.
[2] بحر السريع.

أشـــرقت شـــمس دولـــة المســلمين وزهـــا نجـــم ســـعدها الزاهـــر
وصُــبح يـــوم العـــدل نـــورو ظهـــر واختفـــا ليـــل الظلـــم بالظـــاهر
مصـــر صـــارت روضــة بهــذا الملــك زاهيًـــا طيـــب عبيقهـــا[1] منشـــقوق
وبـــالأحمر تفاحهـــا فـــي البيـــاض قـــد تخضـــب لســـلطنة برقـــوق
ورأينـــا المشـــمش بـــلا زعفـــران صـــار مُخلـــق بجملـــة المخلـــوق
حمـــل البـــان صـــناجقو الزاهـــرة قابلتهـــا شـــطفات مـــن التـــامر
زعـق الطيـر: شـاويش، وغنّـا الحمـام رقـــص الغُصـــن والنســـيم زامـــر[2]

ولما تسلطن أقامت مصر والقاهرة مُزينة سبعة أيام.

وكان أصل الملك برقوق من مماليك يَلبُغَا العُمري الأتابكي، جلبهُ إليهِ الخواجَا عُثمان بن مُسافر، فاشتراهُ منهُ الأتابكي يَلبُغَا العُمري، وأعتقهُ، ومات يَلبُغَا وهو صغيرٌ، ووقع لهُ في أوائل عُمرهِ محنٌ كثيرة، وخدمَ عند المقر السيفي منجك نائب الشام، [١١٠/ب] ثُم دخل في بيت السلطان، لما كانت قتلة الملك الأشرف شعبان كان برقوق من جُملة من وافق على العصيان، وكان يومئذ أمير عشرة، ثم بقى أمير طبلخاناة، ثم بقى مُقدم ألف، ثم بقى أمير أخور كبير، ثم بقي أتابك العساكر في دولة الملك المنصور عليّ بن الأشرف شعبان، ثم بقي سلطان مصر بعد خلع الملك الصالح أمير حاج، كما تقدم.

وكان برقوق من خلاصة الجراكسة، فلما تم أمورهُ في السلطنة عمل الموكب، في يوم الإثنين رابع عشرين شهر رمضان، وأخلع على منْ يُذكر من الأمراء، وَهُم: المقر السيفي سُودُون الفخري الشيخُوني واستقر نائب السلطنة بالديار المصرية؛ وأخلع على المقر السيفي أيتمش البُجاسي واستقر بهِ أتابك العساكر بمصر؛ وأخلع على المقر السيفي ألطنبُغَا المعلم واستقر بهِ أمير سلاح؛ وأخلع على المقر السيفي ألطنبُغَا الجُوباني واستقر بهِ أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي جركس الخليلي واستقر أمير أخور كبير على عادتهِ؛ وأخلع على المقر السيفي قُردم الحسني واستقر بهِ رأس نوبة النُوب؛ وأخلع على المقر السيفي قطلوبُغَا الكوكاي واستقر بهِ حاجب الحجاب؛ وأخلع على المقر السيفي يُونس النُورُوزي واستقر بهِ دوادار كبير.

---

[1] في بدائع الزهور ٣٢٠/٢/١ وجواهر السلوك ٢٣٨: "عبيرها".
[2] بحر الخفيف.

ثم أنعم على جماعة كثيرة من الأمراء بتقادم ألوف؛ وأنعم على جماعة منهم بطبلخاناة؛ وعلى جماعة منهم بعشراوات؛ ثُم حلف سائر الأمراء لنفسهِ، واستقامت أموره في السلطنة؛ ثُم أخلع على جماعة من أرباب الوظائف من القُضاة والوزراء، والنُظار، والمُباشرين، وغير ذلك.

ثم إنه في ثاني شوال، أخلع على القاضي أوحد الدّين الحنفي[١] واستقر به كاتب السر الشريف [١١١/أ] بالديار المصرية عُوضًا عن القاضي بدر الدين ابن فضل الله.

وفيها: في يوم السبت ثاني عشرين شوال أعرض السلطان المماليك الأشرفية فنفى منهم جماعة، وجعل منهم جماعة طرخانيّة.

وفيها: عمل المقر السيفي جركس الخليلي أمير أخور طاحون تدور بالماء في مركب وأوقفها عند المقياس، فخرج إليها الناس زُمرًا يتفرجون عليها[٢]، وللشعراء في ذلك عدة مقاطع، فمنها ما قالهُ شهاب الدين ابن العطار المصري:

سرّ لطاحون الخليلي التي ... تدور بالماء بمصر حقيق
قد شنّفتْ مِنْ وصفها مسمعي ... لأنه من كلِّ وجهٍ دقيق[٣]

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وسبعمائة، فيها: قبض السلطان الملك الظاهر برقوق على الخليفة المتوكل على الله، وقيدَّهُ وحبسهُ في البُرج الذي بقلعة الجبل، وسبب ذلك أنهُ بلغهُ عنهُ ما غيَّر خاطرهُ عليهِ لأمر قيلَ عنهُ، وفي ذلك يقول شهاب الدين بن العطار:

أَبشر أَمير المؤمنين فمَا جَرى ... أَقوى دَليلِ أنَ عزِّكَ سَرمَدُ
لا تختشي فيدُ العدى مَغلُولة ... ويدُ الخلافةِ لا تطاولُهَا يدُ[٤]

ثم إن السلطان أخلع على الإمام عمر[٥] أخو زكريا، واستقر خليفة عُوضًا عن الإمام المتوكل على الله.

---

[١] هو أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين التركماني الحنفي. (بدائع الزهور ٣٢٣/٢/١).
[٢] لم يرد الخبر في بدائع الزهور وجواهر السلوك.
[٣] بحر السريع؛ البيتان لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور وجواهر السلوك.
[٤] بحر الكامل.
[٥] هو عمر ابن الخليفة المستعصم بالله أبي إسحق إبراهيم بن المستمسك بالله أبي عبد الله محمد بن الإمام أبي العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن أبي إسحق على الحاكم بأمر الله، تلقب بالواثق بالله. (انظر: بدائع الزهور ٣٣٣/٢/١).

ثم دخلت سنة ست وثمانين، فيها: حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفي بيدمُر الخوارزمي نائب الشام صُحبتهُ هدايا وتقادم عظيمة، فقبلَ منهُ السلطان ذلك، وأخلع عليه، وأجلسهُ فوق نائب السلطنة بمصر، فأقام بمصر مُدّة يسيرة، ورجع إلى الشام على عادتهِ.

وفيها: غضبَ السُلطان على القاضي تقي الدّين ناظر الجيوش المنصورة [١١١/ب] وضربهُ علقة قوية تحت رجليه، نحو مائة وخمسين عصاه[١]، فلما نزل إلى بيته أقام يومين ومات، وذلك في يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأول سنة ست وثمانين، وفي ذلك يقول شهاب الدين بن العطار:

يُكفى التقى كرامة أَبدتْ لهُ — نيل الشهادةِ وَاغتدى بأمانِ
بشرى الذي قد عاش طول حياتِهِ — عيش الملوك ومات بالسلطانِ[٢]

فلما مات القاضي تقي الدين أخلع السلطان علي القاضي موفق الدين أبي الفرج، واستقر به ناظر الجيوش المنصورة عُوضًا عن تقي الدين.

وفي هذه السنة: توفي الشيخ الإمام العلامة العالم العامل الورع الزاهد أكمل الدين محمد ابن الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين أبي الثناء محمود الرومي البابرتي الحنفي شيخ الخانقاة الشيخونية، توفي في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة، وَدُفن في يوم الجمعة، وكانت جنازته مشهودة، حضرها السلطان الملك الظاهر برقوق، فأخرجُوهُ من الخانقاة، وصلوا عليه في سبيل المؤمني، ومشى السلطان من المصلاة إلى الخانقاة الشيخونية عند عوده، وَأَرَادَ أَنْ يحمل نَعشهُ، فلم يُمكنُوهُ الأمراء من ذلك، ودفن إلى جانب قبر الأتابكي شيخوا داخل القبة التي في الخانقاة.

وكان الشيخ أكمل الدين من أكابر الحنفية، ولهُ مُصنفات كثيرة في أنواع العلوم، وكان قدْ تبحر في أنواع العلوم، وعُرضت عليه قضائية الحنفية عِدّة مرار، وهو يأبى من ذلك، وكان الواقف أشرط لهُ المُشاركة في النظر على وقف الخانقاة الشيخونية، فباشر ذلك أحسن مُباشرة، وكان لهُ كلمة نافذة مع حُرمة وافرة، وكان سكنهُ في البيت الذي في الخانقاة دائمًا على [١١٢/أ] الدوام، ومات وقدْ جاوز سبعين سنة من العمر، رحمة الله عليه، وفيه يقول شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني:

---

[١] في بدائع الزهور ٣٤٧/٢/١: "فأمر بضربه بين يديه، فضرب نحو ثلاثمائة ضربة بالعصى".
[٢] بحر الكامل.

شـــيخٌ إلـــى سُــبُلِ الرشـــادِ مُســـلكٌ وســـبيلهُ فـــي العلـــمِ مَـــا لا يُجهـــلُ
شـــيخٌ تبحـــر فِـــي الْعُلُـــوم فَمـــن رأى بحـــرٌ يُســـوغ لوَارديـــهِ المنهـــلُ
شـــيخٌ عَلَيْـــهِ مـــن المهابـــة رونـــق كالبـــدرِ لَكِـــن وَجهـــهُ مُتَهَلّـــلُ
شـــيخٌ تقـــدم فِـــي العلـــوم لِأَنّـــهُ إن عـــد أَرْبَـــاب الْكَرَامَـــة أولُ
شـــيخٌ بحســـن شـــروطه وبيانـــه مَـــا بـــات بالمفتـــاح بـــابٌ مُقفـــلُ
مَـــا قيـــل هَـــذَا كَامِـــل فِـــي ذَاتـــهِ إلّا وَقلـــت الشَّـــيْخ عِنْـــدِي أكمـــلُ[1]

وفي هذه السنة: توفي القاضي عبد الواحد كاتب السر الشريف، وهو سبط قاضي القضاة جمال الدين ابن التُركماني الحنفي.

وفيها: توفي القاضي تقي الدين عبد الرحمن ابن القاضي محب الدين التيمي الشافعي ناظر الجيوش المنصورة، وابن ناظر الجيوش أيضًا، وقد تقدم سبب موته.

وفيها: توفي قاضي القضاة أمين الدين محمد بن الأنفى المالكي الدّمشقى نايب الحكم العزيز بدمشق.

وفيها: توفي الجناب الشبلي كافُور الهندي الناصري أحد خدَّام الملك الناصر محمد بن قلاوُن، تولى الزمَاميّة في دولة الملك الناصر حسن، وكان من المُعمرين مات وقد أنَافَ على الثمانين سنة من العمري[2]، وكان لهُ سعادة طائلة، وأملاك كثيرة، وأموال وافرة، وقد أنشأ لهُ تربة بالقرافة الصغرى تحت الجبل المقطم، ولما مات دُفن بها، وكانت وفاتهُ في ثامن ربيع الأول من السنة المذكورة[3]، وكان حسن المُحاضرة، حلو الكلام، ينظم الشعر، ولهُ شعرٌ جيدٌ، فمن شعرهِ ما كتبهُ على رفرفِ مقعد بيتهِ بيتين شعر مِنَ الغرائب، وَهُما:

خَـــدَمنَا بـــأَبوَابِ السَّـــلاطِينِ قـــبلكمْ وَكانتْ لنَا أَهلُ لا الممالك تَخدُمُ [١١٢/ب]
فمَـــا أَبطرتنَـــا يَعلـــم الله نِعمـــة وَلَا نيـــلَ مِنّـــا بالأَذِيّـــةِ مُســـلمُ[4]

وكان قد أقنى مِنَ الكتب أشياء كثيرة من سائر العلوم، فأوقفهم على تُربتهِ.

---

[1] بحر الكامل.
[2] في بدائع الزهور ٣٦١/٢/١: "قارب من العمر نحو مائة سنة".
[3] ورد الخبر في بدائع الزهور ٣٦١/١/١: في أحداث سنة ٧٨٧هـ.
[4] بحر الطويل.

ثم دخلت سنةِ سبع وثمانين وسبعمائة، فيها: أخلع على الأمير صواب السعدي واستقر مُقدم المماليك السلطانية عُوضًا عن نصر البالسي[1].

وفيها: اشترى السلطان الملك الظاهر برقوق مملوكهُ تمربُغَا الأفضلي منطاش أخو تمرباي الدّمرداشي، ثم إنَ الملك الظاهر أعتقه.

وفيها: أخلع على قاضي القضاة جمال الدين ابن خير المالكي السكندري، واستقر قاضي القضاة المالكية بالديار المصرية عُوضًا عن القاضي ولي الدين ابن خلدون المغربي بُحكم انفصاله.

وفيها: طلبَ السلطان يلبُغَا الناصري نائب حلب، فلما حضر إلى بلبيس، توجه إليه الأمير بهادُر المنجكي أستادار العالية، فمسكهُ وقيدهُ وتوجه بهِ إلى السجن بثغر الإسكندرية؛ وأخلع السلطان على المقر السيفي سُودُون المظفري واستقر نائب حلب عُوضًا عن يلبُغَا الناصري.

وكان سبب تغيّر خاطر السلطان على يَلبُغَا الناصري، كان قدْ بلغهُ أن يَلبُغَا الناصري مُتواطئ مع سُولي بن ذُوالغادر[2] كبير التُركمان، وقد ظهر للسلطان أمور تدل على ذلك، ولما قبض السلطان على يَلبُغَا الناصري أرسل الجناب الجمالي محمود شاد الدواوين، فسافر على خيل البريد إلى حلب، بسبب الحوطة على موجود يَلبُغَا الناصري.

وفيها: قبض السلطان على المقر السيفي ألطنبُغَا الجُوباني أمير مجلس، ثم رسم لهُ بنيابة الكرك فتوجه إليها.

وفيها: تولى القاضي مُحب الدّين بن الشحنة الحنفى قاضي القضاة بحلب عُوضًا عن قاضي القضاة جمال الدين ابن العديم بحكم وفاتهِ وكان ابن العديم من [١١٣/أ][3] أعيان عُلماء الحنفية، وعاش من العُمر نيف وسبعين، وكانت وفاتهُ بحلب.

---

[1] في بدائع الزهور ٣٥٨/٢/١: "نصر النابلسي".

[2] في بدائع الزهور ٣٦١/٢/١: "سولي بن ذلغادر".

[3] جاءت تخريجة بخط المؤلف على ورقة تم وضعها بهذه الصفحة يقول فيها: "ومن الحوادثِ في هذه السنةِ وهي سنة سبع وثمانين وسبعمائة، فيها: رسم السلطان الملك الظاهر برقوق بإبطال ما كان يُعمل في يوم النُورُوز، وهو أولُ يَوم منَ السنة القبطيّة، وكان يجتمع في ذلك اليوم السواد الأعظم من العوام وغيرهم، ويركب شخص خليع من الخُلعاء على حمار، وهو عُريان وعلى رَأسه طرطُور خوص، ويُسمونهُ أمير النُورُوز، ومعهُ ذلك السواد الأعظم، فيقف على أبواب الأكابر من أعيان الدولة ومساتير الناس، فيكتب أمير النُورُوز عليهم مناشير بحسبما يختار من الجُمل الثقال، وكلّ من امتنع

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، فيها: تَزَوَّج السلطان الملك الظاهر برقوق بابنة المقر المرحُوم منكلي بُغَا الشمسي، وهي بنت أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين[1].

وفيها: في شهر صفر حضر قاصد الملك الظاهر صاحب ماردين، وأخبر بأن خارجي من التتار الجغطاوية، يُقال لهُ تمرلنك، قد استولى على البلاد، وقد وصل إلى مدينة تبريز، وأخربها وقتل بها خلقًا كثيرة، وأن القان أحمد بن أويس انتقل إلى مدينة بغداد وأقام بها، وجعلها كُرسي مملكته، ثم انقطعتْ الأخبار مُدة.

وفيها: أفرج السلطان عن المقر السيفي يلبُغَا الناصري من الاعتقال، ورسم لهُ بأنْ يقيم بثغر دمياط من غير سجن.

وفيها: ضرب السلطان القاضي مُوفق الدين أبي الفرج ناظر الجيوش المنصورة مائة وثلاثين عصاه[2]، ثم أفصله، واستقر بالقاضي كريم الدين ابن مكانس في نظارة الجيوش.

من الإعطاء يبهدلُوهُ ويسبُوهُ، ولا يزالُوا مُترسمين على بابهِ حتى يأخذوا منهُ ما يقرِّرُوهُ عليه غصبًا، وكانُوا يقيفون في الطرقاتِ يتراشون بالماء المُتنجس، ويتراجمون بالبيض، ويتصافعون بالأنطاع والأخفاف، وينقطع الناس في ذلك اليوم عن الخُروج من دُورهم، وكلّ من ظفروا بهِ في الطُرقات، يرشونهُ بالماء المُتنجس، ويصفعونهُ بالأخفاف، ولو كان من الأعيان؛ فتغلق الأسواق في ذلك اليوم، وتتعطل فيه الناس عن البيع والشراء، ويتجاهرون في ذلك اليوم بكثرتِ شرب الخمور والفسق، حتى يخرجون في ذلك عن الحدّ، وربما كان يُقتل في ذلك اليوم من الناس نحو اثنين أو ثلاثة" وجاءت التكملة في الصفحة التالية: "وكان هذا الأمر مُستمرًا في كلّ سنة على القاعدة القديمة من الدول الماضية، ولا يُنكر ذلك بين الناس إلى أنْ تسلطن الملك الظاهر برقُوق، وتمت أمورهُ في السلطنة فأمر بإبطال ذلك، ورسم للحجاب بأنْ يطوفوا في الطرقات، وكلِّ منْ وجدُوهُ يفعل ذلك يضربُونهُ بالمقارع، ويقطعون يديهِ، وقاموا في ذلك قيامًا عظيمًا، حتى بطل ذلك من مصر، وهددوا من يفعل ذلك بالعقوبة، فانكف الناس عن ذلك من يومئذ، وصاروا يعملون بعض شيء من ذلك في أماكن المُفترجات من الخُلجان والبرك ونحو ذلك، وكان يوم النُورُوز من أجل المواسم بالديار المصرية في الدول الماضية، وكان يُحمل في ذلك اليوم لأكابر أعيان الديار المصرية من أصناف البطيخ والرمان وعراجين الموز، وأفراد البسر، وأقفاص الثمر القُوصي، ومُشنات السفرجل، والتفاح، وقدور الهريسة المعمولة من لحوم الدجاج ومن اللحوم الضأن، ومعها بطط الجُلاب، وجامات الحلوي القاهريّة، ولم يزل الأمر على ما ذكرناه في الدول القديمة من أيام الخُلفاء الفاطميّة، وقبلَ ذلك من أيام القبط حتى بطل ذلك من مصر مع جُملة ما بطل من عيشة الأكابر بالديار المصرية، ومن المواسم المعدُودُة". انتهى ذلك تمت بحمد الله؛ (الخبر في بدائع الزهور ١/٢/٣٦٣-٣٦٥).

(1) ورد الخبر في جواهر السلوك ٢٤٠: أحداث سنة ٧٨٧هـ.

(2) في بدائع الزهور ١/٢/٣٧٠: "مائة عصاة"؛ وفي جواهر السلوك ٢٤٠: ورد الخبر في أحداث سنة ٧٨٧هـ.

وفيها: حضر إلى الأبواب الشريفة أمير زاه ابن ملك الكرج، فلما حضر بين يدي السلطان أخبره أنهُ رأى النبي ﷺ في المنام، وقال لـهُ: "أمضـي إلـى مصـر، وأسـلم علـى يـدي خـادم الحـرمين"، فقـال: "ومـن خـادم الحـرمين"، فقـال لـهُ: "صـاحب مصـر"، فأسلم بدار العدل بحضـرة القُضـاة، فرسم السلطان للأمير بهادر المنجكي أستادار العالية بأن ينزلـهُ فـي قصـر خونـد الحجازيـة بنـت الملك الناصر محمد بن قلاوُن، وكان هذا القصر في رحبة باب العيد.

وفي هذه السنة: كملت عمارة المدرسة الظاهرية البرقوقيّة التي بين القصـرين، فلما كملت نزل السلطان إليها في يوم الخميس ثاني [١١٣/ب] عشر جمادى الأول، ومدَّ بها سماطًا عظيمًا، وملأ الفسقيّة التي في وسطها سُكرًا بماء ليمُون، وولـي فـي ذلك اليوم الشيخ علائي الدين السيرامي شيخ المدرسة، وأضاف إليه تدريس الحنفية.

وأخلع السلطان في ذلك اليوم على المقر السيفي جركس الخليلـي أمير أخـور كبير، وكان شاد العمارة، وأخلع على مُعلم المُعلمين شهاب الدين ابـن الطُولُـوني قبانخ، وأركبهُ فرس بسرج ذهب وكنبوش؛ وأخلع على خمسة وعشرين مملوكـا من مماليك جركس الخليلـي؛ وأخلـع علـى بقيـة المُهندسين والبنـايين كـلّ واحـد خلعة، قد نظم شعراء المصر في ذلك عِدّة مقاطيع، فمنها: قول ابن العطار:

قَـدْ أَنْشَـأَ الظّـاهِرُ السُـلْطَان مَدْرَسَـةً ... فَاقَـتْ عَلَـى إرَم فِـي سُـرْعَةِ العَمَـلِ
يَكْفِـي الخَلِيـلَ بِـأَنْ جَـاءَتْ لدعوتـهِ ... صمُّ الجِبَـالِ لَهـا تسـعي عَلَـى عَجَـلِ[1]

قيل: كانوا يقطعون الأحجار الكبار من الجبل، ويجعلونها على عجلٍ تسحبُها الأبقار من الجبل إلى بين القصرين، وهي التي تُسمي الحجارة العجَّاليّة.

وقوله أيضًا:

قَـلْ[2] لِلْمَلِيـكِ الظّـاهِرِ المُرتضـى ... هُنيـت بالمدرسـة الفائقـة
خنقـت حُسّـادك قهـرًا بهـا ... فيـا لهـا مدرسـة خانقـة[3]

وفيها: أخلع على المقر الشهابي أحمد بن الأتـابكي يلبُغَـا العُمـري، واستقر أمير مجلس عُوضًا عن ألطنبُغَا الجوباني.

---

(1) بحر البسيط؛ لم يرد في بدائع الزهور.
(2) في بدائع الزهور ٣٧٢/٢/١ وجواهر السلوك ٢٤٠: "قلت".
(3) بحر السريع.

وفيها: نُقل المقر السيفي عشقتمر[1] المارديني من القُدس الشريف إلى نيابة الشام.

وفيها: أخلع على الإمام المُستعصم بالله زكريا بن إبراهيم، واستقر خليفة عُوضًا عن أخيه الواثق بالله عمر[2].

وفيها: حضر إلى الأبواب الشريفة رُسل القان أحمد بن أويس صاحب بغداد والعراق، وأخبروا بأن تمرلنك وصل إلى قراباغ، فشتي بها، وأرسل يُعرف السلطان بذلك ليكون على حذرٍ من أمرهُ.

وفيها: جاءت الأخبار من [١١٤/أ] مكة المشرفة بأن المحمل الشريف لما دخل إلى مكة كانت مكة مضطربة، وكان أميرها أحمد بن عجلان قد قتل، وأقاموا ولده محمد عُوضهُ، فلما ترجل عن فرسهِ ليبُوس رجل جمل المحمل، فضربهُ فداوي بسكين، فمات من وقته، فاضطربت أحوال مكة وكادت أن تُنهب، ولبس أمراء الحاج آلة الحرب، وأقاموا على ذلك سبعة أيام.

ثم إن الأمراء خلعوا على الأمير عنان بن مَغامِس، واستقر أمير مكة عُوضًا عن الأمير محمد الذي قتل، ثم إن عبيد ابن عجلان جمعهم كبُيش، وأخرجهُم إلى ظاهر مكة، ومنعهم من التعرض إلى الحاج.

وفي هذه السنة: توفي الخليفة الواثق بالله عمر.

وفيها: تُوفي الشيخ محمد ابن الشيخ فخر الدين عثمان القرمي القادرّي، وكان من أكابر الصالحين، وكان مُقيمًا بالقدس الشريف، وفيه يقولُ الشيخ شهاب الدين ابن العطار:

محمد القرمي قطب الزمان قضى ... نحبًا وصَار لدار الخلد والنعم
والقدسُ كان احتوى[3] نعم الخليل به ... ومصر والشام كانا في حمى القرمي[4]

وفيها: توفي الشيخ شمس الدين محمد القونوي الرُومي الحنفي، وكان من أعيان علماء الحنفية، ولهُ مُصنفات كثيرة في علوم الحنفية.

---

[1] في بدائع الزهور ٣٧٥/٢/١: "أشقتمر".
[2] سوف يرد بعده خبر وفاة الخليفة الواثق بالله وأن يعين زكريا عُوضًا عنه بسبب موته.
[3] في بدائع الزهور ٣٧٥/٢/١: "حوى".
[4] بحر البسيط.

وفيها: توفي الشيخ بدرالدين أحمد من أولاد الصاحب بهائي الدين ابن حنا، وكان فقيهًا شافعيًا مُتبحرًا في العلوم.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وسبعمائة، فيها: طلب السلطان المقر العلائي ألطنبُغَا الجُوباني من الكرك، فلما حضر أخلع عليه واستقر نائب الشام عُوضا عن الأمير عشقتمر المارديني.

وفيها: حضر الامير طُغاي، وكان قد توجه قبل تاريخه إلى ماردين لكشف أخبار تمرلنك، فأخبر بأن جاليش تمرلنك كبس على قرامحمد أمير التُركمان، وكسره كسرة قويّة، ونزل بالقرب من ملطية.

فلما بلغ السلطان ذلك طلب القضاة وأكابر العلماء وسائر الأمراء، وعقد [١١٤/ب] مجلسًا عظيمًا، بسبب تحرك تمرلنك، ثم تكلم السلطان مع القضاة في حلِّ الأوقاف، فأبى القضاة من ذلك، ووقع الاتفاق على أن يُوخذ من الأوقاف أجرة سنة، ويُتركوا على ما هم عليه.

ثم إن السلطان عين من يُذكر من الأمراء للتجهز للسفر، وهم: الأمير ألطنبُغَا المعلم أمير سلاح، والأمير قُردم الحسني رأس نوبة النُوب، والأمير يُونس النُورُوزي أمير دوادار كبير، والأمير سُودُون السيفي تمرباي بَاق، وعيّن من الأمراء الطبلخاناة ثمانية، ومن الأمراء العشراوات خمسة[١]، وجماعة كثيرة من المماليك السلطانية نحو ثلاثمائة ملوك، فتجهزوا وسافروا في أواخر رجب من السنة المذكورة.

وفيها: أخلع السلطان على الشيخ ناصر الدين بن الميلق[٢] الشافعي، واستقر قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية، فما أجاب إلا بعد جهد كبير.

وفيها: أخلع السلطان على الصاحب علم الدين ابن القسيس، المعروف بكاتب سيدي[٣]، واستقر به وزيرًا عُوضًا عن الصاحب شمس الدين كاتب أزلان.

وفيها: في يوم الأحد ثامن عشرين[٤] شهر رمضان نزل السلطان إلى الميدان الذي بسُوق الخيل، وجلس به للحكم بين الناس، وهذا لم يعهد من ملك

---

[١] في بدائع الزهور ٣٨٧/٢/١: "عشرة".
[٢] في جواهر السلوك ٢٤١: "المليق".
[٣] في بدائع الزهور ٣٨٨/٢/١ وجواهر السلوك ٢٤١: "ابن كاتب سيدى".
[٤] في بدائع الزهور ٣٨٨/٢/١: "وفي رمضان، في الأحد ثامنه".

قبله، فيما تقدم؛ ثم أمر بأن ينادى في مصر والقاهرة: "من لهُ ظلامة أو شكاية أو قصّة، فعليه بالوقوف بين يدي السلطان الملك الظاهر في يوم الأحد والأربعاء"، وكان ذلك اليوم أول جلوسه واستمر من يومئذ عمال.

وفيها: توفي الصاحب شمس الدين المعرُوف بكاتب أزلان.

وفيها: أخلع السلطان على الأمير علي بن عجلان، واستقر به أمير مكة، شريكًا لعنان بن مغامس.

وفيها: توفي الشيخ ناصر الدين بن عشاير الحلبى، وكان من أهل العلم من أعيان الشافعية[1].

ثم دخلت سنة تسعين وسبعمائة، فيها: حضر صُراي تمر دوادار المقر الشرفي يُونس الدوادار، وصُحبتهُ قاصد المقر السيفى [١١٥/أ] يَلبُغَا الناصري نائب حلب، وأخبر بأن العسكر الذي توجه من الديار المصرية وصل إلى سيواس، فلما قربُوا منها التقُوا مع عسكرها، وأن أهل سيواس استعانوا بالتتار، فحصل بينهما قتال شديد من أول النهار إلى آخره، فأسفرت القضية على كسرة التتار، وأن أهل سيواس دخلوا إليها، وهم الآن مُحاصرون، وأن جميع الأقوات هناك عزيزة؛ فلما بلغ السلطان ذلك أرسل إلى العسكر نفقة[2].

وفيها: أخلع السلطان على محمود شاد الدواوين، واستقر أستادار العالية عُوضًا عن بهادر المنجكي.

وفيها: جاءت الأخبار بأن العسكر انتصروا على أهل سيواس، وقتلوا منهم جماعة كثيرة، وأسروا منهم أكثر، وقد غنموا منهم نحو عشرة ألاف فرس، وأن العسكر السلطاني قد توجه إلى حلب، ثم حضروا إلى القاهرة وهم منصورون على التتار[3].

وفيها: قبض السلطان على جماعة من الأمراء، وهم: ألطنبُغَا الجُوباني نائب الشام، وألطنبُغَا المعلم أمير سلاح، قُردم الحسنى رأس نوبة النوب، وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية؛ واستقر بالأمير طُرنطاي حاجب دمشق نائبًا بها عُوضًا عن ألطنبُغَا الجُوباني؛ واستقر بالأمير أسندمُر حاجب طرابلس نائبًا بها؛ واستقر بالأمير سُودُون العُثماني نائب حماه.

---

[1] لم يرد في بدائع الزهور.
[2] لم يرد في بدائع الزهور.
[3] لم يرد في بدائع الزهور.

وفي هذه السنة: توفي قاضي القُضاة بُرهان الدين ابن جماعة الحموي الكناني الشافعي.

وفيها: توفي الشيخ علائي الدين السيرامي الحنفي شيخ المدرسة البرقوقية.

وفيها: توفي الصاحب علم الدين عبد الوهاب بن القسيس، المعروف بكاتب سيدي[1].

وفيها: توفي الأمير بهادُر المنجكي أستادار العالية.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، فيها: في شهر صفر ابتداء السلطان الملك الظاهر برقوق في شرب القمز[2] المصنُوع، المعروف [١١٥/ب] بقراقمز، وكان ابتداء ذلك في يوم الأربعاء بالميدان الذي تحت القلعة، ورسم السلطان للأمراء أنَ في كل يوم أربعاء يحضروا الشرب القمز.

وفيها: جاءت الأخبار من حلب بأن المقر السيفي يَلبُغَا الناصري نائب حلب قد خامر، وخرج عن الطاعة، وقتل الأمير سُودُون المظفري الذي كان نائب حلب قبلهُ، وقتل معهُ أربعة أنفس، ومسك حاجب الحجاب بحلب، وجماعة من أمراء حلب.

وسبب ذلك أنه كان قد وقع بينه وبين سُودُون المظفري المقدم ذكرهُ تشاجر، فأرسل سُودُون المظفري يشتكي من يَلبُغَا الناصري عند السلطان، فأرسل السلطان الأمير تلكتمر المحمدي الدوادار الثاني إلى حلب، ليصلح بين يَلبُغَا الناصري نائب حلب وبين سُودُون المظفري، وأرسل السلطان مع الأمير تلكتمر مراسيم في الدسّ إلى سُودُون المظفري بأنْ يقتل يَلبُغَا الناصري إذا قدر عليه.

فلما قربَ تلكتمر من حلب، فبلغ يَلبُغَا الناصري ما جاء بهِ تلكتمر المحمدي، وكان بين تلكتمر وبين يَلبُغَا الناصري صُحبة قديمة، فخرج يَلبُغَا إلى تلقيهِ، وأخذ منهُ المراسيم الذي بالأخبار الظاهرة، وتوجه معهُ إلى دار السعادة، وقرأ مراسيم السلطان بأمر الصُلح بحضرة قُضاة حلب.

---

[1] لم يرد خبر وفاته في أحداث هذه السنة، ما ورد فقط هو خبر عزله. (انظر: بدائع الزهور ٣٩١/٢/١).

[2] في بدائع الزهور ٣٩٣/٢/١: "هو عبارة عن لبن حامض ".

فطلبوا الأمير سُودُون المظفري ليسمع مراسيم السلطان، فأبطأ بالحضور إلى أن أرسلوا خلفهُ أربع مرات، والقُضاة جالسين، فحضر بعد ساعة طويلة، وكان لابسًا من تحت ثيابهِ[١]، هذا ما كان من أمر سُودُون المظفري؛ وأما ما كان من أمر يَلبُغَا الناصري فأنه رتب جماعة من مماليكه، وألبسهُم آلة الحرب، وأوقفهُم ليقتلوا سُودُون المظفري إذا دخل.

فلما دخل سُودُون من باب دار السعادة تقدم إليه قازان البرقجي أمير أخور يَلبُغَا الناصري، وجس كتفهُ فراهُ لابس من تحت ثيابهِ، فقال لـه: "يا أمير [١١٦/أ] سُودُون الذي يَطلب الصُلح يدخل دار السعادة وهو لابس آلة الحرب"، فشتمهُ سُودُون المظفري، فسلَّ قازان سيفهُ وضرب بهِ سُودُون، فخرجوا إليهِ ذلك المماليك الذي[٢] أكمنهُم يَلبُغَا الناصري، فلما رأوا مماليك سُودُون المظفري ذلك سَلُّوا سُيُوفهم، واتقعوا مع مماليك يَلبُغَا الناصري، فقتل سُودُون المظفري، وقتل معهُ أربعة من مماليكهِ.

وأظهر يَلبُغَا الناصري العصيان بالكليّة، وألتف عليه جماعة من المماليك الأشرفية، وألتف عليهِ تمربُغا الأفضلي المدعو منطاش من مماليك الملك الظاهر برقوق، كان لهُ مُدّة وهو عاص على السلطان، هاجج في البلاد الشامية، فألتف على يَلبُغَا الناصري.

فلما رأى الأمير تلكتمر المحمدي الذي أرسلهُ السلطان في أمر الصُلح بين يَلبُغَا الناصري وبين سُودُون المظفري، فقصد التوجه إلى نحو القاهرة؛ ولولا كان بينهُ وبين يَلبُغَا الناصري صحابة قديمة وإلا كان قتلهُ يَلبُغَا الناصري، وكان السلطان أرسل معهُ مراسيم بقتل يَلبُغَا الناصري[٣]، فلما بلغ يَلبُغَا ذلك أظهر العصيان وخرج عن الطاعة.

فلما حضر الأمير تلكتمر المحمدي إلى عند السلطان، فأخبرهُ بما وقع من هذهِ القضية، فلما بلغ السلطان ذلك أرسل إلى الأمير أينال اليُوسفي تقليدًا بنيابة حلب عُوضًا عن يَلبُغَا الناصري، وكان أينال اليُوسفي أتابكًا بدمشق.

ولما كان يوم الأربعاء تاسع عشر صفر[٤] من السنة المذكورة، نصب السلطان عدّة صواوين في الميدان الذي تحت القلعة، وأرسل خلف سائر

---

[١] في بدائع الزهور ٣٩٦/٢/١: "لابس زردية من تحت ثيابه".
[٢] كذا في الأصل، الصواب "الذين".
[٣] في الأصل "الناصر".
[٤] في بدائع الزهور ٣٩٦/٢/١: "وفي يوم الأربعاء تاسع ربيع الآخر".

الأمراء، فمدَّ لهُم هُناك مَدّة عظيمة، فلما فرغُوا من الأكل وجلس السلطان، فذكر لهُم ما وقع من يَلبُغَا الناصري نائب حلب، ثم أحضر السلطان مُصحفًا شريفًا وحلَّفَ عليه سائر الأمراء من الأكابر والأصاغر بأن يكونوا مع السلطان في [١١٦/ب] الظاهر والباطن سواء، فحلفوا على ذلك، وأنفض المجلس على خير.

ولما كان يوم الإثنين رابع عشرين صفر أعرض السلطان مماليكه بالقصر الأبلق، وعيّن منهم أربعمائة مملوك إلى التجريدة، ثم إن السلطان عيّن جماعة من الأمراء المقدمين إلى التجريدة، وهم: المقر السيفي أيتمش البُجاسي رأس نوبة النُوب، وعيّن المقر الشهابي أحمد بن يَلبُغَا العُمري أمير مجلس، وعيّن المقر السيفي جركس الخليلي أمير أخور كبير، وعيّن المقر الشرفي يُونس النُورُوزي الدوادار، وعيّن المقر السيفي أيدكار العُمري حاجب الحجاب، وعيّن جماعة من الأمراء الطبلخانات ومن العشراوات، وأرسل إليهم النفقة.

ثُم حضر بريدي من الشام، وأخبر بأن عسكر طرابُلس ركبوا على نائبها، ومسكُوهُ وقتلوا من أمرائها جماعة؛ ثم حضر بريدي آخر وأخبر بأن نائب حماه سُودُون العُثماني حضر إلى دمشق هاربًا، وسبب ذلك أن مماليكهُ ركبوا عليه وأرادُوا قتلهُ، وقد اتفقوا مع عسكر حماه على ذلك[1].

وفيها: في يوم الخميس رسم السلطان للأمير بجاس النُورُوزي نائب القلعة بإخراج أمير المؤمنين المُتوكل على الله من البرج، وأمر بإدخاله إلى مكان من داخل القلعة، وأمر بالتضييق عليه، ومنع من يدخل عليهِ مِنَ الناس، ورسم السلطان للأمير مُقبل الزمَام بأن يضيق على الأسياد أولاد السلاطين، ومنع من يدخل إليهم.

ثُم إنَ السُلطان أرسل تقليدًا للأمير طغيتمُر القبلاوي بنيابة طرابُلس، وكان مُقيمًا بدمشق.

وفي يوم الخميس خامس ربيع الأول حضر قاصد الأمير خليل ابن الأمير قراجَا بن ذو الغادر، وأخبر بأن سُنقر نائب سيس خامر، وخرج عن الطاعة، ووافق يَلبُغَا الناصري على العصيان، وتوجه من سيس إلى حلب، ثم رجع إلى سيس حتى يجمع العساكر.

---

[1] في بدائع الزهور ٣٩٦/٢/١ وجواهر السلوك ٢٤٢: النواب خامروا وانضموا إلى يَلبُغَا؛ وهنا أن النواب قتلوا.

وفي يوم السبت رابع عشر [١١٧/أ] ربيع الأول قعد السلطان الملك الظاهر برقوق في مقام سيدي محمد الرُديني الذي هو داخل دُور الحرم السلطانية، وطلب شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلقيني، وطلب أمير المؤمنين المُتوكل على الله، فلما حضر فقام إليه السلطان، وأكرمه، واعتذر إليه مما وقع منهُ في حقه، فأقام عندهُ سَاعة، ثُم خرج من عنده، فأرسل إليه السلطان عشرة آلاف درهم، وأثواب صُوف، وشقق حرير، وصمور، ووشق، وسنجاب، وقاقم، وغير ذلك أشياء كثيرة، ما قيمته نحو ألفين دينار.

وفيها: جاءت الأخبار بأن العسكر الذي أرسلهُ السلطان إلى قتال يَلبُغَا الناصري، فلما وصلوا إلى دمشق فوجدوا يَلبُغَا الناصري[١] قد ملك دمشق، فأتقعوا معهُ وقعة عظيمة بدمشق، فأنكسر الأمراء الذي[٢] أرسلهُم السلطان، وهرب الأمير أحمد بن يَلبُغَا العُمري أمير مجلس، وأيدكار العُمري حاجب الحجاب، وقتل الأمير جركس الخليلي أمير أخور، وهرب الأمير يُونس الدوادار، وأُسر الأتابكي أيتمش البُجاسي، وهربُوا جماعة كثيرة من الأمراء الطبلخانات والعشراوات، وتسحب أكثر المماليك السلطانية ومماليك الأمراء إلى عند يَلبُغَا الناصري، وكان ذلك يوم الإثنين حادي عشرين ربيع الآخر[٣] من السنة المذكورة.

فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحوالهُ وأحضر الأمراء في القصر، وفرَّقَ أمريات الأمراء الذين قد قتلوا في هذه المعركة، فأنعم على الأمير قرابُغَا الأبُو بكري بتقدمة ألف، وعلى الأمير بُجاس النُورُوزي بتقدمة ألف، وعلى الأمير شيخ الصفوي بتقدمة ألف، وعلى الأمير قُرقماس الطشتمري بتقدمة ألف، وعلى الأمير أقبُغَا المارديني بتقدمة ألف، وأنعم على جماعة [١١٧/ب] من الأمراء بطبلخانات وعشراوَات.

وفي يوم الأربعاء مُستهل جُمادى الأول حضر تمربُغَا القجاوي السواق، وكان قد توجه إلى قطيا، بسبب كشف الأخبار فبلغهُ مِن قطيا أن جاليش يَلبُغَا الناصري قد وصل إلى غزة، وأن الأمير حسام الدين بن باكيش نائب غزة أنزلهم بالميدان.

---

(١) في الأصل "الناصر".
(٢) كذا في الأصل، الصواب "الذين".
(٣) في بدائع الزهور ٣٩٧/٢/١: "جمادى الأولى".

فلما باتوا في تلك الليلة كبس عليهم ابن باكيش في الليل، ومسكهُم أجمعين، ولم ينج منهم أحد، وكانوا ثلاثة أمراء ومعهم نحو ثمانين مملوكًا، فقيدَّهم وحبسهُم، فسكن رهج السلطان بهذا الخبر[1].

فلما كان يوم الخميس ثاني جُمادى الأول طلب السلطان أمير المؤمنين المُتوكل على الله محمد، فلما حضر عند السلطان فقام إليه وتلقاهُ وأخلع عليهِ وأركبه حجرة شهبا بسرج ذهب وكنبُوش وسلسلة ذهب، وركب من عند باب النحاس ونزل من القلعة إلى بيته، وكان لهُ يوم مشهود، وكان لهُ مُدّة طويلة في البرج.

ثُم إن السلطان رسم بالإفراج عن جماعةٍ من الأمراء كانوا في السجن بخزانةِ شمايل، فلما حضروا بين يديه أنعم عليهم بأمريات طبلخانات، ورسم لهُم ببرك وقُماش.

ثم إن السلطان نزل إلى الميدان الذي تحت القلعة وأعرض مماليكهُ، وهُم لابسون آلة الحرب، راكبُون على خيُولهم، وصار يسأل كلّ واحد منهم بانفراده، ويقول له: "إيش أنت عاوز؟"، فإذا كان عاوز شيء من آلة الحرب، مثل: قرقل، أو خوذة، أو فرس، فيرسم لهُ بذلك.

ثُم إن السلطان عمل الموكب، وأخلع على من يُذكر من الأمراء، وهُم: سُودُون السيفي تمرباي باق واستقر أمير سلاح؛ وقرا دمرداش الأحمدي واستقر رأس نوبة النوب؛ وقرابُغَا الأبوبكري واستقر أمير مجلس؛ وقُرقماس الطشتمري واستقر أمير دوادار كبير؛ وأقبُغا المارديني واستقر حاجب الحجاب؛ وذلك عُوضًا [١١٨/أ] عن من فُقد في هذه الحركة.

وفي يوم الإثنين حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير علائي الدين ابن الطشلاقي متولي قطيا، وأخبر بأن جاليش يَلبُغَا الناصري قد وصل إلى قطيا.

ثم بعد يومين جاءت الأخبار بأن يَلبُغَا الناصري وصل إلى الصَالحية؛ فلما سمع السلطان ذلك نزل من القلعة، وأمر بشدِّ الخيول، ونادى للأمراء والعسكر بالخروج إلى الريدانية، فلبسوا آلة الحرب، وخرجوا إلى الريدانية، فأقاموا هُناك يومين الأربعاء والخميس، فصار جماعة من المماليك السلطانية يتسللون من عند السلطان، ويتوجهون إلى عند يَلبُغَا الناصري، وكذلك المماليك السيفية مماليك الأمير بركة الجُوباني؛ فعند ذلك طلع السلطان إلى القلعة.

---

(١) لم يرد في بدائع الزهور.

فلما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الأول جاءت الأخبار بأن أوائل عسكر يَلبُغَا الناصري قد وصل إلى عند المطرية، فعند ذلك نزل السلطان من القلعة، فركب، ودُقت الكوسات حربي، وتوجه السلطان إلى عند دار الضيافة، فوقفَ على كومٍ هُناك، وتوجَّه الأمراء إلى قُبة النصر، فأقامُوا هُناك إلى آخر النهار، فرجع السلطان إلى باب السلسلة وبات بهِ.

فلما كانت تلك الليلة هرب أكثر الأمراء إلى عند يَلبُغَا الناصري، ومعهم نحو خمسمائة مملوك، وقد ظهر على السلطان برقوق عين الغلب، وتلاشى أمرهُ، ولم يبق معهُ من الأمراء سوى المقر السيفي سُودُون الفخري نائب السلطنة، وتمربُغَا المنجكي، وسيدي أبي بكر بن سُنقر الجمالي، وبيبرس التمان تمري، وسُودُون الطُرنطاي، وقجماس ابن عم السلطان، وبعض مماليك سلطانية، فأراد السلطان أن يُسلم نفسهُ إلى يَلبُغَا الناصري، فمنعُوهُ الأمراء من ذلك.

فأقام إلى بعد العصر، فوصل الأمير بزلار العُمري، والأمير ألطنُبغَا الأشرفي، والأمير طُقطاي [١١٨/ب] الطُشتمري، ومعهم نحو ألف وخمسمائة مملوك[1]، فوصلوا إلى تحت الطبلخاناة السلطانية، فنزل إليهم بُطا الخاصكي، وسكزباي الخاصكي، ومعهُما نحو عشرين مملوكًا، فترامُوا بالنشاب عند المدرسة المنجكية، فكسروا عسكر يَلبُغَا الناصري، وشحتوهُم إلى بين الترب.

فلما بلغ يَلبُغَا الناصري أن جاليشهُ قدْ انكسر فأراد أن يهرب من هُناك، وأرسل بركهُ وقُماشهُ إلى عند القنطرة التي عند المرج والزيات خوفًا من النهبِ.

فلما كان ليلة الإثنين سابع عشرين جُمادى الأول تسحب من بقي عند السلطان من الأمراء والمماليك، ولم يبق عندهُ سوى سيدي أبي بكر بن سُنقر الجمالي، وبيدمُر المجدي شاد القصر، فطلبُهما السلطان وأرسلهُما إلى يَلبُغَا الناصري، وأرسل معهُما التُرس والنمجاة إلى عند يَلبُغَا الناصري، وأرسل يقول لهُ: "السلطان يُسلم عليك، ويقول لك بأن تأمنهُ على نفسهِ".

فلما وصلا إلى يَلبُغَا الناصري وذكروا لهُ ما قالهُ السلطان، فقال يَلبُغَا الناصري: "هو أمنٌ على نفسهِ من القتل، ولكن قُولا لهُ يغيّب من القلعة ويختفي أيامًا، حتى تنكسر حدّة الذين حضروا من الشام".

---

(1) في بدائع الزهور ١/٢/١ ٤٠: "خمسمائة".

فلما رجعا إلى السلطان برقوق بهذهِ الرسالة، وأخبراهُ بذلك فقعد في الأسطبل السلطاني هو والخليفة حتى صلى العشاء، وقام الخليفة من عنده، فبقي وحدهُ، وعندهُ من المماليك الجمدارية نحو خمسة، فأمرهم بالانصراف، فلما انصرفوا قام برقوق من مكانه وتنكر ولبس عمامة، ونزل من الأصطبل واختفى؛ فعند ذلك وقع النهب في الحواصل السلطانية، وذلك في ليلة الإثنين خامس جمادى الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

وكان سبب عداوة يَلبُغَا الناصري مع السلطان برقوق، لأنهُ سجن يَلبُغَا الناصري في ثغر الإسكندرية مرتين، ونزل به وهو مُقيدٌ المرة الأولى في دولة الملك المنصُور عليّ ابن الأشرف شعبان، وكان يَلبُغَا الناصري أمير سلاح.

والمرة الثانية في دولة الملك الظاهر برقوق، فأرسل برقوق قبض على يَلبُغَا الناصري [١١٩/أ] وكان يَلبُغَا الناصير نائب حلب؛ ثم إن برقوق أفرج عن يَلبُغَا الناصري ثاني مرة وأعادهُ إلى نيابة حلب.

فلما جرى لهُ مع سُودُون المظفري ما تقدم ذكره، وقتل سُودُون المظفري فأظهر يلبُغَا الناصري العصيان، وخرج عن الطاعة، واتفق مع النُواب وتوجهوا إلى الديار المصرية، فكانت النُصرة ليَلبُغَا الناصري على السلطان برقوق، وتحكمَّ في يَلبُغَا الناصري كما يختار، ولولا كان في أجل برقوق مُهلة وإلا كان يَلبُغَا الناصري قتلهُ لا محاله، فكان كما يُقالُ في المعنى:

توقع كيد من خاصمت يومًا ولا تركن إلى وِدِّ الأعادي
فإنّ الحجر ينكث بَعْدَ حينٍ إذَا كَانَ البنَاءُ عَلَى فَسَادِ[1]

فلما اختفى برقوق ووقع النهب في الحواصل، وذلك في ليلة الإثنين.

فلما أصبح يوم الإثنين وصل يَلبُغَا الناصري، وصُحبتهُ تمربُغَا الأفضلي منطاش، فوقفوا في سُوق الخيل ساعة، فأتى إليهم أمير المؤمنين، فاجتمعوا كلهم في باب السلسلة، واشتوروا في ذلك اليوم فيمن يسلطنُوهُ، وباتوا تلك الليلة بلا سلطان.

فلما أصبحوا يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وقع الاتفاق من يَلبُغَا الناصري وبقية الأمراء على عود الملك الصالح أمير حاج ابن الملك الأشرف شعبان، فطلع الأمراء إلى الحوش السلطاني، ثم طلبوا الملك الصالح، فخرج إليهم من دُور الحرم، فقامُوا إليه

---

[1] بحر الوافر.

الأمراء وباسوا لهُ الأرض، وطلبوا الخليفة والقضاة الأربعة وبايعهُ الخليفة؛ وتسلطن في ذلك اليوم المذكور، وهذه السلطنة الثانية، وكان ذلك على غير القياس بعد أن تسلطن [١١٩/ب] برقوق، ومكث هذه المدّة، فكان كما قال القائلُ في المعنى:

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ صَبْرًا   إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرَا

كم لزمنا الصبر حتى   عاد ليل الهم فجرا[1]

فكانت مُدة سلطنة الملك الظاهر برقوق بالديار المصرية في هذه المرة ست سنين وثمانية أشهر وسبعة وعشرين يومًا؛ **وكانت مُدَّة إقامته في الأتابكيّة** خمس سنين إلا أشهر؛ فحكم بالديار المصرية أتابكًا وسلطانًا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر[2] يَومًا، فهذه كانت مُدَّتهُ الأولى إلى أنْ يَعُود إلى السلطنةِ ثاني مرة، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعهِ إن شاء الله تعالى.

---

[1] بحر مجزوء الرمل.

[2] في بدائع الزهور ٤٠٣/٢/١: "سبعة وعشرين يومًا".

ذكر

عود الملك الصالح أمير حاج

ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين إلى السلطنة[1]

وهي السلطنة الثانية، فلما كان يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، حضر القضاة والخليفة وسائر الأمراء، وأحضروا الملك الصالح، وبايعه الخليفة، وأحضروا لهُ خلعة السلطنة، وركب بشعار السلطنة من الحوش السلطاني إلى القصر الأبلق.

ثم إن الأمير يَلبُغَا ومنطاش غيّروا لقب الملك الصالح، ولقبُوهُ بالملك المنصور، وهذا لم يتفق لأحد غيرهُ مِنَ الملوك، فإنّ الملك الناصر محمد بن قلاوُن تولى السلطنة ثلاث مرات، ولم يتغير لقبه.

ثم نادوا في مصر والقاهرة بالدعاء للسلطان الملك المنصُور، فضج الناسُ لهُ بالدُعاء، فجلس على سرير الملك وتمت بيعتهُ في ذلك اليوم.

فلما كان يوم الخميس عمل السلطان الموكب، وطلع إليه سائر الأمراء، فلما تكامل الأمراء في الموكب، فقبض المقر السيفي يَلبُغَا الناصري على جماعة من الأمراء، وَهُم: المقر السيفي سُودُون [١٢٠/أ] الفخري الشيخوني نائب السلطنة، والأمير سُودُون باق، والأمير سُودُون الطرنطاي، وأبو بكر بن سُنقر الجمالي حاجب الحجاب، والأمير بُجاس النُورُوزي، والأمير أقبُغا المارديني، والأمير شيخ الصفوي، والأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق، والأمير محمود بن عليّ الظاهري أستادار العالية، فعِدّة من مُسك في ذلك اليوم من الأمراء المقدمين تسعة.

وأما من الأمراء الطبلخانات، والأمراء العشراوات نحو ثمانية وستين أميرًا[2]، حتى كادتْ القاهرة أن تخرب عن آخرها.

---

[1] أخباره في بدائع الزهور ٤٠٤/٢/١-٤٣٣؛ جواهر السلوك ٢٤٥-٢٥٥.

[2] في جواهر السلوك ٢٤٥: "أربعين أميرًا".

وَكَانَ لما حضر يَلبُغَا الناصري وتمربُغَا الافضلي منطاش، وبقية الأمراء والنواب، ودخلوا إلى القاهرة دخل معهم السواد الأعظم من العربان والعشير والتركمان وغير ذلك، فلما دخلوا إلى القاهرة وجدوا أبوابها مقفولة، فجاء الأمير ناصر الدين أستادار أرغون اسكي[1]، وكان قد حضر من الشام صُحبة العسكر، فدق باب النصر فلم يفتحُوا لهُ، فدخل مِن بَابِ سرّ جَامع الحاكم بفرسه، وفتح باب النصر وباب الفتوح، فدخلوا بعض جماعة من التركمان ومن العشير، فنهبُوا عدّة دكاكين من باب النصر إلى الرُكن المخلّق، وأخذوا بعض قماش للناس، والتفت عليهم جماعة من الزعر، وقصدوا ينهبوا بيوت الأغنياء والأسواق، وَكادَتْ مصر أن تُنهب عن آخرها في هذهِ الحركة، وقد اضطربت الأحوال ولا سيما لما اختفى السلطان برقوق.

فلما بلغ يَلبُغَا الناصري ذلك أرسل جماعة مِنَ الأمراء الرؤوس النوب، وَنَادى بالأمان والاطمان، وأي من نهب شيء يردهُ وإلا شنق، فانكفوا النهابة عن النهب، ونام جماعة من الأمراء عند بَابِ الجمَّلون وعند باب زُويلة، فسكن الأمر قليلاً، فلما تسلطن الملك المنصور[١٢٠/ب] ونادى بالأمان والاطمان، فرح الناسُ بذلك، وخمدت الفتنة.

ثم إنَ يلبُغَا الناصري لما مسك من تقدم ذكرهُ من الأمراء في اليوم المذكور، ثم إنَ الأمراء تكلموا مع يَلبُغَا الناصري في أمر الأمراء الذي[2] مسكوا، فأفرج عن جماعة منهم، وهم: المقر السيفي شيخ الصفوي، والأمير صوَاب السعدي مُقدم المماليك، والأمير عليّ بن أقتمر عبد الغنى، وتنكزبُغَا السيفي يَلبُغَا، وبُجمان المحمدي، وبُوري الحلبي الأحمدي، والأمير مُقبل الزمَام، وحُسين بن الكورَاني، وأقبُغَا الأجيني، إبراهيم بن طشتمر الدوادار، وعبد الرحيم بن منكلي بُغَا الشمسي، وخليل بن تنكزبُغَا، وأزدمُر الشرفي، وقُماري الجمالي، ومحمد بن أقتمر الحنبلي، ومحمد بن قُرطاي الكركي، وأمير حاج بن أيدغمش، وخليل بن قُرطاي شاد العمائر، وأحمد بن حاجي بك، وموسى بن أبو بكر بن سلار النائب، وقلرطاي بن ألجاي اليُوسُفي، وجَامَان أخو يَايق، فهذه جُملة من أفرج عنهُم بالقاهرة، ولم يكنْ منهم منَ الأمراء المقدمين سوى الأمير شيخ الصفوي والبقية أمراء طبلخانات وعشراوات[3].

---

(1) في بدائع الزهور ٤٠٥/٢/١: "الأمير أرغون الأيبكي".
(2) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(3) الخبر في بدائع الزهور ٤٠٥/٢/١: بدون ذكر أسماء الأمراء الذين أفرج عنهم.

ثـم إنَ يَلبُغَـا الناصــري قيّـد بقيّــة الأمــراء، وأرسـلهم إلــى الســجن بثغــر الإسكندرية، ثم أفرج عنْ منْ كـان فـي السجن بثغر الإسكندرية، وهُم: الأمير ألطنبُغَا الجُوبَاني، والأمير ألطنبُغَا المعلم، والأمير قُردم الحسني، فحضروا إلـى القاهرة في يوم الأربعاء سابع جمادى الآخر من السنة المذكورة، هذا مـا كـان من الأمور الحادثة في أوائل سلطنة الملك المنصور أمير حاج.

ومـن هنـا نرجـع إلـى أخبـار الملـك الظـاهر برقـوق، فأنـه قد اختفـى فـي ليلـة الثلاثاء، كما تقدم ذكر ذلك، فبينمـا يَلبُغَـا الناصـري جَـالس إذ دخل عليـه مملـوك من مماليك أبا يزيد الخازن، يُقالُ لهُ سُنقر، فقالَ [١٢١/أ] ليَلبُغَـا الناصـري: "إنّ الملك الظاهر برقُوق مُخبى عند أستاذي فـي بيـت شـخص خيَـاط"، فطلـب يَلبُغَـا الناصري أبو زيد الخَازن وسألهُ عن أمر الملك الظاهر برقُوق، فـأنكر ذلـك، ثـم أقـرَّ بأنّـه عنـدهُ، فقـالَ لـهُ يَلبُغَـا الناصـري: "أمَـا سـمعتَ المنـاداة، بـأن مـنْ خبـى السلطان برقُوق عندهُ كانت رُوحهُ قبالة ذلك"، فقال لهُ أبو يزيد: "يا خوند أنـا مـا خبيتهُ عندي إلا وقدْ فرغتُ عنْ نفسي، فأني أكلتُ خُبزهُ وملحُهُ، فلما دخل عندي مَـا قـدرت أردَّهُ"، فقـال لـه يَلبُغَـا الناصـري: "أنـزل وأحضـره"، ثـم أرسـل معـهُ الأمير ألطنبُغَا الجُوباني.

فلما وصلوا إلى البيت الذي فيه برقُوق، فطلـع إليـه الأمير ألطنبُغَـا الجُوبـاني بمُفرده، فلما وقعت عينهُ علـى برقـوق جرى ألطنبُغَـا الجُوبـاني ليقبل يده، فـأبى برقُوق مـن ذلـك، فقـال لـهُ ألطنبُغَـا: "يـا خونـد أنـت أسـتاذنا كلنـا مماليكـك"، فقـام برقـوق ولـبس علـى رأسـهِ عمامـة وتطيلس عليهـا، وركـب إلـى جانـب ألطنبُغَـا الجُوباني، ومعهُما أبا يزيد فـي الترسيم، فأطلعـاهُ إلـى الأسطبل السلطاني ومنـه إلى القصـر الكبير، فحُبس في قاعة الفضّة المُطلّة سبابيكها على الإيوان.

ثـم إنَ يَلبُغَـا الناصـري قـال لأبـي يزيـد: "أحضـر لنـا الـذي أودعـهُ السـلطان برقوق عندك من المـال"، فأحضـر كيسًـا فيـه ألـف دينـار، وقـال: "والله مـا أودع عندي غير هذا الكيس"، فقـال لـهُ يَلبُغَـا الناصـري: "خـذهُ لـك، ومثلـك مـن يخـدم الملوك"، ثم أفرج عنهُ ونزل إلى بيته.

ثم إنَ الملك الظاهر برقُوق أقام في قاعة الفضة[1] أيامًـا، ورتبـوا لـهُ سـماطًا، وتركوا عنـدهُ مملـوكين[2] كتابيـة يخدمـاهُ، فأقـام إلـى ليلـة الخمـيس ثـاني عشـرين جمادى الآخر من السنة المذكورة، فطلع إليهِ الأمير ألطنبُغَا [١٢١/ب] الجُوبـاني

---

[1] في بدائع الزهور ٤٠٩/٢/١: "قاعة النحاس".
[2] في بدائع الزهور ٤٠٩/٢/١: "ثلاثة مماليك".

في ثلث الليل الأول من باب القرافة، ونزل بالملك الظاهر برقوق من باب الدرفيل، وأركبهُ على هجين، وركب معهُ ألطنبُغَا الجُوباني وبعض مماليك، وتوجهوا من على قبةِ النصر، ومنها إلى ناحية عجرود، ثم إنَ أولاد الأمير عيسى بن مهنا شيخ العرب تسلمُوا الملك الظاهر برقوق، وتوجهوا بهِ إلى نحو الكرك، وتوجه صُحبتهُ جماعة من مماليك ألطنبُغَا الجُوباني، حتى أوصلُوهُ إلى الكرك، فسُجن بها، وكان نائب الكرك يومئذٍ الأمير حُسام الدين الكجكني.

فلما وصل الملك الظاهر برقُوق إلى الكرك، أنزلهُ النائب بقلعة الكرك، في مكان يُعرف بقاعة النحاس[1]، فقيد وسجن بها، وقدْ زال مُلكهُ، فكان كما قيل في المعنى:

عَلَى قَدرِ فَضلِ المَرءِ تَأتِي خُطوبُهُ ... وَيُعرَفُ عِندَ الصَّبرِ فِيمَا يَنُوبُهُ
وَمَنْ قَلَّ فِيْمَا يَتَّقِيهِ اصْطِبَارُهُ ... فقد قَلَّ فِيْمَا يَرْتَجِيْهِ نَصِيْبُهُ[2]

هذا ما كان من أمر الملك الظاهر برقُوق.

وأما ما كان من أمر الملك المنصُور أمير حاج والمقر السيفي يَلبُغَا الناصري، فأنَ السلطان عمل الموكب، وأخلع على من يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي بزلار العُمري واستقر نائب الشام؛ وأخلع على المقر السيفي كمشبُغَا الحموي واستقر نائب حلب؛ وأخلع على المقر السيفي سَنجق الحسني واستقر نائب طرابُلس؛ وأخلع على المقر السيفي قطلوبُغَا الصفوي واستقر نائب صفد؛ وأخلع على المقر الشهابي أحمد بن المهمندار واستقر نائب حماه؛ وأخلع على الأمير بُغَاجق السيفي صُرغتمش واستقر نائب مَلطيّة؛ ورسم للنُواب بأنْ يتوجهوا إلى محل نيابتهم لأجل عمارة البلاد، فتوجهوا إليها من غير تأخير.

ثم نادوا في القاهرة بأن مماليك الظاهر برقُوق لا يُقيم منهم أحد بالقاهرة إلا الذين في خدمة الأمراء، وأيّ من وُجد منهم بعد خروج النُواب شُنق من غير معاودة، وكرروا النداء بذلك [١٢٢/أ] مرات.

ثم إنَ السلطان عمل الموكب في يوم الإثنين سادس عشرين جمادى الآخر، وأخلع على من يُذكر من الأمراء أرباب الوظائف، وهُم: المقر السيفي يَلبُغَا الناصري واستقر أتابك العساكر بالديار المصرية؛ وأخلع على المقر السيفي قرا دمرداش الأحمدي واستقر أمير سلاح؛ وأخلع على المقر الشهابي أحمد بن يَلبُغَا

---

(١) في بدائع الزهور ١/٢/٤٠٩: "الطارمة".

(٢) بحر الطويل؛ البيتان لابن ظفر الصقلي، (انظر: خريدة القصر - قسم الشام- ٣/ ٥٢؛ وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٧)؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

العُمري واستقر أمير مجلس على عادتهِ؛ وأخلع على المقر السيفي ألطنبُغَا الجُوباني واستقر رأس نوبة النُوب؛ وأخلع على المقر السيفي تمُربَاي الحسنى واستقر حاجب الحجاب؛ وأخلع على المقر السيفي ألابُغَا العُثماني واستقر دوادار كبير؛ وأخلع على المقر السيفي أقبُغَا الجوهري واستقر أستادار العالية؛ وأخلع على ألطنبُغَا الأشرفي واستقر رأس نوبة ثاني؛ وأخلع على قُطلو بك السيفي يَلبُغَا واستقر أمير جاندار؛ وأنعم على جماعة كثيرة من الأمراء بتقادم ألوف، وعلى جماعة منهُم بطبلخانَات، وعشراوَات.

وَمِنْ الحوَادثِ في هذهِ السنةِ: أن في يوم الإثنين سادس عشر شعبان، أشيع بين الناس أن المقر السيفي تمربُغَا الأفضلي منطاش ضعيف، فدخل إليه الأمير ألطنبُغَا الجُوبَانى رأس نوبة النُوب، ليُسلم عليهِ فمسكهُ، ومسك مماليكه، ثم إنَ منطاش ألبس مماليكه آلة الحرب، وركب وطلع إلى الأسطبل السلطاني، وأخذ جميع الخيول الذي[1] بهِ إلى بيتهِ، وكان معهُ نحو أربعين مملوكًا، فأرمى عليهِ الأمير أقبُغَا الجوهري بالنشاب من بيتهِ، فأرسل إليه منطاش جماعة من مماليكهِ مع العوام، فنهبوا بيت أقبُغَا الجوهري، وأخذوا خيلهُ وقماشهُ، فهربَ أقبُغَا الجوهري واختفى.

ثم إنَ منطاش أرسل الأمير تنكز بُغَا اليَلبُغَاوي ومعهُ جماعة من المماليك، فطلعُوا على مدرسة السلطان حسن، وصاروا يرمون على كل من يمشي [١٢٢/ب] في سوق الخيل.

فتسامعت بهِ المماليك الظاهرية والمماليك الأشرفية فحضروا إلى عند منطاش، وكذلك مماليك الأسياد، فاجتمع عند منطاش في ذلك اليوم نحو خمسمائة[2] مملوك، وكان معهُ أول ما ركب المماليك دُون الأربعين مملوك، فتحايا وركب بمن معهُ من العسكر، وطلع إلى الرملة، فنزل إليه يَلبُغَا الناصري أو تقع معهُ وقعة عظيمة، وذلك في يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان، وصار العوام يُساعدون منطاش بالحجارة والمقاليع، ويلقطُون النشاب الذي[3] يَرمُون عُصبة يَلبُغَا الناصري، ويحضروهُ إلى منطاش.

---

(1) كذا في الأصل، الصواب "التي".
(2) في بدائع الزهور ١/٢/ ٤١٢: " نحو ألف مملوك".
(3) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

وفي ذلك اليوم تكامل عند منطاش نحو ألفين مملوك، وحضر إلى عنده من الأمراء المقدمين: قرا دمرداش الأحمد، وألطنبُغَا المعلم، وأحمد بن يَلبُغَا العُمري، وعبد الرحيم بن منكلي بُغَا الشمسي، وغير هؤلاء من الأمراء المقدمين والطبلخاناة والعشراوات[١].

ثم إنَ ناصر الدين بن الطرابُلسي الزردكاش أمرهُ منطاش بأن يطلع مِنْ أَعلى مآذن[٢] مدرسة السلطان حسن، ويرمي بالمدافع على من في الأسطبل السلطاني، فامتنع ناصر الدين ابن الطرابُلسي من ذلك، فعراهُ منطاش وقصد يوسَّطهُ، ثم أطاع وأرمى على من في الأسطبل، فهربوا الذي[٣] كانوا في الأسطبل[٤].

ثم إنَ يَلبُغَا الناصري ركب مكاحل على المدرسة الأشرفية التي في رأس الصُّوة، وأرمى على من في سوق الخيل، فلم يفد من ذلك شيئًا، ثم صار جماعة من المماليك السلطانية يتسحبُون من عند يَلبُغَا الناصري ويجوا إلى عند منطاش، ولم يزل القتال عمّال بينَ الفريقين يومين.

فلما رأى يَلبُغَا الناصري أن حالهُ قد تلاشى، ورأى عين الغُلب، فهرب هُو وجماعة من الأمراء منهم مَأمُور القلمطاوي، وألابُغَا العُثماني، وأقبُغَا الجوهري، وكشلي، [١٢٣/أ] وغير ذلك من الأمراء وخرجوا من ناحية باب القرافة، وتوجهوا إلى الجبل المُقطم، وخرجوا من الجبل الأحمر، وقصدوا التوجه إلى نحو الشام، وكان يَلبُغَا الناصري أَرْشَلُ قليل الحظ، كما قيل:

قليل الحظ ليس لهُ دواءٌ ... ولو كان المسيح لهُ طبيبُ[٥]

هذا ما كان من أمر يَلبُغَا الناصري.

وأمَا ما كان من أمر تمربُغَا الأفضلي منطاش ومن معهُ، فأنهُ لما هربَ يَلبُغَا الناصير ركبَ منطاش وطلع إلى الأسطبل السلطاني، ووقع النهب في حواصل يَلبُغَا الناصري، فنُهبَ لهُ شيء كثير.

---

(١) لم يرد هذا الخبر في بدائع الزهور.
(٢) في الأصل "موادن".
(٣) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(٤) لم يرد هذا الخبر في بدائع الزهور.
(٥) بحر الوافر.

فلما كان يوم الخميس تاسع عشر شعبان جاءت الأخبار بأنَ يَلبُغَا الناصري مُسك هو والأمراء الذي[1] كانوا صُحبتهُ، وأنهُ مُسك من نواحي بلبيس، فطلع إلى القلعة، وحُبس بقاعة الفضة[2]، كما فعل بالظاهر برقوق، والمجازاة من جنس العمل، ثُم قيّدوا يَلبُغَا الناصري ومن كان صُحبته من الأمراء، وأرسلوهم إلى السجن بثغر الإسكندرية، فكان عدّة من نفي في هذه الحركة من الأمراء المقدمين تسعة ممن كان من عُصبة يَلبُغَا الناصري، ومن الأمراء العشراوات جماعة كثيرة.

ثم إنَ منطاش رسم بالإفراج عن سُودُون الفخري النائب من ثغر الإسكندرية[3]؛ ثم إنَ منطاش أعرض المماليك الظاهرية بالأسطبل السلطاني، فلما طلعُوا غلق عليهم الباب، ومسك منهُم نحو مائتي مملوك، وحبسوهم في أبراج القلعة؛ ثم أفرج عن من كان بثغر دمياط من الأمراء، وهُم: شيخ الصفوي[4]، وألطنبُغَا العُثماني، وبُطا الطُولُو تمري، وألطنبُغَا شادي، وغير هؤلاء من الأمراء.

ثم إن السلطان الملك المنصور عمل الموكب في القصر، وأخلع على جماعة من الأمراء عُوضًا عنْ منْ سُجن منهم.

ثم إنَ في العشر الأخير من شهر رمضان[5] جاءت الأخبار من الكرك، بأن الملك الظاهر برقُوق قد ملك قلعة الكرك، وعصى بها، وسبب ذلك أنَ منطاش لما قبض علي يَلبُغَا الناصري ظن أن الوقت قد صفا لهُ، فأرسل شخصًا [١٢٣/ب] من البريديّة إلى الكرك، يُسمى الشهاب البريدي، وأرسل على يدّهِ مِثال شريف إلى نائب الكرك، بقتل الظاهر برقُوق.

فلما حضر ذلك البريدي إلى الكرك، فأحسَّ برقُوق بالشرِّ، وكان حضُور البريدي في أواخر شهر رمضان، وكان الملك الظاهر لما حُبس بقاعة النحاس التي بالكرك، كان لها شبابيك إلى ناحية الخليل عليه السلام، فكان برقوق يقف

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(٢) في بدائع الزهور ١/٢/٤١٢- ٤١٣: "قاعة النحاس".
(٣) في بدائع الزهور ١/٢/٤١٣: "وكان بثغر دمياط"
(٤) في بدائع الزهور ١/٢/٤١٣: أن شيخ الصفوي كان بالقدس بطالا وليس في ثغر دمياط كما هو مذكور هنا.
(٥) في بدائع الزهور ١/٢/٤١٣: "في شوال".

في الشباك في كلِّ يوم ويقول: "يا خليل الله، أنا في حسبك"، فقيل: إن شخصًا من الثُّقات رأى الخليل عليه السلام في المنام، وهو يقولُ لهُ: "برقوق منصُور ويعُود إلى السلطنة".

فلما حضر الشهاب البريدي إلى الكرك تنسّم الحاج عبد الرحمن البابا الذي في خدمة الظاهر برقوق، وكان أصله من الكرك، ولهُ أقارب بالكرك، فلما كان تلك الليلة كانت توبة أبو علوان السجان، وكان من أقارب الحاج عبد الرحمن البابا فعرَفه أنَ البريدي ما حضر إلا ليقتل برقوق، فأنزلوا ذلك البريدي في مكان يُسمى الطارمة بجانب القاعة التي فيها برقوق، وكان نائب الكرك في كلِّ ليلة من شهر رمضان ما يفطر إلا عند الملك الظاهر برقوق.

فلما كانت تلك الليلة لم يحضر النائب إلى عند برقوق، فتخوف برقوق من ذلك، وقال: "ما أكل إلا أنْ يحضر النائب"، ثم إنهُ حضر بعد ساعة وأكل مع الظاهر برقوق، ثم إنَ الحاج عبد الرحمن البابا، وأقاربه من كان من أصحابه، دخلوا على الشهاب البريدي، وقتلُوهُ في الطارمة، وقتلوا من كان معهُ، ثم دخلوا على نائب الكرك، وأرادوا قتله في تلك الليلة، فاستجار بالملك الظاهر برقوق، فأجارهُ من القتل، ثم قبضوا عليه وسجنوهُ، وملك برقوق قلعة الكرك والمدينة وحلفوا لهُ أهل الكرك أنَّهم ما يغدرُوهُ، فتسامعتْ بذلك الناس والعربان، وحضروا إليهِ جماعة من مماليكهِ ممن كانوا مُشتَّتين في البلادِ الشامية. [١٢٤/أ]

فلما جاءت الأخبار إلى الديار المصرية بما وقع للظاهر برقوق، فاضطربت أحوال المقر السيفي منطاش.

فلما كان يوم الثلاثاء سابع شوال[1] عمل السلطان الموكب، وأخلع على من يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي تمربُغَا الأفضلي منطاش واستقر أتابك العساكر بمصر عُوضًا عنْ يَلبُغَا الناصري؛ وأخلع على المقر السيفي قطلوبُغَا الصفوي واستقر أمير سلاح؛ وأخلع على المقر السيفي أسندَمُر الشرفي واستقر أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي تمان تمُر الأشرفي واستقر رأس نوبة النُوب؛ وأخلع على ألطنبُغَا الحلبي واستقر دوادار كبير؛ وأخلع على إلياس

---

[1] في جواهر السلوك ٢٤٨: "يوم الإثنين ثامن شوال".

الأشرفي واستقر أمير أخور كبير، وأنعم على جماعة من الأمراء بتقادم ألوف، وعلى جماعة منهم بطبلخانات، وعلى جماعة منهم بعشراوات.

ثم إنَ الأتابكي منطاش عيّن جماعة من هذهِ الأمراء إلى التجريدة بسبب الظاهر برقوق، ثم إن في هذه القضيّة حضر شخص من العُربان الشامية، وأخبر بأن الملك الظاهر برقوق نزل من قلعة الكرك، وهو هاربٌ، وأن العُربان قد أحتاطوا بهِ، ولم يكن لهذا الكلام صحة، وهذا الهجان الذي جاء بهذا الخبر، أرسله الظاهر برقوق لتبطيل التجريدة إلى أنْ يستقيم أمرهُ، فأخلعوا على الهجان الذي جاء بهذا الخبر خلعة، فكان ذلك أول مكيدة صعدت للظاهر برقوق، وبطل أمر التجريدة.

وفي خامس عشر شوال جاءت الأخبار من البلاد القُوصية بأن مماليك الظاهر برقوق الذي[1] كانوا هُناك منفيّين ركبُوا على والي قُوص، وخرجُوا عن الطاعة، وأنهم قاصدون يتوجهوا إلى الكرك من عند وادي القصب إلى السويس، فلما بلغ منطاش ذلك، أرسل لهُم تجريدة.

ثم جاءت الأخبار من البلاد الحلبية بأن كمشبُغَا الحموي نائب حلب خرج عن الطاعة وأظهر [١٢٤/ب] العصيان.

ثم جاءت الأخبار بأن الأمير حُسام الدين ابن باكيش نائب غزة، لما سمع بخروج الظاهر برقوق جمع العشير وعسكر غزة، فقيل: أنهُ اجتمع عندهُ نحو اثني عشر ألف مقاتل[2]، وقصد التوجه إلى نحو الكرك، ليقاتل الظاهر برقوق، وقد تواترتْ الأخبار بأن الظاهر برقوق خرج من الكرك، وهو قاصد نحو الشام، هذا ما كان من أخبار القاهرة.

وأما ما كانَ مِنْ أمر الملك الظاهر برقوق فإنه لما بلغه بأن حسام الدين بن باكيش نائب غزة قد جمع عسكر ثقيل، وهو قاصد لقتاله، فقصد برقوق بأن يتحصَّنَ ويقعد في قلعة الكرك، وكان الماء بها قليلًا، ثم بدا للظاهر برقوق بأن يخرج من الكرك، ويتوجه إلى نحو الشام، وكان هذا عين الصواب، وَقَدْ خدم سعدهُ في حركاتهِ، كما قال القائل في المعنى:

---

[1] كذا في الأصل، والصواب " الذين".

[2] لم يرد ذكر جيش نائب غزة في بدائع الزهور.

إنْ خَانَكَ الدَّهْرُ فاصبر ولا تقول قط ياليتْ
وذا خدم نجم سعدك اعمل مع السعد ما شيتْ[1]

فخرج من الكرك في يوم الأحد سادس عشرين شوال، وكان معهُ لما خرج من الكرك نحو المائتين وخمسين إنسانًا، منهُم تُرك نحو المائة فارس، فلما وصل إلى مكان يُقالُ لهُ الثنيه[2]، فتسامعتْ به العُربان، فاجتمع عندهُ من العُربان نحو ألف إنسان، ثم توجه من الثنيّه إلى نحو الشّام، وصار كلما يمُر ببلدٍ خرج إليه أهلها، وتوجهوا معهُ ويحضروا لهُ بالإقامَات والعليق والضيافات، ثم حضر إلى عند الظاهر برقوق قراجَا المعرُوف بفرج الله، ومعه من العُربان نحو مائة فارس، فقوي قلب الظاهر برقوق، فبينما هو في أثناء الطريق تلقاهُ حسام الدين بن باكيش في عسكر ثقيل، كما تقدم، فحين وقعت عين الظاهر برقوق عليهم فانهزمُوا أجمعين من وجههِ، فلما انهزموا نهبُوهم عسكر الظاهر برقوق وأخذوا كلّ مالهم منْ بركٍ وقماش ودواب[3] وسلاح، فقوي عسكر برقوق [١٢٥/أ] بذلك وترقَّع حالهم، ثم وصلَ إلى شقحب، فخرج إليه عسكر دمشق، فوقع بينهما هُناك وقعة عظيمة، فقُتل بها من الأمراء الشاميّين ستة عشر أميرًا، ومن المماليك نحو خمسين مملوكًا، وقتل من عسكر برقوق نحو عشرة أنفس، وانكسر العسكر الشامي كسرة قوية، وانهزموا إلى دمشق[4].

ثم جاءت الأخبار إلى القاهرة بأن أينال اليُوسفي كان محبوسًا بقلعة صفد، فخرج وملك قلعة صفد، وسبب ذلك أن مملوكًا من مماليك الظاهر برقوق، يُقالُ لهُ يَلبُغَا السالمي كان دوادار قُطلو بك النِّظامي نائب صفد، فلما خرج منها إلى الشام، ليُساعد نائب الشام على قتال الظاهر برقوق، فبقت صفد خالية بلا نائب، بلا عسكر.

فلما انتصر برقوق على عسكر الشام وكسرهُم، اتفق يَلبُغَا السالمي مملوك الظاهر برقوق مع حاجب صفد ونائب القلعة، وأخرجوا الأمير أينال اليُوسفي من السجن، وأخرجوا معهُ من المماليك المسجونين نحو مائتي مملوك، وملكوا قلعة صفد، فلما رجع نائب صفد وهو مكسور، فحضر إلى صفد، وأراد أنْ

---

[1] لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.
[2] التي تعرف بثنية العقاب المشرفة على الغوطة. (خطط الشام، ٧٩/١).
[3] في الأصل "ذواب".
[4] الخبر جاء مفصلا عما ورد في بدائع الزهور. (انظر بدائع الزهور ٤١٦/٢/١).

يطلع إلى القلعة، فمنع من ذلك، واستولى أينال اليُوسفي على جميع حواصل قُطلو بك، ثم أرموا على قُطلو بك بالنشاب، فولى هاربًا.

ثم جاءت الأخبار إلى القاهره بأن نائب حماه، وقُطلو بك نائب صفد، وجماعة من عسكر دمشق، ومن أمرائها، قد وصلوا إلى قطيا، فرحلوا إلى القاهرة في يوم الأحد خامس عشرين شوال.

فلما جرى ذلك أمر منطاش بأن يُعقد مجلسًا في القصر، وأرسل خلف أمير المؤمنين والقضاة الأربعة، فلما تكامل المجلس، قام القاضي كاتب السرِّ وأعرض على أمير المؤمنين والقضاة، صفة سؤال وهو: "ما تقول السادة العلماء في رجلٍ خلع الخليفة وسجنهُ وقيّدهُ منْ غير مُوجب لذلك، وقتلَ رجلًا شريفًا في الشهر الحرام في البلد الحرام، واستحل أخذ الأموال من الناس، بغير [١٢٥/ب] حق، واستعان بالكفار على قتال المُسلمين"، وكتبُوا من هذا السؤال عدة نسخ.

فأول من كتب على ذلك شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلقيني، ثم القُضاة الأربعة وأعيان العُلماء، وأرسلُوا هذه الفتاوى، وعليهم خُطوط العلماء إلى سائر الثغور، حتى يعلموا بأن برقوق خارجي، وقدْ وجب قتالهُ كما أفتت العُلماء بذلك.

ثم جاءت الأخبار من دمشق بأن الظاهر برقوق بعد أن دخل إلى دمشق وملكها، ونزل بالميدان الكبير، كبسُوا عليه أهل دمشق، وأخرجُوهُ مِنَ الميدان هاربًا.

وكان سبب هذه الواقعة أن الظاهر برقوق لما كسر عسكر دمشق، أقام على قُبة يَلبُغَا التي هي خارج دمشق، فحضر إلى عنده المقر السيفي كمشبُغَا الحموي نائب حلب، فوجد الظاهر برقوق في خيمة صغيرة خلقة، فأحضر لهُ كمشبُغَا الحموي مُدوّرة عظيمة، وأحضر لهُ بيُوتَات مثل طشتخاناة وفرشخاناة وشربخاناة، وغير ذلك من قُماش وأوان وفُرش، حتى أحضر لهُ الخليليّة[1] لأجل النوبة، وصار الظاهر برقوق سلطانًا كما كان أولًا، وقد قال القائلُ في المعنى:

---

[1] في بدائع الزهور ٤١٩/٢/١ وجواهر السلوك ٢٥٠: "الحليلية".

الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ لكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنْ العَسَلِ
فاصْبر لها غيرَ مُحْتَال ولا ضَجَر في حَادِثِ الدَّهْرِ ما يُغْني عن الحِيَلِ[1]

ثم إن الظاهر برقوق لما استقام أَمرهُ، حطم ودخل إلى دمشق، ونزل بالميدان الكبير، ودخلت إليه التقادم من خيول وقماش ومال وغير ذلك، فبينما هو على ذلك إذ قامت بدمشق عركة عظيمة، ورجموا الظاهر برقوق، وأخرجُوهُ من دمشق.

وسبب ذلك أنَ بعض المماليك عبث على بعض سوقة دمشق، وأخذ منهُ شيئًا بالغصب وضربهُ، فتعصَّبُوا لهُ أعوام دمشق، وضربوا ذلك المملوك، فحضروا إليه خُشداشينه، وارمُوا على أعوام دمشق بالنشاب، فرجمُوهُم العوام [١٢٦/أ] بالحجارة والمقاليع، فانكسر المماليك، ونهبُوا بركهم وقُماشهُم، فعند ذلك ركب برقوق والأمراء الذي[2] معهُ وخرجُوا إلى قُبة يَلبُغَا كما كانوا أولًا، وقد نُهب أكثر ما معهم، وغلقت أبواب دمشق بعد أن كانوا فتحوهُم وقصدوا أنْ يسلمُوهُ القلعة والمدينة فتعسَّر الأمر عليه بسبب هذهِ الحركة، كما قيل في الأمثال: " ومُعْظَمُ النَّار من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ".

ثم إنَ الأمير منطاش أخذ في أسباب الخروج إلى قتال الظاهر برقوق، ورسم لمُباشرين الأمراء المنفصلين بأن يجهزوا الأمراء المستحدّين، ثم إنَ الأتابكي منطاش رسم بأخذ أكاديش الجمارة وخيول الطواحين، ثم رسم لوالي القاهرة بأن ينادي بأن فقيه ولا مُتعمم يركب فرس، ثم إن الأتابكى منطاش رسم بمسك المماليك الجراكسة من كبير وصغير، فركب والي القاهرة ومسك منهم جماعة كثيرة من أسطبلاتهم، ثم إنَ الأتابكى منطاش رسم بأن يُسدّ باب حمام أيدغمش وَبَاب الفرج، فتفاءل الناس عليه بقلة النصر.

ثم إن السلطان الملك المنصُور أمير حاج، علق الجاليش، ونفق على الأمراء المقدَّمين الألوف لكلِّ واحد منهم مائة ألف درهم، ونفق على الأمراء الطبلخانات لكلِّ واحد منهم خمسين ألف درهم، وعلى الأمراء العشراوات أربعين ألف درهم، ونفق علي المماليك السلطانية لكلِّ واحد منهم ألف درهم.

ثم أشيع في القاهرة بأن الظاهر برقوق قد انكسر وهرب، ومسكوا جماعة من الأمراء ممن كان عُصبتهِ، وأن رأس أينال اليُوسفي قد قطعت، وهي واصلة

---

[1] بحر البسيط؛ لطغرائي السيد فخر أبو إسماعيل الحسين بن علي. (انظر: وفيات الأعيان، ١٨٧/٢).
[2] كذا في الأصل، والصواب "الذين".

إلى القاهرة، فدُقت البشائر لذلك ثلاثة أيام، وكل هذهِ الأخبار كذب مصنُوعة ليس لها صحة، وإنما هذه حيل من الأتابكى منطاش لتطمين خواطر العسكر.

ولما كان يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة من سنة إحدي وتسعين، برّز خام [١٢٦/ب] السلطان الملك المنصور إلى الريدانية، وكذلك خام الأمراء من الأكابر والأصاغر، ثم إن الأتابكي منطاش رسم بأن يُوخذ من مُباشرين الدواوين السلطانية خمسماية فرس، فقعد الوزير وناظر الدولة ووزعُوا على مُباشرين الدواوين ذلك الخيول المطلوبة منهم بكمالها، ثم رسم بأن يُوخذ من أجناد الحلقة من كلِّ واحد منهم فرس أو ثمنها، وأبطلهُم من التجريدة، ثم رسم بأن يُوخذ من الحجاب المقيمين بالقاهرة من كلِّ واحد منهم خمسين ألف[1] درهم، ثم تقرر الحال على أن كلِّ واحد منهم يُوزن أربعة عشر ألف درهم، فوزنوا ذلك.

ولما كان يوم الإثنين سابع عشر ذي الحجة خرج السلطان الملك المنصور أمير حاج، فنزل من القلعة في موكب عظيم، وصُحبتهُ أمير المؤمنين المُتوكل على الله محمد، والقضاة الأربعة، وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر، فتوجه السلطان ومن معه ونزلوا بالريدانية.

ثم إنَ السلطان ترك بالقاهرة من يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي سُودُون الفخري نائب السلطنة، ورسم له بأن يُقيم بالقلعة إلى أن يعود السلطان؛ وترك بالقاهرة المقر السيفي تُكا الأشرفي، وجعله نائب الغيبة، والأمير صُراي تمُر؛ والأمير قُطلوبُغَا السيفي تمُرباي حاجب ثاني؛ وجماعة من الرؤوس النُوب والحجاب، وجماعة من المماليك السلطانية، فتوزعوا في أبراج القلعة.

ثم رحل السلطان من الريدانية، فلما وصل إلى العكرشا تقنطر عن فرسه، وقام سالما، فتفاءل الناس له بقلة النصر، وكان الأمر كذلك، ثم بعد أيام جاءت الأخبار بأن جماعة من مماليك الأتابكي منطاش هربوا إلى عند الظاهر برقوق، هذا ما كان من أمر الملك المنصور أمير حاج.

وأما ما كان من أمر المقر السيفي صُراي تمر نائب الغيبة، فأنهُ لما رحل السلطان مِن سِرياقوس جار على الناس المقيمين بالقاهرة، ورسم بسدِّ أبواب

---

[1] في بدائع الزهور ٤٢١/٢/١: فقط "خمسين دينارًا" وهذا هو الصحيح، وأظن أن كلمة ألف كُتبت بالخطأ.

القلعة، مثل: باب القرافة، وباب الميدان، وباب الدرفيل، وبعض أبواب القاهرة الصغار، وأرمى على الأمراء المُقيمين بالقاهرة على كلِّ أمير [١٢٧/أ] مُقدم ألف عشرة أروس خيل، ومن كلِّ أمير بطبلخاناة أربعة أروس خيل، ومن كلِّ أمير عشرة رأسين خيل، وكذلك من أولاد الأمراء، وأولاد الناس المُقيمين بالقاهرة من كلِّ واحد منهم فرس جيد، فداروا عليهم النقباء، واستخرجوا منهم ذلك، وكان المتحدث في ذلك الأمير ثمان تمُر الأشرفي رأس نوبة النُوب[١].

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، فيها: أشيع بالقاهرة أن مماليك صُراي تمُر نائب الغبية، اتفقوا مع مماليك الأمراء بأن يركبوا على أستاذيتهم ويقتلوهم، فأرسل الأمير صُراي تمر قُطلوبُغَا الحاجب ووالي القاهرة، فكبسوا على جماعة من المماليك في مكانٍ في البرقيّة، فمسكوا منهُم ستة مماليك مُلبسين، فأحضروهم إلى عند نائب الغيبة، فقررهم فأقروا بأنهم قصدوا قتل جماعة من الأمراء، وأقروا بأن جماعة من مماليك الأمراء قد اتفقوا معهم على ذلك، فأرسل الأمير صُراي تمر إلى الأمير تُكا الأشرفي رأس نوبة ثاني يُعرَّفه بذلك فمسك الأمير تكا من مماليكهِ عشرين مملوكا، ومسك الأمير صُراي تمر من مماليكهِ خمسة وثلاثين مملوكًا، ومسك الأمير مُقبل من مماليكهِ سبعة.

ثم نزل والي القاهرة إلى البيسرية[٢]، فمسك سيدي بيبرس ابن أخت الملك الظاهر برقوق، وطلع بهِ إلى القلعة، فسجن بها، ونادوا في القاهرة بأن كل من مسك من مماليك الظاهر برقوق مملوكًا يأخذ لهُ ألفين درهم[٣]؛ ثم في يوم الخميس أفرج عن سيدي بيبرس ابن أخت الظاهر برقوق، وعن جماعة من مماليك الأمراء.

ثم حضر هجان من الشام، وعلى يده مراسيم بأن الملك المنصور دخل إلى الشام، وأن الملك الظاهر برقوق هرب من وجهه، فأخلع على الهجان خلعة، ودُقت البشائر ثلاثة أيام، وكلِّ هذه أخبار كذب مصنُوعة رَتبها صُراي تمر نائب الغيبة، ليس لها صحة، وذلك لأجل تطمين الرعية.

---

[١] الخبر مفصل عما ورد في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٢/١ ٤٢٢).
[٢] وهي المنطقة الواقعة بشارع المعز لدين الله، بجوار جامع الكامل. (انظر: النجوم الزاهرة ١٨٦/٨ هامش ١).
[٣] في بدائع الزهور ٤٢٤/٢/١: "عشرين دينارًا".

ولما كان يوم الأحد سابع عشرين المحرم من السنة المذكورة، أشيع بين الناس بالقاهرة بأن الملك الظاهر برقوق قدْ [١٢٧/ب] انتصر على الملك المنصُور أمير حاج ومسكهُ، ثم بطلتْ هذه الإشاعة.

ولما كان ليلة الأربعاء مستهل شهر صفر من السنة المذكورة، نقب المماليك الذي[١] سجنوا بالقلعة نقبًا وخرجوا منه[٢]، ونزلوا إلى الأسطبل السلطاني، فوجدوا الأبواب مقفولة، ففتحوها بالعتلة، فلما أحس بهم الحراس الذي[٣] على الأبواب، فلما فتحوا أحد أبواب الأسطبل السلطاني خرج منهُ مملوك من مماليك الظاهر برقوق، يُسمى بيربُغَا، فضربهُ أحد الحراس بسيفٍ فمات مكانه، ثم خرج من بعدهِ الأمير بُطا الطُولُوتمري فضربهُ الحارس فوقع إلى الأرض، ثم قام وضرب الحارس بالقيد الذي كان في رجلهِ، فأرمى الحارس إلى الأرض، وأخذ سيفه من يده، ثم تكاثر المماليك وخرجوا من الباب، وضربُوا من كان واقفًا من الحراس، ففروا من وجوههم، ثم نزلوا إلى باب الأسطبل الذي عند الحُراقة التي في الأسطبل السلطاني، ففتحُوهُ ونزلوا منهُ إلى الرملة[٤].

فلما أحسَّ بهم صُراي تمر نائب الغيبة هرب، ونزل من سُور الأسطبل في حبلٍ، فلما نزل توجه إلى بيت الأمير قُطلوبُغَا الحاجب، فكبس المماليك الظاهرية على صُراي تمر، فلم يجدُوهُ في مكانه الذي بالقلعة، ثم إنَ المماليك الظاهرية فتحوا أبواب القلعة، وأخرجوا من كان في الأبراج من المماليك المسجونين بها، ونزلوا إلى الأسطبل السلطاني، وأخذوا الخيول الذي[٥] كانت به، ثُم طلعوا إلى فوق الطبلخاناة السلطانية، وأحضروا جماعة من الغلمان، وأمروهم بأنْ يدقوا الكوسات حربي، وكل ذلك في أواخر الليل، فاستمروا على ذلك إلى أنْ طلع النهار، فأرسل الأمير بُطا[٦] الطُولُوتمري مماليك إلى خزانة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

(٢) في جواهر السلوك ٢٥٢: أن مماليك برقوق نقبوا من سور القلعة وطلعوا إلى القلعة وأخرجوا من كان محبوسًا بها، وهو مخالف لما ذُكر هنا وكذلك في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٤٢٤/٢/١).

(٣) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

(٤) الخبر هنا جاء مفصلا عما ورد في بدائع الزهور. (راجع بدائع الزهور ٤٢٤/٢/١- ٤٢٥).

(٥) كذا في الأصل، والصواب "التي".

(٦) في الأصل "بوطا"، والتصحيح مما أورده ابن إياس قبل قليل.

شمايل، فأخرجوا من كان بها من المماليك المسجونين من المماليك الظاهرية وغيرهم.

ثم إنَ الأمير صُراي تمر نائب الغيبة والأمير قُطلوبُغَا الحاجب وكبا، ولبسَا آلة الحرب، ووقفا في سوق الخيل، فنزل إليها الأمير بُطا ومعهُ من المماليك الظاهرية، فاتقعوا معهما وقعة عظيمة، فانكسر الأمير صُراي تمر والأمير قُطلوبُغَا الحاجب [١٢٨/ب] وهربا إلى مدرسة السلطان حسن وتحصَّنا بها.

ثم إنَ المماليك الظاهرية نزلوا إلى بيت قُطلوبُغَا الحاجب فنهبُوهُ، ثُم إنهم أرادوا أنْ يحرقوا باب مدرسة السلطان حسن، فطلب الأمراء الذي[1] بها الأمان؛ ثم إنَ المماليك الظاهرية ملكوا باب السلسلة والطبلخاناة السلطانية وسوق الخيل.

ومن غرائب صُنع الله أن مصر والقاهرة كانت في هذه الأيام سائبة بلا سلطان، ولا قاض، ولا خليفة، ولا حاكم بين الناس، ومع هذا لم يُعدم لأحد من الناس مَا قيمتهُ الدرهم الفرد، وكانتْ الزُعر ما يجه في المدينة، ولم يتعرضوا لأحد بسوء، ولا نهب لأحد شيء، كما قيل:

لمْ لَا نُرجى الفضل من ربنَا ... أم كيف لا نطمعُ في حِلمهِ
وفي الصحيحين أتى أنهُ ... بعبدِهِ أرحم[2] من أمّه[3]

ثم إن بُطا[4] أخلع على الناصري محمد بن العادلي واستقر بهِ والي القاهرة، واختفى الأمير حُسين بن الكوراني الذي كان والي القاهرة، ثم إنَ ابن العادلي نادى في القاهرة بالأمان والاطمان، والبيع والشري، والدُعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق، فضج الناس لهُ بالدعاء، وكل ذلك ولم يجي من عند الظاهر برقوق خبر.

ثم إنَ المقر السيفي سُودُون الفخري نائب السلطنة ركب بنفسه وشق القاهرة، والمشاعلية قُدامهُ تنادى بالأمان والاطمان، وكان ذلك يوم الجمعة، فنادى بأن يُخطب باسم الملك الظاهر برقوق، ثم إنَ الأمير صُراي تمر والأمير

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(٢) في بدائع الزهور ١/٢/٤٢٦: "أشفق".
(٣) بحر السريع.
(٤) في الأصل "بوطا"، والتصحيح مما أورده ابن إياس قبل قليل.

قُطلوبُغَا وغير ذلك من الأمراء، طلعوا صُحبة المقر السيفي سُودُون النائب إلى الأسطبل السلطاني، فقيدّهُم الأمير بُطا، ثم سجنهُم بالقلعة.

وكان الأمير بُطا من مماليك الظاهر برقوق، وكان يومئذٍ أمير عشرة، فأعطاهُ الله تعالى هذا السعد الخارق، حتى جرى [١٢٨/ب] منهُ ما جرى، وكل ذلك من جُملة سعد الملك الظاهر برقوق، كما قيل في المعني:

ملك بهِ أخضر الزمان كأنما أيام دولتهُ ربيع ثانى[١]

فلما كان يوم السبت ثاني[٢] شهر صفر حضر الأمير جُلبَان العيسوي الخاصكي ومعهُ الأمير عيسى شيخ العرب، وأخبروا بأن الملك الظاهر برقوق انتصر على الملك المنصور، وقد وصل إلى غزة، فأمر الأمير بُطا بدق البشائر، وزُينت القاهرة، ثم إنَ الأمير بُطا كتب مراسيم إلى الولاة بأعمال الثغور، مثل: الإسكندرية، ودمياط، والوجه القبلى، ثم إن الأمير بُطا طلب الأمير حُسين بن الكوراني والي القاهرة، أخلع عليه واستقر بهِ والي القاهرة على عادتهِ، وقال لهُ: "أحضر لنا مماليك منطاش، كما كُنت تحضر مماليك الظاهر برقوق".

ثم في يوم الأحد حضر هجان، وعلى يدهِ مثال شريف، متوج بخط الملك الظاهر برقوق، مضمُونة أنَ الأمير بُطا يجهز الإقامات إلى قطيا.

ثم إن شيخ العرب زيد بن عيسى العايدي[٣] حضر إلى القاهرة، وذكر أخبار الملك الظاهر برقوق وأخبار الملك المنصور أمير حاج مُفصَّلة، وهو أن الملك المنصور لما وصل إلى شقحب[٤]، تلاقا هو والملك الظاهر برقوق هُناك، فحصل بينهما وقعة عظيمة لمْ يسمع بمثلها، وذلك في يوم الأحد رابع عشر المحرم سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، وأنَ الملك المنصُور والأتابكى منطاش ومن معهم من العسكر كسروا الملك الظاهر برقوق أولًا كسرة قوية، ثم إنَ الملك الظاهر برقوق ردَّ على عسكر الملك المنصور فكسرهُ كسرة قوية، وكان

---

[١] بحر الكامل؛ لم يرد البيت في بدائع الزهور؛ البيت لابن النبيه المصري. (انظر: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، ٢٢٧/٣، ٢٣٥).

[٢] في بدائع الزهور ٤٢٧/٢/١: "أواخر صفر".

[٣] في جواهر السلوك ٢٥٣: "يزيد بن يسى العابدي".

[٤] قرية في الشمال الغربي من جبل غباغب من ضواحي دمشق. (انظر: النجوم الزاهرة ١٥٩/٨ هامش ٣).

الأتابكي منطاش لما كسر الظاهر برقوق أولًا أسر الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق، وكان مجروحًا، فدخل منطاش إلى الشام ومعهُ الأمير قجماس، فاجتمع منطاش بالأمير جردَمُر نائب الشام، وقال لهُ: "قدْ كسرنَا الظاهر برقوق وهرب، وأن الملك المنصور، أغدًا يدخل إلى دمشق، فأخرج أنتَ والعسكر الشامي لاقُوه"، هذا ما كان من أمر منطاش.

وأما ما كان من أمر الملك الظاهر برقوق، فأنهُ لما وقعتْ الكسرة على الفرقين، فهرب الأمير [١٢٩/أ] كمُشبُغَا الحموي نائب حلب، وتوجه تحت الليل إلى حلب، وملك قلعتها وحصن المدينة.

وأما الملك الظاهر برقوق فأنهُ لما انكسر العسكرين ونُهبا، وصار لا يُعلم الغالب من المغلوب، ولا الكاسر من المكسور، فبقى الملك الظاهر برقوق في نفرٍ قليل نحو ثلاثين مملوكًا، فتوجه بهم من وراء جبل هُناك، فرأى الملك المنصور، والخليفة المتوكل، والقضاة الأربعة، والخزائن السلطانية والصناجق، وبعض عسكر نازلين هُناك تحت الجبل، فألقى الله تعالى الرعب في قلوب العسكر الذي كان مع الملك المنصُور، وغُلت أيدهم عن القتال، فنزل عليهم الظاهر برقوق واحتوى عليهم، وعلى كل ما[1] معهم، ثم تسامع العسكر بنصُرة برقوق، فتراجعوا إليه من كلّ مكان، فبات هُناك تلك الليلة.

فلما أصبح حضر إليه منطاش في عسكر الشام، وحضر معهُ خلق كثيرة منْ أعوام دمشق، فحصل بينهُما وقعة عظيمة أعظم من الوقعةِ الأولى، وقُتل فيها خلق كثير، واستمر القتال عمال من باكر النهار إلى بعد غروب الشمس، فانكسر الأتابكي منطاش والعسكر الشامي، ورجعوا مكسورين إلى دمشق، وقد قتل من الفريقين ما لا يُحصى عددهم من الترك والعوام، فكان حال الأتابكي منطاش، كما قال القائلُ في المعنى:

كلِّ شيء إذَا تَنَاهَا تواها ... كانتقاص البُدُور عند التَّمام[2]

ثم إن السلطان الملك الظاهر برقوق أقام بمنزلة شقحب، ثم إنَ شخصًا من الزهاد، يُسمى الشيخ شمس الدين الصُوفي[3]، مشى بين السلطان برقوق وبين

---

(1) في الأصل "كلما".

(2) بحر الخفيف؛ لم يرد في بدائع الزهور.

(3) محمد بن إبراهيم بن أحمد، الشيخ شمس الدين الصوفي، ناظر المارستان، ولد سنة تسع وأربعين واشتغل بالعلم، وأحب المذهب الظاهري والانتماء إلى الحديث، ثم اتصل بالملك الظاهر برقوق وقام معه لما عاد إلى السلطنة، فرعى له ذلك وولاه نظر المارستان. (انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر ٤٢٨/٣).

الملك المنصور بأن يَخلع نفسهُ من السلطنة، ويسلم الأمر إلى برقوق، فحضر الخليفة المتوكل، والقُضاة الأربعة، وحضر الملك المنصور أمير حاج، والملك الظاهر برقوق، وأشهدوا على الملك المنصور بأنهُ قدْ خلع نفسه من الملك، وبايع الملك الظاهر برقوق، ثم إنَ الخليفة بايع الظاهر برقوق بيعة السلطنة بحضرة القضاة الأربعة، فتمت لبرقوق البيعة.

فأقام بمنزلة شقحب تسعة أيام، فوقع في العسكر [١٢٩/ب] هُناك غلاء عظيم، وقلت الأقوات حتى أُبيعت كلِّ بقسماطه بخمسة دراهم، وأبيع كلّ فرس بعشرين درهمًا، وكلّ جمل بعشرة دراهم، ولا يُوجد من يشترى بهذا السعر من قلت العليق، وأبيعت القطعة السُكر بثقلها فضّة[١]، ولا توجد.

فلما رأى السلطان ذلك عزم على التوجه إلى الديار المصرية، ثم أخلع على الأمير إياس الجُرجاوي واستقر بهِ نائب صفد؛ وأخلع على الأمير قديد القلمطاوي[٢] واستقر بهِ نائب الكرك؛ ثم أذن للعسكر بأن يرحلوا فرحلوا من شقحبْ، وبقى الظاهر برقوق في نفرٍ قليل من العسكر.

فلما بلغ منطاش أن الظاهر برقوق بقي في نفرٍ قليل من العسكر، خرج من الشام ومعهُ جماعة من العسكر، فوقف على بُعد، فلما بلغ الظاهر برقوق ذلك ركب ووقف ساعة طويلة فلم يقرب إليه منطاش، ثم إنَ منطاش رجع إلى الشام.

ورحل الظاهر برقوق وقصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، وكان صُحبتهُ الملك المنصور أمير حاج والخليفة المتوكل، والقضاة الأربعة، والأمراء، وجماعة من العسكر المصري، وأخذ الخزائن والعصائب السلطانية صُحبتهُ، وَسَارَ وَهوَ في غاية النصر.

فلما وصل إلى غزة استناب بها الأمير علائي الدين ابن أقبُغَا السلطاني، وقبض على الأمير حُسين بن باكيش الذي كان نائب غزة، وقد تقدم أنهُ جمع عسكرًا، وخرج إلى قتال الظاهر برقوق، لما خرج من الكرك، فلما انتصر برقوق وظفر بابن باكيش، قيّدهُ وأخذهُ صُحبتهُ إلى الديار المصرية.

ولما كان يوم الأربعاء ثامن صفر[٣] حضر أقبُغَا الطُولُوتمري المعروف باللكاش، وهو أخُو الأمير بُطا، وأخبر بأن السلطان برقوق خرج من غزة، وهو

---

[١] في جواهر السلوك ٢٥٣: " وكل قطعة سكر بعشرة دراهم".
[٢] في جواهر السلوك ٢٥٤: "القلمصاوي".
[٣] في بدائع الزهور ٤٢٩/٢/١: "ربيع الأول".

قاصد إلى نحو الديار المصرية، فأمر الأمير بُطا [١٣٠/أ] بأن تُزين القاهرة لقدوم السلطان الملك الظاهر برقوق، فزُينت ودُقت البشائر.

ثم إن الامير بُطا أرسل بالإفراج عن الأمراء الذين كانوا في ثغر دمياط، فحضروا إلى القاهرة قبل قدوم السلطان، وهُم: الأمير شيخ الصفوي، والأمير قُنق باي السيفي ألجاي، والأمير مُقبل الرومي، والأمير ألطنبُغَا العُثماني، والأمير عبدُون العلائي، وغير ذلك من الأمراء الذين هُم من عُصبة الظاهر برقوق، فأحضروا إلى القاهرة، كما قيل: "مصائب قوم عند قوم فوائد".

ثم إن الأمير بُطا قبض على الأمير حُسام الدين ابن الكوراني والي القاهرة، وسجنه ثم ضربهُ مُقترح، ثُم عصره في رُكبهِ، واستقر بالصارمي والي القاهرة عُوضه.

ولما كان يوم الخميس تاسع صفر، حضر الأمير سُودُون الطيار أمير أخور، وعلى يده مثالات شريفة إلى سائر الأمراء، يُخصَّهُم فيها بالسلام، وبشر بأن السلطان وصل إلى الصالحية، فخرج أكثر الناس إلى مُلتقاه.

فلما كان يوم الثلاثاء وصل السلطان إلى بركة الحاج، فخرج إليه الناس قاطبة، من الأمراء والقُضاة والفُقهاء والعُلماءِ وَسَائر الجند والعوام، حتى طائفة الصيَّادين بصنانيرهم، حتى طائفة الحبُوش ومعهم صنجق وطبل وهُم يرقصون، وخرج إليه طائفة اليهود والنصارى وفي أيدهم[1] الشموع.

وكان من جُملة سعد الملك الظاهر برقوق أنهُ من حين خُلع من السلطنةِ إلى حين عوده إليه، لم يجلس أحدٌ على تخت المملكة إلى حين عوده إليه.

وكانت سلطنة الملك المنصور أمير حاج عبارة عن نيابة عن الظاهر برقوق وكان الأمر كله بيد الأتابكي منطاش يتصرف في أمور المملكة بحسبما يختار من ذلك.

ومن جملة سعد [١٣٠/ب] الملك الظاهر برقوق أنهُ من حين خرج من الكرك، وتوجه إلى نحو الشام، وخرج إليه الملك المنصور، كما تقدم ذكر ذلك، أخذت لهُ القلعة والقاهرة، ومُسكوا الأمراء وسُجنوا، وذلك قبل وُصُولهِ إلى الديار المصرية، ودخل إليها من غير قتال ولا حربٍ ولا تعبٍ، وقد تقدم ما فعلهُ

---

[1] كذا في الأصل، الصحيح "أيديهم" وقد أوردها بعد قليل.

الأمير بُطا مع المماليك الظاهرية في أخذ القلعة، ومسك الأمراء، وكل ذلك قبل حضُور الملك الظاهر برقوق، وخدم سعده في هذه الولاية الثانية إلى أنْ مات على فراشهِ وهو سلطان، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعهِ، كما قيل:

إذَا أَقْبَلَتْ كَانَتْ تُقادُ بشعرةٍ وإن أدْبَرَتْ مَرَّتْ تَقُدُّ السَّلاسِلا[١]

ولما كان يوم الأربعاء خامس عشر صفر[٢] طلع السلطان الملك الظاهر إلى القلعة في موكب عظيم، ولاقتهُ جميع اليهود والنصارى بأيديهم الشمُوع، فطلع من بين التُرب، ولم يشق من القاهرة، وكان راكبًا هو والملك المنصور أمير[٣] حاج ابن الأشرف شعبان، وكان قُدامه الخليفة المتوكل على الله، والقُضاة الأربعة، وشيخ الإسلام سراج الدين البُلقيني، وأعيان العُلماء، وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر، وسائر الجند، فسار وعلى رأسهِ القُبة والطير.

إلى أن وصل إلى قُدام تُربة طيبُغَا الطويل، ففُرشت لهُ الشُقق الحرير، فلما وصل إلى أوائل الشقق، لوى عنان فرسه عن الشقق، وأشار إلى الملك المنصُور أمير حاج بأن يمشي بفرسه على الشقق جبرًا لقلبهِ، فضجُ الناس لهُ بالدُعاء.

فسار إلى أنْ وصل إلى الأسطبل السلطاني، وجلس بهِ وجُدِّدتْ لهُ البيعة بالسلطنة ثانيًا بحضور الخليفة والقضاة وشيخ الإسلام وسائر الأمراء من المصريين الذي[٤] كانوا بالقاهرة ومن الشاميّين الذي[٥] حضروا صُحبتهُ من البلاد من النواب وغيرهم، وفي ذلك يُقول بعض الزجَّالة مطلع زجل:

من الكرك جانا الظاهر وجب معو أسدُ الغابة
ودولتك يامير منطاش ما كانت إلا كذّابة[٦]

فلما انفض المجلس على ذلك قال السلطان برقوق للملك المنصور أمير حاج: "أطلع سلم على أمُك"، فقام الملك المنصور وقدَّمُوا لهُ الفرس، فركب من

---

[١] بحر الطويل؛ لم يرد في بدائع الزهور.
[٢] في بدائع الزهور ٤٣٠/٢/١: "يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول"؛ وفي جواهر السلوك ٢٥٤: "يوم الخميس".
[٣] في الأصل "أميرا".
[٤] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[٥] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[٦] بحر الرجز.

المقعد الذي في الأسطبل، فلما ركب قام لهُ الظاهر برقوق، وعضَّده حتى ركب، وبالغ في تعظيمه، فدعوا لهُ الناس، ثم إنَ الظاهر برقوق لبسَ خلعة السلطنة من الأسطبل، وطلع إلى القصر الكبير من باب السرِّ، وجلس على سرير الملك.

ولما طلع الملك المنصور من الأسطبل السلطاني توجه إلى دُور الحرم، فدخل إليها وهو في غاية التعظيم، بخلاف من تقدمهُ من أقاربهِ، فلما دخل إلى قاعات الحرم أقام بها مُحتفظًا بهِ، وهو آخر من تولى السلطنة من بني قلاوُن، وبهِ قد زال مُلكهم كانهُ لم يكن، فسبحان منْ لا يزول مُلكه ولا يتغيّر.

ومن غريب الاتفاق أنَ أول منْ تولى منهُم قلاوُن، وكان لقبهُ المنصُور، وآخر من تولى منهم أمير حاج، وكان لقبهُ المنصُور، والمنصُور قلاوُن أخذ الملك من أولاد الملك الظاهر بيبرس البُندقداري، والملك الظاهر برقوق أخذ الملك من أولاد الملك المنصُور قلاوُن، فكان كما قيل:

وفي المثل قدْ قالوا ... كَمَا تَدِينُ تُدَانُ[1]

فكانت مُدّة سلطنة الملك المنصور أمير حاج، وهي السلطنة الثانية ثمانية أشهر وستة عشر يومًا إلى يوم خلعه، وهو نازلٌ بشقحب.

ولما حضر إلى القاهرة أقام بقلعة الجبل داخل دُور الحرم إلى أنْ مات بها في ليلة الأربعاء تاسع عشر شوال سنة أربعة عشر وثمانمائة في دولة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق، وذلك في أواخر دولتهِ، ودُفن في تُربة جدَّتهِ خوند بركة التي في التبانة، ومات ولهُ من العُمر نحو سبعة وأربعين سنة.

وقيل: مات وهو مُقعدٌ في الفراش وقد حصل [١٣١/ب] لهُ ذلك من طربتهِ من الظاهر برقوق لما كبسهُم بمنزلة شقحب، وقد قال القائلُ في المعنى:

أصبر لدهرٍ نالَ منكَ ... فهكذا مضت الدُهُورُ
فرحًا وَحُزنًا تَارةً ... لا الحُزن دَامَ وَلا السُّرورُ[2]

---

[1] بحر المجتث؛ لم يرد في بدائع الزهور.
[2] بحر مخلع البسيط.

ذكر

عود السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق

ابن أنس العُثماني إلى السلطنة ثاني مرة[1]

فلما عاد إلى السلطنة جلس على سرير الملك في يوم الخميس، وقيل: يوم الأربعاء، رابع عشر صفر[2] سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة[3].

فلما تم أمرهُ في السلطنةِ عمل الموكب، وأخلع على من يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي أينال اليُوسفي واستقر بهِ أتابك العساكر؛ وأخلع على المقر السيفي سُودُون الفخري الشيخُوني واستقر بهِ نائب السلطنة على عادتهِ؛ وأفرج عن المقر السيفي يَلبُغَا الناصري الذي كان نائب حلب ثم بقي أتابك العساكر بمصر، وسجنهُ منطاش، فلما حضر أخلع عليه واستقر أمير سلاح؛ وأخلع على المقر السيفي كمشبُغَا الأشرفي الخاصكي واستقر بهِ أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي ألطنبُغَا الجُوباني واستقر بهِ رأس نوبة النُوب؛ وأخلع على المقر السيفي بُطا واستقر بهِ أمير دوادار كبير؛ وأخلع على المقر السيفي بكلمش العلائي واستقر بهِ أمير أخور كبير؛ وأخلع على المقر السيفي بُتخاص السُودُوني واستقر بهِ حاجب الحجاب.

ثم أمر بالإفراج عن جماعةٍ من الأمراء، الذي كان سجنهُم الأتابكي منطاش بثغر الإسكندرية، وهُم: المقر الشهابي أحمد بن الأتابكي يَلبُغَا العُمري، ومامُور القلمطاوي، وقرا دمرداش الأحمدي، وأقبُغَا الجوهري، وأقبُغَا الماريني، وسُودُون باق، وسُودُون الطُرنطاي، وبُجاس النُورُزني، وألطنبُغَا المعلم، وقُردم الحسني، ويُونس العُثماني قريب الظاهر برقوق، وألابُغَا العُثماني، [١٣٢/أ] ويَلبُغَا المنجكي، وكشلي القلمطاوي، وغير هؤلاء جماعة كثيرة من الأمراء

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ١/٢/٤٣٤- ٥٣٥؛ جواهر السلوك ٢٥٦- ٢٧٨.

[2] في بدائع الزهور ١/٢/٤٣٤: "ربيع الأول".

[3] في جواهر السلوك ٢٥٦: "الخميس رابع عشر صفر".

ممكن سجنهُم الأتابكي منطاش، فلما حضروا إلى الديار المصريّة، أنعم على جماعة منهُم بتقادم ألوف، وعلى جماعة منهُم بطبلخانات، وعلى جماعة منهُم بعشراوات[1].

ثُم عمل السلطان الموكب، وأخلع على جماعة من الأمراء، وهُم: ألطنبُغَا الجُوباني الذي كان استقر رأس نوبة النُوب فنقله إلى نيابة الشام؛ وأخلع على قرا دمرداش الأحمدي واستقر بهِ نائب طرابلس؛ وأخلع على مامُور القلمطاوي واستقر نائب حماه؛ وأخلع على أرغون العُثماني واستقر نائب ثغر الإسكندرية؛ وأنعم على جماعة كثيرة بتقادم ألوف بدمشق؛ وأخلع على مُقبل الرُومي واستقر أمير جاندار.

ثم عمل السلطان الموكب، وأخلع على جماعة من المُباشرين، وهُم: القاضي علائي الدين الكركي العامري واستقر بهِ كاتب السرّ الشريف بالديار المصرية؛ وأخلع على القاضي مُوفق الدين أبي الفرج واستقر بهِ وزيرًا وناظر الخاص على عادتهِ[2]؛ وأخلع على القاضي كريم الدين بن عبد العزيز واستقر بهِ ناظر الجيوش المنصورة[3]؛ وأخلع على الأمير قرقماس الطشتمري واستقر به أسُتادَار العالية.

ولما كان يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول[4] سنة اثنتين وتسعين جلس السلطان الملك الظاهر برقوق في الميدان الذي تحت القلعة، وحكم بين الناس على جاري عادته، وقد صفى لهُ الوقت، فكان أحق بقول القائل حيث قال:

تاب الزمان إليك مما قد جنى	**والله يَأمرُ بالمتَاب وَيَقبلُ**
إنْ كانَ مَاضٍ من زمَانك قدْ مضى	**بإساءة قد سرّك المُستقبلُ**
هذا بذاك فشفع الثاني الذي	**أرضاك فيما قد جناه الاولُ**
واليُسر بَعدَ العُسر موعودٌ بهِ	**والنصر بالفرجِ القريبِ موكلُ**

---

(1) الخبر جاء مفصلًا عما ورد في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٤٣٥/٢/١).

(2) في بدائع الزهور ٤٣٦/٢/١: "القاضي مُوفق الدين... استقر به ناظر الجيوش المنصورة"، وليس القاضي كريم الدين.

(3) في بدائع الزهور ٤٣٦/٢/١: "القاضي كريم الدين... استقر به ناظر الخاص"، وليس القاضي موفق الدين؛ وفي جواهر السلوك ٢٥٦: "القاضي كريم الدين... استقر بهِ أستادارًا".

(4) في بدائع الزهور ٤٣٧/٢/١: "ربيع الآخر".

والله قـــد ولاك أمـــر عبـــاده لمــــا ارتضـــاك ولايـــة لا تعـــزلُ
وإذا تـــولاك الإلـــه بنصـــرهِ وقضى لك الحُسنى فمن ذا يُخذلُ[1][١٣٢/ب]

ثم بعد مُدّة يسيرة قبض السلطان على جماعة من الأمراء، وهُم: يذكار العُمري، ويلبُغَا المنجكي، وطشبُغَا السيفي تمرباي، وصربُغَا الناصري، وتلكتمر المحمدي، وعليّ الجركتمري، ومنكلي بُغَا المنجكي، ثم أرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية[٢].

ثم إنَ السلطان أخلع على القاضي سعد الدين ابن البقري واستقر بهِ وزيرًا عُوضًا عن موفق الدين أبي الفرج؛ وأخلع على الصاحب علم الدين سنبرة واستقر بهِ ناظر الدولة الشريفة.

ولما كان يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول[٣] من السنة المذكورة حضر إلى الأبواب الشريفة كزل مملوك يَلبُغَا الناصري، وصُحبتهُ جماعة من أعيان دمشق، فحضروا هاربين من منطاش، وأخبروا على أنَ منطاش ملك مدينة بعلبك، والتف عليه جماعة من عسكر دمشق، وعسكر صفد، وغيرهم من العربان والعشير، وهو دائر يُفسد في البلاد[٤].

وفي يوم الأربعاء سادس عشرة أخلع السلطان على الأمير جمال الدين محمود بن عليّ الظاهري واستقر به أستادار العالية، ومشير الدولة، وناظر الخاص؛ وأخلع السلطان على الأمير علائي الدين ابن الطبلاوي واستقر به والي القاهرة عُوضًا عن الصارم.

وفي يوم الخميس في العشرين من رجب جاءت الأخبار من حلب بأن نائب حلب كمشبُغا الحموي بينما هو في حلب حضر إليه ثمان[٥] تمر الأشرفي، وحاصر المدينة، وزعم أن منطاش ولّاهُ نيابة حلب، فتعصبوا لهُ أهل بانقوسا، فحاصروا كمشبُغَا نائب حلب أشدّ المُحاصرة، حتى أقاموا على ذلك نحو أربعة[٦] أشهر، ونقبوا القلعة ثلاثة مواضع، فصار كمشبُغَا نائب حلب يُقاتلهم في ذلك النقب لا يُرون فيه شمسًا ولا قمرًا، فصاروا يُقاتلوا على السُّرج.

---

(١) بحر الكامل.
(٢) ورد مختصرًا في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٤٣٩/٢/١.
(٣) في بدائع الزهور ٤٣٨/٢/١: "جمادى الأولى".
(٤) في جواهر السلوك ٢٥٧: أن الذي حضر هو "القاضي شمس الدين ابن مشكور ناظر جيش الشام".
(٥) في بدائع الزهور ٤٣٩/٢/١: "تمان".
(٦) في بدائع الزهور ٤٣٩/٢/١: "ثلاثة".

ثم إنَ ثمان تمر أراد أن يهرب فنهبُوهُ أهل بانقوسا، فانكسر ثمان تمر وولى هاربًا، ثم إنَ نائب [١٣٣/أ] حلب لما انكسر ثمان تمر خرب حارة بانقوسا، وعمرَّ ما فُسد من القلعة، وأمر بأن تُجبا مدينة حلب، فجبا منها ألف ألف درهم، فعمر بها سُور المدينة، لأنهُ كان تهدم فيه مواضع من أيام هُولاكو، فعمرهُ أحسن ما كان[١].

ثم جاءت الأخبار بأن منطاش توجه إلى طرابلس، ومعهُ ثمانية آلاف فارس، فحاصر المدينة، ثم ملكها؛ ثم جاءت الأخبار بأن أعوام دمشق اتفقوا مع منطاش بأن يُسلمُوهُ المدينة.

فلما بلغ الأمراء الذي[٢] بدمشق هذا الخبر ركب الأمير أيتمش البُجاسي، والأمير يَلبُغَا الناصري، والأمير ألطنبُغَا الأشرفي بعد العشاء، وخرجوا إلى ظاهر دمشق، واتقعوا مع منطاش وأعوام دمشق، فكان بينهم وقعة عظيمة، فقُتل فيها نحو سبعمائة إنسان، ثم رجع العسكر إلى دمشق[٣].

ثم جاءت الأخبار بأن مماليك ألطنبُغَا الجُوباني نائب الشام قتلُوا أسُتاذهُم، وهربوا إلى عند منطاش؛ فلما بلغ السلطان ذلك أرسل تقليدًا إلى يَلبُغَا الناصري بنيابة دمشق.

ثم جاءت الأخبار من دمشق أن الأمير جُبق الكلمشبُغَاوي خرج من دمشق، وقصد يتوجه إلى طرابُلس، فأخذوهُ عرب نُعير، وأحشرُوهُ إلى منطاش، فقتلهُ.

ثم جاءت الأخبار بأن منطاش قدْ هرب، وتوجه إلى مرعش، وسبب هُروبه أنَ الأمير نُعير بن حيار أرسل يطلب من السلطان أمان، فأجيب إلى ذلك، فلما بلغ منطاش ذلك قال لنُعير: "أرسل معي جماعة من العُربان، فقد بلغني أن جماعة من التُركمان معهم أغنام كثيرة نازلين بمرعش"، فأرسل معه نُعير نحو سبعمائة من فُرسان العرب، فلما توجهوا إلى مرعش أنزلهم منطاش عن خيولهم وأخذها وأقام بمرعش، فرجع العُربان إلى نُعير وهُم مشاه[٤].

ثم جاءت الأخبار بأن منطاش توجه إلى عينتاب واقتتل مع نائبها، ثم ملك المدينة، وأن نائب عينتاب طلع إلى القلعة وحصَّنها، [١٣٣/ب] ثم نزل هو

---

[١] ورد الخبر مختصرًا في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٤٣٩/٢/١).
[٢] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[٣] الخبر في بدائع الزهور ٤٤٠/٢/١: بدون ذكر عدد القتلة.
[٤] لم يرد الخبر في بدائع الزهور.

ومن عندهُ من العسكر بالليل، وكبس على منطاش فقتل من عسكره جماعة كثيرة نحو مائتي إنسان ونهب كُل ما معهم.

فلما بلغ السلطان ذلك انشرح، ونزل إلى الرماية في بركة الحاج، ودخل من باب النصر، وشق من القاهرة، وزُينت لهُ ولاقتهُ اليهود والنصاري ومعهم الشموع موقودة، ولما دخل من باب زُويلة توجه إلى بيت الأمير بُطا الدوادار، فدخل إليه ونزل عن فرسه وأقام عندهُ ساعة، ثم طلع إلى القلعة، وكان الظاهر برقوق من حين أتى من الكرك ما شق القاهرة، فضج الناسُ لهُ بالدُعاء، وكان يومًا مشهودًا.

وفي هذه السنة: عملت خوند أخت الملك الظاهر برقوق كسوة للحجرة الشريفة، وستارة زركش وأرسلت ذلك صُحبة الحاج، وقيل: أنها نذرت لأن رجع أخوها إلى السلطنة[١] لتفعلنَّ ذلك.

وفي هذه السنة: أخلع السلطان على الناصري محمد بن الحُسام الصقري واستقر به وزيرًا عُوضًا عن الصاحب مُوفق الدين أبي الفرج[٢]، فلما نزل إلى بيتهِ طلبَ الوزراء المعزولين[٣]، فلما حضروا استقر بالصاحب شمس الدين المقسي ناظر الدولة[٤]؛ وبالصاحب علم الدين سنبرة شريكا لهُ[٥]؛ وبالصاحب سعد الدين ابن البقري ناظر البيوت الكريمة ومُستوفى الدولة[٦]؛ وبالصاحب مُوفق الدين أبي الفرج مُستوفى الصُحبة؛ ثم طلب القاضي فخر الدين ابن مكانس واستقر به مُستوفى الدولة الشريفة، فأطلق على الصاحب فخر الدين ابن مكانس وزير الوزراء[٧]، والصاحب فخر الدين هذا هو صاحب الأشعار اللطيفة، ولهُ ديوان عظيم، وهو صاحب الأرجُوزة المشهورة، فأقاموا على ذلك مُدّة يسيرة.

---

[١] في الأصل "اسلطنة".

[٢] في بدائع الزهور ٤٤٢/٢/١: "عزل السلطان الصاحب سعد الدين بن البقري"، غير ما ورد هنا.

[٣] في جواهر السلوك ٢٥٧: "طلب السلطان الوزراء المعزولين".

[٤] في بدائع الزهور ٤٤٢/٢/١: تولى ناظر الدولة سعد الدين البقري.

[٥] في بدائع الزهور ٤٤٢/٢/١: تولى علم الدين سنبرة ناظر البيوتات؛ وفي جواهر السلوك ٢٥٧: تولى كاتب الحوش خاناه".

[٦] في بدائع الزهور ٤٤٢/٢/١ وجواهر السلوك ٢٥٧: من تولى مستوفى الدولة هو فخر الدين بن مكانس.

[٧] في بدائع الزهور ٤٤٢/٢/١: من أطلق عليه هذا اللقب هو محمد بن الحسام الصقري وليس ابن مكانس.

ثم إنَ السلطان الملك الظاهر برقوق غضب على الصاحب فخر الدين ابن مكانس، وضربهُ وعلقهُ بسرياق، وهو منكسٌ على رأسهِ، فشفعوا فيه الأمراء، فرضي عليه، [١٣٤/أ] وأخلع عليه خلعة[١]، نزل إلى بيتهِ، فأنشد في هذه الواقعة التي وقعت لنفسهِ، هذه الأبيات في المعنى، وهو قوله:

وما تعلقتُ بالسُرياق مُنتكسًا لزلةٍ أوجبت تعذيب ناسوتي
لا كنني مُذ نفثت السحر من غزلي[٢] عُذبتُ تعذيب هاروتٍ ومارُوتي[٣]

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، فيها: في يوم الإثنين تاسع المُحرم[٤] حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفي كمشبُغَا الحموي نائب حلب، فأقبل عليه السلطان وأكرمهُ وأنزلهُ في بيت المقر السيفي منجك اليُوسفي.

وفيها: في يوم الأحد سادس عشر المحرم طلب السلطان الأمير حُسين بن باكيش نائب غزة كان، فلما حضر بين يدى السلطان عرَّاهُ وضربهُ بالمقارع، فأنهُ وقع منهُ في حق الظاهر برقوق ما تقدم ذكره.

وفيها: حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أيتمش البُجاسي، وكان بالشام مع جماعة من الأمراء، وكان قدْ وقع منهم ما يُوجب غضب السلطان عليهم لما حضروا، فرسم السلطان بحبسهم في أبراج القلعة[٥].

وفيها: في يوم الجمعة خامس شهر رجب حضر كمشبُغَا دوادار قرادمرداش نائب حلب، وأخبر بأن منطاش حضر من مرعش إلى العمق، ثم إلى أعزاز، ثم إلى سرمين، ثم توجه إلى حماه، فدخلها فلم يجد بها أحدًا يُدافعه، فأن نائبها كان غائبًا فملكها بالأمان، ولم يُشوش على أحدٍ من أهلها[٦]، ثم خرج منها وتوجه إلى حمص فملكها، ثم توجه إلى بعلبك، وكان نائبها قد سمع بقدومهِ فهرب إلى نحو دمشق، فملكها منطاش، ثم خرج منها وقصد أن يملك دمشق فتوجه إليها، فلما بلغ نائب دمشق ذلك خرج إليه من طريق الزيداني، فلما بلغ منطاش ذلك رجع إلى الأصاغ وهو جبلٌ بالقرب من طرابلس فأقام بهِ.

---

[١] في بدائع الزهور ٤٥١/٢/١: السلطان نفى ابن مكانس إلى دمشق.
[٢] في جواهر السلوك ٢٥٨: "في عربي".
[٣] بحر البسيط.
[٤] الخبر في بدائع الزهور ٤٤٣/٢/١: في أحداث شهر صفر.
[٥] الخبر في بدائع الزهور ٤٤٣/٢/١: بدون ذكر حبس أيتمش.
[٦] في بدائع الزهور ٤٤٤/٢/١: أنه نهب الأسواق وأخذ أموال التجار وغير ذلك.

ثم جاءت من بعد ذلك الأخبار بأن لما خرج نائب الشام منها دخل إليها شكر أحمد ففتحوا لهُ أعوام [١٣٤/ب] دمشق باب كيسان، ثم فتحوا لهُ الباب الصغير فدخل منهُ، فلما دخل إلى دمشق ركب معهُ جماعة من مماليك بيدمُر، فنهبوا الخيول التي كانت في الأسطبلات بدمشق، فأخذوا منهم نحو ثمانمائة فرس.

فلما بلغ منطاش ذلك ركب ومن معهُ من العسكر ودخل إلى دمشق ونزل بالقصر الأبلق، فحضر إليه شكر أحمد فقال لهُ: "ما حصلت لنا"، فقال لهُ: "ثمانمائة فرس"، فقال منطاش: "وإيش أعمل بالخيل!، أنا ما أطلب الأمال[1]، فأدخل إلى القياسر وخذ أموال التجار"، فخرج على أنهُ يفعل ذلك[2].

فلما بلغ يَلبُغَا الناصري نائب الشام ذلك ركب ومن معهُ من العسكر الشامي والتقوا مع منطاش؛ ثم إنَ السلطان نادى بالعرض للعسكر، وأخذ في أسباب خروجه إلى الشام؛ ثم إنَ السلطان رسم بقتل حُسين بن باكيش الذي كان نائب غزة، فقُتل ابن باكيش وهو في السجن بخزانة شمايل؛ ثم إنَ السلطان علق الجاليش ونفق على العسكر.

فلما كان يوم الأحد ثاني عشرين شهر شعبان طلب السلطان وخرج إلى الريدانية، ورسم للمقر السيفي كمشبُغَا الحموي بأن يكون نائب الغيبة، ومتصرف في أمور المملكة إلى حين عوده، ورسم للمقر السيفي سُودُون الفخري النائب بالإقامة في القلعة إلى أنْ يعود السلطان، ورسم للمقر السيفي بُجاس النُورُوزي بالإقامة في القلعة داخل رحبة الإيوان، وأن يكون نظره على الدُور السلطانية، وترك في القلعة من مماليكه نحو ستمائة[3] مملوك، والأمير صواب السعدي نائب مقدم المماليك، وترك بالقاهرة من الأمراء الأمير قطلوبُغَا الصفوي حاجب الحجاب، ورسم لهُ بأن يسكن في بيت المقر السيفي منجك اليُوسفي، وترك بالقاهرة الأمير بتخاص السُودُوني، ورسم لهُ بأن يُقيم في [١٣٥/أ] بيت المقر السيفي كمشبُغَا الحموي الذي بتجاه القلعة.

وترك بالقاهرة من الأمراء العشراوات قُرطقا بن سُوسُون، وقرا بُغَا الأحمدي أخو الجلّب، وقديد القلمطاوي، وسُودُون الطغيتمري، وقاسم بن

---

(١) كذا في الأصل، لعله يقصد "الأموال".
(٢) الخبر جاء مفصلًا عما ورد في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور: ٤٤٤/٢/١).
(٣) في بدائع الزهور ٤٤٦/٢/١: "خمسمائة".

كمشبُغَا الحموي، ومحمد بن جركس الخليلي، وخليل بن تنكزبُغَا، ومحمد بن شعبان بن يَلبُغَا العُمري، ومحمد بن يَلبُغَا اليحياوي، وعليّ بن أينال اليُوسفي، ويحيى بن خليل بن عرام، وغير ذلك من أولاد الناس والحجاب[1].

ولما رحل السلطان من الريدانية وتوجه إلى نحو الشام، فبعد أيام جاءت الأخبار بأن منطاش انكسر وهرب، فدُقت البشائر لهذا الخبر.

ثم بعد أيام حضر على خيل البريد سُودُون الطيار أمير أخور، وعلى يده مثالات شريفة إلى الأمراء المُقمين[2] بالقاهرة، مضمونها أن العدو المخذول منطاش انكسر على دمشق، وهرب في نفرٍ قليل نحو خمسين مملوكًا، فدُقت البشائر وزُينت القاهرة.

وفي غيبة السلطان أعرض المقر الأتابكي كمشبُغَا الحموي أجناد الحلقة، وعيّن منهم نحو مائتي إنسان من فُرسانهم، وأرسلهم إلى عند كاشف الوجه البحري[3] عونًا لهُ بسبب فساد العُربان.

ثم بعد أيام جاءت الأخبار بأن بعد هروب منطاش بيوم حضر نُعير بن حيار أمير آل فضل، فخرج إليه يَلبُغَا الناصري نائب الشام، فاتقع معهُ فانكسر يَلبُغَا الناصري، وقُتل من أمراء دمشق جماعة كثيرة، منهم إبراهيم بن منجك، ونحو خمسة عشر أميرًا، ورجع يَلبُغَا الناصري مكسورًا، وكان ذلك بعد توجه السلطان إلى حلب.

وكان السلطان لما خرج من القاهرة وتوجه إلى دمشق، فلما دخلها صلى بها الجمعة في الجامع الأموي صُحبة أمير المؤمنين المتوكل والقُضاة الأربعة، فلما فرغ من صلاة الجمعة نادى لأهل دمشق بالأمان والاطمان والماضي لا يُعاد ونحن أولاد اليوم، فضج أهل دمشق لهُ بالدُعاء، وكان أهل دمشق خائفين من الظاهر برقوق مما وقع في حقهِ منهم، وقد تقدم ذلك عند خروج برقوق [١٣٥/ب] من الكرك.

ثم في سلخ شوال جاءت الأخبار بأن السلطان توجه إلى حلب، ودخلها في يوم الجمعة، وصلى بالجامع الكبير، وطلع إلى قلعة حلب، وأقام بها وصار يحكم بين الناس في يوم الإثنين والخميس.

---

[1] ورد في بدائع الزهور ٤٤٦/٢/١: أنه ترك بالقاهرة الأمراء العشراوات عشرين أميرًا؛ ولم يذكر أي أسماء لهؤلاء الأمراء كما ورد هنا.

[2] كذا في الأصل. والصواب "المقيمين".

[3] في بدائع الزهور ٤٤٧/٢/١: "جهة الصعيد".

ثم جاءت الأخبار من حلب بأن السلطان مسك يَلبُغَا الناصري نائب الشام ومعهُ جماعة من الأمراء، وسبب ذلك أنَ الأمير سالم الدُّوكاري أمير التُركمان أرسل يُعرِّف السلطان بأنَ يَلبُغَا الناصري أرسل إلى سالم الدُّوكاري كتاب وهو يقول لهُ فيه: "خذ منطاش وأهرب بهِ إلى بلاد الروم، فأنه كلما كان منطاش موجود فنحن موجودين"، ثم أرسل سالم الدُّوكاري كتاب يَلبُغَا الناصري مع كتابه إلى السلطان.

فلما تحقق السلطان الملك الظاهر برقوق ذلك طلب سائر الأمراء إلى قلعة حلب فطلعوا إليه، فلما كمل المجلس طلب يَلبُغَا الناصري، فلما طلع إليه قرأ عليه كتابه الذي أرسلهُ إلى سالم الدُّوكاري بحضرة الأمراء ثم وبخهُ بالكلام وقبض عليه ومسك معهُ جماعة من الأمراء.

ثم إنَ السلطان أخلع على الأمير بُطا الدوادار واستقر بهِ نائب دمشق؛ وأخلع على الأمير جُلبَان الكمشبُغَاوي[1] واستقر نائب حلب؛ وأخلع على الأمير إياس الجرجاوي واستقر بهِ نائب طرابُلس؛ وأخلع على الأمير دمرداش[2] المحمدي واستقر بهِ نائب حماه؛ وأخلع على المقر السيفي أبا يزيد واستقر بهِ دوادار كبير عُوضًا عن الأمير بُطا.

ثم بعد أيام جاءت الأخبار من حلب بأن السلطان قتل يَلبُغَا الناصري والأمراء الذي مسكوا معهُ وكانوا نحو ثلاثة وعشرين أميرًا من أمراء دمشق وغيرهم؛ ثم إنَ السلطان خرج من حلب وتوجه إلى دمشق ولم يظفر بمنطاش؛ ثم جاءت الأخبار بخروج السلطان من دمشق ووصُولهُ إلى غزة.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وسبعمائة، فيها: حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير بهادر الشهابي مُقدم المماليك السلطانية وصُحبتهُ [١٣٦/أ] حريم السلطان الملك الظاهر برقوق، فأن السلطان كان قدْ تزوج في دمشق ببنت الجناب العلائي أمير عليّ بن أسندمُر نائب الشام، ثم وصل السلطان إلى بلبيس فنادوا للناس بالزينة، فزينوا مصر والقاهرة، ثم إنَ الأتابكي كمشبُغَا الحموي وسُودُون النائب خرجا إلى مُلاقات السلطان.

فلما كان يوم الخميس وصل السلطان وطلع من بين التُرب، ففُرست لهُ الشقق الحرير من قُبة النصر إلى القلعة، فلما طلع إلى القلعة أخلع في ذلك اليوم

---

[1] في جواهر السلوك ٢٥٩: "الكمشعاوي".
[2] في بدائع الزهور ٤٤٨/٢/١ وجواهر السلوك ٢٥٩: "قرادمرداش".

على سائر الأمراء وأرباب الوظائف من الأمراء والمتعممين، وكان لهُ يوم مشهود لم تر العيُون مثلهُ.

ثم بعد مُدة يسيرة جاءت الأخبار من دمشق بأن المقر السيفي بُطا نائب الشام توفي إلى رحمة الله تعالي، فأخلع السلطان على الأمير سُودُون الطُرنطاي واستقر نائب دمشق عُوضًا عن بُطا.

وفيها: أخلع على الجناب الرُكني عمر بن قايماز واستقر وزيرًا عُوضًا عن الناصري محمد بن الحُسام الصقري بحكم وفاته؛ ثم أخلع السلطان على الجناب الناصري محمد بن الأمير محمود أستادار العالية، واستقر نائب ثغر الإسكندرية.

وفيها: في أواخر صفر حضر بريدي من دمشق وأخبر بأن جماعة من المماليك نحو خمسة عشر مملوكًا حضروا مُشاة إلى باب قلعة دمشق، فلما وصلوا إلى الباب كانت سيوفهم مُخبيَّة، فأظهروها وهجموا باب القلعة، فهرب القاعدُون عند الباب، فدخلوا إلى القلعة وأغلقوها، وتوجهوا إلى الحبس الذي بها فأخرجوا منهُ المماليك المحبوسين الذي[1] من جهة منطاش، وكانوا نحو مائة مملوك، ثم بعد ذلك ملكوا قلعة دمشق، وقتلوا نائب القلعة، ومن كان عندهُ من المماليك، ولم يتركوا بها إلا القليل.

فلما بلغ ذلك نائب الشام والأمراء فركبوا، وجاءوا إلى القلعة، فترامموا بالنشاب، فقتل من العسكر جماعة، وأقاموا يحاصرونهم ثلاثة أيام، ثم بعد ذلك [١٣٦/ب] هجم العسكر إلى باب القلعة، وأحرقوه بالنار، ودخلوا إلى ذلك المماليك وقبضوا عليهم أجمعين، ووسَّطوهُم تحت القلعة.

وفيها: في يوم الإثنين حادي عشر جمادى الأول طلع الأمير جمال الدين محمود أستادار العالية إلى القلعة، فرجموهُ مماليك السلطان من الطباق، فرجع إلى بيت المقر السيفي أيتمش البُجاسي رأس نوبة النُوب، فلحقوهُ جماعة من المماليك فضربُوهُ بالدبابيس، وكان معهُ القاضي سعد الدين ابن تاج الدين مُوسى ناظر الخواص.

فلما بلغ أيتمش البُجاسي ذلك ركب وخرج إليهم وردَّهم عنهُ، وأدخلهُ إلى بيته وأغلق عليه الباب، فأقام عندهُ إلى آخر النهار فأرسل معهُ مماليكه حتى أوصلوهُ إلى بيته فأقام في بيتهِ مُدّة لم يركب.

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "الذين".

وفيها: أخلع على الصاحب تاج الدين ابن أبو شاكر واستقر وزيرًا.

وفيها: في العشرين من شعبان حصل للسلطان الملك الظاهر برقوق توعك في جسدهِ، فأقام مُتوعكًا إلى يوم السبت سادس شهر رمضان، فتعافى وخرج إلى الخدمة، ونُودي في مصر والقاهرة بالزينة.

وفيها: في يوم الإثنين ثامن شهر رمضان أخلع السلطان على المقر السيفي كمشبُغَا الأشرفي في الخاصكي أمير مجلس واستقر نائب الشام عُوضًا عن سُودُون الطُرنطاي بحكم وفاتهِ[1].

وفيها: قبض السلطان على جماعةٍ من الأمراء، منهم: أيدكار العُمري، وصنجق الحسني، وأرغون شاه، ومعهم ثلاثة أمراء فأرماهم في البُرج فكان أخر العهد بهم.

وفيها: في أواخر شهر رمضان حضر بريدي، وأخبر بأن منطاش عدَّى من الفرات، وأنَ عسكر حلب اتقعوا معهُ وكسروهُ ومسكوا جماعة من أصحابهِ.

وفيها: في شوال أخلع السلطان على من يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي بكلمش العلائي واستقر أمير سلاح، وأخلع على المقر السيفي شيخ [١٣٧/أ] الصَّفوي واستقر أمير مجلس[2].

وفيها: حضر قاصد نُعير يسأل فضل السلطان، بأن ينعم عليه بأربع بلاد، وهُم: المُعرة ولطمين وبلدين أخر، وأنهُ إذا أنعم عليه السلطان بذلك يُسلم إليه منطاش، فلما قرأ السلطان كتاب نُعير قال للأمير أبا يزيد الدوادار: "اكتب لهُ أنت كتاب عن لسانك: وقل لهُ فيه أن أردت أن تُعطى كل ما سألتهُ وزيادة، فسلم منطاش لنائب حلب، وبعد ذلك نُعطيك ما طلبت"، فكتب لهُ الأمير أبا يزيد[3] كتاب بذلك، وأرسلهُ صُحبة حاجبهُ.

وفيها: في يوم الإثنين في العشرين من شوال أخلع السلطان على قاضي القُضاة جمال الدين القيصري الحنفي واستقر ناظر الجيوش المنصورة مُضافًا لما بيدهِ من قضاة الحنفية، ومشيخة الخانقاة الشيخونية، وهذا لم يتفق لأحدٍ قبلهُ

---

(1) الخبر في بدائع الزهور ٤٥٣/٢/١: "في ثاني شعبان"

(2) الخبر في بدائع الزهور ٤٥٣/٢/١: "في ثاني شعبان"

(3) في الأصل "يريد".

من الأعيان[1]؛ وأخلع السلطان على المقر السيفي تاني بك اليحياوي واستقر أمير أخور كبير عُوضًا عن بكلمش[2].

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وسبعمائة، فيها: أخلع على قاضي القُضاة صدر الدين المناوي واستقر قاضي قُضاة الشافعية بالديار المصرية عُوضًا عن قاضي القُضاة عماد الدين الكركي[3].

وفيها: أخلع السلطان على الأمير تنم الحسني واستقر به نائب الشام عُوضًا عن كمشبُغَا الأشرفي بحكم وفاتهِ.

وفيها: حضر مملوك نائب حلب، وأخبر بأن نُعير ومنطاش توجها إلى حماه، ومعهم عسكر ثقيل، فاتقعوا مع نائب حماه فانكسر نائب حماه وهرب، فنهب منطاش ونُعير مدينة حماه وأسواقها، فلما بلغ نائب حلب ما فعلهُ منطاش ونُعير، فركب نائب حلب وكبس على أولاد نُعير ونسائه وأصحابه ونهب أموالهم ومواشيهم وأحرق بيوتهم، وقُتل منهم جماعة كثيرة من الفريقين، وأسروا جماعة من العُربان، وكان بينهم [١٣٧/ب] وقعة عظيمة.

وفيها: أخلع السلطان على الأمير قلمطاي العُثماني، واستقر دوادار كبير عُوضًا عن أبي يزيد بحكم وفاته.

وفيها: حصل للسلطان توعك في جسدهِ، فأشرف فيه على الموت، ثم شفى وركب، وشق القاهرة، وزُينت لهُ.

وفيها: في يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان حضر مملوك نائب حلب وأخبر بأن أولاد نُعير مسكوا منطاش، وقد صح هذا الخبر[4]، فكان كما قيل في المعنى:

قالت: تَرَقَّبْ عيونَ الحيّ إنّ لها عينًا عليك إذا ما نمتَ لم تنمِ[5]

وكان سبب مسك منطاش أنَ نُعير بن حيار أرسل إلى نائب حلب يطلب منهُ الأمان، وأنهُ يُسلم منطاش، فجهز نائب حلب عسكر إلى نُعير، فعند ذلك أرسل

---

[1] الخبر في بدائع الزهور ٤٥٣/٢/١: "في رمضان"
[2] الخبر في بدائع الزهور ٤٥٣/٢/١: "في ثاني شعبان"
[3] الخبر لم يرد في بدائع الزهور.
[4] الخبر في بدائع الزهور ٤٥٨/٢/١: في أحداث شهر شعبان.
[5] بحر البسيط؛ البيت لعمر بن أبي ربيعة. (انظر: الإعجاز والإيجاز ١٤٦).

نُعير عبد من عبيدهِ إلى عند منطاش، فلما وصل إليه أحسَّ بالشر، وكان راكبًا على هجين، فنزل عنهُ وركب فرسًا، فجاء العبد ومسك لجام الفرس، وقال لمنطاش: "كلم نُعير"، فقال منطاش: "وإيش يعمل بي نُعير؟"، فتكاثروا عليه العبيد فأنزلوهُ عن الفرس، وأخذوا سيفهُ منهُ، فقال لهم: "دعُوني حتى أبُول" وكان في تكتهِ خنجر، فأخذهُ وضرب بهِ نفسه في أربعة مواضع، فغشي عليه، ثم إنهُ أفاق، فتسلمهُ مملوك نائب حلب، وأرسل نُعير معهُ نحو أربعمائة فارس من العُربان.

وكان منطاش في هذه المدّة تزوج من بنات نُعير، فلما وصل منطاش إلى حلب طلع إلى قلعتها وسجن بها، وكان يومًا مشهودًا، ثم إنَ نائب حلب كتب بذلك محضرة بحضرة قُضاة حلب، وأرسلهُ إلى السلطان على يد كمشبُغَا العيسوي.

فلما وصل إلى القاهرة وطلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان خلعة سنيّة، ودُقت البشائر، وزُينت القاهرة، ثم إن السلطان أرسل الأمير طُولُو من عليّ شاه إلى حلب ليحضر منطاش.

فلما وصل إلى حلب تسلم منطاش، وعصرهُ وقرَّرهُ على الأموال الذي(١) نهبها من البلادِ [١٣٨/أ] فلم يقرَّ بشيء، فقطع رأسه وجعلها في عُلبة، ثم خرج من حلب، وجعل يطُوف برأس منطاش في حماه، وفي حمص، وفي دمشق، وهي مشهورة على رُمحٍ والمُشاعلية تنادي عليها إلى أن وصل إلى غزة، ثم دخل إلى القاهرة، والرأس معهُ مشهورة على رمح، فكان لها يوم مشهود وزُينت لها القاهرة زينة عظيمة، فطلع بها إلى القلعة، فعُلقت على باب القلعة ذلك اليوم، ثم رسم السلطان بأن تُعلق على باب زُويلة فعُلقت ثلاثة أيام، ثم رسم السلطان بأن تُسلم الرأس إلى زوجة منطاش، وهي بنت الأمير منكو تمر النائب، فأخذتها ودفنتها، وذلك في يوم السبت سادس عشرين شهر رمضان من السنة المذكورة، ثم رسم السلطان بقلع الزينة، وانقضى أمر منطاش كأنهُ لم يكن، وبطلت الفتن، وقد أفنى الملك الظاهر برقوق عُمره وهو في القهر من منطاش حتى مُسك، وكان أصل منطاش من مشتراوات الظاهر برقوق وقد تقدم ذلك، ولما مُسك منطاش، قال بعض الشعراء في معنى ذلك:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "التي".

كــأن فجــاج الأرض يُمنـــاك إنْ يســزْ بهـــا خـــائفٌ تجمـــع عليـــه الأنامـــلُ
فـــأين يفـــر المـــرء منـــك بُجرمـــه إذا كـــان تُطـــوى فـــي يـــديك المراحـــلُ[1]

وفيها: أرسل السلطان إلى نُعير خلعة وأنهُ يكون على عادتهِ، فلما وصلت إليه الخلعة لبسها، وباس الأرض للسلطان.

ولما كان يوم الخميس تاسع عشر شوال من السنة المذكورة حضر رسول صاحب ماردين وهو طواشي رُومي يُسمى صفي الدين جوهر، فأخبر السلطان بأن شخصًا من الخوارج، يُسمى تمرلنك، قد تحرك على البلاد، وقد أخذ توريز، وأرسل رسلةُ إلى صاحب ماردين بأن يكون تحت طاعته، فأرسل صاحب ماردين كتاب تمرلنك طيّ كتابة على يد [١٣٨/ب] صفي الدين المذكور، ثم حضر عقيب ذلك رسول صاحب بُسطام، وأخبر بأن تمرلنك قتل شاه منصور صاحب شيراز، وأرسل رأسهُ إلى السلطان محمود خان وهو أسُتاذ تمرلنك.

ثم إنَ تمرلنك أرسل إلى السلطان مُغيث الدين أحمد بن أويس صاحب بغداد، يقول لهُ: "أنت سلطان بن سلطان وقصدي أتزوج بأختك وأزوجك أنا ببنتي"، فلما وصل رسول تمرلنك إلى السلطان أحمد بن أويس وذكر لهُ أمر صهارتهُ لهُ، ففرح السلطان أحمد بذلك، واستعاد من الرجال ما كان أعطاهُ لهم بسبب القتال، وأصرف همتهُ عن القتال.

ثم جاءت الأخبار بعد ذلك من نائب الرحبة بأن القان أحمد بن أويس وصل إلى الرحبة، وهو هاربٌ من تمرلنك، فأرسل السلطان برقوق إلى نائب حلب بأن يُلاقيه من مسيرة يومين، ويأخذ معهُ الإقامات والضيافات، ثم حضر إلى الأبواب الشريفة قاصدًا نائب حلب، وصُحبتهُ رسول القان أحمد بن أويس، فأخبر بسبب مجيء القان أحمد، وذلك أنهُ لما سمع بوصول تمرلنك إلى بلادهِ أرسل كشّافة وأرسل معهم شخصًا يثق به، فلما توجهوا إلى تمرلنك دخلوا كلهُم تحت طاعته، فلم يشعر القان أحمد إلا وقد دهمتهُ عساكر تمرلنك، فركب القان أحمد وخرج من أحد أبواب بغداد ليقاتل تمرلنك فبينما هو يُقاتل فتح أهل البلد بقية الأبواب، فدخل إليها تمرلنك بالأمان، فما أمكن القان أحمد إلا الهروب إلى عند جسرٍ هُناك، فعدّى من عليه وقطعهُ، فتبعتهُ عساكر تمرلنك، فلما رأوا

---

[1] بحر الطويل؛ البيتان لأبي العرب الصقلي. (انظر: فوات الوفيات ١٤٥/٤).

الجسر مقطوعًا نزلوا في الماء وعاموا بخيولهم وطلعوا من الجانب الآخر، وشحتوا القان أحمد نحو ثلاثة أيام على ما قيل، فلما حصل للقان أحمد هذه الكسرة قصد التوجه إلى بلاد السلطان. [١٣٩/أ]

فلما تحقق السلطان من صحة هذه الأخبار، فجمع الأمراء واستشارهم فيما يكون من أمر القان أحمد بن أويس، فاتفق رأيهم على أنَ السلطان يطلب القان أحمد إلى الديار المصرية، فإذا حضر يقع الاتفاق معهُ على ما سيكون، فعيّن السلطان الأمير أزدمُر الشرفي الظاهري أنْ يتوجه لإحضار القان أحمد، وأرسل صُحبتهُ ثلاثة آلاف دينار لينفقها على القان أحمد في الطريق، فتوجه المذكور إلى السفر.

وفيها: حضر قاصد صاحب الروم وهو أبو يزيد بن مراد بك بن عثمان، وأحضر صُحبته هدايا وتقادم إلى السلطان، وذكر القاصد أن أستاذه ضعيف بألم المفاصل، وهو يسأل فضل السلطان بأن يرسل لهُ طبيب حاذق[1]، وأدوية تُوافق مرضه، فعيّن لهُ السلطان الريّس شمس الدين محمد بن صغير، وأرسل صُحبته حملين من الأدوية الموافقة لذلك المرض، وأرسل لهُ هدايا عظيمة صُحبة قاصده، وسافر معهُ الريس شمس الدين ابن صغير.

ثم بعد مُدّة جاءت الأخبار بأن السلطان محمود أستاذ تمرلنك توجه إلى نحو البصرة، وأن صاحب البصرة جمع خلقًا كثيرة من عرب البحرين، واتقع مع عسكر السلطان محمود فكان بينهما وقعة عظيمة فقُتل بها السلطان محمود أستاذ تمرلنك، وأسر ولد تمرلنك، وقتل من عسكر السلطان محمود خان ما لا يُحصى عددهم.

فأرسل تمرلنك يطلب من صاحب البصرة الأمان، وأنهُ يُرسل إليه ولده وهو يرحل عن بلادهم، فقال صاحب البصرة لقاصد تمرلنك قل لأستاذك: "يرسل لي ولد القان أحمد بن أويس صاحب بغداد، وأنا أطلق لهُ ولده"، فلما عاد الجواب إلى تمرلنك بذلك حنق من هذا الجواب، وجهز عسكرًا أثقل من العسكر الأول، وأرسل منهم فريقًا في البر، وأرسل [١٣٩/ب] منهم فريقًا في مراكب من الدجلة، فاتقع معهم العُربان الذين كانوا في البصرة، فكسروا عسكر تمرلنك كسرة قوية، وغرقوا التي بالمراكب، وأن تمرلنك توجه ليجمع عساكر، ويعود إلى حصار البصرة.

فلما تواترت[2] الأخبار بذلك، رسم السلطان للأمير علائي الدين ابن الطبلاوي والي القاهرة بإجهار النداء، بأن العسكر المنصور يتجهزوا لقتال

---

(1) في الأصل "حادق".
(2) في الأصل "تواثرت".

الباغي تمرلنك الذي أخرب البلاد، وقتل العباد، ويتم الأطفال، وأخذ الأموال، وجعل يكرر النداء بذلك ثلاثة أيام، فأخذ العسكر في أسباب التجهيز بعد أن كانت الفتن قد خمدت بقتل منطاش، فجاء هذا الأمر أعظم من ذلك، كما قيل في المعنى:

وثقيلٍ ما برحنا نتمنى البُعدَ عنهُ
غابَ عنا ففرحنا جاءنا أثقل منهُ[1]

وفي هذه السنة: توفي من الأعيان سلطان الغرب أبو تاشفين عبد الرحمن صاحب تلمسان، وتولى أخوهُ عُوضهُ.

وتوفي قاضي القُضاة ناصر الدين الكناني العسقلاني الحنبلي، وتولي بعدهُ قاضي القُضاة مُوفق[2] الدين الحجاوي المقدسي.

وتوفي قاضي القُضاة شهاب الدين الزهري الدّمشقي الشافعي.

وتوفي الصاحب شمس الدين المقسي وزير الديار المصرية، وناظر الخواص الشريفة.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وسبعمائة، فيها: حضر قاصد صاحب ماردين وأخبر بأن تمرلنك دخل تحت طاعته ملك الأكراد، وقد جمع ما لا يُحصى من العساكر من سائر الأجناس وقد ثقل أمرهُ.

ثم جاءت الأخبار من غزة بوصول القان أحمد بن أويس إلى غزة، فجهز السلطان لهُ الملاقاة إلى غزة، ثم نادى السلطان بأن عسكر المنصور يعرضون قُدام السلطان في يوم الخميس بسلاحهم.

ثم إنَ القان أحمد بن أويس وصل إلى الريداينة في [١٤٠/أ] يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول من السنة المذكورة، فركب السلطان الملك الظاهر برقوق، وخرج إلى تلقيهِ من الريدانية، فلما وقعت عين السلطان عليه ترجل لهُ من على فرسهِ، وترجّل الآخر، ثم أعتنقًا، ثم أخلع عليه السلطان قبا بنفسجى مُفري بقائم، بطرز زركش عريض، ثم أحضر إليه فرس بُوز بسرج ذهب وكنبُوش، فأركبهُ إياه، وركب السلطان إلى جانبهِ، وطلعا من بين التُرب حتى وصلا إلى تحت

---

[1] بحر مجزوء الرمل؛ البيتان للبهاء زهير. (انظر: الوافي بالوفيات ١٦١/١٤).
[2] في الأصل "مُوق"، والتصحيح من المشطوب بالمخطوط.

الطبلخاناة السلطانية، فأشار إليه السلطان بالتوجه إلى المكان الذي قد أعد لنزولهِ، وهو بيت الأمير طقزدمُر المُطل على بركة الفيل، فنزل فيه، ونزل سائر الأمراء في خدمتهِ، حتى دخل إلى البيت، فمدُوا لهُ سماطًا فأكل، وأكل معهُ الأمراء، ثم انصرفوا.

ثم إنَ السلطان أرسل إليه تقدمة، وهي مائتي قطعة قُماش سكندري، وغير ذلك وثلاثة أروس خيل بقماش ذهب، وعشرين مملوكًا، وعشرين جارية[١]، وعشرة آلاف دينار[٢].

ثم جاءت الأخبار من حلب بأن تمرلنك وصل إلى تكريت، وملك قلعتها وأخربها، وقتل من كان بها من العسكر والمُقاتلين؛ ثم جاءت الأخبار بأن جاليش تمرلنك وصل إلى الرُها، وقد ملكها.

فلما تحقق السلطان برقوق ذلك أعرض العسكر، ونفق على مماليكه لكلِّ واحدٍ ألفين درهم[٣]، فأمتنعوا من الأخذ، فخرج المماليك النفقة على كُرهٍ، ثم أرسل النفقة للأمراء المقدّمين وغيرهم.

ولما كان يوم الإثنين سابع ربيع الآخر برز المُخيم الشريف إلى الريداينة.

ثم في يوم الخميس عاشره طلب السلطان الملك الظاهر برقوق، ونزل من باب الأسطبل، وتوجه نحو باب القرافة، ووقف هُناك وصار يُرتب الطُلب هو بنفسه، وصار يسُوق من باب القرافة إلى أول الطلب ويعود، ورسم للعسكر بأن يخرجوا وهو لابسون آلة الحرب، [١٤٠/ب] وكان على السلطان قرقل مُخمل أحمر بغير أكمام، وعلى رأسهِ شاش، ثم جرّ في طلبهِ مائتين جنيب مُلبسه بالحرير الملون.

فلما تكامل خرج الطُلب، توجه السلطان والقان أحمد بن أويس صُحبتهُ وسائر الأمراء إلى أن وصلوا إلى المُخيم الشريف بالريدانية، ثم ترادفت أطلاب الأمراء بالخروج واحدًا بعد واحد حتى انتهوا عن أخرهم.

---

[١] في جواهر السلوك ٢٦٤: "عشرة مماليك صغار، وعشر جوار".
[٢] في بدائع الزهور ٤٦٥/٢/١: "خمسة آلاف دينار"؛ وفي السلوك ٨٠٠/٢/٣ والنجوم الزاهرة ٤٧/١٢: "مائتى ألف درهم فضة".
[٣] في بدائع الزهور ٤٦٥/٢/١: "دون المائة دينار"؛ وفي جواهر السلوك ٢٦٤: "ألفين درهم شامية".

فلما استقر السلطان بالمُخيم، قبض على الصاحب سعد الدين ابن البقري وولده تاج الدين، ثم أخلع على الجناب الناصري محمد بن رجب بن كلبك واستقر بهِ وزيرًا.

وأخلع على الصاحب سعد الدين ابن البقري واستقر بهِ ناظر الدولة الشريفة[١].

ثم رحل السلطان من الريدانية وصُحبته القان أحمد وسائر الأمراء، فجدَّ في السير حتى دخل إلى دمشق، في يوم الإثنين في العشرين[٢] من ربيع الآخر من السنة المذكورة.

فلما دخل إلى دمشق جلس بالقصر الذي في الميدان، وحكم بين الناس، وكان صُحبته أمير المؤمنين المُتوكل على الله والقُضاة الأربعة، فأقام بالشام أيامًا، ورحل منها إلى حلب، ثم حضر رُسل صاحب الروم وهو أبو يزيد بن عثمان، فاجتمعوا بالسلطان في حلب، ومعهم كتب ابن عثمان مضمُونها: "بأن يكون هو والسلطان كلمة واحدة على دفع العدو الباغي تمرلنك"، فأجابهُ السلطان إلى ذلك، وردَّ لهُ الجواب بما يطيب بهِ خاطره، وكذلك رسول طقتمش خان صاحب بُسطام[٣].

ثم بلغ السلطان الملك الظاهر برقوق رجوع تمرلنك إلى بلادهِ وهو في حلب، فلما تحقق صحة ذلك قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، وكذلك القان أحمد بن أويس رجع إلى بلادهِ، ولم يقع بين تمرلنك وبين السلطان برقوق قتال، ولاعدّى تمرلنك من الفرات في هذه المرة، بل رجع من هُناك إلى بلاده، ورجع السلطان إلى الشام، ورجع [١٤١/أ] القان أحمد بن أويس إلى بغداد، وقد بلغهُ أنَ تمرلنك نهب أموال بغداد، وأسر النساء والأطفال، وقتل جماعة كثيرة من أهلها، وكذلك فعل في البصرة، ثم رجع إلى بلاده بعد ما جرى منهُ ما جرى؛ ثم إنَ السلطان توجه من حلب إلى دمشق.

---

(١) هذا الخبر لم يرد في بدائع الزهور، وأظنه ورد هنا بالخطأ حيث مذكور قبلها أن السلطان قبض على ابن البقري فكيف يخلع عليه بعدها بتوليه ناظر الدولة.

(٢) في بدائع الزهور ٤٦٨/٢/١: "ثاني عشرين"؛ وفي السلوك ٨١٣/٢/٣: "قد البريد بدخول السلطان إلى دمشق في عشرينه".

(٣) الخبر في بدائع الزهور وهو رسول طقتمش فقط. (انظر: بدائع الزهور ٤٦٩/٢/١)؛ وبسطام: بلدة كبيرة بقومس، على جادّة الطريق إلى نيسابور، وهي الآن مدينة إيرانية تقع في محافظة سمنان. (انظر: مراصد الاطلاع ١٩٦/١).

وفي هذه السنة: توفي من الأعيان أبي السباع صاحب تونس[1]، واستقر ولده أبو فارس عبد العزيز ويُعرف بعزوز.

وتوفي أبو العباس أحمد بن أبو سالم صاحب فاس.

وتوفي أبو الحجاج يُوسف المعروف بابن الأحمر صاحب الأندلس، وتولى بعدهُ ولدهُ أبو عبد الله محمد، وكان ابن الأحمر صاحب الأندلس هذا شاعرًا ماهرًا ولهُ شعرٌ جيدٌ، فمن ذلك قولهُ مُخاطبًا لمحبُوبتهِ، بهذه الأبيات:

أَيَا رَبَةَ الخَالِ التي اذهبتْ نُسكي ... على أي حَالٍ كانَ لا بُد لي منكِ
فأمَّا بذلٍ وَهَو أليقُ بالهوي ... وَأمَا بعزٍ وهو أليقُ بالمُلكِ[2]

وفيها: توفي أبو العباس أحمد صاحب قُسنطيّنةِ الهوالم ببلاد المغرب[3].

وفيها: توفي القاضي مُحيى الدين يحيى بن فضل الله كاتب السرّ الشريف بالديار المصرية، وتولي عُوضهُ القاضي بدر الدين أبي الثناء محمود الكُلستاني الحنفي؛ وتوفي الصاحب مُوفق الدين أبو الفرج؛ وتوفي الريس علائي الدين ابن صغير ريّس الأطباء توفي بحلب ودُفن بها لما رجع من عند ابن عثمان، وقد تقدم أمر سفره.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وسبعمائة، فيها: أخلع السلطان على المقر السيفي تغري بردي من بشبغا واستقر نائب حلب؛ ونقل الأمير أرغُون شاه من نيابة صفد إلى نيابة طرابلس؛ وأخلع على الأمير أقبُغَا الجمالي واستقر نائب صفد؛ وأخلع على الأمير دُقماق المحمدي واستقر بهِ نائب ملطيّة؛ وأخلع على مُقبل كاور واستقر به نائب طرسوس؛ وأخلع على منكلي بُغَا الاسنبُغَاوي واستقر به نائب الرُها؛ وأخلع على طغنجي [١٤١/ب] واستقر به نائب قلعة المُسلمين[4].

وفيها: حضر كُزل مملوك الأمير محمود أسُتادار العالية، وأخبر بأن السلطان الملك الظاهر برقوق خرج من دمشق، ولما وصل إلى الرملة توجه منها لزيارة البيت المقدس، والخليل عليه السلام، ثم رجع إلى غزة.

---

[1] وهو أبو العباس أحمد بن محمد. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/٤٧٠).
[2] بحر الطويل.
[3] في بدائع الزهور ١/٢/٤٧٠: " قسطنطينة، الهوّى، ببلاد الغرب".
[4] الخبر في بدائع الزهور ١/٢/٤٦٩- ٤٧٠: في أحداث سنة ٧٩٦هـ.

ولما كان يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر وصل السلطان إلى الديار المصرية فدخلها، وكان يوم دخولهُ إليها يومًا مشهودًا، ففُرشت لهُ الشقق الحرير الملون من قُبة النصر إلى القلعة، وحُملت القُبة والطير على رأسهِ، وضج الناسُ لهُ بالدُعاء، فلما طلع إلى القلعة أخلع على جماعةٍ كثيرة من الأمراء، وأرباب الوظائف وغير ذلك.

وفي هذه السنة: في يوم السبت سادس شوال المُوافق لأخر يوم من أبيب زاد الله في النيل المُبارك أربعين أصبعًا؛ وفي اليوم الثاني وهو أول يوم من مُسري زاد الله في النيل المُبارك اثنين وستين اصُبعًا، وذلك ذراعين[1] ونصف وأصبعين فبقى عليه من الوفاء ذراعين.

وفي يوم الثلاثاء المُوافق لثالث يوم من مُسري زاد الله في النيل المُبارك خمسين أصبعًا، فأوفى، وزاد أصبعين، فكانت الزيادة في أربعة أيام سبعة أذرع[2] ونصف وأصبعين، فكان الوفاء في ثالث يوم من مُسري، وهذه الزيادة لم يُسمع بمثلها في الجاهلية، ولا في الإسلام، أن النيل زاد في يوم واحد اثنين وستين أصبعًا، وكان هذا من غرائب الحوادث التي لم يُسمع بمثلها فيما تقدم من السنين، وفي ذلك يقولُ بعض الشعراء:

النيلُ أفرط فيضًا ... بفيضهِ المتتابع
فصار مما دهانا ... حديثنا بالاصابع[3]

وقال أخرٌ:

النيلُ زاد جورًا ... بحكمهِ المُطاعِ
يعملُ في الرَّعايا ... بالباع والذراعِ[4]

وتوفي في هذه السنة من الأعيان: سيدي محمد ولد السلطان الملك الظاهر [١٤٢/أ] برقوق وولده سيدي قاسم.

وفيها: قُتل الشريف عليّ بن عجلان أمير مكة قتلُوهُ أقاربه.

---

(١) في الأصل "دراعين".
(٢) في الأصل "أدرع".
(٣) بحر المجتث؛ البيتان لبدر الدين ابن الصاحب. (انظر: نزهة الأمم ٩٨).
(٤) بحر مجزوء الرجز؛ البيتان لبدر الدين ابن الصاحب. (انظر: نزهة الأمم ٩٨).

وفيها: توفي قاضي القُضاة الشافعي ناصر الدين محمد بن الميلق[1]؛ وتوفي الشيخ غياث الدين العقُولي الواسطي[2]؛ وتوفي الشيخ الصالح المُسلك زين الدين أبي بكر المُوصلي، وغير هؤلاء من الأعيان والعُلماء.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، فيها: في يوم السبت سادس صفر أرسل السلطان طواشي، وهو شاهين الحسني الجمدار إلى بيت الأمير جمال الدين محمود أسُتادار العالية، فأخذ نساءه وسراريه وجواره، وأخذ ولده الأمير محمد، وطلعوا بهم إلى القلعة، واختفى الأمير محمود.

ثم في يوم الأحد نزل القاضي سعد الدين إبراهيم بن غُراب، ومعهُ الجناب السيفي آل باي، ويُدعى عليّ باي الخازندار إلى بيت الأمير جمال الدين محمود، فأخذوا منهُ مائة ألف دينار، وخمسين ألف دينار، وجد ذلك في مكانٍ عقد تحت سُلم[3].

ثم إنَ السلطان أخلع على الأمير قُلطو بك العلائي واستقر بهِ أسُتادارًا عُوضًا عن الأمير محمود بن عليّ الظاهري؛ وأخلع على القاضي سعد الدين ابن غُراب واستقر ناظر الدّيوان الشريف المفرد؛ وأخلع السلطان على الجناب الزيني مُبارك شاه واستقر به وزيرًا عُوضًا عن الناصري محمد بن رجب بن كلبك.

ثم إن السلطان سلم الناصري محمد ولد الأمير محمود أستادار العالية إلى الأمير علائي الدين ابن الطبلاوي والي القاهرة، فأقرَّ على مكانٍ خلف مدرسة والده، فحفرُوهُ فوجدوا فيه زيرين كبار، وخمسة أزيار صغار، وزلعتين الجميع فيهم دراهم نُقرة.

ثم حفروا ثاني يوم فوجدوا جرّتين في أحدهم ذهب، وفي الأخرى فضة، ثم قبضوا على بوابِهِ مُوسى، وعصرُوهُ، فأقر على مكانِ الإسكندرية وهو مخزن حمار، فأرسلوا حفرُوهُ فوجدوا فيه ستة وثلاثين ألف دينار ومائتين وثلاثون ألف دينار، فأحضرتْ إلى الخزائن الشريفة على يد الطواشي زين

---

(1) وهو ناصر الدين محمد بن عبد الدايم بن محمد المعروف بابن بنت مليق الشاذلي، مات ليلة الاثنين تاسع عشرين جمادى الأولى سنة ٧٩٧هـ. (انظر: السلوك ٨٤٩/٢/٣)؛ ولم يرد في بدائع الزهور.

(2) وهو غياث الدين محمد بن محمد العقولي الشافعي. (انظر: بدائع الزهور ٤٧٣/٢/١).

(3) الخبر في بدائع الزهور ٤٧٧/٢/١: مذكور فقط خمسين ألف دينار.

الدين [١٤٢/ب] صندل المنجكي الخازندار، ووجد لهُ عند مملوكه لاجين ثلاثين ألف دينار، ووجد لهُ عند مملوكه شاهين أربعين ألف دينار، ووجد لهُ عند أمامه سراج الدين ثلاثين ألف دينار، ووجد لهُ عند قاضي القُضاة ولى الدين ابن خلدون المالكي عشرين ألف دينار، ووجد لهُ عند فراشة شقير زير فيه سبعين ألف دينار، ثم وجدوا عند باب سرّه بُكله نحاس وجرّه نحاس، فكان جُملة ما فيهُما ثلاثة وستين ألف دينار، فتسلم ذلك الزيني صندل المنجكي، ووجد لهُ في سطح مدرسته خمسة قدُور فيهم نحو خمسين ألف دينار، ووجد لهُ في مكان قديم مغلوق عند جامع الأزهر زيرًا كبيرًا فيهِ مائة وسبعة وثلاثين ألف دينار، ووجد لهُ في مكان عند البرقيّة عند جارية سوداء زيرًا فيه مائة ألف دينار، وثلاث براني فيهم لؤلؤ كبار وفصوص مختلفة الألوان، ووجد لهُ عند شخص أسكافي طُرز زركش وكنابيش زركش وحوايص ذهب ما يُعلم عددهم، ووجد لهُ عند باب سرِّه الذي من حارة بني سُوس زلعة[1] كبيرة فيها ذهب فوزن ذلك فكان مائة ألف دينار وثمانية وثلاثين ألف دينار وسبعمائة دينار، فتسلم ذلك الزيني صندل المنجكي.

وذلك غير ما وجد لهُ من الأملاك والضياع والمراكب والمعاصر والجوار والعبيد والمماليك والبساتين وحُلي نسائه وسراريه وأولادهِ، والقُماش والفرش والخيول والجمال والبرك والغلال وغير ذلك من الودائع الذي[2] كانت عند الناس، فكان كما قيل في المعني:

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ   ويأكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ
ويقطع الثوب غير لابسه   ويلبس الثوب غير من قطعه[3]

وهذا الموجود يقرب من موجود الصاحب على الدين ابن زنبُور، وقد تقدم ذلك في أول التاريخ.

ثم مسك الأمير محمود الأسُتادار، فرسم السلطان بتسليمهِ هو وولده الناصري محمد إلى شاد الدواوين فسجنهُ في خزانةِ شمايل.

---

(١) في الأصل "زكعة".

(٢) كذا في الأصل، والصواب "التي".

(٣) بحر المنسرح؛ البيتان للأضبط بن قريع التَّمِيمِي. (انظر: الفرج بعد الشدة ١٠/٥- ١١).

وفي هذه السنة: حضر قاصد قرا يُوسف بن [١٤٣/أ] قرا محمد[1]، وصُحبتهُ شخص تتري يُسمى أطلمش، ذكروا أنهُ قريب تمرلنك، وأنهُ جعلهُ نائبهُ في بعضِ القلاع، فنزل يتصيد فسمع بهِ قرا يُوسف فركب وقبض عليه وأرسلهُ إلى السلطان، فلما مثل بين يديه، فرسم بسجنه فسجن.

وفي هذه السنة: غلتْ الأقوات، فرسم السلطان للأمير علائي ابن الطبلاوي والي القاهرة بأن يعمل في كلِّ يوم عشرين أردب قمح دقيق، ويعملها خُبزًا، وتُفرق على الفقراء والمساكين فعمل ذلك.

وفيها: أخلع على الصاحب سعد الدين ابن البقري واستقر وزيرًا عُوضًا عن مُبارك شاه؛ وأخلع على القاضي بدر الدين ابن الطُوخي واستقر ناظر النُظار.

وتوفي في هذه السنة من الأعيان: المقر السيفي سُودُون الفخري الشيخوني نائب السلطنة؛ وتوفي الصاحب محمد بن رجب بن كلبك، وغير هؤلاء جماعة من الأعيان والعُلماء.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فيها: حضر رُسل تمرلنك، يطلبون أطلمش الذي مُسكهُ قرا يُوسف، فكتب السلطان إلى تمرلنك كتابًا يقول لهُ فيه: "أطلق من عندك من النُواب وأولادهم، وأنا أطلق أطلمش"، فتوجه رُسلهُ بهذا الجواب.

وفيها: حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفي تاني بك الحسني، المعرُوف بتنم نائب الشام، فركب السلطان ونزل إلى المطعم بالريدانية وتلقاهُ وأكرمهُ وأخلع عليه، وأنزلهُ بالميدان الكبير الذي عند الناصرية، ثم أرسل نائب الشام تقدمته إلى السلطان وهي عشر كواهي[2]، وعشر مماليك، وعشر جوار، وعشرة آلاف دينار، ومصحف شريف، ونمجاه مُسقطه بذهب مُرصعه بفصُوص، وأربع كنابيش ذهب، وأربع سُروج ذهب، وبدلة[3] فرس ذهب، فيها أربعمائة مثقال شغل المعلم بهرام، ومائة وخمسين حمال ما بين صمور، ووشق، وسنجاب، وقاقم، وقرض، وصُوف، وغير ذلك [١٤٣/ب] ومائة

---

(1) في بدائع الزهور ٤٨١/٢/١: "قرامحمد" وليس قرا يوسف كما هنا؛ وفي السلوك ٨٥١/٢/٣: كما ورد هنا "قرا يوسف".

(2) وهي الصقور للصيد. (انظر: السلوك ٨٧٠/٢/٣ هامش١).

(3) في الأصل "بذلة".

وخمسين فرسًا، وخمسين جملًا، وخمسة وعشرين جمالًا بعلبكي، ونحو ثلاثين حمل فاكهة وحلوي ومُخللات واثنتي عشرة عُلبة كبيرة سُكر نبات حموي، وغير ذلك أشياء كثيرة[1].

ثم إنَ السلطان عدّى إلى بر الجيزة وأخذ معهُ نائب الشام على سبيل التنزة، فأقام هُناك عشرة أيام، ثم بعد أيام أخلع عليه السلطان خلعة السفر، وتوجه إلى الشام على عادتهِ.

ثم في هذه السنة: حضر قاصد صاحب اليمن وهو الملك الأشرف محمد بن الأفضل عباس، وصُحبتهُ القاضي بُرهان الدين المحلي التاجر الكارمي، وصُحبتهم هدية عظيمة من صاحب اليمن لم يُسمع بمثلها، فقبلها السلطان، وأخلع على قاصدهِ.

وفي هذه السنة: أخلع على القاضي تقى الدين الزبيري واستقر قاضي قُضاة الشافعية بالديار المصرية عُوضًا عن صدر الدين المناوي.

وفيها: أخلع على الأمير يَلبُغَا الأحمدي المعروف بالمجنون، واستقر أستادار العالية عُوضًا عن قُطلو بك العلائي.

وفيها: حصل في الشام غلاء عظيمًا، وكان بدمشق شخصًا يُقال لهُ ابن النُشو، وكان يشترى الغلال ويخزنها، فصبروا عليه أهل دمشق حتى ركب، فرجمُوهُ عوام دمشق حتى أنزلُوهُ عن فرسهِ وضربُوهُ، ثم ذبحُوهُ وقطعوا رأسهُ، ثم أحرقُوهُ بالنار، ولم ينتصر لهُ نائب الشام.

وفيها: جاءت الأخبار بأن تمرلنك وصل إلى أطراف بلاد الروم وأخذ مدينة تُسمى أرزنكان[2]، وقتل جماعة كثيرة من التُركمان، فبرزت المراسيم الشريفة بخروج النُواب، والعساكر الشامية، والحلبية، وغير ذلك من النُواب، فتوجهوا جميعًا إلى أرزنكان، فأخذوها من يد عسكر تمرلنك، وقتلوا منهم جماعة كثيرة[3].

---

[1] في بدائع الزهور ٤٨٤/٢/١- ٤٨٥: الخبر منقول عن المقريزي في السلوك؛ (انظر الخبر في: السلوك ٨٧٠/٢/٣).

[2] ويقال أرزنجان: بلدة كانت تعد قديما من بلاد أرمينية، وهي الآن من بلاد الجمهورية التركية. (انظر: مراصد الاطلاع ٥٥/١؛ وتاريخ ابن خلدون ٧٢٨/٧ هامش ٥).

[3] الخبر في بدائع الزهور ٤٩٦/٢/١: في أحداث سنة ٨٠٠هـ.

وفيها: في أوائل ذي الحجة توعك جسد السلطان وأقام مُنقطعًا أيامًا، ثم تعافى، ودخل [١٤٤/أ] إلى الحمام، ثم بعد أيام ركب وشق القاهرة فزُينت لهُ، ثم إنهُ بعد أيام انتكس وضعف، وكثرت الأقاويل، ثم إنهُ تعافى وركب وسافر إلى سرياقُوس، فبطلت الأقاويل.

وفيها توفي من الأعيان: سيدي إسماعيل بن السلطان حسن، والصاحب سعد الدين ابن البقري، وقاضي القُضاة جمال الدين القيصري الحنفي، وقاضي القُضاة شمس الدين الطرابُلسي الحنفي، والسيد الشريف الأخلاطي الحلبي.

وفيها: تُوفي الأمير جمال الدين محمود بن عليّ الظاهري أسُتادار العالية، وقد استمر في خزانة شمايل إلى أنْ مات بها، فغسل وكُفن وصُلى عليه ودُفن في مدرستهِ التي أنشأها عند الموازنيين خارج بابي زُويلة، وقدْ ذهب مالهُ ومات وهو في السجن بعد ما رأى من العزّ والمال ما تقدم ذكره، فكان كما يُقال في المعنى:

أفٍ[1] لدُنيَانا وأفعالها ... فإنها للهّم[2] مخلوقة
همومُهَا لا تنقضى ساعة ... عن ملك فيها ولا سُوقة
وا عجبا منها ومن قَبحِهَا[3] ... عَدُوةٌ للناسِ مَعشُوقة[4]

ثم دخلت سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية، فيها: رسم السلطان بإحضار تغري بردي من بشبُغَا نائب حلب، فتوجه لإحضارهِ أخو بكتمر الناصري جُلق.

وفيها: قبض السلطان على الأتابكي كمشبُغَا الحموي، والمقر السيفي بكلمش العلائي أمير سلاح، وقُيدَا وأرسلا إلى السجن بثغر الإسكندرية.

ثم إنَ السلطان عمل الموكب، وأخلع على المقر السيفي أيتمش البُجاسي واستقر بهِ أتابك العساكر بالديار المصرية؛ وأنعم بإقطاع بكلمش العلائي على المقر السيفي نُورُوز الحافظي؛ ثم حضر المقر السيفي تغري بردي فأنعم عليه بإقطاع الأمير شيخ الصفوي، وسكن في بيت الأمير طاز الذي عند حمام الفارقاني. [١٤٤/ب]

---

(1) في بدائع الزهور ٤٨٩/٢/١ وجواهر السلوك ٢٦٨: "إنّ".
(2) في جواهر السلوك ٢٦٨: "اللهم".
(3) في بدائع الزهور ٤٨٩/٢/١ وجواهر السلوك ٢٦٨: "فعلها".
(4) بحر السريع.

وفيها: أخلع السلطان على الأمير بيقُجاه الشرفي طيفُور واستقر به نائب غزة عُوضًا عن الأمير أحمد ابن الشيخ عليّ بحكم انتقاله إلى صفد، ورسم لنائب صفد بأن يكون نائب طرابلس.

وفيها: حضر القاضي جمال الدين الملطي من حلب، فلما حضر أخلع عليه واستقر قاضي قُضاة الحنفية بالديار المصرية عُوضًا عن القاضي شمس الدين الطرابُلسي بحكم وفاته.

وفيها: أنعم السلطان على مملوكه آل باي العلائي بتقدمة ألف، وأنعم على الأمير يشبك الشعباني بتقدمة ألف، وأنعم على جماعة من الأمراء بطبلخانات وعشراوات.

ثم بعد أيام عمل السلطان الموكب، وأخلع على من يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي تغري بردي من بشبُغَا واستقر أمير سلاح؛ وأخلع على المقر السيفي أقبُغَا اللكاش واستقر أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي نُورُوز الحافظي واستقر أمير أخور كبير؛ وأخلع على المقر السيفي بيبرس قريب السلطان واستقر دوادار كبير؛ وأخلع على المقر السيفي عليّ باي ويُدعى آل باي واستقر رأس نوبة النُوب، ولبسوا كلهم في يوم واحد.

وفي هذه السنة: قبض السلطان على الأمير علائي الدين ابن الطبلاوي، وعلى أخيه وابن عمه، وعلى أصحابِهِ وحاشيته وعياله.

فلما كان يوم السبت طلع العوام بأعلام ومصاحف إلى تحت القلعة، يسألون السلطان في الإفراج عن الأمير علائي الدين ابن الطبلاوي، فأرسل السلطان الأوجاقية ضربُوهم وشتتُوهُم، واستمر علائي الدين ابن الطبلاوي في الترسيم، فأرسل يُقولُ للسلطان: "أن لي كلام سرّ، ما أقولهُ إلا في أذن السلطان"، فأبى السلطان من ذلك، ورسم للأمير يَلبُغَا الأحمدي أستادار العالية بأخذ ابن الطبلاوي إلى بيتهِ ليستخلص منهُ الأموال، فلما تسلمهُ وخرج بهِ إلى عند الزردخاناة فقعد هُناك، وأخرج من على وسطهِ كزلكًا صغيرًا وضرب بهِ بطنه ليموت، فمسكُوهُ الطواشية، وأخذوا منهُ ذلك الكزلك [١٤٥/أ] وكان قصد السلطان أنْ يفرج عنهُ.

فلما بلغ السلطان أمر الكزلك تخيل منهُ وظن أنهُ ما كان يُريد القرب منهُ إلا ليضربهُ بذلك الكزلك، فاشتدَّ عليه غضبه، وأمر الأمير يَلبُغَا الأحمدي بعقوبته،

فنزل بهِ إلى بيتهِ، وعصرهُ وسعّطهُ[1] بالملح والجير كما كان يفعل هو بالناس، وقد قيل في المعنى:

جُــرِّع كاسًــا كـــانَ يَســقى بهَـــا   وَالمـــرءُ مُجـــزيٌ بأعمَالـــهِ[2]

فأظهر في تلك الليلة خمسة وستين ألف دينار[3]، ثم عُوقب فأخرج من رواقهِ الكبير الذي عمَّره وهو جندى، أربع براني وجرة ضمنهم عشرين ألف دينار، ثم أحاطوا على بقية موجودهِ، فأباعُوهُ بمائة ألف دينار، ثم تقرر على ابن عمهِ مائتي ألف درهم، وتقرّر على أخيهِ مائة ألف دينار، وعلى تقى الدين الخطيب قريبه خمسين ألف درهم، وعلى دواداره علائي الدين ابن عمر خمسين ألف درهم.

وفيها: في يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة عمل السلطان مهم عظيم بالميدان، الذي تحت القلعة، وسبب ذلك أنهُ لعب بالأكرة والصولجان مع المقر الأتابكي أيتمش البُجاسي، فغلبهُ السلطان، فقصد أيتمش أنْ يعمل مهم من مالهِ، فرسم السلطان بأن يُعمل المهم من مال السلطان، فتكفل بهِ الوزير والأستادار، ثم إنهم ضربوا بالميدان خيمة كبيرة مُدورة ، وعدتْ صواوين برسم الأمراء، وكان ما عُمل بالمهم من اللحم عشرين ألف رطل، ومن الأوز مائتي زوج، ومن الدجاج ألف طير، وعشرين فرسًا للذبيحة، ومن السُكر ثلاثين قنطارًا برسم المطبخ والحلوى، ومن الزبيب ثلاثين قنطارًا برسم الأقسما والشُشش، وستين أردب دقيق برسم البُوزة، فعُملت البُوزة في أذنان[4].

ثم إنَ السلطان صلى الصُبح، ونزل إلى الميدان [١٤٥/ب] في وقت السحر، فأشار على السلطان بعض أخصائه بأن يمُدَّ السماط، ويطلع إلى القلعة، وكان عزم السلطان بأن يُقيم في الميدان إلى أخر النهار، ويحضر جماعة من أرباب الملاهي والملاعيّب.

فلما أشار عليه بعض أخصائه بالطلوع إلى القلعة، فمدَّ السماط للأمراء، ثم ركب وطلع إلى القلعة قبل طلوع الشمس، وأخلع على الأمراء وعلى أرباب

---

[1] وسَعَطَهُ: إذا جعله في أنفِه. (الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي ٣٥٩/٢).
[2] بحر السريع.
[3] في بدائع الزهور ٤٩٨/٢/١: "ستين ألف دينار"؛ وفي جواهر السلوك ٢٧٠: "مائة ألف دينار".
[4] في الأصل "أدنان".

الوظائف لكلِّ واحدٍ خلعة، وأركبهُ فرس بسرج ذهب وكنبوش، وأخلع على الوزير والأستادار وناظر الخاص لكون أنهم تولوا أمر المُهم.

فلما ركب السلطان والأمراء دخل العوام إلى الميدان، ونهبُوا السماط، وأخذوا البُوزة والشُشش من الأذنان[1]، وحصل في ذلك اليوم بعض اضطراب بسبب ذلك، وفي ذلك يقولُ بعض الشعراء:

سلطان مصر في الوجُود الظاهري قدْ عمنَا بالفضلِ وَالإحسَان

لمْ أنسَ يَوم السبت حُسن مُهمّه قدْ عشتُ ذاك اليوم بالسلطاني[2]

وفيها: في يوم الأحد[3] تاسع عشر ذي القعدة أوفى النيل المُبارك، فركب السلطان ونزل من القلعة لتخليق المقاس، وكسر السد على العادة، فخلق المقياس، ونزل في الحُراقة إلى كسر السد، فحضر إليه شخص من خُشداشينه من مماليك يَلبُغَا العُمري يُسمى سُودُون الأعور، فأسرَّ للسلطان في أُذنهِ: "بأنهُ ساكن في بيت بأعلى الكبش، وهو مُطلٌ على بيت الأمير عليّ باي[4] رأس نوبة النُواب، فرأى مماليك عليّ باي لابسين آلة الحرب، وهُم واقفون تحت بوائك الخيل وقد تستروا بالأنخاخ[5] حتى لا يراهم أحد".

وكان عليّ باي قبل ذلك أظهر أنهُ ضعيف، وانقطع في بيتهِ أيام، وكان ظنَّهُ أنَ السلطان إذا رجع من كسر السد يدخل ويُسلم عليه، فإذا دخل إلى بيتهِ يقبض على السلطان ويقتلهُ، فألبس مماليكه آلة الحرب وأوقفهم تحت بوايك الخيل، وستَّرَ عليهم بالانخاخ.

فلما سمع السلطان [١٤٦/أ] بذلك أرسل الأمير أرسطاي أحد رؤوس النُوب ليكشف لهُ الخبر عن صحة ذلك، فتوجه أرسطاي إلى بيت علي باي، وأعلم حاشيته بأن السلطان إذا رجع من السد يدخل يُسلم على الأمير عليّ باي، ووقف أرسطاي على الباب.

---

(١) في الأصل "الأدنان".

(٢) بحر الرجز؛ وفي جواهر السلوك ٢٧١: وردت أبيات بالمعنى نفسه، ولكن مختلفة في الألفاظ؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

(٣) في بدائع الزهور ٥٠٢/٢/١ وجواهر السلوك ٢٧١: "السبت".

(٤) في بدائع الزهور ٥٠٣/٢/١ و السلوك ٩٠٤/٢/٣: "ألى باي"؛ والنجوم الزاهرة ٨٣/١٣ وجواهر السلوك ٢٧١ وهنا: "على باي".

(٥) وهو ضرب من البسط.

فلما رجع السلطان من كسر السد فتوجه إلى بيت عليّ باي، فلما أراد أنْ يدخل إلى بيتهِ فنادتهُ امرأة من أعلى البيوت الذي[1] في الكبش، وقالت لهُ: "يا خوند لا تدخل فأنهم قدْ لبسوا آلة الحرب"، وقيل: إن المرأة أرمتْ على السلطان لما أراد أنْ يدخل إلى بيت عليّ باي قلة فيها ماء، فلما شال السلطان وجههُ إليها، قالتْ لهُ: "يا خوند لا تدخل"، فثنى السلطان عنان فرسه إلى نحو القلعة.

فلما وليّ السلطان، أشار عليه الأمراء بأنْ يُنقل في مشيهِ، فنقل هو والأمراء فتقنطر في ذلك اليوم الأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير بيبرس الدوادار، ثم ركبا، فلما تحقق عليّ باي رجوع السلطان إلى القلعة خرج من بيتهِ هو ومماليكهُ، وكانوا نحو من أربعين مملوكًا، فتبعوا السلطان إلى الرملة.

فكان من جُملة سعد السلطان أن باب السلسلة كان مفتوحًا، فطلع منهُ هو والأمراء، ثم أغلقُوهُ من ورائهِ، فلما طلع السلطان إلى الأسطبل طلع عليّ باي خلفهُ وهو سائقٌ، فوقف في سُوق الخيل هو ومماليكه، فنزل إليهِ بعض الأمراء وبعض المماليك السلطانية، فاتقعوا معهُ، فكان بينهم وقعة عظيمة، قُتل فيها من المماليك السلطانية خاصكي يُسمى بيسق المُصارع وجرح فيها جماعة كثيرة من المماليك.

ثم إنَ عليّ باي انكسر وهرب وهربتْ مماليكه، ثم إنَ الأمير يَلبُغَا الأحمدي الأسُتادار طلع إلى القلعة، فأراد المماليك السلطانية قتلهُ، واضجعُوهُ ليذبحُوهُ فمنعهم السلطان من ذلك، ثم رسم بتقييده وارماهُ في البُرج، ثم إنَ المماليك السلطانية مسكوا مملوك عليّ باي وهو شاد الشربخاناة بتاعهُ، وكان قدْ قاتل قتالا شديدًا مع [١٤٦/ب] أسُتاذه.

فلما مُثل بين يدى السلطان أمر بقتلهِ، فقتلُوهُ بالسيوف فمات من وقتهِ، ولما هرب عليّ باي نهبوا العوام بيته، وأخربُوهُ وأخذوا رُخامهُ، وأخشابه، وأبوابه، ونهبوا بيوت حاشيته وغلمانه.

فلما دخل الليل ظهر الأمير عليّ باي في مُستوقد حمام بالقرب من حدرة بن قميحه، وقيل: في مُستوقد الحمام المجاورة لبيتهِ، فنزل إليه الأمير بيبرس الدوادار، فطلع بهِ إلى القلعة فأمر السلطان بتقييدهِ، فقيد وسجن، وكان سبب رُكوب عليّ باي أنَ مملوكه شاد الشربخاناة الذي قُتل، قيل: عنهُ أنهُ شاكل

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "التي".

بعض جوار الأمير أقباي الطُرنطاي أحد الأمراء الطبلخانات، فلما علم الأمير أقباي بذلك مسك مملوك عليّ باي وضربهُ نحو أربعمائة عصاه، فدخل مملوك عليّ باي واشتكى أقباي إلى أسُتاذهِ فيما فعلهُ بهِ من ضربه إياه، فطلع عليّ باي واشتكى أقباي إلى السلطان، فلم يلتفت السلطان إلى كلام عليّ باي، فعزَّ ذلك على الأمير عليّ باي، وأظهر المُخامرة على السلطان، وجرى منهُ ما جرى من أمر الركوب.

فلما مُسك عليّ باي سجنهُ السلطان بقاعة الفضة، فلما انفض الموكب طلب السلطان عليّ باي في خلوة، وقال لهُ: "من ألجأك إلى هذا الذي فعلتهُ؟"، فقال له: "ما ألجأني أحد إلا قهرًا منك الذي ما أخذت بتاري".

ثم إنَ السلطان أحضر إليه المعاصيّر، وعصرهُ بحضرتهِ، وقرَّرَهُ هل كان لأحد من الأمراء في ذلك جُرّه، فبرأ علي باي جميع الأمراء، وحلف أنهُ ما كان مُتفق مع أحدٍ من الأمراء على ذلك.

ثم إنَ السلطان أحضر علي باي في يوم الإثنين، وعصرهُ ثاني مرة، وقرَّرَهُ فلم يقر بشيء، ولم يذكر من الأمراء أحدًا بسوء.

ثم إنَ السلطان أفرج عن الأمير يَلبُغَا الأحمدي[1] الشهير بالمجنون أسُتادار العالية، فلما نزل إلى بيتهِ، وكان وقت الظهر من يوم الإثنين، وإذا بالمدينة قدْ ماجتْ، والخلق سائقين، والمماليك قدْ لبسوا آلة الحرب، وطلعوا إلى تحت القلعة، فوجدُوا باب السلسلة مغلوق، وقد أشيع بين الناس أن الأمير أقبُغَا اللكاش، والأمير يَلبُغَا الأحمدي الأسُتادار قد خامرَا، وركبا على السلطان، ولم يكن لهذا الكلام صحة، وإنما هو اشاعة من [١٤٧/أ] العوام، فركب الأمير أقبُغَا اللكاش، وطلع إلى القلعة.

وأما يَلبُغَا الأحمدي فأنهُ كان في بيت الأمير فرج أسُتادار خيره، فلما بلغهُ ذلك فقال للأمير فرج: "اطلع إلى القلعة، وعرَّف السلطان أنني كنتُ عندك قاعد في بيتك"، فركب الأمير فرج وطلع إلى عند السلطان فعرَّفهُ بأنَ يَلبُغَا الأحمدي كان عندهُ في بيتهِ.

وقيل: أن سبب هذه الفتنة أنَ بعض المماليك السلطانية صَدَف مملوك من مماليك عليّ باي فجرَّد سيفهُ وتبعهُ، فظن الناس أن أحدًا من الأمراء ركب،

---

[1] في الأصل "الأحمد".

فلبس العسكر آلة الحرب، وطلعوا إلى الرملة وأشاع العوام أن أقبُغَا اللكاش ويَلبُغَا الأحمدي ركبا على السلطان ولم يكن لهذا الكلام صحة، فكانت هذه الحركة أصعب من حركة عليّ باي، ثم إنَ العسكر قلع آلة الحرب، وتوجهوا إلى بيوتهم، وكذلك الأمراء وانفصل الأمر على خير.

فلما كان ليلة الثلاثاء بعد المغرب طلب السلطان عليّ باي وعصرهُ ثالث مرة، فلم يقرّ بشيء على أحدٍ من الأمراء، فضربهُ السلطان بُعكاز فولاذ كان في يدهِ، فخسف به صدر عليّ باي، ثم رسم بخنقه فخنق عند باب الركبخاناة السلطانية، وغُسل وكُفن ودُفن تحت الليل وانفصل أمره، فكان كما قيل في الأمثال:

وإن من حارب من لا يقوى لحربهِ جرَّ لديه البلوى
فحاربَ الأكفاءِ والأقرانا فالمرء لا يُحاربُ السلطانا
واقنع إذا حاربت بالسلامة واحذر فعالا تُوجب الندامة[1]

ثم إن السلطان أخلع على الأمير أرسطاي من خُجا عليّ واستقر بهِ رأس نوبة النُوب عُوضًا عن عليّ باي.

ثم إنَ السلطان رسم بنفى يَلبُغَا الأحمدي أسُتادار العالية إلى ثغر دمياط، فنفى من يومهِ، ثم أخلع على الناصري محمد بن سُنقر البجكاوي واستقر أسُتادار العالية عُوضًا عن يَلبُغا الأحمدي.

ثم إن السلطان رسم بتسمير سبعةِ أنفس [١٤٧/ب] من أصحاب عليّ باي، منهم شخصٌ يُسمى أقبُغَا الفيل كان من طبقة عليّ باي، ومنهم شخصٌ عجمى يُسمى رمضان كان عليّ باي يقولُ لهُ: "يا أبي"، وخمسة أنفس من مماليك عليّ باي، فسمّروهم، وطافوا بهم في القاهرة، ثم وسَّطوهم عند بركة الكلاب ظاهر الباب المحروق[2].

وتوفي في هذه السنة منَ الأعيان: القاضي بُرهان الدين صاحب سيواس، والأمير تاني بك اليحياوي أمير أخور كبير، والأمير قلمطاي العثماني الدوادار الكبير، وتوفي القاضي أمين الدين محمد الحمصي الدّمشقي كاتب السرّ بالشام

---

(١) بحر الرجز؛ لم يرد البيت الثالث في بدائع الزهور؛ وجاء في بدائع الزهور ٥٠٢/٢/١: الأبيات في أمثال الصادح والباغم.

(٢) الخبر في جواهر السلوك ٢٧٣: في أحداث شهر المحرم سنة ٨٠١هـ.

المحروس، وتوفي القاضي تاج الدين ابن الشهيد[1]، وتوفي القاضي نجم الدين الطميدي[2] مُحتسب القاهرة، وغير هؤلاء جماعة من الأعيان.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانمائة، فيها: في يوم الجمعة ثالث عشر صفر نزل السلطان إلى الأسطبل السلطاني وحكم به، وكان من حين قُتل عليّ باي لم ينزل إلى الأسطبل ولم يحكم بهِ، فلما نزل قبض في ذلك اليوم على الأمير نُورُوز الحافظي أمير أخور وسجنهُ بقاعة الفضة المُطلة شبابيكها على الإيوان، سبب ذلك قدْ نُقل عنهُ ما يجب تغير خاطر السلطان عليه، وقيل: أنهُ اتفق مع بعض المماليك على قتلِ السلطان، ثم إنَ السلطان قيّد نُورُوز الحافظي وأرسلهُ إلى السجن بثغر الإسكندرية، ونفى بعض مماليك ممن كان مُتفق مع نُورُوز.

ثم إنَ السلطان عمل الموكب، وأخلع على من يُذكر من الأمراء، وهُم: الأمير سُودُون قريب السلطان واستقر أمير أخور كبير عُوضًا عن نُورُوز الحافظي؛ وأخلع على الأمير أرغون شاه الأقبُغَاوي واستقر أمير مجلس عُوضًا عن أقبُغَا اللكاش؛ وأخلع أقبُغَا اللكاش واستقر نائب الكرك، فلما وصل إلى عزة قُبض عليه وأرسل إلى السجن بقلعة الصبيبة، وأنعم على تمراز الناصري بتقدمة ألف.

ثم جاءت الأخبار بأن نائب [١٤٨/أ] حلب أرغون شاه الإبراهيمي تُوفي إلى رحمة الله تعالى، فرسم السلطان لاقبُغَا الجمالي نائب طرابلس بأن ينتقل إلى نيابة حلب عُوضًا عن أرغون شاه، وتوجه إلى تقليده الأمير أينال باي بن قجماس قريب السلطان، ورسم بنيابة طرابلس للأمير يُونس بُلطا الظاهري نائب حماه، ورسم بنيابة حماه للأمير دمرداش المحمدي، وتوجه إلى تقليده الأمير شيخ المحمودي، ورسم السلطان للأمير سُودُون الظريف بنيابة الكرك عُوضًا عن أقبُغا اللكاش بحكم سجنهِ في قلعةِ الصبيبة.

وفي هذه السنة: رسم السلطان للناس بأن يحجوا رجبي، وكان ذلك بطل من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، فرسم بتجديد ذلك على العادة[3].

---

(1) وهو تاج الدين أحمد بن فتح الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشهيد. (انظر: السلوك ٩١٠/٢/٣).

(2) في بدائع الزهور ٥٠٩/٢/١: "الطمبيدي"؛ وهو نجم الدين محمد بن عمر بن محمد الطنبدي. (السلوك ٩١٢/٢/٣).

(3) الخبر في السلوك ٩٢٣/٢/٣؛ ولم يرد في بدائع الزهور.

وفي هذه السنة: أنعم السلطان على جماعة من الأمراء بطبلخانات وعشراوات، منهم سُودُون من زاده، ومنهم تغري بردي الجلباني، ومنكلي بُغَا الناصري، وبكتمر الناصري جُلق، وأحمد بن قُطينة؛ ومن العشراوات: بُشباي من باكي، وتمربُغَا من باشاه، وشاهين من إسلام، وجُوبات العثماني، وجكم العوضي.

وفي هذه السنة: قبض السلطان على الصاحب بدر الدين ابن الطُوخي واستقر بالأمير تاج الدين عبد الرزاق والي قطيا.

وفيها: رسم السلطان بأن يُفرج عن الأمير يَلبُغَا الأحمدي أسُتادار العالية، وكان بثغر دمياط فتوجه لإحضارهِ بيغان الكركي.

وفيها: أخلع السلطان على القاضي فتح الله واستقر بهِ كاتب السرّ بالديار المصرية عُوضًا عن القاضي بدر الدين الكُلستاني بحكم وفاتهِ.

وفيها: أخلع السلطان على الأمير فرج واستقر بهِ نائب ثغر الإسكندرية عُوضًا عن صُرغتمش المحمدي بحكم وفاته.

وفيها: في يوم الثلاثاء سابع عشرين شهر رمضان أفرج السلطان عن الأمير علائي الدين ابن الطبلاوي والي القاهرة، وكان لهُ مُدّة [١٤٨/ب] طويلة وهو في السجن بخزانة شمايل، فتجمع وقت خروجه الجم الغفير من الناس، فأبيع في ذلك اليوم زعفران بجملة مُستكثرة من الفضة، وأوقدوا لهُ الشموع والقناديل من خزانة شمايل إلى بيت يَلبُغَا الأحمدي الأسُتادار، فأقام في بيت يَلبُغَا الأحمدي أيامًا، ثم رسم السلطان بخروجه إلى الكرك[(١)]، فخرج إليها.

وفيها: في يوم الثلاثاء خامس شوال لعب السلطان بالرُمح في الحوش، وكان ذلك اليوم شديد الحر، ثم بعد أن فرغ من لعب الرُمح أكل عسل نحل كختاوي[(٢)]، فطاب لهُ فأكل منهُ كثير، فاستحال صفرا، فاشتدت بهِ الحُمى، وضعف من يومهِ، واشتدّ بهِ المرض إلى يوم السبت، فاشيع بين الناس أنهُ في النزاع، فأقام إلى يوم الأربعاء ثالث عشر شوال، فطلع عليه الورشكين، وحصل

---

(١) في بدائع الزهور ٥٢٣/٢/١: "فرسم السلطان بنفيه إلى القدس بطالا"؛ وفي السلوك ٩٣٦/٢/٣: "وفي سادسه أخرج ابن الطبلاوي من القاهرة منفيا إلى الكرك".

(٢) في جواهر السلوك ٢٧٤: "كخباوي".

لـهُ الفُواق[1]، وارجفت القاهرة بموتـهِ، فركب والـي القاهرة ونـادى بالأمـان والاطمان والبيع والشراء.

فلما كان يوم الخميس رابع عشر شوال حصل لـهُ إفاقة، فطلب أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الأربعة، وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر، وسائر أرباب الدولة، فلما كمل المجلس عهد السلطان إلى ولدهِ المقر الزيني فرج، ومن بعدهِ لولدهِ المقر العزي عبد العزيز، وبعده لولدهِ المقر الصارمي إبراهيم.

ثم كتب وصيّة، فأوصى فيها لزوجاتـهِ، وسراريه، وخُدّامـهِ، بمـالٍ جُملتـه مائتين ألف دينار وعشرين ألف دينـار[2]، وأوصـى بـأن تُعمر لـهُ تُربـة بثمانين ألف دينار، ومهما فضل من الثمانين ألف دينار يُشترى بها أوقاف للتُربـة، وأن يُبنى في التُربة خانقاة، وجامع بخطبة؛ وأوصى أنهُ إذا مات يُدفن في لحدٍ لا في فسقيّة، وأن يكون دفنـهُ بين الفقراء الذي[3] هُنـاك؛ وأوصـى أن سائر أملاكـهُ يكونوا وقفًا على [١٤٩/أ] التُربة.

وأوصى أن يكون المقر الأتابكي أيتمش كافل ولده، وإليه أمر الحلّ والعقد، والولاية والعزل، وجعل المقر السيفي تغري بردي أمير سلاح وصـي، والمقر السيفي بيبرس الدوادار وصـي، والمقر السيفي يشبك الشعباني وصـي، والمقر السيفي تنم الحسني نائب الشام وصـي، وجعل أمير المؤمنين المتوكل على الله ناظرًا على الجميع، وإليه المراجعة في الأمور؛ ثم أخلع على الأتابكي أيتمش خلعة، وانفصل المجلس على ذلك، ونزل إلى بيته ومعهُ سائر الأمراء في خدمته.

واستمر السلطان مُلازم الفراش، وحكي الأمير صندل المنجكي الخازندار: "إنَ السلطان تصدق في هذه الضعفة بمائتين وخمسين ألف دينـار[4]، وذلك خارجًا عن الغلال وكسوة أيتام المكاتب.

فلما كانت ليلة الجمعة خامس عشر شوال سنة إحدى وثمانمائة توفي السلطان الملك الظاهر برقوق بن أنس العثماني إلى رحمة الله تعالى، وذلك وقت التسبيحِ من ليلة الجمعة المذكورة.

---

[1] في جواهر السلوك ٢٧٤: "الفواز".
[2] في الأصل "ديناد".
[3] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[4] في بدائع الزهور ٥٢٥/٢/١: "بأربعة عشر ألف دينار وستة وتسعين دينارًا".

فكان كما قيل في المعنى:

تَرجو البقَاءُ بدارٍ لا ثبَاتُ لهَا فهل سمعتَ بظلٍ غير مُنتقلِ[1]

فكانت مُدّة سلطنتهُ بالديار المصرية والبلاد الشامية إلى أنْ مات على فراشهِ ستَّ عشرة سنة وأربعة أشهر وسبعة وعشرون يومًا، منها السلطنة الأولى ست سنين وثمانية أشهر وسبعة وعشرون يومًا، والسلطنة الثانية إلى أن مات تسع سنين وثمانية شهور، والفترة بينهما لما تسلطن الملك المنصور أمير حاج ثمانية شهور[2].

وكانت مُدّة أتابكيته بمصر أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام.

فكانت مُدّة حكمه بمصر أتابكي وسلطان إحدى وعشرين سنة وعشرة [١٤٩/ب] أشهر وستَّة عشر يومًا، وزال مُلكهُ كأنهُ لم يكن فسبحان منْ لا يزول مُلكه ولا يتغير.

ومات ولهُ من العمر نحو اثنين[3] وستين سنة على ما ذكر، وخلف من الأولاد ستة، ثلاثة ذكور وهُم: فرج، وعبدالعزيز، وإبراهيم؛ وثلاثة أناث.

وخلف من المال ألفين ألف دينار، وأربعمائة ألف دينار، ومن الخيول ستة[4] ألاف فرس، وقيل: اثنى عشر ألف فرس، ومن الجمال خمسة ألاف جمل، ومثلها بغال.

قال الجناب الشهابي أحمد بن قُطينة: "لما كان مُتولي الأسُتادارية، كان عليق السلطان الملك الظاهر برقوق في كلّ شهر اثنى عشر ألف أردب من الشعير"، وبلغتْ عدّة مماليكه سبعة ألاف مملوك، وقيل أكثر من ذلك.

وكان الظاهر برقوق كثير البرّ والصدقات، فمن ذلك أنهُ أوقف بلدًا في الجيزة على السحابة التي تطلع في كلّ سنة إلى الحجاز الشريف؛ وكان لهُ في كل يوم من شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة تُطبخ وتفرق على الحبُوس والزوايا، وفي الأماكن المشهورة بالزيارات؛ وكان يُفرق في ليلة من شهر

---

(1) بحر البسيط؛ البيت للحسين بن علي بن محمد المعروف بالطغرائي. (انظر: معجم الأدباء ١١١٣/٣).

(2) في بدائع الزهور ٥٢٦/٢/١: زيادة عن هنا "وتسعة أيام".

(3) في بدائع الزهور ٥٢٦/٢/١: "ثلاثة".

(4) في بدائع الزهور ٥٢٦/٢/١: "سبعة".

رمضان ألف رغيف على الفقراء والمساكين؛ وكان يُفرق في كلّ سنةٍ من القمح سبعة آلاف أردب على الزوايا، وغير ذلك.

وأبطل في أيامهِ مكُوسًا كثيرة من مصر ومن الشام وغير ذلك من البلاد.

وخُطب باسمهِ في أماكن لم يُخطب فيها لأحدٍ من الملوك قبله وذلك أنهُ خُطب باسمه في توريز العجم، وفي المُوصل، وفي مَاردين، وفي سنجار، وفي دُوركي، وفي أزرنكان من أرض الرُوم، وضُربت السكة باسمه في هذه الأماكن.

والذي عمّرهُ في أيامهِ: وهو جسر الشريعة [١٥٠/أ] بالغور، وجدّد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية، وعمَّر زربية البرزخ بثغر دمياط بعد ما كان ظهر منها عظام الشهداء، وعمر سُور دمنهور، وعمر قنات العرُوب بالقدس الشريف، وعمر الفساقي برأس وادي بني سالم بطريق المدينة الشريفة، وعمر المجراة التي تجري من بحر النيل إلى القلعة، وجدَّدَ تحتها القناطر، عمر الميدان الذي تحت القلعة بعد ما كان قد خُرب وأرمى في أرضهِ الطين وأسقاهُ بماء النيل، وزرع بهِ القُرط، وطلع بهِ النجيّل، وعمر الصهريج الكبير بالقلعة، وعمر السبيل والمكتب الذي قُدام دار الضيافة بظاهر القلعة، وعمر الطاحُون التي بالقلعة ولم يكنْ بها قبل ذلك طاحون، وعمر المدرسة التي بين القصرين، وعمر الوكالة التي تجاه باب الجُوانية، وعمر أشياء كثيرة غير ذلك، وكانت دولته ثابتة القواعد.

أما قُضاته الشافعية بمصر: فالقاضي بُرهان الدين ابن الجماعة، والقاضي بدر الدين ابن أبي البقا السُبكي، والقاضي ناصر الدين ابن الميلق، والقاضي عماد الدين الكركي، والقاضي صدر الدين المناوي، والقاضي تقي الدين الزُبيري.

وأما قُضاتهِ الحنفية بمصر: فالقاضي صدر الدين ابن منصور، والقاضي شمس الدين الطرابُلسي، والقاضي مجد الدين الكناني، والقاضي جمال الدين محمود القيصري[1]، والقاضي جمال الدين الملطي.

وأما قُضاته المالكية بمصر: فالقاضي جمال الدين ابن خير، والقاضي ولي الدين ابن خلدون المغربي، والقاضي شمس الدين الركراكي، والقاضي شهاب الدين النحريري، والقاضي ناصر الدين ابن التنسي.

---

[1] في بدائع الزهور ٥٢٨/٢/١: "القصيري".

وأما قُضاته الحنابلة بمصر: فالقاضي ناصر الدين العسقلاني، وولده بُرهان الدين.

وأما كُتاب سرِّه بالديار المصرية: [١٥٠/ب] فالقاضي بدر الدين ابن فضل الله، والقاضي علائي الدين الكركي، والقاضي بدر الدين محمود الكلستاني، والقاضي فتح الدين فتح الله.

وأما وزراؤه بالديار المصرية: فالصاحب شمس الدين ابن كاتب أزلان، والصاحب علم الدين ابن القسيس، والصاحب كريم الدين ابن الغنام، والصاحب مُوفق الدين أبي الفرج، والصاحب سعد الدين ابن البقري، والصاحب ناصر الدين ابن الحُسام الصقري، والصاحب رُكن الدين عمر بن قايماز، والصاحب تاج الدين ابن أبي شاكر، والصاحب ناصر الدين محمد ابن كلبك، والصاحب مُبارك شاه الظاهري، والصاحب بدر الدين ابن الطُوخي، والصاحب تاج الدين عبد الرزاق، والصاحب شهاب الدين أحمد بن قُطينة.

وأما أسُتاداریاته بالدیار المصریة: فالأمیر قُرقماس الطشتمُري، والأمیر جمال الدین محمود بن عليّ الظاهري، والرُكني عمر بن قایماز، والأمیر قُطلو بك العلائي، والأمیر يَلبُغَا الأحمدي المجنون، والأمیر ناصر الدین محمد بن سُنقر البُجكاوي، والأمیر بهادُر المنجكي، والأمیر يَلبُغَا السالمي.

وأما نُظار جيوشه بالديار المصرية: فالقاضي تقي الدين عبد الرحمن، والقاضي مُوفق الدين أبي الفرج، والقاضي جمال الدين محمود القيصري[(١)]، والقاضي كريم الدين ابن عبد العزيز، والقاضي شرف الدين ابن الدَّماميني، والقاضي سعد الدين ابن غُراب.

وأما نُظار خواصه: فالقاضي سعد الدين ابن البقري، والقاضي مُوفق الدين أبي الفرج، والقاضي سعد الدين ابن تاج الدين مُوسى، والقاضي سعد ابن غراب.

وأما ما أبطلهُ من المكوس في أيامه: وهو ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بظاهر باب النصر؛ وأبطل ما كان مُقررًا لنائب طرابلس عند قُدومه إليها، وذلك كان يؤخذ من قُضاة [١٥١/أ] البر والولاة بالأعمال من كلِّ واحدٍ بغله أو ثمنها خمسمائة درهم.

وأبطل ما كان يؤخذ لمن يسرح إلى العباسة من الأمراء من التُجار وأعيان الناس من خيول وجمالٍ وأغنامٍ وغير ذلك؛ وأبطل الأبقار التي كانت تُرمى

---

(١) في بدائع الزهور ٥٢٩/٢/١: "القصيري".

على البلاد بالوجه البحري عند فراغ الجسور؛ وأبطل ما كان يؤخذ من المكس على معمل الفرُوج بناحية النحريرية وأعمال الغربية؛ وأبطل من هذا النمط أشياء كثيرة بمصر والشام وغير ذلك من البلاد.

وقد رثاهُ الشيخ شمس الدين الزركشي، بقصيدة لطيفة منها:

في بَاطني للملك الظّاهرِ ... حُزنٌ سَرى[1] مني في سَايري

قدْ صيرَّ[2] الندب لنَا سُنة ... عليه من بادٍ ومن حاضر

وبعدهُ الملك يتيمًا غدا ... تبكي عليه أعين الناظر

لكن[3] أتانا فرجًا عاجلًا ... مِنْ بَعدهِ بالملكِ الناصر[4]

وأما من تُوفي في أيامهِ من الأعيان، وهُم: الشيخ أكمل الدين الحنفي[5]، والشيخ زين الدين العراقي الشافعي[6]، والشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة صاحب كتاب السُكردان[7]، والشيخ شهاب الدين ابن النقيب[8]، والشيخ صلاح الدين الصفدي صاحب الأشعار اللطيفة[9]، والشيخ بهاء الدين السُبكي أخو الشيخ تاج الدين السُبكي، والشيخ جمال الدين الأسنوي[10]، والشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفي صاحب الأشعار اللطيفة، والشيخ شهاب الدين الأوزاعي، والشيخ زين الدين ابن حبيب، والشيخ سراج الدين الهندي[11]، وابن كثير المؤرخ[12]، والشيخ عماد الدين الحُسباني[13]، وابن رافع، والشيخ سراج الدين

---

(1) لا توجد في بدائع الزهور.

(2) في بدائع الزهور ١/٢/٥٣٤: "واتخذوا".

(3) في بدائع الزهور ١/٢/٥٣٥: "فقد".

(4) بحر السريع؛ وفي بدائع الزهور ١/٢/٥٣٥: "بكل خير عاجل حاضر".

(5) هو أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود، ت: ٧٨٦هـ. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/٣٥١).

(6) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم، ت: ٨٠٦هـ. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/٦٩١).

(7) هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد، ت: ٧٧٦هـ. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/١٤٦).

(8) هو أحمد بن لولو بن عبد الله، ت:٧٦٩ هـ. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/٧٨).

(9) هو صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك، ت: ٧٦٤هـ. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/٧).

(10) هو عبد الرحيم جمال الدين أبو محمد بن الحسن. ت: ٧٧٢هـ. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/١٠٣).

(11) وهو سراج الدين عمر بن إسحق بن أحمد الغزنوي الهندي، ت: ٧٧٣هـ. (انظر: بدائع الزهور ١/٢/١١٠).

(12) وهو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن شهاب الدين الخطيب بن كثير، ت: ٧٧٤هـ. (انظر: بدائع ١/٢/١١٦).

(13) وهو أبو محمد حجي بن موسى بن أحمد بن سعد السعدي، ت: ٧٨٢هـ. (انظر: بدائع ١/٢/٢٨١).

ابن المُلقي، والقاضي أبو البقا السُبكي[1]، والشيخ الزاهد يحيى الصنافيري[2]، والشيخ عليّ الرُوبي الزاهد[3]، والشيخ ضيائي الدين القرمي، والأديب إبراهيم ابن المعمار صاحب الأشعار اللطيفة[4]، وغير ذلك من أعيان العُلماء وغيرهم. [١٥١/ب][5]

ولما مات الملك الظاهر برقوق تولى من بعدهِ ولده فرج.

---

[1] ت: ٧٨٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٤٣/٢/١).

[2] هو أبو زكريا يحيى بن علي بن يحيى الصنافيري الأعمى، ت: الأحد سابع عشرين شعبان ٧٧٢هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٠٤/٢/١).

[3] ت: ٧٨٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٤٢/٢/١).

[4] ت: ٧٤٩هـ. (انظر: بدائع الزهور ٥٢٧/١/١).

[5] **جاء هامش بخط المؤلف، ولم يحدد له موضع في النص: " ولما مات المعمار رثاه القيراطي، بهذه الأبيات:**

مُذ عمرَّ المعمار دار البلاء ... رمى بيوت النظم بالنقض

طَوبي لهُ من شاعرٍ ميتٍ ... بكت عليه طوبة الأرضِ"

بحر السريع، في بدائع الزهور ٥٢٧/١/١: "فيا له".

ذكر

سلطنة الملك الناصر زين الدين أبي السَّعَادَات فرج

ابن الملك الظاهر برقوق بن أنص العُثماني الجركسي[1]

وهو السادس والعشرون من ملوك التُرك وأولادهم بالديار المصرية، وهو الثاني من ملوك الجراكسة وأولادهم؛ تولى الملك بعهدٍ من أبيه الملك الظاهر برقوق، وذلك بعد موت أبيه في يوم الجمعة خامس عشر شوال سنة إحدى وثمانمائة.

فلما توفي الملك الظاهر برقوق إلى رحمة الله تعالى، اجتمع أمير المؤمنين المتوكل على الله، والقضاة الأربعة، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلقيني الشافعي، وحضر الأتابكي أيتمش البُجاسي، وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر، فبايعه أمير المؤمنين، وأحضروا لهُ خلعة السلطنة، فلبسها، وركب من الأسطبل السلطاني، وطلع من باب سرِّ القصر الكبير، وحمل الأتابكي أيتمش القُبة والطير على رأسه، فجلس على سرير الملك، وباسوا لهُ الأمراء الأرض.

وفي حال جُلوسه على سرير الملك، جاء ابن أبي الرداد ببشارة النيل المُبارك، فاستبشروا الناس بذلك، ودُقت الكوسات ثلاثة أيام، ونُودي باسمه في مصر والقاهرة، وضج الناس لهُ بالدُعاء، وخطب باسمه في ذلك اليوم على المنابر، وقيل: تولى ولهُ من العمر اثنتى عشرة سنة[2]، وهو ابن سُرّية رُوميّة الجنس، تُسمى شيرين، ولذلك كان أصفر اللون، أشهل العينين، أشقر اللحيّة، وفيه يقول بعض الشعراء:

---

(1) أخباره في: بدائع الزهور ١/٢/٥٣٦- ٧٣٤؛ جواهر السلوك ٢٧٨- ٣٠٣.

(2) في بدائع الزهور ١/٢/٥٣٧: "ثلاث عشرة سنة"؛ وفي جواهر السلوك ٢٧٨: "اثنتا عشرة سنة ونصف السنة".

قضى[1] الظاهر السلطان أعظم[2] مالك إلى ربه يرقى إلى الخلد في الدرج
وقالوا: ستأتي شدَّة بعد موته فأكذبهم ربي وما جاء سوى فرج[3]

ولما انقضى الموكب في يوم الجمعة، شرع الأمراء في تجهيز المرحوم [١٥٢/أ] الملك الظاهر برقوق، فغسلوه، وكفنوهُ، وصلوا عليه بالقلعة، ونزلوا به، ونزل معهُ سائر الأمراء مُشاة قُدامه، وكانت جنازتهُ مشهودة بخلاف من يموت من الملوك، وكثر عليه الأسف والحزن والبكاء من الناس، حتى دُفن في البقعة التي اختارها بين قبور المشايخ والفقراء الذي[4] هُناك.

ولما دفن ضربوا على قبره خيمة مُدوَّرة، وأقاموا القُراء يقرأون على قبرِهِ ثمانية أيام بلياليها، وكان المتولى لعمل المأتم الأمير يلبُغا الأحمدي استادار العاليه، والجناب الناصري محمد بن سُنقر البُجكاوي أسُتادار الأملاك والدخيرة[5] هو الذي يصرف أمر المأتم، والأمير يلبُغَا السالمي هو المتكلم على الجميع، لأنه كان أحد الأوصياء.

فلما كان يوم السبت صُحبة[6] موت الملك الظاهر، طلع المقر الأتابكي أيتمش البُجاسي إلى القلعة، واجتمع الأمراء بين يديه، فعيّن الأمير سُودُون الناصري الطيار بأن يتوجه بالتعزيّة والبشارة إلى المقر السيفي تنم نائب الشام، وعين الأمير يلبُغَا إلى نائب حلب؛ وعين الأمير تغري بردي قرا إلى نائب طرابلس؛ وعين الأمير بُشباي من باكي إلى نائب صفد، بالتعزيّة والبشارة؛ وعين الأمير أرنبُغا الحافظي إلى نائب حماه، وكذلك إلى نائب غزة، وكذلك إلى نائب الكرك؛ وعين أسنبُغا إلى الأمير محمد نُعير من آل فضل، وأرسل إليه خلعة بأن يكون على عادته في أمريّته مُستقر.

فلما كان يوم الإثنين ثامن عشر[7] شوال عمل السلطان الموكب على العادة، واجتمع الأمراء فلم يطلع الأمير سُودُون أمير أخور كبير قريب المقام

---

(1) في بدائع الزهور ٥٣٧/٢/١ وجواهر السلوك ٢٧٨: "مضى".
(2) في بدائع الزهور ٥٣٧/٢/١ وجواهر السلوك ٢٧٨: "أكرم".
(3) بحر الطويل؛ والبيتان لشهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن بن الأوحدي. (بدائع الزهور ٥٣٧/٢/١).
(4) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(5) كذا في الأصل، والرسم الحديث"الذخيرة".
(6) في الأصل "صُبحة".
(7) في بدائع الزهور ٥٣٩/٢/١: "يوم الخميس حاجي عشرينه".

الشريف، فأرسلوا خلفهُ فأبى وامتنع من الحضور، فأرسلوا إليه ثاني مرة فطلع إلى القصر الكبير بعد تمنع زائد، فقال لهُ الأتابكي أيتمش:" أنزل من الأسطبل إلى بيتك"، فأبى من ذلك، وأغلظ مع الأمراء في الكلام [١٥٢/ب] فمسكه وقيّدوه وأرسلوه إلى السجن بثغر الإسكندرية، وطلع الأتابكي أيتمش البجاسي إلى الأسطبل السلطاني فأقام به.

فلما كان يوم الخميس حادي عشرين شوال عمل السلطان الموكب، وأخلع على من يذكر من الأمراء، وهُم: المقر الأتابكي أيتمش على عادته أتابك العساكر؛ وأخلع على المقر السيفي تغري بردي واستقر أمير سلاح؛ وأخلع على المقر السيفي أرغون شاه واستقر أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي أرسطاي واستقر رأس نوبة النُوب؛ وأخلع على المقر السيفي بيبرس واستقر دوادار كبير؛ وأخلع على الأمير فارس واستقر حاجب الحجاب؛ وأخلع على الأمير يلبُغا الأحمدي واستقر أستادار العالية على عادته؛ وأخلع على الصاحب تاج الدين واستقر وزيرًا، فلبسوا الجميع بالأيوان.

ثم إن الأتابكي أيتمش قبض على جماعة من الأمراء، وهُم: الأمير تمراز الناصري، والأمير تمربُغَا المنجكي، والأمير طغنجى السيفي يلبُغَا، والأمير بلاط السعدى، والأمير طولوا، فقيَّدوا الجميع وأرسلوا إلى السجن بثغر الإسكندرية، ثم في عقيب ذلك قبض على الأمير يلبُغا الأحمدي الأستادار وقيد، وأرسل إلى السجن بثغر الإسكندرية.

ثم أخلع على الأمير مُبارك شاه الظاهري واستقر استادارًا عُوضًا عن يلبُغَا الأحمدي، ثم بعد أيام استعفي مُبارك شاه واستقر الصاحب تاج الدين وزيرًا استادار.

ثم بعد مُدّة حضر الأمير سُودُون الطيار الذي كان توجه إلى نائب الشام، فأخبر بأن نائب الشام أطاع وامتثل المراسيم بالسمع والطاعة، وأمر بالزينة في دمشق سبعة أيام.

ثم إن السلطان عمل الموكب، وأخلع على من يذكر من الأمراء، وهُم: سُودُون الناصري الطيار واستقر أمير أخور كبير؛ وأنعم على الأمير أينال باي قريب المقام الشريف بتقدمة ألف؛ وأنعم على [١٥٣/أ] الأمير طاز بتقدمة، وأنعم على الأمير أقباي الطُرنطاي بتقدمة ألف، وأنعم على جماعةٍ من الأمراء

غير هؤلاء بتقادم ألوف وبطبلخانات، وبعشراوات، ثم أخلع على الأمير سُودُون المارديني واستقر رأس نوبة النُوب عُوضًا عن أرسطاي؛ وأخلع على الأمير يلبُغَا السالمي واستقر أستادار العالية عُوضًا عن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق، وأخلع على الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر الحسني بن قُطينه واستقر وزيرًا عُوضًا عن تاج الدين المذكور.

وفيها: هرب الأمير علائي الدين ابن الطبلاوي من القدس الشريف، وتوجه إلى عند تنم نائب الشام، ثم إن ابن قُطينه استعفي من الوزارة، واستقر بها القاضي فخر الدين ابن غُراب.

وفيها: جاءت الأخبار من حلب بأن ابن عثمان صاحب بلاد الروم تحرك على بلاد السلطان، وأنه وصل إلى الأبلستين وملكها، وهو قاصدٌ إلى غيرها من البلاد، فلما بلغ السلطان ذلك أمر الأتابكي أيتمش بعقد مجلس بالقصر الشريف، فحضر أمير المؤمنين والقضاة الأربعة، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلقيني، وسائر الأمراء، وضربوا مشورة في أمر ابن عثمان، فوقع الاتفاق على الخروج إليه ومحاربته وانفض المجلس على ذلك.

ثم جاءت الأخبار بعد مُدّة بأن ابن عثمان بعد أنْ ملك ملطية، والأبلستين، رجع إلى بلادهِ، ولم يُشوش على أحدٍ من الرعيّة، ولم يأخذ لأحدِ من الرعيّة شيئًا، فبطل أمر التجريدة إليه.

وفي هذه السنة مات من الأعيان: الأمير بكلمش العلائي بالقدس الشريف؛ ومات به الأمير شيخ الصفوي أمير مجلس كان؛ ومات بسجن الإسكندرية الأتابكي كمشبُغا الحموي؛ ومات أرغون شاه الإبراهيمي نائب حلب؛ ومات قاضي القضاة الشافعي عماد الدين الأزرقي(1)؛ ومات قاضي القضاة المالكي ناصر الدين سبط بن التنسي؛ ومات فيها جماعة غير هؤلاء من الأعيان.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانمائة، فيها: في يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم ركب السلطان الملك الناصر فرج بن [١٥٣/ب] الملك الظاهر برقوق، ونزل من القلعة، وزار قبر والده برقوق، ودخل من باب النصر، وشق من القاهرة، وكان لهُ موكب عظيم، وهذا أول ركوبه، ثم طلع إلى القلعة.

---

(1) وهو عماد الدين أحمد بن عيسى بن موسى، مات بالقدس في سادس عشرين ربيع الأول ٨٠١هـ. (انظر: بدائع الزهور ٥٥٠/٢/١).

وفي هذه السنة: جاءت الأخبار من دمشق بأن نائب الشام تنم الحسني أظهر العصيان، وخرج عن الطاعة وأطلق الأمراء المسجونين بدمشق، وهُم: الأمير جُلبان، وأقبُغا اللكاش، وأحمد بن يلبُغا العُمري، وأزدمر أخو أينال اليُوسفي، وألجبغا الجمالي، وغير هؤلاء من الأمراء الذى[1] كانوا في السجن، فلما سمع السلطان والأمراء بهذا الخبر اضطربوا في بعضهم.

فلما كان يوم الخميس سابع[2] ربيع الأول من السنة المذكورة طلبَ السلطان المقر الأتابكي أيتمش البجاسي فلما حضر، قال لهُ السلطان: "أنا أدركتُ، وقصدي أنْ أترشد"، فأجاب المقر الأتابكي أيتمش بالسمع والطاعة، وطلب أمير المؤمنين، والقضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البُلقيني، فلما كمل المجلس قام وكيل السلطان وهو المقر السعدي ابن غُراب، فأدعى في ذلك المجلس على الأتابكي أيتمش، وقامت البينة بذلك، فأعذر الأتابكى أيتمش، وثبت رُشد السلطان الملك الناصر فرج في ذلك اليوم، وحكموا به القُضاة الأربعة بحضرة أمير المؤمنين، وشيح الإسلام.

ثم إن السلطان أخلع على أمير المؤمنين، والقضاة الأربعة، وشيخ الإسلام، والأتابكي أيتمش البُجاسي، ونزلوا إلى بيوتهم، ثم رسم السلطان بدق البشائر ثلاثة أيام، ونادى بالزينة في مصر وفي القاهرة، ونادى للناس بالأمان والاطمان والبيع والشراء[3] على العادة، والدُعَاء للسلطان الملك الناصر بالنصر.

فلما كان يوم الإثنين عاشر ربيع الأول ركب المقر الأتابكي أيتمش، وألبس مماليكه آلة الحرب، وذلك بين المغرب والعشاء، وحضر إلى عنده جماعة من [١٥٤/أ] الأمراء المقدمين، وهُم: الأمير تغري بردي أمير سلاح، والأمير أرغون شاه البيدمُري أمير مجلس، والأمير فارس حاجب الحجاب، وغير هؤلاء جماعة كثيرة من الأمراء الطبلخانات والعشراوات، واجتمع عنده جماعة كثيرة من العسكر والمماليك السلطانية، ثم طلع إلى القلعة من الأمراء، وهُم: الأمير يشبك الشعباني، والأمير طاز، والأمير سُودُون المارديني، والأمير بيبرس الدوادار، والأمير أينال باي بن قجماس، وغيرهم من الأمراء المقدمين

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[2] في بدائع الزهور ٥٥٧/٢/١: "سادس".
[3] في الأصل "الشري"، وقد أوردت من قبل بالصيغة التي أثبتناها في النص.

الألوف والطبلخانات والعشراوات، والمماليك السلطانية الظاهريّة، ثم اتقعوا مع الأتابكي أيتمش وقعة عظيمة من بعد العشاء إلى أنْ طلع النهار.

ثم إنَ الأتابكي أيتمش نادى للعوام أنَ كلّ من مسك من المماليك الظاهرية مملوكًا، ويحضره إلى عند الأتابكي أيتمش يأخذ عُريه وفرسه، فلما سمع المماليك السلطانية الذى[1] مع أيتمش هذه المنُاداة فلوا عنهُ، وقالوا: "نحن نقاتل معهُ، وهو يريد مسكنا"، فتسَّحبُوا من عنده وطلعوا إلى القلعة، ولم يبق معه إلا بعض مماليك صغار وبعض أمراء، فقتل في هذه الوقعة بعض أمراء ومماليك وجُرح منهم جماعة، فلم يكن إلا ساعة، وقد انكسر الأتابكي أيتمش، ومن معهُ من الأمراء والعسكر، وهربُوا إلى نحو قبة النصر، وكان ذلك يوم الإثنين بعد الظهر.

فلما هربُوا إلى قُبة النصر توجهوا منها إلى سرياقوس، وقصدوا التوجه نحو البلاد الشامية، وهُم: الأتابكي أيتمش البُجاسي، وتغري بردي من بشبُغا أمير السلاح، وأرغون شاه الأقبُغاوي أمير مجلس، وفارس حاجب الحجاب، ويعقوب شاه الكمشبُغاوي، وغيرهم من الأمراء الطبلخانات والعشراوات.

فلما هرب هؤلاء الأمراء نهب العوام بيوتهم، [١٥٤/ب] وأحرقوا مدرسة أيتمش التي في باب الوزير، وحفروا قبر أولاده اعتقدوا أنه فيه مال، فما وجدوا فيه شيئًا، وأحرقوا ربعهُ المجاور للمدرسة، ونهبُوا جامع أقسنقر المجاور لبيت أيتمش، ونهبوا قبة خوند زهرا بنت الملك الناصر محمد بن قلاون المجُاورة لبيت أيتمش، ونهبُوا وكالة أيتمش التي عند مدرسته، ونهبوا مدرسة السلطان حسن، وأحرقوا بابها، وكذلك فعلوا في بيوت بقية الأمراء المتسَّحبين.

ثم إن العوام والزُعر أقاموا ينهبُون في المدينة يومين، وكسروا باب حبس الرحبة، وأطلقوا المحابيس الذي[2] فيه، وصاروا كلّ من يعمل شيئًا يطلع من يدّهِ، واضطربت أحوال الديار المصرية لكون أن السلطان كان صغيرًا، وكلمته ضائعة، ثم إن الأمراء الذى[3] توجهوا إلى نحو الشام جدّوا في السير حتى وصلوا إلى غزة في خمسة أيام، فلما وصل الأتابكي أيتمش، ومن معه من

---

(1) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(2) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(3) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

الأمراء إلى غزة كان أقبُغا اللكاش نائب غزة، فأنزل الأتابكي أيتمش في دار النيابة، هو ومن معهُ من الأمراء، وتحول أقبُغا اللكاش إلى الميدان.

ثم إن السلطان الملك الناصر رسم بالإفراج عن من يُذكر من الأمراء ممن كان بثغر الإسكندرية ودمياط، وهُم: الأمير نُورُوز الحافظي، والأمير سُودُون قريب المقام الشريف، والأمير تمراز الناصري.

ثم جاءت الأخبار من الشام بأن الأتابكي أيتمش ومن معهُ من الأمراء دخلوا إلى دمشق في يوم الإثنين رابع عشرين ربيع الأول من سنة المذكورة، وكان يوم دُخوله إليها يومًا مشهودًا، فتلقاه نائب الشام تنم أحسن مُلتقى، وأنزلهُ بالقصر الأبلق، ومَدَّ لهُ سِمَاطًا عظيمًا، واستمر مُقيمًا بالقصر الأبلق، ونائب [١٥٥/أ] الشام يُرسل إليه في كلِّ يَوم من الإقامات ما يُكفيهِ.

ثم إن السلطان الملك الناصر عمل الموكب في يوم الخميس ثاني ربيع الآخر، وأخلع على منْ يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي الرُكني بيبرس واستقر أتابك العساكر عُوضًا عن أيتمش البُجاسي؛ وأخلع على المقر السيفي بكتمر الرُكني واستقر أمير سلاح عُوضًا عن تغري بردي من بُشبغَا؛ وأخلع على المقر السيفي تمراز الناصري واستقر أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي نُورُوز الحافظي واستقر رأس نوبة النُوب؛ وأخلع على المقر السيفي سُودُون قريب المقام الشريف واستقر دوادار كبير؛ وأخلع على المقر السيفي أقباي الطُرنطاي واستقر حاجب الحجاب عُوضًا عن فارس؛ وأخلع على المقر السيفي سُودُون من عليّ باي طاز واستقر أمير أخور كبير عُوضًا عن سُودُون الناصري الطيار.

ثم أنعم السلطان الملك الناصر بتقادم ألوف على من يُذكر من الأمراء، وهم: الأمير أينال باي بن قجماس، والأمير سُودُون من زَادة، والأمير أينال العلائي حطب، وغير ذلك من الأمراء، وأنعم بطبلخانات وعشراوات على جماعة كثيرة من الأمراء.

وفيها: قبض السلطان على من يُذكر، وهُم: المقر الفخري محمد بن غُراب وزير الديار المصرية، وعلى أخيه القاضي سعد الدين إبراهيم ناظر الجيوش المنصورة وناظر الخواص الشريفة، والأمير شهاب الدين أحمد بن قطينه الوزير كان والجناب العلائي عليّ السيّد الشريف البغدادي شاد الدّواوين،

وسُلموا الجميع إلى الأمير أزبك الرمضَاني رَأس نوبة ثاني، ليستخرج منهُ الأموال ثم فرج عنهم بعد أيام، وقد وزنوا ما تقرَّر عليهم من المال، وتوجهوا إلى بيوتهم.

ثم إن السلطان [١٥٥/ب] أخلع على الصاحب بدر الدين محمد بن الطوخي واستقر وزيرًا على عادته؛ وأخلع على القاضي شرف الدين ابن الدّماميني واستقر ناظر الجيوش المنصُورة وناظر الخواص الشريفة ووكيل بيت المال؛ وأخلع على الشيخ أنبيا التُركماني واستقر شيخ الشيوخ بالخانقاة الناصرية بسرياقوس عُوضًا عن الشيخ إسلام؛ ثم بعد أيام أعيد المقر الفخري ابن غُراب وأخيه المقر السعدي إبراهيم إلى وظائفهما كما كانا؛ وأخلع على القاضي شرف الدين ابن الدّماميني واستقر قاضي ثغر الإسكندرية عُوضًا عن أخيه.

ثم في يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الآخر جاءت الأخبار من البلاد الشامية بأن الأتابكي أيتمش ومن معه من الأمراء ونائب الشام خرجوا من الشام قاصدين التوجه إلى نحو الديار المصرية، وأن جاليشهم وصل إلى غزة، فلما تحقق السلطان صحة هذه الأخبار رسم بتعليق الجاليش، وهُما جاليشان على العادة، ورسم للعسكر بالتجهيز للسفر إلى نحو البلاد الشامية.

فلما كان يوم الخميس رابع رجب الفرد خرج طُلب السلطان الملك الناصر فرج، ونزل من القلعة، ونزل بعده السلطان، وتوجه إلى منزلة الريدانية، وخرج بعده طلب الأمراء أولًا بأول.

ثم أخلع السلطان على المقر الأتابكي بيبرس واستقر نائب الغيبة إلى أن يعود السلطان، ثم رحل جاليش السلطان من الريدانية، وهُم: الأمير نُورُوز الحافظي رأس نوبة النوب، والأمير بكتمر الرُكني أمير سلاح، والأمير شيخ المحمودي الخاصكي، والأمير سُودُون قريب المقام الشريف، والأمير تمراز الناصري أمير مجلس، والأمير دُقماق المحمدي، وغير ذلك من الأمراء والعسكر.

ثم في يوم الجمعة [١٥٦/أ] ثامن رجب رحل السلطان من الريدانية، وقصد التوجه إلى نحو البلاد الشامية.

ومن هنا نذكر أخبار تنم الحسني نائب الشام، وهو أن لما توفي الملك الظاهر برقوق، وتولى ابنه الملك الناصر فرج، أظهر المقر السيفي تنم نائب الشام العصيان، وخرج عن الطاعة، وحاصر مدينة حماه، ووضع يده على

البلاد الشامية، فلما ركب الأتابكي أيتمش على الملك الناصر وانكسر أيتمش، كما تقدم ذكره، وتوجه نحو البلاد الشامية، ودخل إلى دمشق فتلقاهُ نائب الشام وأكرمه، فلما بلغ النُواب قُدوم الأتابكي أيتمش ومن معهُ من الأمراء، فحضر إليه نائب حلب، ونائب حماه، ونائب صفد، ونائب طرابلس، وجماعة من النُواب، فلما تكاملوا وكثرتْ العساكر قصد الأتابكي أيتمش، ونائب الشام، بأن يزحفوا على الديار المصرية بمن معهم من العساكر، وكان تنم نائب الشام من حين قدم عليه الأتابكي أيتمش ومن معه من الأمراء يركب كلّ يوم في موكب أعظم من مواكب السلطان بمصر، فكان يركب بالدّف والشبابه والجاويشيّة والشعراء، وكان يركب في خدمته من الأمراء المقدمين الألوف ما يزيد على خمسة وعشرين أميرًا غير الأمراء الطبلخانات والعشراوات، واجتمع عندهُ عسكر حلب، وعسكر حماه، وعسكر صفد، وعسكر طرابلس، ومن التُركمان نحو أربعة آلاف إنسان، واتفق لهُ ما لا يتفق لغيره من النُواب.

ثم جاءت الأخبار بأن نائب الشام والأتابكي أيتمش وصلوا إلى الرملة، وأن عسكر السلطان وصل إلى غزة.

ثم جاءت الأخبار من بعد ذلك بأن السلطان الملك الناصر فرج انتصر على نائب الشام، ومسكهُ، وكذلك الأمراء الذي[1] كانوا [١٥٦/ب] توجهوا من القاهرة، فلما رأى نائب الشام ما وقع لهُ من هذه الأمور حدثتهُ نفسهُ بالسلطنة، فقصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، وطمع في السلطان لكونه صغيرًا، ورأى الأتابكي أيتمش معهُ وأكابر الأمراء المصريين، وكثرت العسكر، فكان أمرهُ كما قيل:

ومن يطلب العليا ولا هو قبالها ترجله[2] الأيام لو كان راكبا[3]

هذا ما كان من أمر تنم الحسني نائب الشام.

وأما كان منْ أمر السلطان الملك الناصر فرج، فأنه لما خرج من القاهرة، هو وأمير المؤمنين المتوكل على الله، والقضاة الأربعة، والأمراء والعسكر، وكان أكثر الناس لا يشك بأن السلطان هو الذي ينكسر لما يعرفون من عظمة نائب الشام، وكثرت عساكره، وَٱللَّهُ تعالى غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ: ﴿وكَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[2] في جواهر السلوك ٢٨٣: "ترحله".
[3] بحر الطويل؛ ولم يرد في بدائع الزهور.

غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وكان أكثر العسكر والأمراء مُخامر على الملك الناصر في الباطن، ولم يكن في عزم أحدٍ من العسكر بأن يتوجه معهُ إلى الصالحيّة، ولكن أمر الله أغلب، كما قيل في المعنى:

خَفْ إذَا أصْبَحتَ تَرجُوْ وارْجُ إنْ أَصبَحْتَ خَايِفْ
رُبَّ مَكْرُوهٍ مَخُوفٍ فِيهِ للهِ لَطَايِفُ[1]

فلما وصل السلطان إلى غزة كان أقبُغَا اللكاش نائب غزة، فخرج نائب حماه، ونائب صفد إلى قتال الملك الناصر، فلما وصل الملك الناصر إلى غزة، وألقى الله تعالي الرُعب في قلوب النُواب، فدخل دمرداش نائب حماه تحت طاعة السلطان، وكذلك نائب صفد.

فلما علم العسكر الشامي بدخول النُواب تحت طاعة السلطان، فخامر في تلك الليلة جماعة من أمراء الشام على تنم، وتوجهوا إلى عند السلطان [١٥٧/أ] في غزة، منهم: الأمير بُتخاص السُودُوني، والأمير فرج بن منجك، وجماعة كثيرة من عسكر الشام.

فلما وصلوا إلى غزة، هرب نائب غزة إلى الشام، فملك الملك الناصر غزة، ودخل إليها في يوم الإثنين ثامن عشر رجب، فلما علم نائب الشام بذلك خرج من الشام هو والأمراء، وأتوا إلى الرّملة[2]، وصار السلطان في غزة.

ثم إن السلطان عيّن قاضي القُضاة الشافعي صدر الدين المناوي، والأمير ناصر الدين الرّماح بأن يتوجها إلى الأمراء، ونائب الشام في طلب الصُلح بينهم، فتوجها ورجعا إلى السلطان، وأخبراهُ بأن نائب الشام، والأمراء لم يسمعوا، وأبوا من الصلح.

فعند ذلك فركب السلطان والعسكر في يوم السبت ثالث عشرين رجب، وركب نائب الشام والأمراء، فالتقوا على الجيتين[3]، فكان بينهم وقعة عظيمة لم يُسمع بمثلها، فلم تكن إلا ساعة، وقد انكسر العسكر الشامي بعد أن كاد العسكر المصري أنْ ينهزم، فمسك في ذلك اليوم تنم نائب الشام، ومن كان معهُ من

---

(1) بحر مجزوء الرمل؛ البيتان لإسماعيل الدهان. (انظر: الكشكول ١٠٧/٢).

(2) وهي من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين. (الروض المعطار في خبر الأقطار ٢٦٨).

(3) في بدائع الزهور ٥٧٨/٢/١: "الجينين"؛ وهي قديما مركز بريد بغزة. (انظر: التعريف بالمصطلح الشريف ٢٤٧).

الأمراء، وأحيط عليهم وعلى بركهم ودوابهم، ونهبت مدينة الرملة في ذلك اليوم بسبب هذه الحركة.

ثم إن العسكر المصري توجه إلى نحو الشام ومسكوا الأتابكي أيتمش، والأمير تغري بردي أمير سلاح، وأقبُغا اللكاش نائب غزة، وبيقجا طيفُور حاجب الحجاب بدمشق، وحبسُوهم بدار السعادة بدمشق، ثم بعد يومين مُسك الأمير أرغون شاه البيدمُري أمير مجلس، والأمير يعقوب شاه الكمشبُغَاوي، والأمير فارس حاجب الحجاب.

فلما كان يوم الأحد مُستهل شهر شعبان دخل الأمير جكم العُوضي إلى دمشق وقيَّد الأمراء الذي[1] كانوا في دار السعادة، وهُم ست أمراء ونقلهم إلى قلعة دمشق، ونادى في الشام بالأمان والأطمان والبيع والشراء، والدعاء للسلطان الملك الناصر [١٥٧/ب] فضج أهل الشام لهُ بالدعاء.

ثم وصل السلطان الملك الناصر إلى دمشق، وكان يوم دخوله إليها يومًا مشهودًا، ودخل فى موكب عظيم، ودخل وقُدامهُ تنم نائب الشام، ومعه نحو عشرة من الأمراء بدمشق، وهم في قيود فحبسوا بقلعة دمشق، ودخل الملك الناصر ومعهُ الخليفه، والقضاة الأربعة، والأمراء والعسكر، وهو في غاية النصر والعز، وكان هذا على غير القياس والظن، وقد قيل فيه:

أمّلتُ أنك لا تزالُ بكلِّ مَنْ ... عاداك بالنصر القريب مُظفرا

ورجَوتُ أن تطأ الكواكب رِفعة ... من فوق أعناقِ الورى وكذا جرى[2]

ولما دخل السلطان دمشق شرعوا في مسك أصحاب نائب الشام وحاشيته، ومسكوا من جُملتهم علائي الدين ابن الطبلاوي الذي كان والي القاهرة، ونفاهُ الملك الظاهر برقوق إلى القدس، فالتجأ ابن الطبلاوي إلى تنم نائب الشام، وصار من جماعتهِ وبقي يحكم في دمشق كما كان يفعل في مصر، فلما مُسك تنم مُسك ابن الطبلاوي مع منْ مُسك من حاشية تنم، ولم ينجوا من جماعتهِ سوى الناصري محمد بن تنكز فأنهُ هربَ واختفى[3].

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "الذين".

[2] بحر الكامل؛ في جواهر السلوك ٢٨٥: "من فوق وأعناق العدا ولد أجرى"؛ والبيتان لمحمود بن سلمان بن فهد. (أعيان العصر ٣٨٢/٥).

[3] في بدائع الزهور ٥٨١/٢/١: "فإنه قتل".

ولما كان يوم الخميس خامس عشر شعبان حضر إلى القاهرة قمج الخاصكي، وعلى يدّه مثالات شريفة، تتضمن خبر هذه النصرة، وقد حضر قمج ذكور في مركبٍ من البحر المالح، وذكر أنه نزل من الطينّة، لأن الدرب كانَ مُخبطًا، بسبب هذه الفتنة، فلما حضر إلى القاهرة، وفرَّق المثالات على الأمراء، وتحققوا خبر النُصرة، فدُقت البشائر بالقلعة سبعة أيام، ونودي في القاهرة بالزينة، فزينت مصر والقاهرة زينة عظيمة.

ومما قد وقع في القاهرة من الحوادث في غيبة السلطان: أن يلبُغَا الأحمدي الشهير بالمجنون أسُتادار العالية كان، فلما توجه السلطان إلى البلاد [١٥٨/أ] الشامية، وثب على الأمراء الذين كانوا بالقاهرة، وحصل منه الضرر الشامل، وحصل بين الأمراء المُقيمين بالقاهرة خُلف عظيم، يطول الشرح في ذلك، وصارت الكلمة ضائعة بين الأمراء، واضطربت أحوال الديار المصرية إلى الغاية، ولا سيما[١] الوجه القبلي والوجه البحري، بفساد العربان وقلت الأمن.

ثم جاءت الأخبار من دمشق بأن الملك الناصر، لما دخل إلى الشام وأقام بها أخلع هُناك على من يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي سُودُون قريب المقام الشريف واستقر نائب الشام عُوضًا عن تنم الحسني؛ وأخلع على المقر السيفي دمرداش الحمدي الذي كان نائب حماه واستقر نائب حلب؛ وأخلع على الأمير شيخ المحمودي واستقر نائب طرابلس؛ وأخلع على الامير دُقماق المحمدي واستقر نائب حماه؛ وأخلعَ عَلى الأمير ألطنبُغَا العُثماني واستقر نايب صفد علي عادتـهِ؛ وأخلع على الأمير جنتمر[٢] التُركماني واستقر نائب بعلبك؛ وولي القاضي تقي الدين ابن الكفري الحنفي قاضي لقضاة الحنفية بدمشق عُوضًا عن بدر الدين القُدسي؛ وولى القاضي شمس الدين النابُلسي الحنبلي قاضي قضاة الحنابلة عُوضًا عن القاضي تقي الدين ابن مُفلح الحنبلي.

وأشيع بين الناس في القاهرة بأن السلطان في ليلة الاربعاء في الرابع والعشرين[٣] من شعبان أمر بذبح من يُذكر من الأمراء، وهُم: الأتابكي أيتمش البُجاسي، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير أقبُغَا اللكاش نائب غزة، والأمير جلبان الكمشبُغَاوي، والأمير أرغون شاه الأقبُغَاوي، ويعقوب شاه

---

[١] في الأصل "سيماء".

[٢] في جواهر السلوك ٢٨٥: "حنتمر".

[٣] في بدائع الزهور ٥٨٢/٢/١: "الرابع عشر".

الكمشبُغَاوي، وبيقجا طيفُور حاجب حجاب دمشق، والأمير أحمد بن يَلبُغَا العُمري أمير مجلس، كان بمصر وهرب مع الاتابكي أيتمش لما انكسر؛ والأمير بيغُوت اليحياوي، ومُبارك شاه المجنُون، وبهَادُر العُثماني نائب البيرة، وذلك نحو أربعة عشر أميرًا، فذُبحوا بقلعة دمشق ببرج [١٥٨/ب] الحمام.

ثم إن السلطان أرسل رأس الأتابكى أيتمش البُجاسي، ورأس الأمير فارس حاجب الحجاب إلى القاهرة، فطافوا بها في المدينة، وعلقوها على باب زويلة أيام، ثم دُفنا.

ثم إن السلطان قتل تنم نائب الشام، ويُونس نائب طرابلس، خنقًا بقلعة دمشق بعد أن أخذ أموالهُما وحواصلهُما، ولم يبق لهُما شيئًا، ثم دُفن تنم بتُربته بدمشق، ويُونس بالصالحيّة.

ولما كان يوم الإثنين ثامن شهر رمضان حضر خاصكي، واخبر بأن السلطان خرج من دمشق، وَهُوَ قاصد نحو الديار المصرية.

ثم في يوم السبت في العشرين من شهر رمضان حضر إلى القاهرة المقر السعدي إبراهيم بن غُراب وصُحبتهُ حريم السلطان الملك الناصر فرج، وأخبر بأن السلطان في يوم الأحد ينزل إلى الصالحيّة، ولما وصل المقر السعدي ابن غُراب إلى غزة، كان صُحبتهُ الأمير علائي الدين ابن الطبلاوي، والقَاضي ناصر الدين بن أبي الطيب كاتب سرِّ الشام، وهما في قيود، فلما وصلوا إلى غزة قضى الله تعالى أمرهُ في الأمير علائي الدين ابن الطبلاوي خنقًا، وأما القاضي ناصر الدين فحضر إلى القاهرة صُحبة ابن غُراب.

فلما كان يوم الجمعة[1] سادس عشرين شهر رمضان وصل السلطان الملك الناصر فرج إلى الديار المصرية، ودخل إلى القاهرة، فزينت لهُ، ودُقت البشائر، وفُرشت لهُ الشقق الحرير من عند تُربة الطويل إلى أنْ طلع إلى القلعة، وكان يوم دُخوله يومًا مشهودًا، قلَّ أن يُرى مثلهِ.

فلما طلع إلى القلعة، وجلس على سرير الملك كعادته، أنعم على من يُذكر من الأمراء بتقادم ألوف، وهُم: قُطلوبُغَا الكركي، وأقباي الأينالي، وجركس القاسمي، وجكم العوضي، وأخلع على الأمير مُقبل الطواشي واستقر بهِ زمام؛

---

[1] في بدائع الزهور ٥٨٤/٢/١: "الخميس".

وأخلع الأمير صواب الجنكلي واستقر به مُقدم المماليك السلطانية؛ وأخلع على فارس الدين شاهين الحلبي واستقر بهِ نائب مُقدم المماليك السلطانية(١). [١٥٩/أ]

وفيها: في يوم الثلاثاء رابع عشر شوال جاءت الأخبار من عند الأمير شهاب الدين ابن الخولي والي الأشمونين بأن الناصري محمد بن عمر الهواري حصل بينه وبين يَلبُغَا الأحمدي أُستادار العالية كان، وهو الذي أثار الفتنة في غيبة السلطان، ثم هرب إلى بلاد الصعيد فكبس عليه محمد بن عمر الهواري فمسك جماعة من أصحاب يَلبُغَا الأحمدي، وأن يَلبُغَا الأحمدي هرب ونزل إلى البحر بفرسهِ، فغرق وطلعوا بهِ ميت، وقدْ أكل السمك وجهه، وقيل: أنهُ عُدم، ولا عُرف لهُ خبرٌ بعد أنْ أفسد في بلاد الصعيد، ونهب أموال الناس، وأخرب غَالب بلاد(٢) الصعيد.

وفيها: في ثاني ذي القعدة حضر مملوك نائب حلب، وأخبر بأن القان أحمد ابن أويس صاحب بغداد، والأمير قرا يُوسف بن قرا محمد، حضر إليهما جماعة من عسكر تمر لنك فاتقعوا معهما، فانكسر أصحاب تمرلنك، وتوجهوا إلى نحو البلاد الحلبية، وأرسلوا إلى نائب حلب يسألُوهُ في مكان ينزلون به، فركب نائب حلب ومعهُ نائب حماه، وكبسوا على أصحاب تمرلنك، وكانوا نحو سبعة آلاف فارس، فاتقعوا هُم ونائب حلب ونائب حماه، فكان بينهم وقعة عظيمة، فانكسر نائب حلب، وقتل فيها جماعة كثيرة من عسكر حلب، منهم: جاني بك اليحياوي أتابك العساكر بحلب، وأُسر فيها دُقماق المحمدي نائب حماه، ثم باعُوهُ نفسهُ بمائة ألف درهم، ورجع نائب حلب إلى حلب وهو مكسور، وكانت هذهِ الفتنة أول الفتن؛ فلما بلغ السلطان هذه الأخبار رسم لنائب الشام بأن يخرج بعساكر الشام، ويتوجه إلى حلب، وكذلك سائر النواب.

وفيها: حضر نجاب من مكة المشرفة، وأخبر بأن قد وقع حريق عظيم في الحرم، وقدْ أحترق ثُلث الحرم، ومن الأعمدة الرُخام مائة وثلاثون عَامُود، وعملت النار من باب عزورة إلى باب العمرة ، وهذا لم يتفق مثله فيما تقدم من الزمان، فعيّن السلطان الأمير بيسق الشيخي لعمارة الحرم، ورسم [١٥٩] السلطان للعمارة بعشرة آلاف دينار، فتسلم ذلك القاضي بُرهان الدين المحلي

---

(١) خلعة فارس الدين شاهين لم ترد في بدائع الزهور.

(٢) في الأصل "بلا".

التاجر الكامي، فأوصلهُ إلى الأمير حسن بن عجلان أمير مكة، فعمر الحرم كما كان، ورجع الأمير بيسق الشيخي إلى القاهرة، وقيل: أن الذي أكمل عمارة الحرم الشريف هو الأمير قاتباي النُورُوزي توجه بعد بيسق فأكمل شُقوف الحرم وبياضهِ[1].

وفيها: ظهر الأمير صرق، وكان مُختفى من عهد وقعة تنم نائب الشام، فرسم لهُ السلطان بتقدمة ألف بحلب، فتوجه إليها[2].

وتوفي في هذهِ السنة من الأعيان: قاضي القضاة الحنفي مجد الدين الكناني، والقاضي بُرهان الدين العسقلاني الحنبلي، ومقدم[3] المماليك بهادُر الشهابي، والشيخ إسلام الأصبهاني[4]، وغير ذلك من الأعيان.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانمائة، فيها: حضر مملوك نائب الشام، وأخبر بأن جاليش تمرلنك حضر إلى سيواس، وأن ابن تمرلنك في الجاليش، ومعه عسكرٌ عظيم، وأن ابن عثمان صاحب بلاد الروم توجه هو والقان أحمد بن أويس، وقرا يُوسف بن قرا محمد إلى مدينة بُرصا[5]، وتركوا بلادهم من خوفهم من تمرلنك، وقدْ استولى على سيواس، وقتل من أهلها جماعة كثيرة، قيل: حفر لهم حفيرة، ودفنهم فيها وهُم بالحياة، ثم حضر دوادار نائب حلب، وأخبر بأن أوائل عسكر تمرلنك وصل إلى عينتاب.

ثم جاءت الأخبار بأن تمرلنك مَلك بَهسنا وعينتاب، ثم نزل على الباب وبُزاعا بالقرب من حلب، وأرسل إلى دمرداش نائب حلب قاصد، وكان النُواب كلهم في حلب مُجتمعة، ومعهم من العساكر نحو ثلاثة آلاف فارس.

فلما وصل قاصد تمرلنك إلى نائب حلب، وعلى يدهِ مُكاتبات من تمرلنك للنُواب، فلما قرأوا مكاتبات تمرلنك وجدوا فيها عبارة مُغلظة في القول، فحنق نائب حلب، وأمر بضرب [١٦٠/أ] عنق قاصد تمرلنك، فلما بلغ تمرلنك ذلك

---

[1] الخبر مفصل عما ورد في بدائع الزهور، حيث ورد الخبر في بدائع الزهور مقسمًا ومختصرًا. (انظر: بدائع الزهور ٥٩٠/٢/١، ٥٩١- ٥٩٢).

[2] الخبر لم يرد في بدائع الزهور.

[3] في الأصل "مقد".

[4] هو إسلام شرف الدين أحمد بن نظام الدين إسحاق الأصبهانى. (بدائع الزهور ٥٦٧/٢/١).

[5] برصا، أو بورصا: مدينة كبيرة في تركيا، تقع جنوب استانبول. (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١٥٢/٥ هامش ١)

وصل إلى حيلان[1]، وهي قرية من قُرى حلب، وقد أحاط بحلب "إحاطة السوار بالمعصم".

فلما كان يوم السبت حادي عشر ربيع الأول من السنة المذكورة برزوا إليه عساكر حلب، ومن اجتمع من عساكر النُواب وغيرها، فزحف عليهم عسكر تمرلنك، وقد بهر الأبصار، وسدّ الأفاق، فما كان غير ساعة حتى دهمتهم خلقٌ كأمواج البحر المُتلاطمة، ومالت عليهم كتائب الجنود المُتلاحمة، فولوا عساكر حلب على أعقابهم مُدبرين، وأقبلوا نحو البلد مُنهزمين، وقد أحالت الحوافر أجساد العامة، وحلَّ بها من البُؤس كلِّ دَاهيةٍ طامة.

وكان قد احتمى بالمساجد والمزارات الجمَّ الخفير[2] من النساء المُخدرات، والكواعب الناهدات، فمالوا نحوهم وقرَّنوهم في الحبال، وأسرفوا في قتل الأطفال، ونُهبت الأموال، وقدْ افتضت[3] الأبكار، وحارت الأفكار، فلا يُرثى لبُكاء الرُضع، ولا ترعى المساجد لحُرمة الرُكع، حتى لقد صارت المساجد كالمجزرة، لشنيع ما طرح فيها من القتلى[4]، ومثل الحانات لكثرت ما يُزفى فيها بين الملأ، واستمر هذا القُبح المُستبشع، والخطب المُستشنع، من يوم السبت إلى الثلاثاء، هذا والنُواب كلها قد اجتمعوا واحتموا بالقلعة، وصار العدو يحرق في المدينة، وينهب، ويقتل، وقد أسرفوا في ذلك.

فلما رأى دمرداش نائب حلب عين الغُلب، نزل من القلعة في طائفة من الأمراء والنُواب، يطلبون من تمرلنك الأمان، فأجابهم إلى ذلك، وأخلع عليهم أقبيّة مُخمل وتيجان كعادتهم، وأرسل معهم جماعة من أمُرائه فأستنزلوا من كان بالقلعة من الأمراء والنواب، وهُم في قيود، وجعلوا كلِّ اثنين في قيد، وجمعوا نساء المدينة، والأموال، [١٦٠/ب] وأحضرها بين يديه، ففرقها على عسكره، وأقام على حلب نحو شهر، وعسكره في نهب القُرى التي بالقرب من حلب،

---

[1] كانت في القديم قرية تقع إلى الشمال من مدينة حلب، تتبع ناحية جبل سمعان بمحافظة حلب، وتبعد عن حلب مسافة ٨ كم، وطالها التوسُّع فأصبحت اليوم من أحياء حلب. (المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ١٩١/٣؛ أحياء حلب وأسواقها ١٨٤).

[2] كذا في الأصل.

[3] في الأصل "اقتضت".

[4] في الأصل "القتلا".

وقطع الأشجار الذي[1] بها، وهدم البيوت، وقد أسرفوا في قتل الرجال، حتى لقد كادت الأرجل لا تطأ إلا على جُثة إنسان.

وقيل: أنهُ بنى من رؤوس القُتلاء مواذن[2]، دور كلّ مأذنة عشرين دراع[3]، وصعودها في الهواء[4] نحو عشرة أدرع[5]، وقد جعلوا الوجوه بارزة تسفى[6] عليها الرياح، وأما الأجسام تناوشتها الكلاب والوحوش.

وقيل: كان عدَّة المواذن عشرة، ولقد ضُبط عدّة الرؤوس التي في المواذن، فكانوا نحو من عشرين ألف رأس، هذا خَارجًا عن ما هلك تحت أرجُل الخيول وقت الهزيمة عند اقتحام أبواب البلد، وغير ما قُتل من الأطفال التي أُسرت أمهاتهم، وغير الذي هلك من الجُوع والعطش، فأقام على ذلك نحو شهر، حتى ملك قلعة حلب، ثم ارتحل عنها، بعد ما جعلها خاوية من أنيسها وساكنها، وقدْ تعطلت من الأذان والإقامة جهاتها ومساجدها، وأضحتْ بعد الحبور والسرور مقايل الوحش والطيور.

وقيل: أن عسكر تمرلنك كانوا يطأوا الأبكار في محراب المساجد، وأبُواها يُشاهد ذلك بعينهِ، ولقد احكى من أُسر مع عسكر تمرلنك: "أنهم من حينٍ استولوا على حلب إلى حينٍ رحلُوا عنها لم يُقم عندهم آذان، وأنهم لا يحتشمُون من وطئ النساء في المحيض، ولا يُعاودون الوطئ[7] أبدًا إلا بعد الاغتسال، وأنهم يكلفون النساء إلى ذلك حتى لو كان في قلب الشتاء بالماء البارد"[8].

وحكوا عن تمرلنك أنهُ كان ينحجب عن عسكره نحو عشرة أيام يشرب فيها الخمر، فلا يجتمع عليه أحد من الناس، فتتزايد مُسرات عسكره لأجل ما [١٦١/أ] ينهبون من الأموال، ويفسقون في النساء، في غفلة هذه الأيام لا يجدون من يمنعهم من ذلك ولا يردَّهُم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "التي".

(٢) كذا في الأصل؛ وفي بدائع الزهور ٥٩٨/٢/١: "منائر"؛ وفي جواهر السلوك ٢٨٧: "موازن".

(٣) كذا في الأصل.

(٤) في الأصل "الهوي".

(٥) كذا في الأصل.

(٦) في جواهر السلوك ٢٨٧: "تسقى"؛ والصحيح ما ورد هنا. (انظر: العين ٣١٠/٧).

(٧) في الأصل "الوطي".

(٨) الخبر لم يرد في بدائع الزهور.

ولما كان يَوم السبت خامس عشرين ربيع الأول حضر منكلي بُغَا دوادار بكلمش العلائي، وأخبر بأن العسكر الشامي والحلبي اتقعوا مع تمرلنك بظاهر حلب، وقد انكسروا بعد ما قد كان عسكر تمرلنك انكسر أولًا، فطمعوا فيه، وساقوا خلفهُ إلى مكان بعيدٍ، فخرج من خلف العسكر كمينًا، فأطبق عليهم، فقُتل منهم من قُتل، وأُسر من أسر، وكان العسكر الذي قد اجتمع من الشام، وحلب، وحماه، وطرابلس، وغير ذلك من العرب والتركمان، فكانوا نحو من ثلاثين ألف فارس، فانكسروا، ودخلوا إلى حلب، وأنَ تمرلنك ملك حلب، وهو بيحاصر في قلعة حلب، وأن جماعة من النُواب ما يُعلم لهُم خبر.

فلما جاءت هذه الأخبار إلى الدِّيَارِ المصريّة اضطربت الأحوال، فعيّن السلطان الأمير سُودُون من زاده وأينال حطب رأس نوبة ثاني فتوجها إلى حلب لكشف الأخبار على الهُجن.

ثم جاء عقيب ذلك بأن تمرلنك بعد أن أخرب حلب، وجرى منهُ ما تقدم ذكره، توجه إلى حماه وحاصرها، فانكسر أهل حماه، فدخل تمرلنك إليها، وفعل فيها كما فعل في حلب من القتل والنهب.

ثم حضر أسنبُغَا المتوجه قبل تاريخهُ لخروج النُواب، فأخبر بأن تمرلنك أخذ حلب، وملك قلعتها وهو متوجه إلى نحو الشام؛ فلما تحقق الأمراء هذه الأخبار، أشاروا على السلطان بأن يخرج مُسرعًا، ليتدارك البلاد الشامية، فبرز السلطان في ذلك اليوم إلى الريدانية، وماجت القاهرة واضطربت، فكان كما قيل:

كم لي أنبهُ منك مُقلة نائمٍ ... لم يهد غير سُروروهُ الأحلامُ
فكأنهُ إذ جئتهُ مُستصرخًا ... طِفلٌ يُحركُ مَهدُهُ فينَامُ[1][١٦١/ب]

فلما كان يوم الأحد ثالث ربيع الآخر نزل السلطان الملك الناصر فرج من الأسطبل السلطاني، وجرَّ طلبه حتى انتهى، وخرج بعدهُ أطلاب الأمراء أولًا بأول، ثم توجه السلطان إلى نحو الريدانية، وكان صُحبتهُ أمير المؤمنين المتوكل على الله، والقُضَاة الأربعة، وجماعة من المشايخ والصُلحاء والعُلماء، وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر، فأقام في الريدانية إلى يوم السبت عاشره، فتقدم الجاليش المنصور، وهُم ست أمراء مُقدّمين ألوف، وهُم: الأتابكي

---

(1) بحر الكامل.

بيبرس، والمقر السيفي نُورُوز الحافظي رأس نوبة النُوب، والمقر السيفي بكتمر الرُكني أمير سلاح، والمقر السيفي يَلبُغَا الناصري، والمقر السيفي أينال باي بن قجماس، والمقر السيفي أقباي الطُرنطاي حاجب الحجاب.

ثم إنَ السلطان جعل المقر السيفي تمراز الناصري أمير مجلس نائب الغيبة، والأمير جكا[١] من عُوض، وجماعة من الأمراء الطبلخانات، والعشراوات، ومن المماليك السلطانية؛ ثم إنَ السلطان رحل من الريدانية.

وبعد أيام جاءت الأخبار بأن السلطان دخل إلى غزة وأقام بها، وأخلع على المقر السيفي تغري بردي من بُشبغا واستقر به نائب دمشق؛ وأخلع على الأمير أقبُغَا الجمالي واستقر به نائب طرابلس؛ وأخلع على الأمير تمربُغَا المنجكي واستقر به نائب صفد؛ وأخلع على الأمير طُولُو من عليّ شاه واستقر به غزة؛ وأخلع على الأمير صدقة بن الطويل واستقر به نائب القُدس الشريف.

ثم إنَ السلطان رحل من غزة، وكان رُكوبه من غزة في يوم الإثنين خامس عشرين ربيع الآخر من السنة المذكورة، ولما رحل السلطان من غزة أرسل يطلب من القاهرة ألف فرس، وألف جمل، ليقوى بها العسكر[٢].

ثم جاءت الأخبار بأنَ أحمد بن رمضان أمير التُركمان، وابن [١٦٢/أ] أُزر، وابن صاحب الباز قدْ اجتمعوا وجاءوا إلى حلب، وكبسوا على عسكر تمرلنك، وقتلوا منهم جماعة نحو ثلاثة آلاف فارس، وكان تمرلنك لما رحل عن حلب ترك هؤلاء بها، فلما حضر إليهم هؤلاء التركمان شتتوهم عن حلب، وقتلوا منهم جماعة، ثم ملكوا منهم مدينة حلب، وأرسلوا كاتب السلطان بذلك.

ثم جاءت الأخبار بأن تمرلنك نازل بالقرب من سلمية، وأنهُ أرسل عسكرًا نحو طرابلس، فلما وصلوا إليها دخلوا بين جبلين، فوثب عليهم عُربان البلاد، وقتلوا جماعة كثيرة من عسكر تمرلنك بالحجارة والنشاب.

فلما دخل السلطان الملك الناصر إلى دمشق في يوم الخميس سادس جمادى الأول جلس على سرير الملك بدمشق، وأقام بها من يوم الخميس إلى يوم السبت، وصلى بها الجمعة ثم خرج من دمشق إلى قُبة يَلبُغَا فخيَّم هُناك.

---

[١] كذا في الأصل، وهو "جكم" كما في بدائع الزهور ٦٠٢/٢/١.
[٢] الخبر لم يرد في بدائع الزهور.

فلما كان وقت الظهر من اليوم المذكور، وإذا بجاليش تمرلنك قدْ أقبل من عند جبل الثلج، وهُم نحو ألف فارس، فخرج إليهم جاليش السلطان من العسكر، وهم نحو مائة فارس، فاتقعوا معهم هُناك فانكسر أصحاب تمرلنك كسرة قوية، وقُتل منهم جماعة كثيرة في هذه الوقعة.

ثم في تلك الليلة حضر إلى السلطان خمسة أمراء من أمراء تمرلنك، وجماعة من عسكرهِ، ودخلوا تحت طاعة السلطان، وأخبروا بأن ميران شاه ولد تمرلنك، وصهرهُ نور الدين، كانوا في الجاليش، وقُتلا، وقد حصل لتمرلنك على ولده حزن عظيم، فأخلع السلطان على أمراء تمرلنك وأنزلهم بدمشق.

ثم جاءت الأخبار بأن حضر إلى عند السلطان الأمير محمد نُعير، والأمير أحمد ابن الشيخ عليّ، وجمعوا خلقًا كثيرة من العُربان، منهم: عرب بني مهدي، وعرب حارثة، وغيرهم من القبائل.

ثم جاءت الأخبار من عند السلطان بأن عسكر تمرلنك تقلب عليه، أنهُ [١٦٢/ب] نازل تحت جبل الثلج، وقد مات من عسكرهِ نحو خمسة آلاف[١] فارس من الثلج، وقد صار يحضر من عسكر تمرلنك في كلِّ يوم جماعة إلى السلطان، فيخلع عليهم، وقدْ التف على السلطان عساكر كثيرة، نحو اثنى عشر ألف إنسان من العُربان وغيرهم، خَارجًا عن عساكر السلطان، وعن عساكر النُواب، وكانت طوالع السلطان في الأول كلها سعيدة والنصرة لائحة عليه من كلِّ وجهة ولكن كما يُقال في المعنى:

يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاه ... وَيَأبَى الله إلاّ مَا أرَادَا[٢]

فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الآخر حضر السلطان الملك الناصر فرج إلى الديار المصرية على حين غفلة، وطلع إلى قلعة الجبل، وصُحبتهُ أمير المؤمنين المتوكل على الله، وجماعة من الأمراء، ونائب الشام ونائب صفد، ونائب غزة، وغالب أمراء دمشق، وحضر مع السلطان من المماليك السلطانية نحو ألف مملوك لاغير، وحضر مع كلِّ أمير من مماليكه واحد أو اثنين، وليس معهم لا خيل، ولا جمال، ولا برك، ولا قماش، ولا شيئًا من الأشياء.

---

(١) في بدائع الزهور ٦٠٧/٢/١: "أكثر من ثلاثة آلاف نفس"؛ أما في جواهر السلوك ٢٨٨: "نحو ثلاثة آلاف إنسان".

(٢) بحر الوافر؛ والبيت لأبي الدرداء. (الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ٦٠٧).

وكان سبب حضور السلطان والعسكر على هذا الوجه، أن العسكر لما اتقع مع عسكر تمرلنك مرتين وهو ينكسر، فأرسل تمرلنك يطلب من السلطان الصُلح، وحضر إلى عند السلطان الأمير حُسين بهادُر رأس ميسرة تمرلنك، وابن بنت تمرلنك، ومعهم جماعة كثيرة من عسكره.

فلما حضروا إلى عند السلطان أخلع عليهم، وأحسن لهم وتقرَّر الحال على أن تمرلنك يطلق من عنده من الأسرى[1]، وعلى أن السلطان يطلق لتمرلنك قرابتهُ أطلمش، الذي تقدم ذكره، مسكه قبل توجه السلطان إلى دمشق، فترددت الرسائل بين السلطان وبين تمرلنك عدّة مرات، أخر ذلك كان ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الآخر، [١٦٣/أ] فأقام رسول تمرلنك في وطاق السلطان إلى ثلث الليل، واتفق معهم على أنهُ في يوم الجمعة ينعقد بينهما الصُلح على ذلك.

وكان قبل ذلك بيومين هرب من عسكر السلطان جماعة من الأمراء والخاصكية، وهُم: الأمير سُودُون الناصري الطيار، والأمير قاني باي العلائي، والأمير أحمد بن الشيخ عليّ[2]، والأمير جُمق؛ ومن الخاصكية يشبك العثماني، ويشبك الساقي، وقمج الحافظي، وبُرسبُغَا، وطُراباي من عبد الله، وجماعة من المماليك السلطانية.

فلما كانت ليلة الجمعة المذكورة قام الأمراء على السلطان، وركبوه بالغصب، وخرجوا من دمشق قُرب التسبيح، فتوجهوا هُم والسلطان من على الصالحية التي بدمشق، وطلعوا من على عقبة دُمّر[3]، ونزلوا من على ساحل البحر المالح، وتوجهوا إلى نحو صفد، فأخذوا نائب صفد معهم، وتوجهوا من هُناك حتى وصلوا إلى مدينة غزة؛ فلما دخل السلطان إلى غزة وجد الأمراء، والمماليك السلطانية الذين تسحبوا من دمشق في غزة مُقيمين بها؛ ثم إن السلطان أقام بغزة أيامًا ثم توجه إلى مصر.

فلما طلع السلطان إلى القلعة شرع الأمير يَلبُغَا السالمي أسُتادار العالية في كسوة للسلطان، وكذلك للخليفة وسائر الأمراء الذي[4] حضروا مع السلطان، فأنهم حضروا لا برك، ولا قماش، وكان سبب توجه الأمراء الذي[5] تسحبوا

---

(١) في الأصل "الأسراء".

(٢) لم يرد ذكره هو ويشبك الساقي في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٦٠٩/٢/١).

(٣) مشرفة على غوطة دمشق وهي من جهة الشمال في طريق بعلبك. (انظر: معجم البلدان ٤٦٣/٢).

(٤) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

(٥) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

من دمشق، فأنهم قصدوا بأن يحضروا إلى القاهرة، ويسلطنوا الأمير لاجين الجركسي؛ فلما بلغ الأمراء ذلك فقويوا على السلطان، وأخرجوه من دمشق بالغصب؛ هذا ما كان من أمر السلطان الملك الناصر فرج.

وأما ما كان من أمرِ دمشق وأهلها بعد خروج [١٦٣/ب] السلطان، منها: فأنهُ خرج في ليلة الجمعة في العشرين من جمادى الأول من السنة المذكورة فأصبح الناس في يوم السبت مائجين في بعضهم، وقد ركبوا على الأسوار، وتراموا مع عسكر تمرلنك بالنُشاب، وصاروا يستحثون بعضهم بعضًا على الجهاد، فكان بينهم وبين عسكر تمرلنك في ذلك اليوم وقعة عظيمة، حتى قيل: قُتل من عسكر تمرلنك نحو ألفين إنسان[١]، وكانت ساعة تشيب فيها النواصي.

ثم في أثناء ذلك اليوم أرسل تمرلنك إلى أهل دمشق يطلب منهم شخصٌ من عُقلائهم حتى يُكلمه في أمرِ الصُلح، فلما أتي قاصد تمرلنك بهذه الرسالة تكلم مع أهل دمشق من تحت السور، فوقع الاختيار من أهل دمشق بأن يُرسلوا إلى تمرلنك القاضي تقي الدين ابن مُفلح الحنبلي، فأرخوهُ من أعلى سُور المدينة بُسرياق، فتوجه إلى عند تمرلنك، وغاب ساعة، ثم رجع، فأخبر بأن تمرلنك تلطف معهُ في القول، وقال لهُ: "هذه بلد الأنبياء وقدْ أعتقتها لهُم"، وذكر من لطائفهِ أشياء كثيرة، وجعل يُخذل أهل البلد، ويُحل عزائمهم عن قتالِ تمرلنك، ويملأ الأسماع بالتفنن[٢] في مدح تمرلنك، فاختلف أهل البلد فرقتين، ففرقة ترى ما رأهُ ابن مُفلح من بذل الطاعة إلى تمرلنك، وفرقة ترى على ما هُم عليه من المحاربة، وهُم الأكثر من أهل البلد من الجم الغفير، فباتوا على ذلك تلك الليلة.

فلما أصبحوا غلب رأي ابنِ مُفلح وأصحابه على تلك الطائفة المُخالفة لذلك، وأن كل من خالفهم في ذلك يقتلُوهُ، فكان كما يُقالُ في الأمثال:

كذاك[٣] من يستنصح[٤] الأعادي يُردُونهُ[٥] بالغش والفسادِ[٦]

ثم إن ابن مُفلح قصد أن يفتح باب النصر الذي بدمشق، فمنعهُ نائب [١٦٤/أ] القلعة من ذلك، وهدَّدهُم بإحراق البلد؛ ثم إنَ ابن مُفلح أخذ أعيان الناس من

---

[١] في بدائع الزهور ٦١٠/٢/١: "نحو الألف".
[٢] في الأصل بدون نقطة الباء.
[٣] في جواهر السلوك ٢٩٠: "الذلك".
[٤] في جواهر السلوك ٢٩٠: "سينصح".
[٥] في جواهر السلوك ٢٩٠: "ترد وبه".
[٦] بحر الرجز، ولم يرد في بدائع الزهور.

القُضَاةِ، وغيرهم ممن هو طالبٌ للبغي والفساد، فتدلوا من السور، وتوجهوا إلى تمرلنك، وباتوا في مُخيمه تلك الليلة.

ثم رجعوا إلى دمشق وعلى أيديهم مرسوم من تمرلنك فيهِ تسعةِ أسطر، تتضمن الأمان لأهل دمشق على أنفسهم، وأهاليهم خاصة، فقُرئ ذلك المرسُوم على منبر جامع بني أمية، ففرحت أهل دمشق بذلك، وفتحوا من أبواب البلد بابًا واحدًا، وهو البابُ الصغير، فكان الأمر كما قيل:

لقدْ ضرَّني من كنتُ أرجو بهِ نفعا ... وقدْ ساءني أفعالهُ خلتُهَا أفعى
إذا مَا بدا لي ضاحكًا زدتُ خيفة ... وفي ضحك الأفعاء لا تأمن اللسعا[1]

ثم أقبل أمير من أمراء تمرلنك وجلس على ذلك الباب ليحفظهُ من التتار كي لا يقتحمون البلد فينهبُونها.

وقيل: إن تمرلنك لما دخل إلى الشام زار قبر أم حبيبة إحدى أزواج رسُول الله، وهو بظاهر الباب الصغير، فلما زارهُ قال: "يا أهل دمشق مثل هذا القبر يكون بغير قُبة؟"، ثم قال: "أنا ابني عليه قُبة"، وذكروا عنهُ أيضًا أنهُ كان في مجلسهِ كثيرًا مَا يذكر الله تعالى، ويستغفر من ذنُوبهِ، وأنَ السبحة لا تزال في يدهِ أبدًا، فكان كما قالَ القَائلُ في المعني:

قدْ بُلينا بأمير ... ظلم الناس وسبّح
فهو كالجزّار فيهم ... يذكرُ الله ويذبح[2]

فكانت أفعال تمرلنك كلها رياء، وزور، وخداع، حتى يبلغ قصدهُ من الأمر، كما قيل: "وإيش ينفع الكوز فضّة، وداخلهُ قطران".

ثم إنَ ابن [١٦٤/ب] مُفلح قرَّر مع تمرلنك بأن يجبي لهُ من دمشق ألف ألف دينار، فشرع ابن مُفلح في استخراج ذلك من أهل دمشق، فلما جُبيت، وحُملت بين يدي تمرلنك، فحنق ولم يرض بذلك، فتقرّر الحال على أن يُحمل إليه ألف تُومان[3]، والتُومان عند التتار عشرة آلاف ألف دينار.

فرجع ابن مُفلح إلى دمشق وقد تزايدتْ البلايا، وعظمت الرزايا، ففرض ابن مُفلح على أهل دمشق الفرائض الثقيلة، منها: أجرة كلّ مسكن بدمشق ثلاثة

---

(١) بحر الطويل.
(٢) بحر مجزوء الرمل؛ ونسب ابن إياس البيتين للمعمار. (انظر: بدائع الزهور ٦١١/٢/١).
(٣) في جواهر السلوك ٢٩١: "يومار".

أشهر، وعلى كلِّ رأس من عيال الرجل وأولاده وأهله عشرة دراهم عن كلِّ رأس، وفرض على أوقاف الجوامع، والمدارس، والمشاهد، والرُبط الذي بدمشق بحسبما سولت لهُ نفسهُ.

فعند ذلك اشتدت العقوبة على الناس من أهل دمشق بالضرب لاستخلاص الأموال، وفي مُدّةِ هذه المُحاصرة عزّت الأقوات بدمشق، حتى بلغ القمح كلّ مُدّ بأربعين درهمًا.

وفي هذه المدّة لم تُقم بالجامع الأموي خطبة، ونزل فيهِ أميرًا من أمراء تمرلنك، يُقالُ لهُ شاه ملك، فأغلق أبوابه، ونزل فيه بعيالهِ، وأخذ بُسط الجامع والحُصر ستر به على البوابك لأجل عياله، وصاروا يضربون في الجامع بالطنبُور ويلعبُون بالكعاب.

وفي هذه المُدّة تعطلتْ في دمشق المساجد من الصلوات الخمس، والأذان، والوقيد، وتعطلت الأسواق من البيع والشراء.

وقد دخل عسكر تمرلنك واستولوا على البلد، وصاروا يُحاصرون قلعة دمشق في كلِّ يومٍ أشدَّ المُحاصرة، ويضرمُون النار حول البيوت الذي[1] هي حول القلعة، ثم إنَ نائب القلعة سلم إليهم القلعة بعد تسعة [١٦٥/أ] وعشرين يومًا من الاستيلاء على البلد، فلما عيّل صبره طلب من تمرلنك الأمان، فملك تمرلنك قلعة الشام، واحتاط على كل ما فيها.

ثم إن ابن مُفلح لما اجتمعت الأموال الثانية الذي قرَّرَها تمرلنك على أهل دمشق ثانيًا، فلما وضعت بين يديه قال لابن مُفلح: "هذه بحسابنا ثلاثة ألاف ألف دينار، وقد بقي عليكم سبعة آلاف ألف دينار".

وكان تمرلنك أول ما فُرضت الفريضة الأولى وهي ألف ألف دينار، فقرَّر مع ابن مُفلح أن هذا يكون خارجًا عما تركهُ عسكر السلطان لما رحل من دمشق من سلاحٍ، وقماشٍ، ودواب.

فلما رجع ابن مُفلح من عند تمرلنك فأمر بإجهار النداء في دمشق: "بأن كل من كان عنده ودائع للعسكر السلطاني يحضرها، وإلا شنق"، فأحضر كلّ أحدٍ من الناس ما كان عندهُ من الودائع، فجمعت وأحضرت إلى تمرلنك.

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "التي".

فلما مُثلت بين يديه، قال لابن مُفلح: "بقي عليك أن تجمع أموال التُجار الغائبين، وغيرهم من أعيان البلد"، فجمعوا لهُ ذلك وأحضروهُ بين يديه، قال لابن مُفلح: "بقي عليك أنْ تجمع لنا كلّ دابة في البلد من فرس، وبغلٍ وحمارٍ، وجملٍ".

فلما رجع ابن مُفلح من عندهِ جمع كلِّ دابة في البلد، فكان عدّتها ما يزيد على اثني عشر ألف دابة، فحصل لأهل دمشق في هذه الحركات مُشتقات عظيمة، وبهدلة زائدة، وضرب بسبب استخراج الأموال، فلما أحضرت تلك الدواب بين يدي تمرلنك، قال لابن مُفلح: "بقي عليك أنْ تجمع لنا كلِّ الآت السلاح التي في البلد جليلها وحقيرها وكبيرها وصغيرها"، فجمعوا لهُ ذلك، فلما أحضروهُ بين يديه، قال لابن مُفلح: "بقي عليك أنْ تكتب لنا أسماء حَارَات دمشق وخططها وسككها في أوراق"، فكتبَ لهُ ذلك وأحضرهُ إليهِ، فلما [٢٦٥/ب] قُدمت إليه تلك القوائم، وعلم أن الطلب قد انتهى، قبض على ابن مُفلح وأصحابه وأسرهُم، فكان حال ابن مُفلح مع تمرلنك، كما قيل:

لا تركننَّ إلى الخريف فماؤه ... مُسترخمٌ وهواهُ خُطافُ
يمشي مع الأجسام مشى صديقها ... ومن الصديق على الصديق يُحافُ[1]

وقدْ قيل في المعنى أيضًا:

إنّ الملوك ظُروفُ الصبر داخلها ... وفوق أفواهها شيّ من العسل
تحلو لذائقها حتى إذا انكشفت ... لهُ تبين ما تحويهِ من دغل[2]

ثم إن تمرلنك فرَّق تلك الأوراق على أمرائه، وتقاسموها، ثم دخلوا إلى المدينة، فعند ذلك طمت أمواج الآفات القبيحة، وعمت من الأنواع الشنيعة كلّ فضيحة، فنزل كلّ أمير من أمرائه في حارة، وطلب سُكانها، فكان الرجل يُقام على باب دارهِ في أنحس[3] هيئة، ويُطالب بالمال الثقيل الذي لا يقدر على بعضهِ، فإذا امتنع من الوزن ضُرب ضربًا شديدًا، فيخرج جميع ما في دارهِ من قماش، وغيرهِ حتى بناته، ونسائه، وعياله، فتُوطا نسائه، وبناته[4] بين يديه، وهو يُشاهد ذلك، وتفتض أبكار بناته، ويُلاط بولده بين يديه، فإذا قضُوا من

---

(1) بحر الكامل؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.
(2) بحر البسيط.
(3) في الأصل "اتحس".
(4) في الأصل "بتاته".

الوطئ أوطارهم، أوجعوهم بعد ذلك ضربًا، هذا وصاحب المنزل قائم يُضرب في وسط دارهِ.

ولقد تفننوا في العذاب فنونًا، حتى لقد كان أحدهم يشدّ رأس الرجل بحبلٍ قنب، ثم يلويه ليًا عنيفًا حتى يغُوص الحبل في جسدهِ، ثم يؤخذ من تحت إبطيه، وتُربط إبهام يديه من ورائه، ثم يُلقى على ظهره، ويُغم بتحرقةٍ فيها رماد سُخن، ويُعلق بإبهام رجليه في سقف البيت، وتُوقد تحته النار، وربما ثقل فسقط في النار، ففعلوا عسكر تمرلنك في أهل دمشق من هذه النمط، وأمثاله ما تشيب عند سماعه النواصي، وتذهل منهُ [١٦٦/أ] العقول.

فأقاموا على ذلك تسعة عشر يومًا، وهُم على ما ذكرنا من القتل، والنهب، والفسق، إلى أخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين رجب من السنة المذكورة، فهلك في هذه المُدّة من الناس ما لا يُحصى عددهم من العذاب، والجوع والقهر، وقلت الأمن، وأخذ الأموال، وعدم الأقوات، كما قيل:

إنْ ترمك الأقدارُ في أزمةٍ ... أوجبها إجرامك السالفة
فادعُ إلى ربك في كشفها ... ليس لها من دُونهِ كاشفة[1]

فلما كان يوم الأربعاء أخر يوم من رجب دخل إلى مدينة دمشق من عسكر تمرلنك أقوام لا يُحصى عددهم، وهُم مشاة بأيديهم السيوف المصَّلتة، فانتهبوا ما بقي في البلد من قماش، وأثاث، وسبوا النساء، والشباب، وأسروا الرجال، وألقوا الأطفال الرُضع من عُمره شهر إلى خمس سنين، وخرجوا بالنساء، والرجال من البلد، وهُم مُقرّنين في الأصفاد، والحبال يُساقون إلى حيث لا يعلمون، فأسر في هذه الحركة من الأعيان جماعة كثيرة من العُلماءِ، والفقراءِ، والنُواب، والأمراء، والعسكر السلطاني ما لا يُحصى عددهُم، منهم: قاضي القُضاة الشافعي صدر الدين المناوي، وغيره من القُضاة، والعُلماء، والأعيان، ومن النُواب، وهُم: دمرداش نائب حلب، والأمير شيخ المحمودي نائب طرابلس، والأمير دُقماق المحمدي نائب حماه، وأسر المقر السيفي سُودُون قريب المقام الشريف نائب الشام، وأسر جماعة كثيرة من أعيان دمشق، ومن قُضاتها ما يحضرني أسمائهم الآن.

---

[1] بحر السريع. البيتان ليوسف بن عبد المجيد بن علي بن داود الهذلي. (أعيان العصر ٦٨٣/٥).

ثم في يوم الخميس طرحوا[1] النار في مدينة دمشق، حتى لقد صارت من شدّةِ السَّعير، ترمى بشررٍ كالقصر، كأنهُ جمالات صفر[2]، وقد بقيت دمشق ليس بها جدار قائم، وقد اخترق جامع بني أمية، وزالت سقوفه[3]، وأبوابه، وتفطر رُخامه، ومُحيت آثاره، وحرقوا غير ذلك جوامع كثيرة، ومساجد، ومدارس، [١٦٦/ب] ومشاهد، ومساكن جليلة، حتى أحرقوا الحمامات، والقياسر، والأسواق، والحارات، وقدْ أضحت دمشق بعد البهجة والسرور والنضرة والحبور أطلالًا بالية، ورُسُومًا خالية، وقد خوتْ على عُروشها، واقفرت من زُخرفها ونقوشها، لا ترى فيها دابة تدُب، ولا حيوان يهبُ، سوى جُثث قدْ احترقتْ، وصُور قدْ تعفرَّتْ، وقد صارت تُكسى من الذُّباب ثوبا، ومغنمًا للكلاب نهبا، لا يستهدي اللبيب إلى دارهِ، ولا يفطن الذكي إلى معرفة مزاره، كما قيل في المعنى:

وأمّرُ بالأوطان والسكن الذي قدْ كنتُ أعهدهُ بخير وافري
لم ألق غير البُوم فيها سَاكِنًا تبًا لهُ مِنْ طيرٍ نحسنٍ واكري[4]

فإنا لله وإنا إليه راجعون لعظم هذه المصائب، وشناعة هذه النَّوائب، فكم تُوقظنا حوادث الأيام، ونحنُ في ليل الغفلة نيام، فلا تعتبر بهذهِ الأخبار، ولا نرجع عن ذنُوبنا مع الإصرار، وقدْ قالَ القائلُ في المعنى:

نُراع بذكر الموت ساعة ذكره ونعرضُ للدُنيا فنلهو ونلعبُ
ونحن بنوا الدُنيا خُلقنا لغيرها وما كتنتُ منهُ فهو شيّ محببُ[5]

فلما كان يوم الجمعة أخر رجب رحل تمرلنك عن دمشق، بعد ما فعل ما فعل، فكانتْ مُدّة إقامته في دمشق إلى أن رحل عنها نحو ثمانين يومًا، منها مُدّة استيلائه على البلد تسعة وعشرين يومًا.

وقيل: أنَ تمرلنك لما أراد أنْ يرحل عن دمشق فجمعوا لهُ أطفال المدينة، ما بين ابن شهر إلى ابن خمس سنين، ممن أُسرتْ أمهاتهم، فركب تمرلنك، وأتى إليهم في مكان خارج عن المدينة، فوقف ساعة، وهو ينظر إليهم، ثم أمر بأن

---

(١) في الأصل "طرجوا".
(٢) متأثرًا بالآية الكريمة: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾ (المرسلات:٣٢- ٣٣)
(٣) في الأصل "سقوقه".
(٤) بحر الكامل.
(٥) بحر الطويل؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

يُساق عليهم بالخيل، فساقوا عليهم بالخيل حتى ماتوا أجمعين، فلما رجع تمرلنك فلاموهُ أصحابه على ذلك، فقال: "ما أخذتني عليهم رحمة"، وكان يقول: "أنا غضب [١٦٧/أ] الله في أرضه، يُسلطني على من يشاء من خلقهِ"، فكان حال أمر الأطفال، كما قيل:

وَجُرم جَرَّهُ سُفهاء قومٍ فحلَّ بغير جانيه العذابُ[1]

ولما رحل تمرلنك عن دمشق صار من بقي من الأمراء، والمماليك السلطانية، ومماليك الأمراء، يجتمعون ويترافقون، حتى يتوجهوا إلى نحو الديار المصريّة، فتخرج عليهم العُربان والعشير، فيجرى عليهم من العُربان والعشير ما لا جرى عليهم من تمرلنك، فيعرُوهم، ويأخذون جميع ما معهم، ولم يتركوا لهُم غير اللباس في وسطهم، وكان أكثرهم يجئ من البحر المالح من على السواحل حتى يدخلوا إلى مصر، وقد ذهبت حُرمة المملكة، وتبهدل السلطان في هذه الحركة إلى الغاية، وصار العسكر يدخلون إلى القاهرة في أنحس[2] حال فصار السلطان يعطي لكلِّ مملوك جامكية شهرين، وينعم عليه بألف درهم خارجًا عن الجامكية، لترقع أحوال العسكر.

ثم إنَ السلطان الملك الناصر فرج قوي عزمه على أنهُ يُسافر إلى الشام ثاني مرة، فعلق الجاليش السلطاني، ورسم بأن يؤخذ من بلاد السلطان، والأمراء، والجند، عن عبرة كلّ ألف دينار أو فرس أو ثمنها خمسمائة درهم.

ورسم بأن يؤخذ من أملاك القاهرة، وضواحيها من كلّ ملكٍ أجرة شهر واحد؛ وعن الرزق عن كل فدان عشرة دراهم، وعن البساتين عن كلِّ فدان مائة درهم، وفتحوا من هذه الأبواب أنواع المظالم.

ثم اقترضوا من أموال التجار والأيتام فصاروا يكبسُون الفنادق بالليل، فإن كانوا أصحاب الأموال من التجار موجودين، فيأخذون من أموالهم النصف، ويتركون لهُم النصف، وإن كان صاحب الحاصل غائب، فيفتحوا [١٦٧/ب] مخزنه، ويأخذوا جميع ما فيه من ذهب وفضة، وفلوس.

ثم أخذوا من أوقاف الجوامع، والمدارس، والخوانق، والمساجد، حتى من أوقاف البيمارستان أجرة أملاكه عن شهر واحد، فحصل بذلك لأهل مصر الضرر الشامل، وكان المتكلم في أمر ذلك الأمير يَلبُغَا السالمي أسُتادار العالية.

---

[1] بحر الوافر؛ البيت للمتنبي. (انظر: خاص الخاص ٢٦).
[2] في الأصل "أتحس".

فلما تكامل استخراج ذلك، تكلم الناسُ في حق يَلبُغَا السالمي، بأنهُ أخذ أضعاف ذلك لنفسهِ، فقبض السلطان عليه، وعلى الجناب الشهابي أحمد بن قُطينه، وسلمهُما إلى المقر السعدي إبراهيم بن غُراب ناظر الجيوش المنصورة، والخواص الشريفة، ولما مُسك يَلبُغَا السالمي أخلع على ابن غُراب واستقر أسُتادارًا مع ما بيده من تلك الوظائف عُوضًا عن يَلبُغَا السالمي.

ثم إنَ السلطان أعرض أجناد الحلقة[1] والبحرية، فكلّ من يكون قادرًا على السَّفر يأمرهُ بالسَّفر، ومن لم يكن قادرًا على السَّفر، يؤخذ منهُ نصف مُتحصل إقطاعه عن سنة كاملة.

وفي أثناء ذلك حضر قاصد نُعير وصُحبتهُ ألطنبُغَا العنبري الذي كان أمير أخور تنم نائب الشام، وأخبر بأن نُعير جمع عُربان كثيرة، ونزل على تُدمُر، وأخبر بأن تمرلنك تحول من ظاهر دمشق إلى القطيفة، فنزل بها، وهو على غير استواء من جمرةٍ طلعتْ له في جسده، وهو في غاية الألم من ذلك، فلما بلغ السلطان ذلك تخذل عزمه عن السفر، وعن ما كان قد عول عليه من المظالم بسبب ذلك، فكان الأمر كما قيل في المعنى:

إصبِر قَليلاً فَبَعدَ العُسرِ تَيسيرُ وَكُلُّ شيءٍ لَهُ وَقتٌ وَتَقديرُ
وَلِلمُهَيمِنِ في حالاتِنا[2] نَظَرٌ وَفَوقَ تَدبيرِنا لِلّهِ تَدبيرُ[3]

ثم في أثناء ذلك حضر كاشف البُحيرة، وصُحبتهُ ستة ألاف فارس من عُربان البُحيرة، والتزم شيخ العرب ابن بقر، وأنهُ يحضر من عُربان [١٦٨/أ] الشرقية ألفين وخمسمائة فارس، والتزم شيخ العيساويّة وبنى وائل بإحضار ألف وخمسمائة فارس ومن العُربان.

وفي أثناء ذلك حضر سُودُون نقيب قلعة دمشق، وعلى يدهِ كتاب من عند تمرلنك، يتضمن طلب أطلمش قرابة تمرلنك الذي كان عند السلطان في البُرج، وقد تقدم سبب أسره، والتزم تمرلنك أنهُ إذا أطلق أطلمش يطلق الآخر من عنده من الأسرى[4] من النُواب، والأمراء، والعسكر، والفقهاء، ويحلف لهُم أنه يرحل

---

[1] في الأصل "الخلقة".
[2] في بدائع الزهور ٦١٩/٢/١: "أحوالنا".
[3] بحر البسيط؛ البيتان للإمام عليّ بن أبي طالب. (صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٥٥٦/١).
[4] في الأصل " الأسراء".

عن بلادهم، ولا يُقيم بها؛ فطلب السلطان الأمراء، واستشارهُم في ذلك، فأشاروا عليه بإرسال أطلمش إلى تمرلنك، فعيّن السلطان قانباي النُورُوزي خُشداش سُودُون بُقجه، وعيّن الشهابي أحمد بن غُلبك من أمراء حلب بأنْ يتوجها إلى تمرلنك، وصُحبتهما أطلمش المذكور بعد أن أكساهُ السلطان كسوة فاخرة، وأحسن إليه غاية الإحسان، فلما وصلوا إلى تمرلنك، فأكرم قانباي النُورُوزي والشهابي أحمد بن غُلبك، ولما قرأ مراسيم السلطان بكى تمرلنك، وتغارش، وقال: "السلطان ولدي، وهذا الذي جرى كان مُقدر من الله تعالي"، وكان تمرلنك من حينٍ خرج من دمشق، وهو ضعيفٌ من الجمرة التي طلعت لهُ في جسده، وقد صارت ترعى في بدنهِ[1] واشتغل بنفسهِ.

وقيل: أن تمرلنك مع هذه السطوة العظيمة، كان أعرج بوركه الأيمن، وكان إذا ركب حُمل على أكتاف الرجال، حتى يركب لعجزه، كما قيل في ذلك:

رِزْقُ الضَّعِيفِ بِعَجْزِهِ فَاقَ القَوِيَّ الأَغْلَبَا
فالنَّسْرِ يَأْكُلُ جِيفَةً والنَّحْلُ يَأْكُلُ طَيِّباً[2]

فلما حضر أطلمش إلى عند تمرلنك أطلق الأسرى[3] الذي[4] كانوا عندهُ كما قرَّرَ مع السلطان، ثم إنَ تمرلنك أرسل صُحبة قانباي النُورُوزي [١٦٨/ب] هدية إلى السلطان، صُحبة الخواجا مسعود الكُججاني، ومن جُملة الهديّة فيل عظيم الخلقة، وعلى ظهره صندوق خشب يجلس فيه نحو عشرة أنفس، يضربون بالكوسات، وأرسل مع الفيل أشياء جليلة غير ذلك، فلما دخل الفيل إلى القاهرة تعجب أهل مصر من خلقتهِ، وصوروا مثلهُ في العلاليق، وقد قالَ القائلُ في المعنى:

قدْ صوروا الفيل الكبير حلاوة ولهُ طلاوة
ما قولكم في معشرٍ الفيل عند هُم حلاوة[5]

فدخل قانباي النُورُوزي إلى القاهرة، وعليه خلعة مُخمل، وعلى رأسهِ التاج الذي أخلعهم عليه تمرلنك، وكان يوم دُخوله إلى القاهرة يومًا مشهودًا، ولما

---

(1) في الأصل "بذنه".
(2) بحر مجزوء الكامل.
(3) في الأصل "الأسراء".
(4) كذا في الأصل، الصواب "الذين".
(5) بحر مجزوء الكامل؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

عاد قانباي[1] النُورُوزي من عند تمرلنك كان يُدعى قانباي التمرلنكي، ثم بعد مُدة أخلع السلطان عليه واستقر نائب الكرك، ثم بعد مُدّة نقلهُ إلى نيابة الإسكندرية.

وفي هذه السنة: بعد مُضي هذه الحركة أخلع السلطان على من يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي نُورُوز الحافظي، والمقر السيفي يشبك الشعباني، واستقر بهما مُشيرًا للدولة الشريفة، ومُدبرًا أمورها؛ وأخلع على المقر السيفي تغري بردي واستقر نائب الشام عُوضًا عن سُودُون قريب المقام الشريف، وخرج من يومه لعمارة دمشق.

وفي أثناء ذلك حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفي شيخ المحمودي نائب طرابلس، وكان أسيرًا عند تمرلنك، فهرب من عنده، وحضر إلى القاهرة، ففرح بهِ السلطان، وأخلع عليه واستقر بهِ نائب طرابلس على عادته، فخرج من يومهِ لعمارة البلاد.

وبعده حضر المقر السيفي دُقماق المحمدي نائب حماه، وكان أسيرًا عند تمرلنك، فهرب من عندهِ وحضر إلى القاهرة، فلما حضر أخلع عليه السلطان [١٦٩/أ] واستقر بهِ نائب حماه على عادته، وخرج من يومه لأجل عمارة حماه.

وأخلع على الأمير تمربُغَا المنجكي واستقر بهِ نائب صفد؛ وأخلع على الأمير تنكز الحططي واستقر بهِ نائب بعلبك؛ وأخلع على الأمير طُولُو من عليّ شاه واستقر به نائب ثغر الإسكندرية عُوضًا عن أرسطاي.

وفيها: في يوم الخميس تاسع عشرين شعبان أخلع على القاضي ناصر الدين ابن الصالحي، واستقر قاضي قُضَاة الشافعية بالديار المصرية عُوضًا عن قاضي القُضَاة صدر الدين المناوي بحكم أسره عند تمرلنك، فنزل من القلعة، ومعه الأمير يشبك الشعباني الدوادار الكبير، وجماعة من الأمراء العشراوات، فنزلوا في خدمتهِ إلى المدرسة الصالحية.

ثم أخلع السلطان على القاضي أمين الدين الطرابلسي، واستقر قاضي قُضاة الحنفية بمصر عُوضًا عن قاضي القُضاة جمال الدين يُوسف الملطي بحكم وفاته.

---

[1] في الأصل "قاتباي".

وأخلع على القاضي جمال الدين الأقفهسي واستقر قاضي قُضَاة المالكية بمصر عُوضًا عن قاضي القُضاة نُور الدين ابن الجلال بحكم وفاتهِ.

وأخلع على القاضي مجد الدين ابن سالم واستقر قاضي قُضاة الحنابلة بمصر عُوضًا عن قاضي القُضاة مُوفق الدين الحنبلي بحكم وفاته.

ثم في ثالث عشرين شهر رمضان انفصل قاضي القُضاة المالكي جمال الدين الأقفهسي، وتولى قاضي القُضاة ولي الدين ابن خلدون المغربي كما كان من قبل.

وفيها: أخلع على الأمير بُشباي من باكي واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية، وأخلع على تمر البريدي واستقر مهمندار عُوضًا عن ألطنبُغا سيدي، ورسم لأطنبُغَا سيدي ولسُودُون الطيار بأنْ يستقرَا حجاب بحلب فخرجَا من [١٦٩/ب] يومهُما.

ومن الحوادث في هذه السنة: أن في يوم الأحد ثامن شوال نزل الأمير قطلوبُغَا الكركي، والأمير أقباي الكركي الخازندار من القلعة، فتلقوهُما جماعة من المماليك السلطانية نحو خمسمائة مملوك، فضربوا الأمراء بالدّبابيس، فأما الأمير قطلوبُغَا الكركي فضربُوهُ، حتى وقع من على فرسهِ فحملُوهُ إلى بيته، وأما الأمير أقباي ضُرب، لكنهُ هرب إلى بيت الأمير يشبك الشعباني أمير دوادار.

فلما بلغ السلطان ذلك نادى في القاهرة بأن سائر الأمراء، والمماليك السلطانية يطلعوا إلى القلعة، فطلعوا أجمعين إلا الأمير يشبك الشعباني فأنهُ صبر إلى وقت العشاء، وطلع إلى القلعة هو والأمير أقباي الكركي وقطلوبُغَا الكركي، وطلع معهم الأمير نُورُوز الحافظي[١]، فأقام في القلعة ساعة ثم نزل، وبات بقية الأمراء والمماليك بالقلعة.

فلما أصبحوا يوم الإثنين طلع سائر الأمراء والعسكر إلى القلعة إلا الأمير جكم العُوضي، والأمير قاني بيه العلائي، والأمير سُودُون الناصري الطيار، والأمير قرقماس الأينالي، والأمير تمربُغَا المشطُوب، والأمير جمق من أدمشق، وغير ذلك من الأمراء والخاصكية، ثم لبسوا آلة الحرب، ووقفوا بسُوق الخيل إلى ضحوة نهار، فلم ينزل لهُم من القلعة أحد، فعند ذلك توجهوا إلى بركة الحبش، فأقاموا بها ذلك اليوم، ثم إنَ الأمراء الذي[٢] كانوا بالقلعة نزل كلّ أحد إلى بيتهِ.

---

[١] في بدائع الزهور لم يطلع معهم الأمير نُورُوز. (انظر: بدائع الزهور ٦٢٦/٢/١).
[٢] كذا في الأصل، والصواب "الذين".

فلما كان يوم الأربعاء طلع الأمير يشبك الشعباني إلى القلعة، ثم إنَ السلطان طلب بقية الأمراء بجمدارية [١٧٠/أ] على أنهم يطلعوا يباتُوا بالقلعة، فطلعوا إلا الأمير سُودُون من عليّ بيه أمير أخور، فأنهُ لم يطلع إلى القلعة، فطلب بجمدار، فلم يطلع، فنزل إليه بعض الخاصكية، وقال لهُ: "فُز بنفسك وإلا يقتلوك"، وقيل: أن السلطان قرَّرَ مع المماليك أنه إذا طلع الأمير سُودُون يقتلُوهُ، ويقتلُوا سائر الأمراء الذي[1] بالقلعة.

فلما بلغ سُودُون ذلك أخذ الخيول التي بالأسطبل السلطاني، ونزل من الأسطبل هو ومماليكه، وتوجه إلى نحو بركة الحبش عند الأمراء الذين هناك، كما تقدم؛ فلما بلغ السلطان والأمراء ذلك تشوشوا إلى الغاية.

فلما كان يوم الخميس[2] نزل السلطان الملك الناصر إلى المقعد المُطل على سُوق الخيل، ودُقت الكوسات حربي، وطلع الأمراء الذين هُم من عُصبة السلطان، فأقاموا إلى وقت الظهر، ثم إنَ السلطان أرسل أمان إلى الأمراء الذين ببركة الحبش، وأرسل خلعة إلى الأمير جكم العُوضي بأن يكون نائب صفد، فعاد الجواب من الأمراء بأنهم قالوا: "نحن مماليك السلطان، ومماليك والده من قبل، ولكن نحن لنا غُرماء، وهُم: يشبك الشعباني، وأقباي الكركي وقطلوبُغَا الكركي"، ثم إن السلطان أرسل إليهم قاضي القُضَاة الشافعي ناصر الدين الصالحي والأمير ناصر الدين ابن الرّماح فتوجها إليهم من عند السلطان في أمر الصُلح، فلما اجتمعوا بالأمراء، فأبوا الصُلح وقالوا: "لابُدّ لنا من غُرمانا"، فعاد قاضي القضاة وناصر الدين ابن الرّماح إلى السلطان بأن الأمراء أبوا من الصُلح، وقالوا: "لابُدّ لنا من غُرمانا".

فلما سمع السلطان ذلك، قال للأمير يشبك الشعباني: "افتصل أنتَ وغُرماك"، فنزل يشبك إلى بيتهِ، فأقام فيهِ ساعة، [١٧٠/ب] ثم عاد إلى عند السلطان فلم يُمكن من الدخول إليه، ومُنع من ذلك، ثم نزل ووقف بسُوق الخيل ساعة، وإذا بالأمراء الذين في بركة الحبش قد أقبلوا من باب القرافة في كبكبةٍ عظيمة، فجاءوا إلى سبيل المؤمني، ووقف يشبك الشعباني بسُوق الخيل، ثم إن يشبك نادى للمماليك السلطانية: "أن كل مملوك قاتل معهُ يأخذ عشرة آلاف درهم وفرس"، فاجتمع عنده بعض مماليك سلطانية.

---

(1) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(2) في بدائع الزهور ٦٢٧/٢/١: "الأربعاء".

فلما بلغ الملك الناصر ذلك أمر رؤوس النُوب بأن ينزلوا إلى المماليك الذي[1] حضروا عند يشبك ويضربوهم، فنزلوا إليهم وشتتوهُم، فلما رأى يشبك عين الغُلب هرب من سُوق الخيل واختفى، فنهبُوا العوام بيته، وبيت قطلو بُغَا الكركي، وأقباي الكركي، ثم بعد ساعة مُسك الأمير أقباي، والأمير جركس القاسمي المُصارع، والأمير قطلوبُغَا الكركي فقيدُوا أجمعين، وأرسلُوا إلى السجن بثغر الإسكندرية.

وأما الأمير يشبك الشعباني فأنهُ لما هرب لم يُعلم لهُ خبر[2] فأقام أيامًا، ثم غُمز عليه، فمُسك من تُربة خوند سمرا التي تُجاه باب جامع قُوصُون الذي هو داخل باب القرافة، فلما دخلوا عليه ليمسكوهُ أرمى نفسه من حائط، فوقع على وجهه فانقطع حاجبهُ، فأحضروا لهُ مُزين فخيط لهُ ذلك الجُرح، ثم قيد وأرسل إلى السجن بثغر الإسكندرية، وكان المُتسفر عليه سُودُون الجلّب،والذي سافر صُحبة الأمراء الذي[3] تقدمُوا الأمير نكبيه الأزدمُري أحد الأمراء الطبلخانات، ثم سكن من بعد ذلك الأمر، وخمدت الفتنة.

فعمل السلطان الموكب، وأخلع على من [١٧١/أ] يُذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي جكم العُوضي واستقر أمير دوادار كبير عُوضًا عن يشبك الشعباني؛ وأخلع على الأمير سُودُون من زاده واستقر بهِ خازندار كبير؛ وأخلع على الأمير أرغُون من بُشبُغَا واستقر شاد الشربخاناة؛ وأخلع على الأمير سُودُون الناصري الطيار بتقدمة ألف، وأنعم على الأمير تمربُغَا من باشاه بتقدمة ألف.

ثم إن السلطان رسم للمماليك السلطانية بالنفقة، ووزع ذلك على المُباشرين، فقسط على المقر السعدي إبراهيم بن غُراب مائة ألف دينار، وكذلك بقية المُباشرين.

ثم إن المقر السعدي ابن غُراب اختفى هو وأخوه المقر الفخري، فأخلع السلطان على الجناب العلمي علم الدين ابن أبي كُم واستقر بهِ وزيرًا وناظر الخواص الشريفة عُوضًا عن ابن غُراب؛ وأخلع على الجناب السعدي سعد الدين سبط الصاحب تاج الدين الملكي[4] واستقر بهِ ناظر الجيوش المنصورة عُوضًا عن المقر السعدي ابن غُراب.

ثم بعد مُدّة جاءت الأخبار بأن المقر السعدي ابن غُراب ظهر في تروجة، وأن مشايخ تروجة أرسلوا إلى السلطان، والأمراء يطلبون منهم أمان للمقر

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[2] في الأصل "خير".
[3] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[4] في بدائع الزهور ٦٣٢/٢/١: "سعد الدين أبي الفرج ابن بنت الملكي".

السعدي ابن غُراب، فكتب السلطان لـهُ أمـان، وكـذلك بقيـة الأمـراء إلا المقر السيفي جكم العُوضي فأنهُ كتب إليه كتاب ولم يكتب لهُ أمان.

وفـي يـوم الإثنـين ثـاني عشـرين ذي الحجـة حضـر قاصـد مـن عنـد ابـن عثمـان صـاحب بلاد الروم، وهو أبو يزيد بن مُراد بك، الشـهير بـابن عثمـان، وأحضـر إلـى السلطان هديّة نفيسـة، وكذلك إلى الأمـراء، وأرسل كتابـه إلـى السلطان بـأن يكـون على حذر من تمرلنك، فأنـهُ فـي جمـع عسـاكر عظيمـة، فـأكون أنـا وأنـتم عونـا علـى ذلك، وأرسل ابن عثمان [١٧١/ب] يسأل السلطان بأن يُصاهرهُ في إحدى بناته.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه حضر المقر السعدي إبراهيم بن غُراب إلى القاهرة، ودخل في الليل، واجتمع بالأمير جمال الدين بُجاس النُورُوزي، فأخذهُ وطلع به إلى الأمير سُودُون أمير أخور كبير، فأقام عندهُ من يوم الثلاثاء إلى يوم الخميس، ثم حضر بين يدي السلطان، فأخلع عليه خلعة عظيمة، ثم أُعيد إلـى وظائفـهِ كـم كـان أسُـتادار، نـاظر الجيـوش المنصـورة، نـاظر الخـواص الشريفة، وأخيـه فخـر الـدين وزيـر؛ فلمـا نـزل مـن القلعـة دخـل إلـى بيـت المقـر السيفي جكم يُسلم عليه، فلم يخليه يدخل إليه، ثم بعد أيام أخذهُ الأمير سُودُون من زاده، ودخل بهِ إليه، فباس يده فلم يُكلمه كلمة واحدة، فكان كما قيل في المعنى:

إنَّ الأَسُـــودَ لَتُخْشَـــى وَهِـــيَ صَـــامِتَة وَالكَلْـبُ يُخْـزى لعمـري وَهُـوَ نُبَـاحُ[١]

وفي هذه السنة: توقف النيل المُبارك، وتشحطت الأسعار، وأقام على ذلك أيامًا ثم زاد في يوم واحد ثمانية وأربعين أصبعًا، وبقـي عليـه للوفـاء سـتة عشـر أصبعًا، ثم أوفى وزاد خمسة أصابع قبل الوفاء، وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

يـــا نيـــل مصـــر كـــم يـــدّ لـــك بالوفـــا أوليتنـــا بالكســـر جبـــرًا دائمًـــا
أوفيـت قبـــل الكســـر خمـــس أصـــابعٍ كرمًـــا فكانـــتْ للوفـــاء خواتمـــا[٢]

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان، وهُم: المقر السيفي سُودُون نائب الشـام مـات مأسُـورًا عنـد تمرلنـك وهـو علـى دمشـق؛ وتـوفي الأميـر بُجـاس النُورُوزي أحد الأمراء المُقدّمين؛ وتوفي قاضـي القُضَـاة بـدر الـدين أبـو البقـا السُبكي الشـافعي[٣] قاضـي [١٧٢/أ] قُضـاة الـديار المصـرية تـوفي ليلـة السـبت سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة؛ وتوفي قاضي القُضاة جمال الدين يُوسف

---

(١) بحر البسيط؛ البيت للإمام الشافعي. (انظر: ديوان الشافعي ٦٠).
(٢) بحر الكامل.
(٣) هو بدر الدين محمد بن أبي البقا محمد بن عبد البر الخزرجي، مات في سابع عشر ربيع الآخر. (انظر: بدائع الزهور ٦٣٦/٢/١).

الملطي الحنفي[1]؛ وتوفي قاضي القُضاة نُور الدين عليّ بن الجلال المالكي[2] مات باللجُون من طريق الشام لما توجه مع السلطان بسبب تمرلنك.

وتوفي قاضي القُضاة مُوفق الدين أحمد العسقلاني الحنبلي[3]؛ وتوفي قاضي القُضاة شهاب الدين أحمد النحريري المالكي قاضي قُضاة الديار المصرية كان؛ توفي القاضي شرف الدين ابن الدماميني[4] قاضي قُضاة الإسكندرية؛ وتوفي الشيخ الحافظ المُحدث علائي الدين الشهير بابن اللحام الحنبلي الدمشقي؛ وتوفي سيدي أبي بكر ابن الملك الأشرف شعبان.

وتوفي الصاحب الشهير بابن مكانس تولى الوزارة مرتين وتولى نظر الجيوش ونظر الخواص الشريفة وباشر مُباشرات كثيرة؛ وتوفي الشيخ بهائي الدين أبو الفتح ابن أخي شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البُلقيني الشافعي؛ وتوفي الشيخ شمس الدين ابن المكين المالكي شيخ الحديث.

وتوفي سيدي خليل بن تنكزبُغا المارديني ابن بنت الملك الناصر محمد بن قلاوُن؛ وتوفي قاضي القُضاة بدر الدين محمد الاقفهسي الشافعي كان.

وتوفي القاضي نُور الدين الشهير بابن الخرُوبي التاجر الكارمي[5]، وهو صاحبُ المدرسة المُطلة على بحر النيل، توفي في يوم الخميس عاشر رجب من السنة المذكورة.

وتوفي الشيخ الصالح سيدي أبو بكر المجذوب ابن أمير أخور، وكانت لهُ كرامات خارقة، وهو الشهير بصاحب الكلوته، وتوفي غير هؤلاء في هذه السنة جماعة كثيرة من الأعيان بالديار المصرية.

ثُم دخلت سنة أربع وثمانمَائة، فيها: خرج عرب بني عُقبة على الحجاج ونهبوا كل ما[6] [١٧٢/ب] كان معهم من الأموال، حتى التُجار والسوقة، ثم إنَ أمير الحاج قبض على مُنجد بن خاطر أمير بني عُقبة وأحضرهُ إلى القاهرة، فلما حضر بين يدي السلطان أراد أن يُوسطهُ، فالتزم برد أموال الحجاج والتجار جميعها.

---

(١) هو جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطي. (بدائع الزهور ٦٣٦/٢/١).

(٢) هو نور الدين علي بن يوسف بن مكي، مات في جمادى الأولى. (انظر: بدائع الزهور ٦٣٦/٢/١).

(٣) هو موفق الدين أحمد ابن القاضي القضاة ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد. (انظر: بدائع الزهور ٦٣٥/٢/١).

(٤) هو شرف الدين محمد بن محمد بن الدماميني. مات في آخر المحرم. (انظر: بدائع الزهور ٦٣٦/٢/١).

(٥) هو نور الدين علي بن عبد العزيز بن أحمد بن الخروبي، مات في ثاني عشر رجب. (انظر: ٦٣٦/٢/١).

(٦) في الأصل "كلما".

وفيها: وقعتْ فتنة بدمشق بين أهل دمشق وبين النائب تغري بردي، فرجمُوهُ فهربَ تحت الليل، وتوجه إلى دمرداَش نائب حلب، فأقام عندهُ، فلما بلغ السلطان ذلك أرسل تقليدًا إلى أقبُغَا الجمالي بنيابة دمش عُوضًا عن تغري بردي.

وفيها: دخلَ المقر السيفي نُورُوز الحافظي على أخت السلطان الملك الناصر فرج، وهي بنت الملك الظاهر برقوق، وذلك في العشرين من المُحرم؛ ثم في سادس صفر دخل المقر السيفي أينال باي بن قجماس على أخت السلطان الثانية، وهي بنت الملك الظاهر برقوق أيضًا، فكان لهُما مُهمان عظيمان بالقلعة.

وفيها: في يوم الأربعاء خامس عشر صفر بلغ الأمراء بأن ألان الخاصكي قد سكن في القاعة الأشرفية، وفتح بابها الذي من دهليز القصر، فقال الأمراء: "مَا سكن هذه في الأشرفية إلا لمسك أحدٍ من الأمراء"، فتخيّلُوا وامتنعُوا من الطلُوع إلى القلعة، واقامُوا على ذلك أياما، فأرسل السلطان إليهم الأمير أقباي حاجب الحجاب، يقولُ لهُم: "لم لا تطلعُوا إلى القلعة"، فقالُوا: "نحن لنَا غُرمَا وأن لم تعطونا إياهُم مَا نطلع إلى القلعة"، فترددَت الرسائل بينهم وبين السلطان، ثم تقرّرَ الحال مع السلطان بأن ينفى ثمانية من الأمراء الطبلخانات والعشراوات، فرسم السلطان بخرُوجهم إلى الشام فركب المقر الأتابكي بيبرس وأتى إلى بيت المقر السيفي نُورُوز الحافظي، فشفع عنده في هؤلاء الأمراء فقالَ لهُ نُورُوز: [١٧٣/أ] "لأجلك أنا ما أتكلم، ولكن بقية الأمراء افتصل منك لهُم".

فلما كان آخر النهار أرسل الأمراء خلف الحجاب، وقالوا لهُم: "توجهوا إلى بيوت الأمراء الذين تعينوا للنفي"، وأخرجوهُم في هذه الساعة، فتوجهوا إليهم فتوجهوا إليهم الحجاب، وأتوا إلى بيت الأمير سُودُون بُقجه فأرمى نفسه إلى بركة الفيل، وهرب ثم توجهوا إلى غيره من الأمراء المُعينين، فلم يجدوا أحدٌ منهم في بيتهِ، وكان السلطان لهُ بهم عناية في الباطن.

ثم إنَ السلطان أرسل المقر الأتابكي بيبرس يشفع فيهم عند الأمراء، فلم يقبل الأمراء شفاعتهُ فيهم، وقالوا: "أما نحن وأما هُم"، فرجع الأتابكي بيبرس إلى بيتهِ، فرسم السلطان للخليفة والقُضاة الأربعة بأن يتوجهوا إلى الأمراء ويشفعوا في هؤلاء الأمراء، فوقع الاتفاق على أن الأمير سُودُون الحمزاوي يتوجه إلى نيابة صفد وبقية الأمراء يخرجون إلى الشام كما تقرّرَ الحال عليه.

فلما كان يوم الإثنين خامس عشرين صفر طلع الأمير سُودُون الحمزاوي إلى القلعة، واحضروا لهُ التشريف ليلبس نائب صفد، فلم يُوافقوا جماعة من المماليك السلطانية على ذلك، ومنعُوهُ من لبس الخلعة.

وفيها: طلب السلطان دمرداش المحمدي نائب حلب بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة، وأخلع على دُقماق المحمدي واستقر نائب حلب عُوضًا عن دَمِردَاش المحمدي.

وفيها: حضر إلى الأبواب الشريفة الطواشي جمال الدين عبد اللطيف ساقي الملك الناصري، وكان أسيرًا عند تمرلنك، فهرب بعد أنْ قاسى شدائد عظيمة، وأخبر بأنْ ابن تمرلنك توجه من ماردين إلى بغداد، فاتقع مع أهل [١٧٣/ب] بغداد فانكسر ابن تمرلنك.

فلما جاءت الأخبار إلى تمرلنك بأنْ ولده انكسر، توجه تمرلنك بنفسهِ إلى بغداد، وحارب أهلها، وأخرب بغداد وقطع نخيلها، وقتل أهلها كما فعل بالشام، وأخبر بأنْ قاضي القُضَاة صدر الدين المناوي الشافعي غرق في نهر الزاب عند القنطرة التي على هذا النهر.

وفي هذه السنة: في يوم الإثنين رابع[1] جمادى الآخر أخلع السلطان على القاضي جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلقيني، واستقر قاضي قُضاة الشافعية بالديار المصرية عُوضًا عن قاضي القُضاة ناصر الدين ابن الصالحي.

وفيها: جاءت الأخبار بأنْ صُرق الظاهري نائب غزة خامر وخرج عن الطاعة، فأخلع السلطان على الأمير ألطنبُغَا العثماني واستقر نائب غزة عُوضًا عن صُرق، ثم بعد أيام حضر مُقدم البريدية ومعهُ سيف صُرق نائب غزة، وذلك أن أمير جرم اتقع مع صُرق، فتكاثر عليه العُربان فانكسر صُرق وقتل واحضروا سيفه إلى السلطان فأرسل السلطان واحتاط على موجُودِهِ.

وفيها: جاءت الأخبار بأن شيخ المحمودي نائب طرابلس خرج عن الطاعة وأظهر العصيان، واستخدم جماعة كثيرة من التُركمان، ومسك حاجب طرابلس، وجماعة من أمرائها، وحبسهُم في سجنِ المرقب.

---

[1] في بدائع الزهور ٦٤٦/٢/١: "خامسه".

وفيها: جاءت الأخبار بأنْ دُقماق المحمدي الذي استقر نائب حلب، لما وصل إلى حلب اتقع مع دَمِرداَش نائب حلب كان، ومع تغري بردي نائب الشام كان، فكسرهُما دُقماق [١٧٤/أ] نائب حلب كسرة قوية، ونُهب جميع ما معهُما من برك، وخيُولٍ، وقماش وغيرهِ.

وفيها: في رابع عشرين رجب أخلع على القاضي جمال الدين البساطي واستقر قاضي قُضاة المالكيّة بالديار المصرية عُوضًا عن القاضي ولي الدين ابن خلدُون المغربي الحضرمي المالكي.

وفي هذا الشهر: طلع كوكب من جهة الغرب، لهُ دوابه صَاعدة إلى السماء، وأقام يطلع من بعد المغرب إلى ثلث الليل، وكان كوكب كبير نيّر يُرى مع ضوء القمر.

وفيها: في يوم الإثنين مُستهل شهر شعبان خرجوا بالفيل الكبير المُسمى مرزُوق، وقيل: هو الفيل الذي أهداهُ تمرلنك إلى السلطان صُحبة قانباي النُورُوزي، وقد تقدم ذكر ذلك، فلما أخرجُوهُ ليسيروا بهِ نحو بولاق، فلما توجه إلى بولاق رجعوا به من على قنطرةِ الفخر، ليطلعوا بهِ من على باب البحر، فلما عدى قنطرة الفخر عند رأس العطفة هُناك بجمُون من الخليج الناصري يخرج إلى الخليج المُتوصل إلى بولاق، فداس الفيل على ذلك البجمُون فانخسف بهِ، فغاصت رجله في البجمُون إلى فخدهِ، فلم يقدر أحد من الناس يُخلصه، فأقام على ذلك ساعة ومات، فكان لهُ يومٌ مشهود، وخرجت إليه الخلق زمُر من مصر والقاهرة يتفرجُون عليه، وقدْ غُلقتْ أسواق القاهرة في ذلك اليوم ونظمُوا فيه الشُعراء مراثي كثيرة، فمن ذلك قول بعض الزجالة، وهو هذا الزجل اللطيف:

تعا اسمعوا بالله يا ناس الّى جره   الفيل وقع يوم الإثنين في القنطرة

لما أفلسوا غلمان الفيل، رَامُوا الحُرَافْ

خذوه[1] وراحوا صوب بُولاق، يجبُو

رأو شُويخ من أهل الله، ما فيه

جو ياخذوا[2] شيُوا منُو بالزّنطرة   دَعَا على الفيل اتقنطر في القنطرة

قالوا بأنُو في البجمُون، مغروس يصيح

فقلت حتى رُوح أبصر، إن كان صحيح

آجى ألاقي الفيل ميت، مُلقي طريح

---

[1] في بدائع الزهور ٦٤٨/٢/١: "خدوه".

[2] في بدائع الزهور ٦٤٨/٢/١: "ياخدوا".

والخلق[1] تطلع فوق ظهروا مستظهرة   لما وقع يوم الإثنين في القنطرة

وأولاد ديار مصر السادة، حولو زمُر

يتفرجوا في[2] هذا الفيل، إلى انحصر

لقوا[3] دُموع عينو تجرى، مثل المطر

وَهُوا بيجعُر والعالم مُتفكرَه[4]   لما وقع يوم الإثنين في القنطرة

فقُلتُ لَو يا فيل مرزُوق، يا أسود دَغُوش

أين حُرمتك بين العالم، وأنتا تهُوش[5]

وكنت يا فيل السلطان، زين الوحُوش

وكُنتَ بالإعجاب تزهو في المخطرة   وقدْ بقيت اليوم مَطرُوح في القنطرة

والفيل لسان حالُو ناطق، للناس يَقولْ:

كم كنتُ دَوَّر في الزفات، فوقي طَبُولْ

وكنتُ دَوَّر في المحمل، ولي قَبُولْ

كنّي عروسه حين تجله في منظرة   واليوم كان آخر مشيّ في القنطرة

وقالت الفيلة إمراتو، من لي مُعينْ

سهم الفُراق قد صاب قلبي، يا مُسلمينْ

وَنَا غريبة هنديّة، قلبي حزينْ

وكان هذا الفيل زوجي لا معيرة   واليوم كان آخر عمرو في القنطرة

وعيَّطت حتى أبكتْ، جيرانهَا

من كثر ما ناحتْ ناحوا، لأحزانهَا

من نارِها صَارتْ تلطَم، بُودَانهَا[6][١٧٥/أ]

حتى الزرافة قدحتها[7] مُتحصرة   لتندب[8] أحزان الفيلة في القنطرة[9]

لما ظهر في أول شعبان، أخر رجب

---

[1] في بدائع الزهور ٦٤٩/٢/١: "والناس".

[2] في بدائع الزهور ٦٤٩/٢/١: "يتعجبون من".

[3] في بدائع الزهور ٦٤٩/٢/١ وجواهر السلوك ٣٠٠: "رأو".

[4] في بدائع الزهور ٦٤٩/٢/١ وجواهر السلوك ٣٠٠: "ولُو جعيرو العالم فيه متفكره".

[5] في بدائع الزهور ٦٤٩/٢/١: "نهوش".

[6] في الأصل "بوذانها".

[7] في بدائع الزهور ٦٤٩/٢/١: "جاتها".

[8] في الأصل "لتنذب".

[9] في بدائع الزهور ٦٤٩/٢/١: "تبكي على الفيل الّى مات في القنطرة".

[1]لاحتْ لنا فيه نجمة، لهَا ذنب
فقالت: العالم بأجمع، ذَا لُو سَببْ
وإيشْ دَلَايلْ ذي الكوكبْ يَا مِنْ[2] دره   دلت[3] على الفيل الّى مَات في القنطرة[4]
[5]وناصر الدين من عمري، أدرى
وَالناس تقُول إني قيم، صاحب قبُولْ
لما توفي[6] الفيل مرزُوق، فصرتُ أقَولْ
تعا اسمعُوا يالله يَا نَاس الّى جَرَه   الفيل وقع يوم الإثنين في القنطرة

وفي أوخر شهر شعبان ظهر ذلك الكوكب بالنهار عند طلوع الشمس، فكان يُرى بالنهَار مع ضوء الشمس، ويستمر إلى قريب الزوال[7].

وفيها: في يوم الجمعة ثاني شوال[8] وقعت فتنة بين الأمراء، وهُم: نُورُوز الحافظي، جكم العُوضي، وسُودُون طاز أمير أخور، فلبسوا آلة الحرب في ذلك اليوم، ووقفوا بسُوق الخيل، ونزل السلطان الملك الناصر إلى الأسطبل السلطاني، واتقع الأمراء في الرملة، وتقاتلوا أشدّ القتال، فرسم السلطان للخليفة وشيخ الإسلام سراج الدين البُلقيني والقضاة الأربعة بأن يتوجهوا إلى الأمراء، ويمشون بينهم بالصُلح، فتوجهوا إليهم ومشوا بينهم بالصُلح، فأصطلحوا صُلح على فساد، وطلع السلطان إلى القلعة وراح كل أحد إلى بيتهِ.

فلما أصبحوا يوم السبت رسم السلطان للخليفة، وشيخ الإسلام، والقُضاة الأربعة، بأن ينزلوا من عند السلطان، ويُحلفوا الأمراء، فتوجهوا إلى بيت الأتابكي بيبرس وحلفُوهُ، ثم إلى بيت نُورُوز الحافظي، ثم بيت جكم العُوضي فحلفوهُما، ثم إلى بيت سُودُون طاز أمير أخور كبير فحلفُوهُ، وكذلك بقية الأمراء، فكانوا في [١٧٥/ب] أيمانهم، كما قال القائلُ:

---

[1] أورد ابن إياس بخطه بجوار هذه الكلمة هامش "مُقدم". وهذا التعديل يوافق ما ورد في بدائع الزهور ٦٤٩/٢/١- ٦٥٠.
[2] في بدائع الزهور ٦٥٠/٢/١: "باين".
[3] في الأصل "ذلت".
[4] في بدائع الزهور ٦٥٠/٢/١: "دلّت على موت هذا الفيل في القنطرة".
[5] أورد ابن إياس بخطه بجوار هذه الكلمة هامش "ماخر".
[6] في بدائع الزهور ٦٥٠/٢/١: "هلك ذا"
[7] الخبر لم يرد في بدائع الزهور.
[8] في بدائع الزهور ٦٥٠/٢/١: بداية الفتنة في رمضان.

وأن حلفـــتُ يمينًـــا لا أكلمـــهُ فلســتُ أول صَــبٍّ فــي الــورى حنثَــا[1]

ثم في يوم الإثنين خامس شوال طلع المقر السيفي نُورُوز إلى القلعة، وباس الأرض للسلطان، واصطلح هو والمقر السيفي سُودُون أمير أخور، فأخلع عليهُما السلطان ونزلا إلى بيوتهما.

فلما نزل الأمير جكم إلى بيتهِ أرسل إليه السلطان تشريف، وأرسل يقولُ لهُ: "هذا التشريف لأخيك قاني بيه بأن يكون نائب حماه"، فلما سمع الأمير جكم ذلك خرج إلى بركة الحبش، وأخذ معهُ أخوه قاني بيه العلائي، والأمير قرقماس الأينالي، وجماعة كثيرة من المماليك السلطانية نحو خمسمائة مملوك، فأقاموا هُناك يوم الخميس ويوم الجمعة.

فلما كان يوم الجمعة طلع الأمير نُورُوز الحافظي إلى القلعة وصلى مع السلطان صلاة الجمعة، ثم نزل إلى بيتهِ، فأرسل إليه السلطان جمدار، وقال لهُ: "قم كلّم السلطان"، فقال نُورُوز: "أنا كما نزلتُ من عند السلطان"، وأبى أنْ يطلع إلى القلعة ثانيًا.

فلما كان ليلة السبت بعد العشاء خرج نُورُوز من بيته، وتوجه إلى بيت الأمير تمربُغَا المشطُوب، والأمير سُودُون من زَاده، وجماعة من الأمراء العشراوات، وتوجهوا أجمعين إلى بركة الحبش عند الأمير جكم العُوضي.

فلما بلغ السلطان ذلك دُقت الكوسات حربي، وعلق الصنجق السلطانى، واجتمع المماليك في سُوق الخيل، وكذلك الأمراء فأقاموا على ذلك يوم السبت ويوم الأحد، فتوجه في يوم الأحد جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية إلى نحو باب الزغلة عند تُربة القاضي بكار، رضي الله عنهُ، فأتقعوا مع جاليش جكم الدوادار، والأمير نُورُوز الحافظي، فقُتل في ذلك اليوم ثلاثة من المماليك السلطانية، وجماعة كثيرة من الغلمان، وجُرح [١٧٦/أ] نحو من ستين إنسانًا، وأسروا من مماليك السلطان اثنى عشر إنسانًا، وتوجهوا بهم إلى مُخيم الأمراء، ثم دخل عليهم الليل فانفضوا.

وفي تلك الليلة تسحب جماعة من الأمراء إلى عند الأمير جكم ونُورُوز، وهُم: الأمير سُودُون البُجاسي، وتمربُغَا الطُرنطاي، وسُودُون الجلّب، ونحو مائة مملوك من المماليك السلطانية.

---

[1] بحر البسيط؛ لم يرد في بدائع الزهور.

فلما كان يوم الثلاثاء أمر السلطان بأن يُنادى للمماليك السلطانية بالعرض في يوم الأربعاء، وأنَ القتال في يوم الخميس.

فلما أصبح نهار الأربعاء أعرض المماليك، وفرَّق عليهم خيول ولبُوس.

ثم في يوم الخميس[1] ركب السلطان الملك الناصر، ونزل من الأسطبل، ووقف بسُوق الخيل حتى تكاملت الأمراء والمماليك السلطانية، فطلب أمير المؤمنين والقُضاة الأربعة، فلما حضروا توجه بالعساكر نحو القرافة، فتقدم جاليش السلطان، وهُما الأمير يشبك السُودُوني، والأمير سُودُون تلي، ثم تبعهُما الأتابكي بيبرس، ومعهُ نحو ألف مملوك، فاتقعوا عند مُصلة خولان التي بالنقعة، فأقبل جاليش الأمراء الذي في بركة الحبش، وهُم: الأمير تمربُغَا المشطوب، والأمير سُودُون من زاده، ويشبك بن أزدمُر أخو أينال، وعليّ بن أينال، وجماعة من المماليك السلطانية.

وأما نُورُوز وجكم وقاني بيه وقرقماس، فأنهم لما علموا أنَ السلطان قدْ أقبل، ومعهُ الجم الغفير، فوقع في قلوبهم الرُعب من السلطان، فلما تلاقوا واقتتلوا انكسر جاليش الأمراء الذين[2] أقبلوا من بركة الحبش، ومُسك الأمير تمربُغَا المشطُوب، والأمير سُودُون من زاده، وعليّ بن أينال، وجُرح يشبك الساقي، وقمج الحافظي.

ثم إنَ السلطان رجع إلى القلعة وهو مؤيدٌ منصور والأمراء قدامهُ أسري[3] في زناجير[4]، فطلع إلى القلعة، ومعهُ الخليفة والقُضاة.

وأما جكم [١٧٦/ب] ونُورُوز وقاني بيه وبقية الأمراء الذين في بركة الحبش، لما سمعوا بهذه الكسرة هربوا من هُناك، وتوجهوا إلى نحو الميمُون فكانتْ النصرة للملك الناصر فرج على نُورُوز وجكم، وفي ذلك يقولُ بعض الشعراء:

الملك الناصر أعظم به	من ملك جاء بأمرٍ عجيبْ
قدْ كتب السعدَ بأقبالهِ[5]	نصرٌ من الله وفتحٌ قريبْ[6]

ثم إنَ الأمراء لما توجهوا إلى الميمُون أقامُوا هُناك يومين، ثم توجهوا إلى الجيزة، فأخذوا منها خيول الدُشار والهُجن الذي[7] هُناك، وأقاموا في الجيزة

---

(1) في بدائع الزهور ٦٥٣/٢/١: "الأربعاء".
(2) في الأصل "الدّين" بدون نقطة على حرف الذال.
(3) في الأصل "أسرا".
(4) في الأصل "زناجيز".
(5) في بدائع الزهور ٦٥٣/٢/١: "بتأييده".
(6) بحر السريع.
(7) كذا في الأصل، والصواب "التي".

ثلاثة أيام، ثم إنَ الأمير نُورُوز الحافظي حضر إلى القاهرة تحت الليل، وتوجه إلى بيت المقر الأتابكي بيبرس، ومن جُملة سعد الملك الناصر أن في تلك الليلة اتفق جماعة من المماليك السلطانية نحو ألف مملوك بأنْ يتوجهوا إلى جكم ونُورُوز في تلك الليلة فما صبر نُورُوز، وحضر إلى بيت الأتابكي بيبرس في تلك الليلة، وكمْ مِن عجلةٍ أعقبتْ ندامة.

ثم إن الأتابكي بيبرس طلع إلى القلعة، واجتمع بالسلطان، وتقرَّرَ الحال على أنَ نُورُوز يكون نائب الشام فأرسل إليه السلطان خلعة، ورسم لهُ بأن يخرج إلى الشام من يومهِ، فلما خرج نُورُوز إلى الريدانية، أرسل إليه السلطان من قيَّدهُ وأرسلهُ إلى السجن بثغر الإسكندرية، فعزّ ذلك على الأتابكي بيبرس، وأقامَ في بيتهِ أيام لمْ يَطلع إلى القلعة، وكان الأتابكي بيبرس حلف لنُورُوز بالطلاقة ثلاثة: "أنهُ مَا يَحصل لهُ تشويش"، فلما فعلَ بهِ السلطان ذلك، فعزَّ عليه هذا إلى الغاية.

ثم إنَ الأمير جكم العُوضي أرسل يسأل فضل السلطان بأن يتوجه إلى ثغر دمياط، ويقيم به وهو طرخَانٌ، [١٧٧/أ] فأجيب إلى سُوالهِ، ورسم لهُ بالحُضُور فتوجه إليه الأمير أينال حطب إلى شبرامنت، فأحضرهُ في ليلةِ الأربعاء، فطلع إلى عند الأمير سُودُون أمير أخور كبير، فرسم السلطان بتقييده وأرسلهُ إلى السجن بثغر الإسكندرية، وأرسل معهُ الأمير تمربُغَا المشطُوب وهو مُقيدٌ والأمير سُودُون من زاده، وجماعة من الأمراء الذين خامروا على السلطان فقُيّدُوا أجمعين وأرسلُوا إلى السجن بثغر الإسكندرية صُحبة الأمير سُودُون تلي.

ثم إنَ السلطان رسم بالإفراج عن الأمير يشبك الشعباني من السجن بثغر الإسكندرية فحضر إلى القاهرة وطلع إلى القلعة، وباس الأرض، وأخلع عليه، ونزل إلى بيتهِ، ورسم بعود إقطاعه كما كان من قبل، وأخلع عليه واستقر دوادار كبير على عَادتهِ.

ثم إنَ السلطان رسم بالإفراج عن الأمير قطلوبُغَا الحسني، والأمير أقباي الكركي، والأمير جركس القاسمي، فتوجه لإحضارهم الأمير سُودُون بُقجه، فتوجه إلى ثغر الإسكندرية وأحضرهم إلى القاهرة فطلعُوا إلى القلعة وباسوا الأرض، وأخلع عليهم ونزلوا إلى بيوتهم، ثم إنَ السلطان أنعم عليهم بتقادم ألوف عُوضًا عن من سجن من الأمراء بثغر الإسكندرية، كما تقدم، فكانوا مثل بابات خيال الظل شيء يجيء، وشيء يرُوح، كما قيل في المعنى لبعضهم:

رأيتُ خيال الظل أعجب منظرًا لِمَنْ هُوَ فِي عِلْمِ الْحَقِيقَةِ رَاقِي
تمُرَّ وتمضى بابة بعد بابةٍ وتفنى جميعًا والمحرك باق[1]

وفي هذه السنة وهي سنة أربع وثمانمائة: في يوم الثلاثاء ثالث عشر شوال ورد كتاب من ثغر الإسكندرية يخبرون فيه، بأن قد حضرت مركب من بلاد ابن عثمان، وفيها جماعة من التُركمان، فأخبروا بأن تمرلنك المخذُول قدْ هلك، وصح ذلك[2]. [١٧٧/ب]

قال القاضي تقي الدين ابن المقريزي مُحتسب القاهرة: "كنتُ عند القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر الشريف، فجاءهُ كتاب ابن عثمان يُخبر فيه موت تمرلنك، وأن القان أحمد بن أويس رجع إلى بلادهِ، وكذلك قرا يُوسف، وأخبروا بأن الجمرة التي طلعت في جسدهِ وهو بدمشق، فرعت في سائر جسدهِ حتى هلك، وعجل الله تعالى بروحهِ إلى النار، كما قيل في ذلك:

زبانية النيران تكره وجهه ومنه استعادت مُذ رأتهُ[3] جهنم[4]

وقيل: لما دفن كان يُسمع لهُ عوي في قبرهِ مثل عوى الكلاب، وقيل: أنهم شاهدوا الدخان يطلع من قبرهِ، وكان قبل موته شرع في جمع عساكر، وقصد أن يتوجه إلى مصر، فكفى الله تعالى الناس شرهُ، وقدْ قال في ذلك بعض الشعراء:

مات تمرلنك وجائت لنا أخبارهُ فيما تأتى إليه[5]
وقد كفانا ربنا شرهُ والله كافى من توكل عليه[6]

وفي هذه السنة: خرج المحمل من القاهرة في يوم ثاني عشرين شوال ولم يُعلم بأن المحمل قد تأخر عن الخروج مثل هذه السنة، وكان أمير المحمل في تلك السنة الأمير نكبيه الازدمُري[7].

---

(1) بحر الطويل؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور؛ والبيتان في النجوم الزاهرة ١٧٦/٧: تنسب لابن الجوزي.
(2) الخبر لم يرد في بدائع الزهور، وهو غير صحيح حيث مات تمرلنك سنة ٨٠٦هـ؛ وخبر موته ورد في: بدائع الزهور ٧٠٩/٢/١-٧١٠.
(3) في الأصل" مدرأته"؛ وفي جواهر السلوك ٣٠٢: "مذراته".
(4) بحر الطويل؛
(5) في بدائع الزهور ٧١١/٢/١: "عليه".
(6) بحر السريع.
(7) الخبر لم يرد في بدائع الزهور.

وفي هذه السنة: دخل الأمراء إلى بيت المقر الأتابكي بيبرس ولعبوا عنده بالصولجان والأكرة، فلما فرغوا وخرجوا من بيته تلقاهم نحو ثلاثماية مملوك[1] من مماليك السلطان الأجلاب، فضربوا الأمراء حتى الأمير يشبك الشعباني الدوادار الكبير، فهرب وطلع إلى باب السلسلة، وأقام هُناك إلى بعد العصر، فلما بلغ السلطان ذلك رسم للحجاب ووالي القاهرة بأن يحضروا المماليك الذي[2] [١٧٨/أ] فعلوا ذلك بالأمراء، فأحضروا منهم مملوكين فضربهم السلطان بالمقارع ثُم سكنت هذه الفتنة.

وفي أواخر هذه السنة: زاد شر عُربان البحيرة، وخرجوا عن الحدّ في الفساد، ونهب البلاد، فرسم السلطان بأن يُجردوا إليهم الأمراء فتوجه إليهم عشر من الأمراء المقدّمين، وهم: بكتمر الرُكني، ويشبك الشعباني، وسُودُون المارديني، ويَلبُغَا الناصري، وأنيال بيه بن قجماس، وسُودُون من علي بيه، وسعد الدين إبراهيم بن غُراب أمير مجلس، وقطلوبُغَا الكركي، وآلان اليحياوي، وأينال العلائي حطب؛ ومن الأمراء الطبلخانات والعشراوات أربعة عشر أميرًا؛ ومن المماليك السلطانية نحو أربعمائة مملوك، فخرجوا من القاهرة على حميّة، وتوجهوا إلى البُحيرة[3].

ثم دخلت سنة خمس وثمانمائة، فيها: وقعت وحشة بين السلطان وبين الأتابكي بيبرس، فرسم لهُ السلطان بأن يتوجه هو وحريمه إلى ثغر دمياط، فأخذ في أسباب خروجه إلى دمياط، فطلع الأمراء وتكلموا مع السلطان، بسبب ذلك فبطل أمر سفره إلى دمياط، وكان سبب تغيض السلطان عليه كون أنهُ تعصبَّ للأمير نُورُوز الحافظي، وشفع فيه بأن يكون نائب الشام، فشق ذلك على السلطان، وبقي في نفسه منهُ شئ.

ثم دخلت سنة ست وثمانمائة، فيها: اضطربت أحوال الديار المصرية والبلاد الشامية وكثر الخُلف بين الأمراء وزاد شرّ العُربان في الشرقية وفي الغربية، وقويت رؤوس الفلاحين عن وزن الخراج، وخامروا النُواب بالبلاد الشامية والحلبية، واستمر الحال يتزايد والفتن ثائرة[4] بين الأمراء إلى أنْ **دخلت سنة ثمان وثمانمائة**.

---

[1] في بدائع الزهور ٦٥٦/٢/١: عدد المماليك فوق الألف.
[2] كذا في الأصل، والصواب "الذين".
[3] الخبر لم يرد في بدائع الزهور.
[4] في الأصل "تايره".

فيها: ضاق [١٧٨/ب] الأمر على الملك الناصر فرج حتى كادت أنْ تزهق نفسه من هذه الأحوال.

فلما كان يوم الأحد خامس عشرين ربيع الأول من سنة ثمان وثمانمائة نزل السلطان الملك الناصر من القلعة بعد الظهر واختفى فلم يُعلم لهُ مكان، فلما بلغ ذلك إلى الأمراء ركبوا وطلعوا إلى القلعة، واجتمعوا في الجامع وضربوا مشورة فيمنْ يسلطنُوهُ، فوقع الأتفاق على سلطنة أخيه عبد العزيز، فطلبُوهُ من دور الحرم، وسلطنُوهُ في ذلك اليوم، ولقبُوهُ بالملك المنصُور، وخُلع الملك الناصر فرج من السلطنةِ.

فكانت مُدّة سلطنة الملك الناصر فرج في هذه المرّة ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام.

وقد عاد إلى السلطنةِ ثانيًا، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعهِ، إن شاء الله تعالى.

ذكر

سلطنة الملك المنصُور عز الدين أبي العزّ عبد العزيز

ابن الملك الظاهر برقوق ين أنس وقيل أنص العُثماني الجركسي[(١)]

وهو السابع والعشرون من ملوك التُرك وأولادهم الديار المصرية، وهو الثالث من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر؛ تسلطن بعد خلع أخيه الملك الناصر فرج في يوم الأحد، وقيل: يوم الإثنين سادس عشرين ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، بعهد من أبيهِ الملك الظاهر برقوق عند موته، كما تقدم ذلك.

وكان له من العُمر لما تسلطن عشر سنين، وقيل: دون ذلك؛ وأمه أم ولد تُركية الجنس، تُسمى قنقباى، فألبسوه خلعة السلطنة بعد أن بايعه الخليفة والقضاة، فركب من باب الستارة إلى [١٧٩/أ] القصر الأبلق، والأمراء مُشاه بين يديه فجلس على سرير الملك، وباسُوا لهُ الأمراء الأرض، ونُودى باسمه في القاهرة، ودُقت له البشائر، وتلقب بالملك المنصُور.

ولكنه لم يتم أمرهُ في السلطنة ولا ساعدهُ الزمان، كما قيل في المعنى:

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ المَعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فَحُولَا![(٢)]

فوقع بين الأمراء الخُلف، ولا سيما المقر السيفي يشبك الشعباني الدوادار، فإنه كان في دولة الملك الناصر فرج صاحب الحل والعقد، وكان يتصرف في أمور المملكة بحسبما يختار من ذلك، فصار غيره متكلمًا في أمور الدولة، فعزَّ ذلك عليه، والتفت إلى عود الملك الناصر فرج.

فلما رأى ذلك المقر السيفي السعدي سعد الدين ابن غُراب، فأسرَّ إلى المقر السيفي يشبك الشعباني بأن الملك فرج عندهُ، ففرح الأمير يشبك بذلك، وأخذ في أسباب ظُهُور الملك الناصر.

---

(١) أخباره في بدائع الزهور ٧٣٥/٢/١- ٧٤٠؛ جواهر السلوك ٣٠٤- ٣٠٥.

(٢) بحر الكامل؛ لم يرد في بدائع الزهور؛ والبيت للمتنبي. (انظر: ديوان المتنبي ١٩٣/١).

فلما كان يوم الخميس رابع جمادى الآخر من **سنة ثمان وثمانمائة**: ظهر الملك الناصر فرج من بيت سُودُون الحمزاوي، فاضطربت القاهرة وماجت، وجاء إليه الأمراء والمماليك السلطانية، فصار العسكر فرقتين فرقة مع الملك الناصر فرج، وفرقة مع أخيه عبد العزيز.

وكان الذي من عُصبة أخيه عبد العزيز: الأتابكي بيبرس، والأمير سُودُون المحمدي، والأمير أينال باي بن قجماس، والأمير سُودُون الماريديني، وجماعة من الأمراء الطبلخانات والعشراوات، وجماعة من المماليك السلطانية.

وكان من عُصبة الملك الناصر: فرج الأمير يشبك الشعباني الدوادار، وجماعة كثيرة من الأمراء، ومن المماليك السلطانية جماعة كثيرة أكثر من الفرقة التي مع أخيه عبد العزيز.

فلبسوا آلة الحرب، واقتتلوا في ذلك اليوم إلى بعد الظهر [١٧٩/ب] أشدّ القتال، فانكسر الأتابكي بيبرس ومن كان معه من الأمراء، وانهزموا أجمعين، وانتصر عليهم الملك الناصر، وملك القلعة، وخلع أخاه الملك المنصُور عبد العزيز من السلطنةِ، ورسم لهُ بأن يدخل إلى دور الحرم، فدخل إليها، وأقام بها إلى شهر صفر سنة تسع وثمانمائة، فأخرجهُ الملك الناصر إلى ثغر الإسكندرية، هو وأخوه سيدي إبراهيم، فأقاما بثغر الإسكندرية نحو أربعين يومًا، ثم جاءت الأخبار بموتهما في يوم واحد، فقيل: إنَ الملك الناصر أشغلهُما في حلوى.

فكانت مُدّة سلطنة الملك المنصُور عبد العزيز بن برقوق شهرين وعشرة أيام.

وتوفي بالإسكندرية في ليلة الإثنين سابع ربيع الأول سنة تسع وثمانمائة، ومات سيدي إبراهيم بعده بيومين، ونقلا بعد موتهما من الإسكندرية، ودُفنا عند والدهُما برقوق في الخانقاة التي في الصحراء.

ذكر
عود الملك الناصر فرج
ابن الظاهر برقوق إلى السلطنة[1]

وهي السلطنة الثانية، عاد وجلس على سرير مُلكه، في يوم الخميس رابع جُمادى الآخر من السنة المذكورة.

ثم قبض على الأتابكي بيبرس، وقيده وأرسلهُ إلى السجن بثغر الإسكندرية، ومعه جماعة من الأمراء ممن كانوا من عُصبة أخيه عبد العزيز.

ثم أخلع على المقر السيفي تغري بردي واستقر بهِ أتابك العسَاكر عُوضًا عن بيبرس؛ وأخلع على جماعة كثيرة من الأمراء المقدمين وغيرهم عُوضًا عن من سُجن بثغر الإسكندرية.

وفي هذه السنة: توفى الإمام أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن أمير المؤمنين المُعتضد بالله، وكانت وفاتهُ في ليلة الثلاثاء [١٨٠/أ] ثامن عشرين رجب من السنة المذكورة، فكان مجموع خلافته بمصر إلى أن مات نحو خمسة وأربعين سنة.

وقيل: جاءه من صُلبة أكثر من مائة ولد ما بين ذكور وإناث، ومسقوط، وتولى الخلافة من أولاده خمسة، وهم: العباس، وداوود، وسليمان، وحمزة، ويوسف، وقد تقدم ذلك في تراجم الخُلفاء، ولما توفي المتوكل تولى ابنه العباس الخلافة، وتلقب بالمُستعين بالله.

وفي هذِهِ السنة: أفرج السلطان عن الأمير نُورُوز الحافظي، وجكم العوضي، واستقر بهما نُوابًا، فلما خرجوا من مصر، خامروا عليه وأظهروا العصيان، والتف نُورُوز على شيخ المحمودي.

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ١/٢/٧٤١- ٨٢٢؛ جواهر السلوك ٣٠٦- ٣١٠.

وأما جكم العوضي، فتسلطن بحلب، وباسوا لهُ الأرض، وحكم من الفرات إلى الشام، ثم خرج من حلب إلى قتال بعض الخوارج من التركمان، وهُم قرا يُوسف فقُتِلَ في المعركة، ولا يُعرف من قتله، وكفى الله تعالى الملك الناصر شرّهُ.

فعند ذلك صفا للملك الناصر الوقت، فأخذ في أسباب قتل مماليك أبيه، فكان يقتل في كلّ ليلةٍ من المماليك بحسبما يختار من ذلك، فقيل: كان يخرج بعد العشاء، وهو سكران فيعرضُون عليه المماليك، وهُم في زناجير(١) حديد، فيقدمون إليه واحدًا بعد واحد، فيقول: "من هذا"، فيقولون له: "هذا فلان من الطبقة الفلانية"، فيذبحهُ بيدهِ، ثم يدوس على وجهه برجله، وربما يبول على وجهه أو يَصُب عليه قدح نبيذ، وذكروا عنهُ أشياء كثيرة من هذا النمط، فقيل: أنه ذبح بيده نحو من ألفين مملوك، غير ما قتل من الأمراء وغيرهم.

وكان معذورًا في قتلهِ لبعضهم، فأنه كان يُسامح الواحد منهم المرة والمرتين والثلاثة، وهم يعذرونهُ ويعصُون عليه، حتى كان يقُول الملك المؤيد شيخ بعد موت [١٨٠/ب] الملك الناصر: "ما صبر أحد من الملوك كصبر الملك الناصر فرج على مماليك أبيه، فأنه ما كان يقتل الواحد منهم، حتى يكون قد عصى عليه المرة والمرتين والثلاثة".

وجرى للملك الناصر فرج مع مماليك أبيه من الوقائع ما يطول شرحه عن هذا المختصر، وكان الأتابكي تغري بردي يرجعهُ عن هذه الأفعال الشنيعة، وهو لا يرجع، فلما ثقل عليه كلام الأتابكي تغري بردي استقر بهِ نائب الشام، وأبعدهُ عنهُ، وأسرف في قتل المماليك، حتى جاوز في ذلك الحدّ.

فعند ذلك نفرت منهُ قلوب المماليك، وصاروا يتسحبُون من الديار المصرية، ويتوجهون إلى الأمير نورُوز الحافظي، والأمير شيخ المحمودي إلى نحو البلاد الشامية، فقويت شوكة نُورُوز وشيخ، وتلاشى أمر الملك الناصر فرج، وصار حُكمه لا يتجاوز إلى قطيا(٢) في غالب الأمور، ولا سيما لما عصى عليه نُورُوز وشيخ وسائر النُواب، وانقلب العسكر جميعهُ عليه، بسبب أفعالهِ الشنيعة، مما تقدم ذكره من القتل وسفك الدماء.

---

(١) في الأصل "زناجيز".

(٢) قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما؛ وقد اندثرت هذه القرية، ولم يبق إلا أطلالها في الطريق بين القنطرة والعريش. (القاموس الجغرافي ٣٥٠/١/١- ٣٥١).

ومن الحوادثِ في أيامه، أن في سنة عشر وثمانمائة: ظهر في السماء بعد مغيب الشفق، حُمرة عظيمة من الجهة الغربية، ثم اشتدت تلك الحُمرة، حتى صارت كالنار المُوقدة، وكان وراء تلك الحُمرة برق ساطع، فصار كلما لمع يُخيل للناظر أنها نارٌ لا محالة، ثم انتشرت تلك الحُمرة، حتى كادت أن تغطي ثلث السماء، واستمر الحال على ذلك إلى نصف الليل، فخاف الناس من ذلك، وتضرعوا إلى الله تعالي بالدعاء؛ فانكشفت تلك الحُمرة قليلا قليلا، حتى انجلت، فأصبح الناس يتحدثون بما وقع في تلك الليلة من العجائب(١).

ومن الحوادث في أيامه أيضًا، أن في سنة اثنتى عشر وثمانمائة: أوفى النيل المُبارك في أول يوم من مسري، وبلغت الزيادة في تلك السنة اثنين وعشرين [١٨١/أ] ذراعًا وأصبع من ثلاثة وعشرين ذراعًا؛ فحصل بذلك في تلك السنة للناس الضرر الشامل، وغرق أكثر البساتين، وتبحرت الأرض، وانقطعت الطرق، وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

يا ربَ أن النيلَ زاد زيادةً ... أدت إلى هدم وفرطِ تَشتتِ
ما ضرَّهُ لو جَاء على عَادَاتهِ ... في دَفعهِ أو كانَ يدفعُ بالتي(٢)

وقال آخرٌ في المعنى:

قد زاد هذا النيل في عامنا ... فأغرق الأرض(٣) بإنعامه
وكاد أن يعطف من مائه ... عرى على أزرار أهرامه(٤)

ثم دخلت سنة أربعة عشر وثمانمائة، فيها: قوى عزم الملك الناصر فرج على الخروج إلى قتال نُورُوز وشيخ، فأعرض العسكر، ونفق عليهم وتجهزوا للسفر، ثم خرج الملك الناصر من القاهرة في موكب عظيم، ورسم للعسكر أن يخرجوا وهم لابسون آلة الحرب، فتوجه الملك الناصر إلى منزلة الريدانية، وصُحبته الخليفة العباس والقضاة الأربعة وسَائر الأمراء، وهذه التجريدة الثالثة التي خرج فيها الملك الناصر فرج بنفسهِ، فأنه خرج أول ما تسلطن إلى تنم الحسني نائب الشام لما أن عصى عليه؛ وخرج في ثاني مرة إلى قتال تمرلنك،

---

(١) ورد الخبر في بدائع الزهور ١/٢/٧٩٣-٧٩٤: في أحداث سنة ٨١١هـ.
(٢) بحر الكامل؛ ولم يرد البيتان في بدائع الزهور؛ البيتان لابن أبي حجلة. (انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١٠٢/٣).
(٣) في بدائع الزهور ١/٢/٨٠١: "الناس".
(٤) بحر السريع؛ البيتان للصفدي. (انظر: حسن المحاضرة، ٣٦١/٢).

كما تقدم؛ وخرج في ثالث مرَّة بسبب نُورُوز وشيخ لما أظهروا العصيان، وهي التجريدة التي قتل فيها.

فلما رحل الملك الناصر ووصل إلى غزة، فصار غالب المماليك السُلطانية يتسحبُون من عنده، ويتوجهُون إلى نُورُوز وشيخ، فقوى أمر نُورُوز وشيخ، واجتمع عندهما عسكر عظيم من النُواب والأمراء والمماليك السُلطانية والعُربان والعشير، فكان عندهما من الأمراء والنُواب ما يزيد على عشرين أميرًا، منهم: قُرقماس المُسمى بسيدي الكبير، والأمير بكتمر جُلق، والأمير سُودُون المحمدي، والأمير شاهين الأفرم، والأمير طوغان الحسني، وغير [١٨١/ب] هؤلاء من النُواب.

فلما وصل الملك الناصر إلى دمشق، فصار نُورُوز وشيخ يتوجهان في كلِّ يومٍ من بلدٍ إلى بلدٍ، والملك الناصر في أثرهما سوقًا هو ومن معهُ من العسكر، وقدْ انقطع منهمُ جماعة كثيرة من شدة السوق والتعب إلى أن وصل إلى اللجون[١].

فلما كان يوم الثلاثاء خامس عشرين المُحرم من سنة خمسة عشر وثمانمائة، تلاقى الملك الناصر فرج هو ومن بقي معهُ من الأمراء والعسكر على اللجون، وهو مكانٌ بالقُربِ من دمشق، فتلاقى[٢] الملك الناصر والنواب على اللجون بعد العصر، وهو لا يعي من شدّة السُكر، فدكس عليهم فكلمُوهُ الأمراء في ذلك هُم والقاضي فتح الله كاتب السرِّ الشريف، وقالوا لهُ: "يا مولانا السلطان أنزل هُنا ساعة حتى يستريح العسكر من التعب ويريحون خيُولهم"، فلم يلتفت إلى كلامهم، وقال: "أنا لي سنين انتظر هذا اليوم ومتى أن نزلت هُنا ساعة يهرب النواب من وجهي".

فلما لم يسمع نُصح أحد من الأمراء، تسحب من عنده الأمير قجق[٣] أمير سلاح، وتوجه إلى عند نُورُوز وشيخ، فلما رأوا بقية العسكر هذه الأحوال الفاسدة، فلوا من حول الملك الناصر، وتوجهوا إلى النواب وهو مع ذلك مُصرٌّ على رأيه الفاسد في الكبس على الأمراء والنواب، فكبس عليهم بمن بقي معه من العسكر، فلم تكن إلا ساعة يسيرة، وقد انكسر الملك الناصر فرج وهو باللجون.

---

[١] وهو بلد بالأردنّ، وبينه وبين طبرية عشرون ميلا، وإلى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلا. (معجم البلدان ١٣/٥).

[٢] في الأصل "فتلاقا".

[٣] في بدائع الزهور ٨١٨/٢/١: "قجقار القردمي".

فلما انكسر انهزم إلى نحو دمشق في نفر قليل من العسكر نحو ثلاثمائة مملوك، فبات في تربة تنم نائب الشام كان، وذلك في ليلة الأربعاء سادس عشرين المُحرم.

فلما انهزم الملك الناصر، استولى نُورُوز وشيخ على خزائن المال والأطلاب، ودخلوا إلى دمشق وملكوها، وقد انتصروا على الملك الناصر فرج، وكسرُوه على اللجون، كما تقدم ذكر ذلك، وفي [١٨٢/أ] هذه الواقعة يقول الشيخ تقى الدين ابن حجة الشاعر، من قصيدة امتدح بها الملك المؤيد شيخ، فمن أبياتها في المديح قوله:

وجميع هاتيك البُغَاة بأسرهم[١] دارتْ عليهم من سطاك دوائرُ[٢]

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة فكأن هاتيك السروج مقابر[٣]

فلما دخل العسكر إلى دمشق اجتمعوا في دار السعادةِ، واشتوروا فيمن يُولوهُ سلطان، ثم خلعوا الملك الناصر فرج من السلطنة.

فأرسل الملك الناصر إلى الأمير شيخ يطلب منهُ الأمان، ولو أن الملك الناصر التجأ إلى الأمير نُورُوز الحافظي ما حصل لهُ سوء، فأن نُورُوز كان صهر الملك الناصر زوج أخته، ولكن التجأ إلى الأمير شيخ، فأرسل إليه من قيدهُ، وسُجن بقلعة دمشق.

ثم أحضروا القضاة الأربعة في دار السعادة، وكتبوا محضرًا بأفعال الملك الناصر، وقامت البينة بما يُوجب كفره، فحكم القضاة بقتلهِ.

فلما كانت ليلة السبت[٤] سادس صفر من السنة المذكورة، قتل الملك الناصر فرج بن برقوق، وهو بقلعة دمشق، قيل: دخلوا عليه فداوية، فقتلوهُ بالخناجر حتى مات، ثم ألقوهُ على مزبلة وهو عُريان، والناس ينظرون إليه ولو أمكن مماليك أبيه أنْ يحرقوهُ لحرقوهُ بالنار مما قاسوا منهُ، كما تقدم.

ثم بعد ثلاثة أيام غسلوهُ وكفنوهُ وصلوا عليه، ودفنوهُ في مقبرة باب القراديس بمرج الدحداح بدمشق، فكان كما قيل:

---

(١) في بدائع الزهور ٨١٨/٢/١: "وكسرت باللجون جم عساكر".

(٢) في جواهر السلوك ٣٠٨: "نثروا على اللجون نظم عساكر * وأطاعهم في النظم بحر وافر"؛ وفي بدائع الزهور ٨١٨/٢/١: "الدوائر".

(٣) بحر الكامل؛ لم يرد هذا البيت في جواهر السلوك.

(٤) في بدائع الزهور ٨١٩/٢/١: "الأحد".

كم من ملوك طغوا فينا وما عدلوا ولم تنل منهم رفقًا مساكنهم
فاستعن بالسمع عن مراهم عظة فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ[1] [١٨٢/ب]

فكانت مُدّة سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق بالديار المصرية إلى يوم خلع بدمشق ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يومًا، وذلك خارجًا عن مُدّة خلعهِ بأخيهِ الملك المنصور عبد العزيز وهي شهرين وعشرة أيام[2]؛ ولما قتل الملك الناصر فرج كان لهُ من العُمر نحو ستة وعشرين سنة[3].

وخلف من الأولاد خمسة صبي[4] وأربع بنات، وهم: سيدي خليل توفي وهو بثغر الإسكندرية في أثناء دولة الأشرف أينال، ونُقل بعد موته من الإسكندرية، ودُفن في الخانقاة البرقوقية؛ وأمَا البنات فخوند شقرا، وخوند آسية، وخوند زينب، وخوند هاجر.

وكان الملك الناصر فرج شجاعًا، بطلًا مقدامًا، غير أنه كان مُسرفًا على نفسه، مُنهمكًا على شُرب الخمور، وسماع الزمور، وكان عنده كرمٌ زائد مع جهلٍ عظيم، وكان سفاكًا للدماء قتل في أيامه خلقًا لا تُحصى.

وكانت صفته أبيض اللون يميل إلى الصفرة، أشهل العينين، وافر الأنف، نحيف الجسد جدًا، معتدل القامة، مُستدير اللحية، أشقر الشعر، عربي الوجه، مُهاب الشكل.

ومما أنشأهُ في أيامهِ من الأماكن: وهو الجامع الذي بالحوش السلطاني بالقرب من الدهيشة؛ وأنشأ المدرسة التي تجاه باب زويلة التي تُسمى الدهيشة؛ والربعين الذي عند جامع الصالح، ولهُ غير ذلك من الآثار بالديار المصرية.

وتوفي في أيامه من العلماء والأعيان جماعة كثيرة، منهم شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلقيني[5] الشافعي رضي الله عنه، وغيره من الأعيان.

وقد انتهت أخبار دولة الملك الناصر فرج بن برقوق، وذلك على سبيل الاختصار من أخباره.

---

(1) بحر البسيط؛ والبيتان لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

(2) في بدائع الزهور ٨٢١/٢/١: "دون الشهرين".

(3) في بدائع الزهور ٨٢١/٢/١: "نحو من أربع وعشرين سنة".

(4) في بدائع الزهور ٨٢٢/٢/١: "ثلاثة صبيان"؛ جواهر السلوك ٣٠٩: "أربعة صبية".

(5) هو عمر بن رسلان بن نصر بن صالح، ت: ٨٠٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٦٧٣/٢/١- ٦٧٥).

ذكر

سلطنة الخليفة المستعين بالله أبي الفضل العبَاس

ابن الإمَام المتوكّل على الله محمد بن المُعتضد بالله

ابن المُستكفي [١٨٣/أ] بالله ابن الإمَام الحاكم بأَمِر الله أَحمد(١)

المُتصل بنَسِبهِ الشَريف إلى العبَاس عم رسُول الله ﷺ

ورضي الله تعالى عنهم أجمعين

تسلطنَ بدمشق، بعد خلع الناصر فرج بن بَرقوق، في يوم الإثنين سابع عشرين المُحرم، سنة خمسة عشر وثمانمَائة؛ فمن المُؤرّخين مَن عدّهُ مِن جُملة السلاطين بالديَارِ المصرية، ومنهم مَن عدّهُ من جُملة خُلفاءِ بني العبَاس؛ وَهذا لم يتّفق لخليفة من بني العبَاس قبله أنه تسلطن بالديَار المصرية وَحكم بها على هذا الوجه، وفيه يَقولُ بَعض الشعراء:

خَليَفتُنَا حَازَ الفخَارِ باسرهِ ... وَبأسرهِ مَجُموع كلّ النَاسِ
وَلقدْ رَوي الضّحَاكَ عنْ ثغر لهُ ... وَالجفنِ في الأغضَا(٢) عِن العباسِ(٣)

وكانَ سبب سلطنة الخليفة العبَاس أنه لما جرّد الملك الناصر فرج إلى نحو دِمشق، بسبب عِصيَان شيخ وَنُورُوز، كما تقدم، فكانَ الخليفة العبَاس بصُحبةِ الملك الناصر مع القُضَاةِ الأربعة، فلما انكسَر الملك الناصر فرج اجتمع الأمراء، وَضربُوا مشورة فيمن يولوه السلطنة.

فقال نُورُوز لشيخ "لا أَنَا وَلا أنتَ نتسلطن، وَأحق مَا يتسلطن الخليفة، وَأكون أنَا نَائب الشام، وَأنتَ أَمير كبير بالدّيَار المصريّة وَمُدبر أمر المملكة". فأتفقَا وتحالفَا على ذلك.

---

(١) أخباره في بدائع الزهور ١/٢/٨٢٣- ٨٢٨؛ جواهر السلوك ٣١٠- ٣١٢.

(٢) في جواهر السلوك ٣١٠: "الأعضاء".

(٣) بحر الكامل؛ والبيتان لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

وَكانَ القائم في سلطنة الخليفة المقر السيفي نُورُوز الحافظي، فطلبُوا الخليفةِ ليسَلطنُوهُ، فأمتنعَ من ذلك غاية الامتناع، فلا زالوا عليه حتى سلطَنُوهُ عَلى كرهٍ منهُ؛ بعدَ أنْ أشرَطَ عليهم شرُوطًا كثيرة، منها: أنهُ إذَا خُلعَ من السلطنة يكون خليفة كما كانَ في الأول، فأجَابُوهُ إلى ذلك.

وَأحضروا لهُ خلعة السلطنة فلبسهَا، وَبَاسُوا لهُ الأمراء الأرضِ، وَاستقر بالأمير نُورُوز نَائب الشام، وبالأمير شيخ المحمُودى أتابك العسَاكر[١٨٣/ب] بالديَار المصريّة، وَاتفقوا على أنَ نُورُوز يَضع يده على البلَادِ الشاميّة والحلبيّة من الفَرات إلى غزة، ومن غزة إلى مصر وأعمَالهَا يكون تحت حُكم الخليفة، فترَاضوا على ذلك.

ثم إنَ الخليفة والأتابكي شيخ وَالعسكر قصدوا التوجه إلى نحو الديَار المصريّة، فخرجُوا من الشام، وَالخليفة في غاية العظمَةِ والعزّ، وَأطاعوهُ سَائر الأمراء وَالعَسكر، فلما دخلَ إلى القاهرةِ هُوَ وَالأتابكي شيخ فطلعَ الخليفة إلى القلعة، وَسكنَ بهَا كعَادةِ السلاطين، وَسكنَ الأتابكي شيخ في بَابِ السّلسلة.

فكان الأمَراء إذَا فرغوا من خدمة الخليفة بالقصرِ، نَزلوا إلى خدمةِ الأتابكي شيخ، وَيقع بين يديه الابرَام وَالنقض وَالحلّ وَالعقد، وَكانَ الأتابكي شيخ لا يُمكّنَ الخليفة العبَاس من كتب العلامة على المرَاسيم، والمربعَاتْ[1]، والمناشير، إلا بعد أنْ تُعرض عليه، وَاستمر الأمَر على ذلك مُدّة يَسيرَة.

ثم إنَ الأتابكي شيخ بَدا لهُ أن يتسلطنَ، وَيخلعَ الخليفة العبَاس من السلطنة، فجمعَ القُضَاةِ الأربعة وَكتبَ مَحضرًا: "بأنَ الفسَاد قد كثرَ في البرِ وَالبحرِ، وَزَادَ شر العُربَان في البلادِ، وَخرجُوا عن الطاعةِ وَفسدَتْ الأحَوال؛ وَأنَ الوقت مُحتاج لإقامةِ سُلطانَ تُركي، ليدفع بسطوتِه الفسَاد وَتنصلح الأحَوال على يديهِ".

فعندَ ذلك حملوا القضاة بخلع الخليفة منَ السلطنة، فخلعوهُ من غير اختيَارهِ من السلطنة، وتولى الأتابكي شيخ سُلطَانٍ، ثم لمَا خُلِعَ الخليفة منَ السلطنة استمرَ في القلعة مُحتفظًا به مُدّة يَسيرة، وَهو في الخلَافة دُون السلطنة، ثم خلعهُ

---

[1] وهي إقطاعات ضمن ديوان الجيش، تكتب على ورقة مربعة وبترتيب معين. (راجع: صبح الأعشى جـ١٣ صـ١٥٥. والتعريف بمصطلحات الصبح ٣٠٧).

شيخ من الخلافة أيضًا، وَوَلى أخاهُ دَاوُود، وَتلقبَ بالمُعتضد بالله، وذلك في سنة ستة عشر وَثمانمَائة في سَادس ذي الحجّة[1].

وَكانَ الخليفة العبَاس لمَا خُلِعَ مِنْ الخلَافةِ عهد إلى وَلدهِ يحيى فلمْ [١٨٤/أ] يَمضي لهُ شيخ ذلك، وَوَلى أَخَاهُ دَاوُود، وَأرسلَ الخليفة العبَاس إلى السجن بثغر الإسكندرية، فأقامَ بالسجن إلى أن مَاتَ في أثناء دَولةِ الملك الأشرف برسبَاي.

وَكانتْ وَفاتهُ في يَوم الأَربَعَاء حَادي عشرين جَمادى الآخر سنة ثلاث وثلاثين وَثمانمَائة، وذلك في الوَبَاءِ الذي جَاءَ في تلك السنة، وَكانَ الأشرف برسبَاي لمَا أنْ تسلطن أخرجَ الخليفة العبَاس منَ السجن، وَأسكنهُ في بعضِ دُورِ الإسكندرية إلى أنْ مَاتَ.

وَكانتْ مُدّة سلطنة الخليفة العبَاس بالديَارِ المصريّة ستة أشهر إلا أيَامًا، ثم كانتْ مُدّتهُ في الخلافة دُون السلطنة ثمان سنين وشئ.

وَلمَا تسلطن كان مع الأتابكي شيخ مثل اللوَلبْ يدورهُ كيف شاءَ ليسَ لهُ في السلطنة إلا مُجرّد الاسم فقط، وَالأَمر كله للأتابكي شيخ.

ومن الحوَادث في أيَامهِ: نقلَ الشيخ شهاب الدّين ابن حجر في تَاريخهِ[2] أنَ في سنةِ ستّة عشر وَثمانمَائة، تولى قاضي القُضاة صدر الدين ابن الآدمي الحنفي قاضى قضاة الحنفية وَمُحتسب القاهرة، وَهو أولُ منْ جمعَ بينَ القضَاءِ والحِسبةِ في وقتٍ مَعًا، وَلمْ يُسمع بمثل ذلك فيمَا تقدم منَ الدُولِ الماضيّة[3].

---

[1] في بدائع الزهور أن البيعة بالخلافة كانت "يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجة". والصحيح هو ما ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، ١٦/١٤: "يوم الخميس سادس عشر ذي الحجّة".

[2] الخبر في: إنباء الغمر بأبناء العمر ١١/٣.

[3] ورد الخبر في بدائع الزهور ٨٢٧/٢/١: في أحداث سنة ٨١٥هـ.

ذكر

سلطنة الملك المؤيد أبي النصر شيخ

ابن عبد الله المحُمودي الظاهري[١]

وَهوَ الثـامنُ وَالعشـروُن من مُلوك التـرك وَأوْلادِهم بالـدِّيَارِ المصـرية، وَهوَ الرَابعُ مِن مُلوك الجراكسةِ.

أَصلهُ من مماليك الملك الظاهر برقوق، اشترَاهُ من الخَواجَا محمود شاه وأعتقهُ، ثم صار سَاقيًا خَاصِكيًا، ثم بقى أَمير عشرة، ثم بقى أَمير أربعين، وَسَافر إلى الحجَاز أَمير [حاج][٢] أول في سنةِ إحدى[١٨٤/ب] وَثمانمَائة، ثم بقي مُقدم ألف في دَولةِ الملك النَاصر فرج، ثم استقرَ به نَائب طرَابُلس، وَأَسرهُ تمرَ لنك، وقد تقدم ذلك.

وَوَقعَ لهُ في أيَام الملك الناصر فرج أمور شتَّى، ومحن كثيرة، وَحبَسهُ الملك النَاصر في خزَانةِ شمايل، فأقامَ بهَا مُدَّة، وَلمْ يزل في عِصيان وَهَجاج في البلادِ الشاميّة، حتى مضى أكثر عُمره إلى أن كانَ منْ أمر الناصر فرج مَا كانَ، فلما قُتل الناصر فرج، وَتولى الخليفة العبَاس، فبقي شيخ أتابك العساكر وَنظام المملكة، ثم إنَ شيخ خلعَ الخليفة منَ السلطنة، وَتسلطنَ عُوضهُ.

فكانت سلطنتهُ في يَوم الإثنين مُستهل شهر شعبَان سنة خمسة عشر وَثمانمَائة، وفيه يَقولُ ناصر الدِّين ابن كميل الشاعر:

تَسلطنَ الشيخ وَزالَ العَنَا ... فالنَاسُ في بشرٍ وَتيهٍ وَفَيّخْ[٣]

فَلاَ تُقَاتلْ بِصبيٍّ وَلَا ... تَلقَ بِهِ جَيشًا وِقَاتِلْ بِشيخْ[٤]

فلَما تسلطن شيخ تلقب بالملك المؤيد، وَنُودي باسمهِ في القاهرةِ، وضجّ الناسُ لهُ بالدُعَاء، وَدُقت لهُ بالبشائر.

---

[١] أخباره في بدائع الزهور ٣/٢- ٦٣؛ جواهر السلوك ٣١٢- ٣١٧.

[٢] ليست في الأصل، وتوجد في بدائع الزهور ٤/٢.

[٣] في جواهر السلوك ٣١٢: "وفنج".

[٤] بحر السريع.

فلما بلغَ المقر السيفي نُورُوز الحافظي بأنَ شيخ قد خلعَ الخليفة العباس منَ السلطنة وَتسلطنَ عُوضهُ، فعزّ ذلك عليه، وَعصى على المؤيد شيخ، ولم يَبُس لهُ الأرض وَلَا أطاعهُ، فأنِ كان بين نُورُوز وشيخ صَحابة أكيدة وأيمَان عظيمة ومواثيق، فخان شيخ الأيمَان وَتسلطن، واستمرّ نُورُوز يدعو للخليفة العباس على منابر دمشق وأعمالها.

ومن الحوَادثِ في أيَامهِ أنَ في سنةِ ستة عشر وثمانِمَائة: في أوائل سلطنة المُؤيد شيخ، ظهَر بالقاهرةِ شخص يدَّعي أنه يَصعد إلى فوق السَماءِ، وَيُشاهِد البَاري جَلَّ وَعلا، وَأنه يُكلمهُ في كلِّ يَوم[١٨٥/أ] مرّة، فأَعتقدُهُ جَماعةِ كثيرة من العَوام، فلَما بلغ السُلطان ذلك رَسَم بأنْ يُعقد لهُ مجلس في المدرسةِ الصَالحية، فحضر القُضاةِ الأربعة ، وشهدُوا عليه البيّنة بِمَا يقوُله، فحكم القاضي المالكي بقتلهِ بشهَادةِ اثنين على أنه حَاضر العقل، ثم شهد جَماعة من أهل الطب بأنه مختل العقل، فعند ذلك سَجنُوه، وَلمْ يَثبت كُفره[١].

وفي أيَام الملك المؤيد شيخ: تَولى الحسبَةِ الشريفة منكلي بغُا الشمسي[٢]، وَهو أولُ من تولى الحسبَة مِنَ الأتراك.

ثم إنَ الملك المؤيد شيخ لَما طالَ عليه عصيَان نُورُوز أعرضَ العسكر، وَجرد إليه نفسه، وذلك سنة سبعة عشر وَثمانمَائة، فلما بلغَ نُورُوز مجيء الملك المؤيد شيخ فحصِّنَ دمشق غاية التحصِّن، وَرَكّبَ عَلى أَسَوارهَا المكاحل بالمدَافع الكبار، فلما أن وَصلَ الملك المؤيد إلى دمشق حَاصر نُورُوز أشد مَا يكون مِنَ المُحاصرةِ، وَنصبَ المنَاجنيق إلى مُقابل قلعةِ دمشق، وَاستمر يُحاصر نُورُوز مُدَّة طويلة حتى ضجر من ذلك نُورُوز، وَأرسل يَطلبَ من الملك المؤيد الأمان، وسلم نفسه إليه، بعد أُمور جرَتْ بينهُما يَطول شرحُها عن هَذا المُختصر، وَآخر الأَمر قُتلَ نُورُوز بقلعة دمشق، وَقُطعَتْ رَأسهُ وَجيَ بهَا إلى القاهرة، وَعُلقَتْ عَلى بَاب زويلة ثلاثة أيام، ثم دُفنتْ، فكانَ لِسَان حَال الأمير نُورُوز مع المؤيد شيخ، كما قال القائل في المعنى:

---

[١] ورد الخبر في بدائع الزهور ٢٨/٢- ٢٩: في أحداث سنة ٨١٩هـ.

[٢] في بدائع الزهور ٩/٢: "منكلي بغا العجمي".

يَـا غَـادِرًا بِـي وَلَـم أَغْـدُر بصُحبتـهِ وَكَـانَ منِّـي مكَـانَ السـمع وَالبصـر
قـدْ كنـتُ مِـنْ قلبـك القَاسـى أخـافُ جَفَـا فجـاء مَـا قَلتـهُ نُـقشًا علـى حَجَـرِ[1]

قال الشيخ تقي الدين ابن حجة الشاعر: "أنشدتُ مَولانا السلطان الملك المؤيد شيخ أَعز الله أنصَاره قصيدة، وَقد كُسرَ النيل المُبارك في أوائل مسري. وكان قد عزم إلى التوجه إلى [١٨٥/ب] دمشق بسبب عِصيَان نُورُوز، فكان ما أنشدته وهو قولي[2]:

أيـا ملكًـا بـالله صـار مـؤيـدًا ومنتصـبًا فـي ملكـه نصـب تمييـز
كسـرت بمسـرى سـد[3] مصـر وتنقضـي وحقـك بعـد الكسـر أيـام نـيروز"[4]

فكانَ الفَأل بالمنطق، وَكسرَ نُورُوز في تلك السنةِ.

فلما تَوجَّه المؤيد شيخ إلى دمشق، وَقتل نُورُوز وَانتصَر عليه، فَقصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، ثم أَخْلَعَ عَلى المقر السيفي أينال الصُصُلاني واستقر بهِ نائب حلب؛ وأخلع على المقر السيفي سُودُون من عبد الرحمن واستقر به نائب طرابلس؛ وأخلع على المقر السيفي تاني بك البُجَاسي واستقر نَائب حماه، وَمهّدَ جَهات مملكته، وَرحل عن دمشق، وقصدَ التوجه إلى نحو ديَار مصر، وَهو في غاية النصر وَالعز؛ فدخل إلى القاهرة، وَهو في مَوكبٍ عظيم، وَحملت القبة والطير على رَأسهِ، حتى طَلَعَ إلى قلعة الجبل.

فَلمْ تمضي عليه نحو سنة حتى جاءت إليه الأخبار بأنَ النُواب المُقدّم ذكرهم عَصوا أجمعين، وَخرجُوا عن الطاعةِ، فجرَّدَ إليهم الملك المؤيد شيخ ثانيًا، وخرجَ بنفسهِ وَتحارب مع النُواب فانتصر عليهم، وَقبض على أينال الصُصُلاني نائب حلب، وعلى قانباي المحمدي نائب دمشق فقطع رُؤوسهم، وهربَ من بقي من النُواب إلى عند قرا يوسف[5] أمير التركمان؛ ثم رَجع إلى نحو الديَار المصرية، وَقدْ مَهدَ البلاد الشَاميّة وَالحلبيّة، وَاستقرَ بجمَاعةٍ منَ الأمَرَاء نوابًا عُوضًا عنْ من قُتلَ منهم.

---

(1) بحر البسيط؛ البيتان لجمال الدين ابن نباته. (انظر: خزانة الأدب ٤٣/١).
(2) الخبر في: (خزانة الأدب ٢٨٩/٢)
(3) في خزانة الأدب ٢٨٩/٢ وقهوة الأنشاء ٨١: "نيل".
(4) المسرى: المجرى. النيروز: عيد الربيع عند الإيرانيين ويصادف رأس السنة الفارسية. (انظر: خزانة الأدب ٢٨٩/٢ هامش ١)؛ بحر الطويل.
(5) هو: قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرخجا التركماني (انظر: الضوء اللامع ٢١٦/٦).

فلما رجع إلى مصر فلم يقم[1] سوى مُدّة يَسيرة، وَقدْ جاءت الأخبار بأن النُواب قدْ عصوا أجمعين، وخرجوا عن الطاعة، فجرَّدَ إليهم المؤيد شيخ ثالثًا، فتحارب معهم وانتصر عليهم، وقتل منهم [١٨٦/أ] جماعة كثيرة ورجع إلى نحو الديار المصرية وهو في غاية النصر وقد مهد البلاد الشَاميّة والحلبيّة.

ثم بعد ذلك صفَا الوَقت للملك المؤيد شيخ، وَعَاش في أوَاخر عُمرهِ في أرغد عيشَ، وكانَ لا يَبرح بالقلعةِ إلا قليلًا، وَكانَ غالب أيَامهِ في بُولاق في البَارزية عند القَاضي نَاصر الدين ابن البَارزي كاتب السر الشريف، وَكانَ يقع له هُناك المَواكب الجَليلة، وَكانَ يتوجّه بنفسهِ في يَوم وَفَاءِ النيل إلى المقياس، وينزل في الذّهبية وَيكسر السدّ.

وَكانَ في يوم الوفاء أمر الأمراء المقدِمين الألوف بأن يُزيّن كلّ واحد منهُم حُراقة ويشحنهَا بالصنَاجق وَالكوسَات، وَيكون له في ذلك اليوم مَوكبًا لم يُسمع بمثلهِ.

وَكانَ يمشي على طريقةِ أسُتاذه الملك الظاهر برقوق، وَكانَ في بعضِ الأوقَاتِ ينزل يعُوم في البحر مع أخصَّائه، ويَمتزج مع النُدمَاء في الخَلوَاتِ، وَكانَ يَميل إلى اللهو وَالطرب، ويُقرب أربَاب الفن وَالآلات من المغاني، وَكانت أربَاب الفنُون تتناها في أيَامهِ في فنونهم، لجودة فهمه وَحسن معرفتهِ، وكانَ ينظم الشعر، ويُركز الفن، وإلى الآن أقوالهُ دَائرة بين المغاني، ويقولُون هذا من نظم الملك المؤيد شيخ، وَممَا يحضرني الآن من نظمهِ، وَهو قولهُ من أبياتِ نظمَهَا:

قَتَلتنَا[2] سَوالفٌ وَخُدُودُ | وَعُيُونٌ نَواعسٌ[3] وَقُدُودُ
أَسَرتنَا الظِّبَا وَهُنّ نعاسٌ[4] | وَخضعنَا لهَا[5] ونحنُ الأسُودُ[6]

إلى أن يَصل في القصيدة إلى الاستشهَاد باسمه، فيقولُ:

---

[1] في الأصل "يُمقم".
[2] في بدائع الزهور ٦١/٢: "فتنتنا".
[3] في جواهر السلوك ٣١٤: "بواعس".
[4] في بدائع الزهور ٦١/٢: "ضعاف"؛ وفي جواهر السلوك٣١٤: "بقانين".
[5] في بدائع الزهور ٦١/٢: "لهن"؛ وفي جواهر السلوك٣١٤: "بها".
[6] بحر الخفيف؛ وفي بدائع الزهور ٦١/٢: "أسود".

وَأنـــا الخاصـــكي وَشـــيخ المؤيّـــد نظـــم شـــعري جـــوَاهرٌ وعُقـــودُ[1]

وَكانَ مُعظمًا للعلماءِ والفُقهاءِ، والصُلحاءِ، وَهو الذي أنشأ [١٨٦/ب] الجَامع المُؤيدى الذي هو دَاخل بَاب زُويلة، وكان بناؤه في سنةِ اثنتين وَعشرين وَثمانمَائة[2]، وكانَ هذَا المكان قديمًا سجنًا يحبسُون فيه أصحَاب الجرَائم، وكان يُسمى خزانة شمايل، وقد نُسبتْ إلى شخصٍ يُسمَى شمايل، وكان والي القاهرة في أيام الملك الكامل محمد من بني أيوب، وَهو صَاحبُ المدرسة الكاملية، وكان الملك المؤيد شيخ حُبس في خرانة شمايل في دولة الملك الناصر فرج، فنذر على نفسه إنْ تخلص من هذهِ الشدّة وبقي سُلطانًا فيهدم ذلك المكان، وَيبني مكانه جَامعًا، فلما بقى سُلطان فعلَ ذلك، وَبني هذا الجامع، وقد تنَاهَا في زُخرفهِ ورُخَامه وَأبوابهِ وسُقوفهِ، حتى قيل: مَا بُني في القَاهرةِ مثله، وَمثل مدرسة السُلطان حَسن في الإمكان.

وَأوْقفَ على هذا الجامع أوقافًا عظيمة، وَأودعَ فيهِ أشيَاء كثيرة من الكُتبِ النفيسة، وَقرَّرَ فيهِ صَوَفه وحضور من بعد العصر، وَرَتب لهم خبز وجوامك[3] في كلّ شهر، ثم قرّر الشيخ نَاصر الدّين الدّيري الحنفي شيخ الحضُور ومُدرس في العلم الشريف.

فقيل: أنهُ أَول مَا حضرَ في الجَامع بعدَ أن كمل، فاجتمعتْ هُناك العُلماء وَالفُقهاء وَالسُلطان الملك المؤيد شيخ، فخرجَ الشيخ نَاصر الدّين الدّيري من الخَلوَة وَالمقر الصَارمي إبَراهيم وَلدَ السُلطان الملك المؤيد حَامِل سجادةِ الشيخ نَاصر الدّين الدّيري ففرشهَا لهُ في المحرَابِ.

وَقيلَ: لمَا كملتْ عَمارة الجَامع فرسمَ السُلطان بأنْ تُملأ الفسقية التي في صَحْنِ الجامع سُكرًا وَمَاء ليمُون، فمليئت سُكرًا وَوَقف الرُؤوس نُوب يُفرقون السُكر على الناسِ بالطاسَاتِ، وَاخلعَ السُلطان في ذلك اليَوم عَلى جَماعةٍ كثيرة مِنَ المُشيدين[4] [١٨٧/أ] وَالمُهندَسِّين.

---

(١) بحر الخفيف.

(٢) في بدائع الزهور أن بناء المسجد كمل في سنة ٨٢٠هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٥/٢).

(٣) مفردها جامك وجومك وهو المقرر الخاص بموظفي الدولة والجيش (راجع: فرهنگ عميد ٦٧٠/١).

(٤) في الأصل " المُشَدِّين ".

وَلمَا كانَ أَول جُمعة خُطبتْ في هذا الجامع حضر القُضَاة الأربعة، وَأعَيان العُلمَاء، وَالسلطان، وَسَائر الأَمراء، وَأرباب الدَولة، وَكان يَومًا مشهُودًا، فخطبَ القَاضي كاتب سِرّ نَاصر الدّين ابن البَارزي في ذلك اليَوم خُطبَة بَليغة.

ومن الحوادث: أنَ لما بنُوا مئذنة هَذا الجَامع مَالتْ عندمَا كملتْ، وَأبدتْ إلى السقُوطِ، فَرسمَ السُلطان بهدمِهَا فهُدمتْ، ثم أعيدت ثَانيًا، وَقد تداعب في هذه الوَاقعة قَاضي القُضاة شهَابُ الدّين ابن حجر الشافعي، وَقَاضي القُضاة بدر الدّين مَحمُود العيني الحنفي، فقال شهَابُ الدّين ابن حَجر:

لِجَامع مَولانا المؤيد رَونقٌ ... مِنَارَتُهُ تزهُو مِنَ الحُسنِ وَالزَينِ[1]
تُقولُ وَقدْ مَالتْ عليهمْ تَرفقوا ... فَليسَ عَلى هَدَمى أَضرّ مِنَ العيني[2]

فأجاب العيني عن ذلك بقولِهِ:

مِنَارَةٌ كعُروسِ الحُسنِ إذْ جُلِيتْ ... وَهَدْمُهَا بِقضَاءِ اللهِ وَالقدرِ
قَالوا: أصيبَتْ[3] بعينٍ قَلتُ ذَا غَلط ... مَا أَوجبَ الهدَمَ إلاّ خُبثَةِ[4] الحَجرِ[5]

وَقدْ قالت الشعراءُ في ذلك مُدَاعبَات كثيرَة أعجوبة، ذكرهَا قاضي القُضاة شهَاب الدّين ابن حجر، رحمة الله عليه، أنَ في دَولةِ الملك المؤيد شيخ في سنةِ إحدى وَعشرين وَثمانمَائة[6] وَلدتِ في مِدينةِ بلبيس[7] جَامُوسة مولودًا لهُ رأسَان وَأربعة أيديٍ، وَسِلسَلتي ظهر، وَدُبر وَاحدٍ، وفرج وَاحدٍ، وَرجلينِ اثنين في حَقوهَا، فأقامتْ أيَامًا وَمَاتتْ.

وَذكرَ أيضًا في تَاريخهِ[8] أنَ في سنةِ ثلاث وعشرين[9] في دَولةِ المؤيد شيخ وَلدَت المصُونة فاطمة [١٨٧/ب] بنت قاضي القضاة جلال الدين البلقيني ولدًا

---

[1] في جواهر السلوك ٣١٥: "الدين".
[2] بحر الطويل.
[3] في جواهر السلوك ٣١٥: "اطلت".
[4] في بدائع الزهور ٣٦/٢: "خسّة"؛ وفي جواهر السلوك ٣١٥: "حنتة".
[5] بحر البسيط.
[6] ورد الخبر في بدائع الزهور ٣٠/٢- ٣١: في أحداث صفر سنة ٨٢٠هـ؛ وعند ابن حجر الخبر في أحداث شهر محرم سنة ٨٢٠هـ. (انظر: إنباء الغمر ١٣٧/٣).
[7] في إنباء الغمر ١٣٧/٣: "ببلقس".
[8] يقصد ابن حجر في كتابه إنباء الغمر.
[9] الخبر في بدائع الزهور ٣١/٢: في أحداث سنة ٨٢٠هـ؛ وعند ابن حجر في أحداث سنة ٨٢٥هـ. (انظر: إنباء الغمر ٢٦٦/٣).

خنثى له ذكر وفرج وله يدان زايدتان في كتفيه وله قرنان في رأسه مثل قرون الثور فأقام ساعة ومات.

وذكر أيضًا في تاريخه[1] من العجائب أن في سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة[2] في دولة المؤيد شيخ: ذُبحَ جَمل بمدينة غزّة في الليل، فأضاء لحمه كما يضيء الشمع في الليل، وقيل: رُمي قطعة من لحمهِ لكلبٍ، فلم يأكل منها شيئًا، ولا يُعلم سبب ذلك، وهذا من العجائب التي لم يسمع بمثلها.

ومن هنا نرجع إلى أخبار الملك المؤيد شيخ، وذلك أنه أقام في السلطنة بالديار المصرية في أرغد عيش، وكان يعتريه ضربان المفاصل، فقوي عليه الألم، وصار مُقعدًا، وكان إذا أراد الحركة يُحمل على الأكتاف، ويُنقل من مكان إلى مكان، ثم إنه قوي عليه المرض، ولزم الفراش مدة طويلة، وسلسل في المرض إلى أن توفي في يوم الإثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ودُفن في جامعهِ الذي أنشأهُ داخل باب زويلة، وقيل: مات وله من العمر نحو اثنتين وستين سنة[3].

وخلف من الأولاد ثلاثة[4]، وهُم: المظفر أحمد الذي تسلطن بعده، وبنتان وهُما: خوند عائشة زوجة الأتابكي قرقماس الشعباني، وخوند أسية زوجة الأمير يشبك الفقية الدوادار الكبير، وهي والدة سيدي يحيى ابن الأمير يشبك الفقية.

وكانت مدة سلطنة الملك المؤيد شيخ بالديار المصرية ثمان سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام.

وكان ملكًا جليلًا، مهابًا، عارفًا بأحوال المملكة، ثابت العقل، مقدامًا، وله في الحرب مكائد وحيل، وثبات وقت الصدمة، وكان كريمًا على من يستحق الكرم، بخيلًا على من يستحق البخل، وكان يضع الأشياء في محلها، وكانت دولته ثابتة القواعد.

---

(1) يقصد ابن حجر في كتابه إنباء الغمر.

(2) الخبر في بدائع الزهور ٤٢/٢: أحداث سنة ٨٢١هـ؛ وعند ابن حجر في أحداث ثالث رمضان لسنة ٨٢٣هـ (انظر: إنباء الغمر ٢٢٤/٣).

(3) في بدائع الزهور ٦٠/٢: "خمس وستين سنة"؛ وفي جواهر السلوك ٣١٦: "إحدى وستين سنة".

(4) في بدائع الزهور ذكر "صبي رضيع"؛ وبذلك يكون العدد أربعة. (انظر: بدائع الزهور ٦٠/٢).

وهو الذي أنشأ في أيامه: المقر الزيني عبد الباسط بن الجناب الغرسي[1] خليل؛ وأنشأ القاضي علم الدين سليمان بن الكويز، وابن مزهر الكبير [١٨٨/أ] والد القاضي كاتب السر المقر الزيني أبو بكر، وأنشأ القاضي ناصر الدين ابن البارزي والد القاضي كمال الدين ابن البارزي كاتب السر الشريف بالديار المصرية؛ وهو الذي أنشأ الأمير ناصر الدين التاج وكان في أيامهِ أسُتَادَار الصحبة؛ وأنشأ في أيامهِ جماعة كثيرة حضروا صُحبتهُ من البلاد الشامية، فرقاهُم إلى الوظائف السنية، وصاروا من أعيان الديار المصرية.

وكان الملك المؤيد ناضرًا إلى فعل الخير، كثير البر والمعروف، وله أوقاف كثيرة على جهات بر وصدقة.

ومما أنشأه بالديار المصرية من العمائر: وهي المدرسة التي في رأس الصُوَّة مكان المدرسة الأشرفية التي هُدمت في دولة الملك الناصر فرج؛ وأنشأ[2] الجامع الذي عند المقياس المُطل على بحر النيل؛ وأنشأ الجامع العظيم الذي داخل باب زويلة؛ وجدد عمارة المكان المعروف بالتاج، والسبعة وجوه الذي[3] كان قديمًا من مفترجات القاهرة، وقد هدم في دولة الملك الظاهر جقمق، وجدد عمارات المدرسة الخرُوبية التي ببر الجيزة، وأنشأ[4] بها الخلاوي والمأذن، وله غير ذلك أثار كثيرة، فهذا ما عُد من محاسنهِ.

وأما ما عُد من مساوئهِ فقد ذكر الشيخ شهاب الدين المقريزي في تاريخه عن الملك المؤيد شيخ أشياء كثيرة من المساوئ، **منها:** أنه كان جهوري[5] الصوت، وفيه بذاءة[6] لسان وسفاهة، وكان غير مقبول الشكل، طويل القامة، مترك الوجه، واسع العينين، كبير الكرش، ذري اللون، أكثُّ اللحية، أبيض الشعر؛ **ومنها:** أنه كان سفاكًا للدماء قتل جماعة كثيرة من النُواب والأمراء؛ **ومنها:** لما عمر الجامع الذي هو داخل باب زويلة، فكان يكبس بيوت الناس،

---

(١) في جواهر السلوك ٣١٦: "القرسي".
(٢) في بدائع الزهور ٦٣/٢: "جدد".
(٣) كذا في الأصل، والصواب "التي".
(٤) في بدائع الزهور ٦٢/٢: "وعمر".
(٥) في الأصل "جهروي".
(٦) في الأصل "بداءت".

ويأخذ رخامه غصبًا، وأخذ العامودين السماقين اللذين في المحراب من جامع قُوصُون، وأخذ[١٨٨/ب] الباب الذي على جامعه، والتنور النحاس الكبير من مدرسة السلطان حسن، وقيل: أعطى فيهم ثمنًا بخسًا؛ **ومنها:** أنه أحدث في أيامه أشياء كثيرة من وجه الظلم، بسبب ما يصرفه على التجاريد الذي[١] جردها لما عصوا عليه النواب[٢]؛ **ومنها:** أنه قيل: "سم ولده سيدي إبراهيم لأجل السلطنة"، ورسم بخنق القاضي فتح الله كاتب السر الشريف فخنق، وقد ذكر المقريزي عنه أشياء كثيرة من هذا النمط، السكوت عنها أجمل، **ومنها:** أنه كان يميل إلى شرب الراح، والأشياء المخدرة.

ومن أزواجه: خوند سعادات أم ولده المظفر أحمد، وخوند بنت قمس، وغير ذلك من النساء والسراري.

وقد انتهت أخبار دولة الملك المؤيد شيخ وذلك على سبيل الاختصار منها.

وأما من توفي في أيامه من أعيان العلماء: الشيخ برهان الدين ابن رُقاعة الدمشقي[٣]، والشيخ جمال الدين ابن ظهيرة عالم مكة[٤]، والشيخ مجد الدين الشيرازي[٥]، والشيخ شمس الدين التباني من كبار الحنفية[٦]، وابن هشام العجمي، والشيخ عز الدين ابن جماعة[٧]، والقاضي ناصر الدين ابن البارزي كاتب السر[٨]، والشيخ خلف النحريري من كبار المالكية[٩]، وغير ذلك من أعيان العلماء والصُلحاء.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "التي".

(٢) الخبر في السلوك ٥٥١/١/٤.

(٣) هو برهان الدين إبراهيم بن محمد بن بهادر، ت: ٨١٦هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٠/٢).

(٤) ت: ٨١٧هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٦/٢).

(٥) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، ت: ٨١٧هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٧/٢).

(٦) هو محمد بن جلال بن أحمد بن يوسف، التركماني الأصل شمس الدين ابن التباني الحنفي، ت: ٨١٨هـ. (انظر: إنباء الغمر ٨٣/٣)؛ وفي بدائع الزهور ٩١/٢: ت: صفر سنة ٨٢٧هـ.

(٧) ت: ٨١٩هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٧/٢).

(٨) هو محمد بن محمد بن عثمان، ت: ٨٢٣هـ. (انظر: بدائع الزهور ٥٥/٢- ٥٦).

(٩) هو خلف بن أبي بكر النّحريري المالكي. ت: ٨١٨هـ. (انظر: إنباء الغمر ٧٩/٣)؛ ولم يرد ذكره في بدائع الزهور.

وتوفي قاضي القضاة جلال الدين ابن البلقيني الشافعي[1]، قيل: أنه توفي بمنزلة الصالحية عند عود الملك المؤيد شيخ من البلاد الشامية، فلما توفي القاضي جلال الدين ابن سراج الدين البُلقيني فاشتوروا فيمن يولوه قاضيًا عُوضهُ، فاستقر الحال على تولية القاضي علم الدين صالح البلقيني الشافعي أخو جلال الدين المذكور، وقيل: تولى ولي الدين العراقي عُوضًا عن جلال الدين البلقيني، وفي هذه الواقعة يقول الشيخ شهاب الدين ابن حجر مداعبة لطيفة في المعنى، وهو قوله:

مات جلال الدين، قالوا: ابنه يخلفه، أو فالأخ الكاشح [١٨٩/أ]
فقلت: تاج الدين لا لائق بمنصب الحكم، ولا صالح[2]

وَلما تَوفي الملك شيخ تَولى مِنْ بعدِهِ ابنه المظفر أحمد.

---

[1] هو جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الكناني، ت: ٨٢٤هـ. (انظر: بدائع الزهور ٧٣/٢).
[2] بحر السريع؛ البيتان في (إنباء الغمر ٢٨٠/٣).

ذكر

سلطنة الملك المظفر أبي السَّعَادَات

أحمد ابن الملك المُؤيد شيخ المحمُودي الظاهري(١)

وَهوَ التَاسعُ والعشرون من ملوك الترك ومن أولادهم بالديار المصرية، وهو الخامس من ملوك الجراكسة وأولادهم؛ تسلطن بعد موت أبيه الملك المؤيد شيخ، في يوم الإثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وأمه خوند سعادات بنت الأمير صرغتمش الناصري، وتسلطن وله من العمر سنة وثمانية شهور وسبعة أيام.

ولما تسلطن صار المقر السيفي ططر مدبر المملكة، ووصي على الملك المظفر أحمد، وكان ططر يومئذ أمير مجلس، ولما أرد الخليفة أن يبايع للملك المظفر أحمد أشرط على الأمير ططر بأنه يكون هو القائم بمصالح المسلمين، وكان الأتابكي ألطنبُغَا القرمشي غائبًا في التجريدة، هو وجماعة من الأمراء في البلاد الشامية.

فلما مات الملك المؤيد تعصب المماليك المؤيدية لابن أستاذهم وسلطنوه باليد، وصار الأمير ططر مدبر المملكة، فبقي مع المماليك المؤيدية مثل اللولب يديرونه كيف شاءوا، فصار ططر يرضيهم بكل ما(٢)أمكنه من الوظائف والإقطاعات والأمريات، فاستقر بالأمير تغري بردي بن قصروه أمير أخور كبير، وكان أمير عشرة؛ واستقر بجماعة كثيرة منهم أمراء مقدمين ألوف وكانوا عشراوات، وأنعم على جماعة منهم من الخاصكين بأمريات أربعين، وأمريات عشرة؛ وأنعم على جماعة كثيرة من المماليك المؤيدية بالإقطاعات [١٨٩/ب] السنية، واستمروا على ذلك، إلى أن جاءت الأخبار من دمشق بأن نائب الشام جقمق الأرغون شاوي قد خامر، وخرج عن الطاعة، وكذلك يشبك

(١) أخباره في: بدائع الزهور ٦٣/٢- ٧٠؛ جواهر السلوك ٣١٨- ٣١٩.
(٢) في الأصل (بكلما).

المؤيدي نائب حلب، وبقية النواب؛ وأن نائب الشام اتقع مع الأتابكي ألطنبُغَا القرمشي، فانكسر الأتابكي ألطنبغا وهرب إلى نحو صرخد.

ثم إن الأتابكي ألطنبُغَا جمع عسكرًا ثقيلًا من العربان والعشير، ورجع إلى دمشق، وتحارب مع جقمق نائب الشام، فانكسر جقمق وهرب، فملك الأتابكي ألطنبُغَا دمشق وقلعتها.

فلما جرى ذلك وبلغ الأتابكي ألطنبُغَا القرمشي موت الملك المؤيد، وسلطنة ولده أحمد، وأن الأمير ططر صار مدبر المملكة، فعصي الأتابكي ألطنبُغَا بالشام، وحصَّن قلعة دمشق غاية التحصين، واجتمع عنده عسكر عظيمة من العربان وغيرهم.

فلما بلغ المقر السيفي ططر ذلك أعرض العسكر، وجرد إلى نحو دمشق، وأخذ معه الملك المظفر أحمد في محفة، ومعه المرضعة وأمه خوند المقدم ذكرها.

فلما وصلوا إلى دمشق ألقى الله تعالى الرعب في قلب الأتابكي ألطنبغا القرمشي، فخرج إلى ططر وهو طائع، فقبل الأرض للملك المظفر أحمد وهو في المحفة.

فلما دخل ططر إلى دمشق قبض على الأتابكي ألطنبُغَا القرمشي، وقبض على نائب الشام جقمق الأرغون شاوى، وسجنهما بقلعة دمشق، ثم إنه خنقهما تحت الليل؛ وقبض على جماعة من الأمراء، ثم إنهُ أخذ في أسباب مسك جماعة من المؤيدية، فقيل: أنهُ قبض في يوم واحد على أربعين شخصًا من الأمراء والخاصكية المؤيدية، وحبسهم في قلعة دمشق.

فعند ذلك صفا لططر الوقت، فلما جرى ذلك التف على ططر خشداشينه الظاهرية، وفرق عليهم إقطاعات من مسك من المؤيدية، فقويت شوكة ططر وصار [١٩٠/أ] لهُ عصبة بخشداشينه.

فعند ذلك خلع الملك المظفر أحمد من السلطنة، وتسلطن عُوضه وهو بدمشق، وذلك في يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

وكان المقر السيفي ططر من حين عصى الأتابكي ألطنبغا القرمشي استقر أتابكي العساكر، ومدبر المملكة وتزوج بخوند سعادات وهو بدمشق، ثم إنه قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، وأخذ معه الملك المظفر في محفة؛ فلما دخل القاهرة كان له يوم مشهود وحملت على رأسه القبة والطير، ولعبوا قدامه بالغواشي الذهب إلى أن طلع إلى القلعة.

ثم إنه أرسل الملك أحمد إلى السجن بثغر الإسكندرية، فأقام بها إلى أن مات بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وذلك في دولة الملك الأشرف برسباي، ونقل بعد موته من الإسكندرية ودفن على أبيه الملك المؤيد بالجامع المؤيدي.

فكانت مدة سلطنة الملك المظفر أحمد ابن المؤيد شيخ بالديار المصرية سبعة أشهر وعشرين يومًا[١].

وكان الملك المظفر أحمد حسن الوجه، غير أنه كان بعينه حولًا فاحشًا، حصل له عندما أجلسوهُ على سرير الملك حين دُقت الكوسات بالقصر الكبير على غفلة، فارتجف من ذلك واضطرب، فحصل له هذا الحول بعينه من الرجفة؛ فهذا ما حصل له من فائدة السلطنة، وآخر الأمر سجن بالإسكندرية، إلى أن مات بالسجن، وكان ذلك من مماليك أبيه المؤيدية بتعصبهم له حتى سلطنوهُ ودخلوا في خطيته.

ومن الحوادث في أيامه أن في سنة أربع وعشرين وثمانمائة: استمرت زيادة النيل المبارك إلى أخر هاتُور من الشهور القبطية، فحصل بذلك الضرر الشامل لأهل مصر، وغرق في تلك السنة زروع كثيرة وبساتين، وتبحرت الأرض من مكث الماء عليها، [١٩٠/ب] وحصل بذلك بعض غلاء وتزايدت أسعار الغلال[٢]، وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

يَا نيل يَا ملك الأنهَار قدْ شريت ... منكَ البرَايَا شرَابًا طَيبًا وَغذَا[٣]
وَقدْ دَخلتَ القُري تبغي[٤] منَافعهَا ... فعمَّهَا بعدَ فرط النفع منكَ أذا[٥]
فقال تَذكر عني أنني ملكٌ ... وَتنتني نَاسيًا أنَ المُلُوكَ أذا[٦]

وهذا ما انتهى إلينا من أخبار الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ، وذلك على سبيل الاختصار.

---

(١) في بدائع الزهور ٢/٧٠: "سبعة أشهر وواحد وعشرين يومًا".
(٢) ورد الخبر مختصرًا في بدائع الزهور، انظر: ٢/٦٩.
(٣) في جواهر السلوك ٣١٩: "وغذاءه".
(٤) في جواهر السلوك ٣١٩: "تنعى".
(٥) في جواهر السلوك ٣١٩: "أذاه".
(٦) في جواهر السلوك ٣١٩: "أذاه"؛ بحر؛ الأبيات للشيخ سديد الدين ابن كاتب المرج. (انظر: مطالع البدور ومنازل السرور)؛ ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

ذكر من توفى في أيامه من أعيان العلماء، وهُم: الشيخ ولي الدين العراقي الشافعي[1]، والشيخ ناصر الدين الديري الحنفي شيخ مدرسة المؤيدية، وقيل: أدرك دولة الملك الأشرف برسباي، ومات بها[2]، والله أعلم.

---

(1) هو أحمد بن عبد الرحيم بن حسين، قاضي قضاة الشافعية، ت: ٨٢٦هـ (انظر ترجمته: المنهل الصافي ١/٣٣٢- ٣٣٥)؛ وورد خبر وفاته في بدائع الزهور ٢/٨٧: في أحداث سنة ٨٢٦هـ.

(2) هو محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر، القاضي الحنفي، ت: ٨٢٦هـ (انظر ترجمته: رفع الإصر عن قضاة مصر ٣٧٣)، ولم يرد خبره في بدائع الزهور.

ذكر

سلطنة الملك الظاهر سيف الدين

أبي سعيد ططر الظاهري الجركسي[1]

وهو الثلاثون من ملوك الترك وأولادهم، وهو السادس من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية.

وأصله من مماليك الملك الظاهر برقوق اشتراه وأعتقه، وجعله من جملة المماليك السُلطانية، ثم إنه التف على جكم العُوضي نائب حلب، فلما تسلطن جكم بحلب وقتل في المعركة التي وقعت بينه وبين التركمان وهُم قرا يُوسف، ولا يُعلم من قتلهُ.

فعند ذلك التف ططر على شيخ ونُورُوز الحافظي، ودام معهما إلى أن قتل الملك الناصر فرج بن برقوق، وتسلطن الخليفة العبَاس، فبقي ططر أمير عشرة، ثم بقي أمير أربعين، ثم بقي مقدم ألف في دولة الملك المؤيد شيخ، ثم انتقل من بعد ذلك فبقي رأس نوبة النوب، ثم بقي أمير مجلس، كل ذلك في دولة المؤيد شيخ.

فلما مَاتَ الملك المؤيد كان الأتابكي ألطنبغا القرمشي مسافرًا في التجريدة في البلاد الشامية، فلما تسلطن الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ صار ططر [١٩١/أ] مدبر المملكة ونظام الملك، ثم جرد وخرج إلى الشام بسبب الأتابكي ألطنبغا القرمشي وصُحبته الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ، وقد تقدم ذلك.

فلما دخل إلى دمشق قبض على الأتابكي ألطنبغا القرمشي وقجقار القردمي أمير سلاح، وعلى جماعة كثيرة من الأمراء ممن كانوا صُحبة الأتابكي ألطنبغا القرمشي، لما توجه إلى الشام وقبض على جماعة من النواب وسجنهم بقلعة دمشق، ثم قتل منهم جماعة كثيرة، ثم قبض على جماعة من الأمراء والمماليك المؤيدية نحو خمسين إنسانًا.

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٢/٧٠- ٧٥؛ جواهر السلوك ٣٢٠- ٣٢١.

فعند ذلك صفا له الوقت، وقويت شوكته، فخلع الملك المظفر من السلطنة، وتسلطن عُوضه، فتسامعوا به خشداشينه الذي[1] كانوا تفرقوا في بلاد الشرق، لما أن هربوا من المؤيد شيخ، فحضروا إلى عنده، والتفوا عليه، ثم إن ططر توجه إلى نحو القاهرة فمرض في أثناء الطريق، وقيل: إن زوجته خوند سعادات أشغلته في منديل[2] الفرش، لما خلع ابنها المظفر أحمد من السلطنة، وطلقها.

فدخل ططر إلى القاهرة وهو متوعك في جسده فجلس على سرير الملك، وَحكم بين الناس عدة مواكب، ثم إنه ثقل في المرض، ولزم الفراش إلى أن مات في يوم الأحد رابع ذي الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة؛ ومات وله من العمر نحو خمسة وخمسين سنة[3]، ودفن بجوار قبر الإمام الليث بن سعد، رضي الله تعالى عنه.

فكانت مدة سلطنته بالشام وبمصر ثلاثة أشهر وأيام، بما فيها من مدة توعكه وانقطاعه، وقد تحمل في هذه المدة اليسيرة إثم من قتله من الأمراء والمماليك في طلب السلطنة وقد مهد لغير، فكانَ كما قال القائل في المعنى:

هي الدُنيا؛ إذَا كُملتْ ... وَتمّ سرُورهَا خَذَلتْ
وَتفعل بالذين بقوا ... كما فيمنْ مضى فعلتْ[4][١٩١/ب]

وَقَالَ آخرٌ:

يَا خَاطِبَ الدُّنيَا إلى نَفسِهِ ... تَنحَّ عَن خطبَتِهَا تَسلِمِ
إنَّ الّتي تَخطُب غرَّارَةٌ ... قَريَة العُرس مِنَ المَأتَمِ[5]

ولما مرض الظاهر ططر عهد بالسلطنة إلى ولده المقر الناصري محمد، وجعل الأتابكي جاني بك الصوفي وصي على ولده، ومدبر المملكة.

---

(1) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(2) في الأصل "منذيل".
(3) في جواهر السلوك ٣٢٠: "وكان له من العمر لما مات نحو أربع وخمسين سنة".
(4) بحر الوافر؛ والأبيات لأبي العتاهية. (انظر: العقد الفريد ١٢٢/٣)؛ ولم ترد في بدائع الزهور.
(5) بحر السريع؛ ولم ترد في بدائع الزهور.

ذكر

سلطنة الملك الصالح ناصر الدين محمد

ابن الملك الظاهر ططر الجركسي الظاهري[1]

وهو الحادى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم، وهو السابع من أولاد الجراكسة بالديار المصرية؛ تسلطن بعد موت أبيه في يوم الأحد رابع ذي الحجة سنةِ أربع وعشرين وثمانمائة، وكان له من العمر لما تسلطن نحو إحدى عشرة سنة.

فلما تم أمره في السلطنة صار الأتابكي جاني بك الصوفي مدبر المملكة، وصاحب الحل والعقد بالديار المصرية، فوقع بينه وبين المقر السيفي برسباي الدقماقي الدوادار الكبير، والأمير طراباي الظاهري حاجب الحجاب، فوثبوا على الأتابكي جاني بك الصوفي في يوم عيد النحر من سنة أربع وعشرين، فكان بينهم وقعة عظيمة، فانكسر جاني بك الصوفي وهرب، ثم قبض عليه المقر السيفي برسباي في ذلك اليوم، وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية.

وصار المقر السيفي برسباي هو المتكلم في أمور المملكة، ثم وقع بينه وبين الأمير طراباي حاجب الحجاب، فقبض عليه برسباي في القصر وقيده وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية.

فعند ذلك قويت شوكة برسباي، وانحصرت الكلمة فيه، فتعصبوا له جماعة من الأمراء والمماليك السُلطانية، وخلعوا الملك الصالح محمد بن ططر من السلطنة، وولوا برسباي، وذلك في يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة.

فكانت مدة سلطنة الملك الصالح محمد بن ططر بالديار المصرية ثلاثة أشهر وأربعة [١٩٢/أ] عشر يومًا، ليس له في السلطنة إلا مجرد الاسم فقط.

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٧٦/٢- ٨٠؛ جواهر السلوك ٣٢١- ٣٢٢.

ولما خلعهُ برسباي من السلطنة لم يسجنه بثغر الإسكندرية، كعادة أولاد الملوك، بل رسم له بالسُكنة داخل دُور الحُرم عند أمُه خوند بنت الأمير سُودُون الفقيه، واستمر ساكن بالقلعة مُدّة، وَزوّجه الملك الأشرف برسباي بنت الأتابكي يشبك الأعرج، ورسم له بالركوب والنزول إلى القاهرة في بعض الأوقات، فكان يركب وينزل صُحبة المقر الناصر محمد ولد السلطان الأشرف برسباي، وهو ابنه الكبير توفي في حياة والده الملك الأشرف.

ثم استمر ابن ططر على ذلك إلى أن مات بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وكانت وفاته في ليلة الخميس ثاني عشرين جُمادى الآخر من السنة المذكورة، ومات وله من العمر نحو عشرين سنة[(١)].

وكان عنده بعض سبهلله[(٢)] فكان يُسمى الفرس "البوز" الفرس الأبيض، فقال له بعض خدامه: "لا تقل الفرس الأبيض، وقلْ الفرس البوز"، فحفظ منه ذلك، فطلب يومًا سلطانية صينى أبيض، فقال: "هاتوا السلطانية البوز"، فنهره بعض الخدام، ونهاه عن ذلك، فقال: "الالاتي[(٣)] علمني ذلك"، وكان له من هذا النوع أشياء كثيرة، فكان كما قيل في الأمثال:

في الناسِ منْ تُسعدُهُ الأقدارُ[(٤)] وفعِلُهُ جميعُهُ إدْبَارُ[(٥)]

(١) في بدائع الزهور ٢/٨٠: "ومات وله من العمر نحو اثنتين وعشرين سنة".

(٢) في بدائع الزهور ٢/٨٠: "أنه كان يتبهلل"، وجواهر السلوك ٣٢١: "وكان عنده بعض تبهلله".

(٣) في بدائع الزهور ٢/٨٠ وجواهر السلوك ٣٢٢: "الاَلَتِى"

(٤) في الأصل "الأقداروا".

(٥) في الأصل "ادباروا".

ذكر

سلطنة الملك الأشرف سيف الدين

أبي النصر برسباي الدقماقي الظاهري[1]

وهو الثاني والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وهو الثامن من ملوك الجراكسة وأولادهم.

وأصله جركسي الجنس، جلبه بعض التجار إلى البلاد الشامية، فاشتراه الأمير دُقماق المحمدي نائب ملطية، مع جملة مماليك صغار، ثم أخذه الملك برقوق مع جعلة مماليك دقماق، [١٩٢/ب] وجعله من جملة مماليك الأطباق[2] بطبقة الزمامية، وكان أغاته الأمير جركس القاسمي المصارع، ثم إن الملك الظاهر برقوق أعتقه، ثم بقى في دولة الملك الناصر فرج ساقيًا، ثم التف على شيخ ونُورُوز لما خامروا على الملك الناصر، فلما بقى المؤيد شيخ سُلطانًا جعله أمير عشرة، ثم بقى أمير طبلخاناة، ثم بقى مُقدم ألف، ثم تولى نيابة طرابُلس، ثم مُسك وحُبس بسجن المرقب مُدّه، ثم أطلق وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق، ثم قبض عليه الأمير جقمق الأرغون شاوي نائب الشام بعد موت المؤيد شيخ وسجنه، ثم أطلقهُ الأمير ططر لما كان بدمشق؛ فلما تسلطن ططر أحضره صُحبته من دمشق إلى الديار المصرية، فاستقر به دوادار كبير عُوضًا عن الأمير عليّ باي المؤيدي، ثم استمر على ذلك إلى أنْ مات ططر؛ فوقع بينه وبين الأتابكي جاني بك الصُوفي في دولة الملك الصالح محمد بن ططر فقبض على جاني بك الصُوفي، وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية، فعند ذلك تعصبوا لهُ الأمراء، وخلعوا الملك الصالح محمد بن ططر من السلطنة، وسلطنوا برسباي وهو دوادار كبير، ولمْ يكن أتابك العساكر.

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ٨١/٢- ١٩٠؛ جواهر السلوك ٣٢٢- ٣٢٥.

(٢) في جواهر السلوك ٣٢٢: "الأطناق".

فتسلطن في يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة، فلبس خلعة السلطنة، وحمل القبة والطير على رأسه، وجلس على سرير الملك، وباسوا لهُ الأمراء الأرض، وتلقب بالملك الأشرف، ونُودي باسمه في مصر والقاهرة، وضج الناس لهُ بالدعاء، ودُقت له بالبشاير ثلاثة أيام.

فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب، وأخلع على من يُذكر من الأمراء، وهم: الأتابكي بيبُغَا[1] المظفري، واستقر به أتابك العساكر على عادته؛ وأخلع على المقر السيفي قجقار[2] واستقر به أمير سلاح على عادته؛ وأخلع على أقبُغَا التمرازي واستقر به [١٩٣/أ] أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي سُودُون من عبد الرحمن واستقر به دوادار كبير؛ وأخلع على الأمير قصروه من عثمان واستقر به أمير خُور كبير؛ وأخلع على المقر السيفي جقمق العلائي واستقر به حاجب الحجاب؛ وأخلع على المقر السيفي أزبك المحمدي واستقر به رأس نوبة النُوب؛ وأخلع على المقر السيفي تاني بك البُجاسي واستقر بهِ نائب الشام.

وأخلع على مملوكه جاني بك واستقر بهِ دوادار ثاني، أمير طبلخاناة، فعظم أمر جاني بك المذكور في دولة أستاذه الملك الأشرف إلى الغاية، وهو صاحب المدرسة التي بالقرب من المنجبيّة، وله برٌ ومعروفٌ، وأوقاف كثيرة على جهات البر والصدقات، وكان لهُ كلمة نافذة في دولة أستاذه، وصار صاحب الحلّ والعقد، وكان لهُ حُرمة وافرة أقوى من أمير كبير بمصر، حتى قيل: أنه نفى الأتابكي بيبُغَا المظفري لدمياط من غير علم السُلطان، ومشى له السلطان ذلك، ولم يزل جاني بك على ذلك حتى تخيَّلَ منهُ الملك الأشرف بُرسباي، فقيل: أنه أشغلهُ، فاستمر ملازم الفراش مُدّة، وسلسل في المرض حتى مات في أثناء دولة أستاذه الملك الأشرف.

ثم أخلع على الأمير ناصر الدين التاج واستقر به والي القاهرة، وكان لطيف المزاج، يمزح معهُ الملك الأشرف، وينشرحُ به؛ فهذا ما كان منْ ترتيب الأمراء أرباب الوظائف في صدر دولته، ثم انتقلت من بعد ذلك الوظائف إلى جماعة كثيرة من الأمراء، وأنعم في أيامه بتقادم ألوُف على جماعة كثيرة من الأمراء، لم نذكرهم في هذا المختصر.

---

[1] في جواهر السلوك ٣٢٢: "يلبغا".
[2] في بدائع الزهور ٨٢/٢: "قجق"؛ وفي جواهر السلوك ٣٢٢: "قجمق".

وفي أيَامِهِ: أخلع على المقر الزيني عبد الباسط واستقر به ناظر الجيوش المنصورة، مع ما بيده من الوظائف السنية، وقد رقى القاضي عبد الباسط في دولة الملك الأشرف برسباي، وصار صحب الحلّ والعقد في أيامه، حتى [١٩٣/ب] قد أطلق عليه عظيم الدولة، وصار مملوكه جاني بك أستادار العالية، واستمر القاضي عبد الباسط نافذ الكلمة، وافر الحُرمة إلى أن مات الملك الأشرف وهو على ذلك.

وَمن الحوَادثِ أن في سنة ست وعشرين وثمانمائة: أوفى النيل المبارك في ثامن عشر أبيب[١] من الشهور القبطية، وهذا لم يُسمع بمثله فيما تقدم من السنين الماضية، وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

لمَا وَفَا النيل المُبارك عَاجلًا[٢] عَمَّ البلاد وللرَّوَابي[٣] طفّفَا[٤]
نشرُوا[٥] القُلوع وبشروا بوفائه فالراية البيضاء عليه بالوَفَا[٦]

وَمنْ الحوَادثِ في أيَامِهِ: أن الأتابكي جاني بك الصُوفي هرب من السجن بثغر الإسكندرية، وجرى بسببه على الناس ما لا خير فيه، وصاروا يكبسون البيوت والحارات عليه، ثم إنهُ ظهر في بلاد الشرق، وأقام مُدّة عند بعض أمراء التُركمان، ثم بعد ذلك قطعوا رأسه، وأرسلوها إلى القاهرة، فطافوا بها وعلقوها على باب زويلة.

وَمنْ الحوَادثِ في أيَامِهِ: أنه أرسل تجريدة إلى بلاد الفرنج بمدينة قُبرس، فأعطاه الله تعالى النصر، ففتحها وأسر ملكها، وجيء بهِ إلى القاهرة أسيرًا، وكان يوم دخول العسكر إلى القاهرة يومًا مشهودًا، وزُينت سبعة أيام، ودخلوا بالفرنج وهم في زناجير، وملكهم راكب وعليه آلة الحرب، وكان ذلك في سنة تسع وعشرين وثمانمائة.

---

(١) خبر وفاء النيل في أحداث سنة ٨٢٦هـ أنه حدث في سادس مسرى (انظر: بدائع الزهور ٨٧/٢)؛ أما في أحداث سنة ٨٢٥هـ أنه حدث في تاسع عشرين أبيب (انظر: بدائع الزهور ٨٣/٢)؛ وفي الحالتين الخبر غير مطابق لما ورد هنا.
(٢) في جواهر السلوك ٢٣٢: "لما وفا بابيب عاجل نيلنا"
(٣) في جواهر السلوك ٢٣٢: "وللرواني".
(٤) في جواهر السلوك ٢٣٢: "طفقا".
(٥) في جواهر السلوك ٢٣٢: "تسروا".
(٦) لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

ثم إنْ الملك الأشرف سجن ملك الفرنج، وعلق خُوذته[1] في باب مدرسته التي أنشأها عند سوق الوَّراقين، وهي إلى الآن مُعلقه في بَوَّابة المدرسة.

وَمنْ الحوَادثِ في أيَامِهِ أن في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة: جاء في مصر فناء عظيم، حتى قيل: كان يخرج من القاهرة في كل يوم نحو [أربعة و][2] عشرين ألف جنازة، فضج الناس من ذلك، فرفعهُ [١٩٤/أ] الله تعالي عن الناس بالكلية في ليلة واحدة.

[3]**وَمنْ الحوَادثِ في أيَامِهِ:** أنه جرد العساكر، وخرج بنفسه إلى نحو مدينة آمد، بسبب قرايلك، فخرج الأشرف برسباي من القاهرة في موكب عظيم، فكان في طلبه مائتا جنيب بالسروج المُغرق، والبركستوانات[4] الملونة، وفيهم خمسون فرسًا بكنابيش ذهب وسروج ذهب.

وكان صُحبتهُ الخليفة المُعتضد بالله داوود والقضاة الأربعة، فلما وصل إلى مدينة آمد فحاصر قلعتها مُدّة، فلم يقدر على أخذها، وتقلب عليه العسكر هناك، فخشي أن تقوم هناك فتنة، فمشوا بينه وبين قرايلك بالصُلح، فأصطلحا وحلفوا قرايلك أنه لا يتعدى إلى بلاد السُلطان.

ثم إن الملك الأشرف قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، وكان ذلك في سنة ست وثلاثين وثمانمائة، فلما عاد ودخل إلى القاهرة كان له يوم مشهود، وحملتْ القبة والطير على رأسه إلى أن طلع إلى قلعة الجبل.

ثم صفا الوقت من بعد ذلك إلى الملك الأشرف، وبالغ في مشترى المماليك، حتى قيل: "بلغتْ عدّة مماليكه خمسة آلاف مملوك"، وكان الملك الأشرف كثير الرمَايَات، ويحب المواكب الجليلة، واستمر على ذلك، إلى أن **دخلت سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، فيها:** هجم الوباء بالديار المصرية، ومات فيه من المماليك والعبيد والأطفال ما لا يحصى عددهم.

---

(1) في الأصل "خُودته".

(2) جاءت كلمة بخط المؤلف تحت كلمة عشرين، وتم إضافتها لما ورد في بدائع الزهور ١٣١/٢ وجواهر السلوك ٣٢٤: "أربعة وعشرين ألف".

(3) جاءت حاشية بخط المؤلف، ولم يشر لموضعها داخل النص: " وَمنْ الحوَادثِ في أيَامِهِ أن في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة: كسفت الشمس في وقت العصر حتى ظهرت النجوم بالنهار". الخبر ورد في بدائع الزهور بوقع كسوف الشمس في الأندلس. (انظر: بدائع الزهور ١٣٨/٢).

(4) غاشية الحصان المزركشة. (صبح الأعشى ٥٨/٤، ٦٢).

ثم إن السُلطان مرض عقيب ذلك، وسلسل في المرض وحصل لهُ ماخُولية وخفتْ عقل، فمنها أنهُ رسم بتوسيط الحُكماء، فوسّط الريس خضر، وَوَسّط ابن العفيف؛ ومنها أنهُ رَسَم بنفى الكلاب إلى برّ الجيزة، فجمعوا منهم عدّة كلاب ونفوهم إلى برِّ الجيزة؛ ومنها أنه رَسَم بأن [١٩٤/ب] الفلاح لا يَلبس زَمطًا[١] ونُودي بذلك في القاهرة؛ ومنها أنهُ رَسَم بأن المرأة لا تخرج من بيتها، ولا تمشي خلف جنازة، فكانت الغَاسلة إذا خرجت للموتى تأخذ من المُحتسب وَرقة وتجعلها في رأسها[٢].

واستمر الأشرف في هذه الخُرافَات إلى أنْ مَاتَ في يوم السبت بعد العصر، ودُفن في يوم الأحد[٣] ثالث عشر ذي الحجة من أواخر سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، ودُفن في تُربته التي بالقرب من البرقُوقية التي في الصحراء، وكثر عليه الأسف، وَالحزن من الناس، فكان كما قيل:

وَالمـرءُ كالظـلِ وَلابُـد أنْ يَـزُولُ ذَاكَ الظّـلُ بَعـدَ أمتـدَادْ[٤]

فكانت مُدّة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام.

وكان ملكًا جليلًا مُعظمًا، مُبجلًا في مَوكبهِ، وكانت الدُنَيا في أيامه هَادية من الفتن وَالحروب التي كانت قائمة بالديار المصرية بين الأمراء.

وكانت صفته طويل القامة، صبيح الوجه، أبيض اللون، شايب اللحية، عربي الوجة، مُهابًا عليه وقار وسكينة، وكان عنده لين جانب للرعية، وكان محبًا لجمع الأموال، مُنقادًا إلى الشريعة، ويحب أهل العلم والفقهاء.

ومما أنشأه في أيامه من العمائر: وهي: المدرسة التي بالقرب من سوق الوَّراقين، والمدرسة التي في الصحراء، والمدرسة التي في سرياقوس، والوكالة التي في الصَليبة، والربُوع، وله بالديار المصرية أثارٌ كثيرة، وأوقاف كثيرة على جهات برّ وصدقة.

---

[١] الخاتم من الخنصر. (تكملة المعاجم العربية ٣٥٨/٥)؛ وفي بدائع الزهور ١٨٦/٢ وجواهر السلوك ٣٢٤: "زنطا".

[٢] خبر الغاسلة جاء مختصرًا في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ١٨٦/٢).

[٣] في بدائع الزهور ١٨٨/٢: "السبت"، وقد أخبر أنه مات يوم السبت وخرج في اليوم التالي إذ الصحيح يوم الأحد.

[٤] البيت لابن النبيه. (انظر: نفح الأزهار في منتخبات الأشعار ١٠٥).

ومن معروفهِ ما صنعهُ بالإسكندرية، وهو أنه أمر بحفر فُم خليج الإسكندرية، وكان قد طمَّ بالرمَال، فندب[1] لحفره المقر السيفي جرباش الكريمي المعروف بقاشق، فتوجه إلى ثغر مدينة الإسكندرية، وجمع ما قدر عليه من الرجال، فكان عدتهم ثمانمائة إنسان غير الصغار، وابتدأ في حفره في حَادي عشر جُمادى [١٩٥/أ] الأول سنة ست وعشرين وثمانمائة[2]، فانتهى العمل منه في تسعين يومًا، وجرى الماء فيه، وفرح الناس بذلك.

وكان الملك الأشرف برسباي خيار ملوك الترك من الجراكسة، ولما مات عهد إلى ولده الملك العزيز يوسف؛ وقد خلف من الأولاد: الملك العزيز يوسف، وأخيه سيدي أحمد.

وقد انتهتْ أخبار دولة الملك الأشرف برسباي وذلك على سبيل الاختصار منها.

وأما من توفي في أيامه من أعيان القضاة والعُلماء، وهم: قاضي القضاة علائي الدين ابن مُغلي الحنبلي[3]، وقاضي القضاة التفهني الحنفي[4]، وقاضي القضاة الهروي[5]، والشيخ صلاح الدين الأقفهسي[6]، وابن النقاش من كبار علماء الشافعية[7]، والشيخ تقي الدين الحصني شارح أبو شجاع[8]، والشيخ بدر

---

[1] في الأصل "فنذب".
[2] في بدائع الزهور ١٧٤/٢: الخبر في أحداث جمادى الآخرة سنة ٨٤٠هـ.
[3] في جواهر السلوك ٣٢٥: "الحنفي"، والصحيح ما ورد هنا وفي بدائع الزهور؛ وهو عليّ بن محمود بن أبي بكر مغلي السليماني الحموي، قاضي قضاة الحنابلة، ت: ٨٢٨هـ. (انظر: بدائع الزهور ٩٦/٢).
[4] وهو زين الدين عبد الرحمن بن عليّ التفهني، قاضي قضاة الحنفية، ت: ٨٣٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٤٢/٢).
[5] وهو شمس الدين محمد الهروي الشافعي، قاضي قضاة الشافعية، ت: ٨٢٩هـ. (انظر: بدائع الزهور ١١٠/٢).
[6] وهو جمال الدين الأقفهسي، قاضي قضاة المالكية، ت: ٨٢٣ه؛ ذكره ابن إياس في بدائع الزهور في أحداث سلطنة المؤيد شيخ سنة ٨٢٣هـ. (انظر: بدائع الزهور ٥٢/٢).
[7] وهو عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عَليّ. خطيب جامع ابن طولون، ت: ٨١٩هـ؛ ذكره ابن إياس في بدائع الزهور في أحداث سنة ٨١٩هـ في سلطنة المؤيد شيخ. (انظر: بدائع الزهور ٢٩/٢).
[8] وهو أَبُو بكر بن مُحَمَّد بن عبد الْمُؤمن، ت: ٨٢٩هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٠٦/٢؛ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، ٧٦/٤).

الدين ابن الدماميني المالكي[1]، والشيخ شهاب الدين المقريزي المؤرخ[2]، والشيخ زين الدين ابن الخراط صاحب النظم اللطيف[3]، وغير هؤلاء جماعة كثيرة من أعيان العلماء والصُلحاء وغير ذلك من أعيان الناس.

---

(1) وهو بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر، ت: ٨٢٨هـ بالهند. (انظر: بدائع الزهور ٩٨/٢- ٩٩).

(2) وهو أحمد بن عليّ بن عبد القادر، ت: ٨٤٥هـ؛ وقد ورد ذكره في أحداث سنة ٨٤٥هـ في سلطنة الظاهر جقمق. (انظر: ٢٣١/٢- ٢٣٢).

(3) وهو زين الدّين عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن عبد الله الْمَعْرُوف بِابْن الْخَرَّاط المروزي، ت: ٨٤٠هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٧٠/٢).

ذكر

سلطنة الملك العزيز أبي المحاسن جمال الدين يوسف ابن الملك الأشرف برسباي الظاهري(1)

وهو الثالث والثلاثون من مُلوك الترك وأولادهم، وهو التاسع من مُلوك الجرَاكسة وأولادهم بالديار المصرية؛ تسلطن بعد موت أبيه الملك الأشرف برسباي، في يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، فتسلطن ولهُ من العمر أربع عشرة سنة، وأمهُ أم ولد جركسية تُسمى جُلبَان.

فلما تسلطن وجلس على سرير الملك، استقر بالمقر السيفي جقمق العلائي أتابك العسَاكر ونظام المملكة على عَادتِهِ، فاستمر على ذلك مُدّة يسيرة.

ثم إن جماعة من الأمراء والمماليك الأشرفية صاروا يعارضون الأتابكي [١٩٥/ب] جقمق في الأمور، فوقع الخُلف بينه وبين الأشرفية فقصدوا قتلهُ مرَات عَديدة، ثم إن جماعة من المؤيدية والناصرية والسيفية تعصبوا للأتابكي جقمق، فقويت شوكته، ووثب على الملك العزيز يوسف، واتقع مع الأشرفية وقعة قوية، فانكسروا الأشرفية وانتصر الأتابكي جقمق عليهم، بعد أمور يطول شرحها عن هذا المختصر، وأخر الأمر أن الملك العزيز خلع من السلطنة، وتولى الأتابكي جقمق، وذلك يوم الأربعاء تاسع(2) عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة.

فكانت مُدّة سلطنة الملك العزيز يوسف ابن برسباي بالديار المصرية ثلاثة أشهر وستة(3) أيام، فكانت سلطنته ليس له فيها إلا مجرد الاسم فقط؛ لأجل كتب العلامة، والأمر كله للأتابكي جقمق.

---

(1) أخباره في: بدائع الزهور ١٩٠/٢- ١٩٨؛ جواهر السلوك ٣٢٥- ٣٢٦.

(2) في بدائع الزهور ١٩٧/٢: "سابع".

(3) في بدائع الزهور ١٩٨/٢: "خمسة".

ولما خُلع الملك العزيز من السلطنة، استمر مُقيمًا بالقلعة، وسكن في قاعة البربرية من داخل دُور الحرم، وكان قصد الملك الظاهر جقمق أن يُزوج الملك العزيز ويَصير مُقيمًا بالقلعة، ولا يرسلهُ إلى السجن بثغر الإسكندرية؛ فما صبر الملك العزيز، ولعب به جماعة من الأشرفية من مماليك أبيه، فحسنوا لهُ الهروب، فهرب من القلعة، ونزل بعد المغرب في هيئة صبي الطباخ وعليه ثياب رثة، وكان ذلك في أوائل رمضان.

فلما نزل من القلعة وأشيع ذلك، فأصبح الناس في شعلة نار، وصار الوالي يكبس البيوت بسببه والحَارَات، وحَصل للناس مشقة عظيمة بسبب ذلك، واستمر الحال على ذلك مُدّة أيام، ثم إن الملك العزيز ضاق عليه الأمر وبقي مُتحيرًا لا يدري أين يروح، فأتى إلى بعض الأمراء تحت الليل فقبض عليه، وطلع به إلى القلعة، فدُقت الكوسات لذلك، وسكن الأمر، ولو صبر الملك العزيز لكانَ خيرًا له، "وكم من عجلةٍ أعقبتْ ندامة" ، فكان كما قالَ القائلُ في المعنى: [١٩٦/أ]

قدْ يُدركُ المتأني جُلّ مقصَده[(١)] وقد يكون مع المستعجل الزللُ[(٢)]

فلما طلع الملك العزيز إلى القلعة قُيد، وأرسل إلى السجن بثغر الإسكندرية[(٣)]، وَقد قالَ القائلُ في المعنى:

ولمْ يدخلوه السجن إلا مخافة من الناس أنْ يُبدى لهم دولة الحسن
فقالوا له شاركت في الحسن يوسفا فشاركه أيضًا في الدخول إلى السجن[(٤)]

فاستمر بثغر الإسكندرية إلى دولة الأشرف أينال، فرسم بإخراجه من السجن، وأن يسكن في بعض دُور الإسكندرية، ورَسَمَ له بأنْ يركب إلى الجامع في صلاة الجمعة وغير ذلك، واستمر الملك العزيز في الإسكندرية إلى أنْ مَاتَ بهَا في دولة الملك الظاهر خشقدم، ثم نُقل من بعد ذلك ودفن على أبيه، وتوفي بعده أخوه الصغير الذي كان مُقيمًا بالقاهرة عند الأمير قُرقماس الجلب، وكان قدْ تزوج ورزق الأولاد، ومَاتَ في دولة الظاهر خشقدم أيضًا.

انتهت أخبار دولة الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي، وذلك على سبيل الاختصار.

---

(١) في جواهر السلوك ٣٢٦: "حاجته".
(٢) لم يرد في بدائع الزهور.
(٣) ورد الخبر في أحداث سلطنة جقمق. (انظر: بدائع الزهور ٢/٢٠٩- ٢١٤).
(٤) لم يرد في بدائع الزهور.

ذكر

سلطنة الملك الظاهر سيف الدين

أبي سعيد محمد جقمق العلائي الظاهري[1]

وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم، وهو العاشر من ملوك الجرَاكسة وأولادهم بالديار المصرية؛ تسلطن بعد خلع الملك العزيز يوسف بن برسباي، في يوم الأربعاء تاسع[2] عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة.

وكان أصله جركسي الجنس، جلبهُ الخواجا كُزل، فاشتراهُ منهُ العلائي عليّ ابن الأتابكي أينال اليُوسفي، ثم انتقل إلى الملك الظاهر برقوق، وصار من جُملة المماليك السُلطانية، ثم بقى أمير عشرة، ثم مُسك وحُبس، [١٩٦/ب] ثم أطلق وصار أمير أربعين خَازندار في دولة الملك المؤيد شيخ، ثم بقى أمير (مائة)[3] مُقدم ألف في دولة الملك الظاهر ططر، ثم بقى حَاجب الحُجاب في دولة الملك الأشرف برسباي، ثم بقى أمير أخور كبير، ثم بقى أمير سلاح في أثناء دَولة الأشرف برسباي، ثم بقى من بعد ذلك أتابك العساكر في أثناء دولة الأشرف برسباي، فلما مَاتَ الملك الأشرف وتسلطن ابنه الملك العزيز يُوسف ثم خلع من السلطنة، فتسلطن الأتابكي جقمق كما تقدم ذلك.

فلما تم أمر الملك الظاهر جقمق في السلطنة أخلع على من يذكر من الأمراء، وهُم: المقر السيفي قرقماس الشعباني فاستقر به أتابك العساكر عُوضًا عن نفسه؛ وأخلع على المقر السيفي أقبُغَا التمرازي واستقر به أمير سلاح عُوضًا عن الأتابكي قُرقماس الشعباني؛ وأخلع على المقر السيفي يشبك السُودوني[4] واستقر أمير مجلس عُوضًا عن أقبغا التمرازي؛ وأخلع على المقر

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ١٩٨/٢- ٣٠٠؛ جواهر السلوك ٣٢٧- ٣٣٢.
[2] في بدائع الزهور ١٩٧/٢: "سابع".
[3] كذا في الأصل، والصحيح أنها زيادة.
[4] في بدائع الزهور ٢٠٠/٢: "المشدّ".

السيفي تمراز القرمشي واستقر به أمير أخور كبير عُوضًا عن الأمير جانم الأشرفي؛ وأخلع على المقر السيفي قراقجا الحسني واستقر به رأس نوب النوب عُوضًا عن تمراز القرمشي؛ وأخلع على المقر السيفي تغري بردي البكلمشي الشهير بالمُودي واستقر به حاجب الحُجاب عُوضًا عن يشبك السُودُوني؛ واستقر بالمقر السيفي أركماس الظاهري دوادار كبير على عادتهِ كما كان في دولة الأشرف برسباي، فهذا كان ترتيب الأمراء أرباب الوظائف في مُبتدأ دولته، ثم انتقلت الوظائف من بعد ذلك إلى جماعة كثيرة من الأمراء في أيامه.

وأنعم في أيامه بتقادم ألوف على جماعة كثيرة من الأمراء المؤيدية والظاهرية والناصرية، وأنعم بأمريات طبلخانات، وأمريات عشراوات على جماعة كثيرة من الأمراء في أيامه، وفرق الإقطاعات على المماليك [١٩٧/أ] السُلطانية، وأرضى العسكر بكلِّ ما يُمكن من ذلك، وأنفق على العسكر على جارى العادة نفقة كاملة لجميع المماليك السُلطانية، ومنْ له عادة بذلك.

ثم بعد أنْ تسلطن الملك الظاهر بمُدّة يسيرة حضر الأمراء والعسكر الذين كانوا في التجريدة نحو البلاد الشامية، فلما دخلوا إلى القاهرة أقاموا أيامًا، ثم وثب الأتابكي قُرقماس الشعباني على السُلطان، وطلع إلى الرملة فنزل السُلطان إلى المقعد المُطل على سُوق الخيل، ودقت الكوسات حربي، واتقع العسكر هم والأتابكي قُرقماس، فلم يكن إلا ساعة وقدْ كُسر الأتابكي قُرقماس وهرب، وكان أكثر الأمراء والعسكر مع السُلطان الملك الظاهر.

فلما أن هرب الأتابكي قُرقماس انفصل ذلك الجمع، واستمر الأتابكي قُرقماس مُختفى أيامًا، ثم أرسل يطلب من السُلطان الأمان، فلما ظهر وطلع إلى القلعة، فقُيد وأرسل إلى السجن بثغر الإسكندرية، فأقام بالسجن مُدّة يسيرة؛ ثم إنَ السُلطان قد أثبت على الأتابكي قُرقماس أشياء تُوجب الكفر، وحكم بذلك بعض القُضاة المالكية، فأرسل السُلطان إليه منْ ضرب عُنقه وهو في السجن.

ثم إن السُلطان لما نفى الأتابكي قُرقماس أخلع على المقر السيفي أقبُغَا التمرازي واستقر به أتابك العساكر عُوضًا عن قُرفماس الشعباني واستقر به أيضًا نائب السلطنة، وصار يحكم بين الناس، وهو آخر منْ تولى نيابة السلطنة بالديار المصرية، وكانت هذه وظيفة قديمة، ثم بطلتْ، وكان نائب السلطنة قديمًا يحكم بين الناس، ويخرج الإقطاعات بالمناشير الذي من دون الثلاثين ألف إلى أقل من ذلك.

ثم جاءت الأخبار في أوائل دولته بأن نائب الشام أينال الجكمي خرج عن الطاعة، وأظهر العصيان، وكذلك نائب حلب تغري برمش، فرَسمَ [١٩٧/ب] بإخراج تجريدة، فجرّد إليهم جماعة من الأمراء؛ ثم إن السُلطان أخلع على الأتابكي أقبغا التمرازي واستقر به نائب الشام عُوضًا عن أينال الجكمي، وأخلع على المقر السيفي يشبك السُودُوني واستقر به أتابك العساكر عُوضًا عنْ أقبغا التمرازي، فلما أنْ توجه العسكر إلى النُواب حَاربوهم وانتصروا عليهم، وقتلوا منهم جَماعة، واحضروا رؤوسهم إلى القاهرة.

وكان الملك الظاهر جقمق في أوائل سلطنته اضطربت أحواله إلى الغاية، منها وثُب[1] الأتابكي قُرقماس الشعباني عليه، ومنها هروب الملك العزيز يُوسف بن الأشرف برسباي، ومنها عصيان النُواب عليه، ثم انصلحتْ من بعد ذلك أحواله وصفت أوقاته، وطالت في السلطنة أيامه، وعاش في أرغد عيش إلى أن مَاتَ على فراشه، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه، فلما طابت أوقاته وصفا عيشهُ، كما قيل في المعنى:

لا تسأل الدهر في بأساء[2] يكشفها ... فلو أردت[3] دوام البُوس لمْ يَدُمِ[4]

ثم أخذ في أسباب أمور دولته، فعزل قاضي القضاة الشافعي شهاب الدين ابن حجر واستقر بالقاضي علم الدين صالح البلقيني، فأقام مُدّة، ثم عزلهُ، ثم أعيد ابن حجر، ثم عزلهُ، ثم استقر بالقاضي شمس الدين القاباتي قاضي قضاة الشافعية عُوضًا عنْ ابن حجر، فأنشد شهاب الدين ابن حجر، وهو يقول:

يا أيها السُلطان لا تستمع ... في أمر قاضيك كلام الوشاة
والله لمْ تسمعْ[5] بأنِ أمرء ... أهدى لهُ قطّ وَلا قدْ رشاة[6]

ولما تولى قاضي القضاة شمس الدين القاياتي، أنشد فيه الشهاب المنصُوري الهايم[7] هذه المُداعبة تعصبًا لابن حجر، وهو قوله:

---

[1] في الأصل "وثوب".
[2] في النجوم الزاهرة ٣٤٥/٧: "البأساء".
[3] في النجوم الزاهرة ٣٤٥/٧: "سألت".
[4] بحر البسيط؛ والبيت لشمس الدين أبو عبد الله محمد الحمصي. (انظر: النجوم الزاهرة ٣٤٥/٧)؛ ولم يرد في بدائع الزهور.
[5] في بدائع الزهور ٢٠٣/٢: "نسمع".
[6] بحر السريع؛ والبيتان لابن حجر. (انظر: خزانة الأدب ٤٠٥ هامش ١٤، وأنس الحجر ٣٥٩)؛ وفي بدائع الزهور ٢٠٣/٢: "قدر شاة".
[7] في بدائع الزهور ٢٤٩/٢: أورد ابن إياس البيتين دون توضيح قائلهم واكتفى بذكر أنهم لـ "شهاب الدين".

إن كان شمس الدين قاياتيكم مُسْتثقل الحركات والسكناتِ
لا غرو إن أضحي جُباناً في الورى فالجُبن منسُوبٌ إلى القَايَاتِ[1]

ومن الحوَادثِ: أن شخصًا أعجميًا يُسمى الشيخ نظام الدين، وكان يدعى أنه شريف، فأوحى إلى السُلطان أنه يعرفُ علم الكيمياء [١٩٨/أ] فاجرى عليه السُلطان بسبب ذلك جُملة مال، ولم تصح معه الكيميا[2]، فأرسله السُلطان إلى الشرع، فحكم فيه القاضي الديسطي[3] المالكي بما يوجب قتله بالشرع الشريف، فأتوا به إلى تحت شباك المدرسة الصالحية فضربوا عُنقهُ هُناك، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة.

ومن الحوَادثِ في هذه السنة: أن النيل توقف عن ليالي الوفاء على ثلاثة أصابع، وقيل: أربعة أصابع، وأقام مُدّة أيام لم يزد شيئًا، فرسمَ السُلطان بأن يخرج الناس إلى الاستسقاء، فخرج الناس قاطبة، وتوجهوا إلى الصحراء تحت الجبل الأحمر، فخرج القضاة، ومشايخ العُلماء، ومشايخ الصُوفية، والزُهاد، وحضر أمير المؤمنين المُستكفي بالله سُليمان، وأعيان الناس، ولمْ ينزل السُلطان الملك الظاهر من القلعة، فعزّ ذلك على الناس؛ وقدْ تقدم أن الملك المؤيد شيخ نزل في أيامهِ إلى الاستسقاء، ولبس جُبة صُوف أبيض[4]، وعلى رأسه ميزر صُوف أبيض.

فلم يُوافق الملك الظاهر جقمق على النزول من القلعة إلى الاستسقاء، ثم أحضروا أطفال الكتاتيب، وَمعهم المصاحف، وطائفة اليهود ومعهم التوراة، وطائفة النصارى ومعهم الإنجيل، وخرجوا ببعض أبقار وأغنام، وأطفال رُضع، وخرج معهم السَواد الأعظم من العوام وغيرهم، وكان يومئذ قاضي القُضاة الشافعي القاضي شرف الدين يحيى المناوي، فأحضروا له هُناك منبرًا فصعد عليه، وخطبَ خُطبة الاستسقاء، كما جرت به العادة، فلما أراد أنْ يُحول رداءه وهو في الخُطبةِ، كما جرتْ به العَادة في خُطبةِ الاستسقاء، فسقط الرداء إلى الأرض، فتطير الناس من ذلك.

---

[1] بحر الكامل.
[2] كذا في الأصل.
[3] في بدائع الزهور ٢٧١/٢: "بدر الدين التنسي".
[4] في بدائع الزهور ٢٨٢/٢: "سوداء".

ومن النكت اللطيفة: قيل: أن بعض العُلماء خرجَ ليستسقي بالناس في بعض البلاد[1]، وكان بالسماء بعض سحاب وقت خُروجه، فلما خرج ودعا للناس ورفع يديه بالدُعَاءِ، فأصحت السماء وتقطع ذلك السحَاب [١٩٨/ب] واشتدَّ حرّ الشمس، فخجل ذلك العَالم الصَالح من النـاسِ، فأنشد في هذه الواقعة بعض الشعراء[2]:

خرجنا لنستسقى بفضل دعائه ... وقد كاد سحب الغيم أن يلحق الأرضا
فلما بدا يدعو تكشفت السما ... فما تم إلا والسحاب قد انفضا[3]

فلما نزل قاضي القضاة يحيى المناوي من على المنبر، وَرجعتْ الناس من الاستسقاء، طلع ابن أبي الرداد ونادى بزيادة أصبع؛ وقيل: لم يكن لهذا الزيادة صحة، ثم إن النيل نقص عن ذلك أصبعين، فرسمَ السُلطان بكسر السدّ من غير وفاء، فلم يجر الماء إلا قليلًا، ودخل غالبه إلى بركة الفيل من عند البحمُون، ثم نزل البحر من بعد ذلك ولم يزد شيئًا.

فعند ذلك حصل للناس الضرر الشامل، وشرّقت البلاد، وتشحطتْ الغلال، وتزايد سعر القمح والشعير والفول وسائر الحبُوبَات، وصار السعر في كل يوم يتزايد حتى بلغ كلّ أردب قمح أربعة أشرفية ثم تناهى من بعد ذلك إلى ستة أشرفية وسبعة أشرفية كلّ أردب، وعم هذا الغلاء سائر البلاد، ومَاتَ فيه أكثر البهائم والأشجار، وغلاء سعر كلّ شيء، وجاء عقيب ذلك فناء عظيم، وَمَاتَ فيه جماعة كثيرة من الناس، واستمر هذا الغلاء من سنة ثلاث وخمسين إلى سنة أربع وخمسين وثمانمائة.

وفي هذه التشويطة صار الأمراء ينقلون مغلهم من الشون إلى بيوتهم، وحولهم المماليك بالسلاح خوفًا من العوام أن ينهبونه، ثم إن العوام رجموا القاضي زين الدين أبو الخير بن النحاس وكيل بيت المال، قيل: أنه قال: "العوام يأكلون بدرهم حشيش ويأكلون فوقه بأربعة أنصاف حَلوى، فيأكلوا بأربعة أنصاف خُبز ويتركوا أكل الحشيش والحلوى"، فرجموه وهو نازل من القلعة، وخطفوا شاشهُ من على رأسهِ، ورجموا العلائي علي [١٩٩/أ] بن الفيسي مُحتسب القَاهرة، وصار بعض العوام يخطفون الخُبز من على الدكاكين.

---

(1) في بدائع الزهور ٢٨٣/٢: "بغداد".
(2) في بدائع الزهور: ٢٨٣/٢: البيتان لدعبل الخزاعي.
(3) بحر الطويل.

وقد رثا بعض الشعراء الخُبز فقَالَ:

قسمًا بلوح الخبز عند خروجه ... من فرنه وله الغداة فوار
ورغائف منه تروقك وهى فى ... سحب الثقال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمر الـ ... ـخدّين للشونيز[1] فيه عذار
كالفضّة البيضاء لكن يغتدى ... ذهبا إذا قويت عليه النار
تلقى عليه في الخوان جلاله ... لا تستطيع تحدّه[2] الأبصار
فكأن باطنه بكفك درهم[3] ... وكأن ظاهر لونه دينار
ما كان أجهلنا بواجب حقه ... لو لم تبينه لنا الأسعار
إنْ دَامَ هذا السعر فاعلم أنه ... لا حبة تبقى ولا بقيار[4]

وفي أيامه: توفي المقر الزيني عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة، وكانت وفاته في سادس شوال سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة[5]، وكان السُلطان الملك الظاهر جقمق قبض عليه في أوائل دَوَلتهِ، وصادره واستصفى أمواله، ونفاه إلى مكة، ثم نقله إلى الشام، ثم نقله إلى القدس، ثم أحضره إلى الديار المصرية، فأقام بها وهو بطال بغير وظيفة، وهو في غاية العزّ والعظمة إلى أنْ مَاتَ ودفن في تُربته، ولما مَاتَ تزوج الملك الظاهر ببنت القاضي عبد الباسط بعد موته[6]، وأقام معها إلى أنْ مَاتَ، وهي في عصمته.

وفي أيامهِ: توفي شيخ الإسلام شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، وكانت وفاته في سنة أربع وخمسين وثمانمائة[7]، وكان له مشهدٌ عظيم، ولما مَاتَ رثاهُ الشهاب المنصوري الهايم بهذه الأبيات، منها:

بكاك العلم حتى النحو أضحي ... مع التصريف بعدك في جدالِ
وقد أضحي البديع بلا بيانٍ ... وقدْ سفلتْ معانيه العوالِ
وقدْ درستْ دروس العلم حُزنًا ... وقدْ ضلَّ الجَوابُ عن السؤالِ

---

(1) في بدائع الزهور ٢٨٤/٢: "للشبو نير"؛ وفي جواهر السلوك ٣٣٠: "للشبونير".
(2) في بدائع الزهور ٢٨٤/٢ وجواهر السلوك ٣٣٠: "تجدّه".
(3) في الأصل "ذرهم".
(4) في بدائع الزهور ٢٨٤/٢ وجواهر السلوك ٣٣٠: "تمعيار"؛ و بقيار: كلمة فارسية، تعني العمامة الكبيرة التي يعتمرها الوزراء والقضاة والكُتَّاب. (تكملة المعاجم ١/ ٤٠٧)؛ بحر الكامل.
(5) في بدائع الزهور ٢٨٥/٢- ٢٨٦: ورد الخبر في أحداث سنة ٨٥٤هـ.
(6) خبر الزواج ورد في بدائع الزهور في أحداث ربيع الأول سنة ٨٥٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٨٩/٢).
(7) في بدائع الزهور ٢٦٨/٢- ٢٦٩: ورد الخبر في أحداث ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ وهذا هو الصحيح.

تنكـــرت المعـــارف فـــي عيـــاني وتمييزي غدا في سوء حالٍ [١٩٩/ب]
ومـــا عُوضـتُ مـــنْ بـدل وعطـفٍ ســـوى توكيـــد سُـــقمي واعـــتلالِ
وكـم جنــتَ المنـــونُ علـــى كـــرامٍ وجنـــد لـــت الكمـــيّ بـــلا قتـــال
يـــا قبـــرًا ثـــوى فيـــه تَهنـــى فقـــدْ حُـــزتَ الجميـــل مـــع الجمـــال
سَـــــقاهُ اللهُ عينًـــــا سلســـــبيلًا واســـبغ مَـــا عليـــه مـــن الظـــلال(1)

واستمر السُلطان الملك الظاهر جقمق على سرير مُلكه حتى حصل لهُ ضعفٌ في جسدهِ، فاستمر على ذلك مُدّة، ثم تزايد به المرض، ولزم الفراش، فعند ذلك طلب الخليفة والقضاة الأربعة، وخلع نفسه من الملك، وَعهد إلى وَلدهِ المقر الفخري عُثمان.

فلما كان ليلة الثلاثاء رَابع شهر صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة توفي السُلطان الملك الظاهر جقمق، ودُفنَ في تُربة الأمير جركس القاسمي المُصارع التي جددهَا الأمير قانباي الجركسي، وهي بالقرب من دار الضيافة، ومات الملك الظاهر جقمق ولهُ من العمر نحو ثمانين سنة(2).

فكانت مُدّة سلطنته بالديار المصرية أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ويومان، وعاش بعد خلعه من السلطنة اثنى عشر يومًا.

وكان ملكًا دينًا خيرًا كريمًا، مُتواضعًا، عندهُ حِلمْ ولين جانب، مُحبًا للعُلماء والصُلحاء ويقوم لهم إذا دخلوا عليه، وكان يحب الأيتام ويكتب لهم الجوامك، ولا يخرج إقطاع من لهُ ولدٌ ذكر، وكانت الدُنيا في أيامهِ هَادئة من الفتن والتجاريد، وكان يحسن إلى أكابر التُركمان ويعطيهم العطايا الجزيلة، فكانت بلاد الشرق في أيامهِ عراق.

وكان صفته غليظ الجسم، معتدل القامة، مُستدير اللحية، ذُري اللون، وكان يميل إلى النساء الحِسان، ولهُ عدّة سَراري، وكان عفيفًا عن الزنا واللواط، وكان فصيح اللسان بالعربية مُتفقهًا، ولهُ مسائل في الفقة عويصة.

وكان يقع منهُ في بعض الأحيان غلطات كثيرة، ونواقص عظيمة، وأخراق في حق العُلماء والفُقهاء، منها: أنهُ سجن قاضي القضاة ولي الدين [٢٠٠/أ]

---

(1) بحر الوافر؛ وقد أورد ابن إياس أبياتًا أخرى غير هذه الأبيات في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٢٦٩/٢- ٢٧٠).
(2) في بدائع الزهور ٢٢٩/٢: "ومات وله من العمر نحو من إحدى وثمانين سنة".

السفطي في المقشرة، وعزّر الشيخ شمس الدّين الكاتب في وسط المدرسة الصالحية، ونفى جماعة كثيرة من الأمراء في حظ نفس، وفعل من هذا النمط أشياء كثيرة، وكان غالب ذلك من الوسائط السوء، لأنهُ كانَ على قاعدة الترك وعندهُ الدعوى لمنْ سبق وكان عندهُ حدّة زائدة، وبادرة في الأمور، وفي الجُملة كانت محاسنهُ أكثر من مساويهِ، وكان خيار مُلوك الجراكسة كلها بالنسبة إلى غيره، كما قد قيل:

ومنْ ذَا الذي تُرضي سجاياهُ كُلهَا كفى المرءُ فَضلًا أنْ تُعدّ مَعَايُبُهْ[1]

وَلمَا مَاتَ خلفَ من الأولاد ثلاثة، وهُم: الملك المنصور عُثمان، وبنت منْ خوند بنت البارزي تزوجها الأتابكي أزبك، وَمَاتت وهي في عصمته، وبنت أُخرى تزوجها الأمير جَاني بك الظريف، وماتَ مَعهَا ثم تزوجهَا الأتابكي أزبك بعد موت أختهَا، وأقام معها إلى أنْ مَاتَ وهي في عصمته.

وَمَاتَ الملك الظاهر جقمق عن أربعةٍ من النساء، وهُم: خوند بنت الأمير جرباش قاشق أمير سلاح كان، وخوند بنت المقر الزيني عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة، وخوند بنت ابن عُثمان التُركمانية، وخوند الجركسية.

وأمَا أمرائه الأتابكية: فالأمير قُرقماس الشعباني أولًا، والمقر السيفي أقبُغا التمرازي، والمقر السيفي يشبك السُودُوني، والمقر السيفي أينال العلائي.

وأمَا دواداريتهِ: فالمقر السيفي أركماس الظاهري أولًا، ثم المقر السيفي تغري بردي البكلمشي الشهير بالمُودي[2]، ثم المقر السيفي أينال العلائي، ثم المقر السيفي قانباي الجركسي، ثم المقر السيفي دولاتباي المؤيدي.

وأمَا قضاته الشافية: فالقاضي شهاب الدين ابن حجر، والقاضي شمس الدين القايَاتي، والقاضي علم الدين صَالح البُلقيني، والقاضي وليّ الدّين السفطي، والقاضي شرف الدّين يحيى المنَاوي.

وأمَا قضاته الحنفية: فالقاضي سعد الدين سعد بن الدّيري.

وأمَا [٢٠٠/ب] قضاته المالكية: فالقاضي شمس الدين البسَاطي، وابن التنسي بدر الدين، والقاضي الأموي المالكي.

---

(١) بحر الطويل؛ البيت ليزيد بن محمد المهلّبي. (انظر: زهر الآداب ٥٥/١).

(٢) في جواهر السلوك ٣٣١: "المؤيدي".

وأمَا قضائه الحنابلة: فالقاضي مَحب الدّين العسقلاني أولًا، والقاضي بدر الدّين البَغدَادي، والقاضي عز الدّين الحنبلي.

وأمَا كُتاب سرّهِ فالقاضي كمال الدين محمد بن البارزي وكان الملك الظاهر جقمق مُتزوج بأخت القاضي كمال الدّين ابن البارزي أولًا.

وأمَا نظار جيشه: فالقاضي عبد الباسط أولًا، ثم القاضي مُحب الدّين ابن الأشقر، وولي أيضًا في أيامهِ كاتب السرّ بعد القَاضي كمال الدّين ابن البَارِزي.

وأمَا نُظار الخواص الشريفة: فالقاضي جمال الدين يُوسف بن كاتب جكم، وَتولى في أيَامه ناظر الجيوش المنصورة أيضًا، وتولى الوزارة أيضًا فأقام بهَا مُدّة يَسيرة ثم استعفى منهَا.

وأمَا وزراؤه: فالصاحب كريم الدّين ابن كاتب المنَاخَاتْ[1]، والصَاحب أمين الدين ابن الهيصم[2]، وغير هؤلاء جماعة.

وأمَا أسُتداريته: فالأمير عبد الرحمن بن الكُويز، والأمير زين الدين وَهو صَاحب الجامع الذي في بولاق، والجامع الذي في الحبَّانيّة، ولهُ عدّة مدارس بالديار المصرية، ورأى في أيام الملك الظاهر من العزّ والعظمة مَا لا رأه غيرهُ من الأستدارية، وطالتْ أيامهُ بهَا.

وأمَا من تولى ولاية القاهرة في أيام الملك الظاهر جقمق: فالأمير منصُور بن الطبلاوي، والأمير جاني بك، والأمير قرَاجَا، وغير هؤلاء جماعة.

وأمَا من تولى في أيامهِ الحسبة الشريفة: فالشيخ عليّ المحتسب، والعلائي عليّ بن الفيسي[3]، وغير هؤلاء جماعة.

وقدْ انتهت أخبار دولة الظاهر جقمق، وذلك على سبيل الاختصار منها.

وأمَا من توفي في أيامه من الأعيان، وهم: الخليفة المُعتضد بالله داوود[4]، والخليفة المُستكفي بالله سليمان[5]، والقاضي بدر الدّين ابن التنسي المالكي،

---

(1) في جواهر السلوك ٣٣١: "المناحات".

(2) كذا في الأصل؛ وفي جواهر السلوك ٣٣١: "الهيثم".

(3) في جواهر السلوك ٣٣٢: "القبسي".

(4) وهو المعتضد بالله أبي الفتح داوود ابن المتوكل على الله محمد العباسي، ت: ٨٤٥هـ (انظر بدائع الزهور ٢٣٠/٢).

(5) وهو أبو الربيع سليمان المستكفي بالله بن المتوكل على الله، ت: ٨٥٥هـ (انظر: بدائع الزهور ٢٨٧/٢).

والقاضي ولي [٢٠١/أ] الدّين السّفطي الشافعي[١]، والقَاضي مُحب الدّين العسقلاني الحنبلي[٢]، والقَاضي بدر الدّين البغدادي الحنبلي، والقَاضي شمس الدّين البساطي المالكي[٣]، والقَاضي الوناي، وقاضي القُضاة بدر الدّين مَحمُود العيني الحنفي[٤]، وابن الجزري شيخ القراءات[٥]، والسيد الشريف شمس الدّين الطباطبي الزاهد، وذلك في سنة اثنتين وخمسين وثمانمَائة[٦]، والحافظ عبد الرحيم الحموي شيخ الحديث[٧].

ومن الزُهاد: الشيخ محمد بن سُلطان، والشيخ كمال الدّين المجَذُوب[٨]، والشيخ عُباده[٩]، والشيخ شمس الدّين الحنفي الصُوفي.

ومن أعيان الخُدام: الأمير جوهر القُنق باي الخَازندَار.

وتوفي في أيامه جماعة كثيرة من أعيان العُلماء والقُضاة والفقهاء وأعيان الناس لم نذكرهم هنا خوف الإطالة.

وتوفي في أيامه من أعيان الشعراء، وهُم: الشيخ تقي الدين ابن حجة صاحب شرح البديعية[١٠]، والبدر البشتكي[١١]، وشمس الدّين ابن كميل[١٢]، وشمس الدّين النواجي صاحب حَلبة الكُميت[١٣]، وجماعة كثيرة غير هؤلاء من الأعيان. انتهى ذلك.

---

(١) ت: ٨٥٤هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٨٧/٢).

(٢) وهو جلال الدين سبط القلانسي، ت: ٨١٧هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٥/٢).

(٣) وهو شمس الدين محمد البساطي المالكي، ت: ٨٤٢هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٠٧/٢).

(٤) ت: ٨٥٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٩٢/٢).

(٥) ت: ٨٣٣هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٣٥/٢).

(٦) في بدائع الزهور ٢٧٢/٢: ورد خبر الوفاة في أحداث سنة ٨٥٣هـ.

(٧) وهو زين الدين عبد الرحيم بن أبى بكر بن محمود بن عليّ بن أبي الفتح بن الموفق الحموي الشافعي الواعظ، ت: ٨٤٨هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٤٦/٢).

(٨) وهو كمال الدين بن سيدي محمد المجذوب، ت: ٨٥٤هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٨٦/٢).

(٩) وهو زين الدين عثمان بن عليّ بن صالح الزرزاري، ت: ٨٤٦هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٣٦/٢).

(١٠) وهو أبو بكر بن علي الحموي الحنفي، ت: ٨٣٧هـ؛ ذكره ابن إياس في أحداث سنة ٨٣٧هـ في سلطنة الأشرف برسباى. (انظر: بدائع الزهور ١٥٥/٢).

(١١) وهو محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الشافعي، ت: ٨٣٠هـ. (انظر: بدائع الزهور ١١٣/٢).

(١٢) وهو شمس الدين محمد بن أحمد بن عمر بن كميل المنصوري، ت: ٨٤٨هـ. (انظر: بدائع الزهور ٢٤٤/٢).

(١٣) وهو شمس الدين محمد بن حسن بن عليّ بن عثمان النواجي، ت: ٨٥٩هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٢٤/٢- ٣٢٥).

ذكر

سلطنة الملك المنصُور أبي السّعَادَات فخر الدّين

عُثمان ابن الملك الظَاهر جقمق العلائي[1]

وَهوَ الخامسُ والثلاثون من مُلوك الترك وأولادهم، وهو الحادي عشر من مُلوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية؛ تَسلطنَ بعد خلع أبيه من السلطنة في يَوم الخميس حادي عشرين المُحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وَلما تسلطن كانَ لهُ من العمر دُون العشرين سنة، وأمُه أمُ وَلد رُوميّه.

فلبس خلعة السلطنة من الدهيشة، وركب إلى القصر الأبلق، والأتابكي أينال العلائي حَامل القبة وَالطير على رأسه، إلى أن دخل إلى القصر، وجلس على سرير الملك، وباسوا له الأمراء الأرض، وَدُقتْ لهُ الكوساتُ بالقلعةِ [٢٠١/ب] ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس لهُ بالدعاء وكلّ ذلك ووالده الملك الظاهر في قيد الحياة.

فلما رجع من القصر عاد إلى سكنه بالحوش السُلطاني مُراعاة إلى والده إلى أنْ يتوفي، فأقام على ذلك اثني عشر يومًا، حتى توفي والده في اليوم المُقدم ذكره.

فلما تم أمر الملك المنصور في السلطنة، قبض على الأمير زين الدّين الأستادار، وكان بينه وبين زين الدّين حظ نفس من أيام وَالده، فلما قبض عليه، أخلع على الأمير جاني بك نائب جدة واستقر به أستادار عُوضًا عن زين الدّين.

ثم تسلم زين الدّين إلى الأمير فيروز الخازندار، ورسم لهُ بأنْ يعصرهُ بالمعصَار في رجليه فعصرهُ، واستصفى أمواله، واستمر في العقوبة حتى أورد ما قرّر عليه من الأموال، وفي واقعة حال زين الدين يقول بعض شُعراء العصر:

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٣٠١/٢- ٣٠٦؛ جواهر السلوك ٣٣٣- ٣٣٤.

أخبار زين الدّين قد صدحت[1] بها أطيارُ ملح في الورى تتغردُ[2]
لا غرو إن هم[3] بالغوا في عصرهِ فالكرمُ يُغصرُ والجوادُ يُقيدُ[4]

ولما كان يوم الإثنين مُستهل ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وثب المماليك الأشرفية والمؤيدية ومعهم المماليك السيفية، فتوجهوا إلى بيت الأتابكي أينال العلائي، فركبوه وأتوا به إلى البيت الكبير الذي عند حدرة البقر؛ فلما استقر به أرسل خلف أمير المؤمنين القائم بأمر الله أبي البقاء حمزة، فلما حضر خلع الملك المنصور عُثمان من السلطنة، وبايع الأتابكي أينال العلائي.

واستمرت الحرب ثائرة بين أينال وبين الملك المنصور من يوم الإثنين إلى [٢٠٢/أ] يوم الأحد سَابع ربيع الأول، فانكسر الملك المنصور عُثمان، في يوم الأحد المذكور بعد الظهر.

وملك أينال القلعة، وطلع إلى باب السلسلة، فلبس خلعة السلطنة من الحُراقة التي في الإسطبل، وطلع إلى القصر الأبلق، وحُملت القبة والطير على رأسه، إلى أنْ جلس على سرير الملك، ونودي باسمه في القاهرة، وضج الناس لهُ بالدعاء ودُقت لهُ البشائر ثلاثة أيام.

فلما انفض الموكب أرسل قيد الملك المنصور عُثمان وحبسهُ بقاعة البحرة، ثم قبض على جماعة من الأمراء منهم: الأمير قانباي الجركسي أمير أخور كبير، والأمير تمربغا الدوادار الكبير، والأمير تنم المؤيدي، وغير هؤلاء جماعة كثيرة من الظاهرية فقيدهم وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية.

وأمَا الملك المنصور عُثمان فأنه أقام في قاعة البحرة إلى يوم الأحد ثامن عشرين ربيع الأول من السنة المذكورة، فأنزلوهُ منْ القلعة من باب القرافة، وهو مُقيد إلى أن وصل إلى البحر، فأنزلوه في الحُراقة، وتوحهوا به إلى السجن بثغر الإسكندرية، وكان المُتسفر عليه الأمير خير بك الأشقر أمير أخور ثاني، فأوصله إلى الإسكندرية وَرَجع.

فكانت مُدة سلطنة الملك المنصور عُثمان بن الملك الظاهر جقمق بالديار المصرية ثلاثة وأربعين يومًا لا غير.

---

[1] في بدائع الزهور ٣٠٣/٢: "شاعت"؛ جواهر السلوك ٣٣٣: "أضحى".
[2] في بدائع الزهور ٣٠٣/٢: "أعداؤه بين الورى تتعمّد"؛ في جواهر السلوك ٣٣٣: "طير المدائح في الورى تغرد".
[3] في جواهر السلوك ٣٣٣: "أن قيدوه".
[4] بحر الكامل.

وفي هذه المدة: رسمَ بضرب ذهب مناصِره، بسبب النفقة على العسكر، فكان الدينار المنصُوري ينقص عن الأشرفي قيراطين ذهب، وإقامة هذه المنَاصره مُدّة عماله بمصر وهي ماشية، فكان يحصل بهم للناس الضرّر الشامل، بسبب النقص عن الأشرفي، وكانَ القائم في ذلك الجمالي نَاظر الخاص يُوسف[١]، كما قالَ القائلُ في المعني:

فلم يُقمْ الا بمقدار أنْ قَلتُ لهُ أهلًا وَسهلًا ومرْحبًا[٢]

فاستمر الملك المنصور في السجن بثغر الإسكندرية إلى دَولةِ الملك الظاهر خُشقدم، فرسمَ لهُ بالإطلاق من السجن، وأنْ يسكن في بعض دُور الإسكندرية، وأن يركب إلى صلاةِ [٢٠٢/ب] الجمعة، واستمر على ذلك إلى دولة الملك الأشرف قايتباي فنقلهُ إلى دمياط وَرَسمَ لهُ بالركوب إلى الصيد وإلى التنزه في كل مكان، ثم إن الملك الأشرف قايتباي رَسمَ بإحضار الملك المنصور إلى القاهرة، ليحج ويقضي الفرض، فحضر إلى الديار المصرية وحج ورجع، فأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة، وأقام في القاهرة بعد عوده من الحجاز نحو شهر، وكان يطلع إلى القلعة، ويلعب مع السُلطان بالأكرة، ويقف فوق أمير كبير، وهو لابسٌ شَاش وَقُماش، وَهوَ يبدو[٣] أصفر بغير طرازِ ذهب، وقدْ بالغ الملك الأشرف قايتباي في إكرامِهِ وتعظيمِهِ لكونَ الملك المنصور كان ابن أستاذ الملك الأشرف قايتباي.

وكان أكثر الأمراء الظاهرية مماليك أبيه الملك الظاهر جقمق، وكان الأتابكي أزبك مُتزوجًا ببنت الملك الظاهر أخت الملك المنصُور، وكانَ المقر السيفي تمراز الشمسي أمير سلاح، مُتزوجًا ببنت الملك المنصُور فسَاعدتهُ الأقدار من كُلّ جَانب، ولم يُعلم فيما مضى بأن ابن ملك بعد أنْ تسلطنَ عَاد إلى الدّيار المصرية على هذا الوجه غير الملك المنصُور عُثمان هذا، ثم رُسمَ لهُ بالعود إلى دمياط كما كانَ، فَعَادَ إلى دمياط، وأقام بهَا مُدّة طويلة، إلى أنْ مَرضَ وَمَاتَ بدمياط في أثناء دَولةِ الملك الأشرف قايتباي.

فلما مَاتَ هُناك رَسم السُلطان بنقله، فنُقل مَنْ دمياط، وَدُفن على أبيه الملك الظاهر جقمق في تُربةَ الأمير قانباي الجركسي، وَمَاتَ الملك المنصُور وقد ناف في العُمر عن خمسين سنة.

وهذا ما انتهى إلينا منْ أخباره على سبيل الاختصارِ.

---

(١) الخبر لم يرد في بدائع الزهور.

(٢) بحر السريع؛ لم يرد في بدائع الزهور.

(٣) في الأصل "ينذِ"، والتصحيح من جواهر السلوك ٣٣٤.

ذكر

سلطنة الملك الأشرف أبي النصر

سيف الدين أينال العلائي الظاهري(١)

وَهوَ السَادسُ وَالثلاثون من مُلوك الترك وأولادهم، وهو [٢٠٣/أ] الثاني عشر من مُلوك الجرَاكسةِ وأولادهم بالديار المصرية؛ تسلطن بعد خلع الملك المنصُور عُثمان ابن الملك الظاهر جقمق، في يَوم الإثنين ثامن ربيع الأول سنة سبع وَخمسين وثمانمائة.

وكانَ أصله جركسي، جلبةُ الخواجَا علائي الدين إلى مصر، فاشتراهُ منهُ الملكِ الظاهر بَرقوق، وَصَارَ من جُملةِ المماليك الكتابية، واستمر على ذلك إلى أنْ مَاتَ الملك الظاهر برقوق، وتولى ابنه الملك الناصر فرج فأعتقهُ، ثم بقي في أخر دولة الملك الناصر فرج خَاصكي، ثمُ بقى في دَولة الملك المظفر أحمد ابن المؤيد شيخ أمير عشرة، ثم بقي في دولة الملك الأشرف برسباي أمير أربعين رأس نوبة ثاني، ثم بقي نائب غزة، ثم نقلهُ الملك الأشرف برسباي لما توجه إلى آمد فجعلهُ نائب الرُهَا، وذلك في سنةِ ست وَثلاثين وثمانمائة، فأقام بهَا إلى أنْ أحضرهُ الملك الأشرف برسباي إلى القاهرة، فأنعم عليه بتقدمهِ ألف، واستمرتْ نيابةُ الرُهَا بيدهِ زيَادة على التقدمة، ثم نقلهُ الملك الأشرف برسبَاي إلى نيابة صفد، وذلك في سنة أربعين وثمانمائة، واستمر بصفد إلى أن كانتْ دَوَلةِ الملك الظاهر جقمق فأحضره إلى القاهرة، وبقي مُقدم ألف إلى أن مَاتَ الأمير تغري بردي المُودي الدوادار، فأخلع السُلطان على الأمير أينال وبقى دوادارًا كبيرًا عُوضًا عن تغري بردي المُودي، ثم لما مَاتَ الأتابكي يشبك السُودُوني استقر الأمير أينال أتابك العساكر بمصر عُوضًا عنْ يشبك السُودُوني، وَذلك في سنة تسع وَأربعين واستمر على ذلك إلى أنْ مَاتَ الملك الظاهر جقمق، وتولى ابنه الملك المنصُور فوثبَ عليه الأتابكي أينال وَخلعهُ من الملك، وَتسلطن عُوضه، كما قدْ تقدم ذكر ذلك في [٢٠٣/ب] مَوضَعِهِ.

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ٣٠٧/٢- ٣٦٩؛ وجواهر السلوك ٣٣٥- ٣٣٩.

فلما تَم أمر الملك الأشرف أينال في السُلطنة، أخلعَ على من يُذكر من الأمراء، وَهُم: المقر السيفي تاني بك الظاهري واستقر به أتابك العساكر عُوضًا عن نفسه؛ وأخلع على المقر السيفي خُشقدم المؤيدي واستقر به أمير سلاح؛ وأخلع على المقر السيفي طُوخ بُوني بَازق واستقر به أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي قُرقماسَ الجلب الأشرفي واستمر به رأس نوبة النُوب؛ وأخلع على المقر السيفي يُونس البّواب[1] المؤيدي واستقر به دوادار كبير، وزوّجهُ الملك الأشرف أينال بابنته الصُغرى؛ وأخلع على المقر السيفي جَربَاش كِرت الناصري واستقر به أمير أخور كبير؛ وأخلع على الأمير جَاني بك القرمَاني واستقر به حَاجب الحُجاب.

وأنعم على ولده المقر الشهابي أحمد بتقدمة ألف، وأنعم على جماعة من الأمراء المؤيدية والأشرفية بتقادم ألوف، وأنعم على جماعة منهم بأمريات أربعين، وأمريات عشرة.

واستقر بالأمير تمراز الأشرفي دوادار ثاني، ثم نُفي في أوائل دَوَلة الأشرف أينال، فلما نُفي استقر السُلطان بالأمير بُرد بك دوادار ثاني عَوضًا عن تمراز الأشرفي، وكان الأمير بُرد بك من مماليك الملك الأشرف أينال وَزوّجهُ بابنته الكبرى، وكان الأمير بُرد بك لهُ كلمة نافذة في مصر؛ فهذا كان ترتيب الأمراء أرباب الوظائف في مُبتدأ دَوَلته، ثم انتقلتْ من بعد ذلك الوَظائف إلى جماعة كثيرة من الأمراء، حسبمَا يأتي ذكرهم في مَواضعهِ.

ثم إن الأشرف أينال نفق على العسكر نفقه كاملة، واستقام أمرهُ في السلطنة، ثم بعد مُدّة يسيرة، وثب عليه جماعة من المماليك الظاهرية، وَالتف عليهم جماعة من المماليك السيفيّة، وَلبسُوا آلة الحرب، وَطلعُوا إلى الرمَلة، فَنزلَ الملك الأشرف أينال [٢٠٤/أ] إلى المقعد المُطل على سُوق الخيل، وَدُقتْ الكوساتِ حربي.

ثم إن المماليك توجّهُوا إلى بيتِ الخليفة حمزة، فركبُوهُ من بيتهِ، وأتوا به إلى البيت الكبير الذي في حدرة البقر، فأقام هُناك ساعة، وَإذا بالجمع قدْ انفضَّ بعد قتالٍ هيّن، فعندَ ذلك قَامَ الخليفة وتوجه إلى بيتهِ، وَكان السُلطان لما أن بلغهُ اثارَتْ هذه الحركة، وأرسل يقول للخليفة: "غيب من بيتك، إلى أن تنقضي هذه

[1] في بدائع الزهور ٣٠٩/٢: "الأقباي"؛ وفي جواهر السلوك ٣٣٥: "النواب".

الحركة"، فلم يسمع الخليفة هذا الكلام، ولمْ يغيب مِنْ بيتهِ، وظن أن هذه الحركة يحصل لهُ فيها نفع، كما حصل لهُ في حركة الملك المنصور عُثمان، فكان الأمر بخلاف ذلك، وَمَا حَصلَ لهُ منْ هذه الحركة طايل، وقد قيل:

دَع التعرض أنَ الأمر مَقدور ولـيس للسعي في الادراك تأثيرُ
وَالمرءُ[1] يَعجز عنْ تحصيل خردلةٍ بالسعي إنْ لمْ تُساعدهُ المقَادِيرُ[2]

فلما خمدتْ هذه الفتنة طلبَ السُلطان الخليفة، فلما طلع إليه، وَبخهُ بالكلام فلم يَرد عليه الخليفة جواب، وأمسك لسانهُ عن حجتهِ، وكانَ به بعض صمم[3].

ثم إن السُلطان أمر بإدخاله إلى قاعةِ البحرة، فأقام بهَا أيامًا، ثم أرسلهُ إلى السجن بثغر الإسكندرية، وَوَلى أخاهُ الجمالي يُوسُف، وَدَامَ الخليفة حَمزة مُقيمًا بالسجن بثغر الإسكندرية إلى أنْ مَاتَ هُناكَ، وقدْ تقدم ذلك في تراجم الخلفاء في أول التاريخ، ولما أرَادَ السُلطان أنْ يخلع الخليفة حمزة ويُولي الجمالي يُوسف، أحضرَ القُضاة الأربعة بالقصر الكبير، فلما كملَ المجلس قامَ القَاضي مُحب الدين ابن الأشقر كاتب السرّ الشريف، وبقي المجلس سَاكتًا سَاعة، ولم يتكلم أحد منَ القُضاة في شيء من ولايةِ الجمالي يُوسُف، [٢٠٤/ب] وَلا في شيء من خلع الخليفة حمزة غيرَ أن قاضي القُضاة الشَافعي علم الدين صَالح البُلقيني قال: "نقل بعضَ علماء مذهبي أن السُلطان لهُ أن يعزل الخليفة ويُولي غيرهُ"، فهذا كان حَاصل المسَألة في خلع الخليفة حمزة وَولاية أخيه يُوسُف.

فعند ذلك قال القاضي مُحب الدين ابن الأشقر: "نشهدُ عليك يا مولانا السلطان، أنك خلعتَ الخليفة حمزة من الخلافة، وولّيت أخاه يُوسف"، فقالَ السلطان "نعم"، فشهد عليه القُضاة بذلك، ثم أحضروا التشريف، فلبسهُ الجمالي يُوسُف، ونزل إلى بيتهِ، ومعهُ القضاة الأربعة، وأعيان الناس إلى أن أوصلوه إلى بيتهِ.

ولما أقام الملك الأشرف أينال في السلطنة مُدّة توفي الأتابكي تاني بك الظاهري، فأخلع السلطان على ولده المقر الشهابي واستقر به أتابك العساكر بالديار المصرية عُوضًا عن تاني بك الظاهري، وأنعم على وَلدِ الصّغير المقر

---

[1] في جواهر السلوك ٣٣٦: "هو المرء".
[2] بحر البسيط؛ ولم يرد البيتان في بدائع الزهور؛ وورد البيت الثاني فقط في جواهر السلوك ٣٣٦.
[3] في بدائع الزهور ٣٢٧/٢: "وكأن به بعض صمم".

الناصري محمد بتقدمة أخيه الأتابكي أحمد فكانَ مُتحِصلهَا في كلِّ سنة أربعة وعشرين ألف دينارًا[1].

وَلمَا كانت سنة ستين وثمانمائة، فيها: حجت خوند زوجة الملك الأشرف أنيال، هي وأولادها، وكان المقر الشهابي أحمد أمير المحمل فخرجوا من القاهرة في تجمل زائد من العظمة، وخوند وأولادها في محفات زرَكش، وكان يوم خروجهم من القاهرة يَومًا مشهودًا فحجوا ورجعوا إلى القاهرة في سنة إحدى وستين وَثمانمائة.

ومن الحوَادثِ في أيام الملك الأشرف أينال: ظهر في السماء من جهة الشرق نجم، وله ذنبٌ طويل، فأقام مُدّة ثم اختفى، وظهر في جهة الغرب، فأقام مُدّة ثم اختفى، فجاء عقيب ذلك فصلٌ عظيم، وَمَاتَ فيه منَ المماليك وَالعبيد وَالجوَار والأطفال ما لا يُحصى عددهم، فأقام نحو خمسة أشهر[2]، وذلك في سنة أربع وستين وثمانمائة[3].

وفي سنة ثلاث وستين: توفي القَاضي مُحب الدّين ابن الأشقر كاتب السرّ الشريف، وذلك في ثاني عشر رجب من سنةِ ثلاث وستين وثمانمائة، فلما مَاتَ أخلع السُلطان [٢٠٥/أ] على القَاضي مُحب الدين ابن الشحنة واستقر به كاتب السرّ الشريف عُوضًا عن ابن الأشقر.

ومن الحوَادثِ في أيام الملك الأشرف أينال: وقعَ حرِيق عظيم ببُولاق من عند جَامع زين الدّين الأستادار إلى عند حمام بن البارزي، فاحترق في هذه النازلة عدّة بيُوت وأرباع، واستمرتْ النار تعمل في البيُوت نحو سبعة أيام، وصار من بعد ذلك يحترق في كلّ ليلةٍ في القاهرة حريق في عدّةِ أماكن من الحارَات حتى ضج الناسُ من ذلك، وَلا يُعلمَ سبب هذا الأمر، ولا منْ كانَ يفعل ذلك[4].

وفي أثناء دَولة الملك الأشرف أينال: توفي القاضي جمال الدين يُوسف نَاظر الخواص الشريفة وناظر الجيوش المنصورة، وكان قدْ رقا في أيام

---

(1) الخبر في بدائع الزهور ٣٤٩/٢: في أحداث سنة ٨٦٢هـ.
(2) في بدائع الزهور ٣٣٣/٢: "وأقام مدة طويلة نحو ثلاث سنين".
(3) في بدائع الزهور ٣٣٣/٢: بداية ظهر النجم في سنة ٨٦٠هـ.
(4) الخبر في بدائع الزهور ٣٤٧/٢: في أحداث سنة ٨٦٢هـ.

الأشرف أينال كما قدْ رقا القاضي عبد الباسط في أيام الملك الأشرف برسباي، وَصَارَ صَاحب الحلّ والعقد بالديار المصرية[1].

وتوفي في أثناء دولته: الرَيس نَاصر الدّين المَازوني، وكان قدْ فاق على أهل زمانه في حُسن الصوت، وسعة امتداده، ورأى من الأكابر وأعيان الديار المصرية ما لا رآه أحدٌ من المغَاني قبلهُ، وكانَ المَازوني فريد أهل زمَامهِ في الإنشادِ وَالمغنى وحُسن الصّوت[2]، وقد رثاه الشهاب المنصُوري الهايم بعدَ مَوته بهذه الأبياتِ وهي:

يَا نُزهةَ السَمع سَكنتَ الثري ... فللملاهى أيمّا لهفي
كم لطمةٍ منْ قدمٍ أو يدٍ ... في خَدّي الدِّكةِ وَالدُفِ[3]

وَفيهِ يَقولُ أيضًا:

كانتْ بهِ لذَاتُنا موصُوَلة ... فانقطعتْ بموَتهِ اللّذَاتُ
وكانتُ الأصَوَاتُ تزهو بهجة ... فارتفعتْ لموتهِ الأصواتُ[4]

وَاستمر الملك الأشرف أينال في السلطنة وهو في أرغد عيش بين أولادهِ حتى مرض، وَسلسل في المرضِ مُدّة طويلة، حتى [٢٠٥/ب] مَاتَ في يَوم الخميس بعدَ العصرِ خَامس عشر جُمادى الأول سنة خمس وستين وثمانمائة، وَدُفنَ من يَومهِ في تُربتهِ التي أنشأها لهُ المقر الجمالي يُوسُف نَاظر الخاص بالقرب منْ تُربةِ القاضي عبد الباسط التي في الصحراء، وتوفي الملك الأشرف أينال ولهُ منَ العُمر إحدى وثمانين سنة[5].

وخلف منَ الأولاد أربعة، صبيّان وهما: الملك المؤيد أحمد، وأخيه المقر الناصري محمد؛ وبنتان إحداهما زوجة الأمير يُونس الدوَادَار الكبير، والأخرى زوجة الأمير بُرد بك الدوَادَار الثاني.

فكانت مُدّة سلطنة الملك الأشرف أينال بالديار المصرية ثمان سنين وَشهرين وَستة أيام.

---

[1] الخبر في بدائع الزهور ٣٥٠/٢: في أحداث سنة ٨٦٢هـ.
[2] الخبر في بدائع الزهور ٣٤٦/٢: في أحداث سنة ٨٦٢هـ.
[3] بحر السريع.
[4] بحر الرجز.
[5] في جواهر السلوك ٣٣٧: "وله من العمر نحو الثمانين سنة".

وكان لما ثقل في المرض خلعَ نفسه من السلطنة، وعهد إلى وَلده الأتابكي أحمد، وعَاش بعد خلعهِ من السلطنة أيَامًا حتى مَاتَ.

وكان صفة الملك الأشرف أينال طويل القامة، أسمر اللون، خفيف العَوارض، وكانَ يُعرف بأينال الأجرود.

وكان مَلكًا حليمًا هينًا لينًا، قليل الأذى للرعية، ولولا جور مماليكه في حق الناس لكانَ خِيار مُلوك التُرك من الجراكسة وغيرهم، وكانتْ أيامهُ كُلها لهو وانشراح، وكان غالب الأمراء أصهاره، ودام في السلطنة حتى مَاتَ على فراشه بين أولاده.

وفي أيامه: أخرج تجريدة إلى ابن قرمَان لما أظهر العصيان على السُلطان، فأرسل السُلطان إليه تجريدة، وكان باش العسكر المقر السيفي خشقدم أمير سلاح، وصُحبتهُ جماعة من الأمراء المُقدمين والعشراوات والمماليك السُلطانية، فلما توجهوا إلى ابن قرمَان هرب منهم، ولم يحصل بينهم قتال، فرجع العسكر وَهم سَالمون إلى الديار المصرية.

وأرسل في أيامه أيضًا تجريدة إلى بلاد الفرنج، وكانَ باش العسكر المقر السيفي يُونس الدوادار، وجماعة من الأمراء، ولما أخرج السُلطان [٢٠٦/أ] هذه التجريدة رَسمَ بعمارة مراكب أغربة نحو اثني عشر غُرابًا، فلما كملتْ عمارة هذه الأغربة نزل السلطان إلى الجزيرة الوسْطى، وكشف على الأغربة، وكان يَوم نزولهُ إلى الجزيرة يومًا مشهودًا، وأخلع على الأمير سُنقر قرق شبق الزرْدكاش خلعة لكون أنهُ كان مُشدّ العمَارة على الأغربة، فلما سَافر الأمراء إلى بلاد الفرنج أقاموا مُدّة يَسيرة، ورجعوا إلى الدّيار المصريّة، وهم سَالمون لم يُفقد منهم أحدٌ.

وَممَا أحدثهُ في أيَامهِ: وهو أنه أبطل مُعاملة الفضة العتيقة جميعها، وأخرج فضّه جديدة تُصرف مع كلّ أشرفي بخمسة وعشرين نصف، وبطلتْ تلك المُعاملة القديمة التي كانت تُوزن بالميزان، فنقصتْ الفضّة العتيقة الثلث فحصل للناس بذلك بعض مشقة، وخسروا في هذه الحركة جُملة مَال، وكان القائم في ذلك المقر الجمالي يُوسُف نَاظر الخاص.

وكانت دَولة الملك الأشرف أينال ثابتة القواعد.

أمَا أتابكيته: فالمقر السيفي تاني بك الظاهري، والمقر الشهابي أحمد وَلد السُلطان.

وأمَا دواداريته: فالمقر السيفي يُونس البَوابِ صِهر السُلطان، والمقر السيفي بُرد بك الدوادار الثاني وهو صهر السُلطان أيضًا.

وأمَا قُضاتهِ الشافعية: القاضي علم الدين صَالح البُلقيني.

وأمَا قُضاتهِ الحنفية: شيخ الإسلام سعد الدين ابن الدّيري الحنفي.

وأمَا قُضاتهِ المالكية: فالقاضي ولي الدّين الأموي، والسيد الشريف سرَاج الدّين ابن حُريز.

وأمَا قضاتهِ الحنابلة: فالقاضي عز الدّين الحنبلي.

وأمَا كُتاب سِرّهِ: فالقاضي مُحب الدّين ابن [٢٠٦/ب] الأشقر، والقاضي مُحب الدّين ابن الشحنّه.

وأمَا نُظار جيشه: فالمقر الجمالي يُوسُف بن كاتبْ جكم، ولما مَاتَ استقر من بعدهِ جماعة من الأعيان في نظارةِ الجيش، فمنهم: القاضي شرف الدّين الأنَصَاري، والقاضي بُرهان الدّين ابن الدّيري الحنفي، وغير هؤلاء.

وأمَا نظار الخواص: فالمقر الجمالي يُوسُف بن كاتبْ جكم، والأمير عبد الرحمن بن الكويز، وغير هؤلاء.

وأمَا وزراؤه: فالصاحب علائي الدّين ابن الأهناسي، ومنهم: الصَاحب سعد الدّين فرج، وغير هؤلاء جماعة من الأعيان، واستقروا في أيامهِ في الوزارة ولم يطل بهَا مُدتَّهم، وهُم: ابن النجار مُباشر قانباي الجركسي، ومنهم: والد الصاحب علاء الدين ابن الأهناسي وغير ذلك.

وأمَا أسُتدارياته: فمنهم الأمير زين الدّين، ومنهم المقر العلائي علي بن الأهناسي، ثم أعيد الأمير زين الدّين ثانيًا، ثم ضربهُ علقة قوية ونفاه إلى المدينة الشريفةِ ثم رَضي عليه، وأحضره إلى القاهرةِ واستقر به أسُتادَارًا أيضًا، واستقر في أيامهِ جماعة كثيرة من الأعيان في الأستدارية فلمْ يُطل بها مُدتهم، فمنهم: الأمير قَاسم الكاشف أقام بهَا مُدّة وَعُزل عنها، ومنهم: الأمير نَاصر الدّين محمد بن أبو الفرج أقام بهَا مُدّة وعزل عنها، ومنهم: الأمير منصور القبطي، ومنهم: الصاحب سعد الدّين فرج، وكان الأمير زين الدين ينفصل منَ الأستادارية ويعود إليها في أيامهِ عِدة مرات.

وأمَا مَا أنشأهُ في أيامهِ من العمائر: وهي المدرسة العظيمة التي أنشأها لهُ ناظر الخاص يُوسف في الصحراء، والسوق الذي في الرملة بالقرب من حدرةِ البقر، ولهُ عدّة رُبوع وحمامَات بالقاهرة، وغير ذلك.

وأمَا منْ توفي في أيامه من أعيان العُلماء، وهُم: الشيخ كمال الدين ابن الهُمام الحنفي[1] شيخ الخَانقَاه الشيخُونية، وأخوه الشيخ عز الدّين، وقاضي القضاة المالكي ولي الدين الأموي[2]، وغيرهم منَ أعيان العُلماء.

وأمَا من توفي من الأعيان في أيامه: فالأتابكي تاني بك الظاهري[3]، ومُحب الدين ابن الأشقر كاتب السرّ[4]، وَالجمالي يُوسُف نَاظر الخاص[5]، وَالقاضي بُرهَان الدين ابن الجيعان[6] وهو صَاحبُ المدرسة التي في بُولاق المُطلة على البحر، والصاحب سعد [٢٠٧/أ] الدّين فرج، والناصري محمد بن الخضري ابن خالة الملك المؤيد أحمد.

وتوفي في أيامهِ من الصُلحاء: الشيخ مدين الزَاهد[7]، والشيخ المجذوب سيدي أحمد خروف[8]، والشيخ ريحان المجذوب، والشيخ محمد المغربي المجذوب[9]، وغير هؤلاء.

ومن الشعراء: الشيخ شهاب الدين الحجازي[10]، والشيخ شهاب الدين ابن الشاب التايب[11]، وغير ذلك منْ أعيان الناس جماعة كثيرة.

وقد انتهتْ أخبار دولة الملك الأشرف أينال على سبيل الاختصار منها.

---

[1] هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد، الشيخ الأستاذ كمال الدين محمد بن الهمام الحنفي، ت: رمضان سنة ٨٦١هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٤٠/٢).

[2] هو محمد بن محمد بن عبد اللطيف، ت: ٨٦١هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٣٩/٢).

[3] ت: ٨٦٢هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٤٩/٢).

[4] ت: ٨٦٣هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٥٣/٢).

[5] ت: ٨٦٢هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٥٠/٢).

[6] هو إبراهيم بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد القبطي الشافعي، ت: ٨٦٤هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٥٧/٢).

[7] ت: ٨٦٢هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٤٥/٢).

[8] هو أحمد بن خضر بن سليمان السطوحي، ت: ٨٦٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٨٦/٢).

[9] ت: ٨٥٩هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٢٥/٢).

[10] هو أحمد بن محمد علي بن حسن بن إبراهيم، ت: ٨٧٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٥٧/٣).

[11] هو أحمد بن الشاب التائب، ت: ٨٦٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٦٥/٢).

ذكر

سلطنة الملك المؤيد شهاب الدين أبى الفتح

أحمد ابن الملك الأشرف أينال العلائي(١)

وهو السابع والثلاثون من مُلوك الترك وأولادهم، وهو الثالث عشر من مُلوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية؛ تسلطن بعد خلع أبيه من السلطنة في يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأول من سنة خمس وستين وثمانمائة؛ فتسلطن وله من العمر نحو أربعين سنة(٢)، وأمه خوند زينب بنت بن خاصكي، تسلطن وولده الملك الأشرف في قيد الحياة، فلبس خلعة السلطنة وهي جبة سوداء بطرز ذهب، وعمامه سوداء، وسيف بداوي مُقلد به، فركب من الدهيشة، والمقر السيفي خشقدم أمير سلاح حامل القبة والطير على رأسه، حتى وصل إلى القصر الأبلق، فجلس على سرير الملك، وفيه يقولُ بعض الشعراء:

بمهجتى أفدى مليكًا غدًا ... مؤيدًا النصر كالشمس
فلو تراهُ فوق كرسيه ... لقلت هذا آية الكرسى(٣)

فلما جلس على كرسي المملكة باسوا له الأمراء الأرض، ودقت له الكوسات، ونودي باسمه في القاهرة، وضج الناس له بالدعاء، وتلقب بالملك المؤيد.

فلما تم أمره في السلطنة، أخلع [٢٠٧/ب] على المقر السيفي خشقدم أمير سلاح واستقر به أتابك العساكر عُوضًا عن نفسه.

ثم أخذ في أسباب تدبير أمور مملكتهُ ونفق على العسكر نفقة كاملة لمن لهُ عادة من العسكر، وساس الناس في مُدة سلطنته أحسن سياسة، وقمع مماليك أبيه الأجلاب عن أفعالهم القبيحة التي كانوا يفعلونها بالناس من الأذى، ففرح به الناس، وكثر الدعاء لهُ بسبب ذلك.

---

(١) أخباره في: بدائع الزهور ٣٦٩/٢- ٣٧٧؛ وجواهر السلوك ٣٣٩- ٣٤١.
(٢) في بدائع الزهور ٣٧٠/٢: " نحو من ثمان وثلاثين سنة، أو يزيد عن ذلك".
(٣) بحر السريع.

وكان ناظرًا إلى مصالح الرعية، وكان كفوًا للسلطنة، وافر العقل، كامل الهيئة، مهاب الشكل، مُستدير اللحية، أسود الشعر، طويل القامة، أبيض اللون، جسيم البدن، مليح الشكل، ولكن لم يساعده الزمان على مَطلُوبهِ وخانهُ الدّهر في مقصودهِ، كما قد قيلَ في المعنى:

إذَا طَبع الزمان على اعوجاجٍ فلا تطمع لنفسك في اعتدال[1]

فلم يتم أمره في السلطنة، وتقلب عليه مماليك أبيه، ووثبوا عليه في شهر رمضان، وحاربُوهُ ثلاثة أيام وهو محاصر في القلعة، فانكسر الملك المؤيد، وقبضوا عليه، وعلى أخيه المقر الناصري محمد، وسجنوهما بقاعة البحرة، وقيدوهما فلم يجدوا لهما من ناصرٍ ولا معين، كما قال القائلُ:

إلى الماء يسعى من يعض بلقمة فأين يسعى الذي قد غص بالماء؟[2]

أنى وجدتُ السم عند أحبتي فهل عند أعدائي يكون دوائي[3]

ثم إن الأتابكي خشقدم تولى السلطنة بعد الملك المؤيد أحمد، ثم أقام الملك المؤيد وأخيه بقاعة البحرة إلى أنْ أنزلوهما من القلعة إلى البحر، وتوجهوا بهما في الحرَاقة إلى ثغر مدينة الإسكندرية، ولما نزلوا بهما وهما في قيود، الملك المؤيد أحمد وأخيه الناصري محمد، فأنزلوهما من الصليبية وقت الظهر على النداء[4] والاجهار وأوجاقي بخنجر إلى جانب الملك المؤيد، وكذلك أخيه محمد، فكثر عليهما الأسف والحزن من الناس، وكان المُستفر عليهما الأمير خير[5] بك المُصارع، فلما وصلوا إلى ثغر الإسكندرية [٢٠٨/أ] سجنوا الملك المؤيد وأخيه، ورجع الأمير خير بك إلى القاهرة.

فكانت مُدة سلطنة الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أينال بالديار المصرية أربعة أشهر وثلاثة أيام؛ وكانت أيام دَولته كالأعياد، وأحبته الناس حبًا شديدًا.

ثم إن الملك المؤيد أقام بالسجن هو وأخوه الناصري محمد، ثم إن الناصري محمد توفي هُناك بثغر الإسكندرية، ونقل بعد موته إلى القاهرة، ودُفن على أبيه الملك الأشرف، ومات وله من العمر نحو من عشرين سنة.

---

(١) بحر الوافر.
(٢) في جواهر السلوك ٣٤٠: "إلى أيما تسعى من بعض بلعمة * فأين للهيفى الذي قد غص بالماء".
(٣) بحر الطويل؛ لم يرد في بدائع الزهور.
(٤) في جواهر السلوك ٣٤٠: "ابتداء".
(٥) في بدائع الزهور ٣٨٠/٢ وجواهر السلوك ٣٤٠: "خاير".

وأمَا الملك المؤيد أحمد فأنه أقام بالإسكندرية إلى دولة الملك الظاهر تمربُغَا، فرسم بإخراجه من السجن، ورسم لهُ أنْ يسكن في أي دار من دُور الإسكندرية، فلما كانت دولة الملك الأشرف قايتباي وراج أمر المماليك الأينالية في دولة قايتباي، فعظم أمر الملك المؤيد، وحُسنتْ أوقاتهُ فعمر له بالإسكندرية قاعة عظيمة وسكن بها.

ثم إن المقر السيفي يشبك بن مهدي أمير دوادار كبير تزوج ببنت الملك المؤيد أحمد، فتضاعفتْ حُرمتهُ وتزايدت عظمتهُ، ولاسيما أن خوند زوجة الملك الأشرف قايتباي كانتْ بنت ابن خال الملك المؤيد، فسَاعدته الأقدار من كلّ جانب، كما قد قيل في المعنى:

وإذا السعادة لاحظتك عُيونهَا نم في المخاوف واقتدي بأماني[1]

فأقام الملك المؤيد على ذلك مُدة طويلة، وهو يركب إلى متنزهات الإسكندرية ويتصيد؛ ثم إن والدته خوند زينب مرضت مرضًا شديدًا فتوجه إليها الأمير يشبك الدوادار ليُسلم عليها، فقالتْ لهُ: "اسأل فضل السُلطان أنْ ينعم لي بحضور ابني الملك المؤيد لأنظرهُ قبل أنْ أموت"، فطلع الأمير يشبك إلى عند السُلطان، وذكر لهُ ذلك، فرسم السُلطان بإحضاره إلى القاهرة، وَبَرزت [٢٠٨/ب] المراسم الشريفة بذلك فحضر الملك المؤيد أحمد إلى القاهرة بسبب ضعف والدته، وكان حضوره إلى القاهرة في سنة خمس وثمانين وثمانمائة[2].

فلما حضر إلى القاهرة طلعَ إلى القلعة، وأخلع عليه السُلطان خلعه وأركبه فرس بسرج ذهب وَكنبوش، ونزل إلى عند والدته فأقام عندها إلى أنْ توفيتْ ودفنها وعقد عليها وعمل مأتمها، وأقام بالديار المصرية نحو شهر.

وفي هذه المُدة توجه السُلطان إلى ثغر الإسكندرية، ونزل الملك المؤيد في القاهرة هو والأمراء والعسكر، ولمْ يتوجه مع السُلطان إلا قليل من العسكر، فأقام السُلطان بثغر الإسكندرية أيامًا ثم عاد إلى القاهرة، وكان سبب توجه السُلطان إلى ثغر مدينة الإسكندرية لأجل عمارة البرج الذي أنشأه السُلطان هناك، وهي السفرة الثانية.

ثم إن الملك المؤيد قصد يتوجه إلى ثغر الإسكندرية فطلب من السُلطان دستورًا للسفر، فأذن لهُ في ذلك، فتوجه إلى ثغر الإسكندرية، وأقام بها مُدّة إلى

---

(١) بحر الكامل.

(٢) في بدائع الزهور ١٥٤/٣: ورد الخبر في أحداث سنة ٨٨٤هـ.

أنْ توفي هناك، ونقل بعد موته إلى القاهرة، ودفن على أبيه الملك الأشرف أينال، وكان بين موت الملك المنصور عُثمان بن جقمق وبين موت الملك المؤيد أحمد بن أينال مُدة يسيرة نحو سنة، وكل ذلك في أواخر دولة الملك الأشرف قايتباي، وأظن أنها سنة ست وتسعين وثمانمائة[1].

وأمَا من توفي في دولة الملك المؤيد أحمد من الأعيان، وهُم: الأمير فيروز[2] الخازندار النوروزي فاشتملت تركتهُ على مالٍ كبير، فمن جُملة ذلك أنه ابتاع لهُ حواصل فحم بألف دينارٍ.

وتوفيتْ أيضًا في أيامه الست زوجة قانباي الحمزاوي نائب الشام توفيتْ بدمشق فأرسل السُلطان الأمير شاهين غزالي [٢٠٩/أ] فأحضر تركتها إلى الديار المصرية، فابتاع لها تركة لم يُسمع بمثلها، فقيل: كان جُملة تركتها نحو مائة وخمسين ألف دينار[3].

انتهت أخبار دولة الملك المؤيد أحمد ابن الملك الأشرف أينال، وذلك على سبيل الاختصار منها.

---

(1) في بدائع الزهور ٢٤٧/٣: ورد خبر وفاته في أحداث سنة ٨٩٣هـ.
(2) ت: ٨٦٥هـ. (انظر: بدائع الزهور ٣٧٥/٢).
(3) لم يرد هذا الخبر في بدائع الزهور.

ذكر

سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد

سيف الدين خشقدم الناصري المؤيدى[1]

وهو الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وهو أول ملوك الرُوم بمصر إنْ لمْ يكنْ أيبك التُركماني مِنَ الرُوم، وَلا لاجين مـنَ الـرُوم، فهو أولهم خشقدم.

فكـانَ أصلـهُ رُومـي الجنس، جلبـه الخواجـا ناصـر الـدين، وبـه كـان يُعـرف بالناصـري، فاشتراه منـهُ الملك المؤيد شيخ، وَصـار خاصكي فـي دولـة الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ، ودَام على ذلك دهرًا طويلًا، إلى أنْ تسلطن الملك الظـاهر جقمق فـأمرهُ أمريّـة عشـرة، وذلـك فـي سـنة سـت وأربعـين وثمانمائـة، وجعلهُ من جُملة رؤوس النُوب، واستمر على ذلك إلـى سنة خمسين وثمانمائـة، فأنعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق، فدام بهَـا إلـى أنْ تغير خـاطر السُلطان الملك الظاهر جقمق على الأمير تاني بك الظاهري حَاجب الحجاب، بسبب عبد قاسم الكاشف الذي كان قد اشتهر بالصلاح، فلما نُفي الأمير تاني بك إلى دميـاط وأقام بهَا، فسعى القاضي زين الدين أبُو الخير بن النحاس وكيل بيت المـال هو والأميـر تمربُغـا الـدوادار الثـاني إلـى الأميـر خشـقدم، فأحضـرهُ السـلطان مـن دمشق، وأنعم عليه بتقدمة ألف الذي كانت بيد الأمير تاني بك حَاجب الحجاب، وذلك في صفر سنة أربع وخمسين وثمانمائة، [٢٠٩/ب] فأقام على ذلك إلى أن مَاتَ الملك الظاهر جقمق، وتسلطن الملك الأشرف أينال استقر بـه أمير سلاح، وسافر في أيامهِ بَاش العسكر إلى تجريدة ابن قرمَان، فلمـا رجـع أقـام علـى ذلك إلى أن مَـات الأشـرف أينـال، وتسلطن ولـده الملك المؤيد أحمد فـي سنة خمس وستين وثمانمائة، فاستقر به أتابك العساكر بالديار المصرية عُوضًـا عنْ نفسـه، فلمـا وثـب المماليـك علـى الملـك المؤيـد فـي شـهر رمضـان وانكسـر، فتسـلطن

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٣٧٨/٢- ٤٥٨؛ وجواهر السلوك ٣٤١- ٣٤٧.

الأتابكي خُشقدم، وخلع الملك المؤيد من السلطنة، وذلك في يوم الأحد[1] سابع عشر شهر رمضان من سنة خمس وستين.

فتسلطن خُشقدم في يوم الأحد المذكور بعد الظهر، فلبس خلعة السلطنة من الحُراقة التي بالأسطبل السُلطاني، وركب من هُناك، وحمل القبة والطير على رأسِهِ المقر السيفي جربَاش المحمدي المعروف بكرُتْ أمير سلاح، وطلع من باب سرّ القصر الكبير، وجلس على سرير الملك، ودُقتْ لهُ الكوسات، وَنودي باسمه في القاهرة، وضج الناس له بالدعاء، وتلقب بالملك الظاهر، وَباسوا له الأمراء الأرض.

فلما تم أمرهُ في السلطنة عملَ الموكب، وأخلع على من يُذكر من الأمراء أرباب الوظائف، وهُم: المقر السيفي جرباش المحمدي المعروف بكرُت واستقر أتابك العساكر عُوضًا عن نفسه؛ وأخلع على المقر السيفي قُرقماس الجلّب واستقر به أمير سلاح؛ وأخلع على المقر السيفي قَانُم التَاجر المُؤيدي واستقر به أمير مجلس؛ وأخلع على المقر السيفي يَلبَاي المُؤيدي واستقر به أمير أخور كبير؛ وأخلع على المقر السيفي جَاني بك نائب جدَّه واستقر به دوادار كبير؛ وأخلع على المقر السيفي بُرد بك البشمقدَار[2] واستقر به حَاجب الحجاب[3]، وَرسمَ بإحضار المقر السيفي تمربُغَا من مكة، [٢١٠/أ] فلما حضر أخلع عليه واستقر به رأس نَوبة النُوب؛ وأخلع على المقر السيفي جَاني بك الظريف واستقر به دوادار ثاني مُقدم ألف؛ وأنعم على الأمير جَاني بك شاد الشربخانَاه بتقدمة ألف؛ وأخلع على الأمير أينال الأشقر واستقر به والي القاهرة، فأقام مُدة يَسيرة ثم نقلهُ إلى نيابة مَلطيّة، فلما توجه إلى ملطيّة أخلع السُلطان على الأمير تمر واستقر به والي القاهرة عُوضًا عنْ أينال الأشقر؛ واستقر بالأمير تنم رُصاص مُحتسب القاهرة.

أنعم بتقادم ألوف على جماعةٍ منَ الأمراء المُؤيدية، والظاهرية، الأشرفية، وعلى جَماعةٍ منهم بأمرياتِ أربعين وأمرياتِ عشرة واستقر في أول دولته بالمُباشرين والقضاة الأربعة كلّ أحدٍ على حاله، فهذا كان ترتيب الأمراء أرباب

---

[1] في بدائع الزهور ٣٧٨/٢: "السبت".
[2] في بدائع الزهور ٣٨١/٢: "البجمقدار".
[3] في جواهر السلوك ٣٤٢: من تولى حاجب الحجاب هو "الأمير أزبك من ططخ"؛ وفي بدائع الزهور ٣٨١/٢: "يلباي الأينالي المؤيدي".

الوظائف في مُبتدأ دولتهِ، ثم انتقلتْ من بعد ذلك الوظائف إلى جماعةٍ كثيرة منَ الأمراء والمُباشرين وَالقضاة، حسبما يأتي ذكر ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى.

ثم إنهُ فرق الإقطاعات السنيّة على جماعةٍ من المماليك السُلطانية، ونفق على العسكر نفقة كاملة لكلِّ مملوك منَ المماليك السُلطانية مائة دينار، وأرضى جميع العسكر بكلّ ما يمكنْ.

فلما كان أواخر شهر رمضان جاءت الأخبار بأن نائب الشام جَانم الأشرفي، وكان يُعرف بالمُكحل، قد وصل إلى خِانقة سِريَاقوس، وسبب ذلك أنَ جَماعةً الأمراء الأشرفية لما تقلبوا على الملك المُؤيد أحمد بن أينال، أرسلوا كاتب المقر السيفي جَام نائب الشام بأنْ يَحضر إلى الديار المصرية، ويجعلونهُ سُلطانًا عُوضًا عن الملك المُؤيد أحمد، فأبطئ الأمير جَانم ولمْ يحضر بُسرعةٍ، فلمْ يصبر العسكر حتى يحضر، ووثبوا على الملك المُؤيد في رمضان كما تقدم ذكر ذلك، وَولوا الملك الظاهر خُشقدم قبلَ [٢١٠/ب] مجيء الأمير جَانم من الشام، فكان كما قيل في الأمثال:

الرزق بالحظِ وَبالتقديرِ وَليسَ بالسَّعي وَلا التدبيرِ
وَالرزق لا يأتي بسعي القائم وربما يأتي لشخصٍ نائمِ[1]

فكان وَصُول الأمير جَانم من الشام في ليلة عيد الفطر، فلما بلغ السُلطان ذلك اشتور مع الأمراء، فأشاروا عليه بأنْ لا يُمكن المقر السيفي جَانم منَ الدخول إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان الملك الظاهر خُشقدم الصاحب علائي الدين علي بن الأهناسي إلى خانقةِ سِريَاقوس، ومّدّ هُناك مُدّة عظيمة للمقر السيفي جَانم، ثم إنَ السلطان أرسل إلى المقر السيفي جَانم عَشرة آلاف دينار، وأنعم عليه ببرك الأمير يُونس الدوادار الكبير جميعه فأن الأمير يُونس توفي في جُمعةٍ تسلطن فيها الملك الظاهر خشقدم، ثم إنَ السُلطان لما أرضى المقر السيفي جَانم بالمال وَالبرك، رَسم لهُ بأنْ يعود إلى الشام، ويستقر نائب الشام على عَادته.

---

(1) بحر الرجز؛ ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

فلما توجه إلى الشام أرسل السُلطان إلى نائب قلعة الشام بأن يرمي عليه، وهو في دَارِ السعَادَة، فأرمي عليه فخرج مِن دار السعادة وهو هارب واستمرَّ هَاجج في البلاد إلى أنْ قُتلَ هُناك، ولمَا هَربَ جَانم نائب الشَام، أخلع السُلطان على خُشدَاشهِ المقر السيفي تنم المُؤيدي واستقر به نائب الشام، وذلك في أوائل دولته عُوضًا عنْ جَانم، فأقام بهَا إلى أنْ مَاتَ هُناك.

وأمَا جَانم نَائب الشام، قيلَ: أن فدَاوي قتلهُ، وقُتل الفداوي أيضًا بعدهُ.

ثم إنَ السُلطان بعدَ مُدّة يَسيرة قَبضَ على جَماعةٍ مِنَ الأمراء الأشرفية، منهم: الأمير جَاني بك الظريّف، والأمير جَاني بك المشدّ، وَخَالَ الملك العزيز الأمير بيبرس، وَجَماعةٍ منَ الأمراء الأشرفية، فقبضوا عليهم في وسط القصر الكبير، وقيدّوهُم ثم أرسلوهم إلى السجن بثغر الإسكندرية.

ثم بعد مُدة يسيرة وثب المماليك الأشرفية إلى الأتابكي جربَاش كرُتْ، وكان مُقيمًا في [٢١١/أ] تُربةِ الظَاهر برقُوق، بسبب مَوتِ ابنتهِ التي من خوند شقراء، فأركبوهُ مِنْ بَابِ النصرِ، وحملوا على رأسهِ صَنجِق، وَلقبوُهُ بالملك النَاصر، ثم أتوا به إلى البيتِ الكبير الذي في حدَرَةِ البَقِر، ثم اتقع المماليك الأشرفية والأينالِيّة معَ المماليك الظاهرية، فكان بينهم وَقعة عظيمة، فانكسر المماليك الأشرفية والأيناليّة كسره قوية، ثم انفضوا على ذلك، فأرسل السلطان خلفَ الأتابكي جربَاش فَطلعَ إلى القلعة.

ثم إنَ السُلطان قبضَ على جَماعةٍ من المماليك الأيناليّةِ والأشرفية، ونفاهم إلى بلاد الصّعيد وَغيرها.

واستمر الملك الظاهر خُشقدم في السلطنةِ إلى **سنةِ ست وستين فمنَ الحوَادثِ، فيها:** أن النيلَ توقف في أوَائل شهر أبيب، وأقَام على ذلك نحو خمسة عشر يَومًا[1] لمْ يزدْ فيها شيئًا، فضج الناسُ من ذلك، فرسمَ السلطان للقُضاةِ والعُلماءِ بأنْ يتوجهوا إلى المقياس، ويُقيموا هُناكَ، وَيبتَهلوا إلى الله تعالى بالدُعاء، فتوجهوا إلى المقياس، وأقاموا به أيَام، وصَار يجتمع هُناك أعيان القُضاة والعُلماء، وقد قيل في المعنى:

---

[1] في بدائع الزهور ٣٩٤/٢: "أربعة عشر يومًا".

وَلقـدْ عَهِـدتُ النيـل سـنيًا يَـرى عُمـرًا وَيتبـعُ أمـرهُ تسـدّيدَا
وَالآن أضـحى فـي الـوَرَي مُتشـيّعًا مُتوقفًـا مَـا أنْ يحـبَّ يزيـدَا[1]

ثم إن السُلطان أرسل يَسْتفتي الشيخ أمين الدّين الأقصراي الحنفي في ذلك، فأفتى الشيخ أمين الدّين بأن جميع بني العبَاس منْ رجالٍ وَنساء وصغارٍ، يضعون شيئًا من الماء في أفواههم، ويصبونهُ في إناءٍ، ثم يلقونهُ في بحر النيل، ففعلوا ذلك وأوفى وَثبتَ إلى أوَاخر توت[2].

ومن الحوَادثِ في أيَامهِ أيضًا: أنَ الشمسَ كُسِفت [٢١١/ب] كُسوفًا عظيمًا وَقت الظهر، وأَظلمت الدُنيا، وأَقَامَتْ مكسُوفة نحو سَاعة حتى انجلتْ[3].

ثم إن الملك الظاهر خُشقدم أقام في السلطنة إلى سنة ثمان وستين وثمانمائة، ففي هذه المُدّة: عُظم أمر المقر السيفي جَاني بك نائب جدّة الدوادار الكبير، وَالتفت عليه الظاهرية وصَار يركب في موكب عظيم، وقدَامهُ الأمراء وَالخاصكية حتى يُوصلونهُ إلى بيته، فثقلَ أمره على الملك الظاهر خشقدم وخشى منهُ.

فلما كانَ يَوم الثلاثاء رَابع ذي الحجة منَ السنةِ المذكورة طلعَ جاني بك إلى القلعة وقت صلاة الصُبح هو وَالأمير تنم رصَاص المُحتسب، فخرجَ عليهما جَماعة منَ المماليك الأجلاب من مماليك الظاهر خشقدم، فقتلوا الأمير جَاني بك الدوادار، وَالأمير تنم رصَاص المُحتسب في اليوم المذكور عند بَاب الجامع الذي بالقلعةِ عند بَاب القُلة، فقتلوا هُناك أشرَ قتله[4].

فلما طلع النهَار غسلوهُما، وَكفنوهَا، وَصلوا عليهما، وَدُفن الأمير جَاني بك في تُربتهِ التي عند الشيخ عدي بن مُسَافر[5].

وكان الأمير جَاني بك نائب جدّة أميرًا عظيمًا، مَليًا، مُولعًا بغرسِ الأشجَار، كثير التنزهُ وَهوَ الذي أنشأ القُبة وَالغيط التي في منشِيَّةِ المهرَاني.

---

[1] بحر الكامل؛ البيتان لابن مماتي. (انظر: الغيث المسجم في شرح لامية العجم م٢/٧٥).
[2] في بدائع الزهور ٣٩٦/٢ وجواهر السلوك ٣٤٣: آخر مسرى".
[3] في بدائع الزهور ٤٠٥/٢: الخبر في أحداث سنة ٨٦٧هـ.
[4] الخبر في بدائع الزهور ٤٠٨/٢: في أحداث سنة ٨٦٧هـ.
[5] وهي خَارج القرافة الصُغْرَى الْمَشْهُورَة الآن بزاوية القادرية. (انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٢٥/٣).

وكانَت صفته قصير القامة جدًّا، أسمر اللون، مُستدير اللحيّة، شايب الشعر، وَكانَ دُهاء في نفسهِ، كثير الحيل، وَهوَ الذي كانَ القائم في تدبير أمر مملكة الظاهر خشقدم، ومَسك الأمراءِ الأشرفية.

وَلما قتلَ الأمير جَاني بك، أخلع السُلطان علي المقر السيفي يشبك الفقيه المُؤيدي واستقر به دوادار كبير عُوضًا عن جَاني بك نائب جدّه؛ واستقر الأمير جَاني بك المعروف بكوهيّة دوادار عُوضًا عن الأمير جَاني بك الظريّف [٢١٢/أ] الأشرفي.

وفي هذهِ السنة: جَرَّدَ السُلطان العسكر إلى بلاد الفرنج، فأقاموا هُناك مُدّة ثم رَجعوا وهُمَ سَالمون[١].

وفي هذهِ السنة: قبضَ السُلطان على الصَاحب علائي الدّين علي بن الأهناسي، وكانَ قدْ رقَّى في أيَامهِ حتى بقى وزيرًا وناظر الخاص، وعظم أمرهُ في دولة الملك الظاهر خشقدم فقبض عليه وَصَادرهُ واستصفى أموَالهُ، ثم نفاهُ إلى مكة، فتوجه مِنَ البحر المالح إلى مكة، فأقام بهَا إلى أن مَاتَ في سنةِ تسع وستين وَثمانمائة، وَلما قبض عليهِ السُلطان استقر بالصَاحب مجد الدين ابن البقري وكانَ اسمه شاكر[٢].

وفي هذهِ السنة وَهي سنة تسع وستين، فيها: أنعم السُلطان على المقر الشهَابي أحمد بن العيني بتقدمة ألف[٣].

وفيها: حجتْ خوند الأحمديّة زوجة الملك الظاهر خُشقدم، وكان المقر الشهابي أحمد بن العيني أمير المحمل، فكانَ لهُ لما خرجَ منَ القاهرة طلبٌ عظيم، وَاقترح في طلبهِ أشياء لم يُسبق إليها، فمنْ جُملة ذلك أنهُ صنعَ أكوَارًا مِنَ الذهب مُرصّعة بفصُوص منَ البلخش وَالفيروز، وَصنع كنابيش منَ الذهبِ مُكللة باللؤلؤ وَالريش، وَصنعَ أشياءَ منْ هذا النمط لم يُسبق إليها، وخرجَ في موكب عظيم، وَالأمراء المُقدمين قدَامه، وغالب العسكر[٤]، وَذلك لكون أنَ جَدّة

---

(١) الخبر في بدائع الزهور ٤٠٣/٢: في أحداث سنة ٨٦٧هـ.

(٢) الخبر في بدائع الزهور ٤٠٥/٢: في أحداث سنة ٨٦٧هـ؛ وأنه اختفى وقبض عليه في سنة ٨٦٨هـ. (انظر: بدائع الزهور ٤١١/٢).

(٣) الخبر في بدائع الزهور ٤١٤/٢: في أحداث سنة ٨٦٨هـ.

(٤) الخبر في بدائع الزهور ٤٢٠/٢، ٤٢١: في أحداث سنة ٨٦٨هـ.

المقر الشهَابي ابن العيني كانتْ زوجة الملك الظاهر خشقدم من حينٍ كان مملوك سُلطان إلى أنْ بقي سُلطانًا، وهي خوند الأحمدية، وكانتْ تدعي أنها من فقراء الشيخ أحمد البدَوي، رضي اللهُ عنه، فحجتْ في محفةٍ زركشٍ، فلما عادتْ أقامتْ مُدّة ومَاتت[1]، فتزوج السُلطان بَعدَهَا بمستولديهِ خوند سَوارباي، وأقامَ مَعها إلى أنْ مَاتَ. [٢١٢/ب]

ومنَ الحوَادث في أيَامهِ: أنهُ رَسم للأتابكي جربَاش المحمدي كرُتْ بأنْ يتوجه إلى دمياط، فخرج هو وولدهُ المقر الناصري محمد بن خوند شقراء، فأقاموا بدمياط إلى أنْ كانتْ دولة الملك الأشرف قايتباي، فرسمَ بإحضار الأتابكي جربَاش وَولدهُ من دمياط فحضروا إلى الديار المصرية، فأقام الأتابكي جربَاش مُدّة وَمَاتَ ثم مَاتت بعدهُ خوند شقراء، ثم مَاتَ بعدهَا بمدّة يسيرة وَلدهَا المقر الناصري محمد.

ولما توجه الأتابكي جربَاش إلى دمياط، أخلع السُلطان علي المقر السيفي قانم التاجر واستقر به أتابك العسَاكر بالديار المصرية عُوضًا عن جربَاش كرُت، فأقام في الأتابكية مُدّة، وَمَاتَ في أثناء دولة الملك الظاهر خُشقدم في سنةِ سبعين وَثمانمائة، ثم بقي تمربُغا أمير مجلس عُوضًا عن قانم التَاجر لما بقى أتابكي؛ ثم بقى أزبك من طُطخُ رأس النُوب عُوضًا عن تمربُغَا.

فلما مَاتَ الأتابكي قَانم أخلع السُلطان على المقر السيفي يلباي المُؤيدي أمير أخور كبير واستقر أتابك العسَاكر عُوضًا عنْ قَانم التَاجر؛ وأخلع على المقر الشهابي أحمد بن العيني وَاستقر به أمير أخور كبير عُوضًا عنْ يلباي[2]، وَكانَ المقر الشهَابي أحمد بن العيني في دَولة الملك الظاهر خُشقدم صَاحب الحلّ والعَقد بالديار المصرية، وكانَ لهُ كلمة نَافذة وَحرمة وافرة، وفيه يَقولُ سيدي علي بن بُرد بك هذه الأبيات:

يَا طَاهر الأَصل يَا سِبطِ الملوكِ وَمنْ ... حَازَ الطهارةَ مِنْ أصلٍ بوجهينِ
البحرُ جدّكَ وَالإجماع مُنعقدٌ ... على طهارةِ ماءِ البحر والعينِ[3]

ومنَ الحوَادث في أيام الملك الظاهر خُشقدم: أنهُ لما أنْ قُتل الأمير جَاني بك نائب جدة رسمَ بنفي جَماعةٍ منَ الأمراءِ الظاهرية، فقبض على الأمير تمربُغا

---

(1) خبر وفاة خوند الأحمدية (بدائع الزهور ٤٣٥/٢) في أحداث سنة ٨٧٠هـ.
(2) الخبر في بدائع الزهور ٤٤٣/٢: في أحداث سنة ٨٧١هـ.
(3) بحر البسيط؛ ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

رأس نوبة النُوب، وعلى الأمير أزبك من ططخُ صِهر الملك الظاهر جقمق، وعلى الأمير بَرقُوق الظاهري [٢١٣/أ] إحدى الأمراء العشراوات، فقبض عليهم في القصر الكبير وقيدهم، ونزل بهم منَ القلعة، والأوجَاقية خلفهم بالخناجر حتى أوصلوهم إلى البحر فتوجهوا بهم إلى السجن بثغر الإسكندرية، فلما وصلوا بهم إلى الأسكندرية أقاموا بها ثلاثة أيام، فطلع الأتابكي قَانم التَاجر هو والأمراء فشفعوا فيهم، فرسم لهم السُلطان بالعود فعادوا إلى القاهرة، وطلعوا إلى القلعة، فأخلع عليهم واستقروا على وظائفهم، وذلك في أواخر سنة ثمان وستين وثمانمائة بعد قتله جَاني بك نائب جدّة بمدة يسيرة.

ومنَ الحوَادثِ في أيامهِ: أنه استقر بشمس الدّين الببَاوي[1] وَزيرًا بالديار المصرية، وكانَ عَاميًا أمُيًا لا يقرأ ولا يكتب، ولا يعرف اسمه من اسم الحمار، فلما تولى الوزارة صَار لهُ حرمة وافرة، وَكلمة نافذة، وَهابتهُ جميع الناس، وصَار يقول: "كل مباشرٍ لا يسد فعلي سداد وظيفته"، ولما عزلَ الأمير زين الدين الأستادار تسلمهُ الببَاوي وأراد أنْ يعصره، ثم عفى عنهُ، وكانت وَلايته في الوزارة في أواخر سنة تسع وستين وثمانمائة[2]، وكان أسمر اللون، غليظ البدن، في كلامه عترسه، وكان لا يقبل رسالة من أحد منَ الأمراء، وكان شديد البأس، يابس الطبع، وفيه يقولُ بعض الشعراء:

قالوا الببَاوي[3] قدْ وزرْ ... فقلتُ كلا لا وزرْ
الدهرُ كالدولابِ لا ... يدورُ إلا بالبقرْ[4]

وقال بعضهم أيضًا:

مرضَ الزمانَ وقدْ تمسك طبعهُ ... منْ شرِّ قولنج به يتمغسُ
حقنتهُ أراء الملوك فجأتهُ ... أهلُ المناصبِ كلّ شخصٍ مجلسُ[5]

واستمر الببَاوي في الوزارة مُدةٍ نحو سنتين، وسكن في بيت الوزارة الذي في بركة الرطلي، فنزل في مركبٍ وتوجهِ إلى بعض أشغالهِ، [٢١٣/ب] فلما عَاد في المركب انقلبتْ به عند رأس الجزيرة الوسطى، وهو داخل إلى خليج الزريبة،

---

[1] في بدائع الزهور ٤١٤/٢: "الببای".
[2] في بدائع الزهور: تولى الوزارة في يوم الإثنين ربيع الأول سنة ٨٦٨. (انظر: بدائع الزهور ٤١٤/٢).
[3] في بدائع الزهور ٤١٦/٢: "الببای".
[4] بحر مجزوء الرجز.
[5] بحر الكامل؛ البيتان لمحيي الدين بن عبد الظاهر. (انظر: شرح لامية العجم ١٠٨).

فغرق هُناك ولمْ يظهر لهُ خبرٌ، ولا طفَّ كعادة الغرقاء، وإلى الآن لمْ يُعرف لهُ مكان قبر، ثم إن الزيني قَاسم تكلم بعدهُ في الوزارة وسدّ سدادًا عظيمًا في أيامهِ.

ومنَ الحوَادث: أن الملك الظاهر خُشقدم عزل القَاضي مُحب الدّين ابن الشحنة منْ كتابة السر واستقر بالقاضي برهان الدين ابن الديري الحنفي، فأقام مُدّة يسيرة وعزلهُ، واستقر بالقاضي زين الدين أبو بكر بن مزهر فأقام مُدّة طويلة، ثم بعد مُدة استقر بالقاضي مُحب الدين ابن الشحنة قاضي قضاة الحنفية، فأقام مُدّة وعزله، واستقر بالقاضي بُرهان الدين ابن الديري قاضي قضاة الحنفية، فأقام مُدة يسيرة وعزله، وأعُيد ابن الشحنّة إلى قضاء الحنفية ثانيًا.

وفي أيامهِ: استقر بشخص يُسمى مُنصور أستادارًا فأقام مُدة، ثم قبض عليه وسجنه بالقْشرة، ثم أثبتوا عليه أشياء تُوجب الكفر، فحكم بعض القضاة المالكية بقتله، فضربوا عُنقه تحت شباك المدرسة الصالحية.

ومنَ الحوَادث: أن الملك الظاهر خُشقدم رسم للخليفة المستنجد بالله يُوسف بأنْ يسكن بالقلعة دائمًا، فطلع وسكن بها داخل الحوش السُلطاني، ومنع من النزول إلى المدينة، فأقام على ذلك إلى أنْ مَاتَ في دولة الملك الأشرف قايتباي.

وكان الملك الظاهر خُشقدم سريع العزل لأرباب الوظائف كثير الانقلاب، عجولًا في أموره، ثم في أثناء دولته صفا له الوقت، وأنعم على جماعة من خشداشينه المُؤيدية بتقادم ألوف، منهم: الأمير جَاني بك كوهيّة، والأمير [٢١٤/أ] مُغلباي طاز، والأمير قنبك المحمودي، واستقر بمملوكه خير بك دوادار ثاني عُوضًا عن الأمير جَاني بك كوهيّه؛ واستقر بمملوكه مُغلباي مُحتسب القاهرة ثم بقي مُقدم ألف؛ وأنعم على الأمير خُشكلدي البيسقي بأمرية أربعين؛ وأخلع على المقر السيفي بُزد بك البشمقدار واستقر به نائب حلب في أيامهِ، وخرج إليها، ثم بقي أزبك من ططخ حَاحب الحجاب بعده؛ وأنعم على جماعةٍ كثيرة من مماليكه وخشداشينه بأمريات أربعين وأمريات عشرة.

واستمر في أرغد عيشٍ قائمًا بأمور مملكته إلى أنْ مرض وسلسل في المرضِ إلى أنْ مَاتَ في يوم السبت بعد الظهر عاشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، وَمَاتَ ولهُ منَ العمر ما ينُوف عن سبعين سنة[1]، ولما ماتَ دفن في تُربتهِ التي أنشأها في الصحراء.

---

[1] في بدائع الزهور ٤٥٦/٢: "ومات وله من العمر نحو من سبعين سنة".

فكانت مُدّة سلطنتهُ بالديار المصرية ست سنين وخمسة أشهر وعشرين يومًا[1] بما فيه من مُدّة توعكه وانقطاعه.

وكانَ ملكًا جليلًا مُهابا، عارفًا بأمور المملكة، مَاشيًا في المملكة على طريقة الملوك السالفة في عمل الموَاكب بالقصر الكبير يوم وفاء النيل، ويكسر السد بنفسه، ويتوجه إلى المقياس في الذهبية، ويُخلق العامود بحضرتهِ، وكان كثير الرمَايات في بركة الحاج، وكان يلبس الصُوف من المطعمِ، ويدخل إلى القاهرة من باب النصر في المواكب العظيمة، وتُزين لهُ في ذلك اليوم القاهرة.

وكان يدور المحمل في رابع عشر شهر رجب على العادة القديمة، وتُزين لذلك القاهرة ثلاثة أيام، وتُنفق في هذه الأيام ما لا يُحصى من الأموال، ويخلع يوم تدوير المحمل على أرباب الوظائف منَ الأمراء والمتعممين، وفي ليلة تدوير المحمل يحرق السُلطان حِرَاقة نفط في الرملة، ويكون السُلطان في تلك الليلة بايتًا في الخرجاه المطلة على الرملة، وتجتمع [٢١٤/ب] الناس للفرجة، وتكون ليلة مشهودة، وكان جَماعة من فرسان المماليك السُلطانية وعَدّتهم أربعون مملوكًا ولكل عشرة من المماليك باش، وكانَ المعلم يومئذ الأمير قايتباي المحمودي الظاهري شاد الشربخاناه الشريفة، فكانوا يَلعبون بالرمح على النيل قبل تدوير المحمل بأربعين يومًا في القرافة الكبرى عند زاوية الشيخ أبي العباس الحرَّار، وكانوا يلعبون في الجمعة أربعة أيام السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء، ويخرج إليهم الناسُ في تلك الأيام، بسبب الفرجة، وكانوا يلعبون الرمح وهم بالشاش والقماش نحو أربعين يَومًا وهم على ذلك، ويأتون بأشياء غريبة في بنود اللعب بالرمح، وكانوا يوم تدوير المحمل يجتمعون في الرملة، ويسوقون هُناك مرتين مرة عند طلوع الشمس، ومرة بعد الظهر، وهم لابسون الأحمر وعلى رؤوسهم خود[2] وخيولهم لابسة آلة الحرب، فإذا فرغوا منَ اللعب ينزل الأربعون فارسًا على خُيُولهم، ويبوسون الأرض للسلطان، ثم منْ بعدهم ينزل الباشات الأربعة ويبوسون الأرض، ثم منْ بعدهم ينزل المعلم من على فرسه ويبوس الأرض للسلطان، وهو جَالسٌ في الخرجاه المطلة على الرملة، والأمراء حولهُ، فينعم على المعلم في ذلك اليوم بخلعة وفرس بسرج ذهب وكنبوش، فينزلون به منْ بابِ السلسلة إلى الرملة،

---

(١) في بدائع الزهور ٤٥٥/٢: "واحد وعشرين يومًا".
(٢) كذا في الأصل.

فيقبل المعلم حَافر الفرس ثم يركبه ثم إن الرماحة ينزلون وهم سايقون من عند مدرسة السُلطان حسن، ويشقوا من المدينة، وهم سائقون إلى عند باب النصر، ويكون مبتدأ طلوعهم مِنَ الصليبة، هذا كله وقت لعبهم عند الظهر، والمدينة مُزينة بأحسن زينة، فإذا انته الرمَّاحة إلى باب النصر يمضي كلّ أحدٍ منهم إلى بيته، ثم من بعد ذلك يجيء المحمل وكسوة الكعبة الشريفة ومقام إبراهيم عليه السلام وبُرقع الكعبة المزركش، وهم مزفوفون على الحمالين، فيأتوا بهم من مصر العتيقة منْ عند فندق الكَارم، ويطلعون من الصليبة ويطوفون بهم في الرملة، ثم ينزلون ويطوفون بهم في المدينة إلى بابِ [٢١٥/أ] النصر، كلّ ذلك والسلطان ينظر إليهم، فإذا انتهى المحمل إلى باب النصر، تُهد الزينة ويمضي كلّ أحد إلى حال سبيله، وإنما ذكرنا هذه الواقعة في هذا التاريخ إلا لكون أن هذا الأمر قد بطل منَ الديار المصرية منْ أيام الملك الأشرف قايتباي، وكان منْ فرحات مصر المعدودة، ومن شعارِ المملكة على القاعدة القديمة، وقد دُثرتْ أخبار ذلك لطول المدّة، وكان يُصرف على ذلك من الأموال جُملة كثيرة مِنَ السلطان والأمراء الذين يُسوقون في المحمل ولا سيما ما كانَ يُعمل في تلك الأيام من المدَّاتِ العظيمة، والمُسايرات العجيبة، وقدْ بطل ذلك جميعهُ مع جُملة مَا بطل من شعائرِ مصر في هذه الأيام الخَاوية[1]، وفي معنى ذلك يَقولُ بَعضهم منْ زجلٍ:

فـي مِصـر فَرسَـان أربعـين فـي العـدْ	لـدَورة المحمـل يَسُوقَـوا الجيـادْ
وَرُعبُهـم سَاكـنْ قَلـوب الملـوك	يَـرُدُو الخـارج وأهـل العنـادْ
وَكـانَ بهـمْ سُلطـان مَـصَرْ يَفتخـرْ	علـى مُلـوك الشـرق لاقصـى البلاد[2]

وكانت أيام الملك الظاهر خُشقدم كلها لهو وانشراح، ولم يجئ في أيامهِ فصل[3] ولا غلاء ولم يخرج في أيامهِ تجريدة إلى البلاد الشامية، ولم يكن من مساوئه غير مماليكه الأجلاب، وتشويشهم على الناس، وهو أخر من مشى على القاعدة القديمة من الملوك بمصر في ترتيب الموَاكب في القصر، وبياتَ الأمراء في القصر في الجمعة ليلتين ليلة الإثنين وَليلة الخميس، وَالموكب عمال بشاش وَالقُماش.

(1) الخبر ورد هنا مفصلًا عما ورد في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٤٥٦/٢).
(2) لم ترد تلك الأبيات في بدائع الزهور.
(3) في جواهر السلوك ٣٤٥: "فضل".

وَلما مَاتَ الظاهر خُشقدم خلف من الأولاد، صبيين أحدهما مَاتَ صغيرًا في الفصل، وَالآخر عَاش إلى أن تَزوّج ببنت الأمير أزدمُر تمسَاح أحد الأمراء المقدمين، وَرزق منهَا الأولاد، واستمر مقيمًا بالقاهرةِ، ولم يُسجن كعَادةِ [٢١٥/ب] أولادِ الملوك السَافلة، وكانَ أبطالِ هذه السُنةِ السيئة في صحيفةِ الملك الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى.

وَكانَ صفة الملك الظاهر خُشقدم مُعتدل القَامة، أبيض اللون مُشرب بحمرة، مُستدير الوجة، كبير اللحية قد شابَ أكثرهَا، وكَانَ مُتأنقًا في مَلبَسِهِ، يركب بالمهَاميز الذهب، والخُف المزركش بالذهب، وَالرُكب الذهب، وكانَ يُبطنَ الأقبية الصُوف بالمخمل الأحمر، وكان يلبس الصُمور[1] الفَاخر الذي لا يُوجد، لكنهُ كانَ غير عفيف الذيل، وَلوَلا أذى مماليكه في حقِ الناس لكان خيار ملوك الترك وكانت دولته ثابتة القواعد.

أمَا أتابكيته: فالمقر السيفي جربَاش المحمدي المعروف بكرُت، والمقر السيفي قَانم التَاجر، والمقر السيفي بَلبَاي.

وأمَا دواداريته: فالمقر السيفي جَاني بك نائب جدّة، والمقر السيفي يشبك الفقيه المُؤيدي.

وأمَا دواداريته الثانية: فالأمير جَاني بك كوُهيّه، والأمير خير بك مملوكه.

وأمَا قُضاته الشافعية: فالقاضي شرف الدّين يحيى المناوي تولى في أيامهِ مرتين، والقاضي علم الدّين صالح البُلقيني، وَالقاضي صلاح الدّين المكيني، والقاضي أبو السعَادَات البُلقيني، وَالقاضي وَلي الدّين الأسيوطي.

وأمَا قُضاته الحنفية: فالقاضي سعد الدين الديري أولًا، وابن الصوّاف، وَالقاضي مُحب الدّين ابن الشحنّة تولى في أيامهِ مرتين، وَالقاضي بُرهان الدّين الدّيري.

وَأمَا قُضاته المالكيّة: فالقاضي سِراج الدّين السيّد الشّريف بن حُريز.

وأمَا قُضاته الحنَابلة: فالقاضي عز الدّين عز الدين الحنبلي.

---

[1] في بدائع الزهور ٤٥٦/٢: "السمور".

وَأمَا كُتاب سرّهِ: فالقاضي مُحب الدّين ابن الشحنّة أولًا، ثم القاضي بُرهان الدّين الديري الحنفي، ثم القاضي زين الدّين أبو بكر بن مزهر [٢١٦/أ].

وَأمَا نُظار جيشه: فقدْ تولى في أوائل دَولته جَماعة من الأعيان فلمْ تطل مُدتهم بهَا ثم تولى القاضي كمال الدّين ابن المقر الجمالي يُوسف ناظر الخَاص فطالت أيَامهُ بهَا.

وَأمَا وزراؤه: فالصاحب علائي الدّين ابن الأهناسي تولى في أيامهِ مرّتين، والصَاحب ابن صَنيعَه، ثم أعُيد الصَاحب علائي الدّين ابن الأهناسي ثانيًا واستقر وزيرًا وناظر الخَاص، ثم الصَاحب مجد الدّين ابن البقري، ثم الشرفي يُونس دوادار الزمام، ثم شمس الدّين البباوي، ثم الزيني قَاسم وكانَ شريكه في الوزارة عبد القادر.

وأمَا أستاداريَاته: فالأمير زين الدّين يحيى الأسُتادار أولًا، والأمير مجد الدّين ابن البقري، وَمنصور القبطي، وابن كاتب غريب.

وأمَا نُظار خَواصهِ: فالأمير عبد الرحمن بن الكويز أولًا، والقاضي شرف الدّين الأنصاري، والعلائي علي بن الأهناسي، وَالقاضي تاج الدّين ابن المقسي.

وأمَا منْ توفي في أيامهِ منْ أعيان العُلماء، منْ هُم: شيخ الإسلام سعد الدّين الديري الحنفي[١] ودُفن في تُربة الملك الظاهر خُشقدم، وتوفي قاضي القُضاة علم الدين صالح البُلقيني الشافعي[٢]، وقَاضي القُضاة شرف الدّين يحيى المنَاوي الشافعي[٣].

وتوفي منْ الزُهاد في أيَامهِ: الشيخ عمر الكردي[٤] وَدُفن في تُربة الظاهر خُشقدم؛ وَالشيخ محمد الشريفي الشادلي[٥].

---

[١] هو سعد بن محمد بن عبد الله بن مفلح بن أبي بكر، ت: ٨٦٧هـ. (انظر: بدائع الزهور ٤٠١/٢-٤٠٢).

[٢] هو صالح بن سراج الدين عمر، ت: الأربعاء خامس رجب سنة ٨٦٨هـ. (انظر: بدائع الزهور ٤١٩/٢).

[٣] هو يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف، ت: الإثنين ثاني عشر جمادى الأولى سنة ٨٧١هـ. (انظر: بدائع الزهور ٤٤٥/٢).

[٤] ت: ٨٦٨هـ، وله كرامات خارقة. (انظر: بدائع الزهور ٤١٣/٢).

[٥] وهو تلميذ القُطْبُ سيّدي ناصِرُ الدِّينِ محمدُ الشَّاطِرُ. (انظر: تاج العروس ٢٥٤/٢٩).

وتوفي منْ الشعراء في أيَامهِ الشيخ شهاب الدّين ابن أبي السُعود[1]، قيل: توفي بمكة. وتوفي في أيَامهِ جماعة كثيرة منَ الأعيان لم نذكرهم هنا خَوف الإطالة.

وقد انتهت أخبار دولة الملك الظاهر خُشقدم على سبيل الاختصار من ذلك، ولما توفي الملك الظاهر خُشقدم تسلطن بعدهُ الظاهر يلباي [٢١٦/ب].

---

[1] هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن سعيد، ت: ٨٧٠هـ. (انظر: بدائع الزهور ٤٣٨/٢).

ذكر

سلطنة الملك الظَاهر

أبي النصر يلبَاي المُؤيدي[1]

وَهوَ التاسعُ وَالثلاثون من مُلوك التُرك وأولادهم، وَهوَ الرَابع عشر منْ مُلوك الجرَاكسة وأولادهم بالديار المصرية.

وَأصلهُ جَركسي الجنس، جلبهُ الأمير أينَال ضُضُع مِنْ بلاد جركس، فاشتراهُ منهُ الملك المؤيد شيخ في سنة عشرين وَثمانمائة، ثم أعتقه، وصار في أيَامهِ خَاصكي، ثم بقى سَاقيًا في دولة الملك الظاهر جقمق، ثم بقى أمير عشرة، ثم بقى أمير أربعين، ثم بقى مُقدم ألف في دولة الملك الأشرف أينَال، ثم بقى حَاجب الحجاب في دولة الملك الظاهر خُشقدم، ثم بقى أمير أخور كبير، ثم بقى أتابك العسَاكر بعد مَوت الأتابكي قَانم التَاجر في سنةِ سبعين وَثمانمائة[2]، ثم بقى سُلطانًا بعدَ موت الملك الظاهر خُشقدم.

فتسلطنَ يوم السبت بعدَ العصر في عاشر رَبيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، وَجلس على سرير الملك، وَباسُوا لهُ الأمراء الأرض، ونُودي باسمه في القاهرة، وتلقبَ الملك الظاهر، ودُقت لهُ الكوسات.

فلمَا تمَّ أمرهُ في السلطنة، أخلعَ على المقر السيفي تمربُغا الظاهري أمير مجلس، واستقر به أتابك العسَاكر عُوضًا عن نفسه؛ وأخلعَ على المقر الشهَابي أحمد بن العيني واستقر به أمير مجلس عُوضًا عن تمربُغا؛ وأخلعَ على المقر السيفي قنبك[3] المحمُودي المُؤيدي واستقر به أمير سلاح عُوضًا عن الأمير قُرقماس الجلّب؛ وأخلعَ على الأمير بُردبك هَجين واستقر به أمير أخور كبير عُوضًا عن ابن العيني.

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٤٥٨/٢- ٤٦٧؛ جواهر السلوك ٣٤٧- ٣٥٠.

[2] كذا في بدائع الزهور ٤٥٨/٢؛ وفي جواهر السلوك ٣٤٧: "تسع وستين وثمانمائة"؛ والصحيح سنة ٨٧١هـ. (انظر: بدائع الزهور ٤٤٣/٢).

[3] في جواهر السلوك ٢٤٨: "يشبك"، ثم ورد كما هنا في جواهر السلوك ٣٤٨.

فلما استقر أمر الملك الظاهر يلباي في السّلطنة ضعُفَ أمرهُ عن تدبير المملكة، وَظهر عليه العجز، وَتقلبتْ عليه المماليك الخُشقدميّة، وَصارت أمور المملكة مَغدُوقةً بالأمير خير[1] بك الدَوَادَار الثاني مملوك الملك الظاهر خُشقدم.

ثم إن خير بك [٢١٧/أ] حَسّنَ ببَالِ الظاهر يَلبَاي بأنْ يقبضَ على الأمير قُرقَماس الجلّب، فأرسل قبضَ عليه، وعلى الأمير أرغون شاه أُستَادَار الصُحبة.

وكانَ الملك الظاهر خُشقدم وهو ضعيف على حَياض الموت أرسلَ الأمير يشبك الفقيه الدوَادَار الكبير وَصُحبتهُ الأمير قُرقماس الجلّب، وَالأمير أرغون شاه، وجَماعةِ منَ الأمراء العشراوَات، وَالمماليك السُلطانية، فتوجهوا إلى نحو بلادِ الصعيد، بسبب فسَاد العُربان، وكانتْ البلاد جَائلة بَسببِ ضعف السُلطان خُشقدم.

فلما تسلطنَ يلباي أرسل قبضَ على الأمير قرقماس الجّلب وأرغون شاه وأرسلهما من هُناك في مركب إلى السجن بثغر الإسكندرية، فلما وقعَ منهُ ذلك فنفرتْ منهُ قلُوب العسكر، ثم إنهُ لما نفق على العسكر نفقةِ السلطنة فلمْ يعط أولاد الناس شيئًا، ولا الخُدام على جاري العادة، فكثر عليه الدُعاء.

ثم بعد أيام منْ دولتهِ حضرَ الأمير أزبك من طُطخُ رأس نوبة النُوب، وكان الملك الظاهر خُشقدم أرسلهُ إلى العقبة، هُو وَالأمير يشبك الفقيه الدوَادَار الكبير؛ بسبب فسَاد العُربان لما شوَّشوا على الحُجاج، فلما توجه الأمير أزبك إلى العقبة مشوا وراء العرب إلى الأزنمْ، فمسك منهم جَماعة، وأحضرهم صُحبتهُ إلى القَاهرة، فلما طلع إلى القلعة وأعرض العُربان على السلطان يلباي، فرسمَ بتوسيطهم، وكانوا مائة وعشرين إنسان[2]، وفيهمْ الصّغار الذي دُون البلُوغ، فلم يعرف الظالم من المظلوم، وَسط الجميع.

ثم لما حضرَ الأمير أزبك منَ العقبة، أشار الأمير خير بك الدوَادَار على السُلطان يلباي بأن يولي الأمير أزبك نائب الشام، فلما طلعَ الأمير أزبك إلى القعلة في يوم الجمعة، أخلعَ عليه السُلطان خلعة وَوَلاهُ نائب الشام، ورسمَ لهُ بأن يخرج إلى السفر يوم الإثنين، فخرج في ذلك اليوم وتوجه إلى الشام، وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة؛ ثم أخلعَ على قايتباي المحمُودي واستقر به رَأس نوبة النُوب عُوضًا عنْ أزبك لما بقى نائب الشام.

---

(1) في بدائع الزهور ٤٥٩/٢ وجواهر السلوك ٣٤٨: "خاير".
(2) في بدائع الزهور ٤٦١/٢: "نحو من ستين إنسانًا".

ثم لما حضرَ الأمير يشبك الفقيه الدوَادَار الكبير منْ بلادِ [٢١٧/ب] الصعيد، وقدْ تقدم سبب سفرهِ، فعند ذلك قوي قلب الملك الظاهر يلباي بخشدَاشينهِ المُؤيدية، وكان غالبهم أمراء مقدَّمين ألوف، وَطبلخانات، وَعشرَاوَات، فأرَادَ أنْ يمسك خير بك الدوَادَار، وجَماعة من الخُشقدميّة، فأرسلَ يقول للأمير يشبك الفقيه: "بأنْ يركب هُوَ وَالأمراء المُؤيدية على المماليك الخُشقدميّة"، فكانَ تدبير الملك الظاهر يلبَاي في تدمِيرهِ، كما قيلَ:

إذَا لـمْ يكـنْ عَـونٌ مـنَ اللهِ للفتـي فـأولُ مَـا يجنـي عليـهِ اجتهَـادهُ[١]

فركبَ الأمير يشبك الفقيه الدوَادَار، والأمير قنبك المحمودي أمير سلاح، والأمير جَاني بك كوُهيّه أحد الأمراء المقدمين، والأمير مُغلبَاي طاز أحد الأمراء المقدمين، وَالأمير طوخ الزِرْدكاش، وجماعة المُؤيدية بأجمعهم وَالتفَّ عليهم الأينالية والسيفية، فلبسوا آلة الحرب/ وَاجتمعوا عند الأمير يشبك الفقيه، فقعدَ الأمير يشبك الفقيه في المدرسة الجَاوليّة، وَحفر خنادِقًا في الطرقاتِ، وَرّكب مكحلة هُناك، واتقع مع المماليك الخُشقدميّة يَوم الخميس وَيوم الجُمعة، فنزل إليهم بعدَ صلاة الجُمعة الأمير قايتباي المحمودي رَأس نوبة النُوب، ومعهُ جماعة منَ الظاهرية والخُشقدمية، فاتقعوا مع جَماعةِ المُؤيدية وَقعة عظيمة، وَقتلَ فيها بعض مماليك وغلمان.

فلما كانت ليلة السبت سَابع جُمادى الأول من سنة اثنتين وسبعين فهربَ الأمير يشبك الفقيه من المدرسة الجَاولية، وهرب بقية الأمراء المُؤيدية أجمعين، فنهب العَوام بيوتهم في يَوم السبت.

ثم اجتمع الأمراء الظاهرية والخشقدميّة بالقلعة، وَخلعوا الملك الظاهر يلباي من السلطنةِ، وَوَلوا المقر الأتابكي تمربُغَا سُلطانًا، كما سيأتي ذكر ذلك في مَوضعهِ، ثم قيدوا الملك الظاهر يَلبَاي، وَالأمير قنبك المحمودي أمير سلاح وَحُبسُوا [٢١٨/أ] في القلعة البحرة.

فلما كانَ يَوم الثلاثاء عاشر جُمادى الأول، أرسلوا الملك الظاهر يَلبَاي هُو وَالأمير قنبك إلى السجن بثغر الإسكندرية، وهُما في قيودٍ، فتوجها إلى ثغر الإسكندرية وسُجنَا بها؛ ثم مُسك الأمير يشبك الفقية، والأمير جَاني بك كوُهيّه، والأمير مُغلبَاي طِاز، وطوخ الزردكاش، وَبقية المُؤيدية[٢].

---

[١] بحر الطويل.

[٢] ورد الخبر مختصرًا في بدائع الزهور. (انظر: بدائع الزهور ٢/٤٦٦).

فأمَا الملك الظاهر يَلبَاي فأقام في السجن بثغر الإسكندرية إلى أنْ مَاتَ في أثناء دَولةِ الملك الأشرف قايتباي، في شهر صفر[(١)] سنة ثلاث وسبعين وَثمانمائة، وَدُفن هُناك وقد نَاف في العُمرِ نحو خمسة وسبعين سنة.

ثم مَاتَ الأمير قنبك المحمودي أمير سلاح بثغر الإسكندرية أيضًا في أثناء دَولة الأشرف قَايتباي.

وأمَا الأمير يشبك الفقيه فكانَ بدمياط، فلما تسلطنَ الملك الأشرف قايتباي رَسمَ بإحضاره إلى القاهرة، فحضرَ في أثناء دولة قايتباي، واستمر مقيمًا بالقاهرة، وَهو بطالٌ إلى أنْ ماتَ بالقاهرة.

وكذلك الأمير جَاني بك كوُهيّه حضرَ إلى القاهرة أيضًا، وأقامَ بهَا إلى أنْ مَاتَ.

وكذلك الأمير طوخ الرزدكاش كان بدمياط، وَحضرَ إلى مصر، وأقام بهَا إلى أنْ مَاتَ وأمَا الأمير مُغلباي طاز فما أعلم في أي مكان مَاتَ.

فكانتْ مُدّة دَولة الملك الظاهر يَلبَاي بالديار المصرية شهرين إلا أربعة أيَام، كما قَالَ القائلُ:

رَكبَ الأهوَالَ في زورتهِ ... ثم مَا سَلِمَّ حتى وَدَّعَا[(٢)]

وَبه زَالت دَوَلة المُؤيدية كأنها لم تكنْ، فسُبحان القَادِر على كلّ شيء، وكانَ غالب الأمراء المُؤيدية مُقدمين ألوف وأرباب وَظائف، واستمروا في كلِّ دولة مَعزوزين مُكرمين إلى أخر مَا جَرى لهم في دَوَلةِ الظاهر يلبَاي، كما تقدم.

وكانَ الملك الظاهر يَلبَاي في أيام سلطنتهِ في يد خير بك الدوَادَار مثل اللولب [٢١٨/ب] يَدّورهُ كيف شاء، وكان خير بك قَصدهُ يُمهد لنفسهِ، مَا تمَ لهُ مَا أرَاد، وَخانهُ الدهر في المُراد، فكانَ الظاهر يَلبَاي ليسَ لهُ في السلطنة إلا مُجرد الاسم فقط، وَالأمر كله للأمير خير بك، حتى أنْ العَوام سَمتْ الظاهر يلباي "إيش كنتُ أنا؟ قل لهُ[(٣)]" يعني عن خير بك.

---

(١) في بدائع الزهور ٢١/٣: "ربيع الأول" وكذلك في النجوم الزاهرة ٣٧١/١٦.

(٢) بحر الرمل؛ البيت لعليّ بن جبلة. (انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٨٢٤/٦).

(٣) في الأصل "قُلّه"، والتعديل من مورد اللطافة ١٧٨/٢ وبدائع الزهور ٤٦٧/٢).

وكـانَ الظـاهر يلبـاي مـنْ عُمـرهِ أرشـد، قليـل المعرفـة، وكـان يُعـرف بيلبـاي المجنـون، مـن حـين كـان جُنـديًا؛ وكـانَ مـن عمـره غلسًـا فـي شـكله ومَلبسـهِ وَمماليكه، قليل التدبير في أفعاله، خرج ماله على أقبح وجهٍ، وزال سعدهُ جُملـةً وَاحدة، وكانت سلطنته أشرَّ سلطنه، وَأيامهُ أنحس أيَام مع قصرهَا، وَصَارَ تحت الضنك مع المماليك الخُشقدمية لم تنفذ لهُ كلمة بينهم، وقد قيل في المعنى:

وَفـظٍ غَلـيظ الطَبـع لا ودَّ عنـدَهُ   وَلـيسَ لـديه للأخـلاء نـأنيسُ
تَوَاضِـعَهُ كـبرٌ وتقريبُـهُ جَـفًا   وَتَرحيبُـهُ مَقـتٌ وَبُشـرَاهُ تَعبـيسُ[1]

وَقدْ انتهتْ أخبار دَوَلة الملك الظَاهر يَلبَاي على سبيل الاختصار.

---

[1] بحر الطويل.

ذكر

سلطنة الملك الظاهر

أبي سعيد تمربُغا الظاهري(1)

وَهوَ الأربعون مَن مُلوك التُرك وأولادهم بالديار المصرية، وَهوَ الثاني من الأرَوَامِ(2).

وكانَ أصلهُ رُومي الجنس، من مُشتراوَات الملك الظاهر جقمق، وَربّاهُ صغيرًا، فلمَا تسلطنَ جقمق جَعلهُ خَاصكي، ثم بقى سَلحدَارًا، ثم بقى خَازندارًا، ثم بقى أمير أربعين دوَادَار ثاني في دولةِ الظاهر جقمق، ثم بقى مُقدم ألف دوَادَار كبير في دَوَلة الملك المنصور عُثمان بن الظاهر جقمق، ثم سُجن بثغر الإسكندرية لما خُلعَ الملك المنصور من السلطنة [٢١٩/أ]، فأقام في السجن نحو ست سنين، ثم أُفرج عنهُ في دولة الأشرف أينَال، وَتوجه إلى مكة، فأقام بهَا نحو ثلاث سِنين إلى أنْ قدم إلى الديار المصرية في أولِ دَوَلة الملك الظاهر خُشقدم، فأخلع عليه واستقر به رأس نوبة النُوب، ثم حُبس ثانيًا في دَوَلة الزاهر خُشقدم فلمْ يُقم بالإسكندرية سوى ثلاثة أيَام، وقدْ تقدم ذكر ذلك، ثم رجع إلى القاهرة، وأقام بهَا مّدّة، ثم بقى أمير مجلس في أخر دَوَلة الملك الظاهر خُشقدم لما بقى قَانم التَاجر أميرًا كبيرًا، ثم بقى أتابك العسَاكر في دَوَلة الظاهر يَلبَاي.

فلما خُلع الظاهر يَلبَاي منَ السلطنةِ تَسلطنَ عُوضهُ، وذلك في يوم السبت سَابع جُمادى الأول سنة اثنتين وسبعين وَثمانمائة، فلبسَ خلعة السلطنة منَ الحُراقة التي في الأسطبل السُلطاني، وَرَكب وَالخليفة قُدامهُ، والأمراء مشاة بين يديهِ، وحمل القُبة وَالطير على رَأسهِ المقر السيفي قايتباي المحمودي رَأس نوبة النُوب، فطلع من بَابِ سِرّ القصر، وجلسَ على سرير الملك وَباسُوا لهُ الأرض، وَنُودي باسمهِ في القاهرةِ، وَضج لهُ الناسُ بالدُعاء، وتلقب بالملك الظاهر،

(1) أخباره في: بدائع الزهور ٤٦٧/٢- ٤٧٦؛ جواهر السلوك ٣٥٠- ٣٥٢.
(2) يقصد "الروم". (انظر بدائع الزهور ٤٦٧/٢).

وَدُقتْ لهُ البشائر، وفرح به النَاس؛ لكونهُ رجلًا عاقلًا عَارفًا بأمور المملكة، وكانَ كفوًا للسلطنةِ، وَاشتمل على جُملة مَحاسن من أنواع الفرُوسيّة، وغيرها من كلِّ فنٍ لائقٍ به، وَلكن لمْ يُساعدهُ الدهر، وَسطى عليه بالقهر، فزالَ عنهُ الملكُ سَريعًا، وَتجرَّعَ مرَارة عَزله جُرُوعًا، فكانَ كما قيل:

إنــي تأملــتُ الزمــان وَفعلــهُ فــي خفــض ذي شــرف ورفــع الأرذلِ
كطبــائع الميــزان فــي أفعالــه تضــع الــرواجح والنــوَاقصِ تعتلــي[1]

فلما تمّ أمره في السلطنة عمل الموكب، وأخلعَ على من يُذكر منَ الأمراء، وهُم: المقر السيفي قَايتباي المحمودي استقر به أتابك العسَاكر عُوضًا عن نفسهِ؛ وأخلعَ على المقر السيفي جَاني بك قُلقسِزْ واستقر [٢١٩/ب] به أمير سلَاح عُوضًا عن قنبك المحمودي المُؤيدي؛ وأخلعَ على المقر السيفي خير بك الخُشقدمي وَاستقر به دَوَادَار كبير عُوضًا عن يشبك الفقيه؛ وَأَخلعَ على المقر السيفي خُشكلدي البيسقي وَاستقر به رَأس نوبة النُوب عُوضًا عن قايتباي المحمودي؛ وَأَخلعَ على المقر السيفي تمِر وَاستقر به حَاجب الحُجاب؛ وَأخلعَ على الأمير كسبَاي الخشقدمي واستقر به دَوَادَار ثاني عُوضًا عن خير بك؛ واستقر بالمقر الشهَابي أحمد بن العيني أمير مجلس على عَادتهِ، وبُردبك هَجين أمير أخور كبير على عَادَتهِ.

ثم رسم بالإفراج عن الأمير قُرقماس الجّلب فحضر من ثغر الإسكندرية، فأقام بالقاهرة أيامًا يَسيرة، ثم رَسمَ بالإفراج عن الأمير تمرَاز الشمسي منْ دمياط، وكانَ مُقيمًا بهَا مِنْ أيام الظاهر خُشقدم من حين رَكبوا عليه مع الأتابكي جربَاش كرُت؛ وَأفرج عن الأمير دَولاتباي النجمي وكانَ مُقيمًا بدمياط أيضًا مِن أيامِ الظاهر خُشقدم.

ثم إن الملك الظاهر تمربُغَا مشى مَع العسكر في أيام دَوَلتهِ أحسنَ مشي؛ ثم قبضَ على الشرفي يحيى ابن الأمير يشبك الفقيه الدَوَادَار وَصَادَرهُ بسبب مُتوفر والده.

فلما كانت ليلة الاثنين سَادس رَجب طَلَعَ المقر السيفي خير بك الدوَادَار إلى القلعة كعَادته في ليالي المواكب، فلما دَخلَ إلى القصر وَأَقَامَ بهِ إلى بعدَ المغرب، فجمعَ خشداشينه من المماليك الخُشقدميّة، ودَخلوا إلى القصر بعد

---

[1] بحر الكامل.

المغرب، فقبضوا على السُلطان تمربُغَا، وعلى جَماعةٍ من الأمراءِ، وحَبسُوهم تحت الخرجَاه التي يجلس فيها السُلطان.

وكانَ خير بك اتفق معَ المماليك الأينالية في الباطن أنهُ يمسك السُلطان تمربُغَا، وَمَنْ معهُ مِنَ الأمراءِ فوق القلعة، وأنَ المماليك الأينالية يركبوا من أسفل ويمسكوا بقية الأمراء، وأنَ خير بك يتسلطن، وتكون [٢٢٠/أ] الأيناليّة من عُصبتهِ فانخرمَ معهُ الحسابْ وضلَّ عن الصوَابْ، كما قَالَ القائلُ:

يُريدُ المرءُ أنْ يُعطى مُناهُ ۞ وَيأبى اللهُ إلا مَا أرَادَ[١]

فلما مَسك خير بك السُلطان تمربُغَا وَالأمراء الذي[٢] كانوا فَوق القلعة، جَلسَ على كُرسي المملكة منْ غير مُبايعة منَ الخليفة وَلا حضروا القُضاة، فباسُوا لهُ جَماعةٍ منَ الخُشقدميّة الأرض في القصر الكبير، وتلقب بالملك الظاهر على اسم أستاذه، وذلك كلهُ تحت الليل، كما قيل: "كلام الليل يمحوهُ النهار".

فلما بلغَ الأتابكي قايتباي وكان بايتًا في الربيع فحضر تحت الليل، فلما حضرَ استمال المماليك الأيناليّة، وقال لهم: "أنَ الخُشقدميّة أعلاكم وَقط مَا يُصقوا لكم"، فمالوا إليه الأينالية لكون أنهُ متزوج ببنت المقر العلائي عليّ بن خَاص بك ابن أخو خوند زوجة أستاذَهم الملك الأشرف أينال، وَهي وَالدة الملك المُؤيد أحمد بن الأشرف أينال، فلما جرى ذلك باسُوا له الأيناليّة الأرض تحت الليل، وركبوا مَعهُ وطلعوا إلى الرملة.

فلما بلغَ المقر السيفي خير بك ذلك ضَاق الأمر عليه، وَأدركهُ طلوع النهار، فعند ذلك أطلق السُلطان تمربُغَا وَالأمراء الذي[٣] كان حبسهم معهُ، وَأجلس السُلطان تمربُغَا على مرتبتهِ، وبَاسَ لهُ الأرض، ثم انسطحَ بينَ يديه وقالَ لهُ: "وسطني فإني كنتُ بَاغي عليك"، فعفى عنهُ السُلطان تمربُغا.

فلما طلعَ النهار ملكوا الأيناليّة بَاب السلسلة، وَطَلعَ الأتابكي قَايتباي إلى الحُراقة التي في الأسطبل السُلطاني، وأحضروا لهُ الخليفة وَالقُضاة الأربعة، وخلعوا الظاهر تمربُغَا منَ السّلطنةِ، وولوا قايتباي، فلما أحضروا لهُ خلعة السلطنة شرع يبكي، وَيمتنع من ذلك كلّ الامتناع، فلازالوا به حتى سلطنوهُ.

---

[١] بحر الوافر؛ لم يرد في بدائع الزهور.
[٢] كذا في الأصل، الصواب (الذين).
[٣] كذا في الأصل، والصواب "الذين".

فلما طلعَ إلى القلعة قيدّ المقر السيفي خير بك وَالشهابي أحمد بن [٢٢٠/ب] العيني وَاستمروا في الترسيم، فكانَ أمرَ خير بك الدوَادَار كما يقالُ: "مَنْ طلبَ الشيء قبل أوانه، أورثهُ الله حِرْمَانهُ".

وَأمَا السُلطان تمربُغَا فأدخلوهُ إلى قاعةِ البحرة، وَهوَ في غايةِ العزّ والعظمة، وَجلسَ قايتباي على سرير الملك، فكان كما يقالُ في المعنى:

الـرِّزق فـي الوجُـودْ للمـرءِ مُلتـزمْ ... مـا هـو المـنْ سُـمى إلا لمـنْ قَسِـمْ[1]

فكانت مُدّة الظاهر تمربُغَا في السلطنة بالديار المصرية شهرين إلا يَومَان، فكانَ الأخر كما قالَ القائلُ في المعنى:

لَـمْ أَسـتتمَّ عِنَاقـهُ لقُدُومـهِ ... حَتَـى ابتـدَأتُ عِنَاقـهُ لِودَاعِـهِ[2]

وَلمْ يُعلمْ واحدٍ منْ مُلوك التُرك خُلعَ من السَلطنةِ وَهوَ في هذا السّنِ في أقلّ من هذه المُدّة سُوى الظاهر يَلبَاي، وَالظَاهر تمربُغَا، فما كانَ أغناهُما عنْ هِذهِ السلطنة.

فلما دخل الظاهر تمربُغَا إلى البحرة، أقام بهَا أيامًا، وَهوَ في غاية التكريم وَالعزّ، ثم رسمَ له السُلطان بأنْ يتوجه إلى دمياط، فخرجَ تحت الليل من غير تقييد ولا أوجَاقي خلفه كما جرت به العادة، فلما وَصلَ إلى دمياط لم يُسجن بهَا، وَصَار يركب وَيتنزه في غيطان دمياط.

وأمَا الأمير خير بك فأرسله السُلطان إلى السحن بثغر الإسكندرية وَهوَ مقيدٌ، فأقام في السجن مُدّة ثم نقلهُ بعد ذلك إلى مكة، فأقام بهَا مُدّة ثم نقله إلى القُدس، فأقام به مُدّة وَمَاتَ.

وأمَا المقر الشهابي أحمد بن العيني فأنْ السُلطان صَادره، وأخذ جميع أموَاله وَبركة، وضربهُ علقة في الدهيشة، ولمْ ينفيه فأقام بالقاهرة، وَهوَ بطال.

وأمَا بقية الخُشقدميّة فنفى السُلطان منهم جَماعة في أمَاكن مُفرقة، واستمر الأمر على ذلك مُدة يسيرة.

ثم جاءت الأخبار من دمياط بأنَ الملك [٢٢١/أ] الظاهر تمربُغا تَسحَّبَ مِنْ دمياط، وَكانَ صُحبته شيخ العَرب محمد بن عجلان، فتوجَّهَ به منْ على سَاحل

---

(١) بحر البسيط؛ لم يرد في بدائع الزهور.

(٢) بحر الكامل؛ والبيت لأبي الفتح كشاجم. (انظر: الإعجاز والإيجاز ٢١١).

البحر المالح وَطلع به بالقُربِ من غزة، فلما بلغ ذلك نائب غزَّه الأمير أرغون شَاه خرجَ إليه وقوي عليه وَمَسكهُ، وَأرسلَ عرف السُلطان بذلك وَكانَ العسكر في التجريدة في البلاد الحلبيَة بسبب سِوَار، فلما تسحّبَ تمربُغَا منْ دمياط[١] أرادَ أنْ يتوجه إلى العسكر من هُناك وَيملك البلاد الشاميّة وَالحلبيّة، فما تم لهُ مَا أرَاد منْ ذلك، ولم يبلغ منهُ مُرَادهُ، وَجنى عليه اجتهَادِهُ.

ثم إنَ السُلطان أرسلَ المقر السيفي يشبك الدوَادَار إلى الظاهر تمربُغَا؛ فَقبَضَ عَليه وعلى محمد بن عجلان، فأمَا محمد بن عجلان فسجَنهُ السُلطان بالبُرج الذي بالقلعةِ فأقامَ مُدّة طويلة وهو بالبُرج نحو ثلاث عشرة سنة.

وأمَا تمربُغَا فتوجه به إلى ثغر الإسكندرية مِنْ غير تقييد، وكان ذلك حلمًا منَ السُلطان عليه، فأقام الظاهر تمربُغَا بثغر الإسكندرية من غير سجن ثم مَاتَ في أثناء دولةِ المَلك الأشرف قَايتباي، وَدُفنَ هُناك، فكان كما قالَ القائلُ:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ مِنْ نُميرٍ فَلا سعدًا[٢] بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا[٣]

انتهت أخبَار دَوَلة الملك الظاهر تمربُغَا على سبيل الاختصار.

---

[١] في الأصل (دمياد).

[٢] كذا في الأصل؛ والأشهر كلمة (كعبًا).

[٣] البيت من قصيدة طويلة لجرير، يهجو فيها الراعي النميري، وُيعَرّض بقومه. (انظر: ديوان جرير ٨٢١/٢)؛ لم يرد في بدائع الزهور.

ذكر

سلطنة الملك الأشرف أبي النصر

سيف الدّين قَايتباي المحمودي[1]

وَهوَ الحَادي والأربعون من مُلوك التُرك وأولادهم بالديَار المصرية، وَهوَ الخامس عشر من مُلوك الجراكسة، كانَ أصلهُ جركسي الجنس، جَلبةُ الخواجا محمود إلى الديار المصرية، فاشتراهُ منهُ الملك الأشرف برسباي في سنةٍ تسع وثلاثين وثمانمائة.

فلما توفي الملك الأشرف برسباي وَتولى الملك الظاهر جقمق فاشترى المماليك الكُتابيّة الذي[2] كانوا عندَ الملك الأشرف برسباي من بيت المال على يد الأمير حَاسوك، وَصي الملك الأشرف برسباي.

وكان المماليك كُتابية الأشرف جَماعة كثيرة، منهم السُلطان قايتباي، ومنهم الأتابكي أزبك من ططخ، ومنهم الأتابكي تاني بك الجمالي، ومنهم أزبك اليُوسفي، ومنهم تَمِر، ومنهم برسباي قرَا، ومنهم برقوق نائب الشام، [٢٢١/ب] ومنهم أزبك فستق، وجماعة كثيرة غير هؤلاء، فلما اشتراهم الملك الظاهر جقمق فأعتقهم، وصَاروا من جملة معاتيق الملك الظاهر جقمق العلائي[3].

ثم إن الملك الأشرف قَايتباي صار في أواخر دولة الملك الظاهر جقمق خَاصكي، ثم بقى دوادار سكين، فلما توفي الملك الظاهر وتولى الأشرف أينال، أنعم عليه بأمرية عشرة في أثناء دولته، وأقام على ذلك إلى أن توفي أينال وتولى الظاهر خُشقدم، جعله أمير أربعين، شاد الشربخاناة الشريفة، وكان مُعلم الرمَاح الذين يَسُوقُون في المحمل، فأقام على ذلك مُدّة، ثم بقى مُقدّم ألف في

---

(١) أخباره في بدائع الزهور ٣/٣- ٣٣٢؛ جواهر السلوك ٣٥٢- ٣٨٠.

(٢) كذا في الأصل، الصواب (الذين).

(٣) لم يرد ذكر خبر المماليك الكتابية في بدائع الزهور.

أواخر دولة الظاهر خُشقدم، فأقام على ذلك إلى أن توفي الظاهر خشقدم وتولى يَلباي، فبقى في أيامه رَأس نوبة النُوب عُوضًا عن أزبك طُطُخ لما بقى نائب الشام، فلما تولى تمربُغَا فاستقر بهِ أتابك العسَاكر عُوضًا عن نفسه، فلما خُلعَ تمربُغَا منَ السلطنةِ تولى عُوضه، وبقى سُلطانًا، وذلك في يوم الإثنين سَادس شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة.

فلبس خلعة السلطنة منَ الحُراقةِ التي في الأسطبل السلطاني وركب من هُناك والخليفة قُدامهُ وسائر الأمراء إلى أنْ طلع من باب سرّ القصر الكبير، وكان المقر السيفي جاني بك قلقسز[1] أمير سلاح، حامل الصنجق السلطاني على رأسه، وذلك لفقد القُبة والطير منَ الزردخاناة، لما انتهبتها المماليك الأَجلاب الخُشقدميّة لما مُسك الظاهر تمربُغَا بالقلعة.

فلما جلس على سرير الملك باسوا له الأمراء الأرض، وتلقب بالملك الأشرف، ودُقتْ لهُ الكوسات، ونُودي باسمه في القاهرة، وضج الناس له بالدعاء، وفرحُوا بهِ ولا سيما لقمعهِ للمماليك الخُشقدميّة، فأنهم كانوا قد زادوا في الظلم والجور في حق الرعيّة.

ولما تسلطن الملك الأشرف قايتباي أشرط على العسكر أنه مَا ينفق عليهم نفقة السلطنة، فرضيوا بذلك منهُ، فلما تم أمرهُ في السلطنةِ أخلع على [٢٢٢/أ] من يُذكر من الأمراء، وَهُم: المقر السيفي جاني بك قُلقسز واستقر بهِ أتابك العسَاكر عُوضًا عن نفسه؛ وأخلع على المقر السيفي بُرد بك هجين واستقر به أمير سلاح عُوضًا عن جاني بك قلقسز؛ ورسم بإحضار الأمير قُرقماس الجلّب من دمياط، فلما حضر أخلع عليه واستقر به أمير مجلس عُوضًا عن ابن العيني، وكان قبل النفي أمير سلاح؛ وأخلع على المقر السيفي يشبك بن مهدي واستقر به دوادار كبير عُوضًا عن خير بك[2]، فأقام مُدّة يسيرة ثُم استقر وزيرًا واستادارًا مع ما بيده من الدواداريّة الكبرى؛ وأخلع على المقر السيفي جاني بك الفقيه واستقر به أمير أخور كبير عُوضًا عن الأمير بُرد بك هجين؛ وأخلع على المقر السيفي نانُق واستقر به رأس نوبة النوب عُوضًا عن خشكلدي[3] البيسقي؛ واستقر بالأمير تمر حاجب الحجاب على عادته؛ وأخلع على الأمير قان بردى

---

(١) في بدائع الزهور ٤/٣ وجواهر السلوك ٣٥٣: "قُلقسيز".
(٢) في بدائع الزهور ٦/٣ وجواهر السلوك ٣٥٣: "خاير بك".
(٣) في جواهر السلوك ٣٥٣: "مشكلدي".

الاينالي واستقر به دوادار ثاني عُوضًا عن كسباي الخشقدمي؛ وأخلع على الأمير تاني بك قرا الأينالي واستقر بهِ تاجر المماليك، فأقام مُدّة يسيرة، ثم بقى دوادار ثاني، لما توفى قان بردي في الفصل؛ وأخلع على الأمير يشبك بن حيدر الأينالي واستقر به والي القاهرة.

وأخلع على الأمير قانصوه الخسيف واستقر به مُحتسب القَاهرة، فأقام مُدة يسيرة، ثم بقى شاد الشربخاناة الشريفة، فأقام على ذلك مُدّة، ثم بقى مقدم ألف؛ وأنعم على الأمير تمراز الشمسي بتقدمة ألف؛ وأنعم على الأمير برقوق الظاهري بتقدمة ألف؛ وأنعم على الأمير لاجين الظاهري بتقدمة ألف؛ وأنعم على الأمير خير بك من حديد بتقدمة ألف؛ وأنعم على الأمير قراجا الطويل بتقدمة ألف؛ وأنعم على جماعة كثيرة من الاينالية والظاهرية والأشرفية بأمريات أربعين وأمريات عشرة، وفرق الإقطاعات على المماليك السلطانية، وأرضى العسكر بكلِّ مَا يمكن، ولم ينفق عليهم شيئًا كما أشرط عليهم قبل أن يتسلطن.

وأما [٢٢٢/ب] أرباب الوظائف من المتعممين فالقاضي كاتب السرّ أبو بكر ابن مُزهر على عادته؛ والقاضي ناظر الجيش كمال الدين على عادته؛ والقاضي ناظر الخاص تاج الدين ابن المقسي على عادته؛ وكذلك بقية المُباشير كلِّ واحد على عادته، وكذلك القضاة الأربعة كلِّ واحد على عادته، فهذا كان ترتيب الأمراء أرباب الوظائف والأمراء المقدمين وأرباب الدولة في مبتدأ دولته ثم من بعد ذلك انتقلتْ الوظائف إلى جماعة كثيرة منَ الأمراء وغيرهم حسبما يأتي ذكر ذلك في مواضعهِ إن شاء الله تعالى، وفيه يقول الشهاب المنصُوري الهايم الشاعر:

سُلطانُنَا الأشرفُ في بَذْلِهِ ... وَعدْلِهِ قدْ جمعَ الفَضَلَا
تَقَبّلَ الله الذي زانهُ[1] ... بالنصرِ منهُ الصرفَ والعَدْلَا[2]

ومن الحوَادث في أوائل دَولتهِ: أنهُ لما استقر بالأمير يشبك من مهدي وزيرًا فندبهُ[3] لقطع لحوم الناس من الفُقهاء وأولاد الناس والنساء وغير ذلك، وكان لهم ذلك عمال ماشى في باب السلطان للفقهاء والنساء والأيتام والأرامل وغير

---

(1) في بدائع الزهور ٥/٣ وجواهر السلوك ٣٥٤: "عزه".
(2) بحر السريع.
(3) في الأصل "فنذبه".

ذلك، وكان تُباع الزبادي اللحم من ناسٍ إلى ناس، ويُمشى السلطان ذلك، ولم يعترض لقطع شيء من ذلك، وكانت الوزراء يسدُّون من لهُ عادة أو يشترى شيئًا من الزبادي اللحم، وكان هذا ماشى في الدول القديمة إلى أنْ كانت دولته الملك الأشرف قايتباي، فقطع ذلك جميعُه، ولم يبق غير المماليك السلطانية وأرباب الوظائف، وكذلك فعل الأمير يشبك من مهدى بالجوامك لما بقى استادارًا كما فعل باللحوم فقطع جُملة مُستكثرة من الجوامك للفقهاء وأولاد الناس والنساء وغير ذلك، فهذا كان أول ما أحدثهُ في أوائل دولتهِ[1].

ثم في أثناء ذلك جاءت الأخبار من البلاد الحلبية بأن شاه سوار أمير التركمان، وهو من أولادِ ذوالغادر[2]، قدْ خرج عن الطاعةِ، وأظهر العصيان، وكان [٣/٢٢٣/أ] قدْ أظهر العصيان في أواخر دولة الملك الظاهر خُشقدم، فعين لهُ تجريدة من حلب، فخرج إليه نائب حلب المقر السيفي بُرد بك البشمقدار، وصُحبتهُ العساكر الحلبية، فاتقعُوا مع شاه سوار، فكسرهُم كسرة قوية، وأُسر نائب حلب بُرد بك المذكور، وقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة من عسكر حلب.

فلما بلغ السلطان خُشقدم ذلك عيّن لهُ تجريدة تخرج من مصر، فأدركهُ الموت عقيب ذلك، ولم يُجرد لهُ تجريدة، فلما بلغ سوار موت الظاهر خُشقدم أطلق بُرد بك نائب حلب، والأسرى[3] الذي[4]عندهُ، وكان يظن أن السلطان قايتباي يُرسل يتلطف بهِ، ويحسن إليه، فأخذ الملك الأشرف قَايتباي أشياءه بالقوة ولم يكن عندهُ دُربة، فعيّن لشاه سوار تجريدة عظيمة، وعيّن بها من الأمراء الأتابكي جاني بك قُلقسِز باش العسكر، وصُحبتهُ جماعة من الأمراء المقدّمين، والمماليك السلطانية، فلما وصلُوا إلى سوار اتقعوا معهُ في مكانٍ مُضيّق، فانكسر العسكر مصر، وأُسر الأتابكي جاني بك قُلقْسِز، وقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة من الأمراء، منهم فَانق وبُرد بك هجين، وغير ذلك من الأمراء والعسكر.

فلما أُسر الأتابكي جاني بك قُلقْسِز، ورجع العسكر وهو مكسور إلى الديار المصرية، فعند ذلك أرسل السلطان إلى المقر السيفي أزبك من طُطُخ نائب

---

[1] ورد الخبر في بدائع الزهور٣/٢٢- ٢٣: في أحداث سنة ٧٨٣هـ.
[2] في بدائع الزهور ٧/٣ وجواهر السلوك ٣٥٤: "ذلغادر".
[3] في الأصل "الاسُراء.
[4] كذا في الأصل، والصواب "الذين".

الشام، فلما حضر إلى الديار المصرية، وأخلع عليه واستقر به أتابكي العساكر بمصر عُوضًا عن جاني بك قُلقْسِز، وقد تقدم إنَ الظاهر يَلباي هو الذي استقر بالأمير أزبك نائب الشام في سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة في ربيع الأول من السنة المذكورة، وكان حضُور المقر السيفي أزبك من الشام واستقراره أتابكي العساكر في سنة ثالث وسبعين وثمانمائة.

ثم إنَ سوار أطلق الأتابكي جاني بك قُلقْسِز، وقيل: أنهُ اشترى نفسهُ منهُ بمالٍ حتى أطلقهُ، فلما حضر إلى الديار المصرية، فأخلع عليه السلطان [٢٢٣/ب] واستقر بهِ أمير سلاح عُوضًا عن بُرد بك هجين بحكم وفاتهِ في التجريدة.

ثم إن السلطان أرسل إلى المقر السيفي بُرد بك البشمقدار خلعة، واستقر بهِ نائب الشام عُوضًا عن أزبك؛ وأرسل خلعة إلى أينال الأشقر واستقر بهِ نائب حلب.

ثم إنَ السلطان عيّن لسوار تجريدة ثانية في سنة ثلاث وسبعين وثمان مائة، وكان باش العسكر الأتابكي أزبك، وصُحبتهُ من الأمراء الأمير قُرقماس الجلّب أمير مجلس، وتمر حاجب الحجاب، وسُودُون القصروي رأس نوبة النُوب، وجماعة من الأمراء والعسكر، فخرجوا من الديار المصرية وتوجهوا إلى سوار.

وفي هذه السنة، وهي سنة ثلاث وسبعين، فيها: هجم الوباء بالديار المصرية، ومات فيها جماعة كثيرة من المماليك الأينالية، والخُشقدميّة، وغير ذلك من الجوار، والعبيد، والأطفال، والغُرباء، وفيه يقولُ الشهاب المنصوري:

يا نعم عيشة مصر وبئس ما قدْ دهاها
لما فشى الطعنُ فيها حاكى السهام وباها[1]

وفيها: سرح السلطان الملك الأشرف قايتباي إلى نحو بلاد الشرقية، والغربية، وأقام في هذه السرحة نحو شهر، فلما رجع ودخل إلى القاهرة، فزُينت لهُ، وكان يوم دُخوله يومًا مشهودًا، وحُملت القُبة والطير على رأسهِ، ولعبوا بالغواشي الذهب قُدامهُ، وفُرشت لهُ الشقق الحرير من التبانة إلى أنْ طلع إلى القلعة، وكان المقر السيفي برقُوق أحد الأمراء المقدّمين كاشف الشرقيّة حامل القُبة والطير على رأسهِ لكون أنَ الأتابكي أزبك كان غائبًا في التجريدة،

---

[1] بحر المجتث.

وكـان أكثـر العسـكر مُسـافر معـهُ، وقـد هنـأهُ لمـا عـاد إلـى القـاهرة الشـهاب المنصُوري بهذه الأبيات وهي:

سُـلطاننا الأشـرف الراقـي إلـى شـرفٍ — عَـالٍ أجـلَّ مَليـكٍ فـي أجـلِّ رُتـبْ
فـي الجـود والبـأس منـهُ النـاس قـدرفلو — فـي حُلتـي رَغـبٍ مُسـتعظمٍ ورهـبْ[٢٢٤/أ]
لمـا سـري لوطـاق العـزِّ فـي خـيم — لـم يعلـق الضـد مـن عليـاء بطنـب
فكـان فـي كـلِّ قَطـرٍ يُستضـاء بـهِ — كأنمـا قـدْ كسـاهُ فضـة وذهـب
فالحمـد لله رب العـالمين علـى — سـلامة نشـرها عـمَّ القلـوب طـرب[١]

وفيها: توجه السلطان إلى بر الجيزة وأقام بالأهرام نحو ستة أيام، ثم توجه إلـى الفيوم، فدخل إليها، وزُينت لـهُ، وأقام بها نحو ثلاثة أيام، ثم رجع إلى القاهرة وطلع إلى القلعة.

وفيها: جاءت الأخبار بأن العسكر الذي توجه إلى سوار قدْ انكسر، وقتل الأمير قُرقماس الجلّب أمير مجلس، وسُودُون القصروي رأس نوبة النُوب، وجماعة كثيرة من الأمراء والعسكر؛ فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحوال الديار المصرية، وصار في كل حارة صُراخ مثل أيام الفُصُول، بسبب من قُتل من العسكر السلطاني، وقد استطال سوار على العسكر، وقوي عسكرهُ من النهب، وانكسرت مُقابلة مماليك السلطان من الرُعب الذي دخل في قلُوبهم من سوار، وصاروا يدخلون إلى مصر بعد الكسرة وهُم في أنحس حالٍ من العُري والنهب، هذا من سلم من القتل، والذي قُتل أكثر، وفي ذلك يقولُ بعض الشعراء:

يـا رب إنَّ سـوار قـد بفـى وبـهِ — قد أصبحوا النـاسُ فـي ضيق وفـي قلقـى
فاكسـر سـوارًا ودعـهُ فالسلاسـل فـي — خـواتم الأمـر يسـتعطي مـن الحلـق[٢]

ثُم دخلت سنة أربع وسبعين وثمانمائة، وفيها: أخلع السلطان على الأمير لاجين الظاهري واستقر بهِ أمير مجلس عُوضًا عن قُرقماس الجلّب بحكم وفاته في التجريدة.

وأخلع على الأمير برقوق واستقر بـهِ نائب الشام عُوضًا عن بُرد بك البشمقدار بحكم وفاته.

وأحضر أينال الأشقر نائب حلب واستقر بـهِ رأس نوبة النُوب عُوضًا عن سُودُون القصروي.

---
(١) بحر البسيط؛ لم يرد ذكرهم في بدائع الزهور.
(٢) بحر البسيط.

واستمر الأمر على ذلك إلى أنْ **دخلت سنة ست وسبعين، فيها:** أخرج السلطان [٢٢٤/ب] تجريدة ثالثة إلى سوار، فكان بها من الأمراء المقر السيفي يشبك من مهدى أمير دوادار، والمقر السيفي تمراز الشمسي ابن أخت السلطان أحد الأمراء المقدّمين، وغير ذلك من الأمراء المقدمين، والعشراوات، والمماليك السلطانية، فخرج الأمير يشبك في طُلبٍ عظيم، ومماليكه لابسه آلة الحرب، وكذلك بقية الأمراء، فكان لهم يوم مشهود، وعمل الأمير يشبك في رنكة سبع على جميع البركستوانات الذي في طُلبهِ، فتفاءل الناس أنهُ يظفر بسوار في تلك السنة[١].

وكذلك جرى فلما وصلوا إلى مكان فيه سوار، فحاصروه وهو بقلعة زمنطوا[٢]، فأخذل الله تعالى سوار، وغُلتْ يديه لما أراد الله تعالى بخذلانه، فأرسل إلى الأمير يشبك يطلب الصُلح، وعلى أنهُ ينزل ويُقابل ويلبس خلعة السلطان، ثم يعود إلى قلعة زمنطوا، فأجابهُ الأمير يشبك إلى ذلك، وأرسل إليه المقر السيفي تمراز الشمسي قريب المقام الشريف، والقاضي شمس الدين ابن أجا قاضي العسكر، فطلعا إلى قلعة زمنطوا، واجتمع بسوار، فتلطف به الأمير تمراز في الكلام وسايسهُ حتى أذعن إلى النزول، فنزل في نفر قليل من عسكره صُحبة الأمير تمراز، والقاضي شمس الدين ابن أجا.

فلما نزل توجه إلى عند الأمير يشبك الدوادار، فأكرمهُ وعظمهُ وألبسهُ خلعة عظيمة، وقال لهُ: "أمضى سلم على الأمير برقوق نائب الشام"، فلما أن توجه إليه سوار ليُسلم عليه فأحضر لهُ خلعة، وفيها من داخلها زنجير، فلما أوهمهُ أنهُ يُلبسه الخلعة، فأرمى الزنجير في رقبته، ثم قبض على جماعته، وأخوته، وأقاربه الذي[٣] نزلوا معهُ.

فعز ذلك على الأمير تمراز لكون أن سوار ركن إليه دُون الأمراء، ونزل معهُ، فلم يسمع إليه برقوق شئ، وحصل بينهُما تشاجر بسبب ذلك، ثم إن الأمير يشبك ولى أخا سوار مكانهُ، وهو شخصٌ [٢٢٥/أ] يُسمى بربضاق[٤].

---

(١) الخبر في بدائع الزهور ٥٤/٣، ٥٩: في أحداث سنة ٨٧٥هـ، وكذلك في جواهر السلوك ٣٥٥.

(٢) هي قلعة بنيت قديمًا على نهر زمانتي بتركيا. (انظر: العراك بين المماليك والقماش الأتراك ٥٥ هامش ٨٢).

(٣) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

(٤) في بدائع الزهور ٧٤/٣: "بُصباغ".

فلما جرى ذلك قصد الأمير يشبك التوجه إلى نحو الديار المصرية، فخرج من حلب، وصُحبتهُ سوار، وأقاربه، وجماعة من عسكره نحو ثلاثين إنسانًا، فلما دخل إلى الشام كان لهُ يوم مشهود وزُينت لهُ الشام زينة عظيمة.

فلما وصل العسكر إلى الديار المصرية زُينت لهُم زينة عظيمة، ودُقت لهُم البشائر، وخرجت البنت في خدرها[1] تنظر إلى سوار الذي يتم الأطفال، ورمل النسوان، فدخل الأمير يشبك الدوادار إلى القاهرة في موكب عظيم، والأمراء قُدامه بالشاش والقماش، فانجرَّت أطلاب الأمراء إلى أن انتهوا، ثم أقبل سوار قُدام الأمير يشبك، وهو في زنجير طويل، راكبًا على فرس، وعليه خلعة تماسيح مُذهب على أسود، ومشكوك معهُ شخصٌ من الأمراء العشراوات، يُسمى تنم الضبع من الظاهرية، فكان مشكوك معهُ في الزنجير، وقُدام سوار أخوته، وأقاربه، وجماعة من عسكره، وهُم راكبون على أكاديش، وفي أعناقهم زناجير، فدخلوا من باب النصر وشقوا من القاهرة وطلعوا إلى القلعة.

فلما مُثل شاه سوار بين يدي السلطان فعاتبه عتابًا خفيفًا، ثم رسم بتسليمه إلى الأمير يشبك من حيذر[2] والي القاهرة، فلما تسلمهُ نزع الخلعة من عليه، وبقى عليه كبر أبيض، وعلى رأسهِ عمامة تُركمانية، فأركبوه على جمل، وجعلوا في عُنقهِ جرس، وسمروا أخوته، وأقاربه، وجماعة من عسكره على جمالٍ، وهُم عرايا، وروؤسهم مُكشفة، والمشاعلية تُنادي عليهم: "هذا جزاء من يُعصى علي السلطان".

فنزلوا بهم من الصلبية، وأتوا بهم إلى باب زُويلة، ثم إنهم شنكلوا سوار على باب زُويلة، هو وأخوته، وكان لهُ أخًا مُسك قبل تاريخه، يُقالُ يحيى كاور، وكان مسجونًا بالقلعة، فلما مُسك سوار شنكلُوهُ معهُ، وجماعة من أقاربه، ثم وسَّطُوا جماعة من [٢٢٥/ب] عسكر الذي[3] حضروا معهُ، وكان ذلك في يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثمانمائة، فأقام سوار، وأقاربه مُعلقين على باب زُويلة يومين، ثم نزلوا به ودفنوهُ هو أقاربه.

وكان شاه سوار حسن الشكل، مُستدير الوجة، أحمر اللون، أسود اللحيّة، أشهل العينان، طويل القامة، مليء الجسم، وقد جاوز من العمر نحو أربعين سنة.

---

[1] في الأصل "خذرها".
[2] كذا في الأصل، وفي بدائع الزهور ٧٧/٣ وجواهر السلوك ٣٥٦: "حيدر".
[3] كذا في الأصل، والصواب "الذين".

فلما بلغ المقر السيفي تمراز الشمسي أن سوار شنكلوه ومات، فشق عليه ذلك، لكون أن سوار نزل معه، وأركن إليه، وكان قصدهُ أن سوار يُسجن ولا يُقتل، والذي فعلهُ السلطان كان عين الصواب حتى يعتبر كلِّ أحدٍ، فإن كان قدْ تبهدل حُرمة المماليك بما جرى عليهم من سوار من القتل، والنهب، والبهدله، وفي هذه الواقعة يقولُ الشهاب المنصُوري الهائم:

يأيها الملك الذي سطواتهُ ... تُغني عن العسَّال والبتارِ
علق سوارًا فوق باب زُويلة ... إنْ كنت منهُ آخذًا بالثَّارِ
فلأنت تعلم أنّ ذلك معصمٌ ... مَا كنت تتركهُ بغير سوار[1]

وقولهُ في الأمير يشبك الدوادار لما دخل إلى مصر:

منذ وافا الأمير يشبك مصرًا ... حبذا[2] مصر موطن الأوطار
لبست حجل نيلها وتحلي ... زند بابي زُويلة بسوارِ[3]

فلما مات سوار، ظن الناس أن الفتن قدْ هدأت، وراق الوقت وصفا.

فلما دخلت سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، فيها: جاءت الأخبار بأن حسن بك الطويل ملك العراقين قدْ تحرك على بلاد السلطان، ووصل أوائل عسكره إلى البيرة، وأن نائب البيرة محاصر، فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله ونادى للعسكر بالعرض، والنفقة، والخروج إلى قتال حسن الطويل[4]، فكان الأمر كما قيل في المعنى:

شكوت[5] جلوس إنسان ثقيل ... فوافا[6] آخرٌ منْ ذَاكَ أثقل
فَكُنْتُ كمَنْ شَكَى الطَّاعُونَ يَوْمَا ... فجاءهُ على الطَّاعُونِ دُمَّلُ[7][٢٢٦/أ]

ثُم إن السلطان أعرض العسكر وعيّن الأمراء، فمنهم الأمير يشبك الدوادار ومنهم الأمير جاني بك قلقسِز أمير سلاح، وجماعة من الأمراء المقدّمين، والعشراوات، والعسكر، فخرجوا إليه، واتقعوا مع عسكره على مدينة البيرة،

---

(١) بحر الكامل.
(٢) في جواهر السلوك ٣٥٦: "جندا".
(٣) بحر الخفيف.
(٤) الخبر في بدائع الزهور ٨٠/٣: في أحداث سنة ٨٧٧هـ.
(٥) في جواهر السلوك ٣٥٧: "سلوت".
(٦) في بدائع الزهور ٨٠/٣ وجواهر السلوك ٣٥٧: "فجاءنا".
(٧) بحر الوافر.

فكان بينهم وقعة عظيمة هُناك، وقتل فيها شخص من الأمراء العشراوات، يُسمى قُرقماس العلائي أمير أخور رابع، وبعض مماليك سلطانية.

ثم إنَ جاليش حسن بك الطويل ردَّ إلى بلاده، وهو مكسور، وقد أخذلهُ الله تعالى، فلما جرى ذلك قصد الأمراء الرجوع إلى نحو الديار المصرية، فرجعوا هُم والعسكر سالمين، وقد انتصفوا على عسكر حسن الطويل، وفي هذه الواقعة يقول الشهاب المنصوري:

أيها العسكر الذي سار قصدًا ... لقتال الطويل لا تنظرُوهُ
لا تُطيلوا مع العدو كلامًا ... في وغي الحرب والطويل أقصرُوهُ[1]

وقال الشيخ شمس الدين القادري:

أيا حسن الطويل بعثت جيشًا ... كأغنامٍ وهُنّ لنا غنايم
فنار الحرب قد سكبت سوارًا ... وأنت لسبكها لاشك خاتم[2]

وقول شمس الدين ابن شادى خجا:

أيا حسن الطويل قصرت عُمرًا ... وفاتتك المعالي والمغانم
سوار قد سبكناهُ ابتداء ... وأنت بناره للسبك خاتم[3]

وقولهُ فيه أيضًا:

عروس الحرب نقطها المواضي ... بأرواح الأعارب والأعاجم
وقد جُليت وفي يدها سوارٌ ... وها حسن لكفِّ الحرب خاتم[4]

وفي هذه السنة: توفي المقر السيفي برقوق نائب الشام، فلما توفي أرسل السلطان إلى المقر السيفي جاني بك قُلقسِز أمير سلاح خلعة، وهو في التجريدة واستقر بهِ نائب الشام عُوضًا عن برقوق بحكم وفاتهِ، فتوجه إلى الشام من هُناك.

وفيها: أخلع على [٢٢٦/ب] المقر السيفي تمراز الشمسي واستقر بهِ رأس نوبة النُوب عُوضًا عن أينال الأشقر؛ وتولى أينال الأشقر أمير سلاح عُوضًا عن جاني بك قُلقسِز.

---

(١) بحر الخفيف.
(٢) بحر الوافر.
(٣) بحر الوافر.
(٤) بحر الوافر.

واستمر الحال مبني على السكون إلى أنْ **دخلت سنة ثمانين وثمانمائة، فيها:** جاءت الأخبار بأن حسن بك الطويل قدْ مات، وتولى بعدهُ ابنهُ يعقوب بك[1]، وكان حسن الطويل قصدهُ يزحف على بلاد السلطان ثانيًا، ويُحارب عسكر مصر، فأخذلهُ الله تعالى وأخذهُ أخذًا وبيلًا، وقد قال بعضهم:

أيا ملكًا نال من بره به المُتقارب فضلا يحوزا[2]
لقد أهلك الله عنك العداة وينصُرك الله نصرًا عزيزا[3]

ثُم دخلت سنة إحدى وثمانين وثمانمائة، فيها: هجم الوباء على الديار المصرية، وهو الفصل الثاني الذي جاء على أيام الملك الأشرف قايتباي، فذهب فيه من المماليك، والعبيد، والجوار، ومن الأطفال ما لا يُحصى عددهم.

وفي عقيب ذلك: توفي الأمير أينال الأشقر أمير سلاح فلما مات تولى الأمير جاني بك الفقيه أمير سلاح عُوضًا عن أينال الأشقر[4]؛ وأخلع على المقر السيفي قجماس أني السلطان واستقر به أمير أخور كبير عُوضًا عن جاني بك الفقيه، فلما تولى قجماس نائب الشام أخلع على المقر السيفي قانصوه من طُراباي الشهير بخمسمائة، واستقر بهِ أمير أور كبير عُوضًا عن قجماس بحكم توجهه إلى نيابة الشام.

وفي واقعة الفصل يقول الشهاب المنصوري، وقوله:

لهفي على مصر وولدانها أضحوا إلى الموت يُساقونا
ما نشر الفصل سهام الردي عليهم إلا طواعينا[5]

ثُم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة، فيها: توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية على سبيل الفرجة، ورسم بأن يُنشأ بُرجًا في وسط البحر المالح، مكان المنار القديم الذي كان بالإسكندرية، وكان معهُ من الأمراء الأتابكي أزبك، والمقر السيفي يشبك الدوادار، والمقر السيفي تمراز الشمسي قريب السلطان، والأمير أزدمُر الطويل حاجب الحجاب، وغير ذلك من الأمراء الأربعينات والعشراوات والخاصكية والمماليك [٢٢٧/أ] السلطانية.

---

(١) في بدائع الزهور ١٤٨/٣: "خليل"؛ والخبر ورد في أحداث سنة ٨٨٣هـ. (انظر: بدائع الزهور ١٤٨/٣- ١٤٩).
(٢) في بدائع الزهور ١٤٩/٣: "أيا ملكًا صار من سعده * بموت الأعادى حقيقا يفوزا".
(٣) بحر المتقارب.
(٤) الخبر في بدائع الزهور ١٣٥/٣: في أحداث سنة ٨٨٢هـ.
(٥) بحر السريع.

فلما دخل إلى ثغر الإسكندرية دخل في موكبٍ عظيم، وطلبٍ عظيم، فكان في طُلبهِ مائتان وخمسون فرس مُلبسه، وخمسون فرسًا بالسروج الذهب والكنابيش، وكان الأتابكي أزبك حامل القُبة والطير على رأسه، والأمراء المقدمين قُدامه، والأمراء[1] الرؤوس النُوب، والخاصكية مُشاه بين يديه، وهُم بالشاش والقماش، ولاقاهُ الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أينال بالشاش والقماش وركب قُدامه، لأن الملك المؤيد كان مقيمًا بالإسكندرية، فزُينت لهُ مدينة الإسكندرية زينة عظيمة، وخرج أهل المدينة قاطبة من رجال ونساء، ينظرون إلى السلطان.

فلما شق المدينة شر على رأسه بعض تُجار الإسكندرية من الفرنج ألف بُندقي ذهب، فكاد السلطان أنْ يقع من على فرسه من شدّةِ الزحام، فشرع الأمير تمراز رأس نوبة النُوب يُفسح عن السلطان، وضرب الناس بالعصاه، حتى مشى السلطان، فكان لهُ بالإسكندرية يوم مشهود، فلم يُسمع بمثله فيما تقدم.

فلما شق من المدينة خرج من باب البحر، ونزل بساحل البحر المالح في الخيام، فأقام هُناك ثلاثة أيام، فمدَّ لهُ نائب الإسكندرية مَدَّة عظيمة، وكان نائب الإسكندرية يومئذ الأمير قجماس، وكان مُقدم ألف نائب الإسكندرية، وذلك قبل أنْ يستقر أمير أخور كبير بمدَّةٍ يسيرة، ثُم قصد التوجه إلى القاهرة.

وفي هذه السنة وهي سنة اثنتين وثمانين، فيها: خرج السلطان على حين غفلة من العسكر، وسافر إلى نحو البلاد الشامية، ولم يكنْ صُحبتهُ من الأمراء سوى الأمير تانى بك قرا، وكان يومئذ دوادار ثاني، وكان معهُ من المُباشرين المقر الزيني أبو بكر بن مُزهر كاتب السرِّ الشريف بالديار المصرية، والقاضي أبو البقا بن الجيعان، والشيخ بُرهان الدين ابن الكركي الإمام، ومن الموقعين: شهاب الدين ابن التاج، ومن الخاصكية نحو أربعين إنسانًا، وبعض جماعة من المماليك الجمداريّة.

وكان جميع الأمراء المقدّمين، والأمراء الأربعينات، والعشراوات، وجميع العسكر، والخليفة، والقضاة الأربعة مُقيمين بالقاهرة، فلما سافر استطرد في [٢٢٧/ب] هذه السفرة إلى أنْ وصل إلى حلب، ثم إلى بحر الفُرات، وكشف على القلاع، والنُواب، واستوعب أحوال أمور مملكته، وأقام في حلب أيامًا، وفي ذلك يقول المنصوري:

---

[1] في الأصل "الأبراء".

لمــــا رعـــى مُدنـــهُ درّت حوافِلهُـــا حتــى تقاربــت الشـــهباء منـــهُ حلـــبْ
ســـرى بطـــاير ســـعدٍ رأســـه ظفـــرٌ لـــهُ النجـــاح جنـــاحٌ والحفـــاظ ذنـــبْ
فكـــان لمـــا ســـرى البُرهـــان يُرشـــده بحســـن لقـــطٍ أحاديـــث لـــهُ وأدبْ[1]

ثم توجه السلطان من حلب إلى الشام، فحصلَ لهُ مرضٌ في أثناء الطريق، فدخل إلى الشام وهو في محفة من شدّة العارض الذي حصل لهُ في الطريق، ثم تعافى لما دخل إلى دمشق، وجلس في القصر الذي في الميدان، وحكم بين الناس.

وفي مُدّة إقامته بدمشق تغير خاطره على القاضي قطب الدين ابن الأخيضري كاتب سرِّ الشام، وأخرق بهِ، وأخذ منهُ جملة من المال[2].

وفي مُدة توعكهِ بالشام أشيع بموته في القاهرة، واضطربت أحوال الديار المصرية بسبب ذلك، وكثر القال والقيل بين الناس، ثم بعدهُ مَدّة يسيرة حضر خاصكي من عند السلطان، يُقالُ لهُ بُرد بك سكر، وعلى يدِهِ مثالات شريفة إلى سائر الأمراء من الأكابر والأصاغر، وإلى الخليفة، والقُضاة الأربعة، والمباشرين، يخصّهُم فيها بالإسلام[3]، ويذكر ما قد وهب الله تعالى لهُ من العافية، وقدْ حصل الشفاء، وزال ذلك العارض عنهُ، وقد عزم على التوجه إلى الديار المصرية، فعند ذلك فرح الناسُ، وبطل القال والقيل، ودُقت البشائر، وأخلعوا الأمراء على بُرد بك سُكر الخلع السنية، وفي ذلك يقول المنصوري:

بعافيـــة الســـلطان مـــولى الأنـــام قـــدْ تهلـــل وجـــه الـــدّهر فهـــو جميـــلُ
وقـــدْ صـــحت الـــدُنيا لصـــحة جســـمه فلـــيس بهـــا غيـــر النســـيم عليـــلُ[4]

ثم جاءت الأخبار منْ بعد ذلك بأن السلطان قد وصل إلى قطيا، فخرج الأمراء قاطبة إلى مُلتقاه، فلما دخل إلى القاهرة كان لهُ يوم مشهود، وزُينت لهُ المدينة، فدخل من بابِ النصر وشق المدينة، والأتابكي أزبك حامل القُبة والطير على رأسهِ، ولعبوا قُدامهُ بالغواشي الذهب، وفرشتْ لهُ الشُقق الحرير من التبانة إلى القلعة، والقُضاة الأربعة قُدامه في الموكبِ، [٢٢٨/أ] والرؤوس النُوب، والخاصكية مشاه بين يديه، وكان في طلبهِ كجاوتين زركش، والجنايب على

---

(١) بحر البسيط؛ لم يرد ذكرهم في بدائع الزهور.
(٢) الخبر لم يرد في بدائع الزهور.
(٣) كذا في الأصل، ولعله يقصد "السلام".
(٤) بحر الطويل.

العادة وكان ذلك في يوم الخميس عاشر جمادى الآخر[1] سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة.

فكانت مُدّة غيبته في هذه السفر نحو شهرين أو يزيد عن ذلك[2]؛ وفي هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين ابن الزيتُوني أبقاه الله تعالى هذا الزجل من الجناس التام الكامل:

سلطاننا الأشرف خرج في أربعين | من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدى يروم الفُراة | فأسقى الخيول جيشوا وربوا حماه[3]
في مصر فارسان أربعين في العدد | لدورة المحمل يسوقوا الجياد
ورعبُهم ساكن قلوب الملوك | يردوا الخارج وأهل العناد
سافر بهم سلطان مصر يفتخر | على ملوك الشرق لاقصى البلاد[4]
وخو سوار لاقاه وفي صُحبتوا[5] | ولد حسن بك بالخدم ما أباهُ
وأخلع عليه اطمن وأخلع على | ولد حسن خلعة وشتت أباه
عادل[6] مُظفر بالعدا لم يزل | تجرى دماهُم من حُسامو[7] نهز
خرج لتطمين العباد في البلاد | فكم شكر عادل وظالم نهر
إمامنا الأعظم مليك الزمان | أشرف وعدلو في[8] الوجود اشتهر
كشف على النُواب فمن حاف وجار | أنكر عليه فعلو[9] وبالعزلِ جاه
ومن رآه عادل ورايوا صواب[10] | أخلع عليه وأعطاه منازل وجاه
لما دخل للشام توعك وكان | من الهوا والشرب من ما العيون

---

[1] في بدائع الزهور ١٣٨/٣: "الحميس رابع شوال".
[2] في بدائع الزهور ١٣٩/٣: "نحو من أربعة أشهر إلا أياما".
[3] في بدائع الزهور ١٤٠/٣ وجواهر السلوك ٣٥٩: "فأسقى الخيول من ماه ورَبُّو حماه".
[4] في بدائع الزهور ١٤٠/٣ وجواهر السلوك ٣٥٩: "فى ذا العدد راح الملك وافتخر * بهم على ساير ملوك البلاد".
[5] كذا في الأصل، والصواب "صحبته".
[6] في بدائع الزهور ١٤٠/٣ وجواهر السلوك ٣٥٩: "كامل".
[7] كذا في الأصل، والصواب "حسامه".
[8] في بدائع الزهور ١٤٠/٣ وجواهر السلوك ٣٥٩: "بالعدل في هذا".
[9] كذا في الأصل، والصواب "فعله".
[10] في بدائع الزهور ١٤٠/٣ وجواهر السلوك ٣٥٩: "وفعله حسن".

فقلتُ كادتْ عين تُصيبوا[1] فكان — توعكو[2] حرزوا لدفع العيون
وربنا عافاه وجبوا[3] لنا — سالم وقرّت بوا[4] جميع العيون
ومهد الدنيا وأن يعدلوه — أنْ ينثني عزمو[5] الشديد ما ثناه
وفاز بتاريخ ما فرح بوا ملك — قبلوا[6] ونال قصدوا[7] وبيض ثناه
أهل الفضائل والعلوم ورّخوا — وكلِّ واحد في الكتابة ذهب
يكتب تواريخ الملوك بالمداد — إلا لقايتباي كتبْ بالذهب [٢٢٨/ب]
هو فارس الإسلام وليث الوغا — وفهلوان العصر مُبدى العجب
وخالقوا[8] علا مقاموا[9] الشريف — على الملوك وانشاه ومن ما براه[10]
وكلّ ذا في اللوح قديم في الأزل — خطو القلم جلَّ الذي قدْ براه[11]
لاجلو[12] الدوادار الكبير قدْ برز — أمروا[13] بتوسيع الطريق المضيق
وكشف أبواب المساجد وما — بين المدارس كان على غير طريق
وصلح الأبواب وشيء بيضوا[14] — وأخلع على واحد مُشدّ الطريق
ووكلوا[15] بالقاهرة كلّ بوم — بقى يُدور راكب وفي يدوا[16] عصاه
ويأمر الناس بالبياض والدهان — طاع الجميع أمروا[17] ولا حد عصاه
صارت مدينتنا عرُوس للملك — وذا عجب كيف العريس هو الولي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "تصيبه".
(٢) كذا في الأصل، والصواب "توعكه".
(٣) كذا في الأصل، والصواب "وجبه".
(٤) كذا في الأصل، والصواب "به".
(٥) كذا في الأصل، والصواب "عزمه".
(٦) كذا في الأصل، والصواب "قبله".
(٧) كذا في الأصل، والصواب "قصده".
(٨) كذا في الأصل، والصواب "خالقه".
(٩) كذا في الأصل، والصواب "مقامه".
(١٠) كذا في الأصل، وفي بدائع الزهور ١٤١/٣ وجواهر السلوك ٣٦٠: "يراه".
(١١) كذا في الأصل، وفي بدائع الزهور ١٤١/٣ وجواهر السلوك ٣٦٠: "يراه".
(١٢) كذا في الأصل، والصواب "لأجله".
(١٣) كذا في الأصل، والصواب "أمره".
(١٤) كذا في الأصل، والصواب "بيضه".
(١٥) كذا في الأصل، والصواب "ووكله".
(١٦) كذا في الأصل، والصواب "يده" وفي بدائع الزهور ١٤١/٣ وجواهر السلوك ٣٦٠: "إيده".
(١٧) كذا في الأصل، والصواب "أمره".

ونقشـــوها بالـــدهان فـــي البيـــاض وأضـحت عروسـه بـالطراز تنجلـي[1]
ومُـــدّت المـــدات نهـــار الفـــرح وزينوهـــا بـــالحلا والحُلـــي
وبـــان لهـــا ســـيقان عواميّـــد رُخـــام جلاهُـــم[2] الصـــانع ونعـــم جـــلاهِ
ودُقـــت الكوســـات نهـــار الـــدخول وكـــان دُخُولُـــوا[3] فـــي المواكـــب جـــلاه
تـــاريخ ســـنة اثنـــين جُمـــاد الأخيـــر تلـــي ثمـــانين مـــع ثمـــان مـــن مئـــين
مـــن هجـــرة الهـــادى عليـــه الســـلام خيـــر النبييـــين ســـيّد المُرســـلين
تجهـــز الســـلطان يريـــد الســـفر وأخفـا عـن العسـكر خـرج فـي أربعـين
وفـــر لبيـــت المـــال خـــزائن ذهـــب مـــا يحصـــروها مـــن قلـــم مـــع دواه
ونـــيح[4] العســـكر وكـــم مـــن ضـــعيف كـــان التخلـــف فـــي بـــلادوا[5] دواه
هـــذا المعـــاني والبـــديع والجنـــاس مـــن نظـــم زيتـــوني لفقهـــو[6] دُخـــول
أبـــو النجـــا العـــوفى نظـــم فـــي الملـــك من حين خروجوا[7] في السفر للدخول
فـــإن تجـــد لـــو[8] عيـــب فســـد الخلـــل إذا ســـمعتوا[9] فـــي نظـــاموا[10] يقـــول
ســـلطاننا الأشـــرف خـــرج فـــي أربعـــين نوابـــغ العســـكر وســـافر حمـــاه[11]
ومـــن حلـــب عـــدى ليبحـــر[12] الفـــراة فأسـقى خيـول جيشـوا وربـوا حمـاه[13]

انتهى ذلك.

ثُم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة، فيها: أرسل السلطان قبض على الأمير جاني بك الفقيه أمير سلاح [٢٢٩/أ] من العقبة، وكان حج في تلك

---

(1) في جواهر السلوك ٣٦٠: "تتجلى".
(2) في جواهر السلوك ٣٦٠: "حلاهم".
(3) كذا في الأصل، والصواب "دخوله".
(4) كذا في الأصل، وفي بدائع الزهور ١٤١/٣ وجواهر السلوك ٣٦٠: "وريح".
(5) كذا في الأصل، والصواب "بلاده".
(6) كذا في الأصل، والصواب "لفقه".
(7) كذذا في الأصل، والصواب "خروجه".
(8) كذا في الأصل، والصواب "له".
(9) كذا في الأصل، والصواب "سمعته".
(10) كذا في الأصل، والصواب "نظامه".
(11) في بدائع الزهور ١٤٢/٣ وجواهر السلوك ٣٦٠: "من العساكر حين سافر حماه".
(12) في بدائع الزهور ١٤٢/٣ وجواهر السلوك ٣٦٠: "يروم".
(13) في بدائع الزهور ١٤٢/٣ وجواهر السلوك ٣٦٠: "فأسقى الخيول من ماه وربُه حماه".

السنة[1] أمير المحمل، فتغيّر خاطر السلطان عليه، فأرسلهُ من هُناك إلى القدس الشريف، فأقام به مُدّة، ومات ودُفن هُناك.

وفيها: أخلع السلطان على المقر السيفي يشبك الدوادار واستقر بـهِ أمير سلاح عُوضًا عن جاني بك الفقيه، فصار الأمير يشبك أمير سلاح، وأمير دوادار كبير، ووزير، وأسُتادار، وكاشف الكشاف ومُدبر المملكة، فتزايدت عظمتهُ، وتضاعفت حُرمتهُ، وتنافذت كلمتهُ، وكان صاحب الحلّ والعقد بالديار المصرية واستمر على ذلك.

ثُم دخلت سنة أربع وثمانين، فيها: توفي الخليفة المُستنجد بالله يُوسف، في يوم السبت رابع عشرين المُحرم، فكانت مُدّة خلافتهُ نحو ستة وعشرين سنة إلا أشهر؛ وفي سادس عشرين تولى الخلافة الإمام عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل العباسي.

ثُم دخلت سنة خمس وثمانين وثمانمائة، فيها: توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية وهي السفرة الثانية، وسبب ذلك أنهُ لما كملت عمارة البُرج الذي أنشأهُ بثغر الإسكندرية، توجه إليه لينظر ما عُمل به[2].

وفي هذه السنة: حضر الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أينال إلى الديار المصرية، بسبب والدته لما ضعفت[3]، وقد تقدم ذلك، إنَ السلطان ترك الملك المؤيد بالقاهرة حتى توفيت والدته خوند ودفنها، فتوجه السلطان إلى الإسكندرية في تلك المدة التي حضر فيها الملك المؤيد.

وكان الملك الأشرف قايتباي كثير الأسفار على حين غفلة، وسافر أيضًا إلى ثغر دمياط على سبيل التنزه، ونزل في مركب صغير، ودخل إلى بُحيرة تنيس، ونظر إلى صيد السمك البُوري كيف يصيدُونه، وأقام بدمياط، وعيد النحر بها وتوجه إليه قاضي القُضاة الشافعي الأسيوطي حتى صلى بهِ صلاة العيد هُناك وخطب بهِ، وسافر أيضًا إلى وادي العباسة، وتنزه به أيامًا، ولهُ سفراة كثيرة على هذا الوجه.

---

[1] يقصد سنة ٨٨٢هـ.

[2] الخبر في بدائع الزهور ١٥٥/٣: في أحداث سنة ٨٨٤هـ.

[3] الخبر في بدائع الزهور ١٥٥/٣: في أحداث سنة ٨٨٤هـ.

وفي هذه السنة: توجه السلطان إلى الحجاز الشريف، وأخفى ذلك عن العسكر، وخرج بعد شيل المحمل من بركة الحاج بيومين، وكان أمير المحمل في تلك السنة المقر الصاحبي خُشقدم الزمام، فلما وصل السلطان إلى مكة نزل في مدرستهِ التي أنشأها عند باب السلام، وكان معهُ بعض أمراء [٢٢٩/ب] عشراوات، وجماعة من الخاصكية، والشيخ بُرهان الدين ابن الكركي الإمام، فلما قضى توجه إلى المدينة الشريفة، وزار قبر رسول الله ﷺ، وفرق على أهل المدينة جُملة مال.

ثم قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، فدخل إليها قبل مجيء الحاج بثمانية أيام، فنزل في قُبة الأمير يشبك التي في المطرية، فمدَّ لهُ الأتابكي أزبك هُناك مدَّة عظيمة، ثم دخل إلى القاهرة في موكبٍ عظيم، وحملت القُبة والطير على رأسه بيد الأتابكي أزبك، ولعبوا قُدامهُ بالغواشي الذهب، وفرشت لهُ الشُقق الحرير من عند مدرسة أمُ السطان التي في التبانة إلى القلعة، وبيّض لهُ خوند الحوش السلطاني، ودهاليز القلعة.

فلما طلع إلى القلعة مدَّ لهُ الأمير يشبك الدوادار هُناك مدَّة عظيمة أعظم من مدّة الأتابكي أزبك، ودخل إلى السلطان تقادم عظيمة من أعيان الناس، والمُباشرين، ولما رجع من الحجاز الشريف فهنأهُ الشهاب المنصوري بهذه القصيدة، فمنها:

قدم السرور بمقدم السلطان ... من حجه المقبول بالرضوان
فدُعاؤنا ببقائه في نعمة ... وسلامة فرضٌ على الأعيان
لما نوى حجًا ولبي مُحرمًا ... عمَّ الأمان مراتع الغزلان
حُظيت بهِ أم القري مُذ زارها ... واشتاقهُ مصرٌ أبو البلدان
والكعبة افتخرت وودَّت أنها ... في خدّ دولتهِ من الخيلان
لو أنها علقت لخرّت حُرمة ... لله ساجدة على الأدقان
ولسلمت جهرًا عليه وأبذلت[1] ... سرِ السلام عليه بالإعلان
فتطوف[2] الملك الهمام بها إلى ... سبع ولولا الحدَّ زاد ثمان
وصفا لهُ قلبُ الصفا والمروة استر ... قت به مرقي بني مروان

---

[1] في الأصل "أبدلت".

[2] في بدائع الزهور ١٦٣/٣ وجواهر السلوك ٣٦٢: "فاطوف".

وأفـاض منـذ أفـاض مـن عرفاتهـا دمـع اشـتياق سـال كالغـدران
وعلـي منـى بلـغ المُنـي مـن ربـه ورمـى الجمار بمهُجـة الشيطان [٢٣٠/أ]
وقضـى مناسـك حجـه فأتمهـا مختومـة بالحمـد والشـكران
فالحمـد لله الـذي جبـر الـوري ورعـى القُـري بسـلامة السـلطان
فاستبشـرت مصـرٌ وهنـا بعضـها بعضًـا بعودتـه إلـى الأوطـان[١]

ولما رجع السلطان من حجه أقام مُدّة، ثم توجه إلى زيارة بيت المقدس فزاره، وزار قبر الخليل عليه السلام، وليس يحضرني الآن توجهه إلى القُدس الشريف هل هو في هذه السنة أو ما قبلها[٢].

ثُم دخلت سنة ست وثمانين وثمانمائة، فيها: جاءت الأخبار من المدينة الشريفة بأن المسجد النبوي قدْ احترق حتى الحجرة الشريفة، والقُبة الخضراء، وجميع سُقوف المسجد كلها، وكان ذلك في شهر رمضان من سنة ست وثمانين، وكُتب بذلك محضرًا، وثبت على قُضاةِ المدينة بأن وقت التسبيح نزلت صاعقة عظيمة من السماء على المسجد الشريف، فاحرقته جميعه، وقد شاهدوا في الليل طيورًا بيض قدر الرَخم طائفين حول المسجد يمنعون النار أنْ لا تحرق البيوت الذي[٣] حول المسجد.

فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه وبكى لذلك، ثم عيّن الخواجا شمس الدين ابن الزمن لعمارة المسجد الشريف، وأرسل على يدهِ مالًا بسبب العمارة، فسافر في أثناء سنة سبع وثمانين وثمانمائة[٤]، وأخذ معهُ جماعة من البنايين والنجارين، وتوجه إلى هُناك، فأقام بالمدينة الشريفة إلى أنْ كملتْ العمارة، فجاء أحسن ما كان أولًا في البناء والزخرفة، وفي هذه الواقعة يقول الشيخ شمس الدين القادري:

بطيبـةٍ سـيئات الركـب بـدلها[٥] رب العُـلا حسـنات عنـد مـا زاروا
وعنـدما قَبلـت ضـاهت لـذى حـرم الـ ـمُختار مـن أكلـت قَربانـهُ النـار[٦]

ولبعضهم في المعنى:

---

(١) بحر الوافر؛ وجاء ترتيب الأبيات مختلف عما ورد في بدائع الزهور وجواهر السلوك.
(٢) لم يرد خبر زيارة السلطان القدس في بدائع الزهور في أحداث هذه السنة أو السنة التي قبلها أو بعدها؛ وكان عادة السلاطين عند العودة من الحج زيارة القدس والخليل.
(٣) كذا في الأصل، والصواب "التي".
(٤) في بدائع الزهور ١٨٨/٣: أن الانتهاء كان في سنة ٨٨٧هـ وليس السفر كما ورد هنا.
(٥) في الأصل "بذلها".
(٦) بحر البسيط.

لَـمْ يَحْتَـرق حَـرَمُ النبـي لحـادثٍ يُخشـى عليـه ولا دهـاهُ العـارُ[٢٣٠/ب]
لكنمـا أيـدي الـرَّوافض لامسـت ذاكَ الجنـابَ فطهَّرَتـه النـارُ[١]

ومن الحوادث في هذه السنة: وقعت زلزلة عظيمة بالديار المصرية، فأقامت نحو ست درج[٢]، ووقع فيها أماكن كثيرة، وحيطان، ووقع بالمدرسة الصالحيّة حائط على قاضي القُضاة الحنفي ابن عيد فمات من يومهِ، ومات عقيب ذلك الجناب الزيني أبو بكر ابن القاضي عبد الباسط من الرجفة بسبب الزلزلة التي وقعت بالديار المصرية.

ومن الحوادث فيها: أنَ السلطان عزل قاضي القُضاة الشافعي ولي الدين الأسيوطي وولي الشيخ زين الدين زكريا قاضي القُضاة الشافعية عُوضًا عن ولي الدين الأسيوطي، وذلك في سادس رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة.

فكانت مُدّة ولي الدين الأسيوطي في قضاية القُضاة بالديار المصرية نحو ست عشرة سنة، وقدْ حضر سلطنة يلباي وتمربُغَا وقايتباي، وقاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي أخذ وظيفة القضاء عن أبي السعادات البُلقيني، وأبي السعادات أخذ عن صلاح الدين المكيني، وصلاح الدين المكيني، أخذ عن يحيى المناوي، ويحيى المناوي أخذ عن قاضي القُضاة علم الدين صالح البُلقيني، وكل ذلك وقع في دولة الملك الظاهر خُشقدم.

ومن الحوادث في هذه السنة، وهي سنة ست وثمانين، فيها: حضر إلى الأبواب الشريفة ابن عثمان المسمى جام، ويُدعى أيضًا الجُمجُمة، وكان سبب حضوره إلى الديار المصرية أنهُ وقع بينهُ وبين أخوه الكبير حظ نفس بسبب المملكة، فأراد قتله، فهرب منهُ، والتجأ إلى سلطان مصر.

فلما بلغ السلطان مجيئه فخرج إليه الأمراء والعسكر إلى نحو بركة الحاج عند المرج والزيات، فدخل في موكب عظيم، والأمراء قُدامه حتى طلع إلى القلعة، وقابل السلطان، فأخلع عليه، ونزل إلى مكان عُدّ لهُ، فحضر هو ووالدتهُ، وأولاده، وعياله، فأقام بالديار المصرية مُدّة، وحج في تلك السنة، وصلى مع [٢٣١/أ] السلطان صلاة العيد، وهو بالشاش والقماش، وحضر الموكب وأخلع عليه السلطان مع الأمراء.

---

[١] بحر الكامل.
[٢] في بدائع الزهور ١٨٧/٣: "ثلاث درج".

وفي هذه السنة: في شهر شعبان ختن القاضي كاتب السرِّ أولاده، وكان المُهم في بيته الذي في بركة الرطلي، وكان الجُمجمة ابن عثمان حاضرًا ذلك، فأمر القاضي كاتب السرِّ بوقده في بيوت البركة، فوقدوا وقدة عظيمة، وحرق حراقة نفط ثلاثة أيام، واجتمع في البركة في هذه الأيام من المراكب، والخلق ما لا يُحصى، وكانت فيها ليالي مشهودة لمْ يُسمع بمثلها[1] فيما تقدم من الوقائع، وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين القادري:

يا حُسنها بركة بالحُسن ما برحت ... تزهُو على سائر الخُلجان والبرك[2]

حُفتْ بضوء مصابيح كشمس ضُحى[3] ... تُضيئ[4] في حُندس الديجور والحلك

فكان لما تباها نُور بهجتها[5] ... مثلُ الشموسُ تُرى[6] في دارة الفلك

وعندما نصبت أشراك بهجتها ... صادتْ طيُور قلوب الناس بالشرك[7]

ثُم إن الجُمجمة ابن عثمان أقام بعد حجه مُدّة، وطلب من السلطان دستور ليمضي إلى بعض ملوك الفرنج، ويجمع جيشًا من عساكره، ويُحارب أخيه، فترك أولاده، وعياله، وأمه بالقاهرة، وسافر إلى بلاد الروم، ثُم بعد مُدّة جاءت الأخبار بأن بعض ملوك الفرنج أسرهُ، فأقام عندهُ إلى أن مات في بلاد الفرنج بعد مُدّة، وكان عنده رهج وخفة، وكان هذا من السلطان غاية الغلط الذي مكنهُ من الرواح.

وفي هذه السنة: جرد الأمير يشبك الدوادار إلى نحو حماه، بسبب سيف أمير عربان نُعير، لما خرج عن الطاعة، وأظهر العصيان، فخرج إليه الأمير يشبك من القاهرة، وصُحبتهُ عسكرٌ عظيم، نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية، ومن الأمراء الأمير بُرسباي قرا حاجب الحجاب، والأمير تاني بك قرا أحد المقدمين الألوف، ومن الأمراء العشراوات جماعةٍ كثيرة[8].

---

(1) في الأصل "بملثها".
(2) في بدائع الزهور ٣/١٨٦: "طابت على بركة الرطلى ليلتُنا * حتى تباهت على الخلجان والبرك".
(3) في بدائع الزهور ٣/١٨٧: "زهت وغدت".
(4) كذا في الأصل، والصواب "تضئ".
(5) في بدائع الزهور ٣/١٨٧: "تناهى حسن وقدتها".
(6) في بدائع الزهور ٣/١٨٧: "شموس الضحى".
(7) بحر البسيط، هذا البيت لم يرد في بدائع الزهور.
(8) الخبر في بدائع الزهور ٣/١٦٤: في أحداث سنة ٨٨٥هـ.

فلما توجه إلى حماه هرب سيف [٢٣١/ب] من وجهه، وقصد نحو الفُرات، فتبعهُ الأمير يشبك إلى الفُرات، وأخذ صُحبته نائب الشام قانصوه اليحياوي، ونائب حلب أزدمُر، ونائب حماه، وجماعة من النُواب.

ثم إن الأمير يشبك عدى من بحر الفرات، ووصل إلى مدينة الرُها، فلما رأى الأمير يشبك الدوادار كثرة من معهُ من العساكر والنُواب، حدثتهُ نفسهُ بأن يمشي على بلاد حسن بك الطويل ويملكها، فأن حسن الطويل كان قد مات، وتولى ابنهُ يعقوب عُوضه، فحسَّنَ بعض الأعاجم إلى الأمير يشبك بأن يزحف على مملكة حسن الطويل، ويأخذها من ابنه يعقوب، فطمعت أمال الأمير يشبك بأخذ مملكة حسن الطويل ويصيّر ملك العراقين ويترك مصر فأنهُ كان وقع بينهُ وبين مماليك السلطان الأجلاب بسبب الأمير جانم قرابة السلطان لما مات على حين غفلة، فأشيع بين الناس أن الأمير يشبك أشغلهُ على ما قيل، فوقع بينهُ وبين المماليك السلطانية، وأرادُوا قتلهُ.

فلما خرج إلى حماه ووصل إلى الرُها، فحاصر قلعة الرُها أشدَّ المُحاصرة، وكان نائب الرُها شخصًا[١] يُسمى بيان دُر[٢] من أمراء حسن الطويل، فلما حاصر قلعة الرُها، فأرسل بيان دُر يسأل الأمير يشبك من الصُلح، ولم يُوافق على ذلك، وطمعت أمالهُ بأخذ مملكة حسن الطويل، فكان كما قيل في المعنى:

أتطمع من ليلي بوصلٍ وإنما   تقطع أعناق الرجال المطامع[٣]

فلما لم يوافق الأمير يشبك على الصُلح، جمع بيان دُر العساكر، واتقع مع الأمير يشبك وقعة عظيمة بالرُها، فلم تكن إلا ساعة يسيرة، وقد انكسر الأمير يشبك، ومن معهُ من الأمراء، وهما: الأمير بُرسبَاي قرا، والأمير تاني بك قرا، وأسر قانصّوه اليحياوي نائب الشام، ونائب [٢٣٢/أ] حلب أزدمُر، ونائب حماه، وجميع العساكر السلطاني شيء قُتل، وشيء أسر، كأنما وقعتْ عليهم شبكة، ولم ينج منهم أحدٌ، ونهبُوا جميع بركهُم، وأموالهم.

فلما أسر بيان دُر النُواب، والأمير يشبك، فأقام عندهُ الأمير يشبك أيامًا، ثم إنهُ قطع رأسهُ، وأرسلها إلى يعقوب بن حسن بك، وأرسل إليه النُواب الذي[٤] أسرهم وهُم في قيود.

---

(١) في الأصل "شخصا".
(٢) في بدائع الزهور ١٧١/٣وجواهر السلوك ٣٦٤: "باينذر".
(٣) بحر الطويل؛ والبيت للقاضي شهاب الدين محمود. (خزانة الأدب ٣١٢/٢).
(٤) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

وقيل: أنهم طافوا برأس الأمير يشبك في بلاد حسن بك، وهي على رُمح مشهورة، وكانت هذه الواقعة من أعظم المصائب في حق عسكر مصر.

وقيل: أن الذي قطع رأس الأمير يشبك كان عبدًا أسود من عبيد بيان دُر، فلما قُطعتْ رأسهُ رموا جُثتهُ على الأرض، وهو عُريان، وبقيت عورتهُ مكشوفة، والناس ينظرون إليه، حتى ستروهُ ببعض حشيش الأرض.

وكان الأمير يشبك أميرًا مليًا مُهابًا عسُوفًا، وكانت لهُ في مصر حُرمة وافرة، وكلمة نافذة، وهو صاحبُ القُبة التي في المطرية، والقُبة التي في رأس الحُسينية، ولهُ أثارٌ كثيرة غير ذلك، وكان لهُ محاسن ومساوئ وأخر الأمر قطع رأسهُ عبدًا أسود، كما قيل:

ما أعجب الدهر في تقلبهِ ... والدهر لا تنقضي عجائبهُ
وكم رأينا في الدهر من أسدٍ ... بالت على رأسهِ ثعالبهُ[1]

فلما جاءت الأخبار إلى السلطان بما جرى للعسكر اضطربت أحوال الديار المصرية، وعزم السلطان على التوجه إلى بلاد حسن بك بنفسهِ.

ثُم دخلت سنة سبع وثمانين وثمانمائة، وفيها: صح موت الأمير يشبك، وأحضروا جثتهُ إلى القاهرة في سُحليَّة، ودُفن في تُربتهِ التي أنشأها في أواخر الصحراء[2].

فلما تحقق السلطان موت الأمير يشبك أخلع على المقر السيفي أقبردي من على باي واستقر بهِ أمير دوادار كبير عُوضًا عن يشبك من مهدي[3]؛ وأخلع على المقر السيفي تمراز الشمسي قريب المقام الشريف واستقر بهِ [٢٣٢/ب] أمير سلاح عُوضًا عن يشبك أيضًا؛ واستقر الأمير تغري بردي القادري أسُتادارًا عُوضًا عن يشبك أيضًا[4]، وأعُيد الصاحب قاسم إلى الوزارة بعد موت يشبك ثُم بعد مُدّة استقر الأمير أقبردي وزيرًا ثُم بعد مُدّة بقى أسُتادارًا فاستقر في هذه الوظائف كما كان يشبك الدوادار.

وفيها: أخلع على الأمير تغري بردي ططر واستقر بهِ حاجب الحجاب.

---

(1) بحر المنسرح؛ والبيتان لأبى سعد المخزومي. (الإعجاز والإيجاز ١٦٧).
(2) الخبر في بدائع الزهور ١٧٧/٣: في أحداث ذي القعدة سنة ٨٨٥هـ.
(3) الخبر في بدائع الزهور ١٧٨/٣: في أحداث محرم سنة ٨٨٦هـ.
(4) الخبر في بدائع الزهور ١٧٧/٣: في أحداث ذي الحجة سنة ٨٨٥هـ.

ثُم دخلت سنة ثمان وثمانين وثمانمائة، فيها: أطلق يعقوب بن حسن بك النُواب الذي[1] أسرُوا صُحبة الأمير يشبك في وقعة الرُها كما تقدم، وكان سبب إطلاق النُواب من عند يعقوب بن حسن بك، وذلك أن السلطان لما بلغه ما جرى للأميرِ يشبك اضطربت أحوال الديار المصرية، وقصد السلطان أنْ يخرج بنفسهِ، ثم إنه عيّن الأتابكي أزبك، ومعهُ جماعة من العسكر، فخرج من الديار المصرية، وتوجه إلى حلب، فأقام بها، ثم أرسل إلى يعقوب بن حسن بك بعض الأمراء، وقيل: هو [ ][2] العبارة، ثم إن والدة يعقوب زوجة حسن بك أشارت على ابنها يعقوب بأن يطلق من عنده من النُواب، فأطلقهم وأحسن إليهم، وأرسلهم صُحبة الأمير جاني بك حبيب، فتوجه بهم إلى حلب[3]، وأرسل يعقوب كتاب صُحبة الأمير جاني بك حبيب، وهو يعتذرُ فيه إلى السلطان أن الذي فعلهُ بيان دُر لم يكن لهُ به علم، ولا خبر، ولا أمرهُ بذلك[4].

ثم بعد مُدّة جاءت الأخبار بأن بيان دُر قد قتل، وقيل: أنَ يعقوب ندب[5] إليه من قتلهُ وأرضى السلطان بذلك وخمدت الفتن الذي[6] كانت سبب ذلك، وبطل أمر خروج السلطان إلى بلاد حسن بك.

ولما أنْ حضر الأمير بُرسباي قرا، والأمير تاني بك قرا صُحبة النُواب، وكانوا أسروا في الوقعة، فاستقر بُرسباي قرا رأس نوبة النُوب عُوضًا عن الأمير تمراز لما بقي أمير سلاح، واستمر الأمر على ذلك.

ثُم دخلت سنة تسع وثمانين وثمانمائة، وفيها: جاءت الأخبار بأن ابن عثمان الكبير جمع عساكر عظيمة في البر والبحر، وقصدهُ أنْ يزحف على بلاد السلطان، فلما بلغ السلطان ذلك جمع الأمراء وضربوا مشورة[7] في أمر ابن عثمان، فأشار الأمراء على السلطان بأن يرسل إليه هدية على يدِ قاصد من ذوي العقول من الأمراء، فوقع الاختيار على إرسال الأمير جاني بك حبيب أمير أخور ثاني، فأنهُ كان شكلًا مليحًا، ولفظ حسن، فعيّن السلطان معهُ تقدمه

---

(1) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(2) كتبت على أطراف الصفحة ولا يظهر، ومقداره سطر كامل.
(3) ورد الخبر في بدائع الزهور ٣/١٨٠- ١٨١: في أحداث سنة ٨٨٦هـ.
(4) ورد الخبر في بدائع الزهور ٣/١٨٩: في أحداث سنة ٨٨٦هـ.
(5) في الأصل "نذب".
(6) كذا في الأصل، والصواب "التي".
(7) في الأصل "مشروره".

عظيمة، وسافر إلى بلاد ابن عثمان من البحر المالح، وكان قبل ذلك أرسل السلطان الأمير يشبك الجمالي قاصدًا إلى ابن عثمان.

فلما وصل [٢٣٣/أ](١) الأمير جاني بك إلى ابن عثمان فلم يريه بان عثمان وجه، وأخذ الهدية على كُرهٍ منهُ، فأقام عندهُ الأمير جاني بك أيامًا، ثُم رجع إلى القاهرة بعد مُدّة، والأمر مانع بين ابن عثمان وبين السلطان، ولم ينعقد بينهُما صُلح، فلما رجع الأمير جاني بك إلى القاهرة، وأخبر السلطان بما جرى بينهُ وبين ابن عثمان فتطور السلطان من ذلك.

ثم جاءت بعد ذلك الأخبار بأن عسكر ابن عثمان قدْ وصل إلى نحو أدنة(٢) فعند ذلك أمر السلطان بإجهار النداء للعسكر بالعرض فأعرض العسكر بالحوش السلطاني وعيّن الأتابكي أزبك باش العسكر وصُحبتهُ جماعة من الأمراء المقدمين منهم المقر السيفي تمراز الشمسي أمير سلاح، والمقر السيفي برسباي قرا أمير مجلس، والمقر السيفي قانصوه خمسمائة أمير أخور كبير، والمقر السيفي تغري بردي ططر رأس نوبة النُوب، والمقر السيفي تاني بك قرا حاجب الحجاب، والمقر السيفي تاني بك الجمالي، والمقر السيفي أزبك اليُوسفي، والمقر السيفي أزدمُر العسرطن، وغير ذلك من الأمراء الطبلخانات والعشراوات، ونحو ثلاثة آلاف مملوك سلطان، فخرجوا من القاهرة في أطلاب عظيمة، فكان طُلب الأمير قانصوه خمسمائة أعظم من الكل، والأتابكي أزبك مثلهُ، فشقوا من المدينة، وخرجوا من باب النصر إلى أن وصلوا إلى الريدانية، فاجتمعوا هناك إلى أن رحلوا، ووصلوا إلى عسكر ابن عثمان، وخرج صُحبتهم نائب الشام قانصوه اليحياوي، وأزدمُر نائب حلب، وغير ذلك من النُواب، فاتقعوا مع عسكر ابن عثمان هُناك وقعة عظيمة، فانكسر عسكر ابن عثمان كسرة قوية، فقيل: قُتل من عسكر ابن عثمان في هذه الوقعة نحو من خمسين ألف إنسان، وقيل: أكثر من ذلك.

---

(١) جاءت تخريجة بخط المؤلف: "ومن الحوادث في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة أن في جمادى الأول من السنة المذكورة وثبوا فيه المماليك الأجلاب على الأمير بُرسبَاي قرا وهو رأس نوبة النُوب فلبسوا آلة الحرب وتوجهوا إلى بيتهِ فنهبُوا كل ما فيه وأحرقوهُ حتى نهبُوا بيوت الجيران التي حوله وأحرقوهُم، وكان سبب ذلك أمرًا فشروى وقع لهُ في محاكمةٍ بين مماليك أجلاب، فثاروا عليه بسبب ذلك، وجرى منهم في حقه ما تقدم، فكانت هذه الواقعة من المماليك الأجلاب أول الفتن، وأول جور المماليك في حق سائر الأمراء والناس. انتهى ذلك". الخبر في بدائع الزهور ٢٠٢/٣.

(٢) في الأصل "أذنة".

ثم إن الأتابكي أزبك أرسل إلى القاهرة رؤوس أعيان من قُتل من عسكر ابن عثمان، [٢٣٣/ب][^1] وكانت هذه النُصرة[^2] لعسكر مصر على غير القياس، ثم إن الأتابكي أزبك رجع إلى القاهرة، وصُحبتهُ العسكر وهُم في غاية النصر.

فلما رجعوا إلى القاهرة أقاموا مُدّة وقد جاءت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان رجع إلى مُحاربة عسكر مصر، فخرجت لهُ تجردية ثانية على ما شرح في الأول، فلما وصلوا إلى عسكر ابن عثمان اتقعوا معهم، فانتصروا عليهم أيضًا، وقتلوا منهم جماعة كثيرة، وأسروا منهم أكثر.

ومن الحوادث بالديار المصرية: أن السلطان لعب بالأكرة في الحوش فكبابهِ الفرس فنزل على وركة، فانكسر فأغمي عليه فحملهُ الأمير جاني بك حبيب أمير أخور ثاني، ودخل بهِ إلى قاعة الدُهيشة، فأقام بها مُدّة، وهو مُنقطعٌ نحو شهرين، وهو على سرير مُقور، والمُزينين ماشيه عليه، وكان الناسُ يدخلون ويُسلمون عليه، وهو في قاعة الدُهيشة إلى أنْ حصل لهُ الشفاء، ودخل إلى الحمام، وركب وصلى الجُمعة، فتخلق الناس بالزعفران، وكان لهُ يوم مشهود بالقلعة لما ركب، وفي هذه الواقعة يَقولُ الشهاب المنصوري:

وقد زعموا أن الجواد كبا به ... وحاشاه من عيب يُضافُ إليه
ولكن رأى سلطان عزٍ وهيبةٍ ... فقبل وجه الأرض بين يديه[^3]

وكلِّ ذلك والعسكر كان غائبًا في التجريدة، واستمرت الحرب ثائرة بين السلطان وبين ابن عثمان من سنةِ تسع وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة.

ومن الحوادث أن في سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة توفي القاضي كاتب السرّ أبو بكر بن مُزهر، وذلك في ثالث شهر رمضان من السنةِ المذكورة[^4]،

[^1]: جاءت تخريجة بخط المؤلف: "ومن الحوادث في أيام الملك الأشرف قايتباي: أنَ في أثناء دولتهِ أوفى النيل المُبارك في آخر يوم من أبيب، وكسر السُد في أول يوم منْ مُسري، وكان نيلًا عظيمًا في تلك السنة في العُلو والثبوت".
"ومن الحوادث في أيامه أيضًا أنَ شخصًا من الأمراء العشراوات يُسمى ملاج الظاهري، وكان إقطاعه ضعيفًا فوقف إلى السلطان لينعم عليه بإقطاع غيره، فلم يرض السلطان ولم يغير لهُ إقطاعهُ فغضب ملاج المذكور ونزل إلى بيتهِ، فشق نفسهُ في سلبة، فمات من وقتهِ ودُفن، وكان رجلًا شيخًا عاقلًا ولكن فعل ذلك من قهره من السلطان".

[^2]: في الأصل "النصر".

[^3]: بحر الطويل.

[^4]: الخبر في بدائع الزهور ٣/٢٥٥: في أحداث سنة ٨٩٣هـ.

ولما توفي فاستقر السلطان بولدهِ القاضي بدر الدين فتولى في سادس عشر شهر رمضان.

فكانت مُدّة ولاية القاضي أبو بكر بن مُزهر في كتابة السرّ نحو خمس وعشرين سنة وأشهر، وقد تولى في أثناء دولةِ الملك الظاهر خُشقدم، فأقام هذه المدّة في [٢٣٤/أ][(١)] هذه الوظيفة إلى أن مات، وفيه يَقولُ زين الدين ابن النحاس الشاعر:

مقام ابن مُزهر فوق السها ... وقد زاد ربي أجلالهُ
وظيفتهُ الدهر تسموا بهِ ... فلم تكن تصلحُ إلا لهُ[(٢)]

ولما مات رثيتهُ بهذه الأبيات، وهو قولي مع التضمين:

صارت مراملهُ كمثل أرامل ... تبكي بأعيُنها دمًا وتتربُ
وكذا الدواة تسودت أقلامها ... حُزنًا عليه وأقسمتْ لا تكتبُ[(٣)]

ولما تولى ولدهُ القاضي بدر الدين مدحتهُ بهذهِ الأبيات:

يا كاتب الأسرار يا من وجههُ ... قد جملَّ الدُنيا وزان المنصبا
أشرقت بالأفلاك في درج العُلي ... يا بدر يزهوا حبابك مرحبا[(٤)]

ومن هُنا نرجع إلى أخبار ابن عثمان، فأن التجريدة الثانية لما رجعت إلى الديار المصرية في سنة أربع وتسعين وثمانمائة فوقف بعض المماليك الأجلاب إلى السلطان وطلبوا منهُ نفقة عند العود لترقع أحوالهم فأبى السلطان من ذلك، فقصدوا الوثوب عليه.

فعند ذلك طلب السلطان الخليفة والقُضاة الأربعة وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر وسائر العسكر، فلما تكامل المجلس قال السلطان للقُضاة: "أشهدوا عليَّ أني خلعةُ نفسي من الملك"، وقام وفكك أزرارهُ.

---

(١) جاءت حاشية بخط المؤلف على هامش الصفحة: "وكان سبب توعك القاضي كاتب السرّ وموته أنَ الملك الأشرف قايتباي رسم لهُ بأنْ يتوجه صُحبة الأمير أقبردي الدوادار إلى جبل نابلس بسبب استخلاص المال من عربان جبل نابلس، فتوجه صُحبة الأمير أقبردي إلى جبل نابلس كما تقدم، ثم إن القاضي كاتب السرّ توعك هُناك في نابلس فحضر إلى مصر وهو متوعك في جسده في شقدف يمني، فأقام في مصر مُدّة وهو متوعك حتى مات في اليوم المذكور".

(٢) بحر المتقارب؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

(٣) بحر الكامل

(٤) بحر الكامل؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

فعند ذلك ضج العسكر ولم يمكنُوهُ من ذلك، وتدخل عليه القُضاة والأمراء، ثم إن المقر السيفي تمراز أمير سلاح مشى بين المماليك وبين السلطان في أمر الصُلح، وعلى أن السلطان يعطي المماليك لكلِّ واحد منهم خمسين دينارًا فتراضوا على ذلك ووقع الصُلح.

ثم إن القُضاة والخليفة المتوكل على الله عبد العزيز جدّدوا للسلطان مُبايعة ثانية، وولوهُ الملك ثانيًا، وكان ذلك في يوم السبت رابع ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وثمانمائة بالحوش [٢٣٤/ب] السلطاني، وأنفض المجلس على ذلك.

ثم إن السلطان صبر المماليك حتى يجمع المال، فعند ذلك أمر السلطان بأن يأخذ من جميع أملاك القاهرة، والأوقاف الذي[1] على الجوامع والمدارس أجرة شهرين كاملة، فجبوا ذلك في مُدّة يسيرة ونفقةُ السلطان على المماليك، وانتهى الأمر على ذلك.

ثُم دخلت سنة خمس وتسعين وثمانمائة، فيها: جاءت الأخبار بأن ابن عثمان قد جمع عسكرًا عظيمًا، وهو قاصدٌ لمحاربة عسكر مصر، وكان في هذه المدة التي وقعت فيها الفتنة منع التجار بأن لا يجلبوا إلى الديار المصرية مماليك، ولا صُوف، ولا صمُّور، ولا أشياء من الأصناف التي تجلب من نحو بلادهم.

فلما تحقق السلطان بأن عسكر ابن عثمان قد تحرك فعيّن لهُ تجريدة ثقيلة، وعيّن المقر الأتابكي أزبك باش العساكر على عادته، والمقر السيفي تمراز أمير سلاح، وتاني بك الجمالي أمير مجلس، وقانصوه خمسمائة أمير أخور كبير، وأزبك اليُوسفي رأس نوبة النُوب، وتاني بك قرا حاجب الحجاب، وقانصوه الألفي، وقانصوه الشامي، ويشبك الجمالي، وغير ذلك من الأمراء الطبلخانات، والعشراوات والمماليك السلطانية على شرح ما ذكر أولًا، فخرجوا من القاهرة في تجملٍ زائد كالحكم الأول، وهذه التجريدة الثالثة.

وفي مُدّة هذه التجاريد لم يُفقد من الأمراء المقدّمين سوى الأمير بُرسباي قرا أمير مجلس، والأمير تغري بردي ططر رأس نوبة النُوب ماتوا هُناك بتوعك في أجسادهم من غير قتل في المعركة، ولما توفي بُرسباي قرا استقر بعدهُ الأمير تاني بك الجمالي أمير مجلس، واستقر الأمير أزبك اليُوسفي رأس نوبة النُوب عُوضًا عن تغري بردي ططر بحكم وفاته.

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "التي".

فلما خرجت هذه التجريدة من القاهرة كان لها يوم مشهود [٢٣٥/أ] فلما توجه العسكر إلى الشام خرج صُحبتهم نائب الشام، وكذلك نائب حلب وجماعة من النُواب، وتوجهوا إلى قتال عسكر ابن عثمان، فأقام العسكر هُناك إلى أنْ دخلت **سنة ست وتسعين وثمانمائة، فيها:** أشيع بين الناس أنَ ابن عثمان قدْ جمع من العساكر ما لا يُحصى، وهو مُتوجهٌ بنفسه إلى قتال العسكر السلطاني.

فلما بلغ السلطان ذلك شرع في جمع الأموال وقصد أنْ يخرج بنفسهِ، فرسم بأنْ يُجبى من الأملاك والأوقاف أجرة سنة كاملة، فتدخل عليه القُضاة والأمراء، فتضاعف الأمر بأنْ يُوخذ منهم أجرة خمسة أشهر غير ما أخذهُ من قبل، وهي الشهرين المقدم ذكرهُما.

فعند ذلك حصلَ للناس الضرر الشامل بسبب ذلك، وصار الأمير تغري بردي الأسُتادار مُتحدث على جباية الأموال من باب زُويلة إلى دير الطين، وصار القاضي علائي الدين ابن الصابوني ناظر الخاص مُتحدث على جباية الأموال من باب زُويلة إلى أخر دُور الحُسينية؛ فأخذوا من الأملاك والأوقاف حتى أوقاف الجوامع والمدارس وأوقاف البيمارستان المنصوري من الربُوع والحمامات والدكاكين، وقطعوا معلوم الفقهاء والطلبة والمُستحقين والأيتام وقطعوا المُرتبات، وحصل بذلك غاية الأذى، وأخذوا من جميع أملاك القاهرة من العال للدُون، وصاروا يطلبون الناس أصحاب الأملاك بالرُسل الغلاظ الشداد، فيبهدلوا الناس، ويأخذوا حق طريقهم من الناس بالبهدله، حتى قيل: أنهم راحوا لامرأة فقيرة في دُور الحُسينية فطالبوها بأجرة بيتها فلم يجدوا معها شيء فأخذوا باب البيت ومضوا وفعلوا أشياء كثيرة من هذا النمط.

ثم إنَ [٢٣٥/ب][(١)] السلطان صادر أعيان التجار حتى تُجار الأرياف حتى طائفة اليهود والنصاري وغير ذلك من أعيان الناس، فاستمروا يجبون في هذه

---

(١) جاءت حاشية بخط المؤلف على هامش الصفحة: "ومن الحوادث أنَ السلطان أرسل الأمير جان بلاط قَاصدًا إلى ابن عثمان فتوجه إليه، وأقام عندهُ مُدّة، ثم رجع من عنده وصُحبتهُ شخص من جهة ابن عثمان، قيل: أنهُ قاض فحضر على يدهِ مفاتيح قلعة كولك، فسلمهم إلى السلطان، وهم في كيس حرير، فأكرمهُ السلطان وعظمهُ وأحسن إليه، وكان قبل ذلك توجه إليه الأمير ماماي قاصدًا إلى ابن عثمان، فعوَّقهُ عندهُ، فلما توجه إليه الأمير جان بلاط، وعاد إلى القاهرة، فحضر الأمير ماماي صُحبتهُ بعد ما كان ابن عثمان عوّقهُ عندهُ، ثم إن السلطان أرسل الأمير ماماي إلى ابن عثمان ثانى مرة، كما سيأتي في موضعه، ثم إن السلطان أنعم على الأمير جان بلاط بتقدمة ألف لما رجع من عند ابن عثمان. انتهى ذلك".

الأموال مُدّة أشهر، فلما جُبيت وضُعت تحت يد الأسُتادار وناظر الخاص، ولم يحتاج السلطان إلى صرف ذلك في التجريدة واستمر المال باقيًا حتى أصرفهُ السلطان فيما سيأتي ذكر ذلك في موضعه، وكان السلطان يظن أنَّ ابن عثمان يتحرك بنفسهِ فأحطاط لذلك.

وفي هذه السنة، وهي سنة ست وتسعين، فيها: ختَّنَ السلطان ولده المقر الناصري محمد، فزُينت لهُ القاهرة سبعة أيام، حتى زينوا داخل الأسواق، مثل: سوق الشرب والوراقين، وسوق الفاضل والباسطية، وسوق الجواهرة وغير ذلك من الأسواق، وكان العسكر غائبًا في التجريدة، فركب السلطان ولده من قاعة البحرة إلى باب الستارة، ولم يكن في مصر الأمراء سوى الأمير أقبردي الدوادار، فمسك لجام الفرس، هو والمقر الشهابي أحمد بن العيني، ومشوا جماعة المُباشرين قُدامه من البحرة إلى باب الستارة[1].

وتختّن مع ابن السلطان جماعة كثيرة من أولاد أعيان الناس، منهم: ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز، ومنهم: ابن الجُمجُمة ابن عثمان، وغير ذلك من أولاد الأمراء والأعيان.

وأقام المُهم عمال بالقلعة سبعة أيام، ودخل للسلطان تقادم كثيرة من المُباشرين وأعيان الناس، فمن جُملة ذلك أنَّ المقر الشهابي أحمد بن العيني قدّمَ طشت، وإبريق ذهب برسم الختان، فقيل: زنتهُ خمسمائة مثقال هذا غير الشُقق، والسُكر، والأغنام، والأبقار، وغير ذلك من التقادم الفاخرة من أعيان الناس.

وفي أثناء هذه السنة: جاءت الأخبار بأن العسكر قد انتصر على عسكر ابن عثمان [٢٣٦/أ] وأسروا جماعة من أمرائه، منهم: أمير يُسمى ابن هرسك، وطواشي رُومي، قيل: أنهُ لالات بن عثمان، وأسروا جماعة كثيرة من عسكره.

فلما حصلت هذه النصرة العظيمة قصد الأتابكي أزبك والأمراء العود إلى الديار المصرية، فدخلوا إلى القاهرة في أثناء سنة ست وتسعين، فلما دخلوا إلى القاهرة زُينت لهُم، ودخل الأتابكي أزبك في موكب عظيم وقُدامهُ ابن هرسك أمير ابن عثمان ولالات بن عثمان وجماعة من أمرائه، وهُم في زناجير راكبين على أكاديش، وجماعة كثيرة من عسكره مُشاه، وهُم في زناجير مكشفين

---

[1] الخبر في بدائع الزهور ٢٧١/٣: في أحداث سنة ٨٩٥هـ.

الرؤوس، وصناجق أمرائه منكسة، فكان يوم دخولهم إلى القاهرة يومًا مشهودًا لم يُسمع بمثلهِ[1].

فلما عرضوا الأسرى على السلطان فوزَّعهم على جماعة من المُباشرين حتى على قُضاة القُضاة، وأما الأمراء فتسلمهم الأمير قانصوه خمسمائة أمير أخور، فأقاموا عندهُ في الترسيم، وقد انكسر عسكر ابن عثمان في هذه المرة كسرة قوية، وتضعضع حالهُ، فأقام الأمر على ذلك مُدّة.

ثم إن السلطان عيّن الأمير مَامَاي الدوادار الثاني بأن يتوجه إلى ابن عثمان وهي المرة الثانية، ويمشي بينهُ وبين السلطان في أمر الصُلح، وأرسل على يده هدية عظيمة إلى ابن عثمان، فلما توجه الأمير ماماي إلى ابن عثمان أقام عندهُ مُدّة، ورجع إلى القاهرة، وقد انعقد الصُلح بين ابن عثمان وبين السلطان على أن كل أحدٍ منهما يطلق الأسرى الذي عنده؛ فعند ذلك أطلق السلطان ابن هرسك، والطواشي لالات بن عثمان، وبقية الأسرى، وأكساهُم، وأحسن إليهم، وتوجهوا إلى بلادهم.

وكان عند السلطان شخص من نُواب ابن عثمان على بعض بلاده، يُسمى إسكندر بن ميخال قبل ابن هرسك، فلما أطلق السلطان الأسرى أطلق إسكندر بن ميخال معهم، وتوجهوا إلى بلادهم [٢٣٦/ب] واستمر الأمر على ذلك.

ومن الحوادث أن في سنة سبع وتسعين وثمانمائة، فيها: هجم الوباء بالديار المصرية، وهو ثالث فصلٌ جاء في أيام الملك الأشرف قايتباي، فذهب فيه من المماليك نحو الثُلث، ومن العبيد، والجواري، والأطفال ما لا يُحصى عددهم، وفيه ماتت بنت السلطان، هي وأمُها في يوم واحد، وكانت مُستحقة للزواج.

وجاء الغلاء في أيامهِ مرتين، حتى تناها سعر القمح إلى أربعة أشرفية كلّ أردب، وصار الناس يأكلون الذرة[2]، وابتاع الدقيق كل بطة بأربعمائة درهم[3] فلوس، وسبب ذلك أن الزرع هاف، وكان النيل في تلك السنة خسيسًا

---

[1] ورد فقط في بدائع الزهور ٢٧٦/٣: دخول الأتابكي أزبك ومعه الأمراء فقط، وأن هذه التجريدة آخر تجاريد الأتابكي أزبك إلى البلاد الحلبية.

[2] في الأصل "الدرة".

[3] في الأصل "ذرهم".

فشرق غالب البلاد، وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وثمانمائة، ثم في أواخر سنة ثمان وتسعين انحط سعر القمح، حتى اتباع كلّ أردبين من القمح الطيب بأشرفي، وكل بطةِ دقيق بأربعةِ أنصاف، واستقام الحال[1].

وفي سنة ثمان وتسعين: سافر المقر السيفي قانصوه خمسمائة إلى الحجاز الشريف، وكانت تلك السنة مُشقة على الحجاج من الغلاء، وموت الجُمال وغير ذلك، فرجع الأمير قانصوه من الحجاز، والناس غير راضية منهُ، ولا أثنى عليه أحدٌ من الحجاج خير في هذه السفرة وحظوظ الناس تختلف[2].

ثُم دخلت سنة تسعمائة، فمن الحوادث فيها: أن في يوم الخميس مُستهل ذي الحجة فيه وقعت الفتنة بين الأمير قانصوه خمسمائة أمير أخور، وبين الأمير أقبردي الدوادار، فوثب الأمير قانصوه خمسمائة على الأمير أقبردي، فلما ركب الأمير قانصوه خمسمائة توجه إلى بيت الأتابكي أزبك أمير كبير في الأزبكية، وركب معهُ الأمير قانصوه الألفي، والأمير قانصوه الشامي، والأمير يشبك الجمالي، وجماعة كثيرة من الأمراء الأربعين، [٢٣٧/أ][3] والعشراوات، وجماعة كثيرة من الخاصكية، والمماليك السلطانية، فلبسوا آلة الحرب، واجتمعوا في الأزبكية عند أمير كبير.

فلما بلغ السلطان ذلك فخشى أن يتسع الأمر وتكبر الفتنة، فنزل إلى باب السلسلة، وعلق الصنجق السلطاني، ودقت الكوسات حربي، وجلس بالمقعد المُطل على سوق الخيل، ونادى كلّ من كان طائعًا يطلع إلى الرملة، ويقف تحت الصنجق السلطاني، فاجتمع بالرملة من العسكر ما لا يُحصى عددهُم، وطلع عند السلطان من الأمراء، الأمير تمراز الشمسي أمير سلاح، والأمير تاني بك الجمالي أمير مجلس، والأمير أزبك اليُوسفي رأس نوبة النُوب، والأمير أقبردي الدوادار، والأمير تاني بك قرا حاجب الحجاب، وبقية الأمراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات والخاصكية.

فلما سمع من كان في الأزبكية من العسكر بهذا تسحبوا من الأزبكية، وطلعوا إلى الرملة، ووقفوا تحت الصنجق السلطاني.

---

(١) خبر الغلاء لم يرد في بدائع الزهور.

(٢) ورد الخبر في بدائع الزهور ٢٩٦/٣: بدون ذكر حدوث مشقة للناس.

(٣) جاءت حاشية بخط المؤلف على هامش الصفحة: "ومن الحوادث أنّ في أواخر سنة ست وتسعين وثمانمائة أوفى النيل المبارك ليلة عيد الفطر، فأخَّر السلطان كسر السد إلى ثانى يوم العيد فكسر السد، وكان لهُ يوم مشهود. انتهى ذلك".

ثم إنَ السلطان أرسل الأمير أزبك اليُوسفي رأس نوبة النُوب إلى بيت الأتابكي أزبك، فتحدَّث معهُ كلامٌ كثير، ثم أخذهُ وطلع به إلى القلعة، فلما كادت المماليك الأجلاب أنْ يقطعوهُ بالسيوف لكون أن الأمير قانصوه خمسمائة كان صهر الأتابكي أزبك.

فلما طلع الأتابكي أزبك ووقف بين يدي السلطان أغلظ عليه الأمير أقبردي في الكلام ووبخه، ثم إنَ السلطان قال للأتابكي أزبك: "أدخل إلى البحرة"، فلما دخل رسم لهُ بأن يُقيم بها.

فلما بلغ الأمير قانصوه خمسمائة، وكان مُقيمًا بالأزبكية هو ومن تقدم ذكره من الأمراء، فخرجوا من هُناك وتشتتوا، ثم إنَ الجمع الذي هناك انفض من غير قتالٍ ولا حرب، ثم إنَ السلطان نادى للعسكر بالأمان والاطمان، فقلعوا آلة الحرب وتوجه كلّ منهم إلى بيتهِ.

ثم في يوم الجمعة صُبحة ذلك مُسك الأمير [٢٣٧/ب] قانصوه الألفي، وأحضروه إلى بيت الأمير أقبردي، فقيّدهُ، وأرسلهُ إلى السجن بقلعة صفد.

وأما الأمير قانصوه الشامي فأنهُ أرسل يطلب من السلطان الأمان، ثم إنهُ ظهر فأخلع عليه السلطان وولاهُ نائب حماه، وخرج إليها سريعًا.

وأما الأمير قانصوه خمسمائة فأنهُ استمر مُختفى إلى أنْ ظهر، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه، واستمر جماعة كثيرة من الأمراء العشراوات والخاصكية مُختفيين، كما سيأتي ذكره في إظهارهم.

وأما الأتابكي أزبك فأنهُ أقام بقاعة البحرة ثمانية أيام، فلما كان يوم الجمعة رسم لهُ السلطان بأن يخرج ويُصلي الجمعة، فخرج وصلى الجمعة بالشاش والقُماش هو والسلطان على عادتهِ، فلما فرغ من الصلاة أراد أنْ ينزل إلى بيتهِ، فقيل لهُ: "أنَ المماليك الأجلاب في الرملة مُجتمعون، ومتى نزلت يقبلوك"، فرجع إلى عند السلطان وقال لهُ: "أنا ما بقى لي إقامة في مصر، وقصدي أروح مكة".

فلما كان يوم السبت ثامن ذي الحجة من سنة تسعمائة نزلوا بالأتابكي أزبك من القلعة، وهو راكب على أكديش وعلى رأسه تخفيفة صغيرة، فتوجه إلى نحو مكة من الطور، وسافر من البحر المالح.

وفي ذلك اليوم توجهوا بالأمير يشبك الجمالي أحد الأمراء المقدمين إلى القُدس الشريف، لكون أنهُ كان من جماعة أمير كبير، فلما توجه إلى القُدس أقام به مُدّة، ومات هُناك في أثناء سنة إحدى وتسعمائة.

وأما الأتابكي أزبك فأنهُ توجه إلى مكة، وأقام بها إلى أنْ عاد إلى القاهرة، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعهِ، وكان أمر هذه الواقعة أول الفتن بين الأمراء، واستمرت الفتن من يومئذ عماله بين العسكر، كما سيأتي ذكر ذلك في مواضعهِ.

ثم إنَ السلطان لما توجه الأتابكي [٢٣٨/أ] أزبك إلى مكة، أخلع على المقر السيفي تمراز الشمسي قريب المقام الشريف واستقر بهِ أتابك العساكر بالديار المصرية عُوضًا عن أزبك، وذلك في مُستهل صفر سنة إحدى وتسعمائة؛ وأخلع على المقر السيفي تاني بك الجمالي واستقر بهِ أمير سلاح عوضًا عن تمراز؛ وأخلع على المقر السيفي أزبك اليُوسفي واستقر به أمير مجلس عُوضًا عن تاني بك الجمالي؛ وأخلع على المقر السيفي تاني بك قرا واستقر بهِ رأس نوبة النُوب عُوضًا عن أزبك اليُوسفي؛ وأخلع على الأمير شادى بك واستقر بهِ أمير أخور غُوضًا عن قانصوه خمسمائة؛ وأخلع على الأمير أينال الخسيّف واستقر بهِ حاجب الحجاب عُوضًا عن تاني بك قرا؛ وأنعم على الأمير قانم قريب المقام الشريف بتقدمه ألف؛ وأنعم على جماعة كثيرة من الأمراء بأمريات أربعين وأمريات عشرة عُوضًا عن من ركب مع الأمير قانصوه خمسمائة واختفى في هذه الحركة.

ثم إنَ الأمير أقبردي الدوادار عظم أمرهُ في هذه الحركة، وصار صاحب الحلّ والعقد بالديار المصرية، وأجتمعت فيه الكلمة، وصار السلطان في يده مثل اللولب يدورهُ كيف شاء، كما قيل:

إذا تم أمرٌ دنا نقصهُ   توق زوالًا إذا قيل تم[١]

ثُم دخلت سنة إحدى وتسعمائة، فيها: بدأ للسلطان توعك في جسدهِ[٢]، فنادى للعسكر بالعرض، فلما اجتمعوا رسم لهُم بالنفقة، فنفق عليهم نفقة كاملة، حتى على الخدام، وأولاد الناس، وكانت هذه النفقة على حين غفلة من غير سبب لذلك ولا مُوجب.

---

[١] بحر المتقارب؛ لم يرد في بدائع الزهور.

[٢] في بدائع الزهور ٣/٣١٠: بدأ توعك السلطان سنة ٩٠٠هـ.

ثم أشيع بين الناس أن هذه النفقة على وجهين، الوجه الأول: أنَ السلطان قال: "أنا ما نفقت للعسكر لما تسلطنت شيئًا، وهذه عُوضًا عنها"؛ والوجه الثاني: أن السلطان قصد إظهار الأمير قانصوه خمسمائة، وكان لهُ به عناية في الباطن، فنفق هذه النفقة حتى أرضى العسكر لأجل ذلك.

وكان مال هذه النفقة قاعدة مُهيئة، وهي الخمسة أشهر [٢٣٨/ب] التي أخذها من الأوقاف بسبب ابن عثمان، فما تحرك بعد ذلك، فنفقها على مماليكه، وضاعت في البطال، ولم تنفق في مصالح المسلمين، ولم ترد إلى أربابها، وقد تحمل إثم ذلك عليه إلى يوم القيامة.

وقد تقدم أن الملك الأشرف بُرسباي صادر أولاد الناس من أجناد الحلقة، بسبب إقطاعاتهم لأجل بعض الخوارج، فما تحرك عليه ذلك الخارجي في تلك السنة.

ثم في عقيب ذلك مرض الأشرف بُرسباي فرسم بإعادة ما أخذ من أولاد الناس، فأعيد(١) لهم ذلك، وبقى أجر ذلك في صحيفته إلى يوم القيامة، والإلهام من الله تعالى للعبد.

فلما كان أواخر شهر شوال من السنة المذكورة ظهر الأمير قانصوه خمسمائة، وطلع إلى القلعة، فرسم لهُ السلطان بأن يأخذ معهُ تحت إبطه ثوب بعلبكي حتى يرق قلب العسكر عليه، يعنى قد جاء وكفنهُ تحت إبطه، فلما وقف بين يدي السلطان فأخلع عليه، ونزل إلى بيتهِ في موكب عظيم، وكان معهُ الأتابكي تمراز، والأمير أقبردي الدوادار، فتوجهوا معه إلى بيتهِ الذي في قناطر السباع، ورجعوا؛ فكانت مُدّة اختفاء الأمير قانصوه خمسمائة نحو سنة إلا شهرين(٢).

فأقام الأمير قانصوه في بيتهِ مُدّة أيام يسيرة، ثم وثب المماليك الأجلاب على الأمير أقبردي، ولبسوا آلة الحرب، وطلعوا إلى الرملة وآثار الحرب بينهم وبين الأمير أقبردي، فلما بلغ السلطان ذلك نزل إلى باب السلسلة، وجلس بالمقعد المُطل على سوق الخيل، وكان السلطان مُتوعكا في جسدهِ، فحاصر المماليك الأمير أقبردي، وهو في بيتهِ الذي في حدرة البقر، وأحرقوا البيوت الذي(٣)

---

(١) في الأصل "فأعيذ".
(٢) في بدائع الزهور ٣٢٢/٣: "تسعة أشهر".
(٣) كذا في الأصل، والصواب "التي".

حوله، فلما رأى السلطان ذلك فشق عليه هذا الأمر، وطلع من باب السلسلة بعد العصر، فلزم الفراش [٢٣٩/أ][(١)] ومرض مرضًا شديدًا واشتد بهِ الألم.

ثم إنَ النيل أوفى في أثناء ذلك فتوجه الأتابكي تمراز إلى المقياس، ثم رجع في الحُراقة وكسر السد على جاري العادة، وطلع إلى القلعة ولبس خلعتهِ على العادة، وكلّ ذلك والسلطان على غير استواء.

فلما كان يوم الجمعة خامس عشرين ذي القعدة دخل الأتابكي تمراز إلى السلطان، وقال لهُ: "يا مولانا السلطان إنَ الأحوال قدْ فُسدتْ، وكثر القال والقيل، ومن الرأي أنْ نُسلطنْ سيدي"؛ فلم يُرد عليه السلطان جواب، فأقام عندهُ ساعة، ثم نزل، وأخذ سيدي ابن السلطان معهُ، وتوجه إلى باب السلسلة، وجلس بالحُراقة التي في الإسطبل السلطاني، وأرسل خلف الأمير أقبردي الدوادار، فأبطا عليه، فلم يشعر الأتابكي تمراز إلا وقد أتتهُ الطامة الكبرى، وهو أن الأمير قانصوه خمسمائة وخُشداشينهُ، والأمير كرتباي الأحمر، وجماعة كثيرة من العسكر، طلعوا إلى باب السلسلة، وملكُوهُ، وقبضُوا على الأتابكي تمراز، وقيدُوهُ، وسجنُوهُ في البرج الذي في باب السلسلة.

فلما بلغ الأمير أقبردي ذلك هرب من بيتهِ، ومن كان عندهُ من خُشداشينهِ فتشتتُوا أجمعين، ثم إنَ العوام نهبُوا بيت الأمير أقبردي، وبيوت الأمراء الذي[(٢)] اختفوا معهُ.

فلما كان يوم السبت سادس عشرين ذي القعدة اجتمع الأمراء والعسكر في باب السلسلة، وأحضروا الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز، والقُضاة الأربعة، وخلعوا الملك الأشرف قايتباي من السلطنة، وولوا ابنهُ المقر الناصري محمد سلطانا عُوضًا عن أبيه، وكل ذلك والسلطان في النزع.

فلما أصبحوا يوم الأحد سابع عشرين ذي القعدة من سنة إحدى وتسعمائة توفي السلطان الملك الأشرف قايتباي إلى رحمة الله تعالى، فبات تلك الليلة بالقلعة، فأنهُ مَات بعد [٢٣٩/ب] العصر، فأطلقوا لهُ مُدراء في القاهرة.

---

(١) جاءت حاشية بخط المؤلف على هامش الصفحة: "ومن الحوادث في أيامه أنَ خَام السلطان أحترق جميعه ولم يُسلم منهُ سوى المدورة التي برسم المولد الشريف، وكان هذا الخام في حاصلٍ بالقرب من البحيرة مُطل على حوش العرب ولم يُعلم سبب وصول النار إلى ذلك الخام حتى احترق، وكان ذلك بالنهار بعد العصر، فاستمرت النار عماله في الخام إلى بعد العشاء حتى خمدت. انتهى ذلك".

(٢) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

فلما كان يوم الإثنين ثامن عشرين ذي القعدة شرعوا في تجهيزهِ وإخراجهِ، وكان في مُدّة مرضهِ مُنقطعًا في المبيت الذي بالقرب من قاعة البحرة، فمات هُناك وغُسل به، وقيل: أنهُ مات بعلة البطن، ثم أخرجُوهُ من المبيت، وأتوا بهِ إلى قُدام التكة التي كان يجلس عليها بالحوش السلطاني، فصلوا عليه هُناك، ثم نزلوا بهِ من باب المُدرج، والعسكر مُشاه قدامه، وكانت جنازتهُ مشهودة، فتوجهوا بهِ إلى تُربتهِ التي أنشأها بالقرب من الشيخ عبد الله المنوفي.

ومات الملك الأشرف قايتباي وقدْ ناف في عُمرهِ عن ثمانين سنة، فتصرَّم عُمرهُ، وزالت أيامهُ، وذهب كأنهُ لم يكن، وقدْ ساوى الله تعالى بين الغني والفقير بالموت، ولم يُغني عنهُ مالهُ وهلك عنهُ سلطانهُ، وقد قيلَ في المعنى:

إن الذي أعتز بالدُنيا وزينتُها ... وظلَّ فيها بحبِّ المال مفتُونَا
أتتْ إليه المنايا وهي مُسرعة ... فأصبح الجسم تحت التُرب مدفُونَا
قدْ فارق الأهل والأوطان وانقطعت ... آمالهُ وغدا في القبر مرهُونَا
خلا بأعمالهِ ما كان من حسنٍ ... أو من قبيح بهِ قدْ صار مقرونَا[1]

فكانت مُدّة سلطنتهُ بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وأحد وعشرين يومًا، وهذه المدة لم تتفق لأحد قبلهُ من ملوك التُرك في ولايةِ واحدة، وقدْ ساعدهُ الزمان، ومنذ نشأ من مُبتدأهُ إلى مُنتهاه وهو في عزٍ وعظمةٍ لمْ ير ضيقًا قط، ولم يُسجن، ولمْ يُقيدّ، ولمْ يُنف كعادة الأمراء، بل عاش في أرغد عيش قبل السلطنة وبعد السلطنة إلى أنْ مات على فراشة بعد هذه المُدّة الطويلة التي لم تتفق لأحدٍ قبلهُ ولا بعدهُ، وقدْ وعدهُ الله تعالى [٢٤٠/أ] بذلك أنَ الله لا يُخلف الميعاد.

وكان صفتهُ رجلًا طويل القامة، عربي الوجه، مُصفر اللون، أبيض اللحية، نحيف الجسد، مُهاب الشكل، مُبجلًا في مواكبهِ، شجاعًا بطلًا، مِقدَامًا، مَوصُوفًا بالفروسية، وافر العقل، ثابت الجنان، غير عجول في الأمور، يتروى في عمل الشيء قبل وقوعه، بطيء العزل لأرباب الوظائف، عارفًا بأحوال المملكة، يضع الأشياء في محلها، غير مُسرف في الأموال، وكان مُحبًا لجمع الأموال بسبب التجاريد، وقد تحرك عليه في أيامهِ شاه شوار، وحسن بك الطويل ملك العراقين، وابن عثمان ملك الروم، فجرَّدَ إليهم عدّة تجاريد، وأصرف في هذهِ

---

[1] بحر البسيط.

الحركات أموالًا لا تُحصى، وهو ثابتٌ على سرير مُلكه، لم يتزحزح، ولم يخرج إليهم، وقدْ جرد في أيامٍ نحو تسعة تجاريّد[1]، وهو ينتصر عليهم، وكان في هذه المُدة لم يختلف عليه من العسكر اثنان، وحوى من المماليك ما لا حواهُ غيرهُ من الملوك، واجتهد فيهم وعلمهم أنواع الفروسية من كلِّ فنٍ.

ومن الحوادث في أيامهِ: أنهُ نادى في القاهرة بأن امرأة لا تلبس عُصابة مُقنزعة ولا عُصَابة قصيرة، وأمر المحتسب بأن يكتب قسائم على الذي يبيعوا الأوراق للنساء بأنْ تكون كلّ ورقة طولها نصف ذراع، فصاروا يختمونها بختمين حتى لا يقصُوا منها شيئًا، وصار المُحتسب يطوف في الشوارع، فإن وجد امرأة بعُصابه مُقنزعه ضربها وجرّسها في القاهرة وعُصابتها في عُنقها، فعُسر ذلك على النسوان، وصاروا لما يخرجن إلى الطرقات يكشفنَ رؤوسهنَّ ويمشون بلا عصائب، واستمر الأمر على ذلك، ثم صاروا لما يخرجن إلى الأسواق يلبسن العصائب الطوال التي رسم بها السلطان، وفي ذلك يقول زين الدين ابن النحاس الشاعر:

أمـــر الامــــام مليكنـــا بعصــــائبٍ ... في لبسها عُسرٌ على النسوانِ [٢٤٠/ب]
فقلقـــن ثـــم أطعنــــهُ ولبســـنها ... ودخلـــن تحـــت عصـــائب الســلطان[2]

فائدة لطيفة:

قيل: أن العيد إذا جاء يوم الجمعة يكون ذلك فيه على السلطان قطع وما ذاك إلا أنهُ يُدعا لهُ في ذلك اليوم على المنابر مرَّتين، فيُقالُ أن فيه انتهاء سعد السلطان، وقد جاء في أيام الملك الأشرف قايتباي خمسة أعياد كلّ منهم في يوم الجمعة، فعيّد فطر يوم الجمعة في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، وعيّد فطر أيضًا في سنة ست وثمانين، وعيد نحر في سنة ثمان وثمانين، وعيد نحر أيضًا في سنةِ ست وتسعين، وعيد فطر أيضًا في سنة تسع وتسعين وثمانمائة، فهذه خمسة أعياد جاءت في أيام دولته في يوم الجمعة، وقد مكث هذه المُدة الطويلة ولم يُأثر فيهِ القطع كما يُقالُ، وقد قالَ بعضهم في المعنى:

---

[1] في بدائع الزهور ٣/٣٢٥: "ست عشرة تجريدة".
[2] بحر الكامل.

لا ترقب النجم في أمرٍ تُحاولهُ فالله يفعل لا جدى ولا حملُ
مع السَّعادة ما للنجم من أثرٍ فلا يضُرّك مَريخٌ ولا زُحلُ[1]

ومما أنشأه الملك الأشرف قايتباي من العمائر في أيامهِ: وهو المسجد الشريف النبوي لما احترق فجدَّد عمارتهُ، وأنشأ مدرسة في المدينة الشريفة؛ وأنشأ مدرسة في مكة المشرفة عند باب السلام؛ وأنشأ مدرسة بالقُدس الشريف.

وأنشأ البرج الذي بثغر الإسكندرية مكان المنار القديم، وجعل فيه جامع بخطبُة، وفرن وطاحُون، وجعل بهِ جماعة مُرابطين برسم الجهاد في سبيل الله، وأجرى عليهم الحوامك، وأشحن البُرج بالسلاح، وآلة الحرب.

وأنشأ بالديار المصرية عدّة جوامع ومدارس، منهم: جامع بالروضة، وجامع بالكبش، وجامع بباب الخرق، وجامع بتُربتهِ التي في الصحراء، وغير ذلك من الجوامع والمساجد والزوايا، وجدد عمارة الإيوان الكبير الذي بالقلعة، وجدّد عمارة قُبة الجامع الذي بالقلعة لما سقطت، وجدّد عمارة قُبة الإمام الشافعي رضي الله عنه، وأنشأ [١٤٢/أ][2] المقعد الكبير الذي بالقلعة في الحوش السلطاني، وأنشأ المُبيتين الذي بهِ، وعمر بالقلعة أماكن كثيرة، وجدّد حائط الميدان الكبير الذي بالناصرية.

وعمّر عدّة قناطر وجسور بالشرقية والغربية، وأنشأ عدّة ربوع، وأماكن كثيرة بالقاهرة، وأوقفهم على جهات برٍ وصدقة وأشرط في وقفهِ بأن تُطبخ في كل يوم دشيشة في المدينة الشريفة، وتفرَّق على الفقراء الذي[3] بها، فبطل ذلك بعد موته، ولهُ آثارٌ كثيرة بالديار المصرية وغيرها، وكان لهُ أوراد جليلة وأحزاب عظيمة يتلوها في كلِّ ليلة، وكان لهُ أشياء كثيرة من المحاسن.

وأما ما كان من أرباب الوظائف في دولته:

فأتابكيته: المقر السيفي جاني بك قُلقسِز، والمقر السيفي أزبك، والمقر السيفي تمراز الشمسي.

---

(١) بحر البسيط.

(٢) جاءت حاشية بخط المؤلف على هامش الصفحة: "وجدّد عمارة باب زُويلة، وجدّد عمارة باب القرافة، وبنى بهِ الربعين والسبيل، وبنى جامع بخطبة خارج باب القرافة، ولهُ غير ذلك آثار كثيرة وأنشأت لمْ أذكرها".

(٣) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

وأما دواداريته: فالمقر السيفي يشبك بن مهدي، والمقر السيفي أقبردي من علي باي.

وأما نُوابـهِ بالشـام: الأتـابكي أزبـك أولًا، وبُـرد بـك البشـمقدار، وبرقـوق، والأتابكي جاني بك قُلقسِز، وقانصوه اليحياوي، وقجماس، ثم أُعيد قانصوه إلى نيابة الشام ثانيًا.

وأما أرباب الوظائف من المتعممين:

فقاضـي قُضـاتهِ الشـافعية: القاضـي ولـي الـدين الأسيوطي، والقاضـي زيـن الدين زكريا.

وأمـا قُضـاته الحنفيـة: فالقاضـي مُحـب الـدين ابـن الشـحنة أولًا، والقاضـي الأمشيطي، وابن عيد الدمشقي، والغزّي، والقاضي ناصر الدين ابن الأخميمي.

وأما قُضاته المالكية: فالسيد سراج الدين اللقاني، والقاضي مُحيى الدين ابن تقي، وأخيه.

وأما قُضاته الحنابلة: فالقاضي عز الدين أولًا، والقاضي بدر الدين السعدي.

وأما كُتاب سرّهِ: القاضي أبو بكر بن مُزهر، وولدهُ القاضي بدر الدين.

وأما نظار جيشه: فالقاضي كمال الدين ابـن الجمـالي يُوسف نـاظر الخـاص، وأخيه القاضي شهاب الدين.

وأما نظار خواصه: [٢٤١/ب] فالقاضي تاج الدين ابن المقسي أولًا، وتـولى الأستادارية أيضًـا فـي أيامـه؛ والقاضـي بدر الـدين ابـن القاضـي كاتـب السرِّ بـن مُزهر؛ وبدر الدين ابن الكُويز، والقاضي علائي الدين الصابُوني.

وأما وزراؤه: فـالزيني قاسم أولًا، ثـم الصـاحب شمس الـدين والـد الصـاحب علاء الدين ابن الأهناسي، ثم الجمالي يُوسف بن الزازيري كاشف الوجه القبلي أقام في الوزارة مُدّة يسيرة وعُزل عنها، والأمير يشبك من مهدى الدوادار تولى وزيرًا وأستادار[1] أيضًـا، ومـن وزرائـه أيضًـا: الأمير خشـقدم الزّمـام، والمقر السيفي أقبردي الدوادار تولى وزيرًا وأستادارًا أيضًا في أيامه.

---

[1] في الأصل "أستدار".

ومن أستادارياته: الأمير تغري بردي القادري، ومن أستاداريات**ه** أيضًا مجد الدين ابن البقري باشر الأسُتادارية في أيامهِ مُدّة يسيرة، وكذلك ابن كاتب غريب نيابة عن الأمير يشبك الدوادار.

وأما نساؤه: فخوند بنت المقر العلائي علي الشهير بابن خاص بك تزوَّجها في أثناء دولة الملك الأشرف أينال وأقام معها إلى أنْ مات ولم يتزوَّج غيرها من النساء؛ وخلف من الأولادِ ولده المقر الناصر محمد الذي تسلطن بعدهُ؛ وكان من سرية جركسية.

فهذا جُملة ما عُدّ لهُ من أنواع المحاسن؛ وأما مَا ذُكر لهُ من المساوئ فكثيرة، ولا بد للمؤرخ أنْ يَذكُر ما كان للملوك من المحاسن والمساوئ، كما قيل في المعنى:

يرْجو ويخشى حالتيكَ الورَى كأنكَ الجنةُ والنَّارُ[1]

فمن مساوئه: أنهُ لما تولى السلطنة ندب[2] الأمير يشبك الدوادار لما تولى الوزارة، فقطع لحوم الناس التي كانت لهُم مُرتبة من قديم الزمان تُصرف للنساء والأيتام والأرامل، وكذلك فعل بالجوامك.

ومنها: أنهُ أخذ من الأملاك والأوقاف أجرة سبعة أشهر، وكان غنيًا عن ذلك.

ومنها: أنهُ صادر بعض التجار، وصادر طائفة اليهود والنصاري.

ومنها: أنهُ أقام شخصًا من الأراذل[3] يُسمى ناصر الدين ابن العظمة، واستقر بهِ ناظر الأوقاف، فصار يُشوش على جماعة من أعيان الناس ويُبهدلهُم، فحصل منهُ الضررُ الشامل[4].

وفتح في مصر أبوابًا [٢٤٢/ب] من أنواع الظُلم، ومنها: أنهُ ضرب القاضي تاج الدين ابن المقسي ناظر الخاص بالمقارع في يوم شديد البرد في الأسطبل، ثُم بعد مُدّة شنقهُ بعدما سمرّهُ على جملٍ وطاف بهِ؛ ثُم بعد مُدّة وسط مجد الدين ابن

---

(١) بحر السريع؛ لم يرد في بدائع الزهور؛ والبيت لأبي نواس من قصيدته التي مدح بها العباس بن الفضل بن الربيع. (انظر: المثل السائر ١٧٦/٣).
(٢) في الأصل "نذب".
(٣) في الأصل "الأرادل".
(٤) الخبر لم يرد في بدائع الزهور.

البقري، وكان من أعيان جماعة المُباشرين، وسجنهُ في المقشرة نحو ست سنين؛ وضرب الأمير زين الدين الأسُتادار وسجنهُ بالبُرج حتى مات بهِ.

ومنها: أنهُ رسم بسلخ شخص يُسمى ابن الديوان، وكان أصله من حلب، فسلخهُ هو وولدهُ في يوم واحد، وطافوا بهما في القاهرة.

ومنها: نفى جماعة كثيرة من الأينالية، وكانوا سببًا لسلطنتهِ، منهُم: أزدمُر الطويل حاجب الحجاب نفاهُ إلى بلاد الصعيد، ثم أرسل قطع رأسهُ؛ ومنهم: قانصوه الخسيف نفاهُ إلى مكة فمات بها؛ ونفى الأمير خير بك من حديد إلى مكة فأقام بها إلى أنْ مات وكان من أعزّ أصحابهِ؛ ونفى الصاحب خُشقدم الزمام إلى بلادِ الصعيد فأقام بها إلى أنْ مات؛ ونفى جماعة كثيرة من الأمراء والأيناليّة في حظّ نفس، ووسط في أيامهِ جماعة كثيرة من المُباشرين، ومشايخ العُربان، منهم: الأمير قاسم بن بيبرس بن بقر شنقهُ هو وابن المقسى في يوم واحد.

ومنها: أنهُ في أثناء دولته أراد أنْ يُبطل جميع الأوقاف التي على الحوامع والمدارس، ولم يترك لهُم إلا ما يقوم بالشعائر فقط، فأمر بعقد مجلس فحضروا فيه [ ][1] وشيخ الإسلام الشيخ أمين الدين ابن الأقصرأي الحنفي [ ][2] ذكروا ذلك للشيخ أمين الدين الاقصراي، فأظهر الحنق، ولم يُوافق على ذلك، وأغلظ على السلطان في القول وانفصل المجلس مانع، وذلك ببركة الشيخ أمين الاقصراي رحمة الله عليه، فقام في ذلك قيامًا لله تعالى، كما قال الله (وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ) [الكهف: ٢٩] انتهى ذلك.

ومما عُدَّ لهُ من النواقصِ: أنهُ أبطل في أيامهِ خدمة القصر بالشاش والقماش، ولم يمش على طريقة الملوك السالفة حتى أنَ العسكر نسى طريقة الخدمة في القصر، وكان لهُ طريقة في خدمتهِ على القاعدة القديمة فنسي ذلك.

وأبطل في أيامه: تدوير المحمل الذي كان يُعمل في رجب؛ وأبطل الرماحة الذي[3] كانوا يسوقون في أيام دوران المحمل، وكان ذلك من شعائر المملكة.

---

(١) يوجد بياض بمقدار كلمة أو كلمتين؛ وأظن أنها "الخليفة والقضاة الأربعة" كما ورد في: (بدائع الزهور ٣/١٣- ١٤).

(٢) يوجد بياض بمقدار كلمة أو كلمتين؛ وأظن أنها "أن العسكر يحتاج إلى نفقة" كما ورد في: (بدائع الزهور ٣/١٤).

(٣) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

وأبطل المراكب الذهبية، التي كانوا ينزلون بها الملوك في يوم وفاء النيل، ويتوجهون إلى المقياس؛ وكذلك أبطل المركب المُسمى بالدّرمُونة، التي كانت تحمل مغلّ الحرمين الشريفين، وكان ذلك كلهُ من شعائر المملكة.

وأبطل ما كان تفعلهُ الملوك من الرِمَايَات في بركة الحاج، ويدخلون إلى القاهرة في المواكب [٢٢٤/ب] العظيمة؛ وكذلك يوم لبس الصُوف الذي كان الملوك يلبسُونه من المطعم الذي بالريدانية، ويدخلون في المواكب العظيمة.

وأبطل في أيامه أشياء كثيرة من هذا النمط، ولم يمش فيها على طريقة الملوك السالفة، وهو أول من نفق الجامكية على العسكر بحضرتهِ، وكان قبل ذلك تُنفق الجامكية بحضرةِ مُقدم المماليك في الأيوان، ولم يفعل ذلك غيرهُ من الملوك، وفي الجُملة كانت محاسنهُ أكثر من مساوئه، وكان خيار ملوك التُرك من الجراكسة وغيرها، ولا بقى يسمح الزمان بمثلهِ.

انتهت أخبار دولة الملك الأشرف قايتباي، وذلك على سبيل الاختصار.

وأما من توفي في أيام دولته من أعيان العُلماء وغيرهم: وهُم قاضي القُضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي(١)، وقاضي القُضاة صلاح الدين المكيني الشافعي، وقاضي القُضاة أبو السعادات البُلقيني(٢)، وقاضي القُضاة الأمشيطي الحنفي(٣)، وقاضي القُضاة مُحب الدين ابن الشحنة(٤)، وقاضي القُضاة بُرهان الدين ابن الدّيري الحنفي، وقاضي القُضاة ابن عيد الدمشقي(٥)، وقاضي القُضاة سراج الدين ابن حُريز المالكي(٦)، وأخيه حُسام الدين(٧)، وقاضي القُضاة بُرهان الدين اللقاني المالكي(٨)، وقاضي القُضاة ابن تقي المالكي(٩)، وقاضي القُضاة عز الدين الحنبلي(١٠).

---

(١) هو أحمد بن عبد الخالق بن عبد المحيى بن عبد الخالق، ت: ٨٩١هـ. (بدائع الزهور ٢٢٥/٣).
(٢) هو محمد أبو السعادات بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الكناني البُلقيني، ت: ٨٩٠هـ. (بدائع الزهور ٢١٦/٣).
(٣) هو محمد بن أحمد بن حسن بن إسماعيل، ت: ٨٨٥هـ. (بدائع الزهور ١٧٠/٣).
(٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي الثقفي، ت: ٨٩٠هـ. (بدائع الزهور ٢١٤/٣).
(٥) هو شرف الدين موسى بن عيد الدمشقي، ت: ٨٨٦هـ. (بدائع الزهور ١٧٨/٣).
(٦) هو عمر بن أبي بكر بن محمد بن محمد محرز، ت: ٨٩٢هـ. (بدائع الزهور ٢٤٠/٣).
(٧) هو محمد بن أبي بكر بن محمد بن حريز بن أبي القاسم الهاشمي، ت: ٨٧٣هـ. (بدائع الزهور ٢٨/٣).
(٨) هو إبراهيم بن عمر بن محمد بن موسى بن جميل اللقاني، ت: ٨٩٦هـ. (بدائع الزهور ٢٧٧/٣).
(٩) هو عبد القادر بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي تقي الدميري المالكي، ت: ٨٩٥هـ. (بدائع الزهور ٢٧٦/٣).
(١٠) هو أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد، ت: ٨٧٦هـ. (بدائع الزهور ٦٤/٣).

ومن مشايخ العلماء: الشيخ أمين الدين الآقصراي[1] الحنفي[2]، والشيخ مُحيي الدين الكافيجي الحنفي[3]، والشيخ سيف الدين الحنفي[4]، والشيخ قاسم الحنفي[5]، والشيخ صلاح الدين الطرابُلسي الحنفي[6]، والشيخ عضد الدين الصيرامي[7] الحنفي شيخ المدرسة البرقُوقية، والشيخ سراج الدين العبادي الشافعي[8]، والشيخ جلال الدين البكري الشافعي[9]، والشيخ عبد الرحيم الأنباسي[10]، والشيخ تقي الدين الحِصني الشافعي[11]، والشيخ بُرهان الدين ابن الحموي[12] المُحدث توفي بطريق الحجاز قرب العقبة، والعُميري المقدسي المحدث[13].

وأما من توفي في أيامهِ من أعيان جماعة [٢٤٣/أ][14] المُباشرين: القاضي كمال الدين[15] ناظر الجيش توفي بمكة، والقاضي شرف الدين الأنصاري[16] توفي بمكة، والقاضي كاتب السرِّ أبو بكر بن مُزهر[17]، والقاضي قُطب الدين الأخيضري كاتب سرّ الشام؛ والقاضي علم الدين شاكر

---

[1] جاءت حاشية بخط المؤلف بجوار هذه الكلمة ولم يشر ابن إياس لموضعها في النص: "والشيخ بدر الدين الغرس من أعيان الحنفية، والشيخ بدر الدين ابن القطان من أعيان الشافعية، والجوجري من أعيان العُلماء والقاضي خير الدين الشنشي من أعيان نُواب الحنفية، والقاضي نور الدين الصُوفي الحنفي، والقاضي ابن قاسم المالكي".

[2] هو أمين الدين يحيى بن محمد الآقصراى الحنفي، ت: ٨٨٠هـ (بدائع الزهور ١٠٧/٣).

[3] هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي، ت: ٨٧٩هـ (بدائع الزهور ٩٨/٣).

[4] هو محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا التركي القاهري، ت: ٨٨١هـ (بدائع الزهور ١٢٣/٣).

[5] هو زين الدين قاسم بن قطلوبُغَا السُودُوني الحنفي، ت:٨٧٩هـ (بدائع الزهور ٩٧/٣).

[6] هو محمد بن محمد بن يوسف الحنفي، صلاح الدين الطرابلسي، ت: ٨٩٩هـ (بدائع الزهور ٣٠١/٣).

[7] هو عبد الرحمن بن يحيى بن سيف بن محمد بن عيسى الحنفي السيرامي، ت: ٨٨٠هـ (بدائع الزهور ١٠٩/٣).

[8] هو عمر بن حسين بن حسين الشافعي، ت: ٨٨٥هـ (بدائع الزهور ١٦٧/٣).

[9] هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الديروطي، ت: ٨٩١هـ (بدائع الزهور ٢٢٨/٣).

[10] هو عبد الرحيم بن إبراهيم بن حجاج الأنباسي، ت: ٨٩١هـ (بدائع الزهور ٢٢٧/٣).

[11] هو أبو بكر بن محمد بن شادي، ت: ٨٨١هـ (بدائع الزهور ١١٩/٣).

[12] هو برهان الدين إبراهيم بن الحموي.

[13] هو شهاب الدين أحمد العميري المقدسي، ت: ٨٩٠هـ (بدائع الزهور ٢١٦/٣).

[14] جاءت حاشية بخط المؤلف على هامش الصفحة: "ومن الحوادث في أيامه: أنهُ أعرض نُواب القُضاة الشافعية والحنفية، ورسم بعزل جماعة منهم وأقرَّ جماعة منهم على حالهُم وهدّدهُم بالعزل".

[15] هو محمد بن يوسف ناظر الخاص، المعروف بابن كاتب جكم، ت: ٨٩٠هـ (بدائع الزهور ٢٢٠/٣).

[16] هو موسى بن علي بن سليمان التتاري، ت: ٨٨١هـ (بدائع الزهور ١٢٠/٣).

[17] هو أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الخالق، ت: ٨٩٣هـ (بدائع الزهور ٢٥٥/٣).

ابن الجيعان[١]، وأولاده سيدي يحيى[٢]، وسيدي عبد الغني[٣]، وجماعة كثيرة من أولاد الجيعان توفوا في أيامهِ؛ والصاحب قاسم[٤]، وغير ذلك من أعيان المُباشرين.

وأما من توفي في أيامهِ من مشايخ الحقيقة: الشيخ أبي المواهب بن زغدان الشاذلي[٥]، والشيخ إبراهيم المتبُولي[٦] توفي بمدينة أزدُود[٧] ودُفن بها، والشيخ أحمد بن عُقبة اليماني[٨]، والشيخ أبي الفضل من أولاد بن أبي الوفا[٩]، والشيخ محمد السَّدار المجذوب[١٠]، والشيخ عليّ القليُوبي[١١]، والشيخ ناصر الدين الكلوتاتي من أعيان المشايخ، والشيخ أبو الفضل بن ظهيرة خطيب مكة[١٢]، والشيخ ناصر الدين ابن قُرقماس الحنفي[١٣]، والشيخ شمس الدين ابن الحُمصاني[١٤] الكاتب، وهو شيخ القراءات أيضًا، وغير ذلك من مشايخ الصُلحاء.

ومن الشعراء: الشيخ شهاب الدين المنصُوري الهائم[١٥]، والشيخ شمس الدين القادري[١٦]، وكانا من فحُول الشعراء؛ والأديب[١٧] زين الدين ابن النحاس وغير ذلك من أعيان الشعراء.

---

(١) شاكر بن عبد الغني بن شاكر القبطي بن ماجد، ت: ٨٨٢هـ. (بدائع الزهور ١٣٣/٣).

(٢) هو يحيى بن شاكر بن عبد الغني، ت: ٨٨٥هـ. (بدائع الزهور ١٦٨/٣).

(٣) هو عبد الغني بن علم الدين شاكر، ت: ٩٠١هـ. (بدائع الزهور ٣١٩/٣).

(٤) هو شمس الدين محمد بن قاسم بن علي الشافعي، ت: ٨٩٣هـ. (بدائع الزهور ٢٥٤/٣).

(٥) في الأصل "الشادلي"؛ وهو محمد بن أحمد بن محمد التونسي الشاذلي، المعروف بأبي المواهب، ت: ٨٨١هـ. (بدائع الزهور ١٢٣/٣).

(٦) هو إبراهيم بن علي بن عمر، ت: ٨٧٧هـ. (بدائع الزهور ٨٨/٣).

(٧) في بدائع الزهور ٨٨/٣: "أسدود"؛ ويقال أسدود وأزدود: وهي من قضاء غزة تقع للشمال منها، وتبعد عنها مسيرة أربعين كم، وعلى بعد خمسة كيلو مترات من البحر. (بلادنا فلسطين ١/ ٣٠٤، ٣٩٧)

(٨) ت: ٨٩٥هـ. (بدائع الزهور ٢٧٦/٣).

(٩) ت: ٨٨٨هـ. (بدائع الزهور ٢٠١/٣)..

(١٠) عبد العظيم بن ناصر بن خلف المصري، ت: ٨٩٢هـ. (بدائع الزهور ٢٣٩/٣).

(١١) ت: ٨٨٩هـ. (بدائع الزهور ٢٠٥/٣).

(١٢) هو محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد العقيلي، ت: ٨٧٣هـ. (بدائع الزهور ٣١/٣).

(١٣) هو الناصري محمد بن قرقماس الحنفي، ت: ٨٨٢هـ. (بدائع الزهور ١٤٣/٣).

(١٤) هو محمد بن أبي بكر بن محمد القاهري، ت: ٨٩٧هـ. (بدائع الزهور ٢٩٢/٣).

(١٥) هو أحمد بن محمد بن خضر بن علي السلمي، ت: ٨٨٧هـ. (بدائع الزهور ١٩٤/٣).

(١٦) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن حسن بن عمران بن نجيب، ت: ٩٠٣هـ. (بدائع الزهور ٣٨٦/٣).

(١٧) في الأصل "الأنيب".

وأعيان الناس: ومنهم الجمالي يُوسف بن تغري بردي[1] صاحب التاريخ، ومنهم جماعة كثيرة لم نذكرهُم هُنا خوف الإطالة، وقد طال الشرح في ذكرهم. انتهى ذلك.

---

(1) هو الجمالي يوسف بن الأتابكي تغري بردي البشبُغَاوي الرومي. ت: ٨٧٤هـ. (بدائع الزهور ٣/٤٥- ٤٦).

ذكر

سلطنة الملك الناصر أبي السعادات

ناصر الدين محمد بن الملك الأشرف قايتباي[1]

وهو الثاني والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية؛ تسلطن من غير عهدٍ من أبيه الملك الأشرف قايتباي، وذلك في يوم السبت سادس عشرين ذي القعدة من سنةِ إحدى وتسعمائة، وذلك في الساعةِ الرابعة من اليوم المذكور.

فحضر الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز، والقضاة الأربعة في المقعد الذي في باب السلسلة، فخلعوا الملك [٢٤٣/ب] الأشرف قايتباي من السلطنة، وكان في النزع، وولوا ولدهُ محمد عُوضًا عنهُ؛ ولقبُوهُ بالملك الناصر، فلبس خلعة السلطنة، وركب من المقعد، وحُملة القُبة والطير على رأسهِ، فطلع إلى القصر الكبير، وجلس على كُرسي المملكة، وباسوا لهُ الأمراء الأرض، ودُقت لهُ البشائر، ونودي باسمهِ في القاهرة، وضج الناس لهُ بالدُعاء.

وكان لهُ لما تسلطن من العُمر نحو أربع عشرة سنة[2]، وقد قارب البلوغ[3]، وأمهُ أمُ ولد جركسية تُسمى ورد قان، وكان مولده في سنة تسع[4] وثمانين وثمانمائة، وفيه يقولُ بعض الشعراء:

---

[1] أخباره في: بدائع الزهور ٣٣٢/٣- ٤٠٣؛ جواهر السلوك ٣٨٠- ٣٩٩.

[2] في بدائع الزهور ٣٣٣/٣: "نحو أربع عشرة سنة وأشهر"؛ أما في جواهر السلوك ٣٨٠: "نحو خمس عشرة سنة".

[3] في الأصل "البلوع".

[4] في بدائع الزهور ٣٣٤/٣: "سبع"؛ وهو الصواب.

إن الغناصر في سلطاننا اجتمعت ... شمائلا بهرت من حين مولدهِ
قد ناسب النار عزمًا والهوى خُلقًا ... والبحر جُودًا ومُلك الأرض في يدهِ[1]

فلما كان يوم الأحد سابع عشرين ذي القعدة توفي الملك الأشرف قايتباي بعد العصر، ودُفن في يوم الإثنين ثامن عشرينه، كما تقدم.

فلما كان مُستهل ذي الحجة من سنة إحدى وتسعمائة نزلوا بالأتابكي تمراز من باب القرافة، وهو مقيدٌ، وخلفهُ أوجاقي بخنجر، فتوجهوا بهِ إلى البحر، ونزلوا به في مركبٍ، ومضوا بهِ إلى ثغر الإسكندرية فسُجن بها، وما كان أحد من الناس يشك بأن الأتابكي تمراز يتسلطن بعد الأشرف قايتباي، فما قسم لهُ ذلك، وخانهُ الاعتقاد، ولم يبلغ فيما أملهُ المُراد، فكان كما قيل في المعنى:

وقائل لي لما أن رأى قلقي ... من انتظاري لآمالٍ تُغنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهُم ... محمودة قَلتُ أخشي أنْ تُخزينا[2]

فلما توجه الأتابكي تمراز إلى ثغر الإسكندرية، أخلع السلطان الملك [٢٤٤/أ] الناصر على المقر السيفي قانصوه من طُرا باي الشهير بخمسمائة، واستقر بهِ أتابك العساكر بالديار المصرية عُوضًا عن تمراز الشمسي؛ واستقر تاني بك الجمالي أمير سلاح على عادتهِ؛ واستقر أزبك اليُوسفي أمير مجلس على عادتهِ؛ وأخلع على المقر السيفي جانْ بلاط واستقر بهِ دوادار كبير عُوضًا عن أقبردي الدوادار؛ ولما حضر الأمير قانصوه الألفي وكان في السجن بقلعة صفد فأخلع عليه واستقر بهِ أمير أخور كبير عُوضًا عن شاد بك.

ورسم بإحضار الأمير قانصوه الشامي، وقد تقدم أنهُ استقر نائب حماه، فلما حضر أخلع عليه واستقر بهِ رأس نوبة النُوب عُوضًا عن تاني بك قرا، وكان تاني بك قرا، توجه في تلك السنة أمير حاج المحمل، فلما حضر قيّدُوهُ وأرسلُوهُ إلى السجن بثغر الإسكندرية؛ وأخلع على الأمير كرتباي الأحمر كاشف البُحيرة واستقر وزيرًا وأسُتادارًا عُوضًا عن أقبردي.

وأنعم على الأمير ماماي بتقدمة ألف؛ وأنعم على الأمير كسباي بتقدمة ألف؛ وأنعم على الأمير يشبك قمر بتقدمة ألف؛ وأنعم على جماعةٍ غيرهم بتقادم

---

(1) بحر البسيط.

(2) بحر البسيط؛ البيتان في فوات الوفيات ١٤٤/٣: تنسب للسراج الوراق؛ والمحمودة اسم نبات يتخذ للإسهال؛ وفيه أيضًا: "تخرّينا"؛ ولم يرد ذكرهما في بدائع الزهور.

ألوف؛ وأخلع على الأمير مصرباي واستقر والي القاهرة؛ وأنعم على جماعةٍ كثيرة بأمريات أربعين، وبأمريات عشرة، فهذا ما كان من ترتيب الأمراء أرباب الوظائف في مبتدأ دولة الملك الناصر محمد.

ثم إن السلطان جمع سائر الأمراء، وحلفهم بأنهم لا يخونوا، ولا يغدروا، ويكونوا كلمة واحدة على فعل الخير، ومصالح المسلمين.

ثم إن السلطان أمر بالمُناداة في القاهرة بأن الأمراء الذي[1] اختفوا مع الأمير أقبردي يظهرون وعليهم أمان الله، فظهر الأمير شادى بك أمير أخور، والأمير أينال [٢٤٤/ب] الخسيف حاجب الحجاب، والأمير قانم قريب المقام الشريف، والأمير جانم مَصبغه، فطلعوا إلى القلعة فأخلع عليهم الملك الناصر ونزلوا إلى بيوتهم.

ثم في أواخر النهار أرسل خلفهم الأتابكي قانصوه خمسمائة وأظهر أنهُ يمد لهم مدّة، فتوجه إليه الأمير شادى بك، والأمير أينال، والأمير قانم، ولم يحضر الأمير جانم، فلما دخلوا إلى بيت الأتابكي قانصوه الذي في قناطر السباع أقاموا عندهُ إلى بعد العشاء وهو يشغلهم بالكلام، ثم حضر إليه الأمير مصرباي والي القاهرة فقبض عليهم، وتوجه بهم إلى نحو الحزيرة الوسطى، فكان أخر العهد بهم.

فلما كان يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ثامن عشرين جمادى الأول سنة اثنتين وتسعمائة ففي تلك الليلة عقيب مسك هؤلاء الأمراء، ركب الأتابكي قانصوه خمسمائة على الملك الناصر، وركب معهُ خشداشينه من الأمراء والعسكر، وركب معه سائر الأمراء المقدّمين من القرانصة، والأجلاب، وسائر العسكر قاطبة، ولم يكن عند السلطان في القلعة من الأمراء أحد، سوى الأمير قانصوه خال السلطان الملك الناصر محمد بن قايتباي، ومن المماليك الأجلاب نحو ألف مملوك، فلما ركب الأتابكي قانصوه طلع إلى الرملة، وملك باب السلسلة في تلك الليلة، وأقام به، وكان الأمير قانصوه الألفي أمير أخور كبير، وهو من خُشداشين الأتابكي قانصوه حمسمائة.

فلما طلع النهار، وهو يوم الأربعاء تاسع عشرين جمادى الأول اجتمع سائر الأمراء في باب السلسلة، وأرسلوا خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز، والقُضاة الأربعة، فلما حضروا قام الأمير كرتباي الأحمر وقال للخليفة: "يا أمير المؤمنين أن الأحوال قدْ فسدتْ بموجب أن السلطان صغير

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "الذين".

السن، وقد [٢٤٥/أ] ضاعت الكلمة، ووقع بين الأمراء الخُلف، ومن الرأى أنْ نخلع الملك الناصر من السلطنة وتولي الأتابكي قانصوه".

فقيل: أنهم خلعوا الملك الناصر من السلطنة، وولوا الأتابكي قانصوه خمسمائة، وتلقب بالملك الأشرف، وباسوا لهُ سائر الأمراء الأرض، وكذلك سائر العسكر، ونودي اسمه في القاهرة، وضج لهُ الناس بالدُعاء، غير أنهُ ما لبس خلعة السلطنة، ولا جلس على سرير الملك، ولا حُملت القُبة والطير على رأسه، ولا كتب لهُ تقليدًا من أمير المؤمنين، فبمُوجب ذلك لم نعدّهُ من جُملة السلاطين، ولا أنتظم في عقدهم، فهذا ما كان من أمرهِ.

فلما كان يوم الخميس سلخ جمادى الأول أرسل الأشرف قانصوه خمسمائة إلى الملك الناصر محمد بأن يدخل إلى قاعة البحرة، ويُرسل إليه التُرس والنمجاه والدواه، فتعصبوا لهُ المماليك الأجلاب الذي[1] كانوا عندهُ في القلعة، وصاروا يُسمون المماليك الناصرية، فعند ذلك فتحوا باب الزردخاناة، ولبسوا آلة الحرب، وركبوا المكاحل بالقلعة، وحاصروا الأشرف قانصوه وهو في باب السلسلة، فقاتلُوهُ أشد القتال، فملكوا في ذلك اليوم باب المدرج، والطبلخاناة السلطانية، ورأس الصُّوة.

فلما كان يوم الجمعة وقت صلاة الجمعة حاصروا الأشرف قانصوه، حتى أخرجُوهُ من باب السلسلة، فخرج وركب، ووقف عند سبيل المؤمني، واستمر القتال عمال بين الفريقين، فلم يشعر الأشرف قانصوه خمسمائة إلا وقد جاءهُ سهمٌ في وجهه، فسقط عن فرسهِ، وأغمى عليه، فحملُوهُ الغلمان على أكتافهم، ونزلوا بهِ من الصليبة.

وقيل: أنهم في أثناء الطريق اركبُوهُ على حمارٍ، وهو مُغمى عليه لا يفيق، ولا يعي، فتوجه إلى نحو بيته الذي في قناطر السباع، فاختفى في مكان هُناك، فلما عاينوا ذلك من كان معهُ من الأمراء والعسكر تشتتوا أجمعين وولوا مُدبرين، وكانت هذه النُصرة على غير القياس، كما قال القائل في المعنى:

وَلا تَحْتَقِرْ كَيْد الصغير فَرُبَّما ... تِموت الأفاعي من سُمُوم العَقَارِبِ
وَبَيْنَ اخْتِلافِ اللّيلِ وَالصُبْحُ مَعْركٌ ... يَكُرُ عَلَيْنا جَيْشُهِ بِالْعَجائِبِ[2]

ولما جرى ذلك، وهرب من كان في باب السلسلة من الأمراء والعسكر، فنزل المماليك الأجلاب على من بقي في باب السلسلة، فنهبوا كل ما كان عند

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(٢) بحر الطويل؛ والبيتان لنجم الدين عمارة اليمني. (انظر: مرآة الزمان ٢١/٢٠٢).

الخليفة، والقضاة، والمُباشرين من قماشٍ، ومن فُرش، وغير ذلك، وما سلموا القُضاة والخليفة من القتل إلا سلامة، وما وقعت هذه النصرة لأحد قبلهُ من أبناء الملوك، وكانت هذه الواقعة من الغرائب بعد ما ملك الأشرف قانصوه باب السلسلة، وجميع العسكر، والأمراء من الأكابر والأصاغر كانوا معهُ، وتسلطن، ونُودي باسمه في القاهرة، وباسوا لهُ الأمراء الأرض، وأقام في السلطنة يومين، فيخرج من باب السلسلة على أقبح وجهٍ، وأنحس حالٍ، وكان هذا خذلان من الله تعالى ليس في قُدرة بشر.

فلما كان يوم السبت مُستهل جمادى الآخر من سنة اثنتين وتسعمائة طلع الخليفة، والقُضاة الأربعة إلى القلعة عند الملك الناصر، يُهنونهُ بالشهر، وبهذه النُصرة التي حصلت لهُ، فعند ذلك جدّدوا لهُ عهدٌ ثان، وقيل: أنهُ رُشد في ذلك اليوم، ودُقت لهُ البشائر ثلاثة أيام، بسبب هذه النُصرة التي حصلت.

فلما انكسر الأشرف قانصوه واختفى فاختفى معه سائر الأمراء الذي[1] ركبوا معهُ، فأقامت القاهرة نحو أسبوعين لمْ يظهر فيها أمير، ولا دُقت فيها طبلخاناة على باب أمير مُقدم ألف، وكان عدّة من ركب من الأمراء المُقدمين في هذه الحركة أربعة عشر أميرًا[2] مقدم ألف غير الأربعينات والعشراوات وسائر العسكر.

ومن غريب الاتفاق أن الأمراء لما هربوا من باب [٢٤٦/أ] السلسلة، توجه الأمير قانصوه الشامي رأس نوبة النُوب، والأمير مصرباي والي القاهرة، توجهوا على جرايد الخيل إلى نحو ثغر الإسكندرية ليقتلوا الأتابكي تمراز، والأمير تاني بك قرا، وكانوا بالسجن بثغر الإسكندرية، فلاقوهُما جماعة من العُربان في أثناء الطريق، فاتقعوا معهُما، فقُتل مصرباي والي القاهرة، ومُسك الأمير قانصوه الشامي، فقطعوا رأس مصرباي، وعلقوها على باب الإسكندرية.

وأما الأمير قانصوه الشامي فسجن في السجن الذي كان فيه الأتابكي تمراز، فأقام فيه مُدّة يسيرة، ثم إنَ السلطان أرسل بقتلهِ فقُتل وهو في السجن، كما قيل:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

(٢) في جواهر السلوك ٣٨٣: "ثلاثة عشر أميرًا.

وَكَــمْ مِــنْ طَالِــبٍ يَسْــعَى لشــئٍ   وَفِيــهِ هَلاَكُــهُ لَــوْ كَــانَ يَــدْرِي[1]

ثم إنَ السلطان أرسل بالإفراج عن الأتابكي تمراز، والأمير تاني بك قرا، فحضرا إلى القاهرة في أوائل جمادى الآخر، فكان يوم دُخولهُما يومًا شهودًا، فلما طلعوا إلى القلعة أخلع على الأتابكي تمراز خلعة، واستقر أتابك العساكر على عادتهِ؛ وأخلع على الأمير تاني بك قرا واستقر أمير مجلس عُوضًا عن أزبك اليُوسفي؛ واستقر الأمير قانصوه خال السلطان الملك الناصر شاد الشربخاناة الشريفة أمير أربعين، واستمرت الأحوال مُضطربة، وكثر القال والقيل بين الناس، بسبب الأمراء المُختفين.

ثم إنَ السلطان رسم للأتابكي تمراز والأمير تاني بك قرا بأن يطلعوا إلى القلعة، ويقيموا في الجامع الذي هو داخل الحوش السلطاني، فطلعوا وأقاموا في الجامع، وسبب ذلك قد أشيع إن المماليك عزموا على أنْ يكبسوا على الأمراء في بيوتهم ويقتلوهم، فرسم لهم السلطان بأن يقيموا في الجامع الذي في الحوش.

فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخر ظهر الأشرف قانصوه خمسمائة، وقد تعافى من ذلك الجرح الذي حصل لهُ، فركب، وركب معهُ خُشداشينه، وهُم قانصوه [٢٢٦/ب] الألفي أمير أخور، والأمير ماماي، والأمير كسباي، والأمير يشبك قمر، وغيرهم[2] جماعة كثيرة من الأمراء الطبلخانات والعشراوات، فلبسوا آلة الحرب، وتوجهوا إلى نحو الميدان الكبير الذي في الناصرية، فأقاموا هناك ساعة، ثم توجهوا إلى بيت الأتابكي أزبك الذي في الأزبكية، فدخل الأشرف قانصوه، وأقام هناك ذلك اليوم فاجتمع عنده بعض عسكر.

فلما كان يوم الأربعاء نزلوا إليه المماليك الأجلاب الناصرية وهُم مُشاه، فلما سمع الأشرف قانصوه بذلك هرب من الأزبكية، هو [و][3] من كان عنده من الأمراء والعسكر، وخرجوا على وجوههم، وقصدوا نحو خانقاة سرياقوس، وهذه ثالث كسرة وقعت للأشرف قانصوه خمسمائة بالديار المصرية، فكان كما قيل:

---

[1] بحر الوافر؛ والبيت لابن هرمة. (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٣٢٩).
[2] في الأصل "وغيرهو لأي".
[3] ليست في الأصل.

فَمَوْتي في الوَغَى عَيشي لأنّي رَأيتُ العَيْشَ في أرَبِ النّفوسِ[1]

فلما هرب الأشرف قانصوه من الأزبكية نزل المماليك الأجلاب الناصرية، وهُم مشاه إلى عند الأزبكية، فأحرقوا بيت أمير كبير أزبك الذي بها، وأحرقوا الربوع الذي حوله، ونهبوا بيوت الناس الذي[2] كانوا هُناك، حتى نهبوا بُسط الجامع والحُصر الذي[3] كانت بالجامع، والقناديل، ولا أبقوا من الأذى ممكن، فكان كما قيل:

غيرى جنى وأنا المعاقبُ فيكم فكأنني سبّابة المُتقدم[4]

فلما خرج الأشرف قانصوه، ومن معهُ من الأمراء والعسكر، توجه على جرايد الخيل، وقصد نحو غزة، وكان الأمير أقبردي الدوادار لما مُسك الأتابكي تمراز من باب السلسلة كما تقدم، فاختفى الأمير أقبردي في القاهرة مُدّة، فلما حضر الأمير أقباي نائب غزة إلى القاهرة، فأقام بها مُدّة، ثم رجع إلى غزة.

فلما خرج من القاهرة، خرج معهُ الأمير أقبردي في الخفية، وأقام بغزة، والتف عليه من العُربان والعشير جماعة، وحضر إلى عندهِ الأمير أينال باي نائب [٢٤٧/أ] طرابُلس، فلما انكسر الأشرف قانصوه، وتوجه إلى نحو غزة، فتلاقى هو والأمير أقبردي هُناك على خان يُونس، وكان الأمير أقبردي قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، باتفاق من الأتابكي قانصوه خمسمائة قبل أنْ يوثب على السلطان، فما شعر إلا وقد تلاقى هو وقانصوه خمسمائة هُناك، فحصل بينهُما وقعة عظيمة هُناك، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه؛ ومن هُنا نرجع إلى أخبار الملك الناصر بعد هذه الحركة الثانية.

فأنهُ لما كان يوم السبت تاسع عشرين جمادى الآخر من سنة اثنتين وتسعمائة حصل بين المماليك وبين الأمراء تشاجر في الحوش السلطاني، وسبب ذلك أن المماليك قالوا للأتابكي تمراز والأمراء: "غيروا لقب السلطان الملك الناصر وسموهُ الملك الأشرف على اسم أبيه"، فقال لهم الأمراء: "وكيف يكون ذلك بعد ما خرجت عدّة مناشير ومربعات باسم الملك الناصر، وأشيع ذلك في البلاد

---

(1) بحر الوافر؛ والبيت لأبي الطيب المتنبي. (المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي ٤٨/٥).
(2) كذا في الأصل، والصواب "الذين".
(3) كذا في الأصل، والصواب "التي".
(4) بحر الكامل؛ والبيت لمحمد بن شرف. (المختار من شعر شعراء الأندلس ٦٧).

الشامية وغيرها وضُربت السكة باسم الناصر"، فقالوا: "لابُد من ذلك"، وأغلظوا على الأمراء في القول.

فعند ذلك نادوا في القاهرة أن السلطان صار لقبهُ الملك الأشرف، فتعجب الناسُ من ذلك بعد مُدّة سبعة أشهر يتغير لقب السلطان، وهذه الواقعة قط ما اتفقت لأحدٍ من أبناء الملوك قبلهُ، غير أن الملك الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان، لما سلطنُوهُ أولا تلقب بالملك الصالح، فلما خلع من السلطنة وأعيد[1] ثانى مرَّة، لقبُوهُ بالملك المنصور، وقد تقدم ذلك.

وكان سبب تغيير لقب الملك الناصر محمد بن قايتباي، أن مماليك أبيه صاروا يُسمون المماليك الأشرفية، والخرج الذي أخرجه ابنهُ الملك الناصر صاروا يُسمون المماليك الناصرية، فصاروا أعلى درجة منهم، فعز ذلك على المماليك الأشرفية، وقالوا: "لقبوا السلطان بالملك الأشرف مثل والده، ويصير المماليك كلهم أشرفية"، فهذا كان سببًا لتغيير لقب السلطان، وتسميتهُ بالملك الأشرف.

فصاروا [٢٤٧/ب] يكتبون في المراسيم، والمربعات، والمناشير باسم الناصر، وصار الخُطباء بعضهُم يخطب باسم الملك الأشرف، وبعضهم يخطب باسم الملك الناصر.

وفي مُدَّةِ هذه الفتنة اضطربت أحوال الديار المصرية، وسد السلطان باب السلسلة بالحجر الفص، وكذلك باب الميدان الذي تحت القلعة، وباب حوش العرب الذي من الأسطبل السلطاني، واستمر الأمر على ذلك.

فلما كان يوم الإثنين مُستهل شهر رجب من السنة المذكورة جاءت فيه الأخبار بأن الأشرف قانصوه خمسمائة لما وصل إلى خان يُونس الذي بالقرب من غزة، فتلاقى هو والأمير أقبردي هُناك، فكان بينهم وقعة عظيمة، وقتل فيها جماعة كثيرة من الأمراء والعسكر، وزعموا أن الأشرف قانصوه خمسمائة قُتل، وقُتل الأمير ماماي، والأمير فيروز الزمام، فأنهُ كان صُحبة قانصوه خمسمائة لما خرج من القاهرة، وقتل في هذه الوقعة جماعة من الأمراء الأربعينات، والعشراوات، وأسر الأمير قانصوه الألفي، والأمير كسباي، والأمير يشبك قمر، والأمير أسنباي المبشر أحد الأمراء الأربعين، وغير هولاء جماعة كثيرة من الأمراء الخاصكية.

---

[1] في الأصل "أعيذ".

وكان سبب هذه النُصرة التي حصلت للأمير أقبردي، أنهُ لما تلاقى مع العسكر هُناك اتقع معهم، فانكسر أقبردي، ودخل إلى خان يُونس، فحاصرُوهُ وهو في الخان، وأحرقوا باب الخان، فطلب منهم الأمير أقبردي الأمان، فبينما هُم على ذلك، فأدرك الأمير أقبردي الأمير أقباي نائب غزة، والأمير أينال باي نائب طرابُلس، وشيخ العرب إبراهيم بن نُبيعه، فاتقعوا مع الأشرف قانصوه خمسمائة هُناك وقعة قوية، ودخل عليهم الليل فانكسر الأشرف قانصوه، وقُتل فيها من قُتل، وأسر من أسر، وكانت النُصرة هُناك للأمير أقبردي على قانصوه خمسمائة، وهذه رابع كسرة وقعت للأشرف قانصوه خمسمائة، كما تقدم من أخباره، فكان كما قال القائلُ في المعنى: [٢٤٨/أ]

والنفسُ لا تنتهي عن نيل مرتبةٍ حتى ترومُ التي منْ دُونها العطبُ[(١)]

فلما كان يوم الخميس رابع رجب أرسل الأمير أقبردي رؤوس من قُتل في هذه المعركة، وهُم: رأس الأمير ماماي، ورأس الأمير فيروز الزمام، وجماعة كثيرة من الأمراء العشراوات، والعسكر، فكانوا نحو أربعة وثلاثين رأسًا، وزعموا أن رأس الأشرف قانصوه خمسمائة معهم، فشك الناس في ذلك، وأنكروهُ واستمروا إلى الآن في إنكارهم لذلك، والله أعلم؛ ثم إنهم طافوا بتلك الرؤوس على أرماح، وكان يوم دُخولهم إلى القاهرة يومًا مشهودًا ودُقت البشائر ثلاثة أيام، ثم علقوهم على باب زُويلة، وباب النصر.

فلما انقضى ذلك أرسل السلطان الملك الناصر خلف الأمير أقبردي بأن يحضر إلى القاهرة، فلما وصل إلى الخطارة[(٢)]، أرسل إليه الملك الناصر بقتل من كان معهُ من الأمراء الذي[(٣)] أسروا هُناك، فقُتل الأمير قانصوه الألفي، والأمير كسباي، والأمير يشبك قمر، والأمير أسنباي المُبشر، وجماعة كثيرة من الأمراء الأربعين والعشراوات ما يحضرني أسمائهم الآن، فكانوا كما قيل في المعنى:

ومثلما تفعلُ شاةُ الحمي[(٤)] في قرضٍ يفعلُ[(٥)] في جلدِهَا[(٦)]

فلما كان يوم الأحد رابع عشر رجب من السنة المذكورة فيه دخل الأمير أقبردي إلى القاهرة، وزُينت لهُ، وكان يوم دخولهُ يومًا مشهودًا، ودخل بطلبٍ

---

(١) بحر البسيط.

(٢) وهى من النواحي القديمة، بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية. (القاموس الجغرافي ١١٢/٢/١).

(٣) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

(٤) في جواهر السلوك ٣٨٦: "الحماه".

(٥) في جواهر السلوك ٣٨٦: "مرض يعمل".

(٦) بحر السريع؛ لم يرد في بدائع الزهور.

عظيم، ودخل معهُ الأمير أينال باي نائب طرابُلس والأمير أقباي نائب غزة، وشيخ العرب إبراهيم بن نُبيعه، فلما طلعوا إلى القلعة فأخلع عليهم السلطان خلع ونزلوا إلى بيوتهم.

فلما كان يوم الخميس ثامن عشر رجب فيه أخلع السلطان على الأمير أقبردي واستقر بهِ أمير سلاح عُوضًا عن تاني بك الجمالي، واستقر أيضًا دوادار كبير عُوضًا عن جان بلاط، واستقر أيضًا وزيرًا وأستادارًا، فصار كما كان الأمير يشبك من مهدى؛ [٢٤٨/ب] وأخلع على الأمير أقباي نائب غزة واستقر بهِ رأس نوبة النُوب عُوضًا عن قانصوه الشامي بحكم قتلهِ في السجن بثغر الإسكندرية؛ وأما الأمير أينال باي أقام في القاهرة مُدّة يسيرة، ورجع إلى طرابلس على عادتهِ نائبًا، واستمر الأمر على ذلك.

فلما رجع الأمير أقبردي إلى الديار المصرية في هذه المرة، لم تستقم أحوالهُ، ولا صفا لهُ الوقت، كما كان في أيام الملك الأشرف قايتباي، وصار على رأسهِ طيره، كلما طلع إلى القلعة، وبقي في تلك الأيام مُهدَّد بالقتلِ، في كلِّ يوم وليلة من المماليك الذي[1] هُم من عُصبة قانصوه خمسمائة، وبقى جماعة من الأمراء مُختفين من حين ركبوا مع الأشرف قانصوه خمسمائة، منهم: الأمير كرتباي الأحمر، والأمير جان بلاط الدوادار، وغير ذلك من الأمراء المُقدّمين وغيرهم، وكثر القال والقيل في تلك الأيام.

فلما كان يوم السبت رابع شهر رمضان، فيه: ثارت الفتنة بين المماليك وبين الأمير أقبردي، ولبسوا آلة الحرب، واتقعوا في ذلك اليوم فانكسر الأمير أقبردي، واختفى هو ومن ركب معهُ من الأمراء.

فلما كان تلك الليلة هرب الأمير أقبردي تحت الليل، هو والأمير أقباي نائب غزة، فتوجها نحو بلاد الصعيد فأقاما بها، وكان لما انكسر قانصوه خمسمائة واختفى الأمراء، فانتشى في تلك الأيام المقر السيفي قانصوه خال الملك الناصر محمد بن قايتباي، فبقى أمير أربعين، شاد الشربخاناة الشريفة، فبقى لهُ كلمة نافذة في مصر، لكونهُ خال السلطان، وبقى صاحب الحل والعقد بالديار المصرية، وأقبلت عليه الناس، وصار يقضي أشغال الناس، وفاق على أقبردي الدوادار وغيره في تلك الأيام، واجتمعت الكلمة فيه، والتف عليه غالب العسكر، ومشى مع الناس على أحسن طريقةٍ.

---

(1) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

وفي هذه الأيام كثر في مصر المناسر[1] [٢٤٩/أ] حتى صاروا يهجمون الأسواق تحت الليل ومعهم مشعلٌ، وشاميات، وقسيّ، ونُشاب، فهجموا سوق مرجوش، ونهبوا منهُ عدة دكاكين، وكذلك بعد مُدة فعلوا بسوق الربع، ولم تنتطح في ذلك شاتان، وقيل: أن المنسر شحت الوالي، وجماعته، وفعلوا مثل ذلك بسوق جامع ابن طولون، وصار المنسر كلّ ليلة يعطعط في حارة، وصارت الفتن عمالة بين العُربان في الشرقية والغربية.

ثم إنَ السلطان أرسل إلى الأمير أقبردي الأمير أبا يزيد الصُغير، ومعهُ خلعة وفرس بسرج ذهب وكنبُوش، فتوجه إلى نحو الصعيد، ومعهُ مراسيم شريفة للأمير أقبردي بأن يكون على عادته، وعلى وظائفهِ، ورسم لهُ بأن يُنجز أشغاله بُسرعة، ويحضر إلى الديار المصرية، فجاءت الأخبار بأنهُ قد وصل إلى برّ الجيزة.

فلما كان خامس[2] عشرين ذي القعدة خرج العسكر قاطبة إلى مُلتقاهُ، فلما توجه إليه الأمراء، لم يخرج إليه الأمير قانصوه خال السلطان، ثم إنَ الأتابكي تمراز قوي عليه، وأخذهُ معهُ، وقصد أنْ يتوجه بهِ إلى عند أقبردي، فلما وصل إلى عند السواقي السلطانية، وأراد أن يعدى فمنعُوهُ بعض عُصبته من ذلك، ولم يُمكنُوهُ أن يعدى، فرجع من هُناك، وطلع إلى القلعة.

فعند ذلك اضطربت أحوال العسكر، ثم إنَ المماليك أحرقوا بيت الأمير أقبردي الذي عند حدرة البقر، وأخربُوهُ قبل أن يدخل الأمير أقبردي إلى القاهرة بيومين، فلما عدى الأمير أقبردي إلى بر مصر فتوجه إليه الأتابكي تمراز، والأمير تاني بك قرا، وجماعة كثيرة من العسكر ممن كان من عُصبتهِ، فأقام في الخيام يومًا، وكان الأمير أقبردي لما حضر من الصعيد أحضر معهُ جماعة كثيرة من العُربان، وأرسل خلف جماعة من عُربان الشرقية والغربية من بني وائل، ومن عرب عزالة.

ثم إنَ [٢٤٩/ب] الأمير أقبردي زحف إلى عند النقعة، فخرج إليه بعض جماعة من المماليك، فاتقع معهم عند باب الزّغلة، فقُتل في ذلك اليوم من المماليك اثنان، وصار كلّ من يخرج من المُتفرجين يعرُوهُ العُربان.

---

[1] جماعة اللصوص. والمَنْصر عند العامة في بحري كناية عن أربعين رجلا - في الغالب - يخرجون بلا مبالاة، ويهجمون على القرى. (انظر: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ٤٠٤/٥).

[2] في بدائع الزهور ٣٦٣/٣: "رابع"؛ وهو الصواب حيث ذكر بعد قليل السبت سادس عشرين.

فلما كان يوم السبت سادس عشرين ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعمائة دخل الأمير أقبردي إلى المدينة، ومعهُ الأتابكي تمراز، والأمير تاني بك قرا، وكان يوم دخولهُ يومًا عبُوسًا قمطريرا، فدخل من على المشهد النفيسي، وشق من الصليبة[1]، وتوجه إلى بيتهِ الذي في حدرة البقر، فأقام هُناك، ودخل معه في ذلك اليوم جماعة كثيرة من العربان، وفي أيديهم رماح طوال، وانعقد لهُم غُبارٌ في الأسواق.

فلما بلغ الأمير قانصوه خال السلطان أنَ الأمير أقبردي دخل، ومعهُ عُربان، فأرسل أحضر عُربان من عُربان الشرقية من بنى حرام، فصار الأتراك يتقعوا مع بعضهم، والعُربان يتقعوا مع بعضهم، واستمر القتال في كل يومٍ عمال بين العسكرين.

ثم إنَ الأمير أقبردي أرسل أحضر أخشابًا كثيرة، برسم عمل الطوارق، وأحضر نحاسًا، بسبب سبك مكاحل، وكان لهُ همة عالية، وصرف من ماله في هذه الحركة نحو خمسين ألف دينار[2]، وصار يمد في كلِّ ليلة للعسكر الذين باتوا عندهُ سماط، ونفق على العسكر جامكية شهرًا من مالهِ، وفرَّق على العسكر الذي كان معهُ بالمدينة الأضحية في عيد النحر.

وكان أكثر من نصف العسكر معهُ، وكان معهُ من الأمراء الأتابكي تمراز الشمسي، والمقر السيفي تاني بك قرا أمير مجلس، وأقباي نائب غزة رأس نوبة النُوب، والأمير كرتباي أمير أخور كبير، والأمير جانم مصبغة حاجب الحجاب، والأمير [٢٥٠/أ] جانم الأجرود، والأمير بُرد بك الخازندار، والأمير بُرد بك نائب جدّة، والأمير قنبك نائب الإسكندرية، والأمير كرتباي أخو الأمير أقبردي الدوادار، فهذه عدّة من كان مع الأمير أقبردي من الأمراء المقدّمين غير الأمراء الأربعينات، والعشراوات، وجماعة كثيرة من المماليك السلطانية من كلِّ طائفة هذا ما كان من أمر العسكر الذي كان بالمدينة مع الأمير أقبردي.

وأما من كان فوق القلعة عند السلطان من الأمراء المقدّمين: فالأمير سُودُون العجمي، والأمير جان بلاط الغوري، والأمير قاني باي قرا الرماح، ومن الأمراء الأربعينات، والعشراوات جماعة كثيرة.

---

(1) في بدائع الزهور ٣٦٤/٣: لم يشق من الصليبة.

(2) في بدائع الزهور ٣٦٧/٣: "فوق المائة ألف دينار".

ثم إنَ الأمير أزبك اليُوسفي أمير مجلس ظهر، وطلع إلى القلعة، وظهر الأمير كرتباي الأحمر، والأمير جان بلاط الدوادار، والأمير قيت الرحبي، والأمير قُرقماس، والأمير قانصوه البرجي المحمدي، وغير ذلك من الأمراء، وكان هؤلاء[1] الأمراء قدْ اختفوا من حينِ ركبوا مع قانصوه خمسمائة.

فلما رأوا أمر أقبردي قدْ طال، فظهروا، وطلعوا إلى القلعة، وكان الأمر في تلك الأيام مغدوق بالأمير قانصوه خال السلطان، فركب مكاحل كثيرة بالقلعة، وصاروا يرمُون بالبندق الرصاص، والمدافع على من يطلع من العسكر الذي مع أقبردي إلى الرملة، واستمر القتال عمال بين الفريقين في كلِّ يوم، ويُقتل منهُما في كلِّ يوم جماعة.

وكان مع الأمير أقبردي من مدرسة السلطان حسن إلى بابِ القرافة، ومن الصليبة إلى مصر العتيقة.

وكان مع العسكر الذي فوق القلعة من باب السلسلة إلى عند الصّوة، ومن الصُّوة إلى باب زُويلة ومن باب زُويلة إلى خارج باب النصر.

وصار مع الأمير أقبردي صنجق سلطاني، ومع العسكر الذي فوق [٢٥٠/ب] القلعة صنجق سلطاني، والعسكر يقولون: "الله ينصر السلطان"، وصار الناس بينهما متحيرين، ولا يُعرف منهُما العاصي من الطائع.

فدخل عليهما يوم عيد النحر فكان لهُما في ذلك اليوم أشدَّ ما يكون من القتال، وتعطلت الناس عن الأضحية، ولم يضحي في ذلك اليوم من الناس إلا القليل، وكان في مُدّة هذه الفتنة جميع أسواق المدينة مُغلقة، وبطل البيع والشراء[2] من جميع الأسواق، وتشحطت الغلال في تلك الأيام، وتناها السعر إلى سبعمائة درهم كلّ أردب قمح، وكذلك تشحط الشعير والفول بسبب ما حصل في الشرقية والغربية من فساد العُربان وحرق الجُرُون.

وفي تلك الأيام توقف النيل عند ليالي الوفاء حتى مضى من مُسرى سبعة وعشرين يومًا، ثم أوفى في سابع عشرين مُسرى، وكُسر في ثامن عشرين مُسرى، وذلك في يوم الإثنين الموافق لثاني عشرين ذي الحجة من سنة اثنتين وتسعمائة، فلما أوفى النيل وزاد عن الوفاء أربعة أصابع، فتوجه الوالي وقت

---

(١) في الأصل "هولاي".
(٢) في الأصل "الشري".

الصُبح وكسر السد، وقيل: أنَ الشيخ عبد القادر الدشطوفي[1] هو الذي كسر السد قبل أن يجيء الوالي، وكان في هذه الأيام الحرب قائمة، فلم يلتفت أحد إلى كسر السد في ذلك اليوم، ولو لم يوف النيل في تلك السنة لخربة مصر عن آخرها من الفتن، وفساد الأحوال، كما قال القائل:

أتطلبُ من زمانك ذا وفاء وتنكرُ ذاك جهلا من بنيه
لقد عدم الوفاء به وإني لأعجب من وفاء النيل فيه[2]

ثم إنَ النيل نزل في تلك السنة بسرعة، ولم يُغلق تسعة عشر ذراعًا، وشرَّقت غالب البلاد لعدم عمل الجسور في تلك السنة.

ثم إنَ الأمير أقبردي شرع في عمل مُكحلة كبيرة، فأحضر المعلم دُمينكوا[3]، وسبك مُكحلة عظيمة فأبطأ في [٢٥١/أ] عملها مُدّة أيام، فتقلق العسكر الذي كان مع الأمير أقبردي، وصار يتسحب منهم جماعة، ويطلعون إلى القلعة، فتلاشى أمر الأمير أقبردي، وفلّ غالب من كان معهُ من العسكر.

فلما كان يوم الجمعة سادس عشرين ذي الحجة من سنة اثنتين وتسعمائة فيه نزل الأمير كرتباي الأحمر من القلعة، هو وجماعة من الأمراء الذي[4] كانوا في القلعة، ونزل بالمماليك الذي في الطباق جميعها، وهم مشاه بعد المغرب، فزحفوا على مدرسة السلطان حسن، وكبسوا على من فيها من الأمراء وأحرقوا الربوع التي حولها، وأحرقوا غالب البيوت التي بالرملة، وكان الأمير أقبردي في مُدّة هذه الوقعة أحرق باب القرافة، والبيوت التي تحت السور جميعها، وأحرق سبيل المؤمني.

ثم بات الأمير أقبردي يتقع معهم في تلك الليلة بطولها، ولما هجموا على من في مدرسة السلطان حسن، فهرب من كان بها من الأمراء، وقتلوا الأمير كرتباي أمير أخور كبير على باب المدرسة، ونهبوا كل ما فيها من قُماش وسلاح.

فلما كان صبيحة يوم السبت انكسر الأمير أقبردي، وولى الدّبر فرجع إلى بيته، وأخذ مماليكه، وزردخانتهُ، وخرج من بيته ودخل من الدرب الذي عند

---

(١) في بدائع الزهور ٣٦٩/٣: "الدشطوطي"، أما في جواهر السلوك ٣٨٩: "الدسطوفي".
(٢) بحر الوافر.
(٣) في بدائع الزهور ٣٦٨/٣: "دُمنيكوا".
(٤) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

حمام الفارقاني، وطلع من درب ابن البابا، وخرج من على المدرسة الجاولية، ومعهُ طبلان وزمران وعلى رأسهِ صنجق.

وكان معهُ من الأمراء الذين توجهوا معهُ الأمير تاني بك قرا أمير مجلس، والأمير أقباي نائب غزة رأس نوبة النُوب، والأمير جانم مصبغة حاجب الحجاب، والأمير كرتباي أخو الأمير أقبردي، والأمير قنبك نائب الإسكندرية، وجماعة كثيرة من الأمراء الأربعينات والعشراوات ونحو ألف إنسان من المماليك السلطانية، ولما أراد أنْ يخرج من بيتهِ عندما انكسر، أرسل [٢٥١/ب] خلف الأتابكي تمراز، وكان مُقيمًا عندهُ في البيت.

فلما أرسل خلفهُ فأبطأ عليه، وكان مُتوعكًا في جسده، فلما أبطأ عليه تركهُ، ومضى، فلما توجه الأمير أقبردي طلع من على قناطر السباع، وتوجه من على بُولاق، وخرج من على جزيرة[1] الفيل، وتوجه إلى الفضاء وجدَّ في السير.

فقيل: أنهُ لما مرَّ من على بلاد الشرقية، فلاقوه بني حرام فرجمُوهُ، وحصل لهُ غاية البهدلة من السَّبِ والرجم، فكان كما قال القائل:

مَا النّاسُ إلّا مَعَ الدُّنيا وَصَاحِبِها ... فَحَيثُ ما انقَلَبت يومًا بِهِ انقَلَبوا
يُعَظِّمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ ... يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا[2]

فكان مُدة هذه الفتنة من حين عدى الأمير أقبردي برّ الجيزة، ودخل إلى المدينة في يوم السبت سادس عشرين ذي القعدة إلى يوم انكسر فيه، وهو يوم السبت سابع عشرين ذي الحجة أحد وثلاثين يومًا، والحرب ثائر بين العسكر بالديار المصرية، والفتن، والقتل عمال بنواحي الشرقية والغربية، وهذه ثالث كسرة وقعت للأمير أقبردي من حين توفي الملك الأشرف قايتباي، ولم يسمع بمثل هذه الوقعة فيما تقدم من الوقعات بين الأتراك بالديار المصرية، هذا ما كان من أمر الأمير أقبردي الدوادار.

وأما ما كان من أمر الأتابكي تمراز بعد مُضي الأمير أقبردي فأنهُ كان متوعكًا في جسده، فصار عندهُ شكٌ في أمر الكسرة، فلبس قماشهُ، وركب فرسهُ، وخرج من بيت الأمير يشبك الدوادار، ومشى إلى بيت الأمير تاني بك

---

[1] في الأصل "جريرة".
[2] بحر البسيط؛ لم يرد ذكرهما في بدائع الزهور؛ والبيتان لعلي بن عيسى. (مرآة الزمان ٥٢٤/١٦)؛ وفي الدرر الفريد ١٢٠/٩: البيتان في ديوان أبي العتاهية. (انظر: ديوانه ٣٥).

قرا، فجاء إليه جماعة من المماليك الأجلاب، فمسكوا لجام فرسه، ودخلوا به إلى بيت تاني بك قرا، ثم أخرجوه [٢٥٢/أ] منهُ، ومشوا به إلى رأس الصليبة عند السكاكيني فجاء إليه جماعة من المماليك، فقنطرُوهُ من على فرسه، فوقع إلى الأرض، فقبضوا عليه، وطلعوا به إلى دُكان هُناك، فقطعوا رأسهُ على الدُكان.

فقيل: أنَ الذي قطع رأسهُ حزّها بالسيف، فتصعَّبت عليه، فكسرها حتى تخلصت، ثم أخذها في فوطة، وطلع بها إلى القلعة، وصارت جُثتهُ مرميَّة على الدُكان، فأحضروا لهُ تابوتًا، ومضوا به إلى مكان عند بيت الأمير تغري بردي الأستادار، فغسلُوهُ هُناك.

ثم إنَ السلطان أرسل رأس الأتابكي تمراز، ورسم بأن تُخيط على جُثتهِ، وأرسل معها ثلاثين دينارًا، وثوبين بعلبكين؛ ثم أحضروا الأمير كرتباي أمير أخور كبير الذي قتل في مدرسة السلطان حسن، فغسلُوهُ هو والأتابكي تمراز، وكفنُوهُما، وأخرجُوهُما من هُناك، وصلوا عليهُما في باب الوزير، وتوجهوا بهما إلى تُربة الملك الأشرف قايتباي، ورسم السلطان بأن يُدفن الأتابكي تمراز على الملك الأشرف قايتباي لكون أنهُ كان يُقرب إليه، فدُفن عليه، ودُفن الأمير كرتباي أمير أخور على الأمير جانم قرابة السلطان قايتباي.

ولما قتل الأتابكي تمراز فشق ذلك على الملك الناصر محمد، ولم يطلع من يدّهِ شيء، لكون أنهُ كان صغير السن، ولم تسمع لهُ المماليك شئ، وكان ذلك في الكتاب مسطورا، ومما رثيتُ بهِ الأتابكي تمراز، وهو قولي مع التضمين:

أرغمت يا دهر أنوف الوري	**بقتل تمراز ويتم العباد**
أتابك العسكر ذا رأفةٍ	**من جوده[1] شاع لأقصى البلاد**
أخطأت يا قاتلهُ كيف قدْ	**قتلت من يقمع أهل العناد**
مصيبة جلت فمن أجلها	**قدْ صيرت في كلّ قلب زناد**
لكن لهُ في قالهِ أسوةٌ	**إلى الحُسين بن عليّ الجواد[٢٥٢/ب]**

---

[1] في بدائع الزهور ٣٧٤/٣ وجواهر السلوك ٣٩١: "بالجود قد".

مـــذ أودعـــوهُ الـــرمس لـــو انصـــفوا   مـــا كـــان إلا[1] فـــي صـــميم الفـــؤاد
فـــالله يـــأجرهُ علـــى مـــا جـــرى   مـــن قتلـــهِ بـــالعفو يـــوم المعـــاد[2]

وكان الأتابكي تمراز أميرًا دينًا خيرًا، قليل الأذى، وكثير البرّ والمعروف، وكان أصلهُ من مماليك الملك الأشرف بُرسباي ورقا في أيام الأشرف قاتباي حتى بقى أتابك العساكر بالديار المصرية هذا ما كان من أمر الأتابكي تمراز بعد مُضي أقبردي.

وأما ما كان من أمر المماليك الأجلاب الناصرية بعد هذه الحركة فأن في يوم السبت بعد كسرة الأمير أقبردي وقتلة الأتابكي تمراز، فحصل للناس منهم في ذلك اليوم غاية الأذى، فنهبوا بيوت الأمراء، الذين كانوا مع الأمير أقبردي، ونهبوا مدرسة السلطان حسن، وأخذوا رُخام المدفن، والشبابيك النحاس وبُسط الجامع، وحرقوا الأبواب التي بها، ثم صاروا يدخلون إلى الحارات، وينهبون بيوت الناس من غير مُوجب، ونهبوا حارة زُويلة، بسبب أن كان للأمير أقبردي هُناك حاصل، وكان لهُ فيه جُملة من الأموال، والقماش، فنهبوا كل ما فيه، وصار كلّ من ظفروا به من جماعة أقبردي يقتلوهُ، وقطعوا رأس المعلم دُمينكوا الذي سبك المكحلة للأمير أقبردي، وعلقوها على باب السلسلة، وأقام المماليك على القتل والنهب يومين، ولم يبقوا من الأذى ممكن.

وكانت هذه السنة سنة صعبة شديدة على الناس كثيرة الفتن، وقُتل بها من الأمراء جماعة كثيرة من الأمراء المقدّمين، والأربعينات، والعشراوات، والخاصكية، فمن الأمراء المقدّمين: الأمير شادى بك أمير أخور كبير، والأمير أينال الخسيف حاجب الحجاب، والأمير قانم قرابة السلطان [٢٥٣/أ] قايتباي، فهؤلاء قُتلوا لما توجهوا إلى بيت الأتابكي قانصوه خمسمائة وقد تقدم ذلك.

ثم قتل الأمير قانصوه الشامي، وهو في السجن بثغر الإسكندرية وقد تقدم ذلك.

ثم قُتل الأمير قانصوه الألفي، والأمير كسباي، والأمير يشبك قمر، وكان قتلهم بالقرب من الخطارة لما أسروا في الوقعة التي كانت بين الأمير أقبردي وبين الأشرف قانصوه خمسمائة عند خان يُونس الذي بالقرب من غزة، وقد

---

[1] في بدائع الزهور ٣٧٤/٣ وجواهر السلوك ٣٩١: "بل كان يحيى".
[2] بحر السريع.

تقدم ذلك، وكان المتولي قتل الأمراء شيخ العرب أحمد بن قاسم، وقتل هؤلاء الأمراء الأمير أسنباي المُبشر أحد الأمراء الأربعين؛ وقتل في هذه الوقعة التي كانت عند خان يُونس الأمير ماماي، والأمير فيروز الزمام.

وقيل: أنَ الأشرف قانصوه خمسمائة قُتل في هذه الوقعة، وقيل: أنهُ نجى وهرب تحت الليل على فرس، ولم يُعلم له خبرٌ، والله أعلم بما كان من أمرهِ؛ وقُتل في هذه الوقعة جماعة كثيرة من الأمراء الأربعينات، ومن العشراوات نحو خمسة وعشرين أميرًا.

وقُتل في هذه الوقعة التي كانت بالقاهرة بين الأمير أقبردي وبين الملك الناصر الأتابكي تمراز الشمسي، والأمير كرتباي أمير أخور، والأمير جانم الأجرود جُرح في الوقعة فأقام أيامًا مُختفى ومات.

فكان عدّة من قُتل في هذه السنة من الأمراء المقدَّمين اثنى عشر أميرًا، ومن الأمراء الأربعينات والعشراوات جماعة كثيرة ما يحضرني أسمائهم الآن.

وتوفي في أواخر هذه السنة من الأعيان القاضي أبي البقاء بن الجيعان مات قتيلًا، قيل: أن بعض الأتراك قتلهُ بخنجر وهو خارجٌ من بيتهِ وقت الصُبح طالع إلى القلعة فمات من يومهِ.

وتوفي قاضي القُضاة الحنبلي بدر الدين السعدي؛ وقاضي القُضاة الحنفي ناصر الدين ابن الإخميمي(١)، وغير ذلك من الأعيان. [٢٥٣/ب]

فكان ما جرى في هذه السنة عبرة لمن يسمعها، فكان كما قيل:

يسعى ابنَ أدم في قضى أوطاره ... والموت يتبعهُ على آثارهِ
يلهو وكف الموت في أطواقهِ ... كالكبش يلعبُ في يدى جزاره
يُمسى وقدْ أمن الحوادث ليلهُ ... فلرُبما تطرقهُ في أسحارهِ
من زاد يعلمُ كيف تصبح دارهُ ... من بعدهِ فليعتبر بجوارهِ(٢)

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعمائة فكان مُستهلها في يوم الثلاثاء، ووافق ذلك يوم النُورُوز، وهو أول يوم من السنة القبطية، بموجب تحويلها إلى السنة العربية.

---

(١) هو محمد بن أحمد الأنصاري القاهري. (بدائع الزهور ٣٦٨/٣).
(٢) بحر الكامل.

ففي ذلك اليوم تولى الشيخ بُرهان الدين ابن الكركي قاضي القُضاة الحنفية عُوضًا عن القاضي ناصر الدين ابن الإخميمي الحنفي؛ وأخلع على القاضي شهاب الدين الشيشيني الحنبلي واستقر قاضي قُضاة الحنابلة عُوضًا عن القاضي بدر الدين السعدي؛ وأخلع على الشيخ عبد البر بن الشحنة واستقر شيخ المدرسة الأشرفية مع ما بيدهِ من مشيخة الخانقاة الشيخُونية فأقام بها ثلاثة أيام، ثم أعيدت(1) مشيخة الأشرفية إلى قاضي القُضاة الحنفي ابن الكركي مع ما بيدهِ من قضاية الحنفية.

وفيها: أخلع السلطان على المقر السيفي قانصوه خال الملك الناصر واستقر بهِ دوادار كبير عُوضًا عن الأمير أقبردي، ثم في أثناء ذلك استقر وزيرًا وأسُتادارًا كما كان أقبردي.

وفيها: أخلع على المقر السيفي كرتباي الأحمر واستقر أمير سلاح عُوضًا عن أقبردي، فأقام بها مُدّة يسيرة، واستقر نائب الشام عُوضًا عن قانصوه اليحياوي بحكم وفاتهِ؛ ثُم استقر المقر السيفي جان بلاط الدوادار نائب حلب عُوضًا عن أينال الذي كان بها وقُتل كما سيأتي ذكر ذلك؛ وأخلع على المقر السيفي أزبك اليُوسفي واستقر مُشير المملكة؛ وأخلع على المقر السيفي قانصوه المحمدي [٢٥٤/أ] الشّهير بالبُرجي واستقر أمير مجلس عُوضًا عن تاني بك قرا؛ وأخلع على المقر السيفي قيتْ الرحبي واستقر حاجب الحجاب عُوضًا عن جانم مصبغة؛ وأخلع على المقر السيفي قاني باي قرا الرماح واستقر أمير أخور كبير عُوضًا عن كرتباي الذي قتل في مدرسة السلطان حسن في وقعة أقبردي؛ وأخلع على المقر السيفي جان بلاط الغوري واستقر رأس نوبة النُوب عُوضًا عن أقباي نائب غزة.

وأنعم بتقادم ألوف على جماعةٍ كثيرة(2) من الأمراء عُوضًا عن من تسحب مع الأمير أقبردي، وعن من قُتل في الوقعة المقدم ذكرها.

وأخلع على المقر السيفي طُومان باي واستقر أمير دوادار ثاني أمير أربعين، وأنعم على جماعة كثيرة من الأمراء بأمريات أربعين وأمريات عشرة عُوضًا عن من تسحب مع الأمير أقبردي الدوادار.

---

(1) في الأصل "أعيذت".
(2) في الأصل "كثير".

ثم إنَ السلطان الملك الناصر رسم بإحضار الأتابكي أزبك أمير كبير من مكة، وكان مُقيمًا بها من حين وقعت الفتنة بين قانصوه خمسمائة وبين أقبردي من أيام الملك الأشرف قايتباي، فلما حضر إلى الديار المصرية أخلع عليه واستقر أتابك العساكر كما كان أولًا عُوضًا عن تمراز الشمسي لما قُتل.

فكانت مُدّة غيبة الأتابكي أزبك في مكة سنتين وثلاثة أشهر واثنى عشر يومًا، وكان حُضورهُ إلى الديار المصرية، واستقرارهُ في الأتابكية ثانيًا في يوم الخميس ثامن عشرين ربيع الأول سنة ثلاث وتسعمائة.

وفيها: في يوم الخميس في مُستهل شهر صفر كانت وفاة أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز.

فكانت مُدّة خلافتهُ إلى أنْ ماتَ تسع عشرة سنة وأيام، ومات ولهُ من العُمر أربع وثمانين سنة، وقيل: ناف عن ذلك، ولما مات عهد إلى ولدِهِ يعقوب، فتولى الخلافة في يوم السبت ثالث صفر من [٢٥٤/ب] سنة ثلاث وتسعمائة، وتلقب بالمستمسك بالله أبي الصبر، وهو رابع خليفة هاشمي الأبوين.

ومن هُنا نرجع إلى أخبار الأمير أقبردي، فأنهُ لما خرج من القاهرة بعد الكسرة، فتوجه إلى نحو البلاد الشامية، فوصل إلى دمشق، فحاصر مدينة دمشق مُدّة أيام فلم يقدر عليها، فتوجه إلى حلب فحاصر مدينتها أشدّ المحاصرة فلم يقدر عليها، فقيل: أنهُ توجه إلى عند على دولات أخو أسوار.

فلما بلغ ذلك إلى السلطان والأمراء، فعينوا إليه تجريدة، فخرج الأمير كرتباي الأحمر نائب الشام، والأمير جان بلاط نائب حلب، وصُحبتهم جماعة من الأمراء المقدّمين، ومن الأمراء العشراوات، ومن المماليك السلطانية نحو ألفين مملوك، وخرجوا من القاهرة في يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعمائة، وكان الأمير كرتباي الأحمر باش العسكر فخرج من القاهرة في موكبٍ عظيم وطلب طلبًا عظيمًا.

فلما خرج الأمير كرتباي الأحمر من القاهرة، وقُتل الأتابكي تمراز، وانكسر الأمير أقبردي، وحصلت هذه النُصرة للملك الناصر محمد بن قايتباي، فطاش لما رأى الوقت قد صفا لهُ، ولا بقى على يدّهِ يد، فخرج عن الجدّ في أفعالهِ، وصار ينزل في كلِّ ليلة إلى المدينة، وقُدامهُ فانوسين أكرة، وأربعة مشاعل، ويطوف المدينة في بعض مماليك معهُ من أخصائه، ومعهُ جماعة كثيرة من العبيد،

ومعهم مكاحل نفط، فصار يطوف المدينة فإن رأى أحدًا من الناس ماشي من بعد العشاء فيضربهُ بالمقارع، أو يُوسَّطهُ، أو يقطع أذنيه وأنفه.

ثم إنهُ نادى في القاهرة بأن يعلقوا على كلِّ دُكان قنديل وعلى كلِّ طاقة قنديل، وصار ينزل كلِّ ليلة بنفسهِ ويكشف عن ذلك، فإنْ وجد دُكانًا بلا قنديل يُسمرَّها وهو واقفٌ بنفسهِ.

ثم إنهُ نادى في القاهرة [٢٥٥/أ] بأن يُبيضوا الدّكاكين الذي[1] في المدينة ويُزخرفوهم بالدهان فحصل لأصحاب الدكاكين بسبب ذلك كُلفة زائدة.

ثم إنهُ صار ينزل إلى بُولاق في ليالي سيدي إسماعيل الإنبابي، ويشق البحر في مركبٍ ومعهُ جماعة من العوام والمغاني على الندى والاجهار، ويحرق في تلك الليلة حراقة نفط في بُولاق، وقد جاوز الحدّ في اللهو، والمخلعة، وبهدل حُرمة السلطنة، وصار الناس معهُ في غاية الضرر، ولا بقى يفكر بأحدٍ من الأمراء من كبير ولا صغير، والكلّ معهُ في قُمع سُمسمه، كما قالَ القَائلُ:

اخضع لِقردِ السُّوْءِ فِي زَمَانِه   وَدَارِهِ مَا دَامَ فِي سُلْطَانِهِ[2]

ثُم إنهُ صار ينزل إلى قُبة الأمير يشبك التي في المطرية ويبات بها، ثم يطلع إلى القلعة، ويشق من المدينة وقُدامهُ طبلين وزمرين، وجماعة كثيرة من العبيد السود يرمُون قُدامهُ بالنفط بمكاحلِ هندية، وكان في الغالب لا يركب معهُ أحدٌ من الأمراء سوى خالهُ المقر السيفي قانصوه الدوادار الكبير.

ثم إنهُ رسم للأمراء المُقدّمين بأن يُضاف لكلِّ أمير منهم ثلاثون مملوكًا من المماليك الأجلاب الناصرية، يأخذون من إقطاعات الأمراء لكلِّ مملوك عشرة آلاف درهم، وأضاف إلى أمير كبير أزبك أربعين مملوكًا، وأضاف إلى كلِّ أمير أربعين عشرة من المماليك، وإلى كلِّ أمير عشرة خمسة مماليك، فحصل للأمراء بذلك غاية الأذى وصار المماليك يدخلون إلى بيوت الأمراء وهُم راكبون ويُبهدلون مُباشرينهم حتى يأخذوا الذي تقرر عليهم من المال.

ثم إنَ السلطان نادى في القاهرة بأن الأمراء الذين كانوا قد اختفوا من حينٍ ركبوا مع الأمير أقبردي، [٢٥٥/ب] يظهرون ولهم الأمان، فعند ذلك ظهر الأمير تاني بك الجمالي، وكان مختف من حين ركب مع قانصوه خمسمائة،

---

[1] كذا في الأصل، والصواب "التي".

[2] بحر الرجز؛ والبيت للعتّابي. (الحيوان ٢٣٧/١).

فلما ظهر أخلع عليه واستقر بهِ أمير سلاح على عادتهِ عُوضًا عن كرتباي الأحمر لما بقى نائب الشام.

ثم إنَ السلطان أفرج عن الأمير مصرباي وكان بالسجن بثغر الإسكندرية لأنهُ كان من عُصبة الأمير أقبردي.

ثم ظهر الأمير أبا يزيد الصُغير، والأمير قنبك أبو شامة، وجماعة كثيرة ممن ركبوا مع الأمير أقبردي، فلما ظهروا وطلعوا إلى القلعة، أراد السلطان أنهُ ينشئ لهُ عُصبة، فعيّن الأمير مصرباي أمير أخور كبير، وعيّن الأمير أبا يزيد الصُغير دوادار ثاني، وعيّن الأمير قنبك أبو شامة نائب القلعة.

فلما بلغ الأمراء والمماليك بأن السلطان قدْ عيّن هذه الوظائف إلى هؤلاء الأمراء، فركبوا، وأثاروا فتنة كبيرة بالقلعة، وقتلوا الأمير أبا يزيد الصُغير فوق القلعة، فنزلوا بجثتهِ على حمار؛ وأما الأمير مصرباي هرب هو والأمير قنبك أبو شامة، ونزلوا إلى المدينة واختفوا، وكانت فتنة أشدَّ من الأولى واستأنفت فتنة أخرى.

ثم إنَ المماليك نزلوا إلى المدينة ونهبوا بيوت جماعة كثيرة ممن كانوا من عُصبة الأمير أقبردي، وكانت هذه الفتنة في يوم الخميس حادي عشر جمادى الأول من سنة ثلاث وتسعمائة.

فعند ذلك طلع الأتابكي أزبك إلى القلعة، والأمير تاني بك الجمالي أمير سلاح، ولاموا السلطان على هذه الأفعال التي يفعلها، والرهج الذي يرهجهُ، ثم خمدوا هذه الفتنة بعد ما كانت قدْ اتسعت وصارت فتنة عظيمة.

ثم إنَ المماليك لما تزايد جورهم في حق الناس، وحصل منهم في هذه السنة غاية الضرر من كلِّ وجهٍ من القتلِ، والنهب، وأخذ أموال [٢٥٦/أ] الناس بالظلم، فأرسل الله عليهم الطاعون في تلك السنة، وكان مُبتدأهُ من جمادى الآخر واستمر يُسلسل إلى شهر شوال فمات فيه جماعة كثيرة من المماليك والعبيد، والجوار، والأطفال، والغُرباء، ومات بهِ من الأمراء: الأمير جان بلاط الغوري رأس نوبة النُوب، والأمير صنطباي المُبشر، وجماعة كثيرة من الأمراء والمماليك، وصار الفصل عمال والمماليك لا يرجعون عن آذاهم وجورهم في حق الناس، وقد قلتُ في ذلك:

قَل للوباء أنت والمماليك[1] جاوزتما الحدّ في النكاية
ترفقا بالوري قليلًا في واحد منكما كفاية[2]

ولما كان رابع عشر شوال من هذه السنة حضر إلى القاهرة خاصكي من حلب، وأخبر بأن الأمير كرتباي الأحمر، والعسكر لما وصلوا إلى حلب في طلبِ الأمير أقبردي الدوادار، فوقع بينهم وبين العسكر الذي مع أقبردي وقعة عظيمة، فانكسر أقبردي في مكان بالقرب من حلب، فلما انكسر عدَّى من الفُرات إلى البيرة، فأقام بها، وقد قُتل في هذه المعركة جماعة ممن كان مع الأمير أقبردي، منهم: أينال نائب حلب، وكان من عُصبة الأمير أقبردي، وقتل ابن عليّ دولاتْ، وجماعة كثيرة من المماليك السلطانية ممن كان الأمير أقبردي فأحضروا رؤوس من قُتل في هذه الوقعة إلى القاهرة، وطافوا بهم في المدينة، وهُم على أرماح ثم علقوا الرؤوس على أبواب المدينة، وكان عدّة الرؤوس التي حضرت إلى القاهرة واحدًا وثلاثين رأسًا، وكان لهُم يوم مشهود.

وفي أواخر هذه السنة: خرج المقر السيفي قانصوه الدوادار خال السلطان إلى نحو الشرقية والغربية، وسرح في البلاد لتمهيدها، ثم رجع إلى القاهرة، فكانت مُدّة غيبتهُ في هذه السرحة أحد وعشرين يومًا. [٢٥٦/ب]

فلما عاد إلى القاهرة دخل في موكبٍ عظيم وزُينت لهُ المدينة، فطلع إلى القلعة، ولبس خلعة عظيمة، فلما نزل إلى بيتهِ أحاط بهِ المماليك في الرملة، وعيّنوا لهُ القتل، وقالوا لهُ: "أطلب لنا من السلطان نفقة بسبب هذه النُصرة التي حصلت للسلطان على أقبردي"، فقال لهُم: "نعم، حتى أشاور السلطان على ذلك".

فلما كان يوم الإثنين خامس عشرين ذي الحجة من سنة ثلاثة وتسعمائة، فيه: وثب المماليك على السلطان الملك الناصر، بسبب النفقة، فطلع الأتابكي أزبك إلى القلعة، هو وبقية الأمراء وضربوا مشورة، بسبب هذه النفقة، ثم تقرّر الحال على أنْ ينفق على المماليك لكلِّ مملوك خمسين دينارًا، فتراضوا على ذلك وخمدت هذه الفتنة.

ثم إنَ السلطان شكى إلى الأمراء بأن لم يكن في الخزائن من الأموال شيء، فاشتوروا في ذلك، وقالوا: "وزعوا هذه النفقة على المُباشرين، وأعيان الناس"،

---

(1) في بدائع الزهور ٣٨٩/٣: "أقول للطعن والمماليك".
(2) بحر مخلع البسيط؛ والأبيات منتحلة. (انظر: وفيات الأعيان ٤٣٧/٤).

فندبوا[1] لذلك المقر السيفي قانصوه خال السلطان، والقاضي ناصر الدين الصّفدي وكيل بيت المال، فكتبوا قوائم بأسماء جماعة من الأعيان، منهم: القاضي كاتب السرّ بدر الدين ابن مُزهر، والقاضي شهاب الدين ناظر الجيش، والقاضي علائي الدين ابن الصابُوني ناظر الخاص، والقاضي صلاح الدين ابن الجيعان نائب كاتب السرّ، ومُباشرين الأسطبل السلطاني، ومُباشرين الزردخاناة، وكتاب المماليك، وجماعة من أعيان المُباشرين، حتى قُضاة القُضاة الأربعة، وأعيان الناس، وأعيان التجار، ومُعلم المعلمين الجناب الزيني حسن ابن الطُولُوني، ومُحتسب القاهرة، والوالي، حتى طائفة اليهود والنصارى، وكانت هذه المُصادرة عامة على أعيان الناس.

والذي حصل في هذه السنة من الحوادث لم يحصل في غيرها من السنين الماضيّة، [٢٥٧/أ] وذلك أنَ الغرامة التي جاءت على ابن الطُولُوني وزَّعها على جماعة من البنائين، والنجاريّن، والمُرخمين، وأرباب الصنائع، والغرامة التي جاءت على المحتسب وزَّعها على جماعة من الزَّياتين، والطحانين، والسوقة، وكذلك فعل الوالي وزّع ما جاء عليه على الخُفرة، وأرباب الأدراك، ومُعلمين الحبوس، فكانت هذه المُصادرة عامة على الناس وحصل بذلك الضرر الشامل.

وصار الأمير قانصوه يطلب الناس بالرُسل الغلاظ الشداد وكلِّ من امتنع يكبسون بيتهُ حتى يظهر وصار يحمى خُود حديد على النار، ويُحضر المعاصير والكسارات حتى يُخيف الناس، فاستخرج من الناس هذه التوزيعة في أسرع مُدّة، فلما كملتْ هذه المُصادرة حُمل ذلك المال إلى السلطان فنفقهُ على المماليك فكثر الدعاء على الملك الناصر بسبب ذلك وغيره من أفعالهِ الشنيعة، كما تقدم.

وقد اجتمع في هذه السنة من الحوادث ما لا اجتمع في غيرها من السنين، وذلك أنَ الملك الناصر كان طائش العقل، صغير السن، يحب سفك الدّماء، وقد جاروا المماليك في أيامهِ على الرَّعية، كما تقدم من النهب والقتل، وقد زاد شر العُربان في البلاد الشرقية والغربية، ووقعت هذه المُصادرة بالديار المصرية، واجتمع فيها الوباء، والغلاء، واضطربت أحوال البلاد الشامية والحلبية، بسبب توجه الأمير أقبردي إليها، كما قد تقدم ذكر ذلك، فكان كما قيده:

---

[1] في الأصل "فنذبوا".

كـــم زمـــان بكيـــتُ منـــهُ فلمـــا صـــرتُ فـــي غيـــره بكيـــتُ عليـــه[1]

ثم دخلت سنة أربع وتسعمائة، فيها: أوفى النيل المُبارك في تاسع عشرين[2] مُسرى الموافق لرابع المحرم، وكان السلطان الملك الناصر محمد عول على أنهُ ينزل بنفسهِ، ويكسر السدّ، وأنهُ [٢٥٧/أ] يفتك ويخرج في الفتك عن الحدّ، ورسم للأمراء بأن كلّ واحد منهم يزيّن لهُ حُراقة يوم الوفاء، فمنع الأمراء السلطان من النزول إلى كسر البحر، وحرجوا عليه في ذلك، فحنق منهم.

فلما أوفى النيل تلك الليلة نزل السلطان بعد العشاء بعشرين درجة، وتوجه إلى السد ومعهُ بعض مماليك، وخاصكية فكسر السدّ نصف الليل، وهو واقف على فرسهِ، وحولهُ جماعة من العبيد النفطية والغلمان، ثم توجه إلى قنطرة قُديدار، فكسر السدّ الذي هُناك أيضًا، ثم طلع إلى القلعة وكلّ ذلك تحت الليل.

فلما أصبح الناسُ رأوا الماء قد عمَّ الخُلجان، والبرك، وبطل فرجة الناس بيوم الوفاء، ثم بعد ذلك بأيام توجه السلطان إلى جسر بني مُنجا وكسره أيضًا بنفسهِ، ثم صار ينزل في كلّ جمعةٍ مرتين إلى بركة الرّطلي، ويشق البركة في مركب، ومعهُ جماعة من العوام العُيَّاق، وأمر سُكان البركة بأن يُوقدوا في كل بيتٍ وقده من القناديل، والأحمال، والثُريات، وغير ذلك فأقاموا يُوقدون في كلِ ليلة وقده عظيمة نحو من عشرين ليلة، وهو يشق البركة في مركبٍ، كما تقدم.

وقد خرج في هذه الأيام عن الحدّ في اللهو والمخلعة، ومع هذا أنهُ كان لا يشرب الخمر، ويكره من يشربهُ، ثم إنهُ خطر ببالهِ أن يتوجه إلى حلب على حين غفلة، ولم يعلم أحدًا من العسكر كما فعل والده الملك الأشرف قايتباي، وكان الملك الناصر هواهُ مع الأمير أقبردي الدوادار في الباطن، فقصد بأن يتوجه إلى حلب، ويكون عونًا للأمير أقبردي حتى يُدخلهُ إلى مصر، فعبى لهُ سنيحٌ في تربة والده، وعيّن جماعة من الخاصكية بأن يتوجهوا معهُ وقصد أن يخرج في ليلة الجمعة في العشرين [٢٥٨/أ] من المحرم.

فلما بلغ الأمراء ذلك منعُوهُ من السفر، وتوجهوا جماعة من المماليك إلى نحو التربة، ونهبوا جميع ما كان قدْ عبَّاهُ من السنيح ورجعوا.

فلما كان مُستهل صفر كثر القيل والقال بين الأمراء والعسكر واضطربت الأحوال.

---

[1] بحر الخفيف؛ لم يرد في بدائع الزهور.
[2] في بدائع الزهور ٣٩٦/٣: "تاسع عشر".

ثم إنَ السلطان عيَّن جماعة من الأمراء والعسكر بأن يخرجوا إلى البحيرة بسبب فساد العُربان فلم يخرج أحد من الأمراء ولا العسكر، ثم أشيع بين الناس أن السلطان يقصد أنْ يمسك جماعة من الأمراء، فامتنع الأمراء عن الطلوع إلى القلعة، وصاروا يجتمعون في بيت المقر السيفي قانصوه خال السلطان.

فلما كان يوم الإثنين تاسع عشرين صفر نادى السلطان بالعرض للعسكر في الميدان الذي تحت القلعة، فلما طلع العسكر إلى الرملة، وقفوا ساعة فلم ينزل إليهم السلطان، فانفضَّ المجلس مانع.

فلما كان مُستهل شهر ربيع الأول طلع القضاة الأربعة يهنون بالشهر، فرسم السلطان لهم بأنْ يحلف الأمراء والعسكر بحضرتهم فاحضروا لهم المُصحف العُثماني عند باب المدرج بحضرة نائب القلعة، فصاروا يحلفوا المماليك طبقة بعد طبقة بحضرة القُضاة، ثم إنَ الأمراء والعسكر قالوا: "مثلما حلفنا للسلطان، يحلف لنا هو أيضًا بأنهُ لا يمسك منا أحدًا"، فلم يُوافق السلطان على ذلك، وكان المُتكلم بين السلطان وبين الأمراء الأمير تاني بك الجمالي أمير سلاح.

فلما جرى ذلك أنفضَّ المجلس، مانع ولم يحلف السلطان، واستمر الحال على ذلك، والأمراء لم يطلعوا إلى القلعة، ولم يُصلوا الجمعة مع السلطان، ولم يمكنوا الأمير قانصوه الدوادار خال السلطان من الطلوع إلى القلعة.

ثم إنَ السلطان رسم لنقيب الجيش بأن يتوجه إلى جماعة من الأمراء ويقولُ لهم: "السلطان رسم بأن تكتبوا وصيّة وتخرجوا إلى مكة أو القُدس"، فلم يلتفتوا إلى كلامهِ، وكان عول على مسك ستةٍ من [٢٥٨/ب] الأمراء، وهُم: الأمير طُومان باي الدوادار الثاني، والأمير طراباي، والأمير أزدمُر، والأمير أنس باي، والأمير قانصوه الدوادار خال السلطان، والأمير تاني بك الجمالي، على ما قيل، وأشيع بين الناس.

فعند ذلك نفرتْ منهُ قلوب العسكر، وتغيّر خاطرهُم عليه قاطبة، بسبب هذه الأفعال القبيحة التي تقع منهُ في حق الناس وبهدلتهُ لحُرمة المملكة، ومُعاشرته للأطراف من العوام، ونزولهُ بالليل مع جماعة من العبيد، وقد خرج عن طور الملوك، وزاد بالجهل عن الحدّ في أفعالهِ الشنيعة، وخرج في قبح أموره عن الشريعة، قد قلتُ:

سلطاننا الناصر المفدى أخبارهُ نقلها صحيح
بالجهل أضحى قبيح فعلٍ فلمْ يُفد شكلهُ المليحُ[1]

فلما كان يوم السبت حادي عشر ربيع الأول فيه عمل السلطان المُولد الشريف، فلم يطلع إليه أحد من الأمراء سوى الأتابكي أزبك، والأمير تاني بك الجمالي أمير سلاح، وبعض أمراء من العشراوات والقُضاة، ولم يطلع الأمير قانصوه خال السلطان، ولا أحد من الأمراء.

فلما أنفض أمر المُولد أراد الأتابكي أزبك، والأمراء أنْ ينزلوا إلى بيوتهم، فقاسوا من المماليك الذي في الطباق ما لا خير فيه من الرجم وغيره، فما نزلوا إلا بعد جهد كبير.

ثم إنَ السلطان لما أنفض أمر المُولد نزل في يوم الإثنين ثالث ربيع الأول إلى نحو قناطر العشرة، التي ببر الجيزة، وذلك على سبيل التنزه، وكان ذلك في أواخر النيل فأخذ معهُ ما فضل من احتياج المُولد، ونصب لهُ هُناك وطاق عظيم، وعدى إلى بر الجيزة في يوم الإثنين المذكور، وكان معهُ أولاد عمه قيت، وهُما: جانم وأخيه، وبعض جماعة من الخاصكية والمماليك ولم يكن معهُ من الأمراء المقدّمين أحد، فأقام هُناك من يوم الإثنين إلى يوم الأربعاء وهو في أرغد عيشٍ من اللهو [٢٥٩/أ] والانشراح، وأحضر هُناك مغاني عرب، وخيال ظل، وخرج في الفتك عن الحدّ في تلك الأيام، فكان كما قالَ القَائلُ:

تزوَّد من الدُنيا فإنك لا تدرى إذا جَّن ليلك هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من صحيح مات من غير علةٍ وكم من عليلٍ عاش حين من الدّهر
وكم من فتى يمسى ويصبح ضاحكًا[2] وقد نُسجت أكفانهُ وهو لا يدرى[3]

ثم إنَ السلطان في يوم الأربعاء صلى العصر وقصد بأنْ يتوجه إلى القلعة، وكانت ليلة الجامكية، فلما خرج من الوطاق، وقصد أنْ يعدى، فمرَّ من على الأمير طُومان باي الدوادار الثاني، وكان برَّز خيامه في الطالبيَّة، وقصد أنْ

---

[1] بحر مخلع البسيط.
[2] في بدائع الزهور ٤٠١/٣: "آمنا".
[3] بحر الطويل.

يتوجه إلى البحيرة هو وجماعة من الأمراء، بسبب فساد عُربان البحيرة، وقد تقدم ذكر ذلك.

فلما مرَّ السلطان من على الأمير طُومان باي فخرج إليه مُسرعًا، وعزم على السلطان، فلم ينزل عندهُ، فأخرج إليه بجفنة فيها لبن فأكل السلطان منها وهو راكبٌ على فرسهِ، فلم يشعر إلا وقد خرج عليه كمين من الخيام، وهُم جماعة من مماليك أبيه نحو أربعين إنسان[1]، وهُم لابسون آلة الحرب، فعاجلوهُ بالحسام، قبل الكلام، وأذاقوه كأس الحمام، فقُتل السلطان الملك الناصر محمد بن الملك الأشرف قايتباي في ذلك اليوم، وهو يوم الأربعاء بعد العصر خامس عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعمائة، وذلك في أرض الطالبيّة، وقتل معهُ أولاد عمه قيت، وهُما: جانم وأخيه، وجُرح من السلحداريّة الذي[2] كانوا مع السلطان واحد، وصار السلطان مرمي هو ومن قتل معهُ في أرض الطالبيّة حتى أنَ شيخ الناحية أخذ جثة السلطان، ومنْ قُتل معهُ، وأدخلهُم في مسجد هُناك، فباتوا فيه تلك الليلة.

فلما قُتل السلطان وجاءت الأخبار إلى القاهرة بعد [٢٥٩/ب] المغرب فماجت الناس قاطبة، ولبس العسكر آلة الحرب.

فلما أصبحوا يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول اشتوروا العسكر فيمن يُولُوهُ السلطنة فاجتمع الأمراء والعسكر، وتوجهوا إلى بيت المقر السيفي قانصوه خال السلطان، ثم إن خال السلطان أرسل إلى بر الجيزة توابيت، وأحضروا جثة السلطان، ومن قُتل معهُ في الطالبيّة، فلما حضروا بهم أدخلوا جثة السلطان إلى بيت أبيه الملك الأشرف قايتباي الذي أنشأهُ بالقرب من حمام الفارقاني، فغسلُوهُ هُناك هو وأولاد عمه، وكفنُوهُم، وصلوا عليهم في باب الوزير، وتوجهوا بهم إلى تُربة السلطان قايتباي، فدفنوا الملك الناصر على أبيه داخل القُبة، ودفنوا أولاد عمه إلى جانبه داخل القبة.

---

(1) في بدائع الزهور ٣/٤٠١: "خمسين مملوكًا".
(2) كذا في الأصل، والصواب "الذين".

وكان الملك الناصر بهي الوجه، مليح الشكل، أبيض اللون، عربي الوجه، رقيق البشرة، قصير القامة، لم يخط عذارهُ، ومات ولهُ من العُمر نحو سبع عشرة سنة، ولولا أفعالهُ القبيحة لكان خيار أبناء الملوك، وكان عندهُ الكرم الزائد مع الجهلِ العظيم، وكان مقبول الشكل بهي المنظر غير مُحبب إلى الناس من أفعالهِ القبيحة، كما تقدم، ولما مات رثيتهُ بهذه الأبيات، وهو قولي مع التضمين في ذلك:

يا قبر لا تظلم عليه فطالما جلي بطلعتهِ دُجى الإظلام
عجبًا[1] لقبر قد حواه كيف لا يحكي السماء وفيه بدرُ تمام[2]

فكانت مُدّة سلطنتهُ بالديار المصرية سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يومًا.

وكانت أيامه أشرَّ أيام بما وقع فيها من المماليك في حق الرّعية من القتل والنهب، كما تقدم ذلك في أخباره، ولم يكنْ قصد والدهُ الملك الأشرف قايتباي أنْ يتسلطن ابنهُ من بعدهِ، فأنهُ لم يعهد إليه بالسلطنة عند الموت، وكان قصدهُ أن يجعلُوهُ مثل أولاد الملوك الذين بالقاهرة فما وافق مماليك أبيه على ذلك، ولا زالوا حتى سلطنوهُ، ثم قتلُوهُ أشرَّ قتله، وكان الملك الناصر ظالمًا بهذه الأفعال [٢٦٠/أ] التي تقدم ذكرها، وكانت الرعيّة يكثرون من الدعاء عليه فبمُوجب ذلك جرى لهُ ما جرى.

ولما قُتل الملك الناصر تولى من بعدهِ المقر السيفي قانصوه الدوادار خال السلطان، كما سيأتي أخبار دولته في الجزء الثالث من التاريخ المُسمى بعُقود الجمان في وقائع الأزمان، انتهى الجزء الثاني من ابتدأ دولة الأتراك إلى قتلة الملك الناصر محمد بن الملك الأشرف قايتباي، وذلك على سبيل الاختصار، يتلُوهُ الجزء الثالث في أخبار دولة الظاهر قانصوه، ومن جاء من بعدهِ إلى ما سيأتي من الحوادث من بعد ذلك.

---

(1) في بدائع الزهور ٤٠٣/٣ وجواهر السلوك ٣٩٩: "طوبى".
(2) بحر الكامل.

وقدْ قلت في هذا الجزء هذه الأبيات:

أعفـــــر لمنشـــــيه واعفـــوا عمـــــا جنـــــا بالتّهـــــامي
أحســـنت لـــــي فـــي ابتـــدأي يـــــا ربَّ فأحســــن ختـــامي[1]

وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء على يدّ مؤلفه فقير رحمة ربّهِ محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، عاملهُ الله تعالى بلطفهِ الخفي، في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول سنة خمس وتسعمائة.

وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آلة وصحبه وسلم

ورضي الله عن أصحاب

رسول الله أجمعين

والحمد لله ربّ

العالمين.

---

[1] بحر المجتث.

الكّشَّافاتُ التَّحلِيلِيَّة

١ـ الأعلام.

٢ـ الأمَاكنُ والبلدانُ.

٣ـ المُصلحات النَّوعيَّة.

٤ـ الآثار.

٥ـ القَوَافي.

٦ـ القبائلُ والأممُ والجماعاتُ.

٨ـ أسماء الكتب الواردة في النص.

الأعلام

(ح)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ص)

(ظ)

(ع)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

الأمَاكنُ والبلدانُ

(ر)

(ي)

المُصطلحات النَّوعيَّة

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(و)

الآثار

أ) القرآن الكريم

وكَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ	٣٦٣
ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالات صفر	٣٨١
وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ	٥٣٠

ب) الحَدِيثُ النَّبويُّ:

لا يفلح قوم ولو أمرهم امرأة	٥٢
أن الساعة لا تقوم حتى تخرج من أرض الحجاز نار يُضيئ منها أعناق الإبل بالبصراء	٦٠

جـ) الأمثال:

"ثلاثة لا يأمن إليهم، المال وإن كثر، والملوك وإن قربوا، والمرأة وإن طالت صحبتها"	١٦١
" ومُعْظَمُ النَّار من مُسْتَصْغَرِ الشَّرر"	٣٠٥
"مصائب قوم عند قوم فوائد"	٣١٣
"احاطة السوار بالمعصم"	٣٧٠
"وايش ينفع الكوز فضة، وداخله قطران"	٣٧٧
كلام الليل يمحوه النهار	٤٨٦
من طلب الشيء قبل أوانه، أورثه الله حرمانه	٤٨٧

القَوَافي

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
إرساءُ	البسيط		٣	٦٠
بالماء	الطويل		٢	٤٦٢
والغناءِ	مخلع البسيط	[مجير الدين ابن تميم الإسعردي]	٢	٢١٤
رتب	البسيط	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٥	٤٩٤
حلب	البسيط	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٣	٥٠١
والكرب	الزجل	القيم خلف الغباري	٧٢	٢٦٥
الأحبة	مجزوء الرمل	المعمار	٢	١٨٨
عجيب	السريع		٢	٣٩٧
عجائبه	المنسرح	[أبو سعد المخزومي]	٢	٥١١
ربه	المجتث	صلاح الدين الصفدي	٢	١٦١
راكبا	الطويل		١	٣٦٣
ومحسوبا	البسيط	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٦٩
بابا	مخلع البسيط	الشيخ شمس الدين ابن العفيف	٢	٢٠٠
كلابا	الوافر	جرير	١	٤٨٨
ومغاربا	الكامل	صفي الدين الحلي	٤	١٦٢
محربا	الكامل	أحمد بن محمد النصيري	٢	١٨٠
المنصبا	الكامل	ابن إياس	٢	٥١٥
الأغلبا	مجزوء الكامل		٢	٣٨٤

ومرحبا	السريع	فخر الدين ابن مكانس	١	١٧٢
مرحبا	السريع		١	٤٥٢
أتعجب	الطويل	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٢	٢٠٨
ونلعب	الطويل		٢	٣٨١
معايبه	الطويل	[يزيد بن محمد المهلبي]	١	٤٤٧
ينوبه	الطويل	[ابن ظفر الصقلي]	٢	٢٩٧
العجب	البسيط	[شهاب الدين ابن العطار]	٢	٢٤٦
العطب	البسيط		١	٥٤٣
انقلبوا	البسيط	[علي بن عيسى]	٢	٥٤٩
العذاب	الوافر	[المتنبي]	١	٣٨٢
طبيب	الوافر		١	٢٩٩
وتترب	الكامل	ابن إياس	٢	٥١٥
مشرب	الطويل	النصير الحمامي	٢	١٤٥
النوائب	الطويل	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٢	٢٣٤
العقارب	الطويل	[نجم الدين عمارة اليمني]	٢	٥٣٨
حلب	البسيط	[سيف الدولة المهندار]	١	٧٩
كالسحب	مجزوء الرجز	النصير الحمامي	٢	١٤٥
أتعجب	الطويل	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٢	٢٠٨
خذلت	الوافر	[أبو العتاهية]	٢	٤٢٨
ياليت	المجتث		٢	٣٠٣
الشريعة	الوافر	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٧٠
اللذات	الرجز	[شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)]	٢	٤٥٧
ناسوتي	البسيط	فخر الدين ابن مكانس	٢	٣٢١
النكاية	مخلع البسيط	ابن إياس	٢	٥٥٧
مدبرات	الوافر	[جرير]	٢	٢٢٨
والسكنات	الكامل	شهاب الدين ابن حجر	٢	٤٤٣
تشتت	الكامل	[الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة]	٢	٤٠٦

يقظاتها	الكامل	[صفي الدين الحلي]	٤	١٠٣
الغابة	الرجز		٢	٣١٤
الوشاة	السريع	شهاب الدين ابن حجر	٢	٤٤٢
مخلوقة	السريع		٣	٣٤٠
الماضية	السريع	الشيخ علائي الدين الوداعي	٢	١٢٨
حنثا	البسيط		١	٣٩٦
مبعوث	البسيط		٢	١٤٣
الدرج	الطويل	[شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن بن الأوحدي]	٢	٣٥٦
وانزعج	الرجز		٢	١٨٠
طافحة	السريع	صلاح الدين الصفدي	٢	١٨٩
وسبح	مجزوء الرمل	[إبراهيم بن المعمار]	٢	٣٧٧
نباح	البسيط	[الإمام الشافعي]	١	٣٨٩
صحيح	مخلع البسيط	ابن إياس	٢	٥٦١
الكاشح	السريع	شهاب الدين ابن حجر	٢	٤٢٢
بالمنائح	الطويل	صلاح الدين الصفدي	٢	١٧٥
وفيخ	السريع	ناصر الدين ابن كميل	٢	٤١٣
أمتداد	السريع	[ابن النبيه]	١	٤٣٥
جلدًا	الطويل	شمس الدين ابن دانيال	٢	٦٩
وساعدا	الطويل		١	١٠٢
اجتهاده	الطويل	[التنوخي]	١	٢٤١ - ٤٨١
أراد	الوافر		١	٤٨٦
أرادا	الوافر	[أبو الدرداء]	١	٣٧٤
تسديدا	الكامل	[ابن مماتي]	٢	٤٦٩
يريد	الكامل	عيسى بن حجاج العالية	٢	٢٧٣
تتغرد	الكامل		٢	٤٥١
وقدود	الخفيف	الملك المؤيد شيخ	٢	٤١٦

عقود	الخفيف	الملك المؤيد شيخ	١	٤١٧
مولده	البسيط		٢	٥٣٦
الأعادي	الوافر		٢	٢٩٢
سرمد	الكامل	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٧٧
والفساد	الرجز		١	٣٧٦
العباد	السريع	ابن إياس	٧	٥٥٠
جلدها	السريع		١	٥٤٣
واعتقادي	الخفيف	زين الدين ابن الوردي	٢	١٥٨
وغذا	البسيط	[الشيخ سديد الدين ابن كاتب المرج]	٣	٤٢٥
أذى	البسيط		٢	٦٥
فوار	الكامل		٨	٤٤٥
وزر	مجزوء الرجز		٢	٤٧٢
مسمر	مجزوء الرمل	المعمار	٢	١٧٠
تعفر	المجتث	صلاح الدين الصفدي	٣	١٨٥
وحيره	البسيط	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٧٣
ونثرا	الوافر	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٢	٢٠٨
جهارا	الوافر		٢	٢٢٣
مظفرا	الكامل	[محمود بن سلمان بن فهد]	٢	٣٦٥
منظرا	الرجز	الشيخ بدر الدين ابن حبيب	٢	٢٣٤
يسرا	مجزوء الرمل		٢	٢٩٣
ظاهرة	السريع	صلاح الدين الصفدي	٢	١٦١
آمره	الطويل	[ابن النبيه]	٢	٢٢٤
وتقدير	البسيط	[الإمام علي بن أبي طالب]	٢	٣٨٣
تأثير	البسيط		٢	٤٥٥
زاروا	البسيط	الشيخ شمس الدين القادري	٢	٥٠٧

الدهور	مخلع البسيط		٢	٣١٥
عثار	الوافر		٢	١٢٦
العار	الكامل		٢	٥٠٨
دوائر	الكامل	الشيخ تقي الدين ابن حجة	٢	٤٠٨
وأكثروا	مجزوء الكامل	عبد العظيم أبو الحسين بن الجزار	٤	٧٣
إدبار	السريع		١	٤٣٠
والنار	السريع	[أبو نواس]	١	٥٢٩
مستطير	الخفيف	صلاح الدين الصفدي	٢	١٨٨
الكفر	الطويل	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٦	٢١٩
الفجر	الطويل		٣	٥٦١
حور	البسيط	[الفضل بن شرف]	١	٦٦
الكدر	البسيط	[أبو العلاء المعري]	١	١١٣
الجاري	البسيط	[البستي]	٢	١٩٦
والبصر	البسيط	[جمال الدين ابن نباته]	٢	٤١٥
والقدر	البسيط	العيني	٢	٤١٨
يدري	الوافر	[ابن هرمة]	١	٥٤٠
قرار	الكامل	[أبو الحسن التهامي]	٥	١٦٣
يشهر	الكامل	الشيخ شهاب الدين بن جابر الأندلسي	٢	٢٣٤
والبتار	الكامل	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٣	٤٩٧
آثاره	الكامل		٤	٥٥٢
وافري	الكامل		٢	٣٨١
التدبير	الرجز		٢	٤٦٧
منكور	السريع	القاضي شهاب الدين بن محيى الدين ابن فضل الله العمري	٢	٢٠٠
بالقاهر	السريع	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٧٥
سايري	السريع	الشيخ شمس الدين الزركشي	٤	٣٥٣

الأوطار	الخفيف	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٢	٤٩٧
يحوزا	المتقارب		٢	٤٩٩
تمييز	الطويل	الشيخ تقي الدين ابن حجة	٢	٤١٥
المنجزي	الوافر	ابن إياس	٢	٥٧
نفيس	السريع	[الشيخ بدر الدين ابن حبيب]	٢	٢٣٩
نأنيس	الطويل		٢	٤٨٣
يتمغس	الكامل	[محيى الدين ابن عبد الظاهر]	٢	٤٧٢
المأنوس	الرجز	شمس الدين ابن دانيال	٢٤	٧٠
النفوس	الوافر	[المتنبي]	1	٥٤١
الناس	الكامل		٢	٤١٠
نفسه	السريع	[صالح بن عبد القدوس]	١	١٧٢
الشمس	السريع	الشيخ علائي الدين الوداعي	٢	١١٨
وإفلاسي	السريع	شمس الدين ابن دانيال	٢	٧١
كالشمس	السريع		٢	٤٦١
الأرضا	الطويل	[دعبل الخزاعي]	٢	٤٤٤
أفعي	الطويل		٢	٣٧٧
للواقعة	الكامل		٤	٢١٠
وادعى	الرمل	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٣١
ودعا	الرمل	[علي بن جبلة]	١	٤٨٢
جمعه	المنسرح	[الأضبط بن قريع التميمي]	٢	٣٣٧
جمع	الطويل	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٢	٢٠٢
يسرع	مجزوء الكامل	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٤٦
ربع	الخفيف	جمال الدين ابن نباته	٢	١٨١
الأصابع	الطويل	[هلال بن العلاء]	١	٢١٠
المطامع	الطويل	القاضي شهاب الدين محمود	١	٥١٠
لوداعه	الكامل	[أبو الفتح كشاجم]	١	٤٨٧
الطوع	مخلع البسيط	جمال الدين ابن نباته	٢	١٧٦

المطاع	مجزوء الرجز	[بدر الدين ابن الصاحب]	٢	٣٣٥
المتتابع	المجتث	[بدر الدين ابن الصاحب]	٢	٣٣٥
نزغا	البسيط	[زين الدين ابن الوردي]	٢	١٦٨
طففا	الكامل		٢	٤٣٣
القفا	السريع	النصير الحمامي	٢	١٣٣
السالفة	السريع	[يوسف بن عبد المجيد بن على بن داود الهذلي]	٢	٣٨٠
خطاف	الكامل		٢	٣٧٩
خايف	مجزوء الكامل	[إسماعيل الدهان]	٢	٣٦٤
يوسف	المتقارب	محمد بن غانم	٢	٩٨
الأشراف	الكامل	الشيخ شمس الدين بن المزين الدمشقي	٢	٢٣٤
الأشراف	الكامل	شهاب الدين ابن الأعرج السعدي	٢	٢٣٦
لهفي	السريع	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٢	٤٥٧
خانقة	السريع	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٨٢
الخرقا	البسيط	شمس الدين الطيبي	٢	١٢٣
واثقا	الكامل	[أبو الحسن طلحة]	٢	١٥٠
أحمق	الكامل	[أحمد بن يوسف]	٢	١٦٧
المشفق	الكامل	[صلاح الدين الصفدي]	٢	٢٠٤
راقي	الطويل	[ابن الجوزي]	٢	٣٩٩
قلقي	البسيط		٢	٤٩٤
إشراق	الكامل	الشيخ سراج الدين الوراق الشاعر	٢	١١٢
حقيق	السريع	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٧٧
فقدك	الوافر	صلاح الدين الصفدي	٢	١٥٩
بترك	الوافر	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٤	٢٣٧
حركة	الرجز	الشيخ بدر الدين ابن حبيب	٢	٢٦٣

الحركه	مجزوء الرجز	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٥٩
فتكا	المنسرح	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٥٥
دماكا	المجتث		٢	٢١٩
منك	الطويل	أبو الحجاج يوسف المعروف بابن الأحمر	٢	٣٣٤
والبرك	البسيط	الشيخ شمس الدين القادري	٤	٥٠٩
تنفصل	الرمل	محيى الدين ابن عبد الظاهر	٢	٩٨
كليل	السريع	الشيخ بدر الدين ابن حبيب	٢	٢١٧
والجمالا	الوافر	[ابن مسلمة]	٢	١٧٥
فحولا	الكامل	[المتنبي]	١	٤٠٢
قيلا	السريع	جمال الدين ابن نباته	٢	٢٢٧
الفضلا	السريع		٢	٤٩١
إذلالهم	السريع	[محيى الدين ابن عبد الظاهر]	٢	١٩٨
أجلاله	المتقارب	زين الدين ابن النحاس	٢	٥١٥
الأنامل	الطويل	[أبو العرب الصقلي]	٢	٣٢٩
جميل	الطويل	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٢	٥٠١
محمول	البسيط	[كعب بن زهير بن أبي سُلمى]	١	٩٢
عجلوا	البسيط		١	٢٠٥
الزلل	البسيط		١	٤٣٩
حمل	البسيط		٢	٥٢٧
أثقل	الوافر		٢	٤٩٧
المومل	الوافر	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٥٩
تتقلقل	الكامل	محيى الدين ابن عبد الظاهر	٩	٧٥
أول	الكامل	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٢	٢٠١
نتكل	الكامل	[عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر]	٢	٢٠٢
يجهل	الكامل	الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة	٦	٢٧٩

ويقبل	الكامل		٦	٣١٧
خلي	الطويل	زين الدين ابن الوردي	٢	١٨٨
العسل	البسيط		٢	٣٧٩
العمل	البسيط	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٨٢
العسل	البسيط	طغراني السيد فخر أبو إسماعيل الحسين بن علي	٢	٣٠٥
منتقل	البسيط	[طغراني السيد فخر أبو إسماعيل الحسين بن علي]	١	٣٥٠
فضل	مخلع البسيط		٢	٢٤٦
الثقيل	الوافر	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٦٩
جدال	الوافر	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٨	٤٤٥
اعتدال	الوافر		١	٤٦٢
الأرذل	الكامل		٢	٤٨٥
تجل	مجزوء الرجز		٢	٩٥
أمله	الرمل	[جريح المقل]	٢	١٨٢
آجل	السريع	صلاح الدين الصفدي	٢	١٨٠
بأعماله	السريع		١	٣٤٢
قسم	البسيط		١	٤٨٧
سمه	الرجز	الأديب سميكة	٢	١٩٥
حلمه	السريع		٢	٣٠٩
تم	المتقارب		١	٥٢٢
تخدم	الطويل	[الجناب الشبلي كافور الهندي الناصري]	٢	٢٧٩
الأحلام	الكامل		٢	٣٧٢
لا يدوم	مجزوء الرمل	البهاء زهير	٢	١١١
جنهم	الطويل		١	٣٩٩

عظيما	الوافر	شهاب الدين ابن العطار	٧	٢٥٧
دائما	الكامل		٢	٣٨٩
والنعم	البسيط	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٨٣
يدم	البسيط	[شمس الدين أبو عبدالله محمد الحمصي]	١	٤٤٢
تنم	البسيط	[عمر بن أبي ربيعة]	١	٣٢٧
غنايم	الوافر	الشيخ شمس الدين القادري	٢	٤٩٨
والمغانم	الوافر	شمس الدين ابن شادي خجا	٢	٤٩٨
والأعاجم	الوافر	شمس الدين ابن شادي خجا	٢	٤٩٨
المتقدم	الكامل	[محمد بن شرف]	١	٥٤١
الاضلام	الكامل	ابن إياس	٢	٥٦٣
تسلم	السريع		٢	٤٢٨
بإنعامه	السريع	صلاح الدين الصفدي	٢	٤٠٦
قديم	الخفيف	جمال الدين ابن نباته	٢	١٥٠
الضرغام	الخفيف	صلاح الدين الصفدي	٢	١٨٣
التمام	الخفيف		١	٣١١
بالتهامي	المجتث	ابن إياس	٢	٥٦٤
يمينه	الطويل	[الحسن بن علي بن الزبير]	٢	٢٠٤
عنه	الوافر	[شهاب الدين ابن العطار]	٢	٢٢٣
عنه	مجزوء الرمل	[البهاء زهير]	٢	٣٣١
جن	المجتث	المعمار	٢	١٧٢
مفتونا	البسيط		٤	٥٢٥
تعنينا	البسيط	السراج الوراق	٢	٥٣٦
مساكنهم	البسيط		٢	٤٠٩
أمانة	الوافر		٢	١٩٦
يساقونا	السريع	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٢	٤٩٩
وأربعينا	المجتث	صلاح الدين الصفدي	٢	١٨٨

عمنا	المجتث	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٧٣
كهان	البسيط	[ابن معرف المنجم]	٢	١٢٢
تدان	المجتث		١	٣١٥
الحسن	الطويل		٢	٤٣٩
والزين	الطويل	شهاب الدين ابن حجر	٢	٤١٨
بشعبان	البسيط	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٣٠
بوجهين	البسيط	علي بن برد بك	٢	٤٧١
وتمكين	البسيط	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٥٩
بالرضوان	الوافر	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	١٤	٥٠٦
بأمان	الكامل	شهاب الدين ابن العطار	٢	٢٧٨
النسوان	الكامل	زين الدين ابن النحاس	٢	٥٢٦
ثاني	الكامل	[ابن النبيه]	١	٣١٠
جبيني	الكامل	[عمارة اليمني]	٢	٩٧
بأماني	الكامل		١	٤٦٣
والإحسان	الرجز		٢	٣٤٣
سلطانه	الرجز	[العتابي]	١	٥٥٥
والقاطن	السريع	زين الدين ابن الوردي	٢	٧٩
هاتين	السريع	إبراهيم بن المعمار	٢	٢٣٠
بني	السريع	[ابن المعتز]	٢	٢٤٥
دهاها	المجتث	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٢	٤٩٣
تروه	مخلع البسيط	المعمار	٢	١٥٩
طلاوة	مجزوء الكامل		٢	٣٨٤
تنظروه	الخفيف	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٢	٤٩٨
البلوي	الرجز		٣	٣٤٦

إليه	الطويل	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٢	٥١٤
إليه	مخلع البسيط		٢	٢٢٣
تحية	الكامل	محيى الدين ابن عبد الظاهر	٢	١٠٠
عليه	السريع		٢	١٠٨
إليه	السريع		٢	٣٩٩
عليه	الخفيف	[أبو العتاهية]	١	٥٥٩
سنيا	الخفيف	شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري (الهائم)	٢	٥٢
الأفاعي	الوافر	[أحمد بن عثمان (أخو محمد بن السلعوس)]	٢	١٠٦
بنيه	الوافر		٢	٥٤٨
ألوان شعرية أخرى				
والكرب	الزجل	القيم خلف الغباري	٧٢	٢٦٥
القنطرة	الزجل		٣٧	٣٩٣
حدود	الزجل	القيم خلف الغباري	٧	٢١٥
الجياد	الزجل		٣	٤٧٥
والقصور	الزجل	القيم خلف الغباري	١٢	٢٦٣
الزاهر	الزجل	القيم خلف الغباري	٧	٢٧٦
التين	الزجل	إبراهيم بن المعمار	٥	٧١
بان	الزجل	القيم خلف الغباري	٦٧	٢٤٧
حماه	الزجل	الشيخ بدر الدين ابن الزيتوني	٤٢	٥٠٢
والسلاح	موشحة		٢	٢١٤
دقين	غناء العامة		٣	١٣٣
الأكمال	المواليا		٩	٥٧

القبائلُ والأممُ والجماعاتُ

(م)

(ي)

أسماء الكتب الواردة في النص

ثَبْتُ المَصَادِرِ والمراجع

المصادر المخطوطة:

١. ديوان ابن العطار، (عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م) ، إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية - برقم ١١١٨م.

٢. الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، باريس، برقم ١٧٩٠.

المصادر المطبوعة:

١. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح (محمد بن مفلح بن محمد ت: ٧٦٣هـ /١٣٦٢م)، عالم الكتب.

٢. الإعجاز والإيجاز، الثعالبي (عبد الملك بن محمد ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ، مكتبة القرآن الكريم، القاهرة، ١٨٦٧م.

٣. أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت: ٧٦٤هـ /١٣٦٣م)، تحقيق: د. على أبو زيد وأخرون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٤. التقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر في أخبار القرن الحادي عشر، السيد جعفر بن السيد حسن البرزنجي المدني (ت: ١١٧٧هـ/١٧٦٣م)، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨م.

٥. ألف ليلة وليلة = أسمار الليالي للعرب مما يتضمن الفكاهة ويورث الطرب، وليم حي مكناطن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر عدد (١١)، نوفمبر ١٩٩٦م.

٦. إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه ت:٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، تحقيق: مهنا حمد المهنا، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م.
٧. إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر(أحمد بن علي بن محمد ت: ٨٥٢هـ /١٤٤٩م)، تحقيق د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩م.
٨. الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت:٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، نشره: د. أيمن فؤاد سيد، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ٢٠٢١م.
٩. أنس الحجر في أبيات ابن حجر، ابن حجر (أحمد بن علي بن محمد ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، دار البيان، ١٩٨٨م.
١٠. الأنساب، السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ت: ٥٦٣هـ /١١٦٦م)، وزارة المعارف والشؤون الثقافية، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط:١، ١٩٧٧م.
١١. بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت: بعد ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٨م.
١٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، دار المعرفة، بيروت.
١٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي (عبد الرحمن بن محمد ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.
١٤. بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٤٦٣هـ/١٠٧١م)، تحقيق: محمد مرسى الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٩٨١م.
١٥. بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، المرجاني (محمد عفيف الدين بن عبد الله ت بعد: ٧٧٠هـ)، تحقيق: أ.د. محمد عبد الوهاب فضل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢م.

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محمد بن محمد بن محمد ت: ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م)، تحقيق: جماعة، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١م.
١٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٢، ١٩٩٣م.
١٨. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت: ٤٦٣هـ /١٠٧٢م)، تحقيق: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢م.
١٩. تاريخ الخلفاء، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفي الباز، ط:١، ٢٠٠٤م.
٢٠. تاريخ دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبه الله ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:١، ١٩٩٥م.
٢١. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت: ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)، دار الجيل، بيروت.
٢٢. تاريخ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت: ٨٠٧هـ /١٤٠٥م)، جـ٧، تحقيق: د. قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٢م.
٢٣. تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.
٢٤. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط:١، ٢٠٠٩م.
٢٥. التحفة المملوكية، بيبرس المنصوري، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط:١، ١٩٨٧م.

٢٦. تراجم رجال القرنين السادس والسابع= الذيل على الروضتين، أبو شامة المقدسي (شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، نشره: السيد عزت العطار، دار الجيل، بيروت، ط:٢، ١٩٧٤م.
٢٧. التعريف بالمصطلح الشريف، ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى ت:٧٤٩هـ/١٣٤٩م) ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٨. تقويم البلدان، أبو الفداء (إسماعيل بن علي بن محمود ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، دار صادر، بيروت، نسخة مصورة عن طبعة باريس ١٨٥٠م.
٢٩. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحميدي (محمد بن فتوح بن عبد الله ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
٣٠. جواهر السلوك فى أمر الخلفاء والملوك، تحقيق، ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت: بعد ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، د. محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٦م.
٣١. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ابن طرار (المعافي بن زكريا بن يحيى ت: ٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠٠٥م.
٣٢. جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي (ت: ١٧٠هـ/٨٧٦م)، تحقيق: علي محمد البجادي، نهضة مصر، القاهرة، ط:١، ١٩٨١م.
٣٣. جوامع إصلاح المنطق لابن السكيت، ابن مسعود (أبو الخير زيد بن رفاعة ت: ق:٣)، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٥م.
٣٤. حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين الغزي (محمد بن محمد العامري ت: ١٠٦١هـ /١٦٥١م)، تحقيق: لجنة متخصصة من المحققين، دار النوادر، سوريا، ط:١، ٢٠١١م.
٣٥. حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، السيوطي (عبد الرحمن بن محمد ت: ٩١١هـ /١٥٠٥م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٩م.
٣٦. الحلة السيراء، ابن الأبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر ت: ٦٥٨هـ /١٢٦٠م)، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط:٢، ١٩٨٥م.

٣٧. الحيوان، الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٣م.
٣٨. خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الكاتب الأصبهاني (ت: ٥٩٧هـ)، قسم شعراء المغرب والأندلس جـ ٢، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧١م.
- قسم شعراء مصر، تحقيق: أحمد أمين، وشوقي ضيف، وإحسان عباس، جـ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- قسم شعراء الشام، تحقيق: محمد بهجة الأثري، جـ٣، منشورات وزارة الأعلام، العراق، ١٩٧٦م.
٣٩. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي (محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين ت:١١١١هـ/١٦٩٩م)، دار صادر، بيروت.
٤٠. خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، (محمد بن دانيال بن يوسف ت: ٧١٠هـ /١٣١٠م)، تحقيق: إبراهيم حمادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م.
٤١. الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر (ت: ٧١٠هـ/١٣١٠م)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠١٥م.
٤٢. الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، ابن المبرد (يوسف بن حسن بن أحمد ت:٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، تحقيق: د. رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط:١، ١٩٩١م.
٤٣. الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر القرطبي (يوسف بن عبد الله بن محمد ت:٤٦٣هـ/١٠٧١م)، تحقيق: شوقي سيف، دار المعارف، القاهرة، ط:٢، ١٩٨٣م.
٤٤. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر(أحمد بن علي بن محمد ت: ٨٥٢هـ /١٤٤٩م)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط٢، ١٩٧٢م.
٤٥. الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة، اللبيب (أبو بكر عبد الغني ت قبل: ٧٣٦هـ /١٣٣٥م)، تحقيق: د. عبد العلي أيت زعبول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط:١، ٢٠١١م.

٤٦. ديوان البهاء زهير(زهير بن محمد بن علي المهلبي ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، شرح وتحقيق: محمد طاهر الجبلاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٤م.
٤٧. ديوان جرير، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي (ت: ١١٠هـ/٧٢٨م)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
٤٨. ديوان ابن أبي حجلة (أحمد بن يحيى بن أبي بكر ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م) ، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ط:١، ١٩٨٤م.
٤٩. ديوان صفي الدين الحلي، أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا (ت: ٧٥٢هـ /١٣٣٩م)، دار صادر، بيروت، ٢٠١٦م.
٥٠. ديوان الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ/٨٢٠م)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط:٢، ١٩٨٥م.
٥١. ديوان أبي العتاهية: (إسماعيل بن القاسم بن سويد ت: ٢١٠هـ/٨٢٦م) ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط:١، ١٩٨٦م.
٥٢. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تحقيق: أ. خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٩٨١م.
٥٣. ديوان المتنبي (أحمد بن الحسين بن الحسن ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، شرح مصطفى سبيتي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٦م.
٥٤. ديوان ابن نباتة المصري (جمال الدين محمد بن محمد ت: ٧٨٦هـ/١٣٦٦م) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٥٥. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام (علي بن بسام الشنتريني ت: ٥٤٢هـ /١١٤٧م) ، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط:٢، ١٩٨١م.
٥٦. الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٥٧. الذيل التام على دول الإسلام، الذهبي (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ودار ابن العماد، بيروت، ط:١، ١٩٩٢م.

٥٨. ذيل مرآة الزمان، اليونيني (موسى بن محمد بن أبي الحسين ت: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط:٢، ١٩٩٢م.
٥٩. رحلة ابن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٦م.
٦٠. رحلة الشتاء والصيف، محمد بن عبد الله بن محمد كبريت (ت: ١٠٧٠هـ /١٦٦٠م)، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط:٢، ١٩٦٥م.
٦١. الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، البابرتي (محمد بن محمود بن أحمد ت: ٧٨٦هـ/١٣٨٤م)، تحقيق: ضيف الله بن صالح، وترحيب بن ربيعان، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط:١، ٢٠٠٥م.
٦٢. رسائل ابن حزم الأندلسي، (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ت: ٢٥٦هـ /١٠٦٤م)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:٢، ١٩٨٧م.
٦٣. رفع الإصر عن قضاة مصر، ابن حجر(أحمد بن علي بن محمد ت: ٨٥٢هـ /١٤٤٩م)، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
٦٤. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، الأماسي (محمد بن قاسم بن يعقوب ت: ٩٤٠هـ/١٥٣٤م)، دار القلم العربي، حلب، ط:١، ٢٠٠٢م.
٦٥. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر "ططر"، بدر العيني (محمود بن أحمد ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، تحقيق: د. هانس أرنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.
٦٦. الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (محمد بن محمد بن عبد الله ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٠م.
٦٧. الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، ابن عبد الظاهر (محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري ت: ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط:١، ١٩٩٦م.

٦٨. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ /١٢٦٧م)، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٩٩٧م.
٦٩. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت: ٤٥٣هـ /١٠٦١م)، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:٢، ١٩٩٤م.
٧٠. زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، بيبرس المنصوري الدوادار (ت: ٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، تحقيق: دُونالد س. ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م.
٧١. زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني (إبراهيم بن علي بن تميم ت: ٤٥٣هـ /١٠٦١م)، دار الجيل، بيروت.
٧٢. زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي (الحسن بن مسعود بن محمد ت: ١١٠٢هـ /١٦٩١م)، تحقيق: د. محمد حجي، د. محمد الأخضر، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء، ط:١، ١٩٨١م.
٧٣. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (أبو بكر بن علي بن عبد الله ت: ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال ودار البحار، بيروت، ٢٠٠٤م.
٧٤. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المرادي (محمد خليل بن علي ت: ١٢٠٦هـ /١٧٩١م)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، ط:٣، ١٩٨٨م.
٧٥. السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت:٨٤٥هـ /١٤٤٢م) ، تحقيق: د. محمد مصطفي زيادة ود. سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.
٧٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط:٣، ١٩٨٥م.
٧٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط:١، ١٩٨٦م.
٧٨. شرح مقامات الحريري، الشريشي (أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسي ت: ٦١٩هـ/١٢٢٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٦م.

٧٩. الشفاء في بديع الاكتفاء، النَّواحي (محمد بن حسن بن علي ت: ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م)، تحقيق: د. محمود حسن أبو ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط:١، ١٩٨٣م.
٨٠. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد ت: ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٨١. صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل ت: ٢٥٦ هـ/٨٧٠م) ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط: ٥، ١٩٩٣م.
٨٢. صحيح مسلم بشرح النووي = المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، ط:٢، ١٩٩٤م.
٨٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت: ٩٠٢هـ /١٤٩٦م)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.
٨٤. طبقات الأولياء، ابن المُلقن (عمر بن علي بن أحمد ت: ٨٠٤هـ/١٤٠١م)، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٢، ١٩٩٤م.
٨٥. طبقات الشافعية، ابن قاضي شُهبة (أبو بكر بن أحمد بن محمد ت: ٨٥١هـ /١٤٤٨م)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٩٨٧م.
٨٦. العبر في خبر من غبر، الذهبي (ت:١٣٤٨/٧٤٨م)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٥م.
٨٧. العراك بين المماليك والقماش الأتراك، ابن أجا (محمد بن محمود الحلبي ت: ٨٨١هـ/١٤٧٦م): صنعه: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط:١، ١٩٨٦م.
٨٨. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، العيني (محمود بن أحمد ت: ٨٥٥هـ /١٤٥١م)، تحقيق: د. محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.
٨٩. العقد الفريد، ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه ت: ٣٢٨هـ/٩٤٠م): دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٤م.
٩٠. عقلاء المجانين، ابن حبيب النيسابوري (أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ت: ٤٠٦هـ/١٠١٦م)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٥م.

٩١. العين، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م) ، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د.ت.
٩٢. العيون الغامزة على خبايا الرامزة، الدماميني (بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ت: ٨٢٧هـ/١٤٢٤م)، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٢، ١٩٩٤م.
٩٣. الغيث المسجم في شرح لامية العجم، الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، شرحه: د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط:١، ٢٠٠٩م.
٩٤. فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب، حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي (ت: ٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، تحقيق: أ.د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، دار السلام، الرياض، ط:١، ٢٠١٨م.
٩٥. الفرج بعد الشدة، التنوخي (المحسن بن علي بن محمد ت: ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
٩٦. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٩٧١م.
٩٧. الفصول في اختصار سيرة الرسول، ابن كثير(عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ت:٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، تحقيق: عبد الحميد محمد الدرويش، دار النوادر، الكويت، ٢٠١٠م.
٩٨. الفلاكة والمفلوكون، الدلجي (أحمد بن علي بن عبد الله ت: ٨٣٨هـ/ ١٤٣٥م)، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٠٤م.
٩٩. فوات الوفيات، الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد ت:٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط:١، ١٩٧٤م.
١٠٠. قهوة الإنشاء، ابن حجة الحموي (أبو بكر بن علي بن عبد الله ت: ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)، تحقيق: رُودولف فيسيلي، مطبعة درغام، بيروت، ط:١، ٢٠٠٥م.
١٠١. قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان = عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، ابن الشعار (المبارك بن أحمد ت:٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠٠٥م.

١٠٢. الكامل في اللغة والأدب، المبرد (محمد بن يزيد المبرد ت: ٢٨٥هـ/٨٩٩م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٣، ١٩٩٧م.
١٠٣. الكشكول، بهاء الدين العاملي (محمد بن حسين بن عبد الصمد ت: ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م)، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م.
١٠٤. كنز الدرر وجامع الغُرر، ابن أبيك الدواداري (أبو بكر عبد الله أبيك ت بعد: ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) ، الجزء الثامن، تحقيق: أورلرخ هارمان، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١م.
- الجزء التاسع، تحقيق: هانس رُوبرت رويمر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٠٥. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل (ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م.
١٠٦. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
١٠٧. لسان الميزان، ابن حجر(أحمد بن علي بن محمد ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.
١٠٨. اللطائف والظرائف، أبو منصور الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، دار المناهل، بيروت.
١٠٩. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط:٢، ١٩٨٥م.
١١٠. المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي، المُهلبي (أحمد بن علي بن معقل ت: ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط:٢، ٢٠٠٣م.
١١١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.

١١٢. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ /١١٠٨م)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط:١، ١٩٩٩م.
١١٣. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى ت:٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٢م.
١١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وأخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.
١١٥. معجم الأدباء، ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٩٩٣م.
١١٦. معجم البلدان، ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، دار صادر، بيروت، ط:٢، ١٩٩٥م.
١١٧. المختار من شعر شعراء الأندلس، ابن منجب (علي بن منجب بن سليمان ت: ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، تحقيق: د. عبد الرزاق حسين، دار البشير، عمان، ط:١، ١٩٨٥م.
١١٨. المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء (إسماعيل بن علي بن محمود ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، ط:١، ١٩٩٨م.
١١٩. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، البغدادي (عبد الرحمن بن عبد الحق ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) ، تحقيق: على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٢٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (علي بن الحسين بن علي ت: ٣٤٦هـ /٩٥٧م)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.
١٢١. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى ابن فضل الله ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط:١، ٢٠٠٢م.
١٢٢. مطالع البدور في منازل السرور، البهائي الغزولي (علي بن عبد الله ت: ٨١٥هـ/١٤١٢م)، مطبعة دار الوطن، القاهرة، ط:١، ١٩٧٩م.

١٢٣. المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت ٦٤٧هـ /١٢٥٠)، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٦م.
١٢٤. المعجم، لابن المقرئ (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي ت: ٣٨١هـ /٩٩١م)، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، ط:١، ١٩٩٨م.
١٢٥. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ /١٢٢٩م)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٩٩٣م.
١٢٦. معجم الشعراء، المرزباني (الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران ت: ٣٨٤هـ /٩٩٤م)، تحقيق: د. ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٩٨٢م.
١٢٧. المقدمة، ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تحقيق: علي عبد الواحد، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٢٨. المقفي الكبير، المقريزي (ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م) ، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
١٢٩. المقتفي على كتاب الروضتين - المعروف بتاريخ البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٩م) ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط:١، ٢٠٠٦م.
١٣٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن علي ت:٥٩٧هـ/)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٢م.
١٣١. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٣٢. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار= خطط المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٣٣. مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، تحقيق: نبيل عبد العزيز، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٢م.
١٣٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٣٥. نزهة الأمم، ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت: بعد ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) ، تحقيق: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط:١، ١٩٩٥م.
١٣٦. نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، الحسن الصفدي (الحسن بن أبي محمد عبد الله ت بعد ٧١٧هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٣م.
١٣٧. نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي (عبد الرحمن بن محمد ت: ٩١١هـ /١٥٠٥م)، المكتبة العلمية، بيروت، عن صورة المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، ١٩٢٨م.
١٣٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المقري (أحمد بن محمد ت:١٠٤١هـ/١٦٣١م)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
١٣٩. نكت الهميان في نكت العُميان، الصفدي (صلاح الدين خليل بن أبيك ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
١٤٠. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٢م.
١٤١. نيل الأمل في ذيل الدول، عبد الباسط الملطي (عبد الباسط بن خليل بن شاهين ت: ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢م.
١٤٢. الوافي بالوفيات، الصفدي (صلاح الدين خليل بن أبيك ت: ٧٦٤هـ /١٣٦٣م)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٤٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.
١٤٤. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي (عبد الملك بن محمد ت: ٤٢٩هـ /١٠٣٧م) ، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

المراجع:

١. أحياء حلب وأسواقها، خير الدين الأسدي، تحقيق: عبد الفتاح رواس، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٤م.
٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١٥، ٢٠٠٢م.
٣. ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر، د. حسين عاصي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٣م.
٤. البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط:٢، ١٩٨٣م.
٥. تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط:١، ١٩٩٥م.
٦. تكملة المعاجم العربية، رينهات دوزي، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط: ١، ١٩٩٧م.
٧. الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، أ.د. محسن محمد حسين، دار تاراس للطباعة والنشر، العراق، ٢٠٠٣م.
٨. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، علي باشا مبارك، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م.
٩. خطط الشام، كُرد على، مكتبة النوري، دمشق، ط:٣، ١٩٨٣م.
١٠. دليل للمسافرين: فلسطين وسوريا، بدكر، لندن، ١٨٧٦م.
١١. الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، بشار عواد معروف، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٢. الردود، الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٩٩٣م.
١٣. السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد بن إبراهيم بن مصطفي (ت: ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٩٩٢م.
١٥. السيدة نفيسة رضي الله عنها، أ. توفيق أبو علم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢م.
١٦. الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٢م.
١٧. شهاب الدين بن العطار الدنيسرى حياته وما تبقي من شعره، دراسة وتوثيق: حسين عبد العال، جامعة الكوفي، كلية الفقة، مجلة الكلية، صـ٢٢٠-٢٩٤.
١٨. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي، دار الكتب بوزارة الثقافة اليمنية، د.ت.
١٩. عبقرية التأليف العربي – علاقات النصوص والاتصال العلمي - أ.د كمال عرفات نبهان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ط:١، ٢٠١٥م.
٢٠. فرهنك عميد: شامل و أثره هاي فارسي و لغات عربي و أروبائي مصطلح درزبان فارسي و إصطلاحات علمي و أدبي، حسن عميد، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران، ١٩٦٤م.
٢١. القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، محمد بك رمزي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢٢. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن مجد العلجوني (ت: ١١٦٣هـ/١٧٤٩م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٩٣٢م.
٢٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله، حاجي خليفة، دار إحياء العربي، بيروت، ١٩٤١م.

٢٤. مختصر عيون الأخبار لابن قتيبة، اختصره: د. محمد سالمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١، ٢٠٠٦م.
٢٥. مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت ١٣٤٦هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م.
٢٦. العصر المماليكى في مصر والشام، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، القاهرة، ط:٢، ١٩٧٦م.
٢٧. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، محمد أحمد دهمان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط:١، ١٩٩٠م.
٢٨. معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، تحقيق: د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط:٢، ٢٠٠٢م.
٢٩. المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، د. حسان حلاق ود. عباس صباغ، دار العلم للملايين، بيروت، ط:١، ١٩٩٩م.
٣٠. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط:١، ١٩٩٢م.
٣١. المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث»، د. رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٢م.
٣٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٨م.
٣٣. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.
٣٤. المعجم المُفصل بأسماء الملابس عند العرب، رينهارت دوزي، ترجمة: د. أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط: ١، ٢٠١٢م.
٣٥. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، بطاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٨٥م.

٣٦. الملابس المملوكيـة، ل.أ. مـاير، ترجمـة: صـالح الشيتي، الهيئـة المصـرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.
٣٧. موسوعة بلادنـا فلسطين، مصـطفى مـراد الـدباغ، دار الهُدى، كفـر قـرع، ١٩٩١م.
٣٨. موسوعة القبائل العربية، محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربـي، بيروت، ط:٣، ٢٠٠٩م.
٣٩. نفح الأزهار في منتخاب الأشعار، شاكر بن مغامس بن محفوظ، تحقيق: إبراهيم اليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت، ط:٣، ١٨٨٦م.
٤٠. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البابـاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة وكالـة المعـارف الجليلـة، استانبول، ١٩٥١م.

الفهرس

المحقق في سطور

الاسم: أحمد سعيد بدير متولى

- تاريخ الميلاد: ١٩٩٢/١١/١م
- البريد الالكتروني: Ahmedsied2099@gmail.com
- ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عام ٢٠١٣م، بتقدير جيد.
- دبلومة تربوي عام ـ كلية التربية ـ جامعة شبين الكوم، عام ٢٠١٦م، بتقدير ممتاز.
- تمهيدى ماجستير تاريخ إسلامى بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عام ٢٠١٨م، بتقدير جيد جدًا.
- دورة (تشريح الكتاب من المخطوط إلى المطبوع) مقدمة من مدرسة السلطان أحمد، استانبول بتاريخ ٢٠٢١/١٠/٣١. (عن بعد).
- دورة (النشر النقدي للنصوص التراثية) بالمعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية من فترة ٢٠٢١/١٢/٢ إلى ٢٠٢٢/١/٣، المحاضر: د. أيمن فؤاد السيد.
- دورة (تحقيق النصوص) دورة تأسيسية بتاريخ ٢٠٢٢/٢/٢٧ حتى ٢٠٢٢/٣/٣، مقدمة من معهد المخطوطات العربية.

صدَر من سِلْسلةِ التُّراث الحضَاري

١- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، لابن ظهيرة، تحقيق: مصطفى السقا، وكامل المهندس.
٢- منامات الوهراني، للوهراني، تحقيق: إبراهيم شعلان، ومحمد نغش، مراجعة: د. عبدالعزيز الأهواني.
٣- رسالة آداب السفرة، للسمناني، تحقيق وترجمة ودراسة: شعبان ربيع طرطور، مراجعة الترجمة: طلعت أبو فرحة.
٤- جالينوس "فرق الطب للمتعلمين"، نقل أبي زيد حنين بن إسحاق العبادي المتطبب، تحقيق: د.محمد سليم سالم.
٥- الأدوار في الموسيقى، للأرموي، تحقيق: غطاس عبدالملك خشبة، راجعه: د. محمود أحمد الحنفي.
٦- الجواهر وصفاتها، ليحيى بن ماسويه، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف.
٧- التحفة السنية، لابن الجيعان، دراسة: صلاح محمد عبدالحميد.
٨- كاتب الشونة، جمعها وكتبها: أحمد بن الحاج أبو علي، تحقيق: الشاطر بصيلي عبدالجليل، مراجعة: د. محمد مصطفى زيادة.
٩- هذه رسالة جليلة في توجيه النصب في بعض كلمات نحو:- فضلًا وخلافًا ولغة وأيضًا وهلم جرا لابن هشام المصري، تحقيق: د. إيمان حسين السيد حسين، دراسة: محمد حسين السيد حسين.
١٠- كتاب الأنساب، للحمداني المؤرخ، بدر الدين أبي المحاسن يوسف بن زماخ بن حمدان التغلبي، المهمندار، جمع ودراسة وتحقيق: د. أسامة السعدوني جميل.
١١- رسالة ثامسطيوس إلى يوليان الملك في السياسة وتدبير المملكة، تحقيق وشرح: دكتور محمد سليم سالم، ملحق: محمد سليم سالم وجهوده في تحقيق التراث العربي اليوناني، إعداد: د.حسام أحمد أحمد عبدالظاهر.

١٢- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تأليف: أبي الوليد ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨م)، دراسة: مدحت صفوت.

١٣- كتاب الجبر والمقابلة، لمحمد بن موسى الخوارزمي، قام بتقديمه والتعليق عليه: علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد، دراسة: د.أحمد فؤاد باشا.

١٤- من نصوص كتاب المتين للمؤرخ القرطبي الكبير أبي مروان بن حيان، جمعها من مطبوع ومخطوطات الذخيرة لابن بسام ودرسها، وحققها وقارنها بنصوص المصادر الأخرى، العربي منها والأوروبي: د. عبد الله محمد جمال الدين.

١٥- كتاب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المشهور بابن بطوطة، تقديم ودراسة: أ.د. يسري أحمد زيدان، ملحق: أحمد باشا تيمور وصناعة الفهارس الخاصة، مخطوط فهرس كتاب رحلة ابن بطوطة نوذجًا، إعداد: د. أسامة السعدوني جميل.

١٦- رسالة في توجيه قراءة ابن محيصن في الإستبرق، لعبد القادر البغدادي - تحقيق ودراسة: د. محمد جمعة الدِّربيّ.

١٧- الأنوار والمراقب، الجزء الأول، نسخةُ من المخطوط ليون نيموي، تحقيق: د. حسين عبد البديع حسين، مراجعة ودراسة: د. أحمد محمود هويدي.

١٨- جامع التواريخ، ترجمة عن الفارسية لمقدمة رشيد الدين لجامع التواريخ وتاريخ هولاكو، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة: يحيى الخشاب.

١٩- عيون الحكمة، تصنيف الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا، تحقيق: د. إلهام مصطفى محمد، مراجعة: أ.د. مصطفى لبيب.

٢٠- الشكوك على بطليموس، للحسن بن الهيثم، تحقيق: د. عبد الحميد صبرة، د. نبيل الشهابي، تصدير: د. إبراهيم مدكور. دراسة: د. أحمد فؤاد باشا.

٢١- السيف المهنَّد في سيرة الملك المؤيد «شيخ المحمودي»، لبدر الدين العيني، حققه وقدم له: فهيم محمد شلتوت، راجعه: د. محمد مصطفى زيادة، دراسة اقتصادية "الإصلاح الاقتصادي في عصر المؤيد شيخ": د. أسامة السعدوني جميل.

٢٢- كتاب ما لا يستغني عنه الإنسان من ملح اللسان، تأليف: أبي الحسن إبراهيم ابن عمر ابن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، (٨٠٩هـ - ٨٨٥هـ) (١٤٠٦م - ١٤٨٠م)، دراسة وتحقيق: محمد حسين السيد حسين.

٢٣- كتاب التبصر بالتجارة، في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفيسة، والجواهر الثمينة. تأليف أبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري، إعداد: إكرامي عشري.
٢٤- ابن باجة، تعليقات في كتاب باري أرمينياس، ومن كتاب العبارة لأبي نصر الفارابي. تحقيق: د. محمد سليم سالم، دراسة: د. عبد الحميد عبد المنعم مدكور.
٢٥- كتاب أخبار سيبويه المصري، تأليف: الحسن بن زولاق، نشره لأول مرة محمد إبراهيم سعد وحسين الديب (سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م)، دراسة: د. نهلة أنيس محمد مصطفى.
٢٦- علم الساعات والعمل بها، تأليف رضوان بن محمد الساعاتي مع مجموع في الميكانيك الإسلامي، تحقيق محمد أحمد دهمان، تقديم العلَّامة: د. شاكر الفحام، توطئة: سلوى بكر.
٢٧- مؤنس الوحدة، ضياء الدين ابن الأثير الجزري، (٥٥٨ - ٦٣٧هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد مهدلي.
٢٨- كتاب جالينوس إلى غلوقن في التأتي لشفاء الأمراض، مقالتان شرح وتلخيص: حنين بن إسحاق المتطبب، تحقيق وتعليق: د. محمد سليم سالم.
٢٩- أَحْكَام النُّقود وغَيرهَا مِن الموزونَاتِ والمِكْيَلات، وهو الكتاب السابع من كتاب تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف، تأليف: زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، ت: ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م، تحقيق: د. محمد جمال الشوربجي، د. أسامة السعدوني جميل، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.
٣٠- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، تحقيق: د. محمد جمال حامد الشوربجي.
٣١- كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، تأليف: أحمد بن يوسف التيفاشي، حققه وعلق عليه وشرحه: د. محمد يوسف حسن، د. محمود بسيوني خفاجي.
٣٢- المُفضَّل على المُفصَّل (المُشْتَرك)، تأليف: محمد بن حسام الهرويّ، المتوفَّى بعد سنة (٧٥١ هـ)، تحقيق: مهتدي فتحي عبد الصمد.
٣٣- المسائل لأبي علي يحيى بن غالب بن محمد البغدادي المنجم المعروف بالخياط، تلميذ المنجم اليهودي ماشاء الله بن أثري، توفي بين عامي (٢١٠ - ٢٣٠هـ) (٨٢٥- ٨٤٥م)، المقالات على الأحكام البسيطة مما ذكره الحكماء ورسالة في دلائل القمر، تحقيق: نهى عبدالرازق الحفناوي.

٣٤- الأمانات والاعتقادات، تأليف سعيد بن يوسف، المعروف بسعديا الفيومي، تحقيق: أ.د. شريف حامد سالم، مراجعة ودراسة: أ.د. أحمد محمود هويدي.

٣٥- العيون وعلاجها عند قدماء المصريين نقلًا عن قراطيسهم، ترجمة الفقير: أحمد بك كمال، دراسة: محمد سيد كمال.

٣٦- الفاشُوشُ في حُكْمِ قَراقُوشَ، للأسعد ابن مَمَّاتي، ت (٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)، وما جمعه جلال الدين السيوطي، ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م).

٣٧- رسالةٌ في عِلْم الكِتابَةِ والأخْبارِ لمصنَّفٍ مصْريٍّ مَجهُولٍ منْ العَصرِ العُثْمَاني، تحقيق ودراسة: د.أحمد جمعة عبد الحميد، د. حسن علي عبيد، د. يحيى زكريا سرور.

٣٨- تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، تأليف محمد بن خلف بن المَرْزُبان، ت (٣٠٩هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد زكريا يوسف، د. السيد أحمد إبراهيم.

٣٩- كتاب كامل الصناعتين البيطرة والزردقة، تأليف أبي بكر بن بدر الدين المنذر البيطار، (٧٠٩هـ - ٧٤١هـ)، (١٣٠٩م - ١٣٤٠م)، بخزانة الملك الجليل السلطان الأعظم الملك الناصر، محمد بن قلاوون، تحقيق: الطحاوي سعود الطحاوي.

٤٠- الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل، تصنيف: أبي العز بن إسماعيل الجزري، تحقيق: د. أحمد يوسف الحسن، دراسة علمية: أ.د. حافظ شمس الدين، الفنان المهندس: أحمد الجنايني.

٤١- تاريخ الرَّهاوي المجهول، المتوفَّى بعد عام (عام ٦٣٥هـ - ١٢٣٧م)، عَرّبه عن السريانية ووضع حواشيه: الأب ألبيرأبونا، دراسة: د. محمد عبد الخالق عبد المولى.

٤٢- مبَاهِج الإخوانِ ومنَاهِج الخِلَّانِ في حَوادِثِ الدُّهُورِ والأزمَانِ (يحوي تاريخ مِصْر وتَراجِم أعيانها)، للمُؤرِخ المصري: شهاب الدين أحمد بن أَحمد بن عبد الرحمن، المعروف بابن العجمي (ت: بعد ١٠٤٥هـ / ١٦٣٦م)، الجزء الأول - القسم الأول، حوادث وتراجِم سنوات (٩٢٣- ١٠١٢هـ / ١٥١٧- ١٦٠٤م)، دراسة وتحقيق: د. محمد جمال حامد الشوربجي.

٤٣- مبَاهِج الإخوانِ ومنَاهِج الخِلَّانِ في حَوادِثِ الدُّهُورِ والأزمَانِ (يحوي تاريخ مِصْر وتَراجِم أعيانها)، للمُؤرِخ المصري: شهاب الدين أحمد بن أَحمد بن عبد الرحمن، المعروف بابن العجمي (ت: بعد ١٠٤٥هـ / ١٦٣٦م)، الجزء الأول - القسم

الثاني، حوادث وتراجِم سنوات (١٠١٣- ١٠١٦هـ / ١٦٠٥- ١٦٠٨م)، دراسة وتحقيق: د. محمد جمال حامد الشوربجي.

٤٤- مبَاهِج الإخوانِ ومنَاهِج الخِلَّانِ في حَوادِثِ الدُّهُورِ والأزمَانِ (يحوي تاريخ مِصْر وتَراجِم أعيانها)، للمُؤرِخ المصري: شهاب الدين أحمد بن أَحمد بن عبد الرحمن، المعروف بابن العجمي (ت: بعد ١٠٤٥هـ / ١٦٣٦م)، الجزء الثاني، حوادث وتراجِم سنوات (١٠١٧- ١٠١٩هـ/ ١٦٠٩- ١٦١١م)، دراسة وتحقيق: د. محمد جمال حامد الشوربجي.

٤٥- الجُمَاهِرُ في مَعرِفَةِ الجَوَاهِرِ، تأليف: أبي الريحان محمد بن أحمد البَيرُوني الخوارزمي (٣٦٢هـ -٤٤٠هـ / ٩٧٣م - ١٠٤٨م)، دراسة وتحقيق: أ.د. طارق نازل.

٤٦- من أعمال الحميدي الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن فتُّوح الأزدي الحميدي ت(٤٨٨هـ - ١٠٩٥م)، ١- كتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك، تحقيق: محمد حسين السيد حسين، دراسة: د. عادل يحيى عبد المنعم، ٢- كتاب جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث، دراسة: د. عادل يحيى عبد المنعم.

٤٧- فُنُونُ الـمَنُونِ في الوَبَاءِ وَ الطَّاعُونِ، تأليف: جَمَالُ الدّينِ يُوسُفُ بنِ أحْمَدَ ابنِ عَبْدِ الهَادِي، (ابَن المِبْرد)، (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) تحقيق ودراسة: د. عثمان على عطا، د. عيد فتحي عبد اللطيف.

٤٨- زُبدة كَشْفِ المَمَالِكْ وبَيَانِ الطُّرُقِ وَالمَسَالِكْ، تأليف الأمير غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري الحنفي، ت(٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، الجزء الأول، دراسة وتحقيق: د. محمد جمال حامد الشوربجي.

٤٩- زُبدة كَشْفِ المَمَالِكْ وبَيَانِ الطُّرُقِ وَالمَسَالِكْ، تأليف الأمير: غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري الحنفي، ت(٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، الجزء الثاني، دراسة وتحقيق: د. محمد جمال حامد الشوربجي.

٥٠- شرح مشكلات المفصّل، تأليف: محمد بن الحاجي الهرويّ، تحقيق: مهتدي فتحي عبدالصمد.

٥١- كتاب العنوان المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنواع الفلسفة، الممدوح بحقائق المعرفة، تأليف: أغابيوس بن قسطنطين المَنْبِجي، دراسة: د. محمد عبد الخالق عبد المولى.

٥٢- نُخَب الذَخَائر في أحْوالِ الجَواهِر، تأليف: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاريّ السِنْجاريِّ البخاريِّ، المعروف بابن الأكفانيّ، دراسة وتحقيق: ا٠د طارق نازل.

٥٣- منهل الظرافة بذيل مورد اللطافة في مَنْ ولي السلطنة والخلافة، تأليف: جار الله محمد بن عبد العزيز ابن فهد المكي (ت: ٩٥٤هـ/١٥٤٨م)، تحقيق: د.محمد جمال حامد الشوربجي.

٥٤- نصوص عن الأندلس، من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تأليف: أحمد بن عمر بن أنس العُذري (ت: ٤٨٨هـ/ ١٠٨٥م)، تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني، دراسة: أحمد عادل قرني.

٥٥- كتاب الحيل، تصنيف بني موسى بن شاكر، تحقيق: د. أحمد يوسف الحسن بالتعاون مع محمد على خياطة - مصطفى تعمري، دراسة الفنان: أحمد الجنايني.

٥٦- كتاب في الفلاحة، تأليف أبي الخير الإشبيلي الشجّار الأندلسي، تحقيق ودراسة: د. آية محمد الجندي.

٥٧- كتاب الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، تأليف: أحمد بن علي الحريري (٩٢٦هـ)، تحقيق: هاني مهنى طه.

٥٨- شذور العقود في ذكر النقود، تأليف: أحمد بن علي المقريزي دراسة وتحقيق: ا.د. محمد عبد الستار عثمان.

٥٩- زهر البساتين في علم المشاتين، تأليف: محمد بن أبي بكر الزرخوني (المصري)، المتوفَّى حوالي (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، تحقيق ودراسة: د. لطف الله قاري.

٦٠- تنزيه المصطفى المختار عمَّا لم يثبت من الآثار، للعلَّامة المحدَّث أحمد بن العجمي الأزهريِّ، المتوفى سنة ١٠٨٦هـ تحقيق ودراسة: أحمد عبد العاطي الآثاريّ.

٦١- تارِيخُ الدُّوَلِ والمُلوكِ، ناصِر الدِّين مُحمَّد بن عَبْدِ الرَّحِيمِ الحَنَفيّ، المَعْروف بابنِ الفُراتِ، (٧٣٥-٨٠٧هـ/١٣٣٤-١٤٠٥م)، حَوادِث ووَفَيَات سنوات (٦٢٥-٦٣٢هـ/١٢٢٧-١٢٣٥م)، تحقيق: د. علاء مصري النهر.

٦٢- رسائل الخانقاه البيبرسية، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تحقيق: د. محمد جمال حامد الشوربجي.

٦٣- رسائل بلاد التكرور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي (ت:٩١١هـ/١٥٠٥م)، تحقيق: د. محمد جمال حامد الشوربجي، دراسة عن بلاد التكرور: د. إسماعيل حامد إسماعيل علي.

٦٤- القانون في الطب، ابن سينا (الكتاب الرابع) الأمراض التي لا تختص بعضو بعينه - الجزء الأول - تقديم ودراسة وتحقيق: د/ ماهر عبد القادر محمد.

٦٥- القانون في الطب، ابن سينا (الكتاب الرابع) الأمراض التي لا تختص بعضو بعينه - الجزء الثاني - تقديم ودراسة وتحقيق: د/ ماهر عبد القادر محمد.

٦٦- حي بن يقظان، لابن طفيل الأندلسي (ت: ٥٨١هـ - ١١٨٥م)، تحقيق: د. أحمد أمين، دراسة: د. عادل يحيى عبد المنعم.

٦٧- العمل بالأسطُرلاب، أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصّلت الدّاني الأندلسيّ، (توفي حوالي ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)، دراسة وتحقيق: الخياطي الريفاعي.

٦٨- قوانين الدواوين، [المُختصَر العزيزي]، للأسعد أسعد بن مُهَذَّب ابن أبي مليح مَمَّاتي، (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، دراسة وتحقيق: د.محمد جمال حامد الشوربجي.

٦٩- الأقاليم السبعة، لأبي القاسم العراقي، تحقيق ودراسة: د. محمد عاصم سرحان.

٧٠- عُقُود الجمَان في وَقَائع الأزمان، لـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، المعروف بابن إياس، (ت: بعد ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، حوادث وتراجم سنوات (٦٤٨-٩٠٤هـ/ ١٢٥٠-١٤٩٨م)، تحقيق ودراسة: أحمد سعيد بدير.